موسوعة

الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين

بغية الراغبين

إعداد وتحقيق
مركز العلوم والثقافة الإسلامية
قسم إحياء التراث الإسلامي

الجزء السابع

دار المؤرخ العربي
بيروت - لبنان

موسوعة

الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين

بغية الراغبين

إعداد وتحقيق

مركز العلوم والثقافة الإسلامية
قسم إحياء التراث الإسلامي

الجزء السابع

دار المؤرخ العربي
بيروت - لبنان

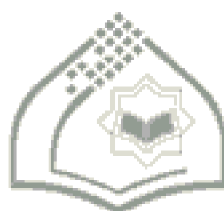
الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

الطبعة الثانية
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان - ص.ب: ٢٤/١٢٤ - تلفاكس: ٥٤١٤٣١ هاتف: ٥٤٤٨٠٥
Email: al_mouarekh@hotmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

دليل

موسوعة الإمام شرف الدين

المدخل

حياة الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين العاملي

الجزء الأوّل

١ . المراجعات

الجزء الثاني

٢ . النصّ والاجتهاد

الجزء الثالث

٣ . الفصول المهمّة في تأليف الأُمّة

٤ . أبوهريرة

الجزء الرابع

٥ . كلمة حول الرؤية

٦ . فلسفة الميثاق والولاية

٧ . أجوبة مسائل موسى جار الله

٨ . إلى المجمع العلمي العربي بدمشق

٩ . مسائل فقهيّة

الجزء الخامس

١٠ . الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام

١١ . المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة

الجزء السادس

١٢ . تأليف الأُمّة

١٣ . مودّة أهل البيت عليهم السلام فريضة

١٤ . عصمة أهل البيت عليهم السلام بنصّ الكتاب

١٥ . الصلاة على أهل البيت عليهم السلام فريضة

١٦ . ثبوت الإمامة لعليّ عليه السلام بنصّ الكتاب

١٧ . بيّنة الوحي وشهادتها بأنّ عليّاً عليه السلام وشيعته خير البريّة

١٨ . فريضة ما أدّاها إلّا عليّ عليه السلام

١٩ . عقيلة الوحي زينب بنت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام

٢٠ . صلح الحسن عليه السلام

٢١ . زكاة الأخلاق

٢٢ . بغية الفائز في جواز نقل الجنائز



٢٣ . ثبت الأثبات في سلسلة الرواة

٢٤ . تحفة المحدّثين

٢٥ . الفضائل الملفّقة

٢٦ . مختصر الكلام في مؤلّفي الشيعة من صدر الإسلام

الجزء السابع

٢٧ . بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين

الجزء الثامن

ملحقات بغية الراغبين

الجزء التاسع

الوثائق، الخطب، المراسلات، الإجازات والتقريظات

الجزء العاشر

الفهارس

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يصطفي من عباده ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة، والصلاة والسلام على نبيّه وخاتم رسله، سيّد الأنبياء محمّد المختار وآله البررة الخيرة.

يعتبر الإمام السيّد عبدالحسين شرف‌الدين الموسوي من الرجال النوادر، وقد امتاز بمواهب شتّى جعلته نجماً لامعاً ومناراً شامخاً في العالم الإسلامي والعربي، وبذكائه ونبوغه المتميّز أصبح فذّاً بين الأفذاذ، وعَلَماً من أعلام الصحوة الإسلاميّة، حيث دان لعظمة هذا الشخص الكبير القاصي والداني، والمخالف والمؤالف.

لقد شاءت الإرادة الإلهيّة أن تكون هذه الشخصية نجم هداية يطلّ في سماء العالم الإسلامي والعربي أكثر من نصف قرن، ليُهتدى به من ظلمات الجهل والحيرة إلى رحاب العلم والمعرفة، وليُنتهل من علومه ما ينقشع به رين القلوب، وما يزيح غشاوة الشكوك، وما ينير بنور اليقين والهداية.

وإذا أردنا أن نعطي لهذه الشخصية البارزة منزلتها التأريخية، جعلناها في عِداد سلسلة أئمّة وروّاد إصلاح الفكر الديني النيّرين الذين برزوا وتألّقوا عبر العصور والأزمنة بأفكارهم الغنيّة المعطاءة للمسلمين إلى زماننا الحاضر.

فقد كان ـ رضوان الله تعالى عليه ـ في سيرته الذاتية وعمله الرسالي الذي اضطلع به طوال حياته المباركة قدوة مثلى للإسلاميّين، فهو لم يكن إلّا انعكاساً لظلال أئمّة أهل البيت عليهم السلام في جهادهم وجهودهم، ومدافعاً صلباً لإمامتهم ومنهجهم، حيث أخذ على

نفسه ما أخذ آباؤه الكرام عليهم السلام على أنفسهم من النهوض بأعباء الدعوة لهذا الدين الحنيف، والقيام بما يفرضه الواجب الديني من التبليغ بمبادئ الإسلام المحمّدي، ومنهج أهل البيت عليهم السلام السويّ.

كان الإمام شرف الدين في جميع الميادين ـ السياسية والاجتماعية والعلمية ـ فارسها المجلّي وبطلها المغوار. وحسبك شاهداً على بطولته آثاره الخالدة التي تركها غرّة في جبين الدهر، لا تفتأ تشعّ بالخير والجمال والنور، تحمل مشعل الهداية ساطعاً وهّاجاً في غمرة من الظلمات الحالكة، تضيء السبيل لمن ضلّ السبيل، وتكشف غياهب الشكوك والشبهات عن آفاق الحقّ والحقيقة، وتهدي التائهين إلى موطن الأمن والسلامة.

وقد جرى على يراعه من الدلائل والبيّنات والبراهين النيّرات ما يجعله آية من آيات الله الباهرة، وينبوعاً من ينابيعه الزاخرة، التي لا ينضب معينها الفيّاض ما بقي في دنيا الإسلام اسم للإسلام، وما بقي على وجه هذه البسيطة ظلّ للحقّ والإيمان.

وممّا يؤسف له أشدّ الأسف أنّ قسماً كبيراً من كتبه ومؤلّفاته ضاع ونهب وأحرق في هجوم الاستعمار الفرنسي على بيته ومكتبته.

غير أنّ المتبقّى من كتبه ـ كان ولا يزال ـ فيه كلّ الخير والبركة والعطاء المستمرّ للأجيال التي عاصرته وتلته حتّى يومنا هذا.

ولو أردنا أن نقف عند أهمّ هذه الآثار الموجودة ـ التي طبع أكثرها في حياته أو بعد وفاته ـ لقلنا إنّ ما أنتجه يراع هذا المفكّر العبقري هو مشروع فكريّ كامل، وإنجاز رساليّ جدير بالاهتمام.

مشروع تحقيق موسوعة الإمام شرف الدين

وحيث إنّ هذه الآثار كانت متفرّقة بعيدة عن أيدي القرّاء والباحثين من جهة، وقد طبع كثير منها مراراً طبعات غير محقّقة، مليئة بالأخطاء المطبعية من جهة أُخرى، مضافاً إلى التغييرات غير المناسبة التي قام بها بعض الناشرين على النصوص الأصلية، لهذا قرّر قسم إحياء التراث الإسلامي التابع لمركز العلوم والثقافة الإسلاميّة نشر مؤلّفات وتراث السيّد

عبدالحسين شرف الدين الموسوي الذي واكب حياة جيلنا الإسلامي المعاصر ، وذلك ضمن مشروعه الكبير المتضمّن نشر تراث العلماء الذين عاشوا في قرننا الحالي والقرون القريبة التي سبقته والذين أسّسوا حركة الإصلاح في الفكر الديني المعاصر .

ولا يخفى على علمائنا الأجلّة وقرّائنا الكرام أهميّة وفائدة نشر هذه الموسوعات الشاملة المحقّقة والمنقّحة واللائقة بمنزلة هؤلاء الروّاد ، حيث سيتمّ نشر المؤلّفات الكاملة لكلّ شخصيّةٍ علميّة في مجموعةٍ متكاملة، تسهم في الاطّلاع على آرائه العلمية ، وعلى ما جدّ في زمنه من المسائل التي لم يبتلِ بها السلف الصالح ، وعلى مدى تطوّر العلوم الاسلاميّة في ذلك الحين ، وفوائد أُخرى كثيرة لا تخفى على الباحثين في حقل التراث الإسلامي .

عملنا

منذ أن تقرّر البدء بمشروع تحقيق تراث الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين وكتبه كلّها في موسوعة شاملة، قام قسم إحياء التراث الإسلامي بالخطوات التالية:

١. جمع كتب السيّد شرف الدين المطبوعة، ولا سيّما الطبعة الأُولى لكلّ كتاب والطبعات التي تتميّز فيها طبعة عن طبعة، مثل: الطبعة الأُولى للمراجعات والطبعة الثانية لها، حيث تختلف الطبعة الثانية عن الطبعة الأُولى في بعض الألفاظ والعبارات، وكلّها من ثمرات قلم السيّد شرف الدين وفي حياته.

ويدخل ضمن مهمّة جمع كتبه ﷺ التواصل مع أُسرة السيّد شرف الدين في لبنان حيث حصلنا منهم على بعض صور المخطوطات وبعض الإجازات التي لم تنشر من قبل، فضلاً عن المقالات المنشورة في مجلّة العرفان وغيرها.

ومع هذا فقد بقي من آثار السيّد شرف الدين ما لم تصل أيدينا إليه، وسنظلّ نتابع آثاره وتراثه وننشر ونصحّح ما استجدّ لنضيفه في الطبعات القادمة إن شاء اللّه تعالى .

٢. تخريج الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأقوال والأشعار وما يحتاج إلى توثيقه.

٣. ضبط النصّ مع ملاحظة بعض الاختلافات فيما بين طبعات الكتاب الواحد، ووضع

أصحّها في المتن، وشرح الألفاظ الصعبة، وتوزيع النصّ، وتنظيم الهوامش.

٤. مقابلة المطبوع على الحاسوب مع النسخة المقوّمة النصّ.

٥. المراجعة الفنّيّة، حيث يلاحظ المطبوع على الحاسوب فنّيّاً من حيث حجم المكتوب في الصفحة، ووضع رؤوس الأسطر، والعناوين داخل المتن، والعناوين في أعلى الصفحات، وما شاكل ذلك.

٦. المراجعة النهائيّة، حيث يلاحظ الكتاب ملاحظة كاملة من كافّة النواحي: الإملائيّة والنحويّة واللغويّة، وما شاكل ذلك.

٧. الفهرسة حيث تفهرس الآيات والأحاديث والأقوال والأشعار والأمثال والأعلام والأماكن وما إلى ذلك، والفهارس كما هو معروف مفاتيح الكتب.

٨. علّق السيّد شرف الدين على كلّ كتاب من كتبه بتعليقة يفسّر بها الغامض ويفصّل المجمل ويزيد في الاستشهاد بالحديث وغيره. وعلّق محقّقونا ما حصل من عمليّة التحقيق والتخريج وما قاموا به من توضيح وبيان.

وقد جعلنا متن الكتاب أوّلاً ووضعنا تحته خطّاً قصيراً، وتحت ذلك الخطّ تعليقة المؤلّف ﷺ، ثمّ جعلنا خطّاً أطول تحته هوامش محقّقينا. وميّزنا أعداد علامة هوامش شرف الدين بأن جعلناها بين قوسين، بينما أوردنا أعداد علامة هوامش المحقّق خالية من الأقواس.

هذا وقد رتّبنا الآثار الخالدة للإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين على حسب الأهميّة موضوعاً ودراسة ومنهجاً في مجلّدات، بحيث يشتمل بعضها على كتابين أو أكثر، ومجلّد يختصّ بالمقالات، ومجلّد يختصّ بالخطب والرسائل والإجازات والتقريظات.

وفرزنا كتاب بغية الراغبين عمّا ألحقه به ولده العلّامة السيّد عبدالله شرف الدين، فجعلنا الأصل مجلّداً، والملحقات مجلّداً مستقلاً، وجعلنا مجلّداً خاصّاً بالفهارس.

شكر وثناء

يتقدّم مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة إلى جميع الإخوة المحقّقين في قسم إحياء التراث الإسلامي المشاركين في تحقيق وإخراج موسوعة الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين

بالشكر الوافر والثناء الجميل، مثمّناً جهودهم الكبيرة الجادّة، وداعياً الله عزّ وجلّ لهم بالتوفيق، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

وقد رتّبنا أسماء الذوات العاملين في هذه الموسوعة حسب حروف المعجم، وذكرنا أمام اسم كلّ منهم العمل الذي قام به:

مجموعة المحقّقين:

أسعد الطيّب، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، المراجعة النهائيّة.

إسماعيل بيك المندلاوي، عضو لجنة المقابلة.

جواد الفاضل، عضو مساعد في تخريج بغية الراغبين.

السيّد حسين بني هاشمي، تحقيق كلمة حول الرؤية، عضو لجنة المقابلة.

السيّد خليل العابديني، سكرتير اللجنة المشرفة على التحقيق، تحقيق إلى المجمع العلمي العربي بدمشق، وفلسفة الميثاق والولاية.

رضا المختاري، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، وله شرف اقتراح تحقيق موسوعة شرف الدين.

طه النجفي، عضو لجنة المقابلة.

عباس المحمّدي، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، وتحقيق قسم من النصّ والاجتهاد، وتقويم وتكميل تخريجات بغية الراغبين وملحقاته.

السيّد عبدالرسول الحامدي، عضو لجنة المقابلة.

عبدالرسول المهاجر، عضو مساعد في مقابلة النصّ وتخريج بغية الراغبين.

علي أوسط الناطقي، مسؤول قسم إحياء التراث الإسلامي، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، تحقيق قسم من النصّ والاجتهاد، والمراجعة النهائيّة، والمراجعة الفنيّة.

السيّد علي الحسيني لرگاني، عضو مساعد للمحقّقين.

غلامحسين قيصريه‌ها، تحقيق الفصول المهمّة، وأجوبة مسائل موسى جار الله.

غلام رضا النقي، تحقيق المجالس الفاخرة، والمساعد في تخريج المجاهيل.

محمّد إسلامي پناه، تحقيق ثبت الأثبات.

محمّد الباقري، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق.

محمّدحسين المولوي، تحقيق مختصر الكلام في مؤلّفي الشيعة من صدر الإسلام.

محمّد الربّاني ﷺ، تحقيق مسائل فقهيّة.

محمّد مهدي عادل‌نيا، المساعد في تخريج بغية الراغبين.

منصور الإبراهيمي، تحقيق المراجعات، وأبوهريرة، والكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء ﷺ، وقسم من المجالس الفاخرة، وستّة من المقالات.

السيّد مهدي الطباطبائي، المسؤول السابق لقسم إحياء التراث الإسلامي، وعضو اللجنة المشرفة على التحقيق.

السيّد منذر الحكيم، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، تأليف حياة الإمام شرف الدين، ومقدّمات التحقيق لأجزاء الموسوعة. وله شرف التواصل مع أُسرة شرف الدين.

نعمة الله الجليلي، تحقيق خمسة من المقالات، والمراجعة النهائيّة.

ولي الله القرباني، عضو لجنة المقابلة.

محسن النوروزي، المراجعة الفنيّة قبل النشر.

مجموعة الإخراج الفنّي:

رمضان علي القرباني ومحمّد الخازن.

مسك الختام

ويسرّنا هنا أن نتقدّم بالشكر الجزيل والثناء الخالص إلى كافّة مسؤولي مكتب الإعلام الإسلامي خصوصاً مدير المكتب فضيلة السيّد حسن الربّاني، ومسؤولي مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة خصوصاً فضيلة الشيخ محمّدتقي السبحاني وفضيلة الشيخ محمدحسن النجفي، حيث جعلوا هذا العمل المبارك نصب أعينهم، ومنحوه جهدهم ووقتهم وقدّموا ما في وسعهم من عون منذ كان بذرة صغيرة أيّام اقتراحه ليكون أحد أعمال قسم إحياء التراث الإسلامي إلى أن أصبح بحمد الله تعالى شجرة باسقة وارفة الظلال تسرّ الناظرين.

مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة

قسم إحياء التراث الإسلامي

مقدّمة التحقيق

مع بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين

وفيها فصلان وخاتمة.



الفصل الأوّل: آل شرف الدين

إنّهم النبع الفيّاض بالعلم والأدب والجهاد، ولقد أفصح عن هذه المكرمات العلّامة شرف الدين بقوله: «آل شرف الدين نبعة عتق، ومنحتُ صدق، ومعدن كرم، وأُسرة شرف، لهم المجد المؤثّل والحسب الموروث»[1].

لقد كان آل شرف الدين على مدى التاريخ بيت علم ودين وجهاد وأدب، حيث يجد المتتبّع لآباء وأجداد السيّد عبد الحسين وأعمامه عدداً كبيراً من العلماء والأدباء في كلّ جيل، وبشكل مستمرّ وقليل النظير. لقد أحرزوا قصب السبق في مضامير الفضل، وخدموا الدين الإسلامي والمذهب الإمامي خدمةً مُثلى بالعلم والجهاد والأدب.

إنّ الملقّب المعروف بشرف الدين، الذي تنتمي إليه هذه الأُسرة الكريمة، هو السيّد الشريف الفقيه العالم العامل الأديب المكنّى بأبي محمّد والمسمّى بإبراهيم، المولود في جبع سنة ١٠٣٠ هـ والمتوفّى في شحور سنة ١٠٨٠ هـ.

وهو ابن الشريف زين العابدين العالم الفاضل الكامل، المولود في «جبع»

---

١. راجع ص ١٣.

سنة ٩٠٦هـ[1] والمتوفّى في ١١ ذي الحجّة في «منى» سنة ١٠٧٣هـ، والمدفون في المعلّى خلف ضريح أبيه شمالي مقام السيّدة أمّ المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام.

وأبوه الشريف علي نور الدين ـ ٩٧٠ ـ ١٠٦٨ هـ ـ أخو صاحب المدارك لأبيه وأخو صاحب المعالم لأمّه، استوطن مكّة المعظّمة وتوفّي فيها ودفن في المعلّى.

وهو ابن نور الدين علي ٩٣١ ـ ٩٩٩هـ. وأبوه الشهيد الشريف الحسين عزّالدين [٩٠٦ ـ ٩٦٣هـ].

وقد ذكر السيّد عبدالحسين شرف‌الدين آباء هذا الشهيد ـ أعني عزّ الدين الحسين ـ كما يلي:

محمّد بن الحسين بن عليّ بن محمّد بن تاج الدين المعروف بأبي الحسن بن محمّد ـ ولقبه شمس الدين ـ بن عبدالله ـ ويلقّب جلال الدين ـ بن أحمد بن حمزة بن سعدالله بن حمزة بن أبي السعادات محمّد بن أبي محمّد عبدالله نقيب نقباء الطالبيين في بغداد بن أبي الحارث محمّد بن أبي الحسن عليّ ـ المعروف بابن الديلميّة ـ بن أبي طاهر عبدالله بن أبي الحسن محمّد المحدّث بن أبي الطيّب طاهر بن الحسين القطعي بن موسى أبي سبحة بن إبراهيم المرتضى بن الإمام الكاظم بن الإمام الصادق بن الإمام الباقر بن الإمام زين العابدين بن الإمام أبي عبد الله الحسين سيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء وسبط خاتم النبيّين والمرسلين، وأبوه الإمام أميرالمؤمنين وسيّدالوصيّين عليّ بن أبي طالب عليه السلام[2].

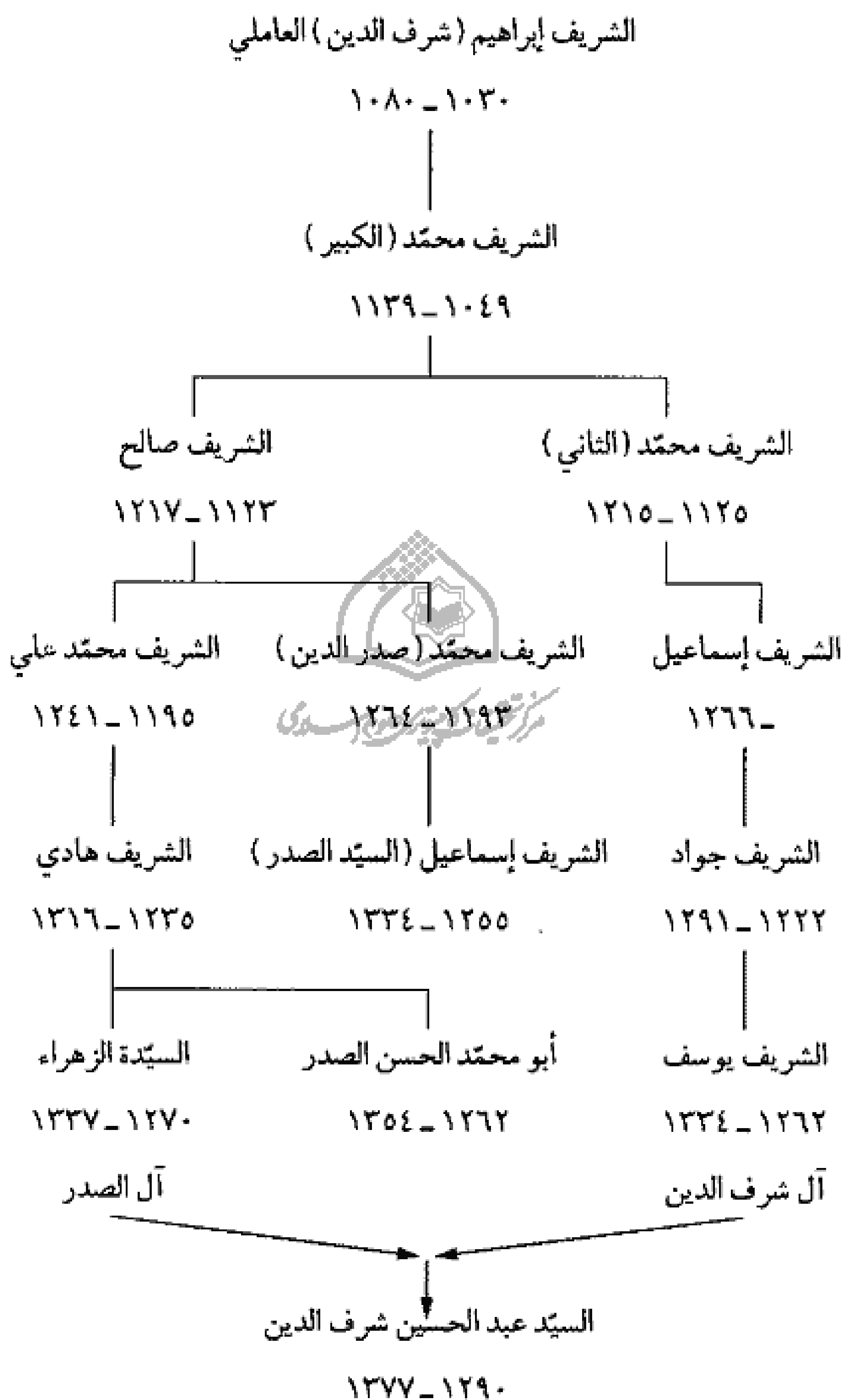
آل شرف الدين وآل الصدر

إنّ الشريف العلّامة السيّد محمّد الموسوم بـ«الكبير» (١٠٤٩ ـ ١١٣٩ هـ) ابن العلّامة الشريف إبراهيم الملقّب بشرف الدين الموسوي العاملي، وهو الذي يلتقي عنده آل شرف الدين وآل صدر الدين، فإنّ السيّد يوسف والد العلّامة السيّد عبد الحسين شرف الدين والسيّدة الزهراء والدته تتوسّط بينهما وبين السيّد محمّد الكبير أجيال ثلاثة كالآتي:

---

١. لعلّ الصحيح هو (١٠٠٦).

٢. راجع ص ١٦ ـ ١٩.


الشريف إبراهيم (شرف الدين) العاملي
١٠٣٠ ـ ١٠٨٠
الشريف محمّد (الكبير)
١٠٤٩ ـ ١١٣٩
الشريف محمّد (الثاني)
١١٢٥ ـ ١٢١٥
الشريف صالح
١١٢٣ ـ ١٢١٧
الشريف إسماعيل
ـ ١٢٦٦
الشريف محمّد (صدر الدين)
١١٩٣ ـ ١٢٦٤
الشريف محمّد علي
١١٩٥ ـ ١٢٤١
الشريف جواد
١٢٢٢ ـ ١٢٩١
الشريف إسماعيل (السيّد الصدر)
١٢٥٥ ـ ١٣٣٤
الشريف هادي
١٢٣٥ ـ ١٣١٦
الشريف يوسف
١٢٦٢ ـ ١٣٣٤
أبو محمّد الحسن الصدر
١٢٦٢ ـ ١٣٥٤
السيّدة الزهراء
١٢٧٠ ـ ١٣٣٧
آل شرف الدين
آل الصدر
السيّد عبد الحسين شرف الدين
١٢٩٠ ـ ١٣٧٧

إذن آل شرف الدين وآل الصدر فرعان من أصل واحد وغصنان من دوحة واحدة، وقد ظهر فيهما منذ السنين المتطاولة أساطين الدين وأكابر الفقهاء وأئمّة العلم، ولا تزال آثارهم ومآثرهم الجليلة غرّة ناصعة على جبين الدهر، ووسام شرف يتوارثه الخلف عن السلف. وقد فتح «الإمام السيّد عبد الحسين» لأسرته صفحة جديدة، وأضاف إلى مجدها بمفرده ما تقصر عن حيازة مثله الجماعة، فهو تاريخ حافل ومآثره تباهي به الأواخر والأوائل [١].

الفصل الثاني: بغية الراغبين

انطلاقاً من واجب أداء حقوق الآباء والأرحام، وشكراً لجهودهم في إحياء رسالة الدين الحنيف، ودلالةً للخلف على طريق السلف القويم، وإرشاداً للأبناء إلى سبيل الآباء المستقيم ... تبلورت صفحات كتاب بغية الراغبين:

١ ـ **موضوعه**: تراجم وأنساب آل شرف الدين بشكل خاصّ، وقد تضمّن تاريخ رجال ممّن لم يكن في سلسلة آل شرف الدين.

٢ ـ **اسم الكتاب**: وآخر ما استقرّ عليه مؤلّفه في مجال التسمية له هو: بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين.

٣ ـ **أهدافه**: لقد أشار المؤلّف ﷺ إلى ثلاثة أهداف كان يبتغيها حين تصدّى لتأليفه، بل أربعة أهداف مهمّة هي:

أ ـ أداء حقوق الآباء.

ب ـ شكر جهود السلف.

ج ـ إرشاد الأجيال اللاحقة إلى تاريخ وسيرة الأجيال الماضية.

د ـ تربية الأبناء على النهج القويم الذي سلكه آباؤهم.

---

١. نقباء البشر ٣: ١٠٨٠.

٤ ـ **منهجه:** والمنهج العامّ للكتاب هو التركيز على تراجم آباء شرف الدين وأبنائه، وهو أشبه بمنهج السرد التاريخي الذي لا يبتعد عن التحليل ولا يتأتّى عن التوجيهات التربويّة بشكلٍ مباشر وغير مباشر.

٥ ـ **أُسلوبه:** أدبي في منتهى الروعة والجمال والبلاغة حيث يأخذ بيد القارئ ويشدّه إلى ما جمعه مؤلّفه بين طيّاته من حكم وعبر وإرشادات تتخلّل تراجم الشخصيّات اللامعة من آل شرف الدين وغيرهم ممّن استطرد ذكره وناسب بيان شخصيّته.

٦ ـ **مميّزاته:** إنّه كتاب تاريخ وأدب وتربية، كما يصوّر مجموعة من حوادث التاريخ تصويراً دقيقاً يقف القارئ من خلالها على مميّزات العصور والأجيال المتلاحقة.

٧ ـ **قيمته:** إنّ أهل البيت ـ كما يقال ـ هم أدرى بما في البيت وبمن في البيت، والمؤلّف الكبير هو أحد أعضاء السلسلة التي ترجمها ومن هنا كانت له استدراكات قيّمة وتحقيقات مهمّة، إذ كان حريصاً على كشف حقائق التاريخ وعدم الاكتفاء بما قيل إذ سجّل في سائر المصادر المتوفّرة لديه.

٨ ـ **تبويبه:** ذكر المؤلّف أنّه جعله في مقدّمة وبابين وخاتمة، ولكنّه قد صنّف كلّ باب إلى ما يلي:

المقدّمة: وقد سبقتها خطبة الكتاب التي تضمّنت الإشادة بأهل البيت وضرورة الاهتمام بهذا النسب الكريم كما تضمّنت بيان الهدف من تأليفه لـ«بغية الراغبين».

والمقدّمة التي أشار إليها المؤلّف هي التي خصّصها ببيان المقصود من آل شرف الدين، وتعيين شرف الدين الذي أصبح محوراً في هذا الكتاب، وهو الشريف إبراهيم أبو محمّد الملقّب بشرف الدين بن زين العابدين بن علي نور الدين الذي ينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام المولود سنة (١٠٣٠ هـ) في جبع، والمتوفّى سنة (١٠٨٠ هـ) في شحور.

الباب الأوّل: وقد خصّصه بترجمة آباء الشريف إبراهيم شرف الدين وسلفه الصالح.

وجعله في مقاصد:

المقصد الأوّل: في ذكر أبيه.

المقصد الثاني: في ذكر أخويه.

المقصد الثالث: في أعمامه.

المقصد الرابع: في أحوال جدّه.

المقصد الخامس: في أحوال جدّ والده.

المقصد السادس: في أحوال جدّ جدّه.

الباب الثاني: وقد خصّصه لترجمة بقيّة شرف الدين أي أبنائه وأحفاده.

وجعله في فصلين:

الفصل الأوّل: في ترجمة السيّد محمّد بن الشريف إبراهيم شرف الدين.

الفصل الثاني: في ترجمة ذرّيّة السيّد محمّد بن الشريف إبراهيم.

وحيث انشطرت ذرّيّة السيّد محمّد إلى صنوين: الصنو الأوّل وقد عرفوا بآل الصدر وهم السيّد صالح وذرّيّته. ورتّب البحث عن تراجمهم ضمن حدائق أربع: حديقة السيّد محمّد، وحديقة السيّد محمّد علي، وحديقة السيّد أبو الحسن، وحديقة السيّد مهدي.

والصنو الثاني: وقد اشتهروا إلى يومنا هذا بلقب شرف الدين، وهم السيّد محمّد الثاني أبو إسماعيل وابنه إسماعيل، وحفيداه السيّد أبو جعفر والسيّد جواد، وجدّ والد السيّد عبدالحسين شرف الدين. وقد ترجمهما كما ترجم والده المقدّس السيّد يوسف شرف الدين وترجم والدته وأخاه.

وختم كتابه بترجمة نفسه بدءاً بمولده ونشأته، وانتهاء بسفره الأخير إلى العراق وإيران، وانتهى ما أملاه على السيّد علي شرف الدين الموسوي برجوعه إلى صور في السابع من ربيع الأوّل سنة ١٣٥٦هـ، وقد كانت وفاته في الثامن من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ.

وهكذا نقف على نشاط عقدين من حياته الشريفة لم يأتِ ذكرها في هذا الكتاب أو في غيره، وقد حاولنا دراستها واستجلاء نشاطه العلمي والتربوي والسياسي في مقدّمة لهذه الموسوعة المباركة والتي احتلّت مكان المدخل إلى الأجزاء العشرة من هذه الموسوعة، وهي من تأليف الفاضل الكريم حجّة الإسلام والمسلمين السيّد منذر الحكيم.

الخاتمة

طبعاته

لقد كان مؤلّفه مشمّراً عن ساعد الجدّ في تأليفه إلى آخر أيّام حياته، ولم يفرغ من تأليفه حتّى عرجت روحه إلى بارئها، إذ لم يبيّن خاتمة الكتاب التي أُشار إليها في المقدّمة، ما هي وحول أيّ موضوع أراد أن تكون، إلّا إذا كان يقصد بالخاتمة ترجمة نفسه وبيان مسيرة حياته. ومن هنا اعتبر محقّقو هذا الكتاب أنّ الخاتمة هي ترجمته لنفسه ﷺ.

ولم يتيسّر له طبعه في حياته رغم محاولاته التي بذلها ليطبع في أيّام حياته. وقد كان الكتاب مستنسخاً وموجوداً لدى جمع ممّن كان يهمّه ترجمة آل شرف الدين ويهمّه ما كتبه هذا المؤلّف العبقري في أُسلوبه ونتاجه العلمي.

غير أنّ الأقدار شاءت أن يخرج الكتاب محقّقاً ومزداناً بتعاليق قيّمة لفضيلة نجله السيّد عبد الله شرف الدين بعد وفاة مؤلّفه وذلك في سنة ١٤١١ هـ نشر الدار الإسلاميّة ببيروت.

وتأتي الطبعة المحقّقة الثانية لقسم إحياء التراث في مكتب الإعلام الإسلامي بمناسبة الذكرى الخمسين لرحيل الإمام شرف الدين، وهو جزء متميّز في مجموعة مؤلّفاته التي سمّيت بموسوعة الإمام شرف الدين، وذلك في سنة ١٤٢٦ هـ.

تحقيقه

أوّل من تصدّى لتحقيق الكتاب نجله فضيلة السيّد عبد الله، وهو آخر أبنائه حيث أضاف إليه معلومات جمّة فطبع في جزءين كبيرين إذ أضاف إليه ما قيل في تأبين والده وأضاف إليه ترجمة سائر الشخصيّات اللامعة من غير آل شرف الدين ومن آل الصدر الذين يعتبرون من نفس الشجرة المباركة مثل ترجمة الفقيد المظلوم الإمام السيّد موسى الصدر، والشهيد الكبير المرجع العظيم الإمام السيّد محمّد باقر الصدر وشقيقته الفاضلة آمنة الصدر.

الطبعة المحقّقة الثانية للكتاب

وحين قرّر مكتب الإعلام الإسلامي إنجاز موسوعة الإمام شرف الدين، أوكل قسم إحياء التراث الإسلامي مهمّة تحقيق النسخة المحقّقة لبغية الراغبين [١] إلى الإخوة الأفاضل: الشيخ عبد الرسول المهاجر، والشيخ محمّد مهدي عادل نيا، والأخ جواد فاضل بخشايشي فقاموا بمهمّة مقابلته مع النسخة المخطوطة التي حصلت لنا، ويشتمل على نصف الكتاب تقريباً، وتخريج نصوصه، كما قام فضيلة الشيخ عباس المحمّدي بتقويم نصوصه بالإضافة إلى مهمّته في التخريج.

وتقرّر تقسيم هوامش العلّامة السيّد عبد الله شرف الدين وملحقاته إلى قسمين: القسم الأوّل ما ينبغي أن يطبع مع بغية الراغبين في ذيل الصفحات، أو في انتهاء الكتاب تحت عنوان «تذييلات». والقسم الثاني ما يحسن أن يلحق بالبغية وقد صار مجلّداً مستقلاً وحمل عنوان ملحقات بغية الراغبين، وقد اجتمع ما كتبه الإمام شرف الدين في مجلّد واحد، وبهذا تتميّز هذه الطبعة المحقّقة عن سابقتها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة
قسم إحياء التراث الإسلامي

١. وهي النسخة التي حقّقها فضيلة العلّامة السيّد عبد الله شرف الدين وطبعت في سنة ١٤١١ في بيروت.

(٢٧)

بغية الراغبين

في سلسلة آل شرف الدّين

بسم الله الرحمن الرحيم(١)

الحمد لله الذي جعلنا من سلالة عليّ أميرالمؤمنين، وفاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين، فكنّا بذلك من زرع إبراهيم خليل الله، وفرع محمّد خير خلق الله، وأغصان شجرتهما المباركة، ذات الأمثال العليا في محكمات الكتاب والسنّة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ(٢) أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۞ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ

(١) بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد النبيّ الأمّي، العربي القرشي الهاشمي، التهامي المكّي المدني، وعلى الأئمّة من آله الميامين الهاشميّين الفاطميّين، شهداء دار الفناء، وشفعاء دار البقاء، والرحمة الموصولة، والآية المخزونة، والأمانة المحفوظة، والباب المبتلى به الناس، وعلى ذرّيّتهم في كلّ خلف من هذه الأمّة، وعلى شيعتهم وأوليائهم إلى يوم الدين، ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فهذه تعليقة لطيفة تستدرك ما فاتني في الأصل، وتضمّن مصادر الكتاب، وفيها فوائد جمّة لا يستغني عنها أهل البحث والتحقيق، والله المسؤول أن ينفع بها وبأصلها، وأن يجعلها خالصين لوجهه الكريم، إنّه أرحم الراحمين.

(٢) روي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام ـ كما في مجمع البيان[1] ـ: «أنّ الشجرة في هذه الآية رسول الله صلى الله عليه وآله، وفرعها عليّ، وعنصرها فاطمة، وثمرتها أولادها، وأغصانها وأوراقها شيعتهم». انتهى. وعن ابن عبّاس ـ كما في مجمع البيان[2] أيضاً ـ نحوه.

١ و٢. مجمع البيان ٣: ٣١٢.

بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1]. ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ(١) لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

وممّا يؤثر عن سيّد البشر ﷺ: «أنا وأهل بيتي شجرة في الجنّة، وأغصانها في الدنيا، فمن تمسّك بها فقد اتّخذ إلى ربّه سبيلاً»(٢).

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له(٣)، خلق الناس من ذكر وأنثى، وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، وقد اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ذرّيّةً بعضها من بعض والله سميع عليم.

---

(١) من أراد الوقوف على المأثور في تفسير هذه الآية فليراجعه في مجمع البيان[3]، ونحوه من التفاسير المعتبرة[4] وروى ابن المغازلي الشافعي في تفسيرها[5] حديثاً يجدر بالباحثين أن يقفوا عليه، وقد نقله عنه العلّامة أبوبكر الحضرمي في ص ٢٨ من كتابه رشفة الصادي[6]، فليراجع.

(٢) هذا الحديث نقله ابن حجر في آخر باب الأمان ببقائهم عليهم السلام من صواعقه[7].

(٣) روى الشهيد الثاني في روضته البهية[8] عن النبيّ ﷺ: «أنّ كلّ خطبة ليس فيها تشهّد فهي كاليد الجذماء». وأخرج الإمام أحمد في المسند[9] نحوه.

---

١. إبراهيم (١٤): ٢٤ ـ ٢٥.
٢. النور (٢٤): ٣٥.
٣. مجمع البيان ٤: ١٤٣.
٤. منها تفسير القمّيّ ٢: ٧٨ ـ ٧٩.
٥. مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٣١٧.
٦. رشفة الصادي: ٦٤.
٧. الصواعق المحرقة: ٢٣٦.
٨. الروضة البهيّة ١: ١٨.
٩. مسند أحمد ٣: ٢٤٩، ح ٨٥٢٦.

وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله اصطفاه من بني هاشم، بعد أن اصطفاهم من قريش، المصطفين من كنانة، المصطفاة من ولد إسماعيل(١)، وأرسله بالهدى ودين الحقّ؛ ليظهره على الدين كلّه بالحجج البالغة، والآيات البيّنات، وأنزل عليه الكتاب هدىً ونوراً ورحمة للعالمين، فافترض المودّة في القربى أجراً على أداء الرسالة(٢)، وجزاءً على إنقاذ أُمّته من الضلالة، وشرع لذوي قرباه حقّاً أمر بإيتائه(٣)، وفرض لهم مع الله ورسوله سهماً من خمس ما يغنم الناس، لا تبرأ ذممهم إلّا بأدائه(٤).

---

(١) أخرج مسلم[١] والترمذي[٢] في صحيحيهما عن واثلة بن الأسقع[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم». انتهى. والسنن في هذا ونحوه متظافرة[٤]؛ ولذا أُطلق عليه «المصطفى» و«المختار ﷺ».

(٢) فقال عزّ من قائل: ﴿قُل لَّا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾[٥].

(٣) فقال عزّ من قائل: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ...﴾[٦]. الآية.

(٤) وذلك حيث يقول: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ...﴾[٧]. الآية. وقال تبارك وتعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ←

---

١. صحيح مسلم ٤: ١٧٨٢، ح ٢٢٧٦.

٢. الجامع الصحيح ٥: ٢٤٣، ح ٣٦٨٤.

٣. في الأصل وفي المصادر: «الأسقع» وفي أمالي الطوسي: ٢٤٦، ح ٢٢/٤٣٠: «الأصقع».

٤. راجع: الأمالي للمفيد: ٢١٦، المجلس ٢٥، ح ٢؛ الأمالي للطوسي: ٢٤٦، ح ٢٢/٤٣٠؛ مسند أحمد ٦: ٤٥، ١٦٩٨٣ ـ ١٦٩٨٤؛ المعجم الكبير ٢٢: ٦٦، ح ١٦١.

٥. الشورى (٤٢): ٢٣ ـ ٢٤.

٦. الإسراء (١٧): ٢٦.

٧. الأنفال (٨): ٤١.

وصلّى الله على أكرم الخلق حسباً، وأشرفهم نسباً، وأعلاهم قدراً، وأرفعهم في الملإ الأعلى ذكراً، الذي بشّرت الأنبياء بظهوره، وخلقت الأنوار كلّها من نوره، محمّد بن عبدالله القائل: «كلّ بني أُنثى ينتمون[1] إلى عصبة أبيهم، إلّا ولد فاطمة فأنا وليّهم وأنا عصبتهم وأنا أبوهم»(١).

والقائل في مقام آخر: «إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ جعل ذرّيّة كلّ نبيّ في صلبه، وجعل ذرّيّتي في صلب عليّ بن أبي طالب»(٢).

والمخاطب لعليّ عليه السلام بقوله: «أنت أخي، وأبو ولدي، تقاتل على سنّتي، من مات على عهدي فهو في كنز الجنّة، ومن مات على عهدك فقد قضى نحبه، ومن مات وهو يحبّك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت»(٣).

والصادع على أعوادها يخطب الناس بقوله: «ما بال رجال يقولون: إنّ رحم رسول الله لا تنفع قومه يوم القيامة؟ بلى، والله إنّ رحمي موصولة في الدنيا والآخرة،

← ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ ...﴾[2] الآية. حفظ الله تعالى لذوي القربى معنوياتهم بوجوب مودّتهم، وحفظ لهم بُلغَتهم من العيش بسهمهم من الخمس، ونصيبهم من الأنفال في تشريع أثبت[3] لا تغيّره التطوّرات.

(١) أخرجه الطبراني[4] عن سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء، وهو من الأحاديث المستفيضة.

(٢) أخرجه الطبراني[5] عن جابر بن عبدالله الأنصاري مرفوعاً.

(٣) فيما أخرجه أحمد بن حنبل في المناقب[6] يرفعه.

١. ينتمون: ينتسبون. راجع: مجمع البحرين ١: ٤٢١؛ لسان العرب ١٥: ٣٤٢، «ن. م. ى».

٢. الحشر (٥٩): ٧.

٣. في أ: «ثابت».

٤. المعجم الكبير ٣: ٤٤، ح ٢٦٣١ ـ ٢٦٣٢.

٥. المصدر: ٤٣ ـ ٤٤، ح ٢٦٣٠.

٦. فضائل الصحابة ٢: ٦٥٦، ح ١١١٨.

وإنّي أيّها الناس فرط لكم على الحوض»(١).

والقائل مغضباً من بعض أصحابه: «ما بال أقوام يزعمون أنّ شفاعتي لا تنال أهل بيتي؟ وإنّ شفاعتي لتنال حا وحكم»(٢).

والقائل مغضباً ـ أيضاً ـ من بعض أصحابه: «ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتي لا تنفع؟ إنّ كلّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلّا سببي ونسبي، وإنّ رحمي موصولة في الدنيا والآخرة»(٣).

(١) فيما أخرجه الحاكم في صحيحه المستدرك[1] وأحمد بن حنبل من حديث أبي سعيد الخدري في المسند[2] مرفوعاً.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير[3] عن عبد الرحمن بن أبي رافع، عن أمّ هاني بنت أبي طالب، إذ شكت إلى رسول الله ﷺ عمر بن الخطّاب حين قال لها إنّ محمّداً لا يغني عنك شيئاً فغضب رسول الله ﷺ وقام خطيباً في أصحابه بما سمعت. و«حا» و«حكم» قبيلتان في اليمن[4] بعيدتا النسب من قريش.

(٣) أورده المحبّ الطبري في ذخائر العقبى[5]، عن ابن عبّاس. قال: توفّي لصفيّة ولد فعزّاها رسول الله ﷺ فلمّا خرجت لقيها رجل فقال لها: إنّ قرابة محمّد لن تغني عنك شيئاً. فبكت حتّى سمع رسول الله صوتها ففزع من ذلك، فخرج إليها فسألها، فأخبرته، فغضب فقال: «يا بلال، هجّر بالصلاة» ثمّ قام فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «ما بال أقوام...». الحديث. ←

١. المستدرك على الصحيحين ٥: ١٠١، ح ٧٠٤١.
٢. مسند أحمد ٤: ٢٨، ح ١١١٣٨.
٣. المعجم الكبير ٢٤: ٤٣٤، ح ١٠٦٠.
٤. كما قال الطبراني في المعجم الكبير ٢٤: ٤٣٤، ح ١٠٦٠. وقال ابن الأثير: «هما قبيلتان جافيتان من وراء رمل يبرين». وتبعه ابن منظور. راجع: النهاية لابن الأثير ١: ٤٢١؛ لسان العرب ١٢: ١٤٥، «ح.ك.م»، وفيهما: «حاء» بدل «حا».
٥. ذخائر العقبى: ٦.

والقائل: «كلّ سببٍ ونسبٍ منقطع يوم القيامة إلّا سببي ونسبي، وإنّهما يأتيان يوم القيامة يشفعان لصاحبهما»(١).

والقائل: «أربعة أنا لهم شفيع، المكرم لذرّيّتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي في أُمورهم عندما اضطرّوا إليه، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه»(٢).

والقائل: «من أراد التوسّل إليّ، وأن تكون له عندي يد أشفع له بها، فليصل أهل بيتي، وليدخل السرور عليهم»(٣).

والقائل: «إنّ لله عزّوجلّ ثلاث حرمات فمن حفظهنّ حفظ الله دينه ودنياه، ومن لم يحفظهنّ لم يحفظ الله دنياه ولا آخرته: حرمة الإسلام، وحرمتي، وحرمة رحمي»(٤).

← قلت: وعن جابر في قضيّة ثالثة أغضبت النبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً إذ قال رجل لبريرة ـ خادمة آل محمّد ـ: إنّ محمّداً لا يغني عنك من الله شيئاً، وقد ذكر هذه القضيّة صاحب رشفة الصادي[1] ثمّ قال: وأخرج الحاكم[2] بسنده طرقاً لهذا الحديث وقال: صحيح الإسناد.

(١) فيما أخرجه الحاكم[3] والدارقطني[4].

(٢) فيما أخرجه الديلمي في الفردوس[5] مرفوعاً.

(٣) فيما أخرجه الديلمي في الفردوس[6] أيضاً.

(٤) فيما أخرجه الطبراني في الكبير[7] بالإسناد إلى أبي سعيد الخدري يرفعه.

---

١. رشفة الصادي: ٧٨ ـ ٧٩.

٢. المستدرك على الصحيحين ٥: ١٠١، ح ٧٠٤١.

٣. المصدر ٤: ١١٩، ح ٤٧٣٨.

٤. لم نعثر عليه فيه.

٥. لم نعثر عليه في الفردوس، نعم نقله عنه المتّقي الهندي في كنز العمّال ١٥: ٨٦٨، ح ٤٣٤٥٦، والحضرمي في رشفة الصادي: ٩٢، الباب الرابع، و: ١٥١، الباب السابع.

٦. لم نعثر عليه في الفردوس، ولكن نقله عنه الحضرمي في رشفة الصادي: ١٥٠، الباب السابع.

٧. المعجم الكبير ٣: ١٢٦، ح ٢٨٨١.

والقائل في حديث زيد بن أرقم مرفوعاً: «فمن استقبل قبلتي، وأجاب دعوتي فليستوص بهم خيراً»(١)، وفي حديث آخر: «فإنّي أُخاصمكم عنهم غداً، ومن أكن خصمه أخصمه، ومن أخصمه دخل النار»(٢).

وحسب المؤمنين الصالحين من سلالة العترة الطاهرة قوله عزّ من قائل: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ...﴾[١].(٣)

وقوله ـ تبارك اسمه ـ: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢].(٤)

---

(١) فيما أخرجه مسلم في صحيحه[٣].

(٢) أخرجه الملّاء في سيرته[٤] مرفوعاً.

(٣) أخرج الحاكم في تفسير سورة الطور ص ٤٦٧، من الجزء الثاني من صحيحه المستدرك[٥] عن، ابن عبّاس في تفسير هذه الآية: إنّ الله يرفع ذرّيّة المؤمن معه في درجته في الجنّة، وإن كانت دونه في العمل.

قلت: إذا كان هذا ثابتاً لكلّ مؤمن، فثبوته لرسول الله ﷺ ثابت بالأولويّة.

(٤) عن سعيد بن جبير قال: يدخل المؤمن الجنّة فيقول: أين أبي؟ أين أُمّي؟ أين ولدي؟ أين زوجي؟ فيقال له: لم يعملوا مثل عملك. فيقول: كنتُ أعمل لي ولهم. فيقال لهم: ←

---

١. الطور (٥٢): ٢١.

٢. المؤمن (٤٠): ٨.

٣. لم نجده في صحيح مسلم ولكن ورد في رشفة الصادي: ١٤٩، الباب السابع.

٤. لم نعثر عليه، ولكن نقله عنها الحضرمي في رشفة الصادي: ١٤٩، الباب السابع.

والملّاء: هو معين الدين، أبومحمّد عمر بن محمّد بن خضر الإربيلي الموصلي المتوفّى بها سنة ٥٧٠، المشتهر بـ«الملّاء» لأنّه كان يملأ تنانير الآجر ويتقوّت بأُجرتها. وله كتاب اسمه وسيلة المتعبّدين في سيرة سيّد المرسلين أو «إلى متابعة سيّد المرسلين». وكتابه هذا هو المشتهر بـسيرة الملّاء، راجع الأعلام للزركلي ٥: ٥٦٠ ـ ٥٦١.

٥. المستدرك على الصحيحين ٢: ٢٧٤، ح ٣٧٩٦.

وقوله ـ عزّ سلطانه ـ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[١](١).

صلّى الله عليه و على ولاة عهده، والخلفاء من بعده، الميامين من أهل بيت العصمة، والطيّبين الطاهرين، معادن الهدى والحكمة، أعدال كتاب الله، وثقل رسوله، لا يضلّ من تمسّك بهم، ولا يهتدي إلى الله من ضلّ عنهم، سفينة نجاة الأُمّة، يأمن من ركبها، وباب حطّة يغفر لمن دخلها، والعروة الوثقى لا انفصام لها، أمان الأُمّة من الاختلاف، وأمن أهل الأرض من العذاب، وعدولهم في كلّ خلق، ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، رحمة الله وبركاته عليهم، ما هوت أفئدتنا إليهم.

وبعد، فهذا كتاب بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، وضعته أداءً لحقوق الآباء والأرحام، وشكراً لجهودهم في دين الإسلام، ودلالةً للخلف على جادّة السلف ليعرفوها، وإرشاداً للأبناء إلى سبيل الآباء ليقتفوها، فإن فعلوا ذلك فقد حفظوا جدودهم(٢)، وإلّا

ـ ادخلوا الجنّة. ثمّ قرأ ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ...﴾[٢].

(١) هذه الآية في سورة الضحى، فراجع تفسيرها في مجمع البيان[٣] وغيره[٤] وكان الشهيد زيد عليه السلام يقول: إنّ من رضى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يدخل أهل بيته الجنّة.[٥]

(٢) الجَدّ ـ مضافاً إلى أبي الأب وأبي الأمّ ـ هو الحظّ والبخت والحظوة والرزق والعظمة، يجمع بجميع معانيه المشتركة على جُدود.[٦]

١. الضحى (٩٣): ٨.

٢. الدرّ المنثور ٤: ٦٣٩؛ روح المعاني ١٣: ١٤٣، ذيل الآية ٢٣ من الرعد (١٣).

٣. مجمع البيان ٥: ٥٠٥.

٤. الدرّ المنثور ٨: ٥٤٢ ـ ٥٤٣؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤: ٥٥٨ ـ ٥٥٩؛ البرهان ٤: ٤٧٢ ـ ٤٧٣.

٥. مجمع البيان ٥: ٥٠٥ ذيل الآية.

٦. راجع: الصحاح ١: ٤٥٢؛ المصباح المنير: ٩٢، «ج. د. د».

فليضرعوا للذلّ خدودهم، وأُعيذهم بالله أن ينقضوا محكم بنائهم، أو يسلكوا غير سبيل آبائهم ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ...﴾[1].

حماهم الله من كلّ ما ينافي الفخر، و أعزّهم بالعلم و العمل الصالح، ما داموا دوام الدهر.

فالكتاب عبارة عن بابين وخاتمة[2]، أسأل الله من فضله أن ينفع بهذا المجهود أهلي ويبارك فيه لنسلي، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنّه أرحم الراحمين.



١. النساء (٤): ١١٥.

٢. الخاتمة غير معنونة في الأصل، ولعلّ في نظره الشريف كان خاتمة الكتاب في ترجمة نفسه ولم يسمّه، أو كان في نسب آل شرف الدين ما أحال إليه بعيد هذا في ص ١٥، التعليقة (٣)، ولم يف به عمره الشريف.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدّمة في آل شرف الدين

آل شرف الدين نبعة عتق(١)، ومَنْحَت صدق(٢)، ومعدن كرم، وأُسرة شرف، لهم المجد المؤثّل(٣) والحسب الموروث.

وليس الجودُ مكتسباً ولكن على أعراقِها تجري الجيادُ(٤)

جمعت هذه الأُسرة بين شرف الحسب، وكرم النسب(٥)، واجتمع فيها العلم والعمل،

---

(١) النبع: نوع من الشجر[١]. والعتق: مصدر العتيق، وهو الكريم[٢]. والمراد: أنّهم كرام الأصل.

(٢) المنحت: المعدن، مأخوذ من منحت الحجارة وهو موضع نحتها.[٣]

(٣) المُؤَثَّل والأثيل، بمعنى الأصيل.[٤]

(٤) جاء في أمثال العرب (على أعراقها تجري الجياد)، والمعنى أنّ الجري فيها طبيعة موروثة، وخلق غير مكتسب.

(٥) قال ابن السكّيت: الحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف، والشرف والمجد لايكونان إلّا بالآباء.[٥] وقيل: الحسب والكرم ما ينشئه الرجل لنفسه من الرفعة والشرف والمجد، لا ما يرثه من آبائه.[٦]

---

١. الصحاح ٣: ١٢٨٨؛ لسان العرب ٨: ٣٤٥، «ن.ب.ع».

٢. الصحاح ٣: ١٥٢١؛ لسان العرب ١٠: ٢٣٦، «ع.ت.ق».

٣. الصحاح ١: ٢٦٨؛ لسان العرب ٢: ٩٨، «ن.ح.ت».

٤. الصحاح ٤: ١٦٢٠؛ لسان العرب ١١: ٩، «أ.ث.ل».

٥. الصحاح ١: ١١٠؛ لسان العرب ١: ٣١٠؛ المصباح المنير ١: ١٦٤، «ح.س.ب».

٦. من القائلين به الأزهري في تهذيب اللغة ٤: ٣٢٩، «ح.س.ب».

وأحــرزت قــصب السبق(١) فـي مـضامير الفـضل(٢)، بـرع فـيها رجـال خـدموا الدين الإسلامي، والمذهب الإمامي كـما سـتسمعه إن شـاء الله تـعالى عـلى سـبيل التفصيل.

أمّا جدّهم شرف الدين ـ وهو السيّد الشريف أبو محمّد إبراهيم بن زين العابدين ـ فإنّه من سرّ العنصر الكريم، ومعدن الحسب الصميم، عجن من طينة الشرف، ونجلته غطارفة[1] قريش، وغُذي بلبان العقائل من كرائم العرب، فدرج من مهد السيادة، ونشأ في حجر الحسب، غصناً من أغصان السرحة الأحمديّة، وفرعاً مـن فـروع الدوحـة الحيدريّة.

شرف تفرّع عـن وصـيّ ... أو أخـي وحـي رسـولِ
من معشرٍ ضـربوا الخِبا ... في مفرقِ المـجد الأثـيلِ
من عصبة عـقدت عـصا ... بهٰ مجدهم كـفُّ الخـليلِ
مــن هـاشمِ البـطحاءِ لا ... ســلفي نميرٍ أو سـلولِ
مــن راكبٍ ظــهر البـرا ... ق ومـمتطٍ قبَّ الفـحولِ
من خـارقِ السـبعِ الطـبا ... قِ ومخرسِ العشرِ العقولِ

---

(١) أي استولى على الأمد، وأصله أنّهم كـانوا يـنصبون قـصبة في مـنتهى حـلبة السـباق، فمن سبق اقتلعها وأخذها؛ ليعلم أنّه السابق من غير نزاع. ثمّ كثر حتّى أطلق على كـلّ مبرّز ومشمّر.

(٢) المضمار هنا غاية الفرس في السباق.[2]

---

١. الغطارفة: ـ جمع الغطريف ـ وهو السيّد الشريف، والسخيّ السريّ والشـابّ. الصـحاح ٤: ١٤١١؛ القـاموس المحيط ٣: ٢٦٢، «غ.ط.ر.ف».

٢. الصحاح ٢: ٧٢٢؛ لسان العرب ٤: ٤٩٢، «ض.م.ر».

مـــن آل أحـــمدَ رحــمه(١) الأد ــــى ومــغرسه الأصــيلِ(٢)[1]

أمّا نسبه فمستطير الشرف في كلّ خلف، ليس في سلسلته إلّا رفيع القـدر، نـابه الذكر، كما تشهد به معاجم التراجم وكتب الأنساب، ويمثّله كـتابنا هـذا شـمساً فـي ريعان[2] الضحى. وإليك سلسلته العسجديّة(٣):

هو الشريف أبومحمّد إبراهيم، ويلقّب شرفالدين بن زين العـابدين(٤) بـن عـليّ

---

(١) الرِحم ـ بكسر الراء، وسكون الحاء ـ: هي القرابة كالرحم ـ بفتح الراء، وكسر الحـاء ـ وجمعها أرحام.[3]

(٢) هذه الأبيات من قصيدة عصماء، للفاضل الحاجّ هاشم الكعبي، في رثاء سيّد الشهداء عليه السلام.[4]

(٣) لا يفوتنّك ما علّقناه هنا على سلسلة نسبه الشريف، ولا ما سنفصّله في الأصل من أحوال آبائه، وعليك بمراجعة الخاتمة من هذا الكتاب.[5]

(٤) ذكره الحرّ في أمل الآمل[6] والسيّد النسّابة ابن شدقم في أنسابه[7]، وصاحب نجوم السماء في أحوال السادة والعلماء[8]، وله في تكملة الأمل[9] ترجمةٌ مفصّلةٌ، وذكره في منتهى الآمال[10] في باب أولاد الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام.

---

١. أعيان الشيعة ١٠: ٢٤١ـ٢٤٢، مع تقديم وتأخير.

٢. ريعان كلّ شيء: أوّله وأفضله. راجع: الصحاح ٣: ١٢٢٤؛ لسان العرب ٨: ١٣٩، «ر ـ ي ـ ع».

٣. الصحاح ٥: ١٩٢٩؛ لسان العرب ١٢: ٢٣٣، «ر ـ ح ـ م».

٤. الحاجّ هاشم بن الحاجّ حردان الكعبي الدورقي، توفّي سنة ١٢٢١. والكعبي نسبة إلى قبيلة كعب العربيّة التي سكنت الأهواز ونواحيها. له ديوان أكثره في الأئمّة عليهم السلام. راجع أعيان الشيعة ١٠: ٢٣٧.

٥. ليس فيه خاتمة.

٦. أمل الآمل ١: ٨٧/١٠٠.

٧. تحفة الأزهار وزلال الأنهار ٣: ١٦٣.

٨. نجوم السماء: ٩٥.

٩. تكملة أمل الآمل: ٢٢٤، الرقم ١٩٠.

١٠. منتهى الآمال ٢: ٤١٠.

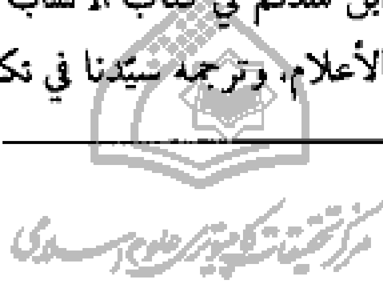
نورالدين(١) بن نور الدين علي(٢) بن عزّ الدين الحسين(٣) بن محمّد بن

---

(١) كان هذا السيّد أخا صاحب المدارك لأبيه، وأخا صاحب المعالم لأُمّه. وقد ترجمه كلّ من صاحب السلافة[١]، وصاحب أمل الآمل[٢] وصاحب خلاصة الأثر[٣] وصاحب نجوم السماء[٤]، وذكره السيّد ابن شدقم في أنسابه[٥]. والأفندي في رياضه[٦] وابن العودي أثناء ترجمة الشهيد الثاني في رسالة[٧] أفردها لذلك، وذكره العلّامة الشيخ محمّد الحفيد في درّه المنثور[٨] وغير واحد من أهل المعاجم والتراجم وكتب الأنساب[٩].

(٢) ذكره الحرّ في أمل الآمل[١٠]، والشيخ محمّد الحفيد في درّه المنثور[١١]. وابن العودي في الأعلام[١٢] من تلامذة الشهيد الثاني، وصاحب روضات الجنّات[١٣] في أحوال ولده صاحب المدارك، وله في تكملة أمل الآمل[١٤] ترجمةٌ مفصّلةٌ، وهو من أشهر مشايخ الإجازات.

(٣) ذكره الحرّ في أمل الآمل[١٥]، وابن شدقم في كتاب الأنساب[١٦]، والشيخ محمّد الحفيد في الدرّ المنثور[١٧] وغير واحد من الأعلام، وترجمه سيّدنا في تكملة أمل الآمل[١٨].



---

١. راجع سلافة العصر: ٣٠٢.
٢. أمل الآمل ١: ١٢٤، الرقم ١٣٣.
٣. خلاصة الأثر ٣: ١٣٢.
٤. نجوم السماء: ٥٠ ـ ٥١.
٥. تحفة الأزهار وزلال الأنهار ٣: ١٦٣.
٦. رياض العلماء ٤: ١٥٥.
٧. الدرّ المنثور ٢: ١٥١.
٨. المصدر: ٢٠٢، الرقم ٢٢٩.
٩. راجع ريحانة الأدب ٦: ٢٥٣.
١٠. أمل الآمل: ١١٨، الرقم ١٢٢.
١١ و١٢. الدرّ المنثور ٢: ١٩٢ و ١٥١.
١٣. روضات الجنّات ٧: ٥٠/٥٩٨.
١٤. تكملة أمل الآمل: ٢٨٩، الرقم ٢٦٨.
١٥. أمل الآمل ١: ٧٩، الرقم ٧٣.
١٦. تحفة الأزهار وزلال الأنهار ٣: ١٦٣.
١٧. الدرّ المنثور ٢: ١٩٢.
١٨. تكملة أمل الآمل: ١٨٧، الرقم ١٤٧.

الحسين بن عليّ بن محمّد بن تاج الدين المعروف بأبي الحسن(١) بن محمّد ولقبه شمس الدين بن عبدالله ويلقّب جلال الدين بن أحمد(٢) بن حمزة بن سعدالله(٣) بن

(١) الظاهر أنّ اسمه عبّاس، كما سمّاه بهذا ثقة الإسلام شيخنا المتتبّع الثبت، الحجّة النوري في خاتمة المستدرك[1] حيث ترجم السيّد صدر الدين بن السيّد صالح، وأورد نسبه الشريف متّصلاً بأبي الحسن هذا، فسمّاه عبّاساً، ثمّ رفع النسب متّصلاً بالإمام الكاظم عليه السلام، وابن شدقم ذكر أبا الحسن هذا في أنسابه، وذكر أولاده وأحفاده، فأثنى عليهم أبلغ ما يثنى به على الأتقياء العلماء من سلالة العترة الطاهرة[2].

(٢) عن أحمد هذا تفرّع السادة الأشراف، المعروفون اليوم ببيت نور الدين، وهم في النبطيّة الفوقا، ومنهم الفقيهان الجليلان، السيّد محمّد نور الدين، وأخوه السيّد مهديّ، وكان زعيمهم في الفترة الأخيرة العيلم العلم، العلّامة البحّاثة، الأديب الأريب، الثقة المقدّس، السيّد عبد الحسين بن عليّ بن إبراهيم بن أحمد بن عبدالله بن محمّد بن حسن بن زين العابدين بن حسين إسماعيل بن نور الدين بن حسن بن أحمد بن عبدالله بن منصور بن أحمد بن حرب بن أبي الفوارس بن محمّد الصائغ بن أحمد هذا ابن حمزة، إلى آخر النسب.

(٣) كان لسعد الله هذا شهرة في المجد، فبيته في الحائر[3] أنبه بيوت الأشراف، كما يفهم ذلك من كتاب غاية الاختصار في الأنساب[4]، لنقيب الأشراف في حلب، السيّد تاج الدين بن محمّد بن حمزة الحسيني.

١. خاتمة المستدرك ٢: ١١٢.

٢. تحفة الأزهار وزلال الأنهار ٣: ١٥٧ ـ ١٥٨.

٣. الحائر في الأصل: مجتمع الماء، والموضع الذي يتحيّر الماء فيه يرجع أقصاه إلى أدناه، من تحيّر الماء إذا اجتمع ودار. ويراد به هنا موضع قبر الحسين عليه السلام بكربلاء. راجع: ترتيب كتاب العين ١: ٤٤٨؛ لسان العرب ٤: ٢٢٣؛ مجمع البحرين ٣: ٢٨٠، «ح. ي. ر».

٤. غاية الاختصار في الأنساب: ٧٦.

حمزة بن أبي السعادات محمّد(١) بن أبي محمّد عبدالله، نقيب نقباء الطالبيّين في بغداد(٢) بن أبي الحارث محمّد(٣) بن أبي الحسن عليّ المعروف بابن الديلميّة بن أبي طاهر عبدالله بن أبي الحسن محمّد المحدّث بن أبي الطيّب طاهر بن

(١) ذكره الشريف النسّابة في عمدة الطالب[١] في أحفاد الإمام الكاظم عليه السلام، فقال: يقال لولده: آل أبي السعادات بالحائر.

(٢) هو الذي انتقل من بغداد إلى الحائر، وله عقب كثير في بلادنا وغيرها، وله ذرّيّة مباركة في الحائر إلى يومنا هذا.

قال في عمدة الطالب[٢]: وانتقل أبو محمّد عبدالله إلى الحائر، فعقبه هناك يقال لهم: بيت عبدالله. قلت: وإليه يرجع بنو زحيك، وهم في كربلاء المقدّسة، وبنو الغرّ، وبنو معالي، وأكثر العقب من معالي في هذا العصر في بعلبك ونواحيها، ومنهم: بنو علوان، وبنو عثمان، وبنو زين، وبنو ناصر.

(٣) المعروف في جميع كتب الأنساب، وعن أبي الحارث محمّد هذا تفرّع السادة الأشراف المعروفون اليوم في جويّا[٣] من جبل عامل بآل نور الدين، منهم: السادة الأجلاء السيّد عبد الحسين، وأخوته السيّد نور الدين، والسيّد عبدالله، والسيّد عبد المطّلب، والسيّد درويش، أبناء الفقيه العلّامة المقدّس السيّد مصطفى بن السيّد عبد المطّلب بن السيّد درويش بن السيّد محمّد بن السيّد حسين بن حيدر بن حسين بن يوسف بن حيدر بن نور الدين ـ وإليه ينتهي عقبه ـ وهو ابن محمّد بن حسام بن مسرة بن فخر الدين بن أحمد بن يحيى بن محمّد بن طاهر بن أبي الحارث محمّد المذكور.

١. عمدة الطالب: ٢٤٥.

٢. المصدر: ٢٤٤.

٣. جويّا: قرية من قرى جبل عامل. راجع أعيان الشيعة ١: ٢١١.

الحسين القطعي(١) بن موسى أبي سبحة بن إبراهيم المرتضى بن الإمام الكاظم بن الإمام الصادق بن الإمام الباقر بن الإمام زين العابدين بن الإمام أبي عبدالله الحسين سيّد الشهداء، وخامس أصحاب الكساء، وسبط خاتم النبيّين والمرسلين، وأبوه أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين، عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

سادة لا تريد إلّا رضى اللّه كما لا يريد إلّا رضاها

أمّا أمّ إبراهيم شرف الدين، فإنّها كريمةُ العالم العامل والثقة الثبت الحجّة الشيخ سليمان(٢) بن الحسين بن محمّد بن أحمد بن سليمان العاملي النباطي.[1]

ولد السيّد سنة ١٠٣٠ في قرية جبع[2]، وكانت يومئذٍ موطن أسرته. ولمّا بلغ أشدّه قرأ على أبيه، وبعض أعمامه وجماعة من أعلام معاصريه، حتّى صار ـ وهو في ريعان شبابه ـ من الأعيان، وكمل في علوم العربيّة، وعرج إلى أوج الفقه والأُصول، وبلغ الغاية

---

(١) قال في عمدة الطالب[3]: وأما الحسين القطعي بن موسى أبي سبحة بن إبراهيم المرتضى: فله نسل كثير، وعقبه ينتهي إلى أبي الحسن[4] عليّ المعروف بابن الديلميّة ابن أبي طاهر عبدالله بن أبي الحسن محمّد المحدّث بن أبي الطيّب طاهر بن الحسين القطعي، ثمّ ذكر العقب من عليّ ابن الديلميّة.

(٢) المتوفّى هو وأخوه الشيخ أحمد في سنة واحدة كما في ترجمته من أمل الآمل[5] وكان ذلك سنة ١٠٧٩. وآل سليمان من الأسر العريقة في الفضل والصلاح إلى يومنا هذا.

---

١. النباطي: منسوب إلى النباطيّة من قرى جبل عامل. راجع: أعيان الشيعة ٣: ١٩٢، و٥: ٤٥٩؛ دائرة المعارف الشيعيّة العامّة ١٨: ٥٠.

٢. جُبَع: من أُمّهات ديار العلم في جبل عامل. راجع: أعيان الشيعة ١: ١٩٩؛ دائرة المعارف الشيعيّة العامّة ٧: ١٠٧.

٣. عمدة الطالب: ٢٤٤.

٤. ما أثبتناه من المصدر، ولكن في الأصل: «سبحة» بدل «الحسن».

٥. أمل الآمل ١: ٣٢، الرقم ١٧.

في المنطق والحكمة والكلام والتفسير والحديث والدراية والرجال والأدب العربي وأخبار الماضين وحوادث السنين، وفي سنة ١٠٧٨ ارتحل إلى شحور[١](١) وحجّ في تلك السنة بيت الله الحرام، وتشرّف بأعتاب النبيّ ﷺ، وأعتاب الأئمّة عليهم السلام في المدينة الطيّبة، وقفل منها مريضاً، ولم يزل كذلك حتّى وفد على الله عزّ وجلّ في شحور مستهلّ صفر سنة ١٠٨٠.[٢]



(١) الأمور اضطرّت أكثر آل نور الدين إلى مغادرة جبع بعد أن غادرها أبوهم عليّ بن أبي طالب بن الحسين، فتشتّتوا، كما سنبيّنه في أحواله أعلى الله مقامه[٣].

١. شحور: قرية من قرى جبل عامل. راجع أعيان الشيعة ٧: ٣٤٣.
٢. وقد ترجمه ولده جدّنا السيّد محمّد في مجموعةٍ له هي عندنا بخطّه الشريف. وفصّل أحواله سيّدنا الخال أبو محمّد الحسن الصدر إذ ترجمه في تكملة أمل الآمل [: ٧٢، الرقم ٤]. وله ترجمة في ص ١٣٩ من ج ٢ من أعيان الشيعة، لعلّامتنا الحجّة الكبير السيّد محسن الأمين ﵀. وأورده الشيخ عبّاس القمّي في كتاب الكنى والألقاب [٢: ٣٥٦]. وفي كتابه منتهى الآمال [٢: ٤١٠ ـ ٤١١]. في باب أولاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام. وأورده المحقّق الميرزا محمّد عليّ المعلّم حبيب آبادي في مكارم الآثار ج ١ ص ٩. «ع»
٣. سيأتي في ص ١٠٩ ومابعدها.

الباب الأوّل

في ذكر أبيه، فأخويه، فأعمامه، فجدّه، فجدّ أبيه، فجدّ جدّه، فإشارة إلى شؤون سلفهم الصالح على سبيل الإجمال رضوان الله عليهم أجمعين

فهنا مقاصد ستّة:



المقصد الأوّل
في ذكر أبيه

زين العابدين بن عليّ نور الدين بن نور الدين عليّ بن الحسين بن محمّد بن عليّ بن محمّد بن تاج الدين المعروف بأبي الحسن الموسوي. وأُمّه كريمة الفقيه الأُصولي المتكلّم الأديب الشيخ نجيب الدين عليّ بن محمّد بن مكّي العاملي الجبيلي[1] الجبعي(1).

(1) كان ـ كما نصّ عليه في أمل الآمل[2] ـ: عالماً فاضلاً، فقيهاً محدّثاً، مدقّقاً متكلّماً، شاعراً أديباً منشئاً، جليل القدر، قرأ على الشيخ حسن والسيّد محمّد والشيخ بهاء الدين وغيرهم، إلى آخر ترجمته في أمل الآمل التي لم يؤرّخ فيها وفاته رحمه الله تعالى.

١. الجبيل: تصغير جبل، وهو بلد مشهور في شرقي بيروت على ثمانية فراسخ من بيروت. راجع معجم البلدان ٢: ١٠٩.

٢. أمل الآمل ١: ١٣٠، الرقم ١٤٠.

ولد السيّد في جبع مستهلّ المحرّم الحرام سنة ستّ وتسعين وتسعمائة، وأخذ عن عدّة من شيوخ الإسلام وحملة علوم آل محمّد صلى الله عليه وآله، وكان نبيل النفس، أريحي[١] الطبع، يقطر الكرم من شمائله، ويفوح عرق السيادة من أخلاقه، زاهداً عابداً، صوّاماً، قوّاماً، صبوراً وقوراً حليماً، يتلقّى الخطب برحب صدره، ويحتمله بطول أناته.

حجّ بيت الله الحرام سنة أربع وستّين وألف، وكان أبوه يومئذٍ قد استوطن مكّة المعظّمة ـ كما ستسمعه في أحواله[٢] ـ فجدّد به عهداً، وبعد أدائه مناسك الحجّ والعمرة والتشرّف بزيارة النبيّ وآله صلى الله عليه وآله في المدينة الطيّبة، قفل مع الحجّ العراقي، فزار مشاهد الأئمّة في العراق، ثمّ قصد خراسان لزيارة الإمام الثامن عليه السلام ثمّ أتى حيدر آباد زائراً لأخيه السيّد جمال الدين، وكان قد استوطنها من قبل كما ستسمعه في أحواله،[٣] فرغب إليه الملك أبوالحسن مَلِك حيدر آباد أن يقيم عنده، وضمن له فراغ الوقت للعلم والعمل، كما فعل مع أخيه السيّد جمال الدين.

لكن السيّد زين العابدين آثر الرجوع إلى خدمة أبيه في مكّة المعظّمة، وكما يجب عليه من ذلك، ولاسيّما في حال غربة أبيه وشيخوخته.

فرجع إليه مع حجّاج حيدر آباد سنة ثمان وستّين وألف، فأدرك أيّاماً معدودةً من أواخر حياة أبيه، إذ توفّي أبوه تلك السنة(١)، فصلّى عليه ودفنه في المعلّى،[٤] فكان ذلك من حسن توفيقه، والحمد لله ربّ العالمين.

وقد عاش بعد أبيه خمس حجج مجاوراً لله تعالى، منقطعاً إلى عبادته عزّ وجلّ عن

---

(١) كما ستسمعه في أحوال أبيه.[٥]

---

١. الأريحي: الواسع الخلق، النشيط إلى المعروف... راجع المعجم الوسيط: ٣٨٠، «ر. و. ح».

٢. يأتي في ص١٠٩ وما بعدها.

٣. يأتي في ص٣٩ وبعدها.

٤. المعلّى: موضع [مقبرة] بالحجاز [بمكّة، المشتهر اليوم بمقبرة أبي طالب]. راجع معجم البلدان ٥: ١٥٨.

٥. يأتي في ص١١٠.

كلّ شيء، مجاهداً لنفسه في سبيل كمالها ورضى خالقها ـ عزّ سلطانه ـ حتّى قضى نحبه في منى أواخر الحجّة الخامسة لإحدى عشرة ليلةً خلت من ذي‌الحجّة سنة ١٠٧٣، عن سبع وسبعين سنةً إلّا عشرين يوماً، وكان ولده الحسين(١) يومئذٍ معه فحمل نعشه الشريف إلى المعلّى فصلّى عليه، ودفنه ثَمّة خلف ضريح أبيه شمالي مقام جدّتهما الصدّيقة الكبرى أمّ المؤمنين خديجةعليها السلام.

وقد ذكره معاصره الشريف بن شدقم[1] في أنسابه فقال:

كان سيّداً جليل القدر، رفيع المنزلة، حسن الشمائل، جمّ المفاخر، عالماً فاضلاً كاملاً. سافر إلى العجم، وحيدر آباد، فتلقّاه فيها عبدالله قطب شاه بقبول حسن، أجرى له جميع ما يكفيه، وأنعم عليه بنعم جزيلة، ثمّ عاد إلى مكّة امتثالاً لأمر أبيه، وتوفّي في منى للحادي عشر من ذي الحجّة سنة ألف وثلاث وسبعين، وقبره بإزاء قبر والده طاب ثراهما، وهما بإزاء خديجة الكبرى بالمعلّى[2]. انتهى.

وذكره الحرّ العاملي في الباب الأوّل من أمل الآمل[3] فأثنى عليه بما هو أهله علماً وعملاً، وكان رفيقه في القراءة على جماعة من مشائخهما الأعلام.

---

(١) الذي هو جدّ أرحامنا في دمشق، وسنذكره وإيّاهم في المطلب الأوّل من المقصد الثاني من هذا الباب.[4]

---

١. هو السيّد حسين بن عليّ بن حسن بن عليّ بن حسن بن شدقم بن ضامن الحسيني، ذكره السيّد ضامن بن شدقم في الأنساب، فقال: ولد في المدينة المنوّرة سنة ١٠٢٦، وجدّ في اكتساب المآثر، واجتنى أنواع الفضائل والكمال، وحاز بسعد العزّ والإقبال قسمًا ذروة الفخر والمجد، وعرج معارج الفضل، فهو إمام في الأدب الذي بهرت فوائده، توفّي سنة ١٠٩٠. انتهى ملخّصاً عن أعيان الشيعة ج ٦ ص ١٠١.«ع»

٢. تحفة الأزهار وزلال الأنهار ٣: ١٦٣ ـ ١٦٤.

٣. أمل الآمل ١: ١٠٠، الرقم ٨٧. وترجمه سيّدنا في تكملة الأمل ترجمةً مفصّلةً ص ٢٢٤، وذكره صاحب نجوم السماء [: ٩٥] في كتابه المشتمل على رجال القرن الحادي عشر والذي بعده إلى زمنه، وله ترجمة في أعيان الشيعة [٢٧، ص ١٦٦].«ع»

٤. سيأتي في ص ٢٤.

المقصد الثاني
في ذكر أخوي شرف الدين وعقبهما
وهما الشريف حسين والشريف محمّد

فهنا مطلبان:

المطلب الأوّل
يختصُّ بالحسين بن زين العابدين وعقبه

والحسين هذا هو الأكبر من أخوي شرف الدين، كان ـ رحمه الله تعالى ـ من فقهاء أهل البيت، وفضلاء العترة الطاهرة، وحملة علومهم عليهم السلام، وكان من الأبرار الخيرة، نبيل النفس، أريحي الطباع.

ولد في جبع سنة ١٠٤١، وقرأ على أبيه بعض المبادئ، ووقف في تحصيل العلوم على أخيه السيّد إبراهيم شرف الدين، وعلى غير واحد من الأعلام في جبل عامل، وحجّ بيت الله الحرام سنة ١٠٦٩ وله من العمر ثمان وعشرون سنة، وذلك بعد وفاة جدّه السيّد عليّ نور الدين بسنة واحدة، وكان أبوه السيّد زين العابدين قد استوطن مكّة ـ كما سمعت في أحواله ـ فبقي الحسين في خدمته يأخذ عنه الفقه، وما إليه من العلوم والفنون حتّى لحق أبوه بربّه، واختار له ما عنده وذلك سنة ١٠٧٣، فرجع بعده إلى سوريّا سنة ١٠٧٩، فقطن دمشق[1] وقد اجتمع فيها تلك السنة بالشريف النسّابة

(١) إذ كان قد أعرض عن مسقط رأسه جبع، تبعاً لأبيه وأخيه وأعمامه وجدّه فإنّهم بأجمعهم هاجروا من جبع فتشتّتوا لأمور أوجبت ذلك، نشير إليها في أحوال أبيهم السيّد عليّ نور الدين بن عليّ بن الحسين.[1]

١. يأتي في ص ١٠٩ وما بعدها.

ابن شدقم، وكان له من الولد يومئذ أربعة أشبال، ذكرهم ابن شدقم في أنسابه[١]، وهم: محمّد، وكمال الدين، وتاج الدين، وعليّ.

ونحن لا نعرف ذرّيّةً للسيّد كمال الدين، ولا لأخويه تاج الدين وعليّ، وإنّما نعرف ذرّيّة أخيهم الأكبر السيّد الشريف محمّد بن الحسين، فإنّها لا تزال نابهةً مباركةً، تنزع إلى عرق كريم، وترجع إلى شرف عظيم، والأُمّة تعرف لهم سابقة السيادة، وتعترف لهم بالمجد المؤثّل.

توفّي جدّهم الحسين صاحب العنوان في دمشق سنة ١٠٩٨، وله سبع وخمسون سنة(١).

وخلفه في مجده ولده السيّد الشريف محمّد بن الحسين، وكان عالماً فاضلاً فقيهاً، جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة لدى الخاصّة والعامّة في دمشق، وكان كريم العهد، صادق الوعد مشهوراً بذلك، وكان من العزّة بمكان، مبرور الخلطة، مصافياً لإخوانه، مؤاسياً لهم، تناط به الآمال، وله في الخير قدم صدق، وكان في هذا كلّه كنار على علم، حتّى لحق بربّه في دمشق مبروراً مشكوراً سنة ١١٤٣ قدّس الله سرّه.

وخلفه في غابه أشباله الأربعة، وكانوا من غطاريف الهاشميّين، وعلية الفاطميّين، وهم: السيّد إسماعيل، والسيّد بدر الدين، والسيّد إبراهيم، والسيّد مصطفى.

أمّا السيّد إسماعيل بن محمّد بن الحسين، فلا نعرف له عقباً.

وأمّا أخوه السيّد بدر الدين فله ولدان: السيّد محمّد، والسيّد عليّ. وللسيّد عليّ ولدان هما: الحسن والحسين ابنا عليّ بن بدر الدين.

---

(١) روينا هذه التفاصيل عن جدّنا أبي صالح السيّد محمّد الكبير بن إبراهيم شرف الدين وقد ذكره عمّه الحسين في مجموعة له بخطّه الشريف.

---

١. تحفة الأزهار وزلال الأنهار ٣: ١٦٤.

وأمّا الشريفان المنيفان إبراهيم وأخوه المصطفى، فلهما بقيّة مباركة، وتفصيل ذلك في مبحثين:

المبحث الأوّل

في ذكر السيّد الشريف إبراهيم ـ بن محمّد بن الحسين بن زين العابدين ـ وذرّيّته.

وقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ سيّد السادة في مصره، وكبيرهم في عصره، نديّ الراحة، رحب الصدر، خصب الجناب، من أعيان آل نور الدين وسلالة أبي الحسن، تقيّاً نقيّاً، كريم الأخلاق، طاهر الأعراق.

وقد أعقب من ولده الأوحد السيّد الشريف محمّد.

وكان محمّد بن إبراهيم هذا ممّن توجّه إلى طلب العلم فانقطع إليه، مخلّياً له ذرعه، قاصراً عليه نفسه، حتّى نبغ في الفقه وما إليه، وكان ممّن يدعون ربّهم رهباً ورغباً.

وقد أعقب من ولدين: السيّد الشريف زين العابدين، والسيّد الشريف إسماعيل.

وكان الأوّل من الأشراف النابهين في دمشق، ذا رأي متّبع، وأمر مطاع، يعدّ في طليعة الأتقياء البررة، وقد أعقب من ثلاثة أولاد وهم: الشريف أحمد، والشريف قاسم، والشريف محمّد.

أمّا أحمد بن زين العابدين، فله ولد يدعى السيّد محمّداً.

وأمّا القاسم بن زين العابدين، فأعقب محمّد بن القاسم، ولمحمّد بن القاسم عقب مبارك من ولده العبد الصالح السيّد زين العابدين[1] بن محمّد بن القاسم بن زين العابدين.

وأمّا محمّد بن زين العابدين بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن الحسين بن زين العابدين، فعقبه من ولده السيّد نور الدين. وأعقب السيّد نور الدين من ولده الحسين،

---

(١) المتوفّى في دمشق ١٣٥١ عن أربعة أشبال، هم: السيّد محمّد عليّ، والسيّد محمّد جواد، والسيّد رضا، والسيّد سعيد.

وأعقب الحسين هذا من ولديه: السيّد محمّد سليم، والسيّد عبّاس.

أمّا السيّد محمّد سليم ـ بن الحسين بن نور الدين بن محمّد بن زين العابدين ـ فعقبه من ولديه حسني[1] والرضا[2].

وأمّا السيّد عبّاس، فقد توفّي سنة ١٣٣١، وأعقب من ثلاثة أولاد:

أوّلهم: السيّد محمّد عليّ، وهو أبو السيّد محمّد حسن حفظه الله تعالى.

ثانيهم: أبو الأشبال الخمسة[3]، السيّد محمّد نجيب المتوفّى سنة ١٣٦٨.

ثالثهم: السيّد محمّد حسين المتوفّى في البصرة سنة ١٣٣٣، وهو أبو السيّد نسيب[4] المولود سنة ١٣٢٤.

الصنو الثاني: السيّد إسماعيل بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن الحسين بن زين العابدين.

كان من أبرار العلماء وأجلّاء السادة، يغضب لله، ويرضى لله، ويحبّ لله، ويبغض لله، لا تأخذه فيه عزّ وجلّ لومة لائم، معروفاً بذلك في دمشق وغيرها.

وقد ذكره سيّدنا في تكملة الأمل ص ١٠٧ فقال:

> كان من العلماء الفضلاء الأجلّاء في دمشق، يعرف هو وسائر أُسرته بآل مرتضى، نسبة إلى إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، وهم بيت شرف وجلالة[5]. انتهى.

---

١. ولحسني هذا ولد اسمه محمّد حسين. «ع»

٢. وللرضا هذا ولد اسمه سليم. «ع»

٣. أوّلهم: السيّد صدّيق، وله ولد اسمه هاشم. ثانيهم: السيّد نصوح، وله أربعة أشبال: جواد، وياسر، وغازي، وبسّام. ثالثهم: السيّد محمّد عليّ. رابعهم: السيّد عبد المحسن. خامسهم: السيّد محمّد حسن. «ع»

٤. وللسيّد نسيب هذا ولد اسمه أيمن، ولد في ٧ أو ١٧ المحرّم سنة ١٣٨٧. «ع»

٥. عبارة التكملة هكذا: «السيّد إسماعيل ... بن زين العابدين بن نور الدين الموسوي العاملي الشامي، من بيت مرتضى، بيت جليل من بيوت الأشراف بالشام، كان من العلماء الفضلاء الأجلّاء، وتجتمع معه بالسيّد زين العابدين بن نور الدين رحمه الله، وله مؤلّفات وذيل بالشام». نعم عين هذه العبارة موجودة في الأعيان ٣: ٤٠١، ولعلّه نقلها عن الأعيان.

وتعقّبه صاحب أعيان الشيعة في ص ١١٤ من جزئه الثاني عشر، حيث أورد السيّد إسماعيل صاحب العنوان، فنقل عن تتمة الأمل ـ أي تكملة الأمل ـ ما قد سمعت فقال:

أقول: بل المرتضى الذي ينسبون إليه هو متأخّر، والظاهر أنه هو السيّد مرتضى بن عليّ بن محمّد أبو طالب بن عليّ بن علوان[1]. انتهى.

قلت: بل الصواب ما أفاده سيّدنا في تكملة الأمل فإنّ السيّد إسماعيل صاحب العنوان، وسائر أسرته المتقدّمين منهم والمتأخّرين، لا يوجد في سلسلة نسبهم المتّصلة بالإمام الكاظم أحد يطلق عليه لفظ «المرتضى» إلّا إبراهيم المرتضى بن الإمام عليه السلام، كما تشهد بذلك صورة نسبهم الشريف، المشهورة بين الناس، المنتشرة في أيديهم يحملها منهم العشرات، وهم جيران السيّد صاحب أعيان الشيعة منذ خمسين سنةً أو أكثر، وله عليها تعليقات بخطّه، تشهد باتّصالها وصحّتها، على أنّ السيّد نفسه نقلها بخطّه عن كتاب أنسابهم، ونشرها بتمامها في ص ٣٩٢ من الجزء الثالث عشر من أعيانه[2]. فالعجب منه كيف التبس الأمر عليه مع ذلك!؟

ومن أين استظهر كونهم ينسبون إلى السيّد مرتضى بن عليّ بن محمد أبي طالب بن عليّ بن علوان؟ مع أنّ السيّد مرتضى وآباءه هؤلاء ليسوا من أسرة السيّد إسماعيل صاحب العنوان، وإنّما هم من السادة الأشراف آل علوان، والسيّد إسماعيل بن السيّد محمّد صاحب العنوان وأسرته من أشراف آل نور الدين الذين منهم صاحب المدارك.

ومن المعلوم المقطوع به أنّ آل علوان، وآل نور الدين فرعان باسقان من فروع السادة الأشراف الموسويّين، تنتهي سلسلة نسبيهما الصحيحين المختلفين إلى إبراهيم المرتضى، وهذا ممّا لا ريب فيه لأحد من علماء الأنساب، ولا لأحد ممّن وقف على

---

١. أعيان الشيعة ٣: ٤٠١.

٢. لم نعثر عليها بالرغم من الفحص الأكيد. نعم راجع أعيان الشيعة ٥: ٣٢٥، عند ذكر نسب السيّد حسن الصدر.

سلسلة نسبيهما الشريفين، فكيف يصحّ نسبة من هو من آل نور الدين إلى السيّد مرتضى العلواني مع تأخّره وكونهم ليسوا من فروعه، ولا من فروع آبائه الأربعة الذين ذكرهم السيّد في تعقّبه؟.

والنسّابة الجِهبِذ[1] كصاحب تكملة الأمل يعلم أنّ آل نور الدين وآل علوان كليهما ينسبان إلى المرتضى بن الإمام الكاظم، من قبل أن يولد المرتضى العلواني، وأنّهما إنّما نسبا إليه على بعدهم عنه احترازاً عن أخيه إبراهيم الآخر ؛ لأنّ في أعقاب الآخر خلافاً كما نصّ عليه علماء الأنساب.[2]

وبعبارة أوضح: لمّا كان في أبناء الكاظم عليه السلام إبراهيمان وكان أحدهما ـ وهو إبراهيم المرتضى ـ معقباً مكثراً بالاتّفاق، وكان الآخر ـ من الإبراهيمين ـ في عقبه خلاف. أشفق فريق من سلالة إبراهيم المرتضى على نسبهم أن يمسّ، فاحتاطوا له بانتسابهم إلى المرتضى من الإبراهيمين ؛ ليعلم أنّهم من سلالة المتّفق على عقبه، لا من سلالة المختلف في عقبه.

وقد بدا لصاحب الأعيان فيما بعد، أنّ السيّد إسماعيل صاحب العنوان ليس من شروط كتابه، وجعل الحمل في عدّه من العلماء على تكملة الأمل فقال في ج ١٣ ص ٣٩٣ في باب المستدركات:

السيّد إسماعيل بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن حسين بن زين العابدين بن نور الدين الموسوي الدمشقي، مرّ في محلّه، ونقلنا هناك عن تتمة الأمل أنّه كان من العلماء الفضلاء الأجلّاء، ثمّ راجعنا كتاب نسبهم الشريف، فلم نجد فيه ما يشير إلى أنّه من أهل العلم، مع أنّ العادة فيه أنّه إذا كان رجل من أهل العلم يُنصّ عليه.[3]

---

١. الجِهبِذ: النقّاد الخبير. راجع القاموس المحيط ١: ٦٦١، «ج.ه.ب.ذ».

٢. راجع: عمدة الطالب: ٢٣١؛ أعيان الشيعة ٢: ٢٢٨.

٣. لم نعثر عليه ومابعده بالرغم عن الفحص الأكيد.

هذا كلامه بلفظه، واسترسل بعده في ذكر من وصفوا بالعلم من آل علوان وآل نورالدين عند ذكر أسمائهم في سلسلة النسب، فكان آخرهم السيّد نور الدين عليّ جدّ صاحب العنوان، ثمّ ساق نسبه الشريف متّصلاً بالإمام عليه السلام.

ثمّ قال:

والغالب على الظنّ أنّه ـ أي صاحب العنوان ـ ليس من أهل العلم [و] إلّا لوصف به عند ذكره في سلسلة النسب ولاشتهر بذلك بين أهله، مع أنّه ليس بعيد العهد. انتهى كلامه.

وهو كماترى، فإنّ عدم الإشارة إلى علم الرجل عند ذكره في سلسلة نسبه لا يستلزم عدم علمه في الواقع، ولا يدلّ عليه بشيء من الدوالّ كلّها كما لا يخفى.

وقوله: «إنّ العادة فيه أنّه إذا كان رجل من أهل العلم ينصّ عليه» منقوض بكثير من أهل الفضل والجلالة، وقد استرسل في سرد أسمائهم، لا يزيد عليها شيئاً أصلاً، وهم: الحسين والد السيّد نورالدين وجميع آبائه الغطارفة، وكان الحسين هذا كما نصّ عليه الحرّ في أمل الآمل: عالماً، فاضلاً، فقيهاً، مقدّماً، معاصراً للشهيد الثاني.[١]

وأما عدم اشتهار السيّد إسماعيل بين أهله في العلم فغير صحيح، فإنّ صاحب التتمة من أهله، وهو على بيّنة ممّا وصف به ابن عمّه.

ولنرجع إلى المقصود فنقول: أعقب السيّد إسماعيل صاحب العنوان عن ولده السيّد الشريف محمّد صالح، كان من السادة الأجلّاء، والبررة الأتقياء، محترماً في دمشق بشرف نسبه، وكرم حسبه، وأعقب الصالح هذا من ثلاثة أولاد:

أوّلهم: السيّد الشريف عليّ، وله ثلاثة أولاد: الحسن، والحسين، والمحسن، وعقبهم الآن في كربلاء.

---

١. أمل الآمل ١: ٦٨، الرقم ٦١.

ثانيهم: السيّد النبيل الشريف إسماعيل، وهو أبو السيّد الأمجد الشريف أحمد، ولأحمد هذا أربعة أولاد: العبّاس، وهاشم، وحميد[1]، وحسين[2].

ثالثهم: السيّد الكريم الشريف إبراهيم بن محمّد صالح بن إسماعيل بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن الحسين، رأيته في دمشق حدود سنة ١٣٠٦، فكان ـ رضوان الله عليه ـ كريم الخليقة، حرّ الضريبة، جميل المناقب، حلو الشمائل، لين العريكة، أفرغه الله في قالب الجمال، وخلقه في أحسن تقويم، وكان من صالحي المؤمنين، وله ذرّيّة مباركة، فأولاده لصلبه تسعة:

الأوّل السيّد الجليل الشريف داود: كان من النابهين في دمشق، وقد أُوتي محابّ القلوب بكرم أخلاقه وطهارة أعراقه، وقد توفّي غرقاً في كربلاء سنة ١٣٠٥، وأعقب ثلاثة أشبال من خيرة الرجال وهم: السيّد محمّد صالح، والسيّد محمّد حسن. والسيّد محمّد رشيد.

أمّا السيّد محمّد صالح فقد كان من أفاضل الأدباء، وأماثل الأتقياء، خطيباً لبيباً، قويّ العارضة في خطابه، فسيح الباع، بعيد النجعة، واضح المنهج، حسن اللفظ، أنيق اللهجة، وله في مآتم جدّه سيّد الشهداء مزيّة ظاهرة، وغرّة واضحة، شكرها الله تعالى له ورسوله ﷺ والمؤمنون، وكان بارّاً تقيّاً، أبيّاً حميّاً، اختار الله له دار كرامته في دمشق سنة ١٣٣٨ وهو في حدود الخمسين، وله ولد واحد من نجباء السادة، وهو السيّد الشريف داود.

وأمّا السيّد محمّد حسن فهو من السادة الذين انتهجوا مناهج الأشراف، واقتصّوا آثار سلفهم من بني شيبة الحمد وعبد مناف، ولد سنة ١٣٠٠، وله مولود أغرّ يدعى السيّد عبد الجليل، ولد سنة ١٣٣٧ وفّقه الله للتخلّق بأخلاق سلفه الصالح.

(١) توفّي عن ولدين: محمود، وعبد الأمير قاطنين في كربلاء المقدّسة.

(٢) توفّي عن ولد واحد هو رشيد قاطن في كربلاء المقدّسة.

وأمّا السيّد محمّد رشيد فقد ولد في دمشق في ١٣ صفر سنة ١٣٠٢، وأنشأه الله منشأً مباركاً، فشبّ على الخير والهدى، سالكاً طريقة أخيه الصالح، وآبائه الطيّبين، فإذا هو من أبرار الأبرار، وخيرة الأخيار، نتوسّم فيه مخايل الكرم، ونقرأ في أسرّته عنوان الشرف، وله في الخطابة أسلوب، غزير الفائدة، موفور العائدة، ولا سيّما في مآتم آبائه المعصومين المظلومين حيث يستدرّ ماء الشؤون، ويستمطر شآبيب العيون، عظّم الله به الشعائر، وزيّن ببراعته صهوات المنابر[1]، وحفظه الله وولده الشريف تاج الدين، وقرّة عيون المؤمنين[2].

الثاني ـ من أولاد السيّد إبراهيم بن محمّد صالح ـ: **السيّد الشريف سلمان.**

ولسليمان هذا ولد هو الشريف إبراهيم، ولإبراهيم هذا ابن سليمان بن إبراهيم ولد يدعى سامياً.

الثالث ـ من أولاد السيّد إبراهيم بن محمّد صالح ـ: **السيّد محمّد** المتوفّى سنة ١٣٠٥، والعقب من ولده السيّد عبّاس، المولود سنة ١٢٩٩، وللسيّد عبّاس هذا ولد يدعى محمّداً، ولد سنة ١٣٣٦.

الرابع ـ من أولاد السيّد إبراهيم بن محمّد صالح ـ: **الشريف عليّ**، ولعليّ هذا ولد اسمه محسن، ولمحسن هذا ولد اسمه عليّ، ولد سنة ١٣٦٢.

الخامس ـ من أولاد السيّد إبراهيم بن محمّد صالح ـ: **السيّد عبد الغنيّ** المتوفّى سنة ١٣٥٥، ولعبد الغنيّ هذا أربعة أولاد: توفيق[3]، المولود سنة ١٣١٥. وإبراهيم[4]، المولود سنة ١٣١٩. وجواد[5]، المولود سنة ١٣٢٦. ومحمّد، المولود سنة ١٣٣٥.

---

١. توفّي في ذي الحجّة سنة ١٣٨٩ عليه الرحمة. «ع»

٢. للسيّد تاج الدين هذا ولد اسمه رشاد، ولد سنة ١٣٧٦. «ع»

٣. لتوفيق هذا ولدان: نجاح، المولود سنة ١٣٥٥، ونبيل، المولود سنة ١٣٥٧. «ع»

٤. لإبراهيم هذا أربعة أولاد: عبد الغنيّ، المولود سنة ١٣٥٥، وغياث، المولود سنة ١٣٥٩، وزهير، المولود سنة ١٣٦١، وعدي، المولود سنة ١٣٦٦. «ع»

٥. ولجواد هذا ثلاثة أولاد: يثرب، المولود سنة ١٣٥٥، وبهاء الدين، المولود سنة ١٣٥٩، وهاني، المولود سنة ١٣٦٢. «ع»

السادس ـ من أولاد السيّد إبراهيم بن محمّد صالح ـ: السيّد الشريف مهديّ المتوفّى سنة ١٣٥٦. ولمهديّ هذا ولد يدعى السيّد حمدي، ولد سنة ١٣٢١.

السابع ـ من أولاد السيّد إبراهيم بن محمّد صالح ـ: السيّد رضا، وللرضا هذا ثلاثة أولاد: سعيد[1]، وأحمد، ويوسف.

الثامن ـ من أولاد السيّد إبراهيم بن محمّد صالح ـ: السيّد عبدالله وهو مِئناث[2]، توفّي سنة ١٣٥٥.

التاسع ـ من أولاد السيّد إبراهيم بن محمّد صالح ـ: السيّد حسن، وأعقب الحسن هذا من ثلاثة أولاد: السيّد محسن، والسيّد صادق، والسيّد عليّ.[3]

المبحث الثاني

في ذكر السيّد مصطفى ـ بن محمّد بن الحسين بن زين العابدين بن نورالدين ـ وذرّيّته.

وقد تفرّع من الشريف المصطفى هذا غصنان نضران باسقان: حسين، وحسن.

الغصن الأوّل: السيّد الشريف حسين ـ بن مصطفى بن محمّد ـ وقد أعقب الحسين هذا ولداً اسمه محمّد، وأعقب محمّد ـ بن حسين بن مصطفى ـ ولداً اسمه عليّ، وأعقب عليّ هذا ولداً اسمه محمّد حسين، وأعقب محمّد حسين هذا ولدين، محمّد حسن، وعليّاً.

ولعليّ بن محمّد حسين ثلاثة أولاد: جميل، ورضا، ومحمّد حسين.

ولمحمّد حسين هذا ثلاثة أولاد، وهم: محمّد عليّ، المولود سنة ١٣٤٨، ومحمّد جمال الدين، المولود سنة ١٣٥١، ومحمّد حسن، المولود سنة ١٣٥٤ ويقيم الآن محمّد حسين وأولاده في قرية تدعى خرايب ارزية من جبل عامل.

---

١. لسعيد هذا ولد اسمه شفيق، المولود في حدود سنة ١٣٦٤.«ع»

٢. المِئناث: صيغة مبالغة للتي من عادتها ولادة الإناث. ويقال أيضاً: رجل مِئناث. راجع المعجم الوسيط: ٢٩، «أ. ن. ث».

٣. لعليّ بن الحسن هذا ثلاثة أولاد: السيّد عبّاس، والسيّد حسين، والسيّد حسن.«ع»

الغصن الثاني: السيّد الشريف حسن ـ بن مصطفى بن محمّد بن الحسين بن زين العابدين ـ وقد أعقب الحسن هذا من ولدين: حسين المعروف بالحسيني، وسعيد، فهنا فننان[1]:

الفنن الأوّل للسيّد الشريف حسين الحسيني ـ بن حسن بن مصطفى بن محمّد بن الحسين بن زين العابدين ـ: وقد أعقب الحسيني هذا من ولده الشريف محمّداً، وأعقب الشريف محمّد بن الحسيني من ثلاثة أولاد: السيّد حسين[2]، والسيّد حسن[3]، والسيّد إبراهيم[4].

الفنن الثاني للسيّد الشريف سعيد ـ بن حسن بن مصطفى بن محمّد بن الحسين بن زين العابدين ـ: وقد أعقب السيّد سعيد هذا من ولده محمّد بن سعيد، وأعقب محمّد بن سعيد هذا من ولده مصطفى بن محمّد بن سعيد، وأعقب مصطفى هذا من ولده التقيّ النقي السيّد الشريف محمّد سعيد المعروف بالشقطي، وأعقب الشقطي هذا من أربعة أولاد: السيّد مصطفى، والشريف محمّد، والشريف عبدالله. والشريف إبراهيم.

أمّا السيّد مصطفى بن الشقطي فالعقب منه في ثلاثة، وهم: محمّد نجيب له ستّة أولاد[5]، ومحمّد شفيق له ولدان[6]، ومحمّد فؤاد له ولد واحد[7].

وأمّا الشريف محمّد بن الشقطي فله ولد واحد اسمه السيّد محمّد عليّ.

وأمّا السيّد عبدالله بن الشقطي فله ولد هو السيّد عارف، والسيّد عارف هذا له ولد هو السيّد غازي.

---

١. الفَنَنُ: الغُصنُ المستقيم من الشجرة، جمع أفنان، وفي التنزيل العزيز: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن (٥٥): ٤٨]. راجع المعجم الوسيط: ٢: ٧٠٣، «ف. ن. ن».

٢. للسيّد حسين هذا ولد يدعى رشيداً، وللسيّد رشيد هذا ولد اسمه حسين. «ع»

٣. للسيّد حسن هذا ولد هو السيّد محمّد، وللسيّد محمّد بن الحسن هذا ثلاثة أولاد: حسن، وسعيد، وعبدالله. «ع»

٤. لإبراهيم هذا ولد اسمه محمّد عليّ، ولمحمّد عليّ هذا ولد اسمه فؤاد. «ع»

٥. وهم: مصطفى، وعبدالله، ومهديّ، وأحمد، وحسن، ومحمّد. «ع»

٦. وهما شوقي، وإبراهيم. «ع»

٧. اسمه فوزي. «ع»

وأمّا السيّد إبراهيم بن الشقطي فله ستّة أولاد، هم: السيّد توفيق[1]، والسيّد كامل، والسيّد عبد اللطيف، والسيّد محمّد عليّ، والسيّد سليم، والسيّد يوسف.

المطلب الثاني

يختصّ بالسيّد الشريف محمّد ـ بن زين العابدين بن عليّ نور الدين ـ وفروعه

والسيّد محمّد هذا هو الأصغر من أخوي إبراهيم شرف الدين، كان من أماثل بني نور الدين، وأبرار آل أبي الحسن، وله في الخير قدم صدق، وعليه سمات أهل الفضل، تأنس الناس بناحيته فتنيط به الثقة، وكان صادق الطويّة، جميل العلانية، قد استوى شاهده وغائبه، فكان قلبه يتمثّل في لسانه، وُلد مباركاً، وعاش محموداً، ومات فقيداً، وكانت وفاته في جبع[2] تاسع شهر رمضان سنة ١١٠٠ رضوان الله عليه، وله ثمّة ذرّيّة طاهرة، لا تزال نابهة محترمة إلى يومنا هذا، يتوارثون الحسب كابراً عن كابر.

فمنهم: الشريف عبد الهادي المولود سنة ١٣٤٢، وله ولد واحد اسمه عبدالله، ولد في ١٩ شعبان سنة ١٣٧٤. وهو ابن السيّد الشريف عبدالله المولود سنة ١٢٩٢، والمتوفّى في ٣٠ رمضان سنة ١٣٧٥.

وهو ابن الشريف عليّ بن الشريف أحمد بن الشريف إبراهيم بن الشريف حيدر بن الرضا المكنّى بأبي الحسن بن زين العابدين بن محمّد بن زين العابدين بن عليّ نور الدين.

---

١. وللسيّد توفيق هذا ولدان، هما: مهديّ، وعليّ. «ع»

٢. هذا هو الذي بقي في جبع بعد هجرة أبيه وأخويه وأعمامه وبنيهم، وتفرّقهم في البلاد، فمنهم من سكن مكّة حتّى مات كأبيه زين العابدين، وجدّه السيّد عليّ نور الدين، وعمّه أبي العبّاس عليّ بن نور الدين عليّ بن الحسين، ومنهم: من قطن الشام كأخيه الحسين بن زين العابدين، وعمّه السيّد أبو الحسن. ومنهم: من استوطن شحور كأخيه إبراهيم شرف الدين بن زين العابدين، ومنهم: من سكن الهند كعمّه السيّد جمال. ومنهم: من سكن أصبهان كعمّه السيّد حيدر. «ع»

ومنهم: الأشراف الثلاثة عليّ[١] المولود سنة ١٣٢٤، ومحمّد جواد[٢] المولود سنة ١٣٢٩، وعباس[٣] المولود سنة ١٣٣٤، أبناء الشريف أحمد المتوفّى ثالث ربيع الأوّل سنة ١٣٣٥، ابن الشريف عليّ بن أحمد بن إبراهيم بن حيدر بن أبي الحسن الرضا بن زين العابدين بن محمّد بن زين العابدين بن عليّ نور الدين.

ومنهم: الشريف محمّد سعيد[٤] المولود سنة ١٣٣١،[٥] ابن الشريف الكريم إبراهيم[٦] المولود سنة ١٢٩٧،[٧] ابن الشريف محمّد المتوفّى سنة ١٢٩٨، ابن الشريف أحمد المتوفّى ليلة الجمعة ٢٥ شعبان سنة ١٢٤٨[(١)] ابن الشريف إبراهيم بن الشريف حيدر بن

(١) حيث سقط عليه السقف في بيت الشيخ إبراهيم بن رضا بن أحمد بن محمّد بن حسن الحرّ في جبع، وكان في خدمة السيّد حينئذٍ ثمانية أشخاص وهو التاسع ماتوا ﷺ جميعاً، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

١. ولعليّ هذا ثلاثة أولاد: نظام الدين، ولد في مستهلّ رمضان سنة ١٣٦٩، وأحمد، ولد سنة ١٣٧٢، وسمير، ولد سنة ١٣٧٥.«ع»

٢. توفّي في ليلة ٢٠ ربيع الأوّل سنة ١٣٩٩ عن ولد واحد اسمه عليّ عصام ولد سنة ١٣٦٣ مجاز في التاريخ من الجامعة العربيّة، ويتابع الدراسات العليا في الجامعة اللبنانيّة، له ولد اسمه مالك، ولد في أواسط شعبان سنة ١٣٩٦.«ع»

٣. هاجر عبّاس هذا إلى البرازيل متاجراً وبقي هناك عدّة سنين إلى أن اغتيل هناك مع رجل من آل الحرّ في أواخر المحرّم سنة ١٣٧٩ حيث هجمت عليهما عصابة من اللصوص فقتلتهما عليهما الرحمة، وقد خلف ولداً اسمه هاني، ولد سنة ١٣٦٧، ولهاني هذا ولد اسمه مازن، ولد في ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٩٦.«ع»

٤. وللسيّد محمّد سعيد هذا ثلاثة أولاد: سميح، ولد في ٧ أو ١٧ شعبان سنة ١٣٦٦ وهو حائز على شهادة الليسانس في الجغرافيا، له ولد اسمه ربيع ولد في ١٤ المحرّم سنة ١٣٩٣، وحسن ولد في ٧ جمادى الثانية سنة ١٣٧٠، وعليّ ولد في ٧ جمادى الثانية سنة ١٣٧٣.«ع»

٥. والمتوفّى في رجب سنة ١٤٠٩.«ع»

٦. الشريف إبراهيم هذا وجيه آل نور الدين اليوم في جبع، وهو من الأتقياء الصالحين يمثّل الوقار والسكينة وهدي آبائه، وقد سرّني بما نقله لي عن شباب السادة من أهل هذا البيت الطاهرين من الاستقامة على الهدى والكرامة لأنفسهم ولآبائهم بلزوم طريقتهم المثلى.«ع»

٧. والمتوفّى في ٥ رجب سنة ١٣٨٠.«ع»

الشريف أبي الحسن الرضا بن زين العابدين بن محمّد بن زين العابدين بن عليّ نورالدين.

ومنهم: الشريف نور الدين[1] المولود سنة ١٣٠٦، ابن الشريف زين العابدين المتوفّى في جبع سنة ١٣١٦، وكان من البررة الخيرة، ومن الأُدباء الشعراء، ابن إبراهيم بن الجواد بن الرضا بن الحسن بن زين العابدين بن محمّد بن زين العابدين بن عليّ نور الدين.

ومنهم: الشريفان: الرضا[2] المولود سنة ١٣١٨، وصنوه السيّد محمّد عليّ المولود سنة ١٣٣١، وهما ولدا الشريف العبقري[3] عليّ المتوفّى ثالث جمادى الثانية سنة ١٣٣٣، ابن الشريف الكريم السيّد إبراهيم بن الجواد بن الرضا بن الحسن بن زين العابدين بن محمّد بن زين العابدين بن عليّ نور الدين.

ومنهم: الأشراف زين المولود سنة ١٣٥٢،[4] وصنوه السيّد حسين المولود سنة ١٣٥٦،[5] وسمير المولود عاشر شهر رمضان سنة ١٣٦٦، ابناء الشريف عباس المولود سنة ١٣٢١، ابن الشريف أبي الحسن المولود في حدود الألف والمائتين ونيّف وتسعين والمتوفّى في البرازيل سنة ١٣٤٥، ابن الشريف إبراهيم المتوفّى في جبع سنة ١٣٢٨(١)،

(١) كان للسيّد إبراهيم هذا أخ اسمه السيّد محمّد جواد، فاضل متفقّه، أديب شاعر، من عدول المؤمنين، وكان عابداً زاهداً، له إلمام بالطبّ وبديهة في نظم القريض، وقد توفّي ﷺ سنة ١٣٢٢ وكان مئناثاً.

١. هاجر إلى البرازيل وعمّيه السيّد جواد والسيّد أبي الحسن، ولا بدّ أن يكون قد توفّي، ولعلّ لهم نسلاً هناك.«ع»

٢. توفّي في ٢١ شوّال، سنة ١٣٩١ عن ولد واحد هو السيّد عبد العليّ، ولد سنة ١٣٦٦ وهو من الشباب النجيب أُستاذ في مدارس المعارف.«ع»

٣. العبقري: السيّد الكبير، راجع: النهاية لابن الأثير ٣: ١٧٣؛ الصحاح ٢: ٧٣٤، «ع. ب. ق. ر».

٤. لزين هذا ثلاثة أولاد: محمّد ولد سنة ١٣٧٩، وإبراهيم ولد سنة ١٣٨١، وعبّاس ولد سنة ١٣٨٨.«ع»

٥. لحسين هذا أربعة أولاد: عبد العليّ ولد سنة ١٣٨٢، وعادل ولد سنة ١٣٨٦، وعليّ ولد سنة ١٣٨٨، وعبّاس ولد سنة ١٣٨٩.«ع»

ابن الشريف جواد بن الشريف الرضا بن الحسن زين العابدين بن محمّد بن زين العابدين بن عليّ نور الدين.

ومنهم: الشريف طلال المولود سنة ١٣٥٩، ابن الشريف المهذّب السيّد عبدالله المولود سنة ١٣٢٦،[1] ابن الشريف مصطفى المتوفّى في جبع سنة ١٣٣٤، ابن الشريف إبراهيم بن الشريف الجواد بن الشريف الرضا المتوفّى في جبع سنة ١٢٤٠[(١)]، ابن الشريف حسن بن الشريف زين العابدين الثاني بن محمّد بن زين العابدين بن عليّ نور الدين.

سادة ليس فيهم إلّا عالي الذروة، سَنيّ الشرف، ذو حسب نُضار[(٢)]، ونسب تغشى جلالته الأبصار ـ رضي الله عنهم ورضوا عنه ـ كما جعلهم من ذؤابة هاشم، وأرومة عليّ وفاطم.



(١) وللرضا هذا ولد من النبلاء هو السيّد أمين، وللسيّد أمين ولد بار تقيّ ورع فاضل يعدّ في الطبقة الأُولى من عدول المؤمنين، ويدعى السيّد محمّد أمين، وكان من أهل الأخلاق والاعتدال للغاية، مغرماً بحجّ بيت الله الحرام وزيارة مشاهد آبائه الميامين، جاور بيت الله الحرام حولاً كاملاً من الحجّة إلى الحجّة.

(٢) أي كالذهب الخالص[2].

١. توفّي عليه الرحمة في ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٤٠٨. «ع»

٢. راجع الصحاح ٢: ٨٣٠. «ن. ض. ر».

المقصد الثالث
في ذكر أعمام شرف الدين

وهم أربعة: جمال الدين، وحيدر، وأبوالحسن، وعليّ، فهنا أربعة فروع:

الفرع الأوّل: الشريف السيّد جمال الدين بن عليّ نور الدين بن نور الدين بن عليّ آل أبي الحسن.

كان مقدّماً في العلوم الإسلاميّة، وله القدح المعلّى في كثير من الفنون، قرأ على أبيه، وعلى جماعة من أعلام العلماء، وروى عن أبيه وعن جدّه لأمّه الشيخ نجيب الدين. وأتى دمشق فأقام مدّةً، كان يختلف فيها إلى مجلس العلّامة السيّد محمّد بن حمزة نقيب الأشراف[1]، فأخذ عنه غرر الفضل وحجوله، واختصّه النقيب ابن حمزة بمودّته، وآثره بمصاهرته، فولد له من كريمة النقيب غلام أسماه عليّاً، وكان مباركاً. وله ذرّيّة لا تزال طيّبةً نابهةً في دمشق، تعرف بآل جمال الدين إلى يومنا هذا، كما سأتلوه عليك قريباً[2] إن شاء الله تعالى.

واختار السيّد جمال الدين السياحة، فافتتحها بحجّ بيت الله الحرام، وذلك في سنة ألف وستّين، وكان أبوه قد استوطن مكّة من ذي قبل، فجدّد العهد بخدمته مدّةً، ثمّ

---

١. هو محمّد بن كمال الدين بن محمّد الحسيني من آل حمزة نقيب الشام وصدرها في عصره، كان شاعراً فاضلاً، له علم بالحديث والأدب، وفقه الحنفيّة، ولد في دمشق سنة ١٠٢٤ وتوفّي فيها سنة ١٠٨٥هـ. انتهى ملخّصاً عن الأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٥، «ع»

٢. يأتي في ص ٤٧ ومابعدها.

ارتحل إلى اليمن أيّام الإمام أحمد بن الحسن[1]، فعرف قدره واستعظم أمره، ثمّ تشرّف بمشهد الإمام الرضا عليه السلام في خراسان.

ثمّ ارتحل إلى الهند فأتى حيدر آباد، وملكها يومئذ أبو الحسن عبدالله قطب شاه، فأحلّه دار ضيافته. وما إن سبر غوره، حتّى رغب إليه في أن يستوطن حيدر آباد؛ لاحتياج الإماميّة في تلك الديار يومئذ إليه. فأجابه السيّد إلى ذلك، وصغى إليه الملك بودّه، وآثره بإعزازه، فرسخت بينهما قواعد الإخلاص، وتوثّقت أسباب الولاء.

وكان ذلك الملك من أفراد الدنيا وفور كرم، وميلاً إلى العلم وأهله، وإخلاصاً لأهل البيت وذرّيّتهم، فأقام السيّد في حيدر آباد أعزّ مقام، حتّى طرقت أبا الحسن النكبات، من قِبل السلطان محي الدين محمّد المعروف باورنك زيب[2]؛ إذ قبض عليه وحبسه، وذلك مفتتح سنة ألف وثلاث وثمانين.

فانقلب الدهر على السيّد فبقي في حيدر آباد، وقد ذهب أنسه إلى أن قضى نحبه فيها سنة ألف وثمان وتسعين، ألحقه الله بمنازل المقرّبين.

وقد ذكره البستاني[3] في ص ٤٦١ من المجلّد الحادي عشر من دائرة المعارف، فأثنى عليه، وأرّخ وفاته بالتأريخين الهجري والميلادي، فكان الهجري كما قلنا،

---

١. هو أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمّد من نسل الهادي إلى الحقّ، إمام زيدي يلقّب بالمهديّ لدين الله. ولد سنة ١٠٢٩، وكان غزير العلم، قال الشوكاني: هو من أعظم الأئمّة المجاهدين، وقال العرشي: كان أشجع أهل زمانه حتّى سمّوه: سيل الليل، توفّي سنة ١٠٩٢. انتهى. ملخّصاً عن الأعلام للزركلي ج ١ ص ١١٢. «ع»

٢. من أباطرة الدولة المغوليّة الإسلاميّة في الهند، ولد عام ١٠٢٧، خاض حروباً أهليّة مع إخوته كما قضى على ثورات الأمراء الهندوك حتّى استتبّ له الأمر عام ١٠٧٩، وواصل فتوحاته شرقاً في أسام والبنغال كما ضمّ بيجابور وكلكنده ومنع اعتناق المذهب الشيعي في بلاده، توفّي بمدينة أحمد نُكُر. عام ١١١٨. انتهى. عن القاموس الإسلامي ج ١ ص ٤٠. «ع»

٣. هو بطرس بن بولس بن عبدالله البستاني صاحب دائرة المعارف العربيّة، ومحيط المحيط في اللغة. عالم واسع الاطّلاع. ولد في الدبيّة من قرى لبنان سنة ١٢٣٤، وتوفّي في بيروت سنة ١٣٠١. انتهى ملخّصاً عن الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٥٨. «ع»

والميلادي كان سنة ألف وستّمائة وسبع وثمانين.

وذكره معاصره الحرّ في أمل الآمل فقال:

السيّد جمال الدين بن السيّد نور الدين عليّ بن عليّ بن أبي الحسن الموسوي الجبعي، عالم فاضل محقّق مدقّق، ماهر أديب شاعر، كان شريكنا في الدرس عند جماعة من مشايخنا، سافر إلى مكّة وجاور بها، ثمّ إلى مشهد الرضا، ثمّ إلى حيدر آباد، وهو الآن ساكن بها ومرجع فضلائها وأكابرها.

قال: وله شعر كثير من معمّيات(١) وغيرها. وله حواش و فوائده كثيرة. ومن شعره قوله:

قــد نــالني فـرط التـعبْ ... وحــالتي مــن العــجبْ
فــمن أليـم الوجـد فـي ... جــوانــحي نــار تشبْ
ودمــع عـيني قـد جـرى ... عــلى الخـدود وانسكبْ
وبـان عـن عـيني الحـمى ... واستحكمت أيدي النوبْ[1]

(١) قلت: فمنه قوله ملغزاً في الربع المجيب:

ألاَ أيّهـا الغادي على ظهر أجـردِ ... يـقدّ الفـيافي فـدفداً بـعد فـدفدِ
تحـمّل هـداك الله منّي رسـالةً ... لتُـبلغها أهـل المـدارس في غـدِ
وقل لهـم مـا ستّة جمـعت مـعاً ... وما تسـعة في فـرد جـلد مـقلّدِ
حوائجهم ستّون في وجـه واحـد ... وأعينهم تسعون في حلق هـدهدِ
وأسماؤهم حرفان من اسم جعفر ... وحرفان من اسمـي عـليّ وأحمـدِ

قال في نزهة الجليس[2]: رأيت جواب هذا اللغز للشيخ عبد الكريم الشامي الصفدي[3] المكّي في نحو ثلاثة أوراق. وله ـ أعلى الله مقامه ـ ملغزاً في مدينة طوس على مشرفها السلام. ←

١. أمل الآمل ١: ٤٥ـ٤٦، الرقم ٤٠.
٢. نزهة الجليس ١: ٨٥ـ٢٨٦.
٣. الصَفَد: مدينة في جبال عاملة المطلّة على حمّص بالشام وهي من جبال لبنان، كما في معجم البلدان ٣: ٤١٢. ومدينة من بلاد فلسطين في الأرض المقدّسة إحدى مدن اليهود الأربع المشهورة التي هي: أورشليم، وصفد، وحبرون، وطبريّة، كما في دائرة المعارف للبستاني ١٠: ٧٢٧.

[قال][1]: وقوله من أبيات كتب بها إليّ:

سلام كمثل الشمس في رونق الضحى يـؤمّ عـلاكـم فـي مـغيب ومـطلعِ
فأوّله نـــور لديكـــم مشـــعشع وآخـــره نـــار بـقلبي وأضـــلعي
سـري وهـو ظـمآن لعذب حـديثكم ولكـــنّه ريّـان مـن فـيض أدمـعي

قال الحرّ ﷺ وقد كتبت إليه مكاتبةً منظومةً اثنين وأربعين بيتاً أذكر منها أبياتاً:

ســـلام وإكـرام وأزكـى تـحيّةٌ تَـــعطُر أســماعٌ بـهنّ وأفـــواهُ
وأثـــنيةٌ مســتحسنات بـليغةٌ تَـطابَق فيها اللـفظ حسـناً ومـعناهُ
وأشــرف تـعظيم يـليق بأشـرف الـ ـكرام وأحلى الوصف مـنه وأعـلاهُ
أُقـــبّل أرضاً شـــرّفتها نـــعاله وأبدي[2] بجهدي كلّ مـا قـد ذكـرناهُ
من المشهد الأقصى الذي من ثوى به يـنل فـي حـماه كـل مـا يـتمنّاهُ
إلى مـــاجدٍ تـعنو الأنـام بـبابه فـتدرك أدنى العزّ مـنه وأقـصاهُ[3]

→ ألا يـا أخـي سمّ لي بـلدة بها من أحبّ ومـن أطـلبُ
أشـدّ الرحـال إلى نحـوها وفـيها لكـلّ فـتىً مأربُ
إذا ما قـلبت حـروف اسمها وجدت اسم شيء به يضربُ
ومـن عـجب أنّـه مـفرد وجمـع لشيء بـه يـشربُ
وثـــلثاه ربـــع لثـلث له ويـظهر هـذا لمـن يحسبُ
فأسرع فـديتك في حـلّه فـإنّي بأوصـافه مـعربُ[4]

وله ألغاز أخر نظماً ونثراً يطول المقام بذكرها، وقد ذكر ابن أخيه العبّاس جملةً منها في نزهته[5].

---

١. أي الحرّ العاملي ﷺ صاحب أمل الآمل.
٢. في المصدر: «وأهدي».
٣. في المصدر بعد هذا البيت جاء هكذا:

وأضـحى مـلاذاً للأنـام ومـلجأ يخوضون في تعريفه كلّما فـاهوا

٤. نزهة الجليس ١: ٨٥.
٥. المصدر: ٨٢ ـ ٩١.

فتىً في يديه اليمن واليسر للورى ... فـللـيمن يـمناه ولـلـيسر يسراهُ
جناب الأمير الأمجد الندب سيّدي ... جـمـال العُـلـي والديـن أيّـده اللهُ
وبـعد فـإن العـبد ينهي صـبابةً ... تناهت ووجـداً ليس يـدرك أدنـاهُ
وإنّا وإن شطّت بكـم غـربة النوى ... لنـحفظ عـهد الودّ مـنكم ونـرعاهُ
وقد جاءني مـنكم كـتاب مـهذّب ... فـبدّل هـمّي بـالمسرّة مـرآهُ

إلى أن يقول في آخرها:

إليكم تحيّات أتت مـن عُـبيدكم ... مـحمّد الحـرّ الذي أنت مـولاهُ
وفـي صـفر تأريـخه عـام سـتّةٍ ... وسبعين بعد الألف بالخير عقباهُ[١]

وحسبك هذا في علوّ مكانة السيّد وقدسي شخصيّته، فإنّ أمثال الحرّ من الصدّيقين لا يضع ثناءه وتواضعه إلّا في محلّها ابتغاءً لمرضاة الله ورسوله والمؤمنين، على أنّه ـ أعلى الله مقامه ـ لم يكتف بمجرّد هذا الثناء والتواضع ـ وإن بلغ فيهما الغاية ـ حتّى سجّلهما في كتابه الخالد أمل الآمل يتلوهما من جاء بعده من العلماء والأدباء، وما كان الحرّ من الشعراء يتّبعهم الغاوون، وإنّما هو من حجج المحدّثين، وأثبات أهل الدين، يتّبعهم المؤمنون، ويهتدي بهم الضالّون. وإنّ رجلاً يسجّل الحرّ[٢] الصدوق على نفسه أنّه عبده وعُبيده، وأنّه يقبّل أرضاً شرّفتها نعاله لرفيع المنزلة، جليل القدر، عظيم الشأن، وإن غمطه حقّه بعض الغامطين.

وذكره ابن أخيه الشريف عبّاس (١) بن عليّ، فقال فيه:

فاضل له في سائر العلوم الباع الأطول، وهمام عليه في كلّ المهمّات المعوّل.

إن تكلّم في سائر العلوم شنّف بلذيذ كلامه المسامع وأحيا القلوب، أو لفظ إلى ساحله

---

(١) إذ ترجمه في ص ٥١ وما بعدها من الجزء الأوّل من رحلته نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس[٣].

---

١. أمل الآمل ١: ٤٧ ـ ٤٩.

٢. في المخطوط: «للحرّ».

٣. نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس ١: ٧٨ ـ ٧٩.

جواهر الألفاظ شهد له بأنّه بحر البلاغة الجوهري وأقرّ له ابن يعقوب.

وأمّا في النظم والنثر، فإليه يشير بالأكفّ بلغاء العصر، تغرّب ﷺ عن وطنه مكّة المشرّفة إلى الهند، حيث لا ليلى ولا سعاد ولا هند.

يقول الهاشميّ غداة جزنا بحار الهند نقطع كلّ وهد

أأسلو عن هوى أثلات نجد وأين الهند من أثلات نجدِ

ثمّ إنّه أقام بالدكن،[١] واختارها مقرّاً وسكن،[٢] وما زال مقيماً بعزّ وسؤدد وجاه، ومكان مكين في جانب سلطانها أبي الحسن قطب شاه، يقصده العفاة من كلّ مكان، فيعمّهم بالفضل والإحسان، كأنّه في عصره سليمان، وما برح في دولة ورئاسة وإكرام، وكرم يخجل قطر الغمام، إلى أن دعاه إلى قربه ربّ العباد، فنقله إلى جنّة الخلد من حيدرآباد، قدّس الله روحه الطاهرة، وأفاض عليه شآبيب رحمات متواترة، ـ قال: ـ وله النظم الجيّد الفريد، الفائق على نظم جرير ولبيد، فمن كلامه اللطيف، ونظمه الرائق الظريف، قوله متغزّلاً على رويّ قصيدة الفاضل العلّامة، والحبر الفهّامة الشيخ بهاءالدين (١) أحلّه الله دار المقامة، ومطلعها:

[يا نديمي بمهجتي أفديكْ قم وهات الكؤوس من هاتيكْ]

أسقنيها ممزوجة من فيكْ بالذي أودع المحاسن فيكْ

(١) أوّل من نظم على هذا الرويّ والقافية الإمام الأوحد الشيخ حسين بن عبد الصمد حيث يقول:

فاح نشر الصبا وصاح الديكْ فانتبه وانف عنك ما ينفيكْ

إلى آخر القصيدة.

فنسج ولده الشيخ البهائي على منواله فنظم قصيدته المعروفة[٣]، ثمّ تسابقت بعده فرسان ←

١. الدكن: وحدةٌ جغرافيّة تشمل الإقليم الجنوبي لشبه الجزيرة الهنديّة. راجع القاموس الإسلامي ٢: ٣٧٨.

٢. هكذا في الأصل والمصدر؛ لرعاية السجع بين «السكن» و«الدكن».

٣. حكاه عنه ابنه في الكشكول ١: ١٤٧ـ١٤٨.

ثمّ استرسل فيها فأورد منها تسعة عشر بيتاً، وأورد بعدها من نثره غرراً ودرراً، وألغازاً منثورةً ومنظومةً يطول المقام بإيرادها.

وترجمه سيّدنا في تكملة الأمل ص١٢١، والمحدّث البحريني في لؤلؤته [ص٤٢]،

← الأدباء في هذا المضمار، فقال السيّد أحمد بن أبي بكر شيخان:

بزمام الغرام كن نسيكْ إنّما الحبّ لذّة وأبيكْ

إلى آخر القصيدة[1].

وقال أخوه السيّد الشيخان:

فاح عرف الشميم من ناديكْ يا مليحاً على الملاح مليكْ

إلى آخرها.

وقال عمر بن محمّد عليّ بن سليم الوزير:

قسماً بالهوى وما يرضيكْ وبعينيك فتنة النسيكْ

إلى آخرها.

وقال الشيخ إسماعيل الدمشقي:

كلّما لا مني عذولي فيكْ زادني رغبة إلى حبّيكْ

إلى آخرها.

وقال الشيخ عبد اللطيف الفقيه سعيد:

أترى من بقتلي يغريكْ ليت شعري ومن بها يدريكْ

وقال السيّد هاشم الأزراري:

فضّ ختم الدنان من هاتيكْ فعسى عرف خمرنا يشفيكْ

إلى آخرها. ←

---

١. للاطّلاع على القصائد بتمامها راجع نزهة الجليس ١: ٣٨٣ ـ ٣٩٠.

والمحبّي في خلاصة الأثر [١: ٤٩٤ ـ ٤٩٥]، وصاحب نجوم السماء [: ٩٥ ـ ٩٦]، وابن شدقم [في تحفة الأزهار وزلال الأنهار ٣: ١٦٤]، والعلّامة المامقاني في رجاله [تنقيح المقال ٣: ٦٣]، وذكره صاحب روضات الجنّات [٢: ٢١٢ ـ ٢١٣]، أثناء ترجمته للسيّد جمال الدين الجرجاني، وغير واحد من أهل التراجم والمعاجم، وله ترجمة في ج ٥، ص ٢١٧ـ٢١٨ من كتاب أعيان الشيعة، وعدّه من شعراء الشيعة في ص ١٧٧ من المجلّد الأوّل من الأعيان. وترجمه أيضاً في كتاب الغدير ج ١١ ص ٣٤٥ و مابعدها[1].

← وقال الشيخ عليّ الأبيض:

لذّة العيش ظبية تسقيكْ من رضابٍ حبابه يشفيكْ

إلى آخرها.

وقال السيّد عليّ خان بن السيّد أحمد معصوم:

كوكب الصبح قد بدا يحكيكْ فامزج الكأس يارشأ من فيكْ

بادر الصبح بالصبوح فقد فاح نشر الصبا وصاح الديكْ

إلى آخرها.

وقال الشريف عبّاس صاحب نزهة الجليس[2]:

لست أسلو هواك لا وأبيكْ يا حبيبي وطرفك ألفتيكْ

إلى آخرها. وقال والده العلّامة السيّد عليّ:

من لصبٍّ قضى غراماً فيكْ يا غزالاً بالحسن صار مليكْ

إلى آخرها[3]. وستسمعها في ترجمته[4].

---

١. وترجمه أيضاً في الروضة النضرة: ١٢٢.

٢. نزهة الجليس ١: ٣٩٢.

٣. حكاه عن والده السيّد عبّاس في نزهة الجليس ١: ٣٩١.

٤. سيأتي في ص ٦٠.

عقبه

له عقب في دمشق[1] باسق الشرف، باذخ الحسب، عالي المجد، سامي الذروة، لا يزال يضاف إليه حتّى اليوم.

وقد كان أعلى الله مقامه ـ قبل سياحته التي انتهت به إلى الهند ـ قد تأهّل في دمشق بكريمة العلّامة ابن حمزة نقيب السادة في سوريّا فأولدها غلاماً أسماه عليّاً، كما علمت.

فعليّ بن جمال الدين كريم النبعتين، شريف الطرفين، وله مع ذلك حسب يعلو جناح النسر، ومجد يزاحم منكب الجوزاء.

وكان سديد المنهج، واضح المعالم، قد طبع على غرار آبائه، ونسج على منوالهم، وكان معدوداً من خواصّ أهل الفضل والأدب، بارعاً في ضروب الإنشاء، يصبو إلى شريف المطالب، وتسمو به نفسه إلى معالي الأمور، وبهذا كان له الموقع الجليل في نفوس الخاصّة والعامّة من أهل الشام وما زال مقدَّماً عندهم، عزيز الجانب لديهم، حتّى قضى نحبه في دمشق سنة ١١١٩.

وأعقب من ولده الأمجد السيّد الشريف محمّد. وقد كان ـ محمّد بن عليّ بن جمال الدين ـ على هدى أبيه وسمته، ظاهر السيادة باهر الجلالة نابه الذكر في دمشق.

له عقب من ولده السيّد الشريف موسى الطائر الصيت في كرمه وشممه الهاشميّين.

---

(١) ولعلّ له في الهند عقباً؛ إذ استوطن حيدر آباد وفيها قضى نحبه، وكانت إقامته ثمّة تربو على الثلاثين سنة.

ذكره معاصره الشيخ سعيد الحرّ(١) في كتابه مهذّب الأقوال فقال:

كان عالماً فاضلاً ورعاً، محققاً مدقّقاً، أديباً متفنّناً منشئاً، عارفاً بالتواريخ والنكت الأدبيّة، قطن دمشق الشام وعمّر ما يقرب من مائة عام، وكفّ بصره، وتوفّي بها سنة ١٢٤٠. انتهى.

قلت: وكان ـ قدّس الله نفسه ـ ذا نفس تتسوّر به شرفات، وتتوقّل به أرفع الدرجات.

وحسبك يده الغرّاء مع أعرف معاصريه من فحول العلماء والأُدباء شيخنا الشيخ إبراهيم بن الشيخ يحيى(٢) بن الشيخ محمّد بن الشيخ سليمان العاملي الطيّبي حين كان مشرّداً من الجزّار[١] سنة ١١٩٥، فأحلّه السيّد أكناف الدعة من رحابه، وضرب عليه سرادق العزّ من قبابه، فإذا هو في أرغد عيش وأنعم حال(٣)، وقد أعطانا

(١) ابن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن الحسن بن محمّد بن عليّ بن محمّد بن الحسن[٢] الحرّ صاحب مهذّب الأقوال في وفيات الرجال، المولود سنة ١٢٢٩ في النبيّ شيث من بلاد بعلبك، والمتوفّى في إيابه من الحجاز في الطريق سنة ١٢٦٩.

(٢) المولود في بلدة الطيّبة[٣] سنة ١١٥٤، والمتوفّى في دمشق سنة ١٢١٤.

(٣) وكان قبل ذلك قد هرب من البلاد إلى بعلبك فيمن شرّدهم الجزّار من العلماء والزعماء، وقد لقي الشيخ في الطريق شدّةً عظيمةً قاسى فيها من الجوع والخوف ما كاد يودي به. ولمّا أتى بعلبك لم تطمئنّ به الدار، ولا وجد فيها ما يتناسب مع كرامته، يفهم ذلك من ←

١. الجزّار: لقب أحمد باشا البشناقي. والي «عكّا» في أواخر القرن الثامن عشر، هرب من بلاده فآل به الأمر إلى أن اتّصل إلى مصر، فدخل في سلك المماليك، وجعل الزمان يساعده فارتقى من منصب إلى منصب حتّى صار والي البحيرة في مصر السفلى، وتولّى قيادة جيش لمحاربة العرب الخارجين حينئذ على الدولة، فظفر بهم وغدر برؤسائهم فذبح منهم جماعةً ذبحاً ذريعاً، ومن ثمّ لقّب بـ«الجزّار». راجع دائرة المعارف للبستاني ٦: ٤٥٧ ـ ٤٥٨.

٢. في «أ»: الحسين.

٣. الطيّبة: قرية من قرى جبل عامل. راجع: أعيان الشيعة ٢: ١٤٤؛ ماضي النجف وحاضرها ٣: ٥٣٦، التعليقة ٢.

الشيخ ـ وهو الصدوق المقدّس ـ صورةً واضحةً عن سمُوّ مقام هذا السيّد الجليل بما مثّله في مدحه إيّاه، من فضل غزير، وأدب جمّ، وعبقريّة فذّة.

وحسبك قوله ـ أعلى الله مقامه ـ في شكوى الزمان، متخلّصاً إلى مدح السيّد صاحب العنوان وآبائه المعصومين عليهم السلام:

تـذكّرت ـ والأيّـام جمّ التـذكّر ـ مسـرّة أيّـام مـضين وأعـصرِ
إذ الدهـر سـمح والشـبيبة عـودها رطـيب وصـفو العـيش لم يـتكدّرِ
نـدير كـؤوس الودّ تـطفح بـالصفا ونأوي إلى روض من العيش أخضرِ
منـازلنا مأوى الغـريب وظـلّنا تـرفّ حـواشـيه عـلى كـلّ مـصحرِ
وأكـنافنا مـخضلّة وأكـفّنا تـفيض عـلى مُـثرٍ لديـنا ومـعسرِ
وجار سوانا في الحـضيض وجـارنا مـنصّته فـوق السـحاب المسـخّرِ
وتشـرق إشـراق الصـباح وجـوهنا إذا مـا دجـا فـي مأزقٍ ليـلُ عـثيرِ
ولمّـا طـغى فـي عـامل كـلّ عـامل وغـطّى عـلى مـعروفها كـلّ مـنكرِ
تـداركـني والحـمد لله لطـفه فأنقذني ـ والجور كـالأسد الجـري ـ
وقـرّبني مـن خـير دار ومـعشر وأبـعدني عـن شـرّ دار ومـعشرِ

ـ قصيدته العصماء اللاميّة، وهي تربو على مائة بيت، شكا فيها ضرّه ومحنته في تشريده، متذمّراً من سوء حاله في بعلبك، ومتشوّقاً إلى وطنه وأهليه، ومادحاً بعض الأشراف العلوانيين، متخلّصاً إلى مدح أهل البيت عليهم السلام.

وهنا برهن على إخلاصه في ولائهم، جرياً على عادته المستمرّة في قريظه.

وحيث لم يطمئنّ في بعلبك أتى دمشق، فارتاح إلى السيّد موسى جمال الدين وأسرته، وله ألوان من شكوى الزمان وما مني به من المحن في تلك الفتن، طفحت بها غُرر قصائده، ودرر فرائده، وهي مأثورة مشهورة لا يسعها هذا المقام، وسنستطرد ـ بعون الله تعالى ـ شيئاً منها في أحوال السيّد صالح شرف الدين[1].

١. يأتي في ص ١٢٧ ومابعدها.

نـــزلت بآل المـصطفى فـوجدتهم مآلاً لمـلهوف ومــالاً لمـعسرِ
وجــوه كـإيماض البـروق تـهلّلاً وأيــدٍ كشـؤبوب الغـمام الكـنهورِ
جـــزى الله عـنّي والجـزاء بـفضله حليف الندى موسى بن موسى بن جعفرٍ[1]
جـمال بـني الأيّـام وابـن جـمالها وأكــرم فـرع لفّـه خـير عـنصرِ
لقـد أنـجبت فـي النـاس أمّ أتت بـه كـما أنجبت فـي الخـيل أمّ المشـهَّرِ
فـتىً طـاب فـي جـهر وسرّ وداده وصـحّ هـواه فـي مـغيب ومـحضرِ
وأثــمر غـرس الودّ بـيني وبـينه ولا خـير فـي ودّ امرئ غـير مـثمرِ
سأشكـر فـضلاً مـنه طـالت فـروعه لديّ ومـن يـستوجب الشكـر يشكـرِ
(ولا خـير فـي ودّ امـرئ مـتلوّن) يـبيع مـودّات الرجـال ويشـتري
أخ مـاجد جـرّبته فـوجدته يـزيد صـفاء فـي الزمـان المكـدّرِ
لقـد طـاب أعـراقاً فـطاب وكـيف لا ومـنبته بـين البـتول وحـيدرِ
له نسب يـطوى عـلى خـير عـصبة مـفاخرها تـتلى عـلى كـلّ مـنبرِ
فـمن مـرسل يـوحى إليـه وحـجّة عـلى الخـلق طـرّاً مـن مـقرّ ومـنكرِ
شـباب وشـيب لو نـظرت إليـهم نـظرت إلى وجـه مـن الصبح مـسفرِ
وآسـاد غـيل يـعذب المـوت فـيهم إذا وردوه فـوق وردٍ وأشـقرِ
يشـقّ عـليهم أن يـموت فـتاهم طـريحاً عـلى غـير الوشـيج المكسـرِ
هم العروة الوثـقى وهـم أنـجم الهـدى وعـيبة أسـرار الكـتاب المسـطّرِ
مـلوك تـرى الأمـلاك بـين مـقبّل تـرى ذلك المـغنى وبـين مـعفّرِ
لهـم جـيد مـجد لا يـحيط بـه الثـنا ومـن يـبغ تـعداد النـجوم يـقصّرِ
وعـفت الورى لمّـا عـلقت بـحبّهم وفي الشمس ما يـغنيك عـن كـلّ نـيّرِ
سأنـفر، والله المـعين، إليـهم بـزيّافة مـثل الظـليم المـنفّرِ
واطـرح رحـلي فـي فسيح جـنابهم فقد ضاق وردي في البـلاد ومـصدري
وألتـزم الركـن العـراقيّ نـازلاً من الحـرم القـدسي فـي خـير مشـعرِ

---

١. راجع أعيان الشيعة ٢: ٢٤٧.

وأرفـــع صـوتي بـالتحيّة قـائلاً: عـليك سلام الله يـا سـاكـن الغـري
بني المصطفى يا روضـة الشـرف التـي تـــرعرع فـيها كـلّ هـاد ومـنذرِ
لعـــدلكم أشكـــو الزمـان فـإنّه ألحّ بأنـــياب عـلـيّ وأظــفرِ
شـريداً فـريداً فـي الشآم مـقلقلاً كأنّـي بـها ثـاو عـلى روق أعـفرِ(١)
ثـــلاثة أعـــوام أكـابد ضـيمها صـبوراً عـلى مـثل الشـراب المـصبّرِ
وحســبي سـروراً أنّـني لوليّكـم وليّ، وأنّـي مـن عـدوّكـم بـري
وكـم مـن يـد عـندي لكـم لا أبـيعها وإن نـضّ فـيها مـالَ قـارون مشـتري
وإن كـان لي ذنب كـبير فـحبّكم زعـيم بـرضوان مـن الله أكـبرِ
خدمت عـلاكـم بـالقوافـي ومـجدكم وذلك عـزّي كـلّ حـين ومـفخري
وتـاجرت فـيكم بـالثناء وإنّـني عـلى ثـقة أن يـربح اليـوم متجري

وقوله من قصيدة عصماء(٢):

ومنهم شقيق الروح موسي ومن به نجوت بـحمد الله مـن شـدّة البـلوى
فتىً صاغه الباري من الجود والندى فلا غـرو أن بـذّ السـحائب لا غـروا
حليف هدىً لم يخطُ يوماً إلى الخطا ولا عضّت الفحشاء من عرضه عضوا
جـرى للـعلى مـجرى أبـيه وعـمّه ثـلاثة أقـمار تـقاسمت الأضـوا
نـظرت إلى أهـل الشآم فـلم أجـد لهم بـين أهـل الشـام نـدّاً ولا كـفوا
فأصـبحت مـعمور الفـؤاد بـحبّهم ولولا هواهم كان من سـاكـن خِـلوا

---

(١) أي قرن غزال[١].

(٢) تبلغ أربعةً وأربعين بيتاً أنشأها في الشام أيّام تشريده، وقد وقع الطاعون ثمّة فتفرّق عنه أصحابه ومنهم السيّد موسى جمال الدين، فأرسلها إليه وذلك سنة ١٢٠٧.

---

١. الرّوق: القرن من كلّ ذي قرن. والأعفر من الظباء: الذي تعلو بياضه حمرة. راجع لسان العرب ١٠: ١٣١، «ر.و.ق»، و٤: ٥٨٤، «ع.ف.ر».

وقوله:

وكم عندي لموسى وابن موسى ... يد بيضاء سامية الأسامي
فتى جمع المكارم فهي منه ... مكان الدرّ من سلك النظامِ
فمن جود كجود البحر طامي ... تُبلّ به حشاشة كلّ ظامي
ومن رأي سديد ليس يخطي ... رميّته على بعد المرامِ
ومن علم غزير سار منه ... علىٰ آثار آباء كرامِ
ومن نسب يزرّ على جدود ... همام أو نبيّ أو إمامِ
وثمّ مكارم لو رمت حصراً ... لهنّ لضاق متّسع الكلامِ
من القوم الأولى شاعت وذاعت ... بواهر فضلهم بين الأنامِ
وهل تخفى فضائلهم ومنهم ... رسول الله مصباح الظلامِ
ومنهم صنوه المولى عليّ ... أبو السبطين والليث المحامي
ومنهم أولياء الله حقّاً

إلى آخر القصيدة.

وقوله من قصيدة بعثها إليه:

عليك سلام الله يا سبط أحمد ... ويا خير من يُعزى إلى خير محتدِ
ولا زالت الأيّام يا ابن جمالها ... تروح عليكم بالسرور وتغتدي
تحيّة مقصور المودّة والولا ... عليك وإن تستشهد القلب يشهدِ
تنازعني نفسي إليك تشوّقاً ... كما نزع الصادي إلى خير موردِ
ويطربني ذكراك حتّى كأنّني ... شربت ـ ولم أشرب ـ على لحن معبدِ
وما ضرّني أن ماكس الدهر بالندى ... إذا نظرت عيني إلى وجهك الندي
وأنت الربيع الطلق في كلّ وجهة ... وأنت الحيا المنهل في كلّ فدفدِ
وأنت الذي عاينت فيه شمائلاً ... عرفت بها عرف النبيّ محمّدِ
لك النسب الوضاح يزداد رونقاً ... وإن طال عهد كالحسام المهنّدِ
حوى الشمس والبدر المنير كما حوى ... نجوم الدياجي فرقداً بعد فرقدِ
هم القوم شبّ الدين في حجراتهم ... وخيّم فيهم كلّ مجد وسؤددِ

مـلوك لهـم ألقـى الزمـان قـياده ... ولا عـجب أن دان عـبد لسـيّدِ
وآساد غـيل يـعذب المـوت عـندهم ... كما عذب السلسال للحائم الصدي
إذا وهـبوا لم تـلق غـير مـملّك ... وإن غـضبوا لم تـلق غـير مـصفّدِ
فـضائل تـحكيها البدور ومـن لهـا ... ومـا شـاركتها فـي الكـمال المـؤيّدِ
وحسبك يا موسى بن موسى بن جعفر ... بـهم مـفخراً يـعتوله كـلّ أصـيدِ
أبـوك جـمال الديـن أورثك العـلى ... فـمن يـنتحلها غـيرك اليـوم يـطردِ
لقـد ظـفرت مـنك الشآم بـماجد ... إذا هـم بـالمعروف لم يـتردّدِ
أبـثّك يـا فـرع النـبوّة أنّـني ... وهـي جَـلّدي مـن بـعدكم وتـجلّدي
وقـد كـان وعـد مـنك أومـض بـاللقا ... فـنحن نُـرَجّي الريَّ فـي اليـوم والغـدِ
فلاتبخلنّ ـ حاشا لك البخل ـ بالمنى ... وقـم ـ غـير مأمور بـدرك ـ واقـعدِ
فـلا تـنطفي إلّا بـقربك لوعـة ... تَـوقّدُ فـي الأحشـاء أيّ تـوقّدِ
ولي أمـل أن يـجمع الله شـملنا ... على خير ما نـرجـوه فـي خـير مـقعدِ
لدى «جـبع» الغـراء حـيث تنافست ... بـنو المـجد فـي كسب الثـناء المـخلّدِ
وحـيث عـيون المكـرمات تـفجّرت ... عـلى رائـح يشكـو الظـماء ومـغتدي
وحـيث الهـدى والديـن شـدّ نـطاقه ... عـلى كـلّ ـ حـرّ ـ بـالفضائل مـرتدي
وحيث الرياض الخضر يبكي بها الحيا ... فـتضحك عـن مـثل الجـمان المـنضّدِ
وحـيث لجـين المـاء يـجري وفـوقه ... من الدوح أزهـى خـيمة مـن زبـرجـدِ
مـنازل أحـباب ودار مسـرّة ... ومـطمح آمـال وغـاية مـقصدِ
سـقى الله هـاتيك البـلاد وأهـلها ... مـلثّ الغـوادي مـن لجـين وعسـجدِ
وأطـلع فـي آفـاقها أنـجم الهـدى ... وطهرها مـن كـلّ رجـس ومـعتدي[1]
وردّ إلى أوطـانه كـلّ شـاسع[2] ... يكـابد ذلّاً بـعد عـزّ مـوطّدِ

(١) أراد بالرجس المعتدي أحمد الجزّار والطواغيت من أعوانه ومقوية سلطانه.

(٢) وكان الشيخ من المشرّدين الشاسعين ولقد لقي عنتاً لولا بنو عمّنا الأشراف في دمشق وفي طليعتهم السيّد موسى جمال الدين.

فــقد عـيل صـبر الصـابرين ومـزّقت … يــد الجــور جــلد الصـابر المـتجلّدِ
ودونكـــها يـــا ابــن النـبيّ فـريدةً … تــــزفّ إلى مـــوليّ بــعلياه مــفردِ
ولا زلت في روض من الفضل يحتوي … عـــلى كـــلّ طـــير بـــالثناء مـغرّدِ[١]

وقد أعقب موسى بن محمّد بن عليّ بن جمال الدين من الشريف عـليّ، وكـان عليّ هذا من أجلّاء الأشراف في دمشق، وعقبه من ولديـه السـيّد درويش أفـندي، والسيّد حسني.

أمّا السيّد درويش فقد كان من السراة العباقرة، ذا جاه ومنزلة لدى الخاصّة والعامّة، وقد تولّى منصب القضاء على عهد السلطان عبدالحميد[٢] في أماكن مـتعدّدة، فكـان محمود السيرة، توفّي سنة ١٣٣٧هـ.

وأعقب من ولديه السيّد عليّ(١)، والسيّد محمود(٢).

وأمّا السيّد حسني بن عليّ بن السـيّد مـوسى جـمال الديـن فأعـقب مـن ولده الشريف محمّد.

ولمحمّد هذا ثلاثة أولاد: محمّد سعيد(٣)، وحسين، ومحمّد.

---

(١) لعليّ هذا ولدان، أحدهما أبو الهدى، والثاني نور الدين.

(٢) ولمحمود هذا خمسة أولاد: درويش، ومنير، وسليم، وسامي، وسمير.

(٣) نعرف لمحمّد سعيد هذا ولدين أحدهما: رضا المولود سنة ١٣١٦، والموجود الآن في عمّان لدى جلالة الملك عبدالله بن الحسين، وهو أمين سرّ البلاط الملكي، وللرضا هذا ولد اسمه سعيد، والثاني ـ من أولاد محمّد سعيد اسمه ـ: يوسف[٣].

---

١. أعيان الشيعة ٢: ٢٤٤. قريب من عشرين بيتاً من الأبيات الأخيرة موجودة فيه.

٢. عبد الحميد: هو الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانيّة، وهو عبد الحميد الثاني بن السلطان عبد المجيد بن محمود الثاني بن عبد الحميد الأوّل. ولد بأسطنبول في ١٦ أو ١٧ شعبان ١٢٥٨هـ، وتولّى الملك في ١٦ أو ١٨ شعبان ١٢٩٣. راجع: دائرة المعارف للبستاني ١١: ٥٥٢؛ القاموس الإسلامي ٥: ١٠٨.

٣. وقد توفّي رضا ١٣٩٧. «ع»

الفرع الثاني: الشريف السيّد حيدر بن عليّ نور الدين

كان ـ رحمه الله تعالى ـ عالماً فاضلاً، فقيهاً محدّثاً، حافظاً ضابطاً، ثبتاً صدوقاً، حجّة عظيم الشأن، رفيع المنزلة، يروي عن أبيه وعن جدّه لأُمّه الشيخ نجيب الدين، وله كتاب أسماه الكشكول لم نظفر به، وإنّما رأيت السيّد محمّد شرف الدين الكبير ـ وهو ابن ابن أخيه ـ ينقل عنه في مجموعة له هي عندنا بخطّه الشريف، ومن جملة ما نقله عنه حكاية أبي بكر مع دغفل بن حنظلة النسّابة السدوسي الشيباني(١) ووقفت بعد رجوعي من العراق على هذه الحكاية في الفائدة الثالثة من خاتمة مستدرك الوسائل للمتتبّع الحجّة النوري ينقلها عن كشكول السيّد حيدر[1]، فأسفت على ما فاتني من الوقوف على ذلك حين كنت بخدمة الشيخ في النجف الأشرف، ولو علمت بوجود هذا الكشكول في مكتبته وهو حيّ لأستنسخته، وما أشدّ الأسف واللوعة على تلك المكتبة الحافلة عاثت بها ـ بعد الشيخ ـ صروف الدهر، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

كان السيّد حيدر معاصراً للحرّ العاملي وقد ذكره في أمل الآمل. فقال:

> السيّد حيدر بن السيّد نور الدين عليّ بن عليّ بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي، عالم فاضل فقيه صالح، جليل القدر سكن أصفهان إلى الآن[2].

انتهى.

---

(١) فلتراجع في أحوال دغفل من الاستيعاب[3].

---

١. خاتمة مستدرك الوسائل ٣: ٢٣١ ـ ٢٣٤.
٢. أمل الآمل ١: ٨١، الرقم ٧٨.
٣. الاستيعاب ٢: ٤٦٢، الرقم ٧٠٢.

قلت: وأعقب أربعة أبطال: محمّداً، وكمال الدين، ومرتضى، وعليّاً.

أمّا محمّد فقد ذكره الحرّ في أمل الآمل فقال:

السيّد محمّد بن حيدر بن نورالدين عليّ بن عليّ بن أبي‌الحسن الموسوي العاملي الجبعي، فاضل عالم، مدقّق من المعاصرين، ماهر في أكثر العلوم العقليّات والنقليّات[1]. انتهى.

قلت: نعرف له كتاب بغية الطالب في إيمان أبي طالب، ألّفه بأمر المولى الوالي السيّد عبدالله خان[2] بن المولى الوالي السيّد عليّ خان بن المولى الوالي السيّد خلف المشعشعي الحويزي، ورتّبه على مقدّمة وفصول، وكان الفراغ منه يوم الأربعاء رابع صفر سنة ١٠٩٦، ذكر هذا الكتاب الشيخ محمّد محسن الشهير بآقابزرك الطهراني في ص ١٣٥ من الجزء الثالث من الذريعة وقال:

رأيته بخطّ المولى الشيخ محمّد كاظم الشريف النجفي، كتبه في داره من النجف، وفرغ من كتابته عشيّة الجمعة ١٦ من شهر رجب سنة ١١٦٤، وذكر أنّه يوجد في مكتبة الشيخ محمّد السماوي[3] في النجف الأشرف، وإنّ السيّد حيدر والد السيّد محمّد مؤلّف هذا الكتاب، بقي حيّاً إلى سنة ١٠٩٧.

وله ترجمة في أعيان الشيعة ج ٢٩ ص ٣٤.[4]

---

١. المصدر: ١٦٠، الرقم ١٦٠.

٢. كان ذا عدل وسياسة مكرماً للعلماء وشجاعاً شديداً، تولّى إمارة عربستان بعد وفاة أخيه السيّد حيدر خان، وتوفّي سنة ١٠٩٧. انتهى ملخّصاً عن تأريخ المشعشعين ص ١٦٥ ـ ١٧٩. «ع»

٣. هو الشيخ محمّد بن الشيخ طاهر السماوي. من رجال الأدب، وفي طليعة الشعراء المجيدين، مرجع في اللغة والتأريخ والشعر. له اليد الطولى في نوادر المخطوطات ومعرفة خطوطها. له عدّة مؤلّفات منها: إبصار العين في أنصار الحسين ﷺ، والطليعة من شعراء الشيعة. ولد سنة ١٢٩٢ وتوفّي في النجف الأشرف سنة ١٣٧٠. انتهى. ملخّصاً عن ماضي النجف وحاضرها ج ١ ص ٣٣ ـ ٣٤. «ع»

٤. أعيان الشيعة ٦: ٢٧٣.

ومـمّا يجب أن يعلم: أنّ السيّد محمّد بن السيّد حيدر صاحب العنوان، غير معاصره السيّد محمّد بن السيّد حيدر الموسوي العاملي المكّي المولود سنة ١٠٧١، والمتوفّى بمكّة يوم الاثنين ثاني ذي الحجّة سنة ١١٣٩، فإنّ السيّد محمّد صاحب العنوان من آل نور الدين، والسيّد محمّد بن حيدر الآخر من آل نجم، وهما بطنان من بطون الموسويّين المرتضويّين يلتقيان في عبدالله بن محمّد بن عليّ المعروف بابن الديلميّة كما يعلمه النسّابون(١).

وأمّا كمال الدين فقد كان من العلماء الأجلّاء في أصفهان، ذا شهرة ونباهة فيها، قد اجتمعت القلوب على محبّته، فكان محلّ ثقة الناس، ومستودع أسرارهم وإماناتهم، وذا مشورتهم، وصاحب جماعتهم العظمى في الفرائض[1].

---

(١) وإليك نسب السيّد محمّد النجمي، هو الإمام المحقّق المدقّق في كثير من العلوم العقليّة والنقليّة، محمّد بن عليّ بن حيدر بن محمّد بن نجم ـ المجاز من صاحب المعالم ـ بن محمّد بن محمّد بن [محمّد بن][2] الحسن بن نجم بن حسن بن محمّد بن موسى بن يوسف بن محمّد بن معالي بن عليّ الحائري بن عبدالله، وهو جدّنا الذي نجتمع به مع آل نجم وهو ابن محمّد بن عليّ المعروف بابن الديلميّة، وأصحاب المعاجم ترجموا السيّد محمّد حيدر النجمي فأثنوا عليه ثناءً عظيماً. وذكره السيّد عبّاس في ص ٩٠ من الجزء الأوّل من نزهته[3]. وترجمة ولده السيّد رضي الدين بن السيّد محمّد حيدر في ص ١٢١ من الجزء نفسه[4].

---

١. وقد ترجمه في تكملة أمل الآمل ١: ٣٢٤، وله ترجمة في ج ٩ من أعيان الشيعة ص ٣٣، وهو أبو العالم العامل والفقيه الأُصولي الكامل، السيّد بدر الدين الجليل. «ع»

٢. الزيادة من «أ».

٣. نزهة الجليس ١: ١٤٠.

٤. المصدر: ١٨٦.

وأمّا مرتضى بن حيدر فإنّه ممّن ثنيت له الوسادة في أصفهان وهو أُستاذ المولى أبي الحسن الشيخ عليّ بن أبي طالب الشيرازي، المعروف بـالشيخ حـزين صـاحب تذكرة العلماء، وقد ذكره فيها فقال:

كان من أفاضل الزمن، عالماً بالفقه والحديث وسائر عـلوم الأدب والعـربيّة، شـاعراً منشئاً، كان أُستاذي ربّاني، وعليه تخرّجت[1]. إلى آخر كلامه.

لكنّه ـ رضوان الله عليه ـ ظنّ أنّه من أحفاد صاحب المدارك، والصواب أنّه مـن أحفاد أخيه السيّد علي نور الدين، وذكر أنّه ولد في أصفهان هو وأبوه السيّد حيدر. والصواب أنّ أباه ولد في عاملة وسكن أصفهان.

وقد اجتمع السيّد عبّاس صاحب نزهة الجليس في أصفهان بابن عمّه السيّد مرتضى وبالسيّد بدر الدين بن السيّد كمال الدين سنة ١١٣١ أثناء سياحته، كما نصّ عليه في ص١٤٨ من الجزء الأوّل من نزهة الجليس (١).[2]

(١) إذ قال: واجتمعت بابن عمّي العلّامة السيّد مرتضى، واجتمعت بنجل ابن عمّي العـلّامة السيّد كمال الدين ـ أعني ـ العالم العامل السيّد بدر الدين بن السيّد كـمال الديـن. قـال: واجتمعت بنجل ابن عمّتي العلّامة الشيخ عبد اللطيف. واجتمعت بابن عمّتي العلّامة الشيخ زين الدين، وكان علّامة عصره ووحيد دهره، حاز علماً وعملاً وصلاحاً وتقى ووقاراً وفلاحاً ومجداً وسعداً ونجاحاً، ورئاسةً ودولةً وسماحاً وجـاهاً مكـيناً عـند السـلطان والوزراء والأكابر والأُمراء. ثمّ أورد ستّة أبيات منسوبةً له جيّدة في نظمها فائقة في حكمتها.

ومن هنا علمنا أنّ لنا في أصفهان أرحاماً قبل وجود سيّدنا السيّد صدر الدين فيها، وأنّهم علماء أجلّاء، ولم نتمكّن من معرفة أعقابهم.

١. راجع تذكرة المعاصرين: ١٢٦.

٢. نزهة الجليس ١: ٢٢٩. وللسيّد مرتضى ترجمة في أعيان الشيعة ١٠: ١١٧، وفي تكملة الأمـل: ٣٩٨ وفـي الكواكب المنتثرة ص ٧٢١. «ع»

وأمّا الشريف عليّ بن حيدر فكان عالماً عاملاً، زاهداً عابداً، ناسكاً، عاكفاً على الأوراد والعبادة، صوّاماً قوّاماً، مجاهداً لنفسه، منقطعاً إلى الله تعالى بكلّه، وقد هاجر إليه سبحانه، وجاور بيته الحرام في مكّة المعظّمة حتّى قبضه الله إليه، واختار له ما عنده فيها سنة ألف وتسع وثمانين.

الفرع الثالث: السيّد الجليل المؤتمن الشريف أبو الحسن بن عليّ نور الدين

وأُمّه كريمة الشيخ عبد اللطيف بن عليّ بن أحمد بن أبـي جـامع(١)، فـهو أخـو زين العابدين وجمال الدين وحيدر لأبيهم فقط، وشقيق الشريف عليّ ـ الآتي ذكره[١] ـ لأبيه وأُمّه.

كان أبو الحسن من علماء ذلك الزمن، وقد ذكره معاصره الحرّ العاملي في بـاب الكنى من أمله. فقال: فاضل صالح جليل القدر سكن الشام من المعاصرين[٢]. انتهى.

وله ترجمة في أعيان الشيعة(٢) استظهر فيها أنّه جدّ آل نور الدين القاطنين بدمشق من سادات آل مرتضى الشهيرين. وهذا كما ترى؛ إذ ليس فيهم من هو من ذرّيّة السيّد أبوالحسن بن علي نور الدين قطعاً. وإنّما بعضهم من ذرّيّة أخيه زين العابدين بن عليّ نور الدين، وبعضهم من ذرّيّة أخيه الآخر جمال الدين بن عليّ نور الدين كما فصّلناه

(١) ذكره في أمل الآمل[٣] فقال: كان فاضلاً عالماً، محقّقاً صالحاً، قرأ عند شيخنا البهائي والشيخ حسن بن الشهيد الثاني والسيّد محمّد بن عليّ بن أبي الحسن وغيرهم وأجازوه. له مصنّفات.
(٢) في ص٣١٧ والتي بعدها من جزئها السادس ومجلّدها السابع[٤].

١. سيأتي بعيد هذا بقليل.
٢. أمل الآمل ١: ١٩٢، الرقم ٢١٣.
٣. المصدر: ١١١، الرقم ١٠٣.
٤. أعيان الشيعة ٢: ٣٢٩.

في المقصد الثاني من هذا الكتاب فراجع[١]. على أنّ ما يحمله أُولئك الأشراف من صورة نسبهم المشتملة على سلسلة آبائهم صريح بما قلناه(١). وترجمه في الكواكب المنتثرة ص ١٦٥.

الفرع الرابع: الشريف عليّ وذرّيّته

كان ـ رحمه الله تعالى ـ بعيد المدى في مضارب[٢] الأدب، مجلّياً في حلبات الفضل، أخذ بطرفي النثر والنظم، واجتمع فيه الرأي والحزم إلى دماثة أخلاق تستنير بها الليالي الجُون، وطيب شِيم أرّجت نفحاته أرجاء الصفا والحَجون، نظم ونثر، وأحسن العين والأثر، فكان الأدب أقلّ خلاله، لجلالة قدره وارتفاع حاله، فمن فرائده قوله على رويّ كافية شيخنا البهائي رحمه الله تعالى:

من لصبٍّ قضى غراماً فيكْ   يا غزالاً بالحسن صار مليكْ
نم قريراً فإنّ لي مقلاً   لم تذق لذّة الكرى وأبيكْ
صِلْ فتىً مغرماً حليف ضنىً   يا بديع الجمال يا فتّيكْ
أطفِ نار البعاد منك بما   فيه وصلي ولا تطع ناهيكْ
رحمةً يا معذّبي لفتىً   نفسه من أذى الردى تفديكْ
لم يزل في الهوى أخا شجن   يا منى القلب مستهاماً فيكْ

(١) ولو راجع ما يحمله أكثرهم من صورة نسبهم الشريف ما استظهر الذي استظهره. أمّا أبوالحسن الذي ينتسب إليه آل نور الدين فإنّه غيرأبي‌الحسن هذا وإنّما هو جدّه الأعلى، ويلقّب تاج الدين، وهو ابن شمس الدين محمّد بن عبدالله كما لا يخفى.

١. تقدّم في ص ٢٤ وما بعدها.
٢. في أ: «مضمار».

نيل أجفانك المراض غدت داخل القلب والفؤاد تشيكْ
حقّق الظنّ باللّقا كرماً وانفِ عنّي يا منيتي التشكيكْ
والذي قد كساك ثوب بَهاً أنا راضٍ بكلّ ما يرضيكْ
يا معير الظّبا النفار عسى رحمة الله نحونا تدنيكْ[١]

وله شعر كثير في مواضيع كثيرة قد اشتملت النزهة[٢] على كثير منها.

ولد ـ رحمه الله تعالى ـ في مكّة المعظّمة سنة ١٠٥٠ بعد هجرة أبيه إليها بعشر سنين، وكان لأبيه يومئذٍ ثمانون سنة، فحنا عليه يربّيه ويزكّيه ويؤدّبه ويهذّبه لم يأل في ذلك جهداً، ولم يدّخر وسعاً، وأجازه إجازةً عامّةً، وربّما قرأ على أخيه زين العابدين وغيره من تلامذة أبيه من علماء الخاصّة والعامّة، حتّى ظهر فضله في تلك الناحية المقدّسة، وكان المثل الأعلى في تقوى الله تعالى والورع عن محارمه عزّ وجلّ.

وقد ذكره معاصره الحرّ في أمله فقال:

السيّد عليّ بن السيّد نور الدين عليّ بن عليّ بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي، ساكن مكّة فاضل صالح شاعر أديب.[٣] انتهى.

وذكره المحبّي في ترجمة أخيه السيّد جمال الدين من خلاصة الأثر فعبّر عنه: بروح الأدب[٤]، وسمعت من بعض سلفنا الصالح ثناء عليه عظيماً، ومدحاً له بليغاً[٥].

وله ترجمة مفصّلة في أوائل نزهة الجليس لولده أبي الفضل العبّاس، ذكر أنّ وفاته كانت في مكّة صبح الثامن عشر من ذي الحجّة ١١١٩ توافق «دخل الجنات».[٦]

١. حكاه عنه السيّد عبّاس في نزهة الجليس ١: ٢٩١.

٢. المصدر: ٥٠ ـ ٥٤.

٣. أمل الآمل ١: ١٢٨، الرقم ١٣٧.

٤. خلاصة الأثر ١: ٤٩٥.

٥. وترجمه في ج ٨ من أعيان الشيعة: ٢٩٠، وترجمه أيضاً في تكملة الآمل ص ٣٠٦، وترجمه في الكواكب المنتثرة: ٥٣٩. «ع»

٦. نزهة الجليس ١: ٥٠ ومابعدها.

وعقبه الباقي من ولده، أبي الفضل العبّاس صاحب نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، وأبي الأسرة الكريمة من بني عمّنا المعروفين بالانتساب إليه إلى زماننا هذا[(١)]، وسأتلو عليك منهم ذكراً، ومن ولده الآخر السيّد مصطفى[(٢)].

أمّا جدّهم العبّاس، فقد كان من أهل العلم والدين والأخلاق، ذا بسطةٍ في الأدب، متضلّعاً في فنونه، عارفاً بأخبار السلف، حافظاً لخطبهم وأقوالهم، راوياً لأشعارهم وحِكمهم وأمثالهم، جامعاً لطُرف النثر ومُلحه، وغرر النظم ونكته، ماهراً بقرض الشعر، بصيراً بمذاهب الكلام، عليماً بمواضع النقد، خبيراً بالأشباه والنظائر، نسّابة للألفاظ والمعاني، حافظاً لحديث الخاصّة والعامّة، ثبتاً فيهما، يحسن لغة الفرس ولغتي الترك والهند.

ولد ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ألف ومائة وعشر في مكّة المعظّمة، فأدرك من حياة أبيه تسع سنوات[(٣)]، أخذ فيها عنه أصول الدين، وثبّته الله بالقول الثابت في العقائد الإسلاميّة، والخصائص الإماميّة، ورزقه الإيمان بالله ـ عزّ وجل ـ وبما جاءت به رسله، وهبطت به ملائكته، ونزلت به كتبه، فكان لما أخذه عنه من الدين والأخلاق أثر عظيم في سيرته وسريرته. ووقف في تحصيل العلوم العربيّة والفنون الأدبيّة على جلّ من أعلام تلك البقعة المقدّسة، ثمّ ظفر بأحد علماء العراق،

(١) وهم اليوم في جبشيت[١] ومعركة[٢] ودير سريان وبنت جبيل وجناتا وصريفا وصور وميفدون.

(٢) أما ولده السيّد سليمان فلا يعرف له عقب.

(٣) في مكّة كانت ولادة أبيه أيضاً سنة ١٠٥٠ كما ذكرناه في الأصل.

١. جبشيت: قرية من قرى جبل عامل. ضبطها المحدّث النوري: «جب شليت» مخفّف «جُبّ شيث نبيّ الله». راجع: النجم الثاقب: ٤٢١؛ أعيان الشيعة ١٠: ٢٥٩.

٢. معركة: قرية من قرى جبل عامل في ساحل صور. راجع أعيان الشيعة ٥: ٣٢٥.

وهو الشريف العلّامة الشهيد السيّد نصر الله الحسيني الموسوي الحائري(١) فأنشد حينئذ مخاطباً لنفسه:

ظفرتَ بالكنز فاحملْ من نفائسِه　　　وقد وقفتَ ببحرِ العلم فاغترفِ[١]

وذلك سنة ألف ومائة وثلاثين فبلغ السيّد الحائري في تهذيبه وتثقيفه كلّ مبلغ، وأنفق في تربيته جهده، ولازمه سنةً كاملةً.

ومن كان الهزار له دليلاً　　　يمرُّ به على ورد نضيدِ[٢]

ثمّ زمّت ركاب أُستاذه عصر الثامن عشر من ذي الحجّة سنة ١٣٣١ قافلاً إلى وطنه المقدّس[٣] ـ الحائر الحسيني ـ فصحبه العبّاس حتّى ورد كربلاء بعد التشرّف بالمدينة الطيّبة والنجف الأشرف، وأقام في خدمة أُستاذه في الحائر شهرين، ثمّ تشرّف بأعتاب الكاظمين الجوادين والهاديين العسكريّين،

(١) كان ـ رحمه الله تعالى ـ آية في الفهم والذكاء، وفنون اللغة العربيّة وآدابها، حسن التقرير والتحرير، كاتباً شاعراً، مفوّهاً محبباً للناس، مبجلاً عند العامّة والخاصّة، زار مشهد الرضا وتجول في إيران مراراً، وكان مولعاً بالكتب موفّقاً في جمعها، أرسله نادر شاه بتحف عظيمة إلى الكعبة ـ أعزّها الله تعالى ـ فأدّى هذه المهمّة، ثمّ أشخصه سفير إيران إلى القسطنطينيّة في مهمّات تعود على الأُمّة المسلمة بلمّ شعثها وتوحيد صفوفها، لكن أهل العصبيّة ممّن يؤثرون شقّ العصا وافتراق الأُمة؛ ليتسنّى لهم الاصطياد في الماء العكر سعوا به إلى السلطان؛ حسداً له وبغياً على الشيعة وإرصاداً لمن أحبّ[٤] الله ورسوله فقتل السيّد هناك ظلماً وعدواناً، وكان ذلك في حدود الستّين بعد الألف والمائة من الهجرة المباركة تقريباً عن عمر يناهز الستّين ألحقه الله بدرجة الشهداء من آبائه عليهم السلام.

١. راجع نزهة الجليس ١: ٢٠.
٢. المصدر: ٢١.
٣. المصدر: ٢٣.
٤. في أ: «حارب».

وزار ضريحي سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان في المدائن، واجتمع ببعض الأجلّاء من أمراء أصفهان ـ وكانت يومئذ دار السلطنة الصفويّة ـ فدعاه إليها ووعده الحظوة بالملك السلطان حسين الصفوي(١) ـ شاه إيران يومئذ ـ وكان ذلك الأمير رئيس حجّاب الحرم الشاهاني(٢)، فأجاب السيّد دعوته ومضى موفور الكرامة بصحبته، حتّى ورد العاصمة ـ أصفهان ـ صبح الأحد الحادي عشر من رجب سنة ١١٣٢ فوفّى له الأمير بما وعده[١]، فكان السيّد مغموراً بنعم الملك، وصادف عزم أخوي ذلك الأمير على الحجّ، وهما من أُمراء الدولة الصفويّة، وكبراء الأمّة الفارسيّة(٣)، فدعواه

---

(١) ولي الشاه حسين هذا ابن الشاه سليمان ١١٠٥، وتنازل عن السلطنة صبح الجمعة ١٢ المحرّم سنة ١١٣٥، وقتل سنة ١١٣٩ ودفن في قم، وهو التاسع من ملوك الصفويّة، وقام بعده ولده الشاه طهماسب الثاني، وكان الملك على عهده في قلاقل والأمور بيد الأفغان، والشغب ضارب بجرانه في طول المملكة وعرضها. والشاه طهماسب هذا آلة الانقلاب الذي دبره نادر شاه، وفي أثناء تلك الفوضى خلع طهماسب وحبس في المشهد الرضوي، ونقل اسم السلطنة إلى عبّاس ميرزا بن طهماسب وكان رضيعاً، وبعد سنين ثلاث أو أكثر خلع الطفل عبّاس واستقلّ بالملك رضا قلي بن طهماسب قلي خان افشار، وبقي الشاه طهماسب في سجنه حتّى جاء نادر شاه لفتح بلاد الهند فأمر بقتله، وانقرضت الدولة الصفويّة باستيلاء نادر شاه عليها، وكان ذلك يوم الخميس ٢٤ شوّال سنة: «الخير فيما وقع» أعني سنة ١١٤٨، وقد أرّخها أعداء نادر شاه بقولهم: «لا خير فيما وقع»[٢].

(٢) أي رئيس أُمناء البلاط الملكي، وكان يدعى الأمير حسين أُوغلي بك أيشك أغاسي باشي حرم، وكان من خيار المؤمنين.

(٣) يدعى أحدهما آقا محمّد جواد، والآخر آقا أحمد، وهما من أهل الدين المتين والأخلاق الفاضلة كأخيهما الحسين.

---

١. راجع نزهة الجليس ١: ٢٢٤.

٢. المصدر: ١٣٤ ـ ١٣٥.

إلى حجّ بيت الله الحرام معهما، فتريّث متردّداً في إجابتهما حتّى سمع وهو بين اليقظة والنوم هاتفاً يقول له: انتبه من نومة الغفلة والنسيان، فإنّ حبّ مكّة من الإيمان.

فانتبه مولع القلب شوقاً إلى مكّة المعظّمة، وخرج متوجّهاً إليها مع الأميرين منتصف شهر رمضان المبارك من تلك السنة، ووردوا مكّة المعظمة ـ حماها الله تعالى ـ فأدّوا مناسكها عمرةً وحجّاً.

ثمّ تشرّفوا بالمدينة الطيّبة فقاموا بوظائف زيارة النبيّ ﷺ وأوصيائه عليهم السلام فيها، واعتكفوا ثلاثاً في المسجد النبوي مخلصين لله في عبادته تعالى.

ثمّ كروا قافلين إلى العراق، ففازوا بالتشرّف بالأعتاب العالية ثمّة.

ثمّ أتوا أصفهان فوردوها صبح الأربعاء الرابع والعشرون من جمادى الأُولى سنة ١١٣٣.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ مولعاً في السياحة من أيّام صباه تستخفّه إليها نزيّة من الشوق فإذا هو نزوع إليها على الدوام.

وقد ارتحل من أصفهان سائحاً في الأرض فجاس خلال إيران والهند وغيرهما، أتى شيراز، وكازرون، وبندر أبوشهر، وبندر الريق الأمين، فالبصرة، فبندر سورت[١]، فبلدة برهانبور[٢]، وغيرها من عواصم الهند وقراها.

ثمّ أتى بلدة كوندوانة، فنزل في دار سلطانها بخت بولند، فبالغ في إكرامه واحترامه.

ثمّ ساح في تلك الأقطار، فأتى مدينة كجرات، فمدينة أحمد آباد[٣]، فبندر كمپايت، فشاه جهان آباد[٤]، وغيرها.

---

١. سُورات: مدينة في الهند في شمالي مقاطعة بمباي. راجع دائرة المعارف للبستاني ١٠: ١٩٣.

٢. بُرهانبور: «بُرهان‌پور» وهي مدينة في الهند. لغت‌نامه دهخدا ٣: ٤٠٤٩.

٣. أحمد آباد: مدينة في الهند، أسّسها أحمد شاه الأوّل بن تاتار خان سلطان كجرات عام ١٤١٢. راجع القاموس الإسلامي ١: ٣٤.

٤. شاه جهان آباد: مدينة دهلي. راجع: دائرة المعارف للبستاني ٧: ٧٢٣ ـ ٧٢٤؛ القاموس الإسلامي ٢: ٣٩٩ ـ ٤٠٠.

ثمّ أتى عدن، وغيرها من مدن اليمن، حتّى انتهى إلى بندر المخا[١]، وفيه الوزير الكبير الفقيه أحمد بن يحيى الخزندار[٢]، وولده عبدالله. فكان للسيّد موضع من نفسيهما، ومكانة من قلبيهما، وصغى إليه الوزير بودّه، وآثره بإعزازه، ورغب إليه أن يتوطّن المخا، ويتّخذه أخا.

وحين عزم عليه بهذا، ورتّب له من بيت المال ما يكفيه أجابه إلى ما أراد، وذلك سنة ١١٤٥، فتزوّج السيّد تلك السنة بعقيلة من بيوتات المخا، وجاءه ولد أسماه عبدالله مات طفلاً، ثمّ ولد له مولود آخر أسماه محمّداً، وكانت ولادته ليلة ١٦ من المحرّم سنة ١١٤٨، ولا عقب لمحمّد هذا في بلادنا، ثمّ ولد له سنة ١١٤٩ ولده المعقّب في هذه البلاد زين العابدين من أمّ ولد.

وألّف العبّاس في المخا كتاب رحلته، المشتمل على تفاصيل سياحته، وأسماه نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، ألّفه باسم ذلك الوزير، شكراً لأياديه عنده، وأداءاً لحقوق إنعامه عليه، وكان الفراغ منه رابع شوّال سنة ١١٤٨[٣]، وطبع في مصر سنة ١٢٩٣ في مجلّدين، أوّلهما في ٢٩٩ صفحة، والثاني في ٤١٢ صفحة، وقد قرّظه مؤلّفه بقوله:

جميع الكتب يدرك من قرأها ... ملال أو فتور أو سآمة
سوى هذا الكتاب فإنّ فيه ... بدائع لا تملّ إلى القيامة[٤]

على أنّ في كتابه من السجع ما تمجّه الأسماع، ولا سيّما في عصرنا الحاضر، وفيه من عدم التنسيق ما يذهب برونقه.

وقد وزّع فيه الرحلة توزيعاً، ضيّعها في منعرجات الكتاب ومطاويه، فلا يبلغها الطالب إلّا بشقّ الأنفس، وكان الواجب أن تكون سهلة التناول؛ إذ هي الغاية المقصودة من ذلك التأليف.

---

١. المُخا: بندر في اليمن... بساحل البحر الأحمر. راجع معجم البلدان ٥: ٦٧.

٢. وال يماني من أصل تركي، ولي بندر المخا للمتوكّل القاسم بن الحسين، ثمّ ولّاه مدينة صنعاء، وتوفّي فيها سنة ١١٥٧. انتهى ملخّصاً عن الأعلام للزركلي ج ١ ص ٢٧٠. «ع»

٣ و ٤. كما في نزهة الجليس ٢: ٦٦٥.

ومع هذا كلّه فإنّ الكتاب كشكول فوائد وفرائد، ونوادر وحِكم، وأمثال وعِبر، وخطب وأدب، ووقائع وسِير، وألغاز منظومة ومنثورة، ومسائل مستطرفة من فنون شتّى، وعلوم مختلفة.

وقد تناول بعض الآيات الكريمة من الذكر الحكيم والفرقان العظيم، فبحث عن مكنونها، وتعرّض لبعض السنن المشكلة، فأجاد في رفع إشكالها.

وترجم أئمّة العترة الطاهرة، فأورد من خصائصهم وفضائلهم ما تحتمله التقيّة.

وترجم كثيراً من أهل الفضل والأدب، فأورد من أخبارهم وأشعارهم ما يطّرد فيه رونق البديع، ووصف الأمصار التي جاس خلالها.

وله كتاب آخر أسماه أزهار الناظرين في أخبار الأوّلين والآخرين، واختصره في كتاب سمّاه أرج الأزهار في انتقاء الأخبار.

سلك في نزهة الجليس و أزهار الناظرين، مسلكي المسعودي من أصحابنا في كتابيه: مروج الذهب و الوصيّة. فكان المسلك في النزهة كالمسلك في المروج، والمسلك في أزهار الناظرين كالمسلك في كتاب الوصيّة . يعرف هذا من أنعم النظر في الأمور التي تحال في النزهة على أزهار الناظرين(١).

---

(١) الظاهر أنّ كتاب أزهار الناظرين، هو كتاب أزهار بستان الناظرين في سيرة سيّد المرسلين، الذي ذكره شيخنا المتتبّع آقا بزرك الطهراني، في ص٥٣٣ من الجزء الأوّل من ذريعته فقال: هو مجلّد كبير ينقل عنه كثيراً المولى المحدّث البحّاثة المتبحّر، الشيخ عبّاس القمّيّ المعاصر في كتابه كحل البصر في سيرة سيّد البشر، وذكر أنّ أزهار بستان الناظرين كان موجوداً في خزانة كتب العلّامة الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمّد رحيم البروجردي، نزيل المشهد الرضوي، وبعد وفاة الشيخ عبد الحسين انتقلت تلك الخزانة النفيسة بالبيع إلى الحاجّ آقا المشهور بملك، وبقيت عنده حتّى الآن مهجورة[1].

---

١. راجع الذريعة ١: ٥٣٣، الرقم ٢٦٠٠، و٥٣٦، الرقم ٢٦٠٦.

وللعبّاس أشعار كثيرة جلّها كالجيّد من القريظ على عهده، ولم تكن شعلة الأدب يومئذ على ما هي عليه اليوم، لا في سنيٍّ ولا في سناء(۱)، وقد اشتملت النزهة على كثير من شعره في شتّى المواضيع.[۱]

وله في أواخر الجزء الثاني منها خمسة وثلاثون بيتاً من الشعر الفارسي[۲].

وله ثَمّة اثنان وثلاثون بيتاً، نظّمها بألفاظ بعضها عربي، وبعضها فارسي، والبعض الآخر تركي، مُلمّعةً بأساليب العرب، مطلعها:

لي شادن أضنى الحشا بالسحر من چشمانه

أصمى الفؤاد وصادني بالتير من مجكانه[۳]

وأجاد في ما نقل معناه من الهنديّة إلى العربيّة، من شعر سورداس الأعمى، شاعر الهند الشهير إذ يقول:

نينونكى كركوترى أور بترى ديابجاى

بلكونكى چع دالكيه أور ليوى سجن چياى

فقال السيّد في تعريب ذلك:

جعلت له محلاً وسط عيني لأنّي لم أجد لي عنه صبرا

وصيّرت السواد له فراشا لأجل جلوسه والهدب سترا

وقال سورداس:

جاني جمد ركاركى أور متهى مارى موى

ميرى هردى تون بسى سوپر متلاكى توى

---

(۱) السنى: بالقصر هو النور الساطع، والسناء: بالمدّ الرفعة[٤].

---

۱. منها: أرجوزة في جدّه حسين بن عليّ وأولاده عليهم السلام. راجع نزهة الجليس ۱: ۱۳۱ ـ ۱۳٤.

۲. نزهة الجليس ۲: ٦٤٩ ـ ٦٥٠.

۳. المصدر: ٦٥١.

٤. راجع: الصحاح ٦: ۲۳۸۳؛ المصباح المنير ۱: ۳٥۳، «س. ن. ا».

فقال السيّد مترجماً لهما بالعربيّة:

بخنجر جفنك الماضي حبيبي أصبت القلب فامنحني وصالكْ
فقلبي يا فريد الحسن بيت وأنت به فأخشى أن ينالكْ

وقال سورداس:

سرسى دبكى هم ليى أور موتين كرتى لاك
ساكركوكيا دوست هى سويهى همارى بهاك

فقال السيّد مفرغاً لمعناهما في قالب عربي:

كم ذا أغوص البحر أطلب درّه قصد الثّرا لكن عليّ تعسّرا
فالبحر لم يك عند ذاك مقصّرا في مطلبي بل سوء حظّي قصّرا[1]

وقد ذكره شيخنا الشيخ عليّ بن الشيخ محمّد السبيتي العاملي الكفراوي(١)

(١) النحوي اللغوي الأديب الكاتب الشاعر، المؤرّخ المحدّث المتفقّه الثبت، المولود يوم ٢٥ من ذي الحجّة سنة ١٢٣٦، والمتوفّى ليلة الجمعة مستهلّ رجب في بلده كفرى[2] سنة ١٣٠٣، وله مؤلّفات نفيسة، وقفت على بعضها بخطّه الشريف عند ولده العلّامة الأديب الزاهد الفهّامة، الشيخ جواد السبيتي[3] المتوفّى سنة ١٣٤٧، فكان ممّا وقفت عليه قطعة من عقده المنضّد في شرح قصيدة عليّ بك الأسعد، فصادفت ذكر السيّد عبّاس، وولده زين العابدين، في تلك القطعة ذات الأوراق المبعثرة، فنقلت عبارته بعين لفظه، وممّا أوجب أسفي أنّ كلّ ما رأيته من مؤلّفاته مبعثر منثور عرضة للتلف، ولعلّ هذا ناشئ من زهد ولده، ورغبته في الخمول في هذه الحياة الفانية، وكراهته للشهرة رحمه الله تعالى.

١. نزهة الجليس ٢: ٣٢ـ٣٣.
٢. كفرى: قرية من قرى جبل عامل. راجع أعيان الشيعة ٨: ٣٠٣.
٣. السُّبيتي ـ بلفظ التصغير ـ: أصله السبتي، نسبة إلى «سبتة» من بلاد المغرب ... في مراكش تجاه مدينة جبل طارق. راجع: أعيان الشيعة ٥: ٢٥٢؛ دائرة المعارف للبستاني ٩: ٤٤٤.

في العقد المنضّد[1]، وذكر ولده زين العابدين، وأسرتهما الكريمة فقال:

ومنهم ـ أي ومن أُدباء عاملة في القرن الحادي عشر الهجري ـ كعبة أهل الأدب، وجهبذ الجهابذة في لغة العرب، العبّاس بن عليّ بن نور الدين عليّ بن عليّ نور الدين بن حسين عزّ الدين الموسوي، الرحّالة صاحب نزهة الجليس وغيره من المؤلّفات النفيسة، ولد هو وأبوه في مكّة المقدّسة ـ حماها الله تعالى ـ وكان له ولوع منذ ترعرع بالتجوال والسياحة، وقد استمرّت به نحواً من أربعة عشر عاماً(١)، استفاد فيها فوائد جمّة، وكان يسترفد الملوك والوزراء، وينتجع جوائز الأُمراء والأغنياء، فإذا هو كما قال ابن زريق عن نفسه:

ما آب من سفر إلّا وأزعجه ... عزم على سفر بالرغم يجمعهُ
تأبى المطامع إلّا أن تجشّمه ... للرزق كدحاً وكم ممّن يودّعهُ
كأنّما هو في حلّ ومرتحل ... موكّل بفضاء الأرض يذرعهُ
إذ الزمان أراه في الرحيل غنى ... ولو إلى السدّ أضحى وهو يزمعهُ
وما مجاهدة الإنسان موصلة ... رزقاً ولا دعة الإنسان تقطعهُ
قد قسّم الله بين الخلق رزقهم ... لم يخلق الله من خلق يضيّعهُ(٢)

(١) هذه مدّة سياحته، منذ خرج من مكّة مع أُستاذه السيّد الحائري، حتّى استوطن الحنا. لكنّه ـ رحمه الله تعالى ـ بعد أن توطّن الحنا، كان يسافر للحجّ وغيره، فما اطمأنّت به دار، ولا أخلد إلى قرار، حتّى فاز في جبشيت من الله عزّ وجلّ بحسن الجوار.

(٢) رحم الله الشيخ السبيتي، فقد أساء ظنّاً بهذا السيّد، وفي سياحته التي زاول فيها أحوالاً وأهوالاً، أكسبتاه تجربةً وأفادتاه بصيرةً، واجتمع فيها بعلماء وأُدباء فأخذ عنهم من الفضل ما لا يتسنّى له أخذه لو قعد في بيته، ووقف على أبرار وأبدال سقوه كأساً دهاقاً من رحيق أخلاقهم. واجتمع بملوك وأُمراء استفاد منهم دهاءً وسياسةً.

ولو يدرك المجدُ بين البيوت ... لما أصحر الأسد الباسلُ

[1] وترجمه في تكملة أمل الآمل ص ٢٥١، وترجمه أيضاً في ج ٧ أعيان الشيعة ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩. «ع»

قال الشيخ: وسكن السيّد عبّاس مخا اليمن مدّةً من أيّام سياحته، شكر فيها أيادي الوزير أحمد الخز ندار، وولده عبدالله، وله فيهما مدائح كثيرةٌ. ورجع في أواخر أيّامه بولده زين العابدين، إلى مسقط رأسه مكّة، فلبث فيها إلى الموسم، ثمّ جاء مع الحجّ الشامي إلى بلادنا، فقطن جبشيت وتوفّي فيها سنة ١١٥٩.

أمّا ولده زين العابدين، فلم يتجاوز العشرين من عمره إلّا قليلاً، وقد مات في جبشيت[١] أيضاً سنة ١١٦٦.

وعقبهما في بلادنا من عبد السلام بن زين العابدين بن عبّاس قال: ولد عبد السلام هذا قبل وفاة أبيه بأيّام قلائل، وكان من الفقهاء والمحدّثين، شافهني بذلك كلّه حفيده[٢]، المؤرّخ الثقة السيّد عبّاس بن عيسى بن عبد السلام، عن أبيه السيّد عيسى، وأوقفني عليه بخطّ عمّه الأديب الفاضل السيّد موسى عبّاس المشهور.

قال الشيخ: وذرّيّتهم صالحة تعرف ببيت عبّاس، وفيهم فقهاء وأُدباء، وهم بطن من بيت أبي الحسن الموسوي، المنتقل من الحائر الحسيني إلى هذه الديار والمتوفّى في جبع. وبيتهم من بيوتات العلم، واشتهر منهم في القرن الثاني عشر صدر الدين بن صالح، كان في أصفهان من أعلامها، وله فيها ذرّيّة نابهة. انتهى.[1]

---

(١) جبشيت قرية في الشقيف من عاملة معروفة، وفيها ثلّة من أبناء السيّد عبّاس إلى يومنا، كما ستسمعه في الأصل [ص٧٣ وما بعدها].

(٢) وهذا يعرفه سائر الفضلاء والشيوخ من هذه الأسرة، وقد سمعته من أبي وعمّي السيّد محمود، ووجدته بعد ذلك بخطّ جدّنا السيّد محمّد شرف الدين الكبير.

---

١. وقد طبع كتابه نزهة الجليس طبعة ثانية في النجف الأشرف سنة ١٣٨٧، وطبع في مقدّمتها ترجمةً مفصّلةً له، بقلم السيّد محمّد مهديّ الخرسان ونقتطف منها ما يلي:

ذكر المؤلّف كثيراً من أعلام الفضيلة والأدب، وأثنوا عليه بما يكشف عن علوّ مقامه، ولعلّ أقدمهم أُستاذه الروحي وموجّهه الأدبي، السيّد نصر الله الحائري، فقد كتب إليه حين أرسل المؤلّف إلى أُستاذه مشطين، أحدهما أبيض، والآخر أصفر:

أيا عبّاس السبّاق ... بالإعذار للجاني
ويا من جود راحته ... جنى جنّاته داني

←

قلت: ولد عبد السلام بن زين العابدين بن عبّاس سابع المحرّم الحرام سنة ١١٦٥، فأنبته الله ـ عزّ وجلّ ـ نباتاً حسناً، أمدّه فيه بجميل الرعاية، وجليل العناية، وسهّل له سبل الخيرات، والتوفيق إلى العلم والعمل، وكان على يتمه، وقلّة ذات يده، رفيع المصعد، بعيد المدى، لا يقنع بالدون، ولا يرضى بالهون.

أخذ العلوم العربيّة، والفنون الأدبيّة عن أساتذتها في جبل عامل، ووقف في علمي الفقه والأُصول على أُستاذه ومربّيه، ابن عمّه السيّد صالح بن السيّد محمّد شرف الدين، وله منه إجازة مفصّلة، تأريخها سنة ١١٨٦، أثنى عليه فيها بما يدلّ على بلوغه مرتبة

→
بعثت لنا بعاجي أبـ يض وبأصفر ثاني
كجبهة فاتن غـنج وجبهة مغرم عـاني
هلالا أُفق كلّ ندىً ولكـن لا يـغيبان
فكفّي معهما أبداً لها شأن من الشأنِ
فـإمساك بـمعروف وتسريح بـإحسانِ

وذكره الشرواني اليماني صاحب حديقة الأفراح حيث قال:

السيّد عبّاس بن عليّ الموسوي المكّي صاحب نزهة الجليس، المحتوي على كلّ معنى نفيس فصيح، ألبسه الله حلّة الكمال، وبليغ نسج القريض على أحسن منوال.

ثمّ ذكر نماذج من شعره، ومنها تخميسه للبيتين المشهورين:

دع الدنيا الدنيّة مع بـنيها وطلّقها الثلاث وكن نـبيها
ألم ينبيك ما قد قيل فـيها هي الدنيا تقول لساكـنيها

حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي

فلم يسمع لها فـيهم كـلامٌ وتاهوا في محبّتها وهاموا
وكم نَصَحَتْ وقالت يا نيامُ فلا يـغرركم مـنّي ابـتسامُ

فقولي مضحكٌ والفعل مبكي

[حديقة الأفراح: ٦٩ ـ ٧٢.]

وترجمه في الكواكب المنتثرة ص ٤١٠، وقال في وصفه:

العالم الناظم الناثر الجامع لكلّ الفضائل، المؤرّخ النسّابة المفسّر المحدّث.

والشرواني هو الميرزا أحمد بن محمّد بن عليّ بن الميرزا إبراهيم الأنصاري الهمداني الشرواني، نزيل كلكتا، من الأعلام والأفاضل والأُدباء المؤرّخين، له آثار جيّدة منها: نفحة اليمن، والمناقب الحيدريّة، وحديقة الأفراح لإزالة الأتراح، نظير السلافة، توفّي سنة ١٢٥٠. انتهى. ملخّصاً عن الكرام البررة، ج ١، ص ١١٢. «ع»

الاجتهاد في الأحكام الشرعيّة الفرعيّة، واستنباطها عن أدلّتها التفصيليّة[١] وقد اختار الله له دار كرامته، فتوفّاه في جبشيت سنة ١١٨٩، عن أربع وعشرين سنةً صوّاماً قوّاماً، زاهداً عابداً متهجّداً، كثير البرّ والصدقة، كريم الأخلاق، محبّباً إلى الغاية. وله في المناجاة أشعار كثيرة، وقد ضبط مواليد النبيّ ﷺ والأئمّة عليهم السلام ووفياتهم، ومشاهدهم، ولمعة من سيرتهم، وكراماتهم في أرجوزة جيّدة[١].

وقد أعقب من أربعة أولاد، كلّهم على هديه، وهم: محمّد، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، فهنا أربعة غصون:

الغصن الأوّل هو الشريف محمّد بن عبد السلام بن زين العابدين بن عبّاس

كان رحمه الله من الفقهاء وأهل الرياضة والانقطاع عن الدنيا وزخارفها، زاهداً فيها كلّ الزهد، مراقباً لنفسه في الليل والنهار.

يرى أنّه إن جاء يوماً بغفلة هي الكفر أو قد كان من دونها الكفرُ

ولد في جبشيت سنة ١١٨١ ومات فيها سنة ١٢٢١، وأعقب من ولده الشريف هاشم، المولود في حدود سنة ١٢٠٠ في جبشيت، وكان عالماً عاملاً فاضلاً كاملاً، صوّاماً قوّاماً، زاهداً عابداً متهجّداً، من حفظة القرآن العظيم، وقُرّائه الممتازين، حسن الصوت، كريم الأخلاق، سخيّ الكفّ، مستجاب الدعوة، يستسقىَ الغمام بوجهه، ويستدفع البلاء بدعائه، وكان الشيخ عبدالله نعمة ـ وهو شيخ الإسلام ـ يختلف إليه يلتمس دعواته، وكان يعظّمه ويقدّمه، حتّى قال مرّةً ـ وقد ذكره عنده ـ: ليتني تراب تحت أقدام السيّد. ارتحل من جبشيت، واستوطن دير سريان،

(١) كان له من العمر يوم تأريخ هذه الإجازة، إحدى وعشرون سنةً.

١. وقد ترجمه في تكملة أمل الآمل ص ٢٦٢، وله ترجمة في أعيان الشيعة ٨: ١٥. «ع»

وكانت وفاته فيها سنة ١٢٨٠، وأرّخ وفاته حفيده السيّد محمّد الآتي ذكره قريباً بقوله:

يا دهر قد واريت عضباً قاطعاً وسيّداً في صرفه العادي انصرفْ
لله ثاوٍ قد مضى ملبّياً لجنّة الخلد إلى أعلى الغُرَفْ
في جنّة الفردوس من كوثرها فهاشم للكأس أرّخه غرفْ

وقبره في دير سريان يزار ويستشفى به إلى يومنا هذا[١].

والسيّد هاشم هذا أخو الشريف العلّامة السيّد قاسم بن محمّد بن عبد السلام المتوفّى في أصفهان أيّام أُستاذه ومربّيه وابن عمّه الإمام الكبير السيّد صدر الدين بن السيّد صالح، الآتي ذكره في الباب الثاني من هذا الإملاء[٢]، وكان السيّد قاسم من الفقهاء والأُصوليّين وحفظة الحديث وأثباته، متبحّراً في كثير من العلوم العقليّة والنقليّة، تخرّج على ابن عمّه السيّد الصدر، والإمامين الجليلين السيّد محمّد باقر الموسوي الرشتي، والشيخ محمّد تقيّ صاحب هداية المسترشدين في شرح معالم الدين وغيرهم من أعلام ذلك العصر في أصفهان، وكانوا بحار علم، وأطواد فضل، وأنوار هدىً للعالمين.

ولم يعقب السيّد قاسم سوى بنت واحدة تزوّجها جدّي العلّامة الشريف أبو الحسن الهادي، الآتي ذكره في الباب الثاني[٣].

وقد ماتت في أصفهان، وحملت إلى النجف الأشرف فدفنت في وادي السلام، ولم تعقب(١).[٤]

(١) حدّثني عن السيّد قاسم بهذا كلّه صهره جدّي الحجّة الهادي، وكان كثيراً ما يذكره فيثني عليه علماً وعملاً بما ذكرناه في الأصل ملخّصاً من كرمه زاد الله في إكرامه، وأدركت السيّد محمّد بن السيّد حسن بن السيّد هاشم فسمعته يحدّث عن السيّد قاسم ـ وهو عمّ أبيه ـ أنّه كان في أصفهان مسلّم الاجتهاد.

١. ترجمه في تكملة أمل الآمل: ٤٢٩، وله ترجمة في أعيان الشيعة ١٠: ٢٥٩.«ع»
٢. يأتي في ص ١٥٨، في الحديقة الأولى.
٣. يأتي في ص ٢٦٨.
٤. ترجمه في تكملة أمل الآمل ص ٣٢٢، وله ترجمة في أعيان الشيعة ٨: ٤٤٠ و٤٤٧.«ع»

أمّا السيّد هاشم صاحب العنوان، فأعقب من ولده الفاضل المؤتمن الشريف أبي محمّد الحسن، المولود في دير سريان سنة ١٢٢٧، والمتوفّى على عهد أبيه في النجف الأشرف سنة ١٢٧٣، وكان قد هاجر لطلب العلم فبلغ منه محلّاً سامياً، وجاءه أجله فدفن في الحجرة التي دفن فيها بعد ذلك علم المتبحّرين وإمام المتأخّرين شيخنا المقدّس الشيخ مرتضى الأنصاري أعلى الله مقامه[١].

وأعقب الحسن بن هاشم بن محمّد بن عبد السلام، من ولده الأوحد السيّد الشريف محمّد، كان فاضلاً نبيلاً، نقيّاً ثقة صدوقاً، أديباً مفوّهاً شاعراً كاتباً، حسن الرواية، قرأ العلوم العربيّة على الشيخ جعفر مغنية[٢]، ثمّ ارتحل إلى المدرسة الخاتونيّة في جويّا، واتّصل بعدها بشيخي الإسلام الشيخ عبدالله نعمة والشيخ محمّد عليّ عزّ الدين، فأخذ عنهما الفقه والحديث وما إليهما.

والذي أحفظه من شعره قوله مخاطباً لولده الأكبر:

لا تصحبنّ لئيماً فاللئيم له ... طبع على اللؤم والفحشاء قد طبعا
ولا تمدّنّ طرفاً للغنيّ وإن ... أضحى ذوو الجهل من جهل له تبعاً
لا تطلبنّ من ضنين حاجةً أبداً ... إنّ الضنين بسوء الظنّ قد ولعا
واتلُ الكتاب فما شيء أحبّ إلى الر ... حمن منه ففيه العلم قد جمعا

ومنها:

فالنفس أمّارة بالسوء مائلة ... للجهل لا تبتغي زهداً ولا ورعا
مشغولة بالملاهي والملاعب لا ... تنفكّ تظهر في أفعالها البدعا

ومنها:

العلم يحرس أهليه ويكلؤهم ... والمال يحرسه أصحابه جزعا
والعلم تزداد بالإنفاق نبعته ... والمال ينقص مهما زاد واتّسعا

١. وقد ترجمه في تكملة أمل الآمل ص ١٦٧، وفي أعيان الشيعة ١٠: ٢٥٩.«ع»
٢. كان من العلماء الفضلاء أستاذاً ماهراً في العلوم العربيّة والأدب، توفّي بعد سنة ١٢٨٣.«ع»

وله شعر كثير كان يقتضبه اقتضاباً، ثمّ لم يثبته لعلوّ نفسه.

وقد ذكره صاحب أعيان الشيعة في طبقات الشعراء[1].

ولد رحمه الله تعالى في دير سريان سنة ١٢٦٧، وكان كثير التطوّع في الصلاة والصيام والصدقة والمبرّات، وحجّ بيت الله الحرام مرّتين، ورجع في المرّة الثانية إلى بلده مريضاً. فتوفّاه الله إليه مبروراً مشكوراً. مستهلّ ربيع الثاني سنة ١٣١٩، تغمّده الله بالرحمة والرضوان، وأفاض عليه شآبيب الغفران. وقد أرّخ وفاته ولده الأكبر في آخر قصيدة يرثيه بها:

ومذ إلى الخلد أمسى اليوم مرتحلاً فقد أُعدّت له أرّخ بها الغرفُ

وقد ترك هذا الليث في غيله ثلاثة أشبال:

الشبل الأوّل: الشريف هاشم

كان ـ رحمه الله تعالى ـ من رجال الخير، وأهل السمت، محمود الخلطة، حسن الجوار، جميل السيرة، سليم الطويّة، نقيّ الدخيلة، عزوفاً عن الشرّ، نزوعاً عن الفحشاء، قصير اليد عن السوء، بطيء الرجل عن المنكر.

وكان في الورع ومجاهدة النفس بما لا مزيد عليه، وله في التهجّد والتبتّل، واستباق الخيرات، والمسارعة إلى المغفرة، حالات تلحقه بالأولياء.

وكان نبيل النفس، حرّ الخلال، جزل المروءة، شريف الملكة، كأنّ أخلاقه سُبكت من الذهب المصفّى، وكأنّ شمائله عُصرت من ماء السماء.

وكان نقيّ العرض، طاهر الثوب، عفيف الطرف، عفيف اليد، عفيف اللسان، عفيف الشفتين، عفيف الجوارح كلّها، قد صان عرضه عن الدنس، ونزّه نفسه عمّا يعاب.

وكان عالماً فاضلاً، أديباً بارعاً، متضلّعاً، متفنّناً، غزير الموادّ، كثير الحفظ، مستعذب النظم، مستملح السجع.

---

١. في ج ١ ص ١٧٩ حيث استرسل في ذكر أسمائهم، وترجمه أيضاً في ج ٩ من أعيان الشيعة ص ١٥١ وله ترجمة في تكملة أمل الآمل ص ٣٤٢.«ع»

أخذ العلوم العربيّة والفنون الأدبيّة عن المقدّس والدي في شحور، وهو الذي أدّبه وربّاه، وخرّجه متقناً سطوح الفقه وقوانين الأُصول. وقرأ على علم عاملة في عصره السيّد عليّ المحمود الأمين الحسيني الشقراوي[١]، المولود في حدود سنة ١٢٧٦، والمتوفّى ليلة السبت الحاديَ عشر من شوّال سنة ١٣٢٨، استضاء بمشكاته ثلّة من رجال العلم والدين، ووردوا شرعته، فكان السيّد هاشم[٢] منقطع النظير بينهم في كلّ نواحي الفضل.

أمّا شعره، فإنّه صافي الديباجة، نقيّ المستشفّ، عسجدي اللفظ، دريّ المعنى، تراه مقصوراً على الحِكم والنصائح، والنسيب، والحماسة، والغزل، والمراسلة، ومدح المعصومين من آبائه، والعلماء الأعلام من أساتذته، لم يتزلّف فيه إلى أهل الدنيا، ولا انتجع فضل أحد من الناس، كان يترفّع ـ على ضيق حاله ـ عن هذا الأمر، ويَزْوَرُّ عن هذا المقام، ويربأ بنفسه عن معرّة الامتهان، ويكرمها عن خطط الابتذال.

فمن سهله الممتنع قوله متحمّساً من قصيدة عصماء:

عهدي بعزمك غير العزّ ما طلبا	وغير بكر المعالي الغرّ ما خطبا
أراك تعنو لسلطان الهوى ولكم	قد كنت ترغب عنه عزّةً وأبا
فما لك اليوم أسلست القياد له	ورحت تذهب طوعاً أينما ذهبا
تصبو له والصِبا قد كاد غيهبه	يُجلَى وصبح نهار الشيب قد كَرَبا
أصبحت تندب منه تارةً طللاً	أقوى وطوراً بعيدَ الدار مغتربا
فليت شعري أهذا بالهوان رضاً	أم شأن عانٍ على حكم الهوى غُلبا

---

١. هو أحد الأعلام الكبار والأشخاص الأفذاذ، حوى من المحاسن والفضائل ما هيّأ له الرئاسة العامّة والزعامة المطلقة عليه الرحمة والرضوان. «ع»

٢. ترجمه في أعيان الشيعة ١٠: ٢٥٢ ـ ٢٥٩ وما بعدها، وذكر له عدّة قصائد جيّدة في مدح ورثاء أُستاذه السيّد عليّ المذكور، وترجمه أيضاً في ج ١ من تكملة أمل الآمل ص ٤٢٩ وقال من جملة كلامه عنه: كان فاضلاً كاملاً ثقة ورعاً من رجال العمل والصلاح، له أخلاق وحالات تلحقه بالأولياء، وكان شاعراً أديباً له من الشعر الجيّد ما يجعله في مقدّمة الشعراء العامليين. «ع»

أفِق فقد رحت من خمر الهوى ثملاً كأنّ لبّك أضحى منك مستلباً
وجدّ في طلب العلياء مكتسباً من قبل أنّك لا تسطيعها طلبا
فلن ينال العُلى من نام عن طلب إلّا أماني في مصداقها كذبا
ومن يهمّ بتحصيل الكمال يكن قد حاول النقص في جعل الهوى سببا
ومن يكن همّه نيل العلاء فلا يرى مدى العمر يهوى الخرّد العُرُبا

ومنها:

إن أقعدتني صروف الدهر عن طلب الـ ـعليا فعزمي إليها طالما وثبا
وإن ثوى بي إقلالي بعاملة عنها فإنّي لها مازلت مرتقبا
لألبسنّ لها الظلماء والبلبا وأمتطي صهوات الجرد والنجبا
وأجعلنّ سميري في السرى الشهبا ومنزلي ومقامي السرج والقتبا
حتّى تنال مناها النفس عن كثبٍ أو تقضينّ على وجدٍ بها التهبا
ما لي أُقيم على ذلّ الإقامة في قوم عليهم رواق الذلّ قد ضربا
يعنون للضيم إمّا حلّ ساحتهم وما بهم من أبيٍّ للهوان أبى
قومي الألى ضربوا أبيات مجدهم على السماك ومدوا فوقه الطنبا
وأشرقوا في سما الإسلام مذ بدا شموسَ فضل وسادوا العجم والعربا
وطوّقوا جيد أبناء الورى مِنناً قد ألبستها لهم رقّاً ولا عجبا
من كلّ علّامة يمحو هداه دجيّ ليل الضلال ويجلو رأيُه الكربا
تفجّرت للورى علماً جوانبه وحكمة أعيت الأقلام والكتبا
كالبدر إمّا بدا والسيل إن خطبا والبحر إن فاض والضرغام إن غضبا
كالندب سيّدنا الصدر الذي صدرت عنه الفضائل تحكي في السنا الشهبا
الراسخ الحلم بحر العلم منبعه خير البريّة أمّاً برّةً وأبا
كهف الشريعة إسماعيل كافلها ومن غدا للهدى في دوره قطبا
شمس الهدى، حجّة الإسلام من كشفت من الضلال لنا أنواره الحجبا

بـــه عشـــيرته قـد عـزّ جـانبها　　واشـتدّ كـاهلها بـين الورى حسـبا
وبالفتى الحسن الزاكي الثناء ومن　　قد حاز في كلّ سبق للعلى القصبا
مـن راح ثـغر المعالي فيه مبتسم　　والمجد جذلان مسروراً بـه طربا
ومن سما في سماء الفضل مرتفعاً　　وقام في منصب العلياء منتصبا
الثابت الحزم، ماضي العزم سطوته　　ما زال منها فؤاد الدهر مضطربا
هـم سادة قادة، سادوا بجدّهم　　وقد تساموا على هام السما رتبا
فـليبق مجدهم عالٍ وفضلهم　　بادٍ وفيض نداهم يخجل السحبا[1]

ومن قصيدة له:

ما للحبيب يجود لي بصدوده　　ويرى حراماً أن يفي بوعوده
هـلّا يـرقّ لرقّه قلباً فقد　　رقّ الغداة له فؤادُ حسوده
رشأ يـتيه على القناة بقدّه　　وعلى المهاة بمقلتيه وجيده
فضح الرياض ـ تفتّحتْ أنوارها　　وبدت نضارتها ـ بورد خدوده
وحكى ضنى جسدي بناحل خصره　　وسقام جفنيه ورثّ عهوده
كم رحتُ مشغوفاً بكاذب وعده　　وغدوت مشغولاً بصدق وعيده
ولكم على شغفي بلام عذاره　　لام العذول ولجّ في تفنيده
قمر يُريك إذا نظرت جبينه　　صبحاً تلألأ تحت ليل جعوده
وتخال إن أبصرت حلية جيده　　برقاً تألق من بريق عقوده
في ثغره لظما المتيّم مورد　　عذب ولكن حال دون وروده
ومرنّح الأعطاف لم يعطف ولو　　يوماً له قلبٌ على معموده
أضحى يكذّب في الهوى دعواه مع　　أنّ الضنى والدمع بعض شهوده
يا عاذلي كن عاذراً لمتيّمٍ　　لم يلتفت لرقيبه وعتيده
وتوقّ فتكة لحظة فجفونه　　أضحت على العشّاق بعض جنوده

---

١. حكي بعض هذه الأبيات في أعيان الشيعة ١٠: ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

مـا رحت أدفـع هـجره بـوصاله إلّا وجـرّ إليّ مـرّ صـدودهِ
أو جـئت مـعتذراً له مـتقرّباً بـهواه إلّا زاد فـي تـبعيدهِ
أو فـي هـيامي فـي الغرام حـجحتُه إلّا وقـابل حُـجّتي بـجحودهِ[١]

ومن قصيدة له:

عـاطني مـن شـهيّ ريـقك خـمراً عـلّها مـن حشـاي تـخمد جـمرا
قـارب الفـجر أن يـرانـا ولمّا تُـرني مـن سـنا جـبينك فـجرا
يـا غـزالاً فـاق الغـزالة حسناً وحكى في النحول جسـمي خـصرا
وهـلالاً تـحت اللـثام فـإمّا حـطّ عـنه اللـثام أصـبح بـدرا
طالما فـيك هـمت وجـدّاً فـصِلْني إنّ قـلبي بـالوجد قـد ذاب هـجرا
وتـعطّف عـليّ لوثَ إزارٍ بـوصال فـفيك قـد هـمّت دهـرا
حـقّ مـنّي لزورة مـنك شكـرٌ فـإذا زدتـني أزيـدك شكـرا
بك أنفقت في الهـوى كـنز صبري فأنـا عـنك لست أمـلك صـبرا
وبجسمي مـن لحـظ عـينيك سـقم تـرك الجسـم خـافياً مسـتسرّا
كـم سـقاني بـها كـؤوسَ غـرامٍ رحت مـنهنّ ذاهـل اللُبّ سُكـرا
وبـقلبي أذكـى لواعـجَ جـمر تـركت مـنّي المـدامـع حُـمرا
طـال فـي الحبّ والغـرام عـذابي فاجعل الوصـل سـاعةً مـنك أجـرا
وانقضى فـي هـواك شـرخُ شـبابي أو مـاقد بـلغت عـندك عـذرا؟[٢]

وله في الإخوان:

وإخـوانٍ إذا عُـدّوا فهم لي في الرخا جـندُ
وإمّـا نـابني خـطبٌ فـما لي مـنهم فـردُ[٣]

١. راجع أعيان الشيعة ١٠: ٢٥٤.
٢. حكى بعضها السيّد الأمين في أعيان الشيعة ١٠: ٢٥٦.
٣. المصدر: ٢٥٩.

وقوله أيضاً:

قــبيح بـإخوان الصـفاء التجنّبُ		وغــير جـميل بـالإخاء التـقلّبُ
ومـن يـبتلِ الإخـوانَ يـعلم بأنّـهم		قـليل ولا يـنبيك إلّا المـجرّبُ
فـما جـلّهم فـي الودّ إلّا مُـماذِقٌ		يراعي[1] وفي دعوى المودّة يكذبُ
يـريك ريـاءً أنّـه لك مـخلص		محبٌ ومنه بارق الحبّ خـلّبُ[2]

وقوله أيضاً:

أرى شرّ أعدائي من الناس معشراً		لقـد أوهـموني أنّهم ليّ إخـوانُ
تَـخِذتُهم ذخـراً فـلمّا بـلوتهم		إذا جـلّهم لي بـين برديه ثـعبانُ
يـماذقني فـي ودّه بـلسانه		رياءً وفي طيّ الحشا منه أضـغانُ
فـلست بـودٍّ واثـقاً مـن أخ غـداً		يخالف منه السرّ في الودّ إعـلانُ[3]

ومنه قوله مستنهضاً:

أمـامَك، أيّـها الشـرقيُّ، جـدّا		لكـي تـبني عُـلىً وتشـيد مـجدا
أطلتَ النـوم عـن طـلب المعالي		وأُولى أن تـطـيل بـهنّ سـهدا
إلى كم أنت سـاهي القـلب سـالٍ		تـغضّ مـحاجراً بـالجهل رُمـدا
أمـا آن انـتباهك مـن سـبات الـ		ـكـرى وطـلابك العـلياء كـدّا
فـقم ودع التكـاسل والتـواني		وشـمّر بـاذلاً فـي العـلم جـهدا
فـذا عـصر سـما بـالعلم قـدراً		بـما للـناس أبـرزه وأبـدى
يـزيّنه الإخـاء مـع اتّـحادٍ		عـظيم قـد أمـضّ المسـتبدّا
وذا عـصر الكـمال لمـبتغيه		بـه سبُل الكـمال سـهُلن نـجدا
فـطيّ العـلم نـال بـه انـتشاراً		بـما مـن نـوره فـيها تـبدّى
فأحـيا مـنه مـا قـد مـات قـدماً		ومـا ذهـبت بـه الأيّـام ردّا

---

١. في المصدر: «يرائي».
٢ و٣. المصدر: ٢٥٩.

وأضحت فيه أسباب الترقّي مُسهّلة النجاح لمن تصدّى
فما لك أيّها الشرقيُّ عذر فتعمد فيه للإهمال عمدا
أتحيا في الزمان حياةَ ذلٍّ وأنت مصعِّرٌ للناس خدّا
وترضى ـ يا هديتَ ـ بعيش سوءٍ وتقدر أن تنال العيش رغدا
فجدّ بما تفوز به نجاحاً وشدّ العزم للعلياء شدّاً
وأشقِ النفس محتملاً أذاها فربّ شقاً ينيل المرء سعدا
ألست ترى الفتى الغربيَّ يسمو عليك بعلمه ويفوق مجدا
يُجمِّع غرَّ أشتاتِ المعالي وينظمها بجيد الدهر عقدا
ويفدي بالنفيس العلم بذلاً إلى أن يصبح الرجل المفدّى
وأكبر قصده في الدهر همّاً سعادةُ شعبه وكفاه قصدا
فجاء مقدّماً فضلاً ونبلاً ورحت مؤخّراً، لم تدرِ رشدا
بقاؤك أيّها الشرقيُّ عار بذلّ جهالة تركتك عبدا
فبادر واغتنم فرص الليالي قبيل فواتها وانهض مُجدّاً
فليس تَمدُّن الغربيِّ إلّا لما من حكمة الشرق استمدّا
ولكن أهمل الشرقيُّ حتّى أتاح لمجده الإهمال هدّا

وله في هذا المعنى أيضاً:

بني قومنا سمعاً لما أنا قائلُ سأمنحكم نصحي وإن لام عاذلُ
بني قومنا هبّوا لإحياء مجدكم فقد طال منكم غفلة وتكاسلُ
بني قومنا إنّ الشعوب قد ارتقت وشعبكم بين البريّة خاملُ
بني قومنا إنّ المدارس أنشئت وليس لكم ربع به العلم آهلُ
بني قومنا إنّ المعارف أشرقت ودونكم ليل من الجهل حائلُ
بني قومنا قد زيّن العلم أهله وجيدكم من حلية العلم عاطلُ
أيحسن أن ترقى الشعوب بجدّها وجدّكم في مهبط الجهل نازلُ

وتخطو إلى العلياء خطوةَ فارس ... ومن يخطُ منكم للعُلى فهو راجلُ
وتحرز شوطاً في التقدُّم شاسعاً ... وفي قطركم فعل التأخُّر (عاملُ)
وتحيا حياة بالكمال سعيدة ... وشعبكم في مهمهِ النقص هاملُ
وقد أدركت أبناؤها غاية المنى ... وليس لكم إلّا الأمانيّ حاصلُ
إلى مَ فتور العزم عن طلب العلى ... وفيكم لدى البأس الكُماة البواسلُ
إلى مَ التواني عن رقيٍّ بلادكم ... بعاجل جدٍّ يرتقي فيه آجلُ
إلى مَ التغاضي عن كمال حياتكم ... على غفلة التسويف واللبُّ ذاهلُ
إلى مَ الرضا بالجهل والعلم زاهر ... وأبنية العرفان مَلأى حوافلُ
ومن يرتضي بالجهل يا سعد شيمة ... [وليس أخو علم كمن هو جاهلُ]
ألم يكُ في تاريخ أسلافكم لكم ... غنىً عن ملام أكثرته العواذلُ
فهم خلَّدوا الذكر الجميل وأصبحت ... بغرّ سجاياهم تزان المحافلُ
فكم شيَّدوا مجداً وأبقوا مآثراً ... لأكثرها التاريخ في الدهر كافلُ
أُولئك أفراد قليل نظيرهم ... ألا إنّ أفراد الرجال قلائلُ
أماثل كانوا كفء كلّ كريمة ... كذلك أكفاء المعالي الأماثلُ
لقد آن أن تستيقظوا من سباتكم ... فما يدرك العلياء من هو غافلُ
وقد آن أن تستعملوا الحزم والحجا ... فعقل الفتى عن خطّة الخسف عاقلُ
وأن تنبذوا سوء التخاذل والجفا ... فما آفة الإخوان إلّا التخاذلُ
وتبدوا اتّحاداً بينكم وتكافلاً ... فقد يضمن الفوز العظيم التكافلُ
وأن تعمروا دور العلوم وتنفقوا ... عليها فما حاز المكارم باخلُ
فتربية الأطفال خير وسيلة ... لنجح المساعي إذ تعدّ الوسائلُ
وتهذيبهم بالعلم خُلقاً وشيمة ... لأفضل ما تنمو عليه الفضائلُ
أليس من الخسران أنّ مدارس الـ ... علوم خلت من ساكنيها المنازلُ
وأنّ فنون العلم عطّل درسها ... وغيضت عن الوُرّادِ منها المناهلُ
وأنّ ربوعاً كنّ فيها خصيبة ... علوماً وآداباً قفار مواحلُ

أترضون أن تبقى كذا فتياتكم وفتيانكم والجهل للكلّ شاملُ
تشاغَلُ باللذات واللهو دهرَها فهلّا بكسب المجد كان التشاغلُ
وتعمل لكن لا لنجح رقيبها وذا عمل يستوجب الذمَّ باطلُ
ألا نهضة لا يقعد الجدّ بعدها تردّ لنا مجداً بنته الأوائلُ
ألا هبّة للعلم ترأب صدعَه ويرجع غضّاً منه ما هو ذابلُ
بني قومنا هذا مقالي نشرته ونصحيَ فيما أرتئي وأحاولُ
فإن يك رشداً فهو ما كنت أبتغي وإلّا فما لي غير ذلك طائلُ
فحالتنا لا يحمد الصمت لامرئ عليها لذا قد قلت ما أنا قائلُ [١]

وشعره الاجتماعي والعمراني كثير لا يسعه هذا الإملاء، وهذا القدر كافٍ في تصوير شاعريّته الفذّة، ونفسه العبقريّة. وقد زيّن الصحافيّون صدور صحائفهم بكثير من دُرَرِه وغرَرِه.

اصطفاه الله إليه، واختار له دار كرامته في بلده دير سريان عشاء ليلة الخميس الحادية عشرة من صفر، سنة ألف وثلاثمائة وخمس وثلاثين، ولم يتجاوز الأربعين من عمره الشريف، وكان يومه مشهوداً، صلّيتُ عليه في جمّ غفير من العلماء والفضلاء والأعيان والأُمراء ولفيف من المؤمنين، وواريناه في ضريحه الطاهر إلى جنب أبيه وجدّه الشريف هاشم.

وقد أرّخ وفاته الشيخ عليّ كاظم عزّ الدين[١]، فكتب على قبره:

لصاحب هذا القبر فضل به سما ومجد على فضل الجدود تأسّسا
نماه إلى العلياء عزّ انتمائه لخير نبيّ في الورى وتقدّسا
أرومته طابت فطابت فروعها وأكرم بها أصلاً وفرعاً ومغرسا
وطاب ثرىً قد حلّ فيه مؤرّخاً ثوى هاشم فيه فأمسى مقدّسا

١. حكى بعض هذه الأبيات باختلاف يسير السيّد الأمين في أعيان الشيعة ١٠: ٢٥٩.

أمّا عقبه: فمن ولديه، الشريف حسن، المولود سنة ١٣١٦، والشريف محمّد، المولود سنة ١٣٢٢.[1]

الشبل الثاني والشبل الثالث

من أشبال السيّد محمّد بن حسن بن هاشم بن محمّد بن عبد السلام: فهما السيّدان الشريفان، أبو فخرالدين الجواد، وأبو محمّد الهادي.

ولد الجواد سنة ١٣٠٠، وولد الهادي سنة ١٣٠٥، وهما من رجال الموادعة والمصافاة، عيوفان للشرّ، نائيان عن القبيح، محمودا الخلطة، مأمونا المغيب، لايشاريان ولايماريان(٢)، بعيدا الأناة، واسعا الحلم، قد اتّسما بالجميل، واجتمعت فيهما خلال النجابة.

أخذا الأدبَ، ومبادئ العلوم العربيّة، عن أخيهما أبي الحسن هاشم، وتفقّه الجواد علينا بعد مصاهرته إيّانا وكانت سنة ١٣٢٩.

وولد له من كريمتنا الكبرى ثلاثة أشبال: فخر الدين المولود ليلة الثلاثاء الحادية والعشرين من ذي الحجّة سنة ١٣٣٥. ومحمّد حسن المولود ليلة الخميس سادس شوّال سنة ١٣٤٤. وأبوالفضل عبّاس المولود في رمضان سنة ١٣٤٨.

أمّا الهادي فقد توفّي سنة ١٣٤٧ في دير سريان عن ولدين: محمّد المولود ليلة

---

(١) كان من الفضلاء الأدباء، طلق اللسان، حسن المعاشرة، ولد في دير قانون النهر[2] سنة ١٢٨١، وتوفّي سنة ١٣٦٣.

(٢) أي لايجادلان ولايخاصمان في الباطل.[3]

---

١. للمزيد في ترجمة عقبه راجع ص ٧٠٧ ـ ٧١٠، الذيل ١.

٢. دير قانون النهر: بلدة من بلاد لبنان. راجع أعيان الشيعة ٨: ٢٩٣.

٣. راجع لسان العرب ١٤: ٤٢٩ ـ ٤٣٠، «ش. ر. ى»؛ و ١٥: ٢٧٨، «م. ر. ى».

الأحد السادسة والعشرين من صفر سنة ١٣٣٧، وقد قيل في تأريخ ولادته: ولد الغلام محمّد بن الهادي. وجعفر المولود سنة ١٣٤٧، قبل وفاة أبيه بعشرة أشهر[١].

الغصن الثاني من دوحة عبد السلام

هو السيّد الشريف إبراهيم بن عبد السلام بن زين العابدين بن عبّاس، مات ـ رحمه الله تعالى ـ في ريعان شبابه، وكان تقيّاً نقيّاً أبيّاً حميّاً، وهو أبو السيّد الفاضل البرّ المهذّب الشريف محمّد، المتوفّى بمكّة ـ أعزّها الله تعالى ـ ولم يعقب سوى ولد واحد هو العالم الفاضل الفقيه المقدّس السيّد مهديّ، المولود بمعركة، والمتوفّى في شارنيه[(١)]، وكان من الأجلّاء والحفظة والقرّاء، وكان صيّتاً نديّ الصوت في الأذان تسمع أذانه القرى المجاورة، وقد أعقب من ثلاثة أولاد: السيّد أبو الحسن، والسيّد محمّد ويدعى بالزمنطوط، والسيّد عطاء الله.

أمّا السيّد أبو الحسن ـ بن السيّد مهديّ بن السيّد محمّد بن السيّد إبراهيم بن السيّد عبد السلام ـ فقد كان فاضلاً أديباً خطيباً مفوّهاً، أبيّاً حميّاً، عابداً زاهداً، صوّاماً قوّاماً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لا تأخذه في ذلك لومة لائم، قارئاً للقرآن، حافظاً له. توفّي في معركة سنة ١٣١٢، عن نحو ستّين من عمره[(٢)].

وأعقب ولده الوحيد محمّداً المولود في معركة سنة ١٣٠٥، وهو من أهل السمت والصلاح والورع. توفّي في بلده يوم الجمعة، نهار عاشوراء سنة ١٣٦٣، وكان يومه مشهوداً، وله ـ قدّس الله تربته ـ أربعة أولاد أكبرهم

(١) شارنيه: ضيعة كانت للسيّد، وله فيها مسجد ينسب إليه، وقبره قريب منه يزار إلى الآن.

(٢) هو الذي استوطن معركة، انتقل إليها من دير سريان.

١. وللسيّد جعفر هذا ثلاثة أولاد: عليّ ولد في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٧٧، وهاشم ولد في ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٨٥، ومحمود ولد في أوّل شعبان سنة ١٣٩٠. «ع»

السيّد الشريف عبّاس[1] المولود صبح الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٣١، أخذ العلوم العربيّة والفنون الأدبيّة عن أساتذتها في جبل عامل، ثمّ هاجر إلى العراق سنة ١٣٥٢ متفرّغاً لطلب العلم في النجف الأشرف مكبّاً في الليل والنهار على تحصيله. وقد رأيته في العراق سنة ١٣٥٥ إذ أنعم الله علينا بتجديد العهد بمشاهدها الشريفة ومواقفها الكريمة، واستقبلنا إلى الكاظميّة بقصيدة حافلة بعواطفه الشريفة، وستسمعها في محلّها من الباب الثاني، فسرّني فضله وهديه، وكان يحضر درسي الإمامين: السيّد أبي الحسن الموسوي الأصفهاني، والشيخ محمّد رضا آل ياسين الكاظمي، وربما حضر على الحجّة السيّد محسن الحكيم الطباطبائي وغيره من أعلام النجف.

وفي سنة ١٣٦٨ رجع إلى عاملة، وحلّت ركابه في بلده معركة، وإنّه ليحرز من نفسه أنّه كرع من مناهل الفقه وأصوله حتّى ارتوى، وله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد العامّة إلى الصراط السويّ والطريقة المثلى، والنصح لله تعالى ولعباده، وإصلاح ذات البين، همّة عالية، لها أثرها المشكور، لم يقتصر في ذلك على أهل بلده

---

١. ثانيهم: السيّد حيدر ولد في ١٧ شوّال سنة ١٣٤٢، وتوفّي في ٥ ذي الحجّة سنة ١٤٢٤، وله أربعة أولاد: محمّد حسن ولد في ١٨ جمادي الأولى سنة ١٣٦٩، وله ولد اسمه وسيم، ولد في ١٩ المحرّم سنة ١٤٠١. وعليّ ولد في رجب سنة ١٣٧٥، وله ولد اسمه محمّد ولد في ٢٩ شعبان سنة ١٤١٨. ومرتضى ولد في ١٨ ذي الحجّة سنة ١٣٨١، وله ولدان: محمّد ولد في ١٠ رب سنة ١٤٠٦، وعليّ ولد في ٢٢ صفر سنة ١٤٠٨. وحسين ولد في ٢٤ المحرّم سنة ١٣٨٨، وله ولد اسمه صادق ولد في ١٥ شعبان سنة ١٤١٧.

ثالثهم: السيّد أبو الحسن ولد سنة ١٣٤٧، وله خمسة أولاد: عليّ ولد في ٤ صفر سنة ١٣٧٦. وعبّاس ولد في ٢٦ ذي الحجّة سنة ١٣٨٣. وإبراهيم ولد في ١٠ جمادي الثانية سنة ١٣٨٧. ورضا ولد في ١٠ جمادى الثانية سنة ١٣٩٣. ومحسن ولد في ١٣ رجب سنة ١٣٩٨.

رابعهم: السيّد جعفر ولد في حدود سنة ١٣٥٠ وله ثمانية أولاد: عبدالله ولد في ٥ ذي القعدة سنة ١٣٧٦. ومحمّد ولد في ٥ رمضان سنة ١٣٧٨. وعليّ ولد في ١ شوّال سنة ١٣٨٤. وحسن ولد في ١٨ ربيع الأوّل سنة ١٣٨٨. وحسين ولد في ١٥ ربيع الأوّل سنة ١٣٩٠. ويوسف ولد في ٤ شعبان سنة ١٣٩٢. وموسى ولد في ٢ رجب سنة ١٣٩٥. وأحمد ولد في ٢٧ المحرّم سنة ١٣٩٩.«ع»

بل تجاوزها إلى ما عداها، لا يفترّ عن ذلك أينما حلّ، يؤدّي بهذا شكر ما أنعم الله عليه من الحكمة وفصل الخطاب.

وقد افتتح أعماله بتجديد المسجد المجاور لبيتهم ـ مسجد آبائه الميامين ـ وكان خراباً، فأعاده أحسن ممّا كان، ثمّ عمره بالعبادة وتلاوة القرآن والموعظة، ودعا أهل بلده إلى تجديد مسجدها الجامع، وكان يباباً[١]، فلبّوا دعوته فإذا هو مشاد معمور بالعبادة[٢].

وله في العبادات، والمكاسب والفقه، وفي مباحث الألفاظ، والأُصول العمليّة، من علم الأُصول كتب، قرّر فيها دروس أساتذته الأعلام بتحقيق ودقّة اعتدال.

وله مكانة في الأدب العربي، ونظم القريظ، وإنشاء الخطب المتنوّعة، وله شعر كثير في شتّى المواضيع، يحضرني منها أبيات بعثها إليّ من النجف الأشرف، تمثّل عواطفه الشريفة بمناسبة بعض الأعياد.

بهجةَ الشرع مفخرَ الإسلامِ وعظيم السراة بين الأنامِ
صوّر الدهر من علاك مثالاً رائع الصنع خالد الاعظامِ
وتبدّى إلى الخلائق بدراً ماحياً في سناه كلّ ظلامِ
دام للدين منعةً وملاذاً لبنيه إذ دمت خير إمامِ
خصّك الله بالإغاثة للدين وبالمجد للأُمور الجسامِ
للهدى، للعلوم، للبائس المعدم، والذبّ عن حمى الإسلامِ

١. اليباب: الخراب، يقال: أرض يباب، أي خراب. راجع: الصحاح ١: ٢٤٠؛ القاموس المحيط ١: ٣٠٩، «ي. ب. ب».

٢. انتقل بعد ذلك إلى الغازية والتفّ أهلها حوله وأحلّوه المحلّ اللائق به، وقام فيها خير قيام في إقامة الشعائر والوعظ والإرشاد إلى أن توفّي في ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٩٢ وكان يومه مشهوداً وأُقيمت لذكراه حفلة أُسبوعيّة فخمة في النادي الحسيني في الغازية تبارى فيها الخطباء والشعراء مشيدين بمآثره ومزاياه الجميلة عليه الرحمة. «ع»

إذ تكـوّنت فـي البـريّة سلكاً جـامع الشـملِ رائـع الانـتظامِ
ولهـــذا غـدوت زهـوة هـذا العـيد نشـراً ونـضرة الأيـامِ
وبســمع الزمـان نـغمة حـقّ أنـــعمته فـي روعـة الأنـغامِ
جـئت مـولاي مـاثلاً بكـتابي مـلقياً فـي يـديك فـضل زمـامي
داعـــياً أن تـدوم خـير مـنارٍ مشـرقاً فـي سـنائه كـلّ عـامِ
مـهدياً وجـدي المـصون وحـبّي للـمصاليت مـن بـنيك الكـرامِ

ويحضرني أيضاً أبيات ارتجلها في ليلة جمعة ببعض إخوانه العامليّين في النجف الأشرف، فكانت ليلة سرور متبادل بينهم.

يـــا ليـلة بـسم السـرور بـظلّها وتـــضوّعت فـيها بـذاك خـمائلُ
فكأنّـــها والشـعر يـنشد بـيننا روض تـجاوب فـي رُبـاه بـلابلُ
صـفح البـهاء بـها وطـاب أريـجها كـالزهر صـبحاً حـفّ فـيه جـداولُ
نـتلو أحـاديث الكـمال وليس عـن حلو الحديث ـ سوى السماور ـ شاغلُ
وتـــراه مـــهتزّاً يـــدقّ كأنّـــه دقّـات قـلب الصبّ فـيه تـواصـلُ
واللـــحن مـختلف وفـي جـنباته سُـــرج تـبصّ كأنّـهنّ مشـاعلُ
وعـــليه إبـــريق تسـاقط نـظمه يـحكى دموع الطـلّ حـين تسـايلُ [١]

وأمّا السيّد محمّد الزمنطوط بن مهديّ بن محمّد بن إبراهيم بن عبد السلام، فقد كان من أباة الضيم، وفتيان النجدة، عزوفاً عن معرّة الامتهان، نزوعاً عن البخوع للإقطاعيّين، مدلاً عليهم بحسبه ونسبه، يتذمّر من ضرائبهم، متنمّراً عليها وبذلك دُعي الزمنطوط(١).

---

(١) فإنّ الزمنطوط عند العامّة في جبل عامل من لا يرضى لنفسه أن يكون كسائر العامّة، ممّن تستعبدهم الحكومة والإقطاعيّون، وقد لقّبه بهذا زعيم البلاد يومئذٍ عليّ بك الأسعد ﷺ.

---

١. للمزيد راجع ص ٧١١ـ٧١٢، الذيل ٢.

وقد أعقب من ثلاثة أولاد: عليّ، ويوسف، وهاشم.

فلعليّ ولد واحد اسمه محمّد، هو الآن في قرية برج الشمالي قرب صور، أصابه اليتم طفلاً فظلّ بائساً أميّاً، وله الآن ولد واحد اسمه عبّاس، وقد ولد سنة ١٣٦٤[١].

واستوطن يوسف وهاشم ابنا الزمنطوط بنت جبيل وماتا فيها[٢]، وكانا تقيّين صالحين إلى الغاية، ولهما سيرة حميدة، وسريرة طيّبة، ولكلّ منهما في بنت جبيل بقيّة صالحة[٣].

أمّا السيّد عطاء الله بن السيّد مهديّ بن السيّد محمّد بن السيّد إبراهيم بن السيّد عبدالسلام، فقد كان من أولياء الله المخلصين المنقطعين، المتقنين للتقليد في الأحكام الشرعيّة الفرعيّة إتقاناً قلّ نظيره، على غاية من الورع والاحتياط.

قضى نحبه في قرية باريش سنة ١٣٠٩ وكان قد استوطنها.

وأعقب ولداً واحداً، هو العبد الصالح، الأبيّ الحميّ، التقيّ النقيّ، الوفيّ، السيّد الشريف مهديّ، المتوفّى بباريش أيضاً سنة ١٣٣٤، عن نيّف وخمسين سنةً من عمره الشريف، وقد حجّ بيت الله الحرام، وزار النبيّ ﷺ والأئمّة الاثني عشر عليهم السلام مراراً، وكان صادق اللهجة مستجاب الدعوة.

والعقب منه منحصر بولده الشريف، السيّد عبد اللطيف، المولود بباريش سنة ١٣١٨، والقاطن فعلاً في ضيعة تدعى جناثاً، وله فيها عقب[٤].

---

١. توفّي السيّد محمّد هذا في ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٣٨٤، ولولده عبّاس المذكور ثلاثة أولاد: محمّد ولد في ٢ جمادى الأُولى سنة ١٣٩٦، وعليّ ولد في ٤ المحرّم سنة ١٤٠٣، وحسن ولد في ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٤٠٨.«ع»

٢. توفّي السيّد يوسف في ٥ رمضان سنة ١٣٥٥، وتوفّي السيّد هاشم في ١٧ شوّال سنة ١٣٥٧.«ع»

٣. للمزيد راجع ص ٧١٣ ـ ٧١٤، الذيل ٣.

٤. توفّي عليه الرحمة في ١٢ صفر سنة ١٤٠١ وعقبه هم: شريف ولد سنة ١٣٥٠، وعليّ ولد في ٤ ذي الحجّة سنة ١٣٥٣، ويوسف ولد في ١٦ صفر سنة ١٣٥٨. والمعقب منهم إلى الآن هو عليّ فله خمسة أولاد: فؤاد ولد في ٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٧٦، وحسن ولد في ٢٤ شعبان سنة ١٣٧٧، وأحمد ولد في ٦ ذي القعدة سنة ١٣٨٢، وعماد ولد في ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٨٦، ومحمّد ولد في ٢٢ صفر سنة ١٣٩٠.«ع»

الغصن الثالث والغصن الرابع من دوحة عبد السلام

هما الصنوان الباسقان، والتوأمان الكريمان موسى وعيسى ـ ابنا عبد السلام بن زين العابدين بن عبّاس ـ ولدا في جبشيت سنة ١١٨٨ منتصف رجب، فهنا فصلان.

الفصل الأوّل للسيّد الشريف موسى، ويعرف بالسيّد موسى عبّاس

أخذ العلوم العربيّة والفنون الأدبيّة عن أعلامها، وكان مقدّماً فيها، وهاجر إلى النجف الأشرف فأخذ الفقه وسائر العلوم الدينيّة عمّن كان يومئذٍ فيها من شيوخ الإسلام وأعلام الفقه والأُصول حتّى تخرّج فقيهاً من فقهاء أهل البيت عليهم السلام.

وكان ممّن يشار إليه في فنون الأدب، ويعتمد عليه في اللغة، ويعدّ من شعراء عصره، وله شعر محفوظ سائر، وقد بلغني أنّ له ديواناً من الشعر أكثره في مدح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة من بعده عليهم السلام.

وأنّ له رسالة فيما انفردت به الإماميّة من المسائل الفقهيّة، وأُخرى في صلاة المسافر، وثالثة في مناسك الحجّ.

ومن شعره المحفوظ قصيدته التي ارتجلها يوم وفاته، وأوصى أن تكتب على كفنه وهي أربعة وأربعون بيتاً جلّها في المناجاة. قال في مستهلّها:

إلى مَ إلهي في معاصيك أدأبُ   أُشـرّقُ فـيها تـارةً وأُغـرّبُ

وقد ذكر فيها جدّه أمير المؤمنين عليه السلام واستشفع به فقال:

أبـا حسنٍ حرّ المصيف يضرّني   فكـيف لظـىً لو لوّحـتني وهـبهبُ
أتـعلو عـلى متن الصراط وتحته   ولـيّك بـالـك يسـتغيث ويـندبُ
أفي هـذه الدنـيا أُقـاسي بك العـدى   وعند مـماتي فـي الجحيم أُكـبكبُ
فما الفرق بيني يوم حشري وبين من   غـدا لك فـي نـصب العداوة يـدأبُ
أبـا حسـن أنت الأمـان إذا أتـى الـنـ   ـداء خـذوه والمـوازين تـنصبُ

ويــا مــلكي قـبري أبـعدا وتـنحّيا فـحبُّ عـليّ المـرتضى لي مـذهبُ
حــتانيكما لا تــذعرانــي فـإنّني إليـــــه بآبـــائي أمت وأُنسبُ
وللّــــــه أمّ أرضــــعتني ولاءه وقد كان في صدق الولا مثلها الأبُ
يُسَــلّب أثـواب الحـياة مـغسّلي وثـــوب ولاه ثـــابت لا يُسَـــلّبُ
أمــنكر قــبري أخــتشي أم نكـيره إذن أنــا فـي نصّ الغـدير مكـذّبُ
فــمن مـبلغ عـنّي المسـيئين أنّـني وهـبت خـطايا جـمّة ليس تـوهبُ[١]

ومن شعره المحفوظ أيضاً قصيدته العصماء في مدح سيّد الأوصياء عليه السلام، التي استهلّ فيها بقوله:

هي مهجة ملك الغرام قيادها[٢].

تفنّن فيها، فابتدأ بالنسيب على عـادتهم المألوفـة، ثـمّ تـخلّص إلى مـدح أمـير المؤمنين، فكان بعيد المضمار، طويل النفس، موفّقاً في ذلك غاية التوفيق، أودعها من ولائه الصادق، وعواطفه الثائرة للوصيّ المهتضم جدّه ما لا تحتمل هذه العجالة بيانه، والتفت بعد الإفاضة في هذا الموضوع إلى وليّ الأمر وإمام العصر مستثيراً حفيظته تجاه الحقّ المسلوب، وطفق يلفته إلى الطفّ وفاجعته الأليمة في أبيات استرسل فيها بـما يسعر الوجد، ويضرم الأنفاس، بأسلوب من الرثاء رائع!...

وقد كان بين السيّد وشيخنا العلّامة الشيخ إبراهيم صادق[٣] ـ أعلى الله مـقامهما ـ مراسلة مودّة، ومباراة مصافاة، تبادلا فيها التعريض بسبائك القريض فممّا قاله السيّد:

يا سائلاً عـن كـريم واضـح النسب مـهذّب الجـدّ خـير ابـنٍ لخـير أبِ
جـمّ الفـضائل مأمـون الغـوائـل لم تُـذْمَم خـلائقه بـالسخطَ والغـضبِ

١. أعيان الشيعة ١٠: ١٩٠، بتفاوت يسير.

٢. المصدر.

٣. كان من أقطاب الأدب وأركان العلم وفرسان القريض، جرى في ميادين العلم، ودارت عليه رحى الشعر والنثر فكان من المجيدين فيهما، والمحسنين في صوغهما، ولد في الطيّبة سنة ١٢٢١، وتوفّي فيها سنة ١٢٨٤. انتهى. ملخّصاً عن ماضي النجف وحاضرها ج٣ ص٥٣٦. «ع»

فــذلك النـدب إبـراهـيم خـير فـتىً		يعزى إلى صادق في الفـضل والأدبِ
ما همّه غير كسب المكـرمات فـلا		نــراه إلّا لهـــا يــوماً بــمكتسبِ
ولم يــزل للــمعالي ســاعياً أبـداً		وما له في سـوى العـلياء مـن أربِ
قد طاب فرعاً لطيب الأصل منه وهـل		فرع إذا طـاب مـنه الأصـل لم يـطبِ
لم تـخط قـطّ مـرامـيه وإن كـثرت		وربّ رامٍ كـثير الرمـــي لم يـصبِ

إلى منتهى اثنين و عشرين بيتاً، أوردها الشيخ في مجموعة له، وقفت عليها بخطّه الشريف، وإنّها لعيبة غرر ودرر من كلمه، وخزانة شذرات من شذر قلمه.

وبعد أن نقل القصيدة عن السيّد موسى قال:

وله أجاره الله تعالى، وقد حدث له رمد منعه عن الخروج من داره، لقضاء بعض أوطاره، بقي على ذلك أيّاماً لا أعلم بما عراه، ولا وصلت لزيارته عائداً له في فـناه، فأوجس في نفسه أثر الصدّ، وتخيّل أنّ ذلك صدر عـنّي عـلى وجـه التـعمّد والقـصد، فأنشد هذه القصيدة الغرّاء، وأنشأ هذه الخريدة العذراء، يسوق بـها العـتب إليّ، ويشكـو فـي مطاويها عليّ، عند جناب مولانا الأفضل الشيخ مهديّ[1] نجل المرحوم الشيخ عـليّ المحترم[2] ويمدحه أيضاً بها، ولقد أجاد فيها كلّ الإجادة، وبلغ من سلوك نهج البلاغة فيها مراده، وهي:

ما كنت أحسب يـا ابـنة الأتـراك		وأنا الزعـيم أكـون مـن أسـراكِ
أمِـن الحـجاز إلى العـراق بـليلةٍ		ســرتِ فسبحان الذي أسـراكِ
حتّى سفكت دمـي بغير جـنايةٍ		يـا ليت شعري مـن بـه أغـراكِ
هلّا جريت على الوفاء لمن غـدا		لهــجاً فـلا يـنفكّ عـن ذكـراكِ

---

١. هو الشيخ مهديّ بن الشيخ عليّ بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، قال في التكملة: انتهت إليه الرئاسة بعد الشـيخ الأنصاري، وكان المرجع العامّ لأكثر الأقطار، ولد في النجف سنة ١٢٢٦، وتوفّي سنة ١٢٨٩. انتهى. ملخّصاً عن ماضي النجف وحاضرها ج ٣، ص ٢٠٥. «ع»

٢. قال في التكملة: كان شيخ الشيعة ومحيي الشريعة، أُستاذ الشيوخ الفحول الذين منهم الشيخ الأنصاري، انتهت اليه رئاسة الإماميّة في عصره، وكان ورعاً زاهداً، كثير الذكر، دائم العبادة. وكان شاعراً ماهراً وقد نظم في أغلب نواحي الشعر، توفي سنة ١٢٥٣. انتهى ملخّصاً عن ماضي النجف وحاضرها ج ٣ ص ١٦٨. «ع»

إن قلتِ لا أدري فحبُّك شاهدٌ عندي عليكِ بأنّه أدراكِ
إن كان عن عينيّ واراك القِلى فعن الحشا والقلب ماواراكِ
يا ليت ما أوريته في مهجتي من نار حبّك في الهوى أوراكِ
فلقد فريت بالصدود مرارتي وعلى صنيعك بي فما أمراكِ
ماضرّ لو بالوصل تقرين امرأً في وصله قد طال ما أقراكِ
جاءت تطالبني وقد سفكت دمي منه البراءة قلت لا أبراكِ
من ذا دعاك إلى القطيعة والجفا وعليّ من جرّاكِ ما أجراكِ
هل كان إبراهيم علّمك الجفا فجريتِ منه على الذي أجراكِ
عجباً له وهو ابن برٍّ صادقٍ أغراكِ بي ومن الوفا أغراكِ
فلأشكونّكما إلى من حكمُه ماضٍ على الأعراب والأتراكِ
أسخى الورى من لم يقل في عمره لا، قطّ، لولا خيفة الإشراكِ
علم الهدى ـ المهديّ ـ من آلاؤه كصفاته جلّت عن الإدراكِ
بحر العلوم وكلّ بحرٍ جعفر والبحر ليس يقاس بالأبراكِ
كم مجمل كشف الغطا عنه وقد أعيت مداركه على الدُّراكِ
علم يكاد يضيق عنه دعاؤه ولو انّه الدنيا بلا استدراكِ
عزم يدبّر فيه أرباب النهى ويدمّر الطاغي بغير عراكِ
وترى الملوك مهابة في بابه خشباً مسنّدةً بغير حراكِ
يا أيّها المهديّ فضلك باهر وأنا قصير الباع والإدراكِ
خذها مبشّرةً بعزٍّ دائمٍ عمر الزمان وقل لها بشراكِ

قال الشيخ ﷺ:

ولقد كتب إليّ قبل هذه الواقعة بمدّةٍ أيضاً هذه الأبيات يعرّض فيها بالعتب على هذا الداعي، الذي لم يزل لواجب حقوقه مراعي، وذلك أنّه قد حصل له شكاية فاستبطأ قدومي عليه، وورودي إليه، وهي هذه:

هو الحبّ لكن ليس للحبّ صاحبُ وحسبك منه مدّعٍ وهو كاذبُ
فما كلّ من يبدي المودّة ناصح وما كلّ مصحوبٍ من الناس صاحبُ

فما ساءني من كان لي غير صاحبٍ ... ولكنّما قد ساءني من أصاحبُ
فكم من حميمٍ قد سقاني حميمهُ ... وأثلج قلبي بالوصال الأجانبُ
وكنت كثير العتب إن سامني قلىً ... صديقٌ حميمٌ أو جفتني الأقاربُ
إلى أن سقاني الدهر ما مرّ أو حلا ... وجرّبت أهليه كفتني التجاربُ

وله أيضاً:

يماذقني بالودّ من لا أُماذقُهْ ... ويستامُني بالهجر من لا أُنافقُهْ
ويعرض عنّي لا لذنبٍ جنيته ... لكلّ امرئ ما عوّدته خلائقُهْ
لئن حال عن عهدي وداد ابن صادقٍ ... فإنّي لعمري ثابت الودّ صادقُهْ
فقولا له يا صاحبيّ فما عدا ... تصاحبه بالأمس ثمّ تفارقُهْ

وله أيضاً:

فهاك نظاماً قد تنظم عقده ... ففاق على جيد الغزالة رونقا
فناظمه من كنت ناظم شمله ... بقربك حتّى غبت عنه تفرّقا
كأن لم يكن ما كان والدهر قُلّبٌ ... فطوراً إلى النعما وطوراً إلى الشقا
بنارك قد أحرقت جسمي وليتها ... عليَّ كما كانت عليك هي الوقا

قال ـ قدّس نفسه الزكيّة ـ:

وقد ألمح في هذا البيت إلى قوله تعالى: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾[1] إلى آخره حيث إنّ تلك النار كانت نجاة لإبراهيمعليه السلام يوم أُلقي فيها، وعذاباً على غيره.

فأثبت على وجه الكلّيّة بطريق الادّعاء أنّ كلّ نار تضاف لهذا الاسم ـ أعني إبراهيم ـ لا تحرقه بل تكون وقايةً له ومحرقةً لغيره.

[قال]: وله أيضاً:

شكوت له ما بي من الوجد والجوى ... وهل تنفع الشكوى إلى غير راحمِ[2]
ويا ليت شعري ما يفيد تظلّمي ... إذا كان من أشكو له الظلم ظالمي

١. الأنبياء (٢١): ٦٩.

٢. حكى هذا البيت السيّد الأمين رحمه الله ضمن قصيدة طويلة. راجع أعيان الشيعة ١٠: ١٩٦.

قال الشيخ:

وكتب بعد هذه الأبيات كلّها: «ليس على المريض حرج».

وأقول: أجل لا حرج عليه في ذلك، ولا إثم عليه في إصدار ما هنالك، ولولا أنّه كان عند إنشاء هذه الأبيات، موعوك الحواسّ والذات ـ كما ذكر سلّمه الله، وأولاه رضاه ـ لتوجّه الحرج الشديد، ورُدّ ما ادّعاه بما ليس عليه في الوضوح من مزيد، فإنّه قد أفرط في نسبة عدم الوفاء إليّ، وتجاوز حدّ الصدق في الاقتحام عليّ ـ غفر الله تعالى لي وله ـ وزادني به ولهاً، كما زاده بي، مع ما أنا عليه من التقصير معه وله.

قلت: وكانت وفاة السيّد موسى في المشهد الغروي يوم عاشوراء سنة ألف ومائتين وخمس وستّين، عن سبع وسبعين، ولا عقب له، ألحقه الله بدرجة آبائه[1].



الفصل الثاني للسيّد الشريف عيسى بن عبد السلام بن زين العابدين بن عبّاس

كان ـ رحمه الله تعالى ـ عالماً فقيهاً ورعاً صدّيقاً، مشغولاً بنفسه، لا يعنى إلّا بتهذيبها وتقريبها من خالقها ـ تبارك وتعالى ـ لم يكن له اتّصال بالناس في غالب أوقاته لانقطاعه عنهم، وكان يكره الشهرة ويؤثر الخمول، حتّى أوصى أن لا ينعى ولا يرثى إذا مات، دأبه الذكر والفكر، وكان من ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[2]، ومن ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[3]

---

١. ترجمه في تكملة أمل الآمل ص ٤٠٧، وله ترجمة في ج ١٠ من أعيان الشيعة ص ١٩٠ وما بعدها مع مختارات كثيرة من أشعاره.

٢. الأنفال (٨): ٢.

٣. الفرقان (٢٥): ٦٣.

وقد اختار الله لقاءه في جبشيت سنة ١٢٣٩ عن إحدى وخمسين سنة، وأعقب من ولده التقيّ الورع المهذّب السيّد عبّاس ـ بن عيسى بن عبد السلام بن زين العابدين بن عبّاس ـ وكان من صالحي المؤمنين وعدولهم، باتّفاق معاصريه في بلاده من علماء وغيرهم. وكان شيخ الإسلام الشيخ عبدالله نعمة يولّيه على الأيتام والأوقاف وأموال الغائبين، ويوكّل إليه الأمور الحسبيّة؛ اعتماداً على هديه وعقله وورعه، وكان من أهل البصائر، مخلصاً نصوحاً، مفوّهاً، حلو المحاضرة، خبيراً بحوادث السنين وأنباء الماضين، ولا سيّما الأمور المتعلّقة بأسرته، فقد كان من رواتها وأثباتها، وله فضل على مؤلّفنا هذا بما وصل إلينا عن طريقه من أخبار سلفه الصالح.

وكان الشيخ عبدالله نعمة والشيخ محمّد عليّ عزّ الدين والشيخ عليّ السبيتي يأخذون عنه أنباء البلاد ووقائعها.

أدركت من حياته اثني عشر عاماً؛ إذ كانت وفاته سنة ١٣٠٢ في جبشيت، عن أربع وسبعين سنة من عمره الشريف، وقد أوصى إلى المقدّس والدي، وهو الذي صلّى عليه في خلائق كثيرة وكان يومه مشهوداً، وكنت مع والدي يومئذٍ، فرأيت الناس يشيّعون الجنازة بالحمد والثناء، ورأيت من أسفهم وازدحامهم على سريره وتنافسهم في ذلك، ما يمثّل اعتقادهم بقدسيّ ذاته وقرب منزلته من الله ـ عزّ وجلّ ـ.

وأعقب السيّد عبّاس هذا من أربعة أولاد: السيّد محمود[1] المتوفّى في

---

١. العقب من السيّد محمود هذا منحصر في ولده الصالح السيّد محمّد أمين الذي ساقته السلطة العثمانيّة في تجنيدها الإجباري أيّام الحرب العالميّة، فبلغت به القسطنطنيّة فقضى نحبه في محلّة من محلّاتها تدعى حيدر باشا وذلك سنة ١٣٣٤، عن اثنين وأربعين من عمره، وحين مات وجدوا في أمتعته نسبه الشريف بسلسلته ←

جبشيت سنة ١٣٢٢ عن ثلاث وخمسين سنة من عمره، والسيّد قاسم[1]، والسيّد جواد[2]، والسيّد عليّ المنقرض، وقد توفّي هؤلاء الثلاثة في جبشيت أيضاً بوباء الحرب العالميّة سنة ١٣٣٣.

وكانوا كأخيهم السيّد محمود أتقياء بررة، بل كانوا من خيرة الخيرة، وكان لأبيهم السيّد عبّاس بن عيسى ولدان ماتا في حياته ولا عقب لهما وهما: السيّد أمين[3]،

---

(١) أعقب السيّد قاسم هذا من ولد نجيب، هو السيّد محمّد المولود سنة ١٣٣٠، ولمحمّد هذا ثلاثة أولاد: عليّ المولود سنة ١٣٥٧، وجعفر المولود سنة ١٣٦٣، وقاسم المولود سنة ١٣٦٤.

(٢) أعقب السيّد جواد هذا ولد اسمه عبّاس، وقد مات عبّاس هذا سنة ١٣٥٦ عن ولدين وهما: محمّد المولود سنة ١٣٥٠، وعبد الحسين المولود قبيل وفاة أبيه.

ولمحمّد ثلاثة أولاد: عبّاس ولد سنة ١٣٧٩، وعلي ولد سنة ١٣٨١، وحسن ولد سنة ١٣٨٤.

(٣) كان السيّد أمين هذا من فتيان النجدة والسخاء والحميّة والإباء، ذا همّة عالية ونفس شريفة وحفائظ هاشميّة، مات في مقتبل عمره بمصر مسموماً مظلوماً مناضلاً عن الإماميّة محتجّاً لهم ولا عقب له.

← المتّصلة برسول الله ﷺ وعترته الطاهرين موقعاً عليه بالتصديق من أعلام العلماء، فعظُم السيّد في نفوسهم، فجهّزوه أحسن تجهيز، واحتفلوا في تشييعه والصلاة عليه ودفنه، وبنوا على قبره وكتبوا اسمه عليه. وأعقب هذا السيّد ولدين موجودين في جبشيت، أحدهما السيّد عليّ المولود سنة ١٣١٩، والمتوفّى في ١٥ المحرّم سنة ١٤٠٣، والثاني السيّد حسن المولود في صفر سنة ١٣٢٩، والمتوفّى في ٥ ذي القعدة سنة ١٣٩٢، عن ولد واحد اسمه محمّد ولد في جمادى الثانية سنة ١٣٨٣.

وللسيّد عليّ ثلاثة أولاد: أحمد المولود سنة ١٣٥٦، ومحمود المولود سنة ١٣٥٨، وإسماعيل المولود سنة ١٣٦٣. ولمحمود ولدان: فؤاد ولد في ٦ ذي القعدة سنة ١٣٨٧، وعليّ ولد في ٤ صفر سنة ١٣٩٠، ولإسماعيل ولد اسمه إبراهيم ولد في ٣ ذي الحجّة سنة ١٣٨٧. «ع»

والعالم الفاضل السيّد محمّد نزيل الفرس(١)، وصاحب الرياضات والكرامات[١].

وأمّا السيّد مصطفى[٢] ـ بن عليّ بن عليّ نور الدين بن نور الدين عليّ ـ فهو جدّ السادة المقيمين في صور والمعروفين بآل مرتضى، ومنهم السيّد إبراهيم بن السيّد محمّد بن السيّد إبراهيم بن السيّد نور الدين بن إبراهيم بن السيّد مرتضى بن السيّد مصطفى المذكور[٣].

(١) تخرّج في النجف الأشرف على ثلّة من شيوخ الإسلام، واختصّ منهم بالشيخ محمّد حسين الكاظمي، صاحب هداية الأنام في شرح شرائع الإسلام، وكان الشيخ يبالغ في احترامه، والتماس أدعيته، وقد مات في النجف الأشرف سنة ١٣٩٧، وكثيراً ما سمعت الثناء عليه ممّن عاصره، كالسيّدين والدي وخالي الإمام أبي محمّد الحسن.

١. ذكره ثقة الإسلام الإمام الميرزا حسين النوري ﵀ في كتابه النجم الثاقب الفارسي، وأورد عنه قصّتين تمثّلان زهده وعظيم رتبته عند الله عزّ وجلّ، وذلك في ص٢٣٧ من الطبعة الأخيرة [: ٤٢١ ـ ٤٢٩]. وقد ذكر في مقدّمتها ما تعريبه:

العالم الصالح التقيّ السيّد محمّد عبّاس العاملي، وكان قد هرب من وطنه حين اشتداد حكم الدولة العثمانيّة بتجنيد طلبة العلم مع سائر عساكرها المجنّدة، وحيث إنّه لم يجد لنفسه النجاة إلّا بالفرار خرج من بلاده متخفّياً حتّى انتهى إلى النجف الأشرف، وكان في غاية الفقر ونهاية العفّة، وفي أيّام سفره رأى في اليقظة والمنام عجائب كثيرة يطول المقام بشرحها، ولشدّة حيائه وعفّته لم يطّلع على حاله سوى نفرين أو ثلاثة. أحدهم مؤلّف الكتاب الذي كان يعيره أحياناً بعض كتب الأدعية. وكثيراً مّا كان يقضي السيّد المذكور معيشته بتميرات يسيرة إلى أن اشتدّ به الفقر وضاقت عليه الأمور. إلى آخره.«ع»

٢. لا يخفى أنّه أخو السيّد عبّاس صاحب نزهة الجليس الذي تقدّم الكلام عنه في ص ٨٤.«ع»

٣. عثرت صدفةً على ترجمة لولد آخر للسيّد مصطفى هذا، وذلك في كتاب تراجم الرجال [١: ٣٨٨، الرقم ٧١٥] للسيّد أحمد الأشكوري الحسيني، فقد أورده تحت عنوان السيّد عليّ المكّي وقال:

عليّ بن مصطفى بن عليّ بن نور الدين الحسيني الدمشقي المكّي الصنعاني. هاجر إلى اليمن؛ لنشر التشيّع متستراً بستار التجارة والزراعة. قال في نبلاء اليمن ج٢ ص٣٠٣: هو أوّل من أخرج الزجاج الألواح إلى اليمن، وكان يعرف بها، وقدم على الإمام المهديّ العبّاس بأنواع التحف، وأخرج له ألوان الصيني، فبنى ديواناً ببستان المتوكّل وصلّح جدرانه بذلك الصيني. وهو أوّل من أبر النخل بصنعاء للمهديّ وصلح، وأوّل من أخرج إلى اليمن حبوب التوت الأبيض وغرسه بالبستان، ورغب في اليمن وأهله، وأظهر مذهب الإماميّة على أشدّ خفية، واستمال جماعات إليه وبثّ لهم من علوم الإماميّة فرغبوا معه فيه، وعانى باليمن أمور التجارة والكسب، وكان صبوراً على مشاقّها سهل القضاء سهل الاقتصاد. توفّي بصنعاء في ربيع الآخر سنة ١١٩٦. انتهى.

وهذا التأريخ متأخّر عن تأريخ وفاة عمّه صاحب نزهة الجليس بسبع وثلاثين سنة، ويحتمل أن يكون له نسل في اليمن.«ع»

ولد ﷺ في صور حدود سنة ١٢٧٠، وأُصيب وهو صبيّ بفقد أبيه، فنشأ يتيماً وشبّ فقيراً؛ لذلك لم يتسنّ له الدخول إلى مكتب، ولا حضنه متعلّم، فنشأ أُميّاً لا يقرأ كتاباً ولا يخطّ بيده حرفاً، وترعرع صفر اليدين من كلّ صفراء وبيضاء، بين قوم أخملهم الدهر، وأزرى بهم الجهل والفقر، لكنّ الله ـ سبحانه ـ رفع قدره، وأشاد بعد ذلك ذكره.

لم تكن في هذه القصبة أُسرة تجمعها وإيّاه عصبة؛ ليستظلّ بوارف عزّها، أو يأوي إلى رواق مجدها، بل لا عضد له فيها ولا ولد ولا صهر ولا ختن ولا أحماء، ولكنّ الله يعزّ بطاعته من يشاء.

فهو وإن كان شريف الجرثومة، منيف الأُرومة، متفرّعاً عن دوحة النبوّة، باسقاً من سرحة الإمامة سرحة التقوى والرضوان، لكنّه لم ينشأ في حجر آبائه، ولا درج من مهد أوليائه، وإنّما تداركته أعراق صدق، وتلاقته منابت عتق، فنزع بفطرته إلى كرم أصله، ورجع من تلقاء نفسه إلى مجد أهله.

نفس عصامٍ سوّدت عصاما وعلّمته الكرّ والإقداما

حاله إجمالاً من مبدإ أمره إلى آخر عمره

نشأ ﷺ مولعاً بالكرم والمكارم، وطمعت نفسه منذ راهق إلى الفخر والمفاخر، ونزعت همّته إلى الظهور، وعرجت به إلى معالي الأُمور، لم يقعد عمّا تسمو إليه النفوس العزيزة، وترقى إلى أوجه الهمم العالية، من التدخّل في إنجاز المهمّات، ودفع الملمّات، ولَمّ الشعث، ورتق الفتق، وإصلاح الفاسد، وخدمة الوطن، والنصح لعامّة المواطنين، والتفاني في حبّ المقاصد الخيريّة، والمشاريع العموميّة.

واختصّ بالعامّة، وهمّ السواد الأعظم من الناس، فجعلهم كشعاره ودثاره في ليله ونهاره، وقد بلغ في النصح لهم كلّ مبلغ، إغاثةً لِلَهيفِهم، وإعانةً لضعيفهم، ومحالفةً لمظلومهم، وعطفةً على يتاماهم، ورأفةً بأياماهم، وتفقّداً للبائس الفقير منهم بالصدقة،

وللشيخ الكبير بالنفقة، والعيادة لمرضاهم، والاحتياط أبداً على رضاهم، والرعاية لجميع شؤونهم، فاسترسلوا في خدمته، وتهافتوا على طاعته، وتابعوه في مرماه، وشايعوه في كلّ ما يراه أو يهواه، فارتفعتْ بذلك في نفوس الخاصّة منزلته، وعظم لديهم قدره، ووقع في قلوبهم موقعاً كريماً، ولا بدع فإنّ الخاصّة في مثل هذه الأُمور إنّما هي تبع للعامّة، والعامّة عليها المدار، وبها لا بسواها الاعتبار.

ولمّا اشتدّ أزره، واستفحل بالعامّة أمره، أرخى عنان المكارم، وبسط يده في اصطناع المعروف فاجتمعت الكلمة على حمده، واعترف الجميع بمجده.

خُلقه وخَلْقه

كان ﷺ فخماً ضخماً، وقوراً مهيباً، ظاهر الأُبهة، ربعةً بادناً، قويّ البنية، وثيق التركيب، متين العصب، ريّان المفاصل، صلب العظام، شديد الأوصال، عبل الذراعين، مفتول الساعدين، عريض ما بين المنكبين، واسع الجبهة، كبير الهامة، ذا حلم راجح، ولبّ راسخ، له في الثقة بالله ـ تعالى ـ والتوكّل عليه ـ سبحانه ـ والإيمان به وبرسوله ﷺ، والولاية لأوليائه ﷺ مقام رفيع، وكان يدعى بيضة البلد، تشبيهاً له في حفائظه بجدّه أبي طالب. وقد ارتجل في وصفه بعض الصادقين من العلماء الأعلام[1]، وهو يعزّي ذويه الكرام فقال:

أجِلْ أجِلْ نظراً في الناس وانتقدِ ... فهل ترى بشراً في هيكل الأسدِ؟
وهل ببيض الورى أو سمرهم أحدٌ ... يحمي الحقيقة إلّا بيضة البلدِ؟
إنّ الهزبر الذي يحمي عرينته ... (أخنى عليه الذي أخنى على لبدِ)

---

١. هو العلّامة الحجّة الكبير الشيخ عبد الحسين بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ صادق بن الشيخ إبراهيم بن يحيى الخيّامي النباطي العاملي. ولد في النجف سنة ١٢٧٩، أو ١٢٨٢. راجع: أعيان الشيعة ٧: ٤٣٥؛ معارف الرجال ٢: ٤١، الرقم ٢١٨. «ع»

وكان ﷺ نبيل النفس، سريّ الأخلاق، حرّ الخلال، جزل المروءة، جواداً فيّاحاً، سخيّاً نفّاحاً، بطلاً باسلاً، شجاعاً مقداماً، حمولاً للنوائب، جلداً على مضّ النوازل، حميّ الأنف، أبيّ الضيم، شديد الشكيمة، لا يطمئنّ إلى غضاضة، ولا يصبر على خسف، ولا يرضى بالدون، ولا يقيم على هون، ولا يلين جنبه لحادث، على لين في جناحه، وطلاقة في وجهه، وحلاوة في معاشرته، وساذجية في طبعه ووضعه ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾[1].

عند الله نحتسبه سيفاً قاطعاً، وركناً رافعاً، وأباً لليتيم، يلقي عليه رحمته، ويبسط له رحمته، وثمالاً للسائل وللفقير، يجيب نداءهما بلسان الندى، ويروي صدى لهفتهما قبل أن يرجع إليهما الصدى، وغوثاً للأرملة تعطفه عليها الرحمة، وتأخذه إلى إنعاشها الشفقة، وملجأً للغرباء وأبناء السبيل، يمهّد لهم أعطافه، ويبوّئهم أكنافه، وعضباً[2] يكشف الكرب، ويجلو الخطب، لم تكهمه أيّام الحرب.

ولله مقامه في تلك اللزبات، والأزمات، والمجاعات؛ إذ أخذته فيها خفّة المكارم، وملكته أريحيّة جدّه هاشم، يوم كان والناس تموت جوعاً في الشوارع والأسواق يرتاح للندى، ويهتزّ طرباً للبذل، وقد قام على ساقه، فيما يجب لشهداء تلك المجاعات، وضحايا تلك الملمّات، وأرهف عزمه لغوث الناس في تلك الأوقات، وما أدراك ما تلك الأوقات؟! حيث تمادى الظالمون ولجّوا في عدوانهم، وأوغل الغاشمون وعمهوا في طغيانهم، شتماً وضرباً، وحبساً ونهباً، وتنكيلاً وصلباً، ورمياً برصاص البنادق، وتعليقاً بالمشانق، وتشريداً وتمزيقاً، وتدميراً وتحريقاً، ومثلة للناظرين، ومثلاً وأُحدوثة في الغابرين، فاستولى الرعب والروع، وساد الذعر والهول، وعمّ الفَرَق جميع الفِرق، لكنّ المبرور المشكور لم ينكل في تلك الأحوال عن نخوته، ولم تثبطه موانع

١. المؤمنون (٢٣): ١٤.
٢. عَضُبَ السيف: صار قاطعاً. راجع المعجم الوسيط: ٦٠٦، «ع. ض. ب».

تلك الأهوال عن واجبات غيرته، وله ثَمّة مقام محمود لا يؤدّى شكره، ولا ينقضي برّه، وذلك حيث أرجف أهل الأباطل بضرب الأساكل، فارتعشت القلوب وارتعدت المفاصل، وأوغل الناس في الهرب في غير انتظام، ولحقوا بالجبال على أسوإ حال، وتركوا اليتامى والأيامى والضعفاء والعاجزين، ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾[1]، فشدّ لمهمّتهم حيازيمه، وقام فيها على ساقه، فما اطمأنّ جنبه إلى مضجع، ولا ذاق للدعة طعماً، حتّى ارتحلوا بكلّ راحة، وبلغوا محلّ السلام والدعة بكلّ طمأنينة.

هذه من علاه إحدى المعالي		وعلى هذه فقس ما سواها

لا تنسى الناس موقفه الكريم في وقف الطائفة الجعفريّة، وبناء المخازن الستّة فيه، ولن تنسى الطائفة نهضته يوم نيجر والغرامة، حيث استتبّتْ له الزعامة، واستقبل يومئذ بالمجد والكرامة. عرّج على آل شداد، فسلهم عمّن أنقذ أشلاء يوسفهم من مخالب تلك الضواري الشداد، الذين لا تثنيهم عاطفة، ولا تأخذهم رأفة، ومن يقدر يومئذ على مصادرتهم، إلّا ابن جلاها وطلاع ثناياها، الأصيد الكريم، ذلك سليل المرتضى إبراهيم. أبكيه مقداماً على العظائم، أبكيه قائماً بأعباء المهمّات، أبكيه شريف العرض، شريف الذيل، شريف الطرف، عيوفاً للخناء، عزوفاً عن الفحشاء، شريف الحفاظ، شريف العقد والعهد، شريف السيرة والسريرة، شريف المبادئ التي يرويها له لسان الحمد، ويذيعها بريد الثناء، أبكيه ماتليت أياديه، ورتّلت آيات معاليه، أبكيه قائلاً: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.

فاجأته السكتة القلبيّة فاختلج بها بين ذويه، ليلة الأحد السابعة من جمادى الثانية سنة ١٣٤٥، بعد أن أدّى فريضتي المغرب والعشاء، فاندهش الناس وارتعشوا، حيث فوجئوا بالفاجعة بغتةً، وما أطار البرق نعيه حتّى احتشدوا لتشييعه، واحتفّوا بسريره

---

١. النساء (٤): ٩٨.

احتفاءً عظيماً، وتقدّمتُ للصلاة على نعشه، والهموم تتناجى بين الضلوع، والحزن يستوقد الأنفاس، فصلّينا عليه في جمّ غفير وجمع كثير، ثمّ واريناه في رمسه، وقمنا على ضريح قدسه، وقد انحلّت عقد الدموع، وتناثرت لآلئ الأجفان، والناس يعدّدون مآثره، ويذكرون مفاخره، متأسّفين على أياديه، متلهّفين على مساعيه قدّس الله روحه، ونوّر ضريحه(١).

مآتمه وتأبينه

إنّ الحميّين السريّين الشريف عبدالله[١]، وأخاه الشريف يوسف[٢]، قاما بواجبات مآتمه أحسن القيام، وبذلا الوسع فيما يلزم لتلك المآتم من العناية والاهتمام، وهما شبلا أخيه، والأمثلان الأجلّان من ذويه. وقد أحسنا وأجادا إلى الغاية بجلوسهما في بيت عمّهما المبرور أربعين ليلةً يتحمّلون فيها عنه السبع المثاني والقرآن العظيم، وقاما يوم وفاته، ويوم أُسبوعه، ويوم الأربعين مقاماً كريماً. وقام معهما وصيّه الشهم الوفيّ الحاجّ درويش خيّاط مقاماً يشكر، ولا غرو فإنّه ممّن لا يهن عهده، ولا يتّهم ودّه؛ ولذلك اختاره المرحوم وليّاً في حياته، ووصيّاً بعد وفاته.

(١) قضى عليه الرحمة بلا عقب.

١. هو ابن أخي السيّد إبراهيم مرتضى، واسم أبيه السيّد حسن، وكانت ولادة السيّد عبدالله سنة ١٣٠٩، وتوفّي في ٨ رمضان سنة ١٣٩٨، وله ولدان: السيّد إسماعيل ولد سنة ١٣٢٩، وتوفّي في ١٤ رمضان سنة ١٣٦١ ولم يتزوّج.
وولده الثاني هو السيّد حسن ولد في ذي الحجّة سنة ١٣٤٥، وهو إنسان طيّب حسن الأخلاق نجيب شهم وفيّ، له ثلاثة أولاد: محمّد ولد سنة ١٣٧٢، وإسماعيل ولد سنة ١٣٧٣، وله ولدان: حسن ولد في ٢٧ رمضان سنة ١٤٠٩، وعليّ ولد في ٨ المحرّم سنة ١٤٢٠. وإسماعيل ولد سنة ١٣٧٣، وله ولد اسمه إسماعيل ولد في أوّل شوّال سنة ١٤٠٤. وإبراهيم ولد سنة ١٣٧٨، وله ثلاثة أولاد: عبدالله ولد في ٢٣ ذي الحجّة سنة ١٤١٨، وكريم ونديم ولدا في ١٥ المحرّم سنة ١٤٢٤. «ع»

٢. ولد سنة ١٣١١، وتوفّي سنة ١٣٩٠، ولا عقب له عليه الرحمة. «ع»

أمّا تآبينه، فإنّما يحضرنا منه كلمتان بليغتان، حملهما إلينا البريد من النجف الأشرف:

إحداهما لولدنا أبي عبد الرؤوف، قال حفظه الله[١]:

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم.

ذكرى فقيد الهمم والمكارم عليه الرحمة، أو نفثة من صدر مصدور.

أشخصتها إلى الشريفين المهذّبين، السيّد عبدالله، والسيّد يوسف، وكافّة إخواني الكرام من أهل صور، وعامّة إخواني الأماجد في عاملة، لتشاطرهم برحاء الأحزان، وتقاسمهم بلابل الأشجان، بفقد الماجد الكريم، ابن العمّ السيّد الشريف إبراهيم، عظّم الله لنا ولهم به الأجر، وأفاض علينا وعليهم سوابغ الصبر، والسلام عليهم جميعاً منّي، ومن الإخوة ورحمة الله وبركاته.

في مساء هذا اليوم المشؤم ـ يوم السابع والعشرين من جمادى الثانية ـ قد استكّت مسامعنا، واصطكّت قوائمنا، بما فاجأنا به البريد من نبإ فاجعتكم، فأظلمت في أعيننا الآفاق، وغيّمت في جوّنا غمائم الأحزان، وقلّ أن تمطر لذلك عيوننا دماً؛ إذ أنّ الرزء فادح والخطب عظيم، لكن لنا ولكم ولكلّ مؤمن ومؤمنة أُسوة حسنة برسول الله ﷺ.

فصبراً بني عمّ على رزء لفّ الضلوع، وأجرى لجرّائه محمّر الدموع، لهفاه وهل يجدي التلهّف بعد أن عدت خطوب الزمان، فاستهدفت بقنابلها ذلك الركن الدافع، والسيف القاطع، والحصن المنيع، والغيث المريع، استهدفت شخص الشيم والمكارم، وروح الهمم والعزائم، ونفس الحفائظ العربيّة، والحميّة الإسلاميّة، والنخوة الهاشميّة، والغيرة الحيدريّة، وكأنّي بكلّ من أبناء عامل يتمثّل اليوم وهو ثاكل:

أخطوب الزمان دونك شخصي	فلك اليوم قد كشفت عياني
نزعت عنّي الحوادث درعي	فبمن أتقي شَبَا الحدثانِ
فأنـا اليوم يا نوائب كلّي	مقتل بارز لمن قد رماني

---

١. يقصد به نجله الأكبر السيّد محمّد عليّ عليه الرحمة.«ع»

كنت قبلاً أذود نبلك عنّي ببناني فأين منّي بناني
كم به قد لويت دهري وهذا دهري اليوم كيف شاء لواني
يا فقيداً فقدت منه غماماً كلّما قلت قد ظمئت سقاني
ودفيناً دفنت منه حساماً كنت أعددته لحرب الزمانِ

ولا عجب أن مادت عامل حزناً عليه بأوتادها، ومزّقت أهل صور عليه أحشاءها قبل أبرادها، فقد كان.

غيثاً مريعاً وكهفاً منيعا وكان عماداً وكان الثمالا

هلمّ أيّها الإخوان الأجلّاء؛ لأشاطركم النياحة والبكاء، بتصفّح صفحات تأريخ حياة هذا الفقيد المجيد، من إعانة الضعيف، وإغاثة اللهيف، ونهوضه بالمشاريع الخيريّة، ومساعيه المرضيّة، فنرى شخصه ماثلاً للعيان، فنقف أمامه وقد تسايلت منّا عقود الدموع، وتناثرت لآلئ الأماق، فننعاه للإباء والشمم، ننعاه للمكارم والكرم، ننعاه للعزائم والهمم، ننعى أخلاقه العبقريّة، وحفائظه الحيدريّة، ننعى قيامه بجلائل الأمور، ننعاه لأوقات الحزن وأيّام السرور، ننعى عطفه على الصغير، ووفاءه للكبير ننعاه:

عفيف الأزار كريم النجار وحامي الذمار نقيّاً أغرْ
كثير الرماد وفخر البلاد ببيض الأيادي وحسن السيَرْ
غياث اللهيف وغوث الضعيف أبيّاً حميّاً عطوفاً أبرْ

ولولا أنّ المقدّر لا بدّ منه، وهو سنّة الله في خلقه لما وجدنا إلى الصبر سبيلاً، لكنّ التسليم لله تعالى والصبر على قضائه أولى بأهل الإيمان، والتأسّي بالنبيّ ﷺ وآله ﷺ ممّا لا يسع مسلماً تركه، عظّم الله لنا ولكم ولكافّة المؤمنين الأجر.

إنّي وإيّاكما وسائر الإخوان نتقدّم ونقف بين يدي سيّدنا وليّ النعمة ـ أدام الله ظلّه ـ فنعزّيه بما هو أهله قائلين له: عظّم الله لك الأجر ببيضة البلد، والركن الأشدّ، أدام الله ظلّك، وجعلنا فداءك، والسلام.

الواجد الفاقد الواله محمّد عليّ شرف الدين
في ١٧ جمادى الثانية سنة ١٣٤٥

ثانيهما للعالم الفاضل الشيخ عبدالله السبيتي، قال أيّده الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم و به ثقتي

يا راحلاً وجميل الصبر يتبعه		هل من سبيل إلى لقياك يتّفقُ
ما أنصفتك جفوني وهي دامية		ولا وفى لك قلبي وهو يحترقُ

أيّها الراحل، أكتب هذه الكلمات، والحزن ملك عليّ شعوري وحواسّي؛ إذ رزؤنا فيك رزء أمّة في نفس، وفقدك فقد عالم في شخص، فلساني يتلعثم وقلبي يتصدّع.

أيّها الراحل، ما عرفتك المنيّة حيث أنشبت مخالبها فيك، وما أدراها من أنت وما معاليك، والدهر لم يعرف كنه معناك، حيث جاء بها.

فجيعة من صروف الدهر معضلة		لو يعلم الدهر فيها كنه ما صنعا

ولكنّي عرفتك شهماً فبكيتك وبكتك الشهامة، عرفتك ماجداً فبكيتك وبكاك المجد، وجدير بمثلك أن تبكيه الصفات الحميدة، وتندبه الأخلاق الفاضلة.

بمن بعدك العليا ترنّح عطفها		وتختال في جلبابها تتغطرفُ

فقد قوّض عمادها الرفيع، واندكّ حصنها المنيع.

أيّها الراحل، عرفناك فتى المجد، فتى العزّة، فتى السيادة، فتى المنعة، فتى الكرم والمكارم، فتى شيبة الحمد وهاشم. عرفناك بطلاً تهاب الأسود الكاسرة أن تمرّ بجنابك، فكيف صرعتك المنيّة؟ فأثكلت بفقدك العلياء. إنّ ذلك لأمر عظيم، وقليل بك أن حرمت العلياء بعدك على نفسها أن تتّخذ بعلاً، أو تسلس لأحد قيادها؛ إذ أنّك أنت ليس إلّا كفأها والثمالا.

أيّها الراحل، عظُم علينا رزؤك؛ لأنّك عظيم، وعزّ علينا رحيلك؛ لأنّك عزيز، فلنذرف الدموع عليك، ولتشقّ القلوب بدلاً من الجيوب، ولتبك صور وأهلوها، ولتندبك عاملة وبنوها، ولتندكّ هضباتها أسفاً، ولتزلزل بقاعها لهفاً، ولتنشد قائلةً:

دع الموت يَغْتَل من أراد فإنّه		ثوى اليوم من تخشى عليه الغوائلُ

ولعمري إنّها فقدت بدرها الساطع، وحسامها القاطع.

أيّها الراحل، جاشت نفسك العبقريّة من هذا العالم، فخفّت بك همّتك العليّة إلى الملإ الأعلى، فبورك لك المقام المحمود، والدرجات الرفيعة.

لتظلّ روحك الطاهرة فوق الغريّين، فترانا كيف نصعّد الزفرات، ونهمل العبرات.

أيّها الراحل، في كلّ يوم يحمل على الأكتاف اُلوف من الناس، فلا يتصدّع القلب لواحد منهم، فما بالنا حين أرخى البريد جناحه بفاجعتك طارت الأنفس شعاعاً وأكبرنا النبأ؛ وما ذلك إلّا لأنّك كبير الشأن جليل القدر.

أيّها الراحل، لئن كان مصابنا عظيماً، وفقدنا لك خطباً جسيماً؛ إذ أنّ فقد مثلك داهية مدلهمّة تعمّ جميع الاُمّة، فقد اُصيب قبلنا سادتنا وشفعاؤنا عليهم السلام بمصاب يهون عنده كلّ مصاب عظيم، وقد ابتلوا بمحن يصغر في جنبها كلّ خطب، فلنا ولكلّ مؤمن بهم اُسوة حسنة، وجرياً على السنن، وطبقاً للقواعد، نمشي ناكسي الطرف إلى إمام المسلمين وغياثهم، وحامي حوزة شريعة جدّه صلى الله عليه وآله وحجّة الملك العلّام سيّدنا السيّد عبدالحسين شرف الدين ـ دام ظلّه ـ بالعزاء له وللطائفة.



الآسف الحزين

عبدالله السبيتي

المقصد الرابع
في أحوال جدّ شرف الدين

وهو الإمام الفقيه الأُصولي المتكلّم المفسّر المحدّث الحافظ الثبت اللغوي الكاتب الشاعر الأديب السيّد الشريف عليّ نور الدين بن نور الدين عليّ بن الحسين بن محمّد بن الحسين بن عليّ بن محمّد بن أبي الحسن.

كان في أقواله وأفعاله آية من آيات الله ـ عزّوجلّ ـ مجاهداً لنفسه في سبيل تهذيبها وكمالها ليلاً ونهاراً، داعياً إلى الله سبحانه بالحكمة في قلمه وكلمه، متفانياً في النصح له ـ تبارك و تعالى ـ ولرسوله ﷺ ولأئمّة المسلمين ﷺ ولعامّتهم.

وكان قويّ البنية، وثيق التركيب، مرير القوى[(١)]، غليظ الألواح[(٢)]، شديد الأوصال[(٣)]، ريّان المفاصل[(٤)]، عبل الذراعين[(٥)]، مفتول الساعدين، جميل المنظر، أزهر اللون،

(١) من أمر الحبل إذا فتل طاقاته بعضها على بعض.[١]

(٢) أي العظام.[٢]

(٣) أي المفاصل.[٣]

(٤) أي ممتلئ.[٤]

(٥) أي ضخمها.[٥]

١. الصحاح ٢: ٨١٥؛ لسان العرب ٥: ١٦٥، «م . ر . ر».

٢. الصحاح ١: ٤٠٢؛ لسان العرب ٢: ٥٨٤، «ل . و . ح».

٣. الصحاح ٥: ١٨٤٢؛ لسان العرب ١١: ٧٢٩، «و . ص . ل».

٤. النهاية لابن الأثير ٢: ٢٩١، «ر . ي . ن».

٥. الصحاح ٥: ١٧٥٦؛ القاموس المحيط ٤: ١٧، «ع . ب . ل».

نبيل النفس، أريحيّ الطباع، ربيط الجأش، صَدْق اللقاء، عظيم البسطة في الجسم والعلم.

ولد في جبع سنة تسعمائة وسبعين، وقرأ على أبيه وأخوانه السيّد محمّد صاحب المدارك ـ وهو أخوه لأبيه ـ والشيخ حسن صاحب المعالم ـ وهو أخوه لأُمّه ـ ووقف على كثير من شيوخ عصره حتّى أصبح من أعلام الهدى ومصابيح الدجى، وكان له من النشاط في خدمة الدين الإسلامي، والمذهب الإمامي، ما حمله على إتيان دمشق فأنعش فيها روح الهدى، وأفاض من سائغ علمه وحكمته ما أثلج به غلل أهل الحقّ، ونشر من أُصول الشريعة ما شدّ به قلوب الشيعة، وشرح صدورهم، وله ثمّة مناظرات ومحاضرات شكرتها له الحقيقة.

ثمّ ارتحل سنة ١٠٤٠ إلى مكّة المعظّمة ـ أعزّها الله تعالى ـ مهاجراً إلى الله ـ سبحانه ـ ومجاوراً لبيته الحرام، فكان له فيها جاه ومنزلة أنفقهما في خدمة الدين والمذهب بالرغم عن ظلم ذلك العصر وظلماته المتراكمة. وقد استضاء بنور حكمته وقواطع أدلّته ثلّة ممّن شاء الله أن يهديهم لدينه، ويوفّقهم لما دعا إليه من سبيله، فاستبصروا بهدى آل محمّد. وكم له في سبيل دعوته إلى الحقّ مواقف كريمة، تطيش بها حلوم الرجال، وترجف من هولها أطواد الجبال، ثبّته الله فيها بالقول الثابت، وأظهره بها على مناظريه. ولم يزل كذلك يدعو إلى الحقّ وإلى صراط مستقيم حتّى أجاب داعي ربّه في مكّة المعظّمة لثلاث عشرة بقين من ذي الحجّة سنة ألف وثمان وستّين، وصلّى عليه ولده زين العابدين ودفنه بالمعلّى أعلى الله مقامه وأجزل إكرامه.

ومن مصنّفات السيّد ـ أعلى الله مقامه ـ الشرح المزجي الموسوم بـغرر المجامع على المختصر النافع لم يتمّ[1] و الأنوار البهيّة في شرح الإثني عشرية الصلاتية

(١) يوجد منه نسخة في مكتبة سيّدنا الإمام الخال أبي محمّد الحسن في الكاظميّة تشتمل على مباحث الطهارة من أوّلها إلى آخر الأغسال من الدماء الثلاثة، وشرع بعدها في مباحث غسل الأموات فلم يتمّها، وهذا الشرح مبنيّ على التحقيق والتدقيق والنقض والإبرام فما أولاه بالنشر.

لشيخنا البهائي^(١) والرسالة الأنيقة الفارسيّة في تفسير قوله تعالى ﴿قُل لَّا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]،[2] والمجموع المعروف بـغنية المسافر عن النديم والمسامر اشتمل على فوائد وأخبار ونوادر وأشعار، والشواهد المكّيّة في مداحض الخيالات المدنيّة ردّاً على الملّا محمّد أمين الأستر آبادي الأخباري، وله تعليقات كثيرة على كتب الفقه والأُصول والحديث، وله أجوبة عن مسائل كان يستفتي بها وله شعر كثير.

وقد ترجمه الحرّ في أمل الآمل[3]، والسيّد الأصفهاني في روضاته[4]، وأبوعليّ في منتهى المقال[5]، والمحدّث البحريني في لؤلؤته[6]، والمتتبّع النوري في خاتمة مستدركاته[7]، والمحبّي في خلاصته[8]، والأفندي في رياضه[9]، وابن شدقم في أنسابه[10]، والثقة القمّي في الجزء الثاني من سفينة البحار[11]، وصاحب نجوم السماء، وسائر من تأخّر عنه من أصحاب المعاجم في التراجم كالبستاني في ص ٤٦١ من المجلّد ١١ من

---

(١) ذكرها شيخنا المتتبّع آقا بزرك الطهراني في ص ٤٢١ من الجزء الثاني من ذريعته وذكر أنّ الفراغ منها كان في ٨ جمادى الأُولى سنة ١٠٢٤، وإنّه رآها في مكتبة العلّامة الشيخ قاسم بن الشيخ حسن آل محي الدين الجامعي النجفي.

---

١. الشورى (٤٢): ٢٣.
٢. ذكرها الفاضل الطهراني أيضاً في ص ٤٦٩ من الجزء الثاني من ذريعته وأورد شيئاً من أوّلها.«ع»
٣. أمل الآمل ١: ١٢٤، الرقم ١٣٢.
٤. أثناء ترجمة صاحب المدارك [روضات الجنّات ٧: ٥٠ ـ ٥٢].«ع»
٥. منتهى المقال ٤: ٣٢٦٠، الرقم ١٩٣١.
٦. لؤلؤة البحرين : ٤٠، الرقم ١٠.
٧. خاتمة مستدرك الوسائل ٢: ٧٠ ـ ٧١.
٨. خلاصة الأثر ٣: ١٣٢.
٩. رياض العلماء ٤: ١٥٥.
١٠. تحفة الأزهار وزلال الأنهار ٣: ١٥٩.
١١. في مادّة «نور» ج ٤ ص ٥٧٥، وترجمه أيضاً في ج ٣ من كتابه الكنى والألقاب ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠.«ع»

دائرة المعارف وأرّخ وفاته بالتأريخ الهجري فكان كما ذكرنا، وأرّخه بالميلادي فكان سنة ١٦٥٨، وذكره الشريف العلّامة[1] في سلافة العصر فقال:

طود العلم المنيف، وعضد الدين الحنيف، ومالك أزمة التأليف والتصنيف، الباهر بالرواية والدراية، والرافع لخميس المكارم أعظم راية، فضل يعثر في مداه مقتفيه، ومحلّ يتمنّى البدر لو أشرق فيه، وكرم يخجل المزن الهاطل، وشيمٌ يتحلّى بها جيد الزمن العاطل، وصيت من حسن السمعة بين السحر والنحر.

فسار مسير الشمس في كلّ بلدة　　　وهبّ هبوب الريح في البرّ والبحر

حتّى كأنّ رائد المجد لم ينتجع سوى جنابه، وبريد الفضل لم يقعقع سوى حلقة بابه، وكان له في مبدإ أمره بالشام، مجال لا يكذبه بارق العزّ إذا شام، بين إعزاز وتمكين، ومكان في جانب صاحبها مكين، ثمّ أثنى عاطفاً عنانه وثانيه، فقطن بمكّة ـ شرّفها الله تعالى ـ وهو كعبتها الثانية، تستلم أركانه كما تستلم أركان البيت العتيق، وتستشمّ أخلاقه كما يستشمّ المسك العبيق، يعتقد الحجيج قصده في غفران الخطايا، وينشد بحضرته تمام الحجّ أن تقف المطايا.

وقد رأيته بها وقد أناف على التسعين، والناس تستعين به ولا يستعين، والنور يسطع من

---

١. هو السيّد عليّ خان الشيرازي الشهير، وهو ابن نظام الدين أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم بن سلام بن مسعود بن محمّد بن منصور بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن إسحاق بن عليّ بن عربشاه بن عزّ الدين بن خطير الدين بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن زيد بن عليّ بن الحسين بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن جعفر بن أحمد بن جعفر بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ترجمه بعض الفضلاء ـ هو السيّد صادق بحر العلوم ـ في مقدّمة كتابه الدرجات الرفيعة ص ٥ المطبوع، قال من جملة كلامه عنه ما يلي:
«من ذخائر الدهر وحسنات العالم، يحقّ للأمّة جمعاء أن تتباهى بمثله، ضع يدك على أيّ سفر قيّم من نفثات يراعه تجده حافلاً ببرهان هذه الدعوى». ولد في المدينة المنوّرة سنة ١٠٥٢، وتوفّي في شيراز سنة ١١٢٠.
وترجمه العلّامة المحقّق المجاهد الشيخ عبد الحسين الأميني رحمه الله في موسوعته الغدير ج ١١ ص ٣٤١ فقال: «من أعيان الطائفة ووجوه أعلامها وفي الطليعة من عباقرتها، جمع بين العلم والأدب وتحلّى بأبراد الزهد والورع كما كان أبوه أوحدياً من أعلام بيت الوحي، وفذّاً من أفذاذ الفضيلة، وعلماً من تلامذة الشهيد الثاني». وترجمه أيضاً في أعيان الشيعة ج ٨ ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ وترجمه في تكملة أمل الآمل ص ٣٠٤ وما بعدها، وترجمه في الروضة النضرة ص ٣٨٦. «ع»

أسارير جبهته، والعزّ يرتع في ميادين جدهته، ولم يزل بها إلى أن دُعي فأجاب، وكأنّه الغمام أمرع البلاد فانجاب.

وكانت وفاته لثلاث عشرة بقين من ذي الحجّة الحرام سنة ثمان وستّين وألف رحمه الله تعالى[1].

تخرّج على يد السيّد جماعة من أعلام الهدى وبحار العلم ـ كالشيخ شمس الدين محمّد الحرفوشي الحريري العاملي الكركي ـ فسقاهم من بحار علمه شراباً طهوراً.

واستجازه الشيخ محمّد الحرفوشي فأجازه إجازةً مفصّلةً كتبها بخطّه الشريف، يوم الإثنين آخر ربيع الأوّل من سنة سبع وعشرين بعد الألف من الهجرة المباركة.

وإذ نورد صورتها بعين لفظه تبرّكاً بها وزينةً لهذا الإملاء.

قال ـ أعلى الله مقامه ـ:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

حمداً لمن تنزّه بجلاله عن مشابهة الأنام، وتفضّل على عباده بسوابغ الإنعام، وصلاةً وسلاماً على سيّد الأنبياء والكرام، وعترته الهداة الأعلام.

وبعد: فإنّ ما توجّهت إلى اكتساب فوائده نواظر الأفكار، واجتهد في اقتناص فرائده أيدي الأقدار، لهو العلم الذي به يتميّز الإنسان، ويسمو إلى مراتب الرضوان، ويطهر من أدناس الجهالة، ويخلص من مهالك الضلالة، وكان من انتدب لإدراك مطالبه، وغاص في لجج بحاره لتحصيل مآربه، الفاضل الجليل، والماجد الأثيل، الفائق في مراتب البراعة، والسابق في مضمار اليراعة الشيخ شمس الدين محمّد بن الشيخ الصالح عليّ الشهير بالحرفوشي، فإنّه قد كرع من حياضه زلال السلسبيل، وأجهد نفسه في الطلب والتحصيل، فرجع منه على أوفى نصيب، وأوفر حظّ نجيب، ولمّا آنس حضوره، وأجاد منظومه ومنثوره، وسمع منّا بعض الدروس، وقرأ علينا من علم المعقول والمنقول جانباً

١. سلافة العصر: ٣٠٢.

متفرّقاً يشتمل على عدّة من كتب النحو والأُصول، في أوقات (...)(١)، ومن علم الفقه قدراً وافراً من الكتب المتداولة المشهورة. وممّا ألّفناه من شرح المزج الموسوم بـغرر المجامع على المختصر النافع، والشرح على الرسالة الاثنى عشرية التي ألّفها المولى العلّامة الأوحد الشيخ بهاء الدين محمّد ـ متّع الله المؤمنين بطول بقائه ـ وما أفدناه من الحواشي المتفرّقة في مواضعها. وبعد ذلك طلب منّا إجازةً بما قرأه وسمعه وكلّ ما صحّ لنا روايته عن مشايخنا السالفين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ بالسلسلة الواصلة إلى المؤلّفين في العلوم العقليّة والنقليّة وكلّ ما ألّفته وما أفدته بالشروط المقرّرة في صحّة الإجازة. ولا بدّ من الإشارة إلى ما اعتمدت عليه من الطرق فيما يحتاج إليه. وبيان ذلك على سبيل الإجمال أن أروي جانباً من مؤلّفات العامّة في المعقول والفقه والحديث والتفسير عن البارع العالم الكبير عماد المدرّسين والمحدّثين بمدينة حلب[1] الشيخ عمر العريضي، وعن الشيخ الأوحد علّامة زمانه وأوانه، أخطب الخطباء، وأبلغ الأُدباء، وعين مشايخ العلم بمدينة دمشق الشام حسن البوريني، وذلك بطرقهم الواصلة إلى الكتب المفصّلة في إجازتيهما إليّ.

وأمّا كتب الخاصّة المشهورة وبعض كتب العامّة على التفصيل المقرّر في محلّه فأرويهما عن إمامي الفضل والتحقيق، وعمادي العلم والتدقيق، من لهما المشيخة عليّ(٢)، والهمّة الكبرى لديّ، أخويّ وهما: السيّد العالم البارع الجليل الأوحد شمس الدين محمّد بن المرحوم المبرور الجليل الفاضل السيّد عليّ الشهير بابن أبي الحسن وهو والدي أيضاً. والشيخ الفاضل العامل العلّامة جمال الدين حسن ابن الفهّامة المحقّق زين الدين المعروف بالشهيد الثاني ـ تغمّدهم الله جميعاً بالرحمة والغفران، وأسكنهم

(١) كلمة ناقصة.

(٢) الضمير عائد إلى شيخيه في الإجازة وهما أخواه صاحب المدارك وصاحب المعالم.

١. حلَب: من أُمّهات مدن سوريّة، وهي مدينة عظيمة واسعة، كثيرة الخيرات، طيّبة الهواء، صحيحة الأديم والماء. راجع: معجم البلدان ٢: ٢٨٢؛ أعيان الشيعة ١: ٢٠٠.

بحبوحة الجنان ـ فإنّهما ـ قدّس الله روحيهما ـ قد أجازا لي رواية كلّ ما صلح لها روايته، وجميع ما ألّفاه وأفاداه بالشروط المعتبرة، وتفصيل طرقهم موكولة إلى مراجعة ما هو مسطور في محلّه.

ولنذكر منها طريقاً إلى الكتب الأربعة المشهورة في الحديث وهي الكافي ومن لا يحضره الفقيه و التهذيب و الاستبصار على سبيل الاختصار، بقصد التيمّن فإنّ تواتر هذه الكتب قد أغنى عن اعتبار الطريق إليها في العمل، للعلم بثبوت مضامينها عن مؤلّفيها، وطريقتهما إلى ذلك جماعة منهم: شيخنا الجليل السيّد عليّ بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي وهو السيّد شمس الدين محمّد أحد الراوين عنه ووالدي، ومنهم: الشيخ الفاضل الحسين بن عبد الصمد الحارثي (١)، والسيّد العابد نور الدين عليّ بن السيّد فخر الدين الهاشمي ـ قدّس الله أرواحهم بحقّ روايتهم ـ إجازةً عن العلّامة الشهيد الثاني والد الشيخ جمال الدين حسن الراوي عنه بالواسطة، عن شيخه الفاضل عليّ بن عبدالعالي العاملي الميسي، عن الشيخ شمس الدين محمّد بن المؤذّن الجزيني، عن الشيخ ضياء الدين عليّ ابن الشيخ الشهيد محمّد بن مكّي، عن والده قدّس الله نفسه، عن الشيخ فخر الدين أبي طالب محمّد بن الشيخ الإمام العلّامة جمال الملّة والدين الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطهّر، عن والده ﷺ، عن شيخه المحقّق نجم الملّة والدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد قدّس الله روحه، عن السيّد السعيد شمس الدين أبي عليّ فخّار بن معد الموسوي، عن الشيخ الإمام أبي الفضل شاذان بن جبريل القمّي، نزيل مهبط وحي الله ودار هجرة رسول الله ﷺ، عن الشيخ الفقيه عماد الدين أبي جعفر محمّد بن أبي القاسم الطبري، عن الشيخ أبي عليّ

---

(١) قال السيّد في هامش الإجازة: ولنا طريق آخر إلى الشيخ حسين بن عبد الصمد المذكور سابقاً، وهو السيّد الفاضل العالم الورع التقيّ النقيّ السيّد عليّ البعلبكي العلواني، عن الإمام العالم الجليل العلّامة الشيخ بهاء الدين محمّد الحارثي، عن والده الشيخ الفاضل الحسين بن عبد الصمد قدّس الله روحه الزكيّة.

الحسن بن الشيخ السعيد أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي ـ مؤلّف التهذيب والاستبصار ـ عن والده، عن الشيخ أبي عبدالله المفيد، عن أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي، عن محمّد بن يعقوب الكليني مؤلّف الكافي. والشيخ المفيد، يروي عن محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه مؤلّف من لا يحضره الفقيه وهو الواسطة بينه وبين الشيخ الطوسي في الرواية عنه، وقد يكون الواسطة أيضاً أبو عبدالله الحسين بن عبيد الله الغضائري، وقد يكون غيرهما كما هو مقرّر في محلّه ومستوفيً في بابه.

والحمد لله أوّلاً وآخراً وعلى كلّ حال، وصلّى الله على محمّد وآله.

وكتب فقير عفوالله تعالى نور الدين بن عليّ بن أبي الحسن الموسوي.

وله شعر يدلّ على علوّ محلّه، وإبلاغه هدي القول إلى محلّه. إلى آخر كلامه. وقد أورد لمعةً من شعره نقتصر على قصيدة له في مدح بعض الأمراء:

لك المجد والعليا لك السعد راتبٌ ... لك العزّ والإقبال والنصر غالبُ
سموت على هام المجرّة رفعةً ... ودارت على قطبي علاك الكواكبُ
وحزت رهان السبق في حلبة العُلى ... فأنت له دون البريّة صاحبُ
وجلت بحومات الوغى جول باسل ... فردّت على أعقابهنّ الكتائبُ
فلا كثرة الأعداء تغني جموعها ... إذا لمعت منك النجوم الثواقبُ
ولا الدارعات المعتمات تكنّهم ... سوابغها لمّا تحقّ المضاربُ
خض الحتف لا تخش الردى واقهر العدى ... فليس سوى الإقدام في الرأي صائبُ
ببيض المواضي يدرك المرء شأوه ... وبالحزم إن ضاقت تهون المصاعبُ
إذا صدقت للناظرين دلائل ... فدع عنك ما تبدي الظنون الكواذبُ
لأسلافك الغرّ الكرام قواعد ... على مثلها تبنى العلى والمناصبُ
ومن يزك أصلاً فالمعالي سمت به ... ذرى المجد وانقادت إليه الرّغائبُ
بنو عمّكم لمّا أضاءت مشارق ... بكم أشرقت منهم علينا مغاربُ

وفيكم لنا بدر من الغرب طالعٌ فلا غرو أن كانت لديه العجائبُ
هو الفخر مدّ الله في الأرض ظلّه ولا زال تجلى من سناه الغياهبُ
إلى حلب الشهباء منّي بشارة تُعطّرها حتّى تفوح الجوانبُ
إذا ما مضى من بعد عشر ثلاثة من الدّور فيها تستتمّ المآربُ
لقد حدّثت عنها أولو العلم مثلما جرى وانقضت تلك السنون الجوادبُ
بدا سعدها لمّا عليّ بدا بها ويا طالما قد انحست وهو غائبُ
وفوز عليّ بالعلى فوزها به فكلّ إلى كلّ مضاف مناسبُ
كأنّي بسيف الدولة الآن وارداً إليها يلاقي ما جنته الثعالبُ
لقد جاءها صوب الحيا بعد محلّها وشرّفها من أحكمته التجاربُ
كريم إذا ما أمحل الغيث أمطرت أياديه جوداً منه تصفو المشاربُ

إلى آخر القصيدة وهي من نظمه أيّام شبابه أعلى الله مقامه[1].

---

١. سلافة العصر: ٣٠٢ ـ ٣٠٤.

أقول: رأيت في بعض كتب التأريخ المدرسيّة ما يمكن تطبيقه على هذه القصيدة، ومعرفة الأمير الممدوح فيها، وذلك في كتاب التأريخ الجديد ج ٧ ص ١٩٣ وما بعدها، أثناء كلامه عن الأمير فخر الدين المعني فقد ذكر تحت عنوان «الأمير وعليّ باشا جانبولاد» ما يلي:

كان في تلك الأثناء والياً على دمشق فظّ الطباع، غشوم ظلوم ماكر، يدعى أحمد حافظ باشا، أدرك هذا الوالي مقاصد الأمير الاستقلاليّة، فأخذ يرسل إلى الباب العالي التقرير تلو التقرير عن أعماله المناوئة للدولة العثمانيّة، فجاءه الردّ بكبته والبطش به. ولكي يأمن فخر الدين شرّ والي دمشق رأى أن يعقد محالفةً عسكريّةً دفاعيّةً هجوميّةً مع عليّ باشا جانبولاد، أمير حلب وجوارها.

وكان جانبولاد هذا رجلاً حكيماً بصيراً بالأمور السياسيّة، قويّاً في نفسه وفي جيشه، لذلك عندما شعر بضعف الدولة العثمانيّة وانهماكها في قمع الثورات الداخليّة، أراد الاستقلال لسوريّة، فتمنّع أوّلاً عن دفع أيّة ضريبة للآستانة، فتقدّم عندئذ ابن سيفا وعرض على الباب العالي أن يعينه والياً على الشام كلّها مقابل قضائه على عليّ جانبولاد، فجاء الردّ بالإيجاب.

وصلت هذه الأنباء إلى عليّ باشا، فأرسل يستنجد بحليفه فخر الدين الذي أسرع واحتلّ طرابلس؛ ليقطع على ابن سيفا سبيل العودة مع جيشه الذي قاده لقتال جانبولاد في داخل سوريّة، وفي سنة ١٦٠٦ جرى أوّل تصادم بين جانبولاد ويوسف باشا سيفا بقرب حماه فانكسر هذا الأخير وفرّ إلى طرطوس ولم يجرؤ على العودة إلى طرابلس بسبب احتلالها من قبل جيش الأمير.«ع»

واستجازه الفقيه المحدّث العلّامة الشهيد السعيد السيّد الشريف محمّد مؤمن بن دوست محمّد الحسيني الأستر آبادي، فأجازه إجازةً مفصّلةً، وكان السيّد محمّد هذا مهاجراً إلى الله ـ تعالى ـ ومجاوراً لبيته الحرام، منقطعاً إليه عمّن سواه عزّوجلّ وكان من فقهاء آل محمّد وشهدائهم المظلومين قتل عدواناً في حرم الله عزّوجلّ سنة ١٠٨٨ من غير ذنب سوى دخول مدينة العلم من بابها، وركوب سفينة النجاة، والتمسّك بالثقلين، والاعتصام بأمان الأمّة من الاختلاف[١] قرأ على السيّد صاحب العنوان وروى عنه السنن والأحكام، وحمل عنه علماً كثيراً.

وممّن روى عن السيّد عليّ صاحب العنوان أمير السادة البررة، وقائد القادة الخيرة،

---

(١) مازال النواصب يرتكبون من أولياء آل محمّد هذه الفظائع حتّى اليوم وقد اعتدوا بالأمس يوم الأضحى من سنة ١٣٦٢ على شابّ بارّ تقيّ ورع من عدول المؤمنين إيراني يزدي محرم للحجّ في السابعة والعشرين من عمره اسمه أبوطالب من بيتٍ من بيوتات البرّ والتقوى معروف بذلك في يزد، كان بعد فراغه من أمر الهدي ورمي جمرة العقبة في منى أتى مكّة لإتمام المناسك يوم الأضحى عازماً على العود يومه إلى منى لإكمال مناسكها فهجموا عليه وهو يصلّي ركعتي الطواف في مقام إبراهيم يضربونه ضرباً مبرحاً حتّى كادت أن تذهب نفسه من غير ذنب ولا سبب سوى خشوعه لله في صلاته ثمّ أخذوه سحباً إلى القاضي الوهّابي في مكّة ـ المعظّمة ـ فشهدوا عليه أنّهم رأوا العذرة في يده يلطّخ بها الحجر الأسود عند استلامه وتقبيله فحكم القاضي بضرب عنقه بدون أن يستجوبه، ورفع هذا الحكم إلى عبد العزيز بن سعود فأمضى الحكم فضرب بين الصفا والمروة عنق ذلك المظلوم من قفاه وهو يسبّح الله ويقدّسه. ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

السيّد العلّامة الأمير نظام الدين أحمد بن السيّد العلّامة الأمير محمّد بن معصوم الحسيني(١) وقد استجازه فأجازه في الطائف إجازةً مفصّلةً كتبها بخطّه الشريف يوم الثاني من ربيع الآخر عام ألف وإحدى و خمسين.(٢)



(١) هو والد الشريف العلّامة السيّد عليّ صدر الدين المدني الحسيني صاحب سلافة العصر وغيرها من الكتب الممتعة.

(٢) أثنى فيها على السيّد أحمد ثناءً كان من أهله، في محلّه وقد وقفت على الإجازة بخطّه الشريف في مكتبة سيّدنا الإمام الخال أبي محمّد الحسن في الكاظميّة وهي طويلة جليلة إلى الغاية، وكان الأولى بنا أن نوردها بنصّها لما فيها من الفوائد والبركات، لكن طولها جعلنا في خوف من حصول الملل بإيرادها.

المقصد الخامس

في أحوال جدّ والد شرف الدين

وهو الإمام الفقيه الأُصولي المحقّق الورع الزاهد العابد السيّد الشريف نور الدين عليّ بن الحسين بن محمّد بن الحسين بن عليّ بن محمّد بن أبي الحسن، وأُمّه كريمة الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي الشامي[١] أحد شيوخ الشهيد الثاني عليهما الرحمة.

كان السيّد ـ أعلى الله مقامه ـ من أعلام الهداية، فسيح الخطوة في الفقه، غزير المادّة في العلوم العربيّة والفنون الأدبيّة، طويل الباع فيهما، منقطع القرين في الورع عن محارم الله عزّ وجلّ فاقد النظير في الزهد في الدنيا، كريم الأخلاق إلى الغاية، لا يسبر غوره في فضل، ولا ينال دركه في حلم.

ولد ـ رفع الله منزلته ـ في جبع سنة ٩٣١، واستضاء أوّلاً بمشكاة أبيه فحمل عنه علماً كثيراً، ثمّ لازم الشهيد الثاني ـ رضي الله تعالى عنه ـ فخاض به عباب العلوم وأفضى إليه بأسرارها، وأوقفه على دقائق الفنون وجمع له أشتاتها، واصطفاه الشهيد لنفسه فزوّجه كريمته فولد له منها صاحب المدارك فاشتدّت الوثائق، وأحكمت بينهما العلائق، وكان الشهيد قد تزوّج شقيقة السيّد فكانت أحظى زوجاته به(١).

(١) لكنّا لا نعرف له منها نسلاً.

١. كان فاضلاً محقّقاً عالماً مشهوراً في عصره، له كتب منها: الموجز النفيس، وغاية القصد في معرفة الفصد، قرأها عليه الشهيد الثاني في الشام، توفّي سنة ٩٣٨. انتهى ملخّصاً عن أمل الآمل ج ١ ص ١٨٠، وأعيان الشيعة ج ١٠ ص ٥٩. «ع»

وبـالغ الشـهيد فـي تـربيته وتـثقيفه حـتّى كـان قـطب مـن حـمل العـلم عـنه(١)، وتـزوّج بـعد وفـاة الشـهيد زوجـته الثـالثة(٢) ـ وهـي أمّ صـاحب المـعالم ـ آثـر بذلك خدمتها وخدمة ولدها المحقّق حيث ضـمّه إليـه حـتّى تـخرّج عـلى يـديه(٣) كان هو وابـن السيّد ـ أعـني السـيّد مـحمّد صـاحب المـدارك ـ كـفرسي رهـان يلاحظهما السيّد بعين واحدة، ويحنو عليهما على السـواء، وقـد أجـازهما(٤) فـيمن أجازهم من أعـلام الفـقهاء والمـحدّثين، ومـا بـلغا المـنزلة التـي بـلغاها مـن أوج العلم والعمل والورع والأخـلاق إلّا بـقدس أنـفاسه وجـميل رعـايته لهـما وجـليل عـنايته بـهما. وولد للسـيّد مـن أمّ صـاحب المـعالم(٥) جـدّنا عـلي نـور الديـن

---

(١) لم يكن له من تلامذة الشهيد نظير سوى مليك فؤاده والمختصّ بوداده السيّد عـليّ بـن الحسين الصائغ الحسيني العاملي الجزيني فقد كان معه كفرسي رهان.

(٢) إنّما كانت ثالثة؛ لأنّ الشهيد تزوّج أوّلاً أخت السيّد كما سمعت، ثمّ تزوّج ثانيةً فأولدها بنتاً تزوّجها السيّد فأولدها صاحب المدارك، ثمّ تزوّج ثالثةً فأولدها الشيخ حسن صـاحب المعالم، فلمّا توفّي الشهيد عنها خلف عليها السيّد فأولدها السيّد عليّ نور الدين المتقدّم ذكره في المقصد الرابع.

(٣) وقرأ على السيّد الصائغ وعلى المقدّس الأردبيلي أيضاً.

(٤) وأجازهما السيّد عليّ الصائغ والأردبيلي أيضاً.

(٥) بخ بخ مـا أعـظم بـركتها وأفـضل ذرّيّـتها؛ إذ كـان لهـا مـن الشـهيد ذرّيّـة طـاهرةً تـعرف بسـلسلة الذهب، ورثـوا العـلم كـابراً عـن كـابر. ولهـا مـن السـيّد أقـمار لايخبوسناها، وأعلام تهتدي العالمون بهداهـا، وهـم كـلّ مـن جـاء مـن ذرّيّـة ولدهـا السيّد نور الدين عليّ فرجال الباب الثـاني مـن هـذا الكـتاب كـلّهم أحـفادها وكـذلك رجال الباب الأوّل ماعدا ذويها صاحب الترجمة وأباه الحسين وولده صـاحب المـدارك وذرّيّته.

ـ كما أشرنا إليه في المقصد المختصّ به وهو المقصد السابق[١] ـ.

وفي سنة ٩٥٢ حجّ السيّد بيت الله الحرام وتشرّف بالمدينة الطيّبة على مشرفها أفضل الصلاة وأتمّ السلام(١).

فكان له نادرة طريفة مع مفتي الحجاز في تلك الأيّام شهاب الدين أحمد بن عليّ المعروف بابن حجر الهيثمي الشافعي(٢) بسبب شهابين أصابا زاويتي المسجد الشريف النبوي ـ أعزّه الله وحماه ـ وهذه النادرة من النوادر السائرة في بلادنا العامليّة(٣) ينقلها كثير من خواصّ الناس وعوامهم.

وفي سنة ٩٨٨ تشرّف السيّد بأعتاب الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام فامتدّت إليه الأعناق فاستجازه العلماء الأعلام؛ إذ كان من ثقات الحديث وأثباته، وحججه وأسناده.

وكان ممّن استجازه يومئذ علّامة العلماء في ذلك العصر مولانا المحقّق الداماد، كما صرّح به ـ أعلى الله مقامه ـ حيث قال ـ في مسند بعض الأحراز المرويّة عن أئمّتنا عليهم السلام ما هذا لفظه:

ومن طريق آخر عن السيّد الثقة الثبت المركون إليه في فقهه، المأمون عليه في حديثه، عليّ بن أبي الحسن العاملي ـ رحمه الله تعالى ـ قراءةً وسماعاً وإجازةً سنة ٩٨٨ من

---

(١) وكان له من العمر يومئذٍ إحدى وعشرون سنةً.

(٢) هو صاحب الصواعق المحرقة، المتوفّى سنة ٩٩٤ في رجب وقيل في سنة ٩٧٤، وقيل سنة ٩٧٣.

(٣) وقد نقلها السيّد محمّد باقر الموسوي الأصفهاني في ترجمة ابن حجر من كتابه روضات الجنّات[٢]، فراجع منه ص٩٨.

---

١. تقدّم في ص ١٠٩ ومابعدها.

٢. روضات الجنّات ١: ٣٦١.

الهجرة المباركة النبويّة في مشهد سيّدنا ومولانا أبي الحسن الرضا صلوات الله وتسليماته عليه بسناباد[١] طوس. إلى آخر كلامه(١).

وروى عنه فيض الله التفريشي[٢] كما في مستدرك الوسائل وغيره، واستجازه الشيخ محمّد بن فخر الدين الأردكاني، فأجازه وكتب له الإجازة بخطّه علىٰ نسخة من مصباح المتهجّد تأريخها سنة ٩٩٩، والنسخة مع الإجازة لا تزال موجودة في مكتبة سيّدنا الإمام الخال أبي محمّد الحسن[٣].

ومن راجع طريق الحديث يجد كلّ من تأخّر عنه من أعلام العلماء وأثبات المحدّثين راجعاً إليه، وقد روى عنه تلميذه المحقّق العاملي في أوائل المعالم[٤] أحاديث في فضيلة العلم، وروى عنه ولده صاحب المدارك وغير واحد من أعلام هذه الأُمّة وحملة علوم الأئمّة عليهم السلام.

وقد ذكره الحرّ في أمل الآمل[٥]، وذكره البحريني في لؤلؤته[٦]، والمتتبّع النوري في

(١) أورد كلامه هذا ثقة الإسلام شيخنا النوري في خاتمة المستدركات[٧] نقلاً عن رياض العلماء[٨].

١. سناباد: قرية بطوس، فيها قبر الإمام الرضا عليه السلام، والخليفة الرشيد، بينها و بين مدينة طوس نحو ميل. راجع: معجم البلدان ٣: ٢٥٩؛ القاموس الإسلامي ٣: ٥٠٤.

٢. هو الأمير فيض الله بن عبد القاهر الحسيني التفريشي ذكره السيّد مصطفى التفريشي في رجاله [نقد الرجال: ٢٦٩] فقال: كثير العلم عظيم الحلم، متكلّم فقيه ثقة عين، كلّ صفات الصلحاء والأتقياء مجتمعة فيه، توفّي سنة ٢٥. انتهى ملخّصاً عن أمل الآمل ج ٢ ص ٢١٨. «ع»

٣. وقد رأيتها في مكتبته والإجازة على ظهرها فتشرّفت بقراءتها سنة ١٣٥٦، وبوقوفي عليها علمت ببقائه حيّاً إلى سنة ٩٩٩. «ع»

٤. راجع معالم الدين في الأُصول: ٦.

٥. أمل الآمل ١: ١١٧ ـ ١١٨، الرقم ١١٤ و ١٢٢.

٦. لؤلؤة البحرين: ٥٢، الرقم ١٤.

٧. خاتمة مستدرك الوسائل ٢: ٨٦.

٨. رياض العلماء ٣: ٣٣٠.

مستدركاته[١]، والأفندي في رياضه[٢]، والأصفهاني في روضاته[٣]، فوصفوه بكلّ وصف جميل، وترجمه ابن العودي في رسالته المختصّة بالشهيد الثاني وأثنى عليه ـ كما في أمل الآمل ـ ثناء بليغاً ومدحه مدحاً عظيماً، وذكره الشيخ علي الحفيد[٤] في الدرّ المنثور في أحوال جدّه الشهيد الثاني وتعداد تلامذته . فقال:

ومنهم السيّد الإمام العلّامة، خلاصة السادة الأبرار، وعين العلماء الأخيار، وسلالة الأئمّة الأطهار، السيّد العالم الفاضل الكامل ذو المجدين عليّ بن الإمام السيّد البدل أوحد الفضلاء وزبدة الأتقياء السيّد المرحوم المبرور عزّ الدين حسين بن أبي الحسن العاملي ـ أدام الله شريف حياته ـ ربّاه كالوالد لولده، ورقّاه إلى المعالي بمفرده، وزوّجه ابنته رغبةً فيه، وجعله من خواصّ ملازميه، قرأ عليه جملةً من العلوم الفقهيّة والعقليّة والأدبيّة وغيرها وأجازه إجازةً عامّةً[٥]. إلى آخره.

قلت: لم يتعيّن لديّ زمن وفاة السيّد وإن كنت أعلم ببقائه حيّاً إلى سنة ٩٩٩، وكذلك لم أعرف محلّ وفاته أعلى الله مقامه.

أمّا عقبه فمن ولديه محمّد وعليّ وقد وقفت في المقصد الرابع على لمعة من أحوال عليّ الملقّب نورالدين[٦].

---

١. خاتمة مستدرك الوسائل ٢: ٨٥.

٢. رياض العلماء ٣: ٤١٦.

٣. روضات الجنّات ٧: ٥٠ ـ ٥١، الرقم ٥٩٨، ذيل ترجمة ولده السيّد محمّد صاحب المدارك ﷺ.

٤. ترجمه في أمل الآمل، ج ١ ص ١٢٩ فقال: الشيخ عليّ بن محمّد بن الحسن بن زين الدين، أمره في العلم والفقه والتبحّر والتحقيق وجلالة القدر أشهر من أن يذكر، ولد سنة ١٠١٣، وخرج من البلاد في أوائل الشباب، وسكن أصفهان إلى الآن. انتهى ملخّصاً.

وهذا يعني أنّه كان حيّاً سنة ١٠٩٧ التي ألّف فيها أمل الآمل. «ع»

٥. الدرّ المنثور ٢: ١٩٢. وترجمه في أعيان الشيعة ج ٨ ص ١٨٨ ـ ١٩١ وما بعدها، وله ترجمة في تكملة أمل الآمل، ص ٢٨٩ وما بعدها؛ وترجمه العلّامة الكبير الشيخ آقابزرگ الطهراني في إحياء الداثر ص ١٦٤.

٦. تقدّم في ص ١٠٩ وما بعدها.

وأمّا محمّد ويعرف بصاحب المدارك فهو الإمام الفقيه، الأُصولي المتكلّم، المحدّث، الجامع للعلوم، البارع في الفنون، السيّد الشريف شمس الدين محمّد بن نور الدين عليّ بن الحسين بن محمّد بن الحسين بن عليّ بن محمّد بن أبي الحسن.

كان ـ رفع الله درجته ـ مقدّماً في العلوم عقليّةً ونقليّةً، ولا سيّما في الفقه وما إليه، وكان بما لا مزيد عليه هدياً وسمتاً، وورعاً وزهداً، وعلوّ همّةٍ ونشاطاً، ومزيد تقشّف واحتياطاً، وطيب سيرة، وقدس سريرة، وخدمةً للدين، ورأفةً بالمؤمنين، ودقّة محاسبة لنفسه، وشدّة مجاهدة لها، ونصحاً لله ـ عزّوجلّ ـ ولكتابه ولرسولهﷺ، ولأئمّة المسلمين ولعامّتهم في السرّ والعلانية، وكان منقطع النظير في حسن تحريره، وجودة تقريره، وتثقيفه للخواصّ، وتهذيبه للعوام، وتربيته لأهل العلم، واجتهاده في رقيّهم، حتّى برع منهم بخدمته جمّ من أفاضل العلماء[1].

وقد ذكره في أمل الآمل فقال:

السيّد محمّد بن عليّ بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي كان فاضلاً، متبحّراً ماهراً، محقّقاً مدقّقاً، زاهداً عابداً، ورعاً فقيهاً، محدّثاً، كاملاً، جامعاً للفنون والعلوم، جليل القدر، عظيم المنزلة، قرأ على أبيه وعلى مولانا أحمد الأردبيلي،

---

(١) كأخيه السيّد عليّ نور الدين، وابنه السيّد حسين، والشيخ عبد اللطيف بن عليّ بن أحمد بن أبي جامع، والشيخ محمّد بن صاحب المعالم، والشيخ نجيب الدين عليّ بن محمّد بن مكّي الجبيلي، والشيخ حسن بن عليّ بن أحمد الحانيني، والشيخ عليّ بن أحمد بن موسى النباطي، والشيخ عليّ بن محمّد الحرّ جدّ صاحب الوسائل لأبيه، والشيخ عبد السلام بن محمّد الحرّ جدّ صاحب الوسائل لأمّه، والشيخ محمّد بن محمّد الحرّ عمّ والد صاحب الوسائل، والسيّد نعمة الله الجزائري الموسوي؛ إذ قرؤوا جميعاً عليه وعلى صاحب المعالم، وقرأ عليهما مولانا ملّا عبدالله اليزدي وهما قرآ عليه أيضاً.

وتلامذة جدّه لأُمّه الشهيد الثاني، وكان شريك خاله الشيخ حسن في الدرس وكان كلّ منهما يقتدي بالآخر في الصلاة ويحضر درسه، وقد رأيت جماعةً من تلامذتهما.

ـ[قال:]ـ له كتاب مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام، خرج منه العبادات في ثلاث مجلّدات، فرغ منه سنة ٩٩٨(١)، وهو من أحسن كتب الاستدلال، و حاشية الاستبصار، و حاشية التهذيب، و حاشية على ألفية الشهيد، و شرح المختصر النافع(٢) وغير ذلك.

ـ قال: ـ ولقد أحسن وأجاد في قلّة التصنيف وكثرة التحقيق، وردّ أكثر الأشياء المشهورة بين المتأخّرين في الأُصول والفقه، كما فعله خاله الشيخ حسن.

[قال:] وذكره السيّد مصطفى في رجاله فقال: سيّد من ساداتنا، وشيخ من مشايخنا، وفقيه من فقهائنا... له كتب. انتهى.

قال الحرّ: ولمّا توفّي رثاه تلميذه الشيخ محمّد بن الحسن بن زين الدين العاملي [١] بقصيدة طويلة منها: قوله:

صحبت الشجى ما دمت في العمر باقيا ... وطلّقت أيّام الهنا والليـاليا
وعنّي تجافى صفو عيشي كما غدا ... يناظر منّي الناظر السحب باكيا
وقد قلّ عندي كلّ ما كنت واجداً ... بفقد الذي أشجى الهدى والمعاليا [٢]

(١) في حياة أبيه.

(٢) وقد وسمه بنهاية المرام في شرح مختصر الإسلام أعرف منه نسختين: إحداهما في مكتبة سيّدنا الخال أبي محمّد الحسن في الكاظميّة من أوّل النكاح إلى آخر النذر، كما نصّ عليه في تكملة أمل الآمل ص ٣٥٤، الرقم ٣٤٤ والثانية في مكتبة العلّامة الشيخ هادي بن الشيخ عبّاس بن عليّ بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء في النجف الأشرف، كما نصّ عليه صاحب ماضي النجف وحاضرها ج ١ ص ١٦٥.

١. توفّي سنة ١٠٣٠. راجع ترجمته في أمل الآمل ج ١ ص ١٣٩، و الذريعة ج ١١ ص ٢٩٣. «ع»

٢. في المصدر: «الموالياً».

فتىً زانه فـي الدهـر فـضل وسـؤدد إلى أن غـدا فـوق السـماكـين راقـيا
هــو السـيّد المـولى الذي تـمّ بـدره فأضحى إلى نهج الكـرامـات هـاديا
وللــفقه نَــوح يـترك الصـلد ذائـباً كما سال دمع الحقّ يحكي الغواديـا[1]

قلت: ورثاه تلميذه الشيخ نجيب الدين عليّ بن محمّد بن مكّي العاملي الجبيلي الجبعي بقصيدة قال فيها:

جودي بدمع مسـتهلّ غـزيز يا عين فالرزء جليل خـطير
وإن رقا الدمـع فسـحّي دماً فــفادح الرزء بــهذا جـدير
دكّ لعــمري جــبل شـامخ كادت له الشمّ العوالي تسير
طود عـلى بـحر نُـهىً يـاله من أوحدٍ ليس له من نظير[2]

إلى آخر القصيدة.

ورثاه تلميذه الشيخ حسن بن عليّ بن أحمد العاملي الحانيني[3] بقصيدة رائيّة أورد الحرّ بعضها في ترجمة الشيخ حسن من أمل الآمل[4].

ورثاه غير واحد من معاصريه.

وقد ترجمه سيّدنا الخال في تكملة الأمل ص ٣٥٣، وترجمه الأفندي في رياضه[5]، والسـيّد البـاقر الأصـفهاني المـوسوي فـي روضـاته[6]، والمـحدّث البـحريني فـي لؤلؤته[7]، والمقدّس النوري في خاتمة المستدركات[8]، والثقة القمّي فـي مـوضعين مـن

---

١. أمل الآمل ١: ١٦٧ ـ ١٦٨، الرقم ١٧٠.
٢. حكاه الخوانساري في روضات الجنّات ٧: ٤٦ ـ ٤٧، الرقم ٥٩٨.
٣. توفّي سنة ١٠٣٥. راجع ترجمته في أمل الآمل ج ١ ص ٦٤، والذريعة ج ١ ص ١٨٠. «ع»
٤. أمل الآمل ١: ٦٤، الرقم ٤٩.
٥. رياض العلماء ٥: ١٣٢ ـ ١٣٤.
٦. روضات الجنّات ٧: ٤٥ ـ ٥٥، الرقم ٥٩٨.
٧. لؤلؤة البحرين: ٤٠، الرقم ١١ ـ ١٢.
٨. خاتمة مستدرك الوسائل ٢: ٨٥.

الجزء الأوّل من سفينة البحار(١)، والمتتبّع المامقاني في تنقيحه[١]، والفاضل الثبت أبو عليّ في رجاله[٢](٢)، وكلّ من تأخّر عنه من أصحاب المعاجم والتراجم وشيوخ الإجازات[٣] من أصحابنا وأثنوا عليه بما هو أهله من علوّ المنزلة علماً وعملاً.

وقد اصطفاه الله إليه فألحقه بالرفيق الأعلى في جبع ليلة العاشر من ربيع الأوّل ـ وقيل: بل ليلة الثامن عشر منه ـ سنة تسع بعد الألف للهجرة وله من العمر خمسون سنةً[٤]، وذلك قبل وفاة خاله المحقّق صاحب المعالم بسنتين، والسنتان اللتان عاشهما خاله من بعده هما مقدار التفاوت بينهما في العمر، وكانا ـ رفع الله مقامهما ـ كالفرقدين،

(١) فراجع منه[٥] ص٣٢٨ حيث يترجم صاحب المدارك[٦]. وص ٢٦٥ من الجزء نفسه حيث يترجم الشيخ حسن صاحب المعالم[٧]، فيذكر في غضون الترجمة صاحب المدارك.

(٢) إنّما ترجمه أبو عليّ في غضون أحوال الشيخ صاحب المعالم فوفاها الواجب من حقّها.

١. تنقيح المقال ٢: ١٥٢، الرقم ١٠٨٠.

٢. منتهى المقال ٢: ٣٨٧، ذيل الرقم ٧٢٩. وراجع أيضاً الروضة النضرة، ص ٥٢٥.

٣. راجع: أعيان الشيعة ١٠: ٦ ـ ٧؛ الفوائد الرضويّة: ٥٥٩ ـ ٥٦٠.

٤. لا كلام في أنّ وفاته إنّما كانت سنة تسع بعد الألف وإنّما الخلاف في مولده الشريف، والصحيح أنّه كان سنة ٩٥٩، فيكون عمره الشريف خمسين، وقيل: إنّ مولده المبارك كان سنة ٩٤٧، وبناءً على هذا يكون عمره اثنين وستّين سنةً وأشهراً.

في روضات الجنّات ٧: ٥٤ ـ ٥٥، ذيل الرقم ٥٩٨، وأعيان الشيعة ١٠: ٦، حكايةً عن الدرّ المنثور أنّه قال: إنّ مولد صاحب المدارك كان سنة السادسة والأربعين بعد التسعمائة. ونحن لم نجده في الدرّ المنثور.

٥. سفينة البحار ١: ٧٥٦، «حمد».

٦. المصدر: ٦٢٦ ـ ٦٢٧، «حسن».

٧. في غضون كلامه: أي في أثناء كلامه. المعجم الوسيط: ٦٥٥، «غ. ض. ن».

أو كروح واحدة في جسمين، وقد كتب خاله على قبره بخطّه الشريف: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَـٰهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[١].

ورثاه بأبيات كتبها على قبره الشريف وهي:

لهفي لرهن ضريح كان كالعَلَمِ ... للعِلمِ والحلم والمعروف والكرمِ
قد كان للدين شمساً يستضاء به ... محمّدٌ ذو المزايا طاهر الشيمِ
سقى ثراه وهنّاه الكرامة والر ... يحان والروح طرّاً بارئ النسمِ[٢]

قلت: وأعقب السيّد أعلى الله مقامه علمين عيلمين حسيناً وعليّاً فهنا فرعان:

الفرع الأوّل: شيخ الإسلام وعلم الأعلام السيّد الشريف الحسين بن السيّد محمّد صاحب المدارك.

كان ـ أعلى الله مقامه ـ من فقهاء الأُمّة، وممثّلي هدي الأئمّة، وقاضي القضاة، وثبت الأثبات، حجّة في الحديث، وشيخاً من مشايخ الإجازة[٣] له القول الفصل، والحكم العدل، لا يعارض ولا يناقض، وكان المدرّس في الحضرة الشريفة الرضويّة، وصاحب المنبر في القبّة الكبيرة الشرقيّة.

وقد ذكره الحرّ في أمل الآمل. فقال:

السيّد حسين بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي كان عالماً فاضلاً فقيهاً ماهراً جليل القدر عظيم الشأن.

قرأ على أبيه صاحب المدارك وعلى الشيخ بهاء الدين وغيرهما من معاصريه، وسافر إلى خراسان وسكن بها، وكان شيخ الإسلام ـ يعني أقضى القضاة ـ بالمشهد المقدّس على مشرّفه السلام.

وكان مدرّساً في الحضرة الشريفة في القبّة الكبيرة الشرقيّة.

---

١. الأحزاب (٣٣): ٢٣.

٢. حكاه عنه سبطه في الدرّ المنثور ٢: ١٩٩ ـ ٢٠٠.

٣. له ترجمة في أعيان الشيعة ج ٦ ص ١٥٩، وترجمة في تكملة أمل الآمل ص ١٩٠. «ع»

[قال:] وأعطيت التدريس في مكانه.

ومدحه الشيخ إبراهيم العاملي البازوري [١] بقصيدة تقدّم في ترجمته أبيات منها، ومدحه جماعة منهم السيّد محمّد بن محمّد العاملي العيناثي [٢].

[قال الحرّ:] نروي عن العمّ الشيخ محمّد الحرّ [٣] عنه، قال: رأيت نسبه بخطّه هكذا: حسين بن محمّد بن عليّ بن حسين بن أبي الحسن بن محمّد بن عبدالله بن أحمد بن حمزة بن سعد الله بن حمزة بن محمّد بن عبدالله بن محمّد بن عليّ بن عبدالله بن محمّد بن طاهر بن حسين بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام [٤].



١. ترجمه في أمل الآمل ج ١ ص ٢٥ فقال: الشيخ إبراهيم بن إبراهيم بن فخر الدين العاملي البازوري كان فاضلاً، صدوقاً، صالحاً، شاعراً، أديباً، توفّي بطوس في زماننا ولم أره. انتهى ملخّصاً.«ع»

٢. هو السيّد محمّد بن محمّد بن حسن بن قاسم الحسيني، كان فاضلاً، صالحاً أديباً، شاعراً، زاهداً، عابداً، له كتب منها: الاثنى عشريّة في المواعظ العدديّة، وحدائق الأبرار فرغ منه سنة ١٠٨١. انتهى ملخّصاً عن أمل الآمل ج ١، ص ١٧٦، والذريعة ج ٦، ص ٢٨٠.«ع»

٣. هو الشيخ محمّد بن عليّ الحرّ، كان فاضلاً، عالماً، ماهراً، محقّقاً، مدقّقاً، جامعاً، عابداً، شاعراً، منشأً، ثقة، توفّي سنة ١٠٨١. انتهى ملخّصاً عن أمل الآمل ج ١، ص ١٧٠.«ع»

٤. أمل الآمل ١: ٧٩، الرقم ٧٣.

وذكره في روضات الجنّات ج ٧ ص ٥٥، ذيل الرقم ٥٩٨ في آخر ترجمة أبيه، وذكر أنّ له حاشية على ألفية الشهيد، وأنّه توفّي سنة ١٠٦٩. وترجمه العلّامة الشيخ آقابزرك الطهراني رحمه الله في الروضة النضرة ص ١٦٣.«ع»

المقصد السادس
في أحوال جدّ جدّ شرف الدين

وهو الإمام الفقيه الشهيد السعيد الشريف عزّ الدين الحسين بن محمّد بن الحسين بن عليّ بن محمّد بن أبي الحسن.

كان ـ رحمه الله تعالى ـ من الأبدال الذين عظم الخالق في أنفسهم، فصغر ما دونه في أعينهم، منقطعاً بكلّه إليه عزّوجلّ متجافياً عن كلّ ما لا يُنيله الزلفى لديه سبحانه، فقيهاً من فقهاء العترة الطاهرة، حافظاً لآثارهم، مستودعاً لأسرارهم، داعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وكان معاصراً للشهيد الثاني في جبع، شريكاً له في درسه لدى كثير من مشايخه، وكانت قواعد المودّة راسخة بينهما، وعرى المصافاة وثيقة لديهما، وقد صاهره الشهيد فتزوّج بنته فكانت أحظى زوجاته به، كما أسلفنا في المقصد الخامس.[1]

وكانت ولادته في جبع سنة ٩٠٦ وقرأ أوّلاً على الشيخ نور الدين عليّ بن أحمد بن محمّد المعروف بابن الحجّة[2] والد الشهيد الثاني، فلمّا كانت سنة ٩٢٥ توفّي والد الشهيد الثاني فارتحل السيّد إلى ميس[3] فقرأ على الشيخ الجليل عليّ بن عبد العالي المحقّق الميسي[4]، ثمّ قرأ

١. تقدّم في ص ١٢٠ ـ ١٢١.
٢. راجع ترجمته في أمل الآمل ج ١ ص ١١٨، الرقم ١١٨.
٣. مَيس: إحدى قرى جبل عامل. راجع أعيان الشيعة ٢: ١٩٥.
٤. توفّي سنة ٩٣٣. راجع ترجمته في أمل الآمل ج ١ ص ٥٦، الرقم ٤٤ و أعيان الشيعة ج ٥ ص ٣٤.

في كرك نوح[١] على السيّد حسن بن السيّد جعفر الموسوي[٢]، وقرأ على الشيخ شمس الدين محمّد بن عليّ الشامي أحد شيوخ الشهيد الثاني، وكان السيّد قد تزوّج كريمة شيخه هذا ابن مكّي فولد له منها نور الدين عليّ[٣]، كما أشرنا إليه في المقصد الخامس[٤].

وقد ذكره صاحب الأمل فقال:

السيّد حسين بن محمّد بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي، كان عالماً فاضلاً فقيهاً معاصراً للشهيد الثاني، وكان ولده السيّد عليّ من تلامذته، وكان الشهيد الثاني صهره[٥]. انتهى.

قلت: واستطرد ذكره الشيخ عليّ الحفيد في درّه المنثور إذ ذكر ولده السيّد عليّ نور الدين في تلامذة الشهيد الثاني. فقال:

ابن الإمام السيّد البدل أوحد الفضلاء وزبدة الأتقياء السيّد المرحوم المبرور عزّ الدين حسين بن أبي الحسن.

إلى آخر ما سمعته في المقصد الخامس من كلامه.[٦]

واختار الله للسيّد دار كرامته ليلة التاسع من رجب سنة ٩٦٣ مسموماً مظلوماً في صيدا، ودفن في جبع، وصلّى عليه الشهيد الثاني في جمّ غفير من المؤمنين، وكان يومه مشهوداً، رفع الله درجته كما شرّف خاتمته.

---

١. كَرَك نوح: قرية كبيرة بنواحي البقاع قرب بعلبك، منسوبة إلى نوح عليه السلام؛ لأنّ فيها قبراً طويلاً يزعم أهل تلك النواحي أنّه قبر نوح عليه السلام... وهذه غير داخلة في جبل عامل لكن يقال في علمائها: العاملي ـ كالمحقّق الثاني ـ تغليباً للمجاورة. راجع: معجم البلدان ٤: ٤٥٣؛ أعيان الشيعة ٢: ١١٥.

٢. توفّي سنة ٩٣٣. راجع ترجمته في أمل الآمل ج ١ ص ٥٦.

٣. وله ترجمة في أعيان الشيعة ج ٥ ص ٤١٥، وترجمة في تكملة أمل الآمل ص ١٧٣ وترجمه أيضاً في شهداء الفضيلة ص ١٦٥، وفي إحياء الداثر ص ٦٣. «ع»

٤. تقدّم في ص ١٢١.

٥. أمل الآمل ١: ٦٨، الرقم ٦١.

٦. سمعت في ص ١٢٤ من الدرّ المنثور ٢: ١٩٢.

الباب الثاني
في بقيّة شرف الدين

وهم: ولده الأمجد السيّد الشريف محمّد وذرّيّته.

فهنا فصلان:



الفصل الأوّل
في السيّد محمّد نفسه

ويكنّى أبا صالح، ولد ـ رحمه الله تعالى ـ في جبع سلخ رجب سنة تسع وأربعين بعد الألف، واقتبس العلم أوّلاً من مشكاة أبيه، ووقف في عاملة على الفقيه العلّامة الشيخ أحمد(1) بن الحسين بن محمّد بن أحمد بن سليمان العاملي النباطي ١.

(1) الشيخ أحمد هذا هو أخو الشيخ سليمان الذي هو جدّ شرف الدين لأمّه، فيكون الشيخ أحمد هذا عمّ جدّة السيّد محمّد صاحب العنوان.

١. توفّي في النبطيّة، سنة ١٠٧٩. راجع ترجمته في أمل الآمل ج ١ ص ٣٢، الرقم ١٧.

وهاجر إلى العراق بعد وفاة أبيه بأيّام قلائل، وذلك سنة الثمانين بعد الألف، فأخذ عن الشيخ حسام الدين بن الشيخ جمال الدين الطريحي النجفي[1] ووقف على غير واحد من أعلام الفقهاء والأُصوليّين.

ثمّ توجّه إلى أصفهان للأخذ عن أعلامها فوردها سادس المحرّم سنة ١٠٨٣ فانضمّ إلى إمامها، وعلم أعلامها الفقيه الأُصولي، الحكيم المتكلّم المحدّث الشيخ محمّد باقر السبزواري صاحب الذخيرة، يغوص معه على أسرار العلوم فيستخرج مخبآتها ويمحّص حقائقها ويتقرّى دقائقها.

وقد صغى إليه السبزواري بودّه، وآثره بإعزازه، فزوّجه كريمته رغبةً فيه، وقدّمه على أكثر ملازميه، وولد له منها ولدان قضى الوباء الجارف عليهما وعلى أُمّهما سنة ١٠٨٩.

ولحق المحقّق السبزواري بربّه سنة ألف وتسعين.

فاختلف السيّد بعده إلى الإمام الفقيه الشيخ عليّ[(1)] بن الشيخ محمّد بن الشيخ حسن بن الشهيد الثاني[2]، وكان الشيخ قد استوطن أصفهان فحمل السيّد عنه علماً كثيراً، وأجازه الشيخ إجازةً عامّةً.

وفي سنة ١٠٩٩ تشرّف السيّد بأعتاب الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام فرأى من إقبال العلماء عليه وإعجابهم به ما هو أهله، وأنزله صدوق المحدّثين محمّد بن الحسن الحرّ

(١) كان الشيخ حسن جدّ الشيخ عليّ هذا والسيّد عليّ جدّ السيّد محمد هذا أخوين لأمّ، كما تبيّن في المقصد الرابع المختصّ بالسيّد عليّ نور الدين[3]. وإذن فالشيخ عليّ هذا ابن عم السيّد محمّد. ولنا الفخر في هذه العمومة وبنيها سلسلة الذهب.

١. عالم ماهر محقّق فقيه جليل شاعر من أرباب الإجازات، ولد سنة ١٠٠٥، وله عدّة مؤلّفات، توفّي سنة ١٠٩٥. انتهى ملخّصاً عن ماضي النجف وحاضرها ج ٢ ص ٤٣٣. «ع»

٢. ولد سنة ١٠١٦ وتوفّي سنة ١١٠٤. له ترجمة في أمل الآمل ج ١ ص ١٢٩، الرقم ١٣٩ وتكملته ص ٣١٠ ـ ٣١١، الرقم ٢٩١. «ع»

٣. تقدّم في ص ١١٠ ومابعدها.

صاحب الوسائل في داره، وكان مجاوراً للحرم الرضوي المقدّس فأكرم مثوى السيّد ولم يدّخر وسعاً في احترامه، وأجازه إجازةً مفصّلةً، وزوّجه كريمته، عقد له عليها في الرواق الشريف الرضوي، وكانت صغيرةً فلم يبنِ بها حتّى أتيا عاملة.

وكانت على حداثتها ذات مكانة في العقل والدين والآداب والأخلاق، وبعد العقد عليها بأيّام توجّه بها إلى حجّ بيت الله الحرام في ثلّة من أعيان خراسان فأدّى مناسك الحرمين الشريفين عمرةً وحجّاً وزيارةً.

ثمّ قفل بأهله مع الحجّ الشامي نحو هذه الديار فورد قريته شحور في ربيع الثاني سنة ١١٠١، وله يومئذٍ اثنان وخمسون عاماً، وأقام فيها ثمانياً وثلاثين سنةً مقبلاً على شأنه، مستوحشاً من أوثق إخوانه، يكره الشهرة، ويحبّ العزلة، ولا يخالط الناس إلّا بقدر ما توجبه الضرورة.

وله مؤلّفات في الفقه والحديث والنوادر المستطرفة، حملت مع سائر كتبه إلى عكّا[1] في قارعة الجزّار، كما ستسمعه في أحوال ولده الصالح[2]، ومن آثاره الباقية في مكتبتنا تعليقة له شريفة على أصول الكافي بخطّه الشريف، وبعض التعليقات بخطّه أيضاً على نفليّة الشهيد، ومجموعة له كالكشكول بقلمه تشتمل على أحاديث ونوادر وأشعار، وفيها كلّ ما نقلناه من أحواله وأحوال أبيه، وكثير ممّا نقلناه من أحوال سلفه الصالح، فله الفضل على مؤلّفنا هذا؛ إذ كان من أصفى مصادره، وأوثق أسناده، فجزاه الله عن سلفه وخلفه خير جزاء المحسنين إنّه أرحم الراحمين.

وللسيّد تعليقة على القواعد مطوّلة رأيته يحيل في تفصيل المسائل عليها.

---

١. عكّا: مدينة بشمالي فلسطين، تقع على خليج باسمها في مواجهة حيفا...، فتحها العرب سنة ٦٣٨، واحتلّها الصليبيّون سنة ١١٠٤ ـ ١١٨٧، ثمّ فتحها آخر واحتلّها آخر إلى أن استولى العثمانيّون عليها.... راجع: القاموس الإسلامي ٥: ٤٤٤ ـ ٤٤٥؛ الموسوعة العربيّة الميسّرة ٢: ١٢٢٢؛ دائرة المعارف الشيعيّة العامّة ١٣: ٦٧.

٢. سيأتي في ص ١٣٩ ومابعدها.

وقد استجازه أفاضل عصره وإليه ينتهي إسناد كثير ممّن تأخّر عنه كشيخ الطائفة وإمام محقّقيها الشيخ مرتضى الأنصاري رحمه الله [1] حيث يروي ـ كما في خاتمة المستدرك [2] ـ عن السيّد صدر الدين عن أبيه السيّد صالح عن أبيه السيّد محمّد صاحب العنوان. وقد ترجمه سيّدنا في تكملة الأمل ترجمةً مفصّلةً ص ٣٣٥ ومابعدها [3].

وكانت وفاته في شحور سنة ١١٣٩ وله تسعون سنة عن شبلين لا ثالث لهما: صالح، ومحمّد، وكان قد رزق قبلهما عدّة أولاد ذكوراً وإناثاً درجوا [4] متتابعين أطفالاً، ثمّ أنعم الله عليه بهذين الشبلين، فكان نسله الطيّب الكثير منهما، والحمد لله ربّ العالمين.



١. ولد سنة ١٢١٤ وتوفّي سنة ١٢٨١. «ع»

٢. خاتمة المستدرك ٢: ١١١ـ١١٣.

٣. وله ترجمة في أعيان الشيعة ٩: ٥٨ ـ ٦٠. وترجمه العلّامة الكبير الشيخ آقابزرك الطهراني في الكواكب المنتثرة: ٦٥١.

٤. أي ماتوا راجع: الصحاح ١: ٣١٣؛ القاموس المحيط ١: ٣٩٤، «د. ر. ج».

الفصل الثاني
في ذرّيّة السيّد محمّد بن إبراهيم شرف الدين

وهي منحصرة في صنوين:

الصنو الأوّل
هو الشريف الصالح ذو الذرّيّة الصالحة المباركة

كان السيّد صالح من جهابذة الفقه، وذوي البسطة فيه، راسخ القدم في العلوم الإسلاميّة، فسيح الخطوة في المعارف الإلهيّة، طويل الباع في آداب اللغة وعلومها، غزير الحفظ للسنن النبويّة، واسع الرواية في المأثور عن أهل بيت العصمة، كثير الاطّلاع، طويل الباع في حوادث السنين وأخبار الماضين، وقد استوعب أُصول الفضل وأحاط بفروعه، وأُوتي فصل الخطاب، وجوامع الكلم، وله في الطبّ والرياضيّات قدم فارعة، وقدح معلّى.

وكان زاهداً عابداً ملتزماً بصوم رجب وشعبان من كلّ سنة، وصوم يوم الجمعة من كلّ أُسبوع، وكان يعامل النوافل الراتبة معاملة الفرائض، فإذا فاته شيء منها لعذر قضاه في أوّل أزمنة الإمكان، وله حالات مع الله ـ عزّوجلّ ـ تعرج به إلى أوج المقرّبين.

وكان كثير البرّ والصدقة سرّاً وعلانيةً، رؤوفاً بالمؤمنين، يحنو على اليتامى، ويعطف على الأيامى، ويرقّ للفقراء والمساكين، ويبادر بنفسه إلى إعطاء السائل يؤثره على نفسه، فإن لم يجد له شيئاً أعطاه خاتمه أو قباءه أو بعض أواني بيته.

ولد في قرية شحور سنة ١١٢٢ بعد رجوع أبيه من مهجره العلمي بإحدى

وعشرين سنةً، وكان لأبيه يومئذ ثلاث وسبعون سنةً، وكان قد رزق من قبل أولاداً درجوا أطفالاً كما سمعت.

وأنبت الله هذا الصالح نباتاً حسناً، فاقتبس الدين والأخلاق والعلوم العربيّة من مشكاة أبيه، وكان له حين وفاته سبعة عشر عاماً، فوقف بعد على جماعة من علماء عصره في عاملة، وأخذ علم الطبّ عن مليك وداده وشقيق فؤاده الفقيه العلّامة الشيخ عليّ خاتون أعلى الله مقامه[١].

وسافر أيّام شبيبته إلى مصر فلبث في الأزهر عشرة أشهر يأخذ عن شيوخه، ثمّ توجّه إلى الحجاز فاستجار بالبيت الحرام[٢] سنتين أخذ فيها عن فقهاء الحرمين الشريفين ومحدّثيهما، وقد أجاز له بعض أعلامهم أن يروي عنه كلّ ما صحّت له روايته عن مشائخه كافّةً بالسلسلة المتّصلة بالمؤلّفين منهم في جميع العلوم عقليّةً ونقليّةً.

ثمّ هاجر إلى العراق سنة خمس وخمسين بعد الألف والمائة، وله ثلاث وثلاثون سنةً، فأقام في كربلاء المقدّسة والنجف الأشرف إلى سنة ثلاث وستّين متفرّغاً لطلب العلم، وأخذه عن أعلام المحقّقين وأئمّة الفقهاء والمجتهدين(١).

ثمّ رجع إلى عاملة فأقام في مسقط رأسه شحور يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويخدم الدين والمؤمنين إلى أن كانت فتنة الجزّار في هذه الديار، فخرج السيّد في أثنائها إلى العراق سنة ١١٩٩ خائفاً يترقّب، ونجا بعد الاعتقال، ومقاساة الأهوال.

---

(١) كان في كربلاء على عهد الوحيد البهبهاني وطبقته وربما أخذ عنهم.

---

١. كان عالماً فاضلاً متكلّماً عارفاً بالطبّ والحكمة وعلم الفراسة، ألقى عليه الجزّار القبض وسجنه في عكّا، وتوفّي سنة ١٢٠٨. عن مجلّة العرفان م ٤٧ ص ٣٥٩ وم ٢٩ ص ٦٧٩ عن مجموعة الركيني. وكتاب الشيخ سعيد الحرّ اسمه مهذّب الأقوال في أحوال الرجال. راجع الذريعة ج ٢٣ ص ٢٩٢، الرقم ٩٠٣٢.«ع»

٢. ولهذا كان يلقّب بالمكّي.

مجمل الفتن

لما استولى أحمد الجزّار[1] على عكّا وما حولها وذلك سنة ١١٩١ أراد أن ينتزع جبل عامل من أيدي حكّامه ـ وهم شيوخ عشائره ـ ليضمّه إلى ما استولى عليه، فكان له مع العامليّين وقائع عديدة آخرها الوقعة المشؤومة وقعة يارون[(1)]، وكانت في ٥ شوّال سنة ١١٩٥ زحفت عليها جيوشه، فنهد إليهم أمير عاملة الشيخ ناصيف النصار من آل عليّ الصغير الوائليّين، وهم يومئذ هامة المجد، وعرنين العزّ، ونواصي الشيعة وغرّتهم في الديار العامليّة، وكان ناصيف هذا صادق البأس، جميع القلب، مِسْعر حرب، وخوّاض غمرات، فالتقى الجيشان قرب يارون، وكان جيش الجزّار أكثر عدداً ومدداً، وأوفر عتاداً، لكن ناصيفاً لم يكن لينكل عن خطته، ولا لتثبط عقله، وقد عصفت في رأسه النخوة، فأخذته حميّة الإسلام وحفيظة العرب، فحمل بنفسه على العدوّ مقتحماً عليه فما خاض غمرة الوغى حتّى زلّت قدم جواده فابتدره أحد الجنود بضربة أصابت مقتله فتردّى، وما إن صرع حتّى انهزمت عساكره لا يلوون على أحد؛ إذ انفصمت بقتل زعيمهم مرّة صبرهم، وتمزّقت كتائب عزائمهم، فجاست جنود الجزّار خلال هذه الديار عنوةً، فلم تأل جهداً في النهب والسلب، ولم تدّخر وسعاً في القتل والمثلة، وتداعت من العامليّين كافّةً حصون عزمهم، ودكّت أسوار حزمهم، ورهقهم من

---

(١) يارون قرية جنوبي جبل عامل تقع على الحدّ الفاصل بين عاملة وبلاد صفد فيها قبر المرحوم الشيخ ناصيف النصار.

---

١. هو من أصل صربي، ولد حوالي عام ١١٣٢، وارتحل إلى مصر، والتحق بخدمة بعض المماليك المصريّين، وتدرّج في وظائف الدولة، واشتهر بنجاحه في قمع ثورة الشيخ ظاهر العمر، وكافأته الدولة بولاية عكّا وعني بتحصينها، ولهذا ثبت في مقاومة حصار نابليون لها بالإضافة إلى مساعدة الأُسطول البريطاني له. توفّي عام ١٢١٩. انتهى عن القاموس الإسلامي ج ١ ص ٥٩٨. «ع»

العدو ما عجز عنه وسعهم، وضاق به ذرعهم، وكانوا بعد زعيمهم كغنم مطيرة في ليلة شاتية، بين ذئاب ضارية، ووحوش عادية، تدمّر القرى وتهدم القلاع، وقد حاصر قلعة شقيف أرنون[١] شهرين ثمّ فتحوها فهدموها.

وهربت شيوخ البلاد إلى الشام فالعراق، ولجأ بعض الأعيان إلى عكّا فأمّنهم الجزّار، وما إن وثقوا بأمانه واستسلموا له حتّى غدر بهم فأسلمهم إلى من يسومهم في سجونه سوء العذاب حتّى ماتوا شرّ موتة[٢].

وحين رأى الشيخ حمزة بن محمّد النصار من آل عليّ الصغير إمعان هذا الظالم في بغيه، وطغيانه في استئصال شأفة الشيعة آثر الموت في مناجزته، فثار عليه برجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فكان في مقدّمتهم صاحب شحور الشيخ عليّ الزين(١) ينظّم أُمورهم ويدبّر ثورتهم، وكان من قبل زعيماً كريماً، ذا رأي متّبع وبصيرة في السياسة والدين، نهض بأصحابه مع الشيخ حمزة فهجموا على الحاكم من قبل الجزّار وهو في مركز حكمه تبنين[٣] فقتلوه وكان يقال له: المتسلّم، وعسكروا بعد قتله في شحور يتأهّبون للقتال، فزحف عليهم جيش الجزّار فصمد له حمزة بمن معه ربيط

---

(١) للشيخ عليّ الزين هذا ذرّيّة مباركة فيها العلماء البررة والزعماء الخيرة، وهم في هذا العصر وفيا قبله مجد ظاهر ومآثر يتنازون بها، وجدّهم هذا الشيخ عليّ تداركه من الله ـ عزّوجلّ ـ لطف أنجاه من مخالب الجزّار، فخلص إلى الهند فاستوزره بعض ملوكها الشيعيّين، ونال هناك حظوةً ومنزلةً وجاهاً حتّى تغلب الإنكليز على ذلك الملك فاستولوا على ملكه، ورجع الشيخ عليّ حينئذ إلى بلاده بعد هلاك الجزّار، وتوفّي في شحور رحمه الله تعالى.

---

١. شقيف أرنون: قلعة تعرف بحصن أرنون، أو قلعة الشقيف، وأرنون قرية نسبت إليها القلعة المذكورة في جنوب لبنان، تابعة لقضاء صيدا. راجع دائرة المعارف للبستاني ٣: ٢٥٤.

٢. للمزيد راجع: أعيان الشيعة ١٠: ٢٠٥؛ مستدركات أعيان الشيعة ١: ٢٤٣، و ٣: ٢٦٥.

٣. تبنين: بلدة جنوب لبنان، وقاعدة بلاد بشارة. راجع دائرة المعارف للبستاني ٦: ٤٧.

الجأش، فلم ينكفئ حتّى قتل ومثّلوا به، وقتل معه نحو مئتا رجل(١)، وحملت رؤوسهم إلى الجزّار وهو يومئذ في صيدا، ونكبت شحور أفظع نكبة، وانتهب الجيش ما فيها فكانت مكتبتنا من أنفس ما انتهب يومئذ؛ إذ كانت حافلةً بآثار آبائنا العلميّة من لدن أبي الحسن تاج الدين إلى عهد السيّد صالح وأخيه السيّد محمّد(٢)، والمعروف أنّها حملت إلى عكّا كبقيّة مكاتب العلماء في هذه البلاد، وأنّها حرقت هناك(٣) فإنّا لله وإليه راجعون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[١].

(١) وقيل أكثر من ذلك وكانت مصارعهم قرب شحور عند عينها ـ عين الدير ـ في أرض لا تزال من يوم الواقعة تضاف إلى القتلى حتّى يومنا هذا فيقال عنها: صدر القتلى.

(٢) حدّثني عن هذه المكتبة بما ذكرناه سيّدنا الإمام الخال أبو محمّد الحسن، وسمعته على التفصيل من جدّي الإمام أبي الحسن الهادي عن عمّه السيّد صدر الدين، عن أبيه السيّد صالح، ورواه لي المقدّس والدي عن آبائه، ورأيته بخطّ السيّد عبّاس بن السيّد عيسى بن السيّد عبدالسلام في مجموعة كتبها لنفسه، وكان من الثقات الأثبات كما بيّنّاه عند ذكره في آخر المقصد الثالث من الباب الأوّل من هذا الكتاب[٢]. وقد استقصى في تلك المجموعة شؤون السيّد صالح ولا سيّما محنه في نفسه أيّام سجنه، وفي ولده الشهيد هبة الله، وفي مكتبته المتضمّنة لآثار آبائه، وكان للسيّد عبّاس ولأبيه السيّد عيسى ولوع بتتبّع أخبار السيّد صالح واقتفاء آثاره؛ لاختصاص أبيهما السيّد عبد السلام به؛ إذ كان من تلامذته وخريج مدرسته كما بيّنّاه في ترجمته[٣].

(٣) انتهاب مكاتب علماء الشيعة يومئذ وحرقها في عكّا متواتر لدى العامليّين دائر على ألسنتهم يرسلونه إرسال المسلّمات. وقد ذكره الفاضل الأديب الشيخ أحمد رضا العاملي النبطي في جملة مصائب الجزّار فقال: ولكن ظلمه بلغ مبلغاً عظيماً في الضغط على ←

١. الشعراء (٢٦): ٢٢٧.
٢. تقدّم في ص ٦٢ ـ ٧١.
٣. تقدّم في ص ٧٢.

وكانت هذه الوقعة المشومة يوم الثلاثاء الثالث عشر من رجب سنة ١١٩٨ وقيل: سنة ١١٩٧[١].

ـ العلماء والكبراء؛ حيث تعقّبهم قتلاً وسجناً وتعذيباً ومصادرةً، وتشتّت من بقي منهم في أقطار الأرض. واستصفى الجزّار آثارهم العلميّة فكان لأفران عكّا من كتب جبل عامل ما أشعلها بالوقود أسبوعاً كاملاً، وكانت هي الضربة الكبرى على العلم وأهله، وما ظنّك ببلاد حرص أهلها على طلب العلم حرصاً شديداً ولم ينقطع عنها مدده، وجاب علماؤها البلاد النائية في طلبه واقتناء كتبه حتّى جمعت لديهم تلك الذخائر في قرون وأجيال كانت بعد ذلك طعماً للنار في مصادرات الجزّار. وقد أخذ منها نزر قليل اقتناه بعض فضلاء تلك الجهات، وكان لبعض أفاضل طير شيحا والزيب منها سهم حسن. قال: وألقي على المتاولة ـ أي الشيعة ـ الخذلان بعد قتل زعيمهم ناصيف النصار، ووقعوا في هاوية عسف الجزّار ومصادراته. إلى آخر كلامه في صحف له تأريخيّة عن المتاولة أو الشيعة في جبل عامل، نشرتها له مجلّة العرفان في ص ٣٨٧ من مجلّدها الثاني.

(١) والصحيح أنّها إنّما كانت سنة ١١٩٨، كما صرّح به السيّد عبّاس بن السيّد عيسى بن السيّد عبد السلام في مجموعته، وتبعه في ذلك الشيخ أحمد رضا في صحائفه التأريخيّة، إذ ذكر وقعة شحور فأرّخها سنة ١١٩٨ فراجع ص ٣٣٠ من المجلّد الثاني من العرفان. ووقفنا على مجموعة بخطّ الشيخ حسن بن الشيخ حيدر رضا العاملي الركوني، وكان من الثقات، وفي تلك المجموعة عدّة حوادث تأريخيّة وقعت في عدّة سنين سجّلها كمؤرّخ لها فكان منها ما هذا لفظه:

وفي يوم الإثنين الثاني عشر من رجب سنة ١١٩٨ صارت قتلة المتسلّم في تبنين مع الشيخ حمزة بن محمّد نصار، وثاني يوم ١٢ رجب صارت وقعةٌ في شحور بين الدولة والشيخ حمزة المذكور وكان الغلب للدولة، وقتل الشيخ حمزة، وقتل معه قدر من المتاولة قرب مائتي رجل. وقال: الزيادة زيادة، ونقل ما لم يصحّ ليس فيه إفادة، ونهبوا أهل البلد نهبةً عظيمةً، وأخذت الدولة السلب ورؤوس القتلى إلى صيدا. ويوم وقعة شحور شرّدت الناس في البراري والأوعار والجبال والقفار، وكلّ امرئ في عقله محتار، وصار الناس من الدولة ـ

وعاثت بعدها جنود الجزّار في طول البلاد وعرضها؛ إذ لجّ هذا الظالم في غوايته، وأوغل في عمايته، وعمه في طغيانه، فتاه في شعاب باطله، ومضى في الانتقام على غلوائه، سبّاً وضرباً، وسحباً وسلباً، وحبساً وتنكيلاً، وتغريقاً وتحريقاً، ومثلةً للناظرين، ومثلاً وأُحدوثةً في الآخرين، وأولع باستئصال الزعماء والرؤساء فشرّدهم عباديد، واشتدّ في وطأته على العلماء ومكاتبهم العلميّة(١)، فلاقوا منه رهقاً وعنتاً، وكان السيّد صالح قد اعتزل الناس من قبل الوقعة فآوى بأهله وذويه إلى كهف(٢) في وادٍ عميق شمالي البلدة حيث يجري نهر الليطاني[1] وكان في الوادي حرج عظيم ملتف الأشجار فسلم السيّد يومئذ.

لكن عيون الجزّار نصبوا له بعد رجوعه إلى البلاد حبائل غيّهم، وأرصدوا له أهب بغيهم، حتّى وقع في أيديهم هو وولده الشريف أبو البركات هبة الله،

← يهربون. إلى آخر كلامه، وقد أوردته مجلّة العرفان ص ٧٥ من مجلّدها التاسع والعشرين نقلاً عن مجموعة الشيخ حسن المذكور.

أمّا القول بأنّ وقعة شحور كانت سنة ١١٩٧ فلم ينقل إلّا عن الشيخ عليّ بن الشيخ محمّد السبيتي العاملي الكفراوي في مجموعته التي نشرتها العرفان في ص ٢١ من مجلّدها الخامس تحت عنوان جبل عامل في قرنين.

(١) فرّقها وحرّقها كما سمعت طغيانه في تحريق مكتبتنا التي حملت إلى عكّا، وحمل معها مكتبة الشيخ عليّ خاتون في جويّا، وكانت خمسة آلاف مجلّد من الكتب الخطيّة، وكان كثير منها نادر الوجود ذهبت طعمة الوقود.

(٢) قد أوينا إليه في حوادث سنة ١٣٣٨هـ، إذ أصابنا يومئذ ما أصاب سلفنا ـ الصالح ـ كما سنفصّله في محلّه من الأصل إن شاء الله تعالى[2].

١. الليطاني: أهمّ نهر في لبنان طوله ١٦٠كم، ينبع في الطرف الشمالي للبقاع من نبع العليق جنوبي بعلبك. ويسير في وادي البقاع... ثمّ يجتاز جبل عامل... راجع الموسوعة العربيّة الميسّرة ٢: ١٥٩٦.

٢. يأتي في ص ٥٩٥ـ ٥٩٦.

وكان من الفضلاء[1]، كريم الأخلاق، صبيح الوجه، فصيح اللسان، ذكيّ الفؤاد مفوّهاً، لاع الظالمون قلب أبيه بقتله نصب عينيه، وارمضوا بذلك جوانحه.

ثمّ ساقوا السيّد إلى عكّا فاعتقلوه ـ في لومانها ـ مع من اعتقلوهم فيه من العلماء والرؤساء فلبث في ضائقة ـ اللومان ـ نحواً من تسعة أشهر حتّى فرّج الله عنه وعن الفقيه العلّامة الشيخ سليمان بن معتوق العاملي[1]؛ بتضرّعهما إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ وابتهالهما إليه بدعاء الطائر الرومي الذي يرويه السيّد ابن طاووس في كتابه مهج الدعوات[2]؛ إذ تسنّى لهما الفرار من السجن، والهرب إلى العراق وذلك سنة ١١٩٩.

فأقول فيه مؤرّخاً: «الله خير مفرّج». وقد استجارا ببابي الحوائج إلى الله تعالى الكاظمين الجوادين عليهما السلام فكانا في حرمهما آمني السرب، وادعي النفس، وقد أوفضت عنهما تلك المخاوف، لكنّهما كانا مع ذلك رهيني الوساوس والبلابل، لهيفي القلب جزعاً على جبل عامل، وما أولاهما بالجزع يومئذ عليه، وقد تركاه على كلّ حال لا تبرك الابل على مثلها.

وقد تفاقمت خطوبه بعدهما، وذلك أنّ نابليون بونابرت قائد جيوش فرنسا يومئذ جاء سنة ١٢٠٩ إلى مصر فاحتلّها بقواه الجبّارة، ثمّ زحف إلى عكّا سنة ١٢١٢ فضربها من البحر وحاصر الجزّار فيها، فأيقن الناس بأنّ العاقبة ستكون لنابليون فمالأه العامليّون تخلّصاً من عسف الجزّار، لكن خاب ظنّهم حيث انسحب نابليون بجنوده إلى

---

(١) حدّثني بهذا جدّي الإمام أبوالحسن الهادي، عن عمّه السيّد صدر الدين، وسمعت الثناء عليه بهذا مراراً عديدةً من سيّدنا الخال الإمام أبي محمّد الحسن، وأنّ السيّد أبا البركات استشهد عن إحدى وعشرين سنةً من عمره ولا عقب له.

---

١. سكن بعد فراره في الكاظميّة وصار من أجلاء فقهائها وأفاضل مراجعها، وتخرّج عليه جمع من الأعاظم. توفّي سنة ١٢٢٧. انتهى ملخّصاً عن الكرام البررة ج ٢ ص ٦١٢ «ع»

٢. مهج الدعوات: ٤٤٧.

مصر سنة ١٢١٣ فبقي الجزّار في عكّا مطمئناً في ولايته الإقطاعيّة، وقد ورم أنفه من أهل جبل عامل، فكان له قلب ينغل بالعداوة لهم، ويجيش بالغلّ عليهم، وما هلك سنة ١٢١٩ حتّى أهلك الحرث والنسل(١).

استطراد

وممّن امتحن الله قلوبهم في تلك المحن شيخنا الشيخ إبراهيم الكبير بن الشيخ يحيى(٢)، وقد هرب بدمه إلى بعلبك ولقي في الطريق شدائد كادت تودي به، ولمّا أتى بعلبك لم يجد فيها ما يتناسب مع كرامته، فتفاقم الخطب عليه.

يفهم ذلك من لاميّته العصماء وهي تربو على مائة بيت شكا فيها ضرّه ومحنته في تشريده، متذمّراً من سوء حاله في بعلبك، ومتشوّقاً إلى أهليه، وممّا جاء فيها مخاطباً لهم:

سقى الله مغناكم وجاد بلادكم — من الغيث محلول النطاق هَطولُ
فيصبح في جيد الرياض وسوقها — قلائد من دمع الحيا وحجولُ
وإن بخل الوسميّ عنكم بمائه — فجفني لكم بالغاديات كفيلُ

(١) امتدّت سيطرة هذا الغاشم على جبل عامل من سنة ١١٩٥ إلى سنة ١٢١٩، وفيها كان هلاكه، وأرّخ وفاته معاصره الشيخ مصطفى الرومي بقوله:

هلك الجزّار ولا عجب — ومضى بالخزي وبالإثمِ
وعيتته الباري عنّا — أرّخ قد كفّ يد الظلمِ

والحمد لله قاصم الجبّارين. فمدّة ولايته على جبل عامل أربع وعشرون سنةً، سار فيها سيرة فرعون في بني إسرائيل، واشتدّت وطأته في ثلاث عاصفات، عاصفة فتح البلاد عنوةً بعد قتل ناصيف، وعاصفة الانتقام من حمزة والثائرين معه يوم وقعة شحور، وعاصفة ممالأة الناس لنابليون بونابرت بعد انسحابه من عكّا. وما ربّك بغافل عمّا يعمل الظالمون.

(٢) وهو جدّ آل صادق الأعلام المشهورين.

خرجت برغمي من بلاده وأُسرة ويسر فهل بعد الخروج دخولُ؟
وصرت غريباً لا حميم ولا حمى فهل في حماكم للغريب مقيلُ؟
وإنّي لحرّان الفؤاد إليكم فهل لي إلى عين الحياة سبيلُ؟
إلى الله أشكو ما لقيت من النوى وعهدي به يعطي المنى وينيلُ
ويحلو لعيني أن تراكم وجفنها بتربكم طول الزمان كحيلُ
وممّا شجىٰ قلبي وأجرى مدامعي وألقى عليّ الهمّ وهو ثقيلُ
نزولي وقد فارقتكم في عصابة سواء لديهم عالم وجهولُ
سواسية لا يأمن الجور جارهم ولو أنّه للسنيّرين سليلُ[1]
يضام لدى أبياتهم كلّ نازل وعند كريم لا يضام نزيلُ
وليس مقام الذلّ ضربة لازم وفي الأرض حزن واسع وسهولُ
نزلت نزول الغيث فيهم وليتني عبرت عبور الريح وهو عجولُ
لقد جار دهر ساقني لجوارهم ومنّي ومنهم شمأل وقبولُ
وأنزلني في بعلبك وقلّما أقام بها لولا القضاء نبيلُ
وجدت بها مَسّ الهوان كأنّني مهين ومجدي ـ لو علمت ـ أثيلُ
أكابد ذلاًّ بعد عزّ موطّد وكلّ غريب في اللئام[2] ذليلُ
كأنّي لم أسحب من الفضل حلّة لها فوق أعناق السحاب ذيولُ
ولا ضمّني صدر رحيب تحوطه أسود لها زرق الأسنّة غِيلُ
ولا طار ذكري في رجال تخالهم بُزاة إذا لفّ الرعيل رعيلُ
لقد عثرت منّا الجدود وحسبنا من الله وهو المستعان مقيلُ

---

(١) أي الحسنين عليهما السلام.

(٢) لا يريد بهذا الذمّ أحداً من السادة الأشراف البعلبكيّين قطعاً ؛ بدليل مدائحه لهم في كثير ممّا هو مأثور عنه حتّى في هذه القصيدة، ولعلّه إنّما أراد جماعة من أهل السيطرة الإقطاعيّة على تلك البلاد.

ويعجبني خطب من الدهر أدهم له غـرر فـي لطـفه وحـجولُ
كذاك تـناهي الشـرّ خـير لأنّـه عـلى فـرج الله القـريب دليـلُ
ولكن أماط الهـمّ عـنّي مـهذّبٌ قـؤول لمـا يـرضي الإله فـعولُ
هو الشهم زين العابدين ومـن له فـخار ومـجد لا يـرام أثـيلُ[١]

ثمّ استرسل في الثناء على السيّد زين العابدين بـن السـيّد إسـماعيل المـوسوي العلواني، وأجاد في مدح آبائه المعصومين عليهم السلام إلى الغاية.

وذكر وليّ الأمر وصاحب العصر ـ عجّل الله فرجه وجعل أرواحنا فداءه ـ فشكا إليه ضُرَّ مواليه عامّةً والعاملين منهم بالخصوص وكان ممّا رفعه إليه:

فيا ابن الإمام العسكري إلى متى يرجّيك جيل في الزمـان فـجيلُ
فجدْ ـ غير مأمور عليك ـ بدولة عـليها دمـوع المـؤمنين تسـيلُ
ألست ترى يا خـير راءٍ وسـامعٍ مـعالم ديـن الله وهـي طـلولُ
وأشياعكم في ظـلمة لا يـزيلها سوى ذلك الوجه المـنير مـزيلُ
تَلاَف الهدى والدين قبل تـلافه فأنت طبيب الدين وهـو عـليلُ
ولا ريب في إشراق طلعتك التي بها الله من ليـل الضـلال يـديلُ
فبادر على اسم الله يا خير ثـائر تـناديه أوتـار له وذحـولُ
دعوناك للـخطب الجـليل وإنّـما يـنوء بأعـباء الجـليل جـليلُ
وأنفسنا وقف عـليك فـجُدْ بـها على الموت إنّ الموت فيك قليلُ
أقل يا وقاك اللّـه عـثرةَ عـامل وسكّـانها إنّ الكـريم مـقيلُ
فكم لك فيها مـن حسـام مـهنّد به مـن قـراع الحـادثات فـلولُ
لعـمري لقـد شـدّ البـلاء عـقاله عليهم فـندّت عـند ذاك عـقولُ
ولولا رجـاء الريّ مـنك لعـمّهم وهم روضة الدين الحنيف ذبولُ

١. راجع أعيان الشيعة ٢: ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

وحيث لم يطمئنّ في بعلبك أتى دمشق فارتاح إلى السيّد موسى جمال الدين كما سمعته في أحوال السيّد من بغيتنا هذه.[١]

وللشيخ ألوان من شكوى الزمن وما مني به من المحن في تلك الفتن طفحت بها غرر قصائده ودرر فرائده، وقد تقدّم شيء منها في أحوال السيّد موسى جمال الدين.[٢]

وإليك بعض ما لم نورده ثمّة:

قال ـ رحمه الله تعالى ـ يشكو المحنة ويرثي الشيخ ناصيفاً ويمدح السيّد موسى جمال الدين:

مضى ما مضى والدهر بؤس وأنعمُ | وصبر الفتى إن مسّه الضرّ أحزمُ
وإن كان في الشكوى كما قيل راحة | فعندي منها ما يمضّ ويؤلمُ
إلى الله أشكو لا إلى الناس إنّه | بنا من ذوي القربى أبرُّ وأرحمُ
منينا بأحداث يضيق بها الفضا | وليس إلى أوج السلامة سُلّمُ
فراق ولا وصل، وفقر ولا غنى | وخوف ولا أمن، وخصم محكّمُ
يعزّ علينا أن تروح ومصرنا | لقرعون مغنىً يصطفيه ومغنمُ
منازل أهل العدل منهم خليّة | وفيها لأهل الجور جيش عرمرمُ
فلا سامع شكوىً ولا قابل فِدىً | ولا دافع ضيماً ولا متكرّمُ
وعهدي بها مأهولة وربيعها | على كلّ مرتاد العناد محرّمُ
وكان لها من آل نصّار صارم | صقيل وسهم لا يطيش ولهذمُ
هو الليث بل أعدى من الليث في العدى | هو الغيث بل أندى بنانا وأكرمُ
جواد جرى والسابقين إلى العُلى | فجاز مداها والكرام تجمجمُ
ولا أمتري إنّ الأنابيب فضلها | جليّ ولكن السنان المقدّمُ
هو البدر وافاه المحاق وإنّما | يكون خسوف البدر وهو متمّمُ
قضى في ظلال المرهفات مطهّراً | وأيّ شهيد لا يطهّره الدمُ

١. تقدّم في ص ٣٩ وما بعدها.

٢. راجع ص ٤٩.

فـقدناه فـقدان الصـباح ومـن لنـا	بـطلعته الغـرّاء والدهـر مـظلمُ
فجعنا به والشمس في رونق الضحى	فـلم نـمس إلّا والبـلاء مـخيّمُ
وعـاثت يـد الأيّـام فـينا فـمجدنا	ـ وبـالرغم منّي أن أقـول ـ مـهدّمُ
ولست تـرى إلّا قـتيلاً وهـارباً	سـليباً ومكـبولاً يـغلّ ويـرغمُ
وكـم عـالم فـي عـامل طوّحت بـه	طـوائح خطب جرحـها ليس يُلأمُ
وأصـبح فـي قـيد الهـوان مكـبّلاً	وأفـظع شـيء عـالم مـتهضّمُ
وكـم مـن عـزيز نـاله الضـيم فـاغتدى	وفـي جـيده حبل من الذلّ محكمُ
يـدين بـدين الكـافرين مـخافةً	ألا رُبّ شـيء حـلّ وهـو مـحرّمُ
وكـم هـائم فـي الأرض تـهفو بـلبّه	قـوادم أفكـار تـغور وتـتهمُ
ولمّـا رأيت الظـلم طـال ظـلامه	وأنّ صـباح العـدل لا يـتبسّمُ
تـرحّـلت عـن دار الهـوان وقـلّما	يـطيب الثـوا في الدار والجـار أرقـمُ
أخـاطر بـالنفس النـفيسة قـاطعاً	بـلاداً يشبّ الكـفر فـيها ويـهرمُ
تـملّكها ـ والمـلك لله ـ فـاجر	سـواء لديـه مـا يـحلّ ويَـحْرُمُ
عـتلّ زنـيم يـظهر الديـن كـاذباً	وهـيهات أن يـخفى عـلى الله مجرمُ
ولمّـا بـلغت الشـام صـادفت جنّة	بـها الحـور والولدان فـذّ وتـوأمُ
تـخيّرت مـنها منبت الديـن والتقى	وخـيّمت فـيه حين طاب المـخيمُ[1]

إلى أن قال:

عـلى أنّ لي فـيهم خـليلاً مـهذّباً	تـجمّع فـيه الفـضل وهـو مـقسّمُ
حسـيب نسـيب مـن ذؤابـة هـاشم	ونـاهيك بـالقوم الذيـن هـم همُ
إذا زمـزم الحـادي بـهم فـي مـفازة	عـلى ظـمإ كـادت تـوافيه زمـزمُ
لموسى[(١)] يد بيضاء عندي فقد حـلا	بها طعم عيشي وهـو صـاب وعـلقمُ

(١) هو السيّد موسى جمال الدين المتكرّر ذكره وشكره.

١. راجع أعيان الشيعة ٢: ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

تخلّصت من فرعون همّي بقربه وما لي عصا إلّا هواه المخيّمُ
وليس خليلاً من يودّك في الرخا وينبو إذا اشتدّ الزمان ويكهمُ
ولكنّه الماضي على كلّ حالة من الدهر لا ينبو ولا يتثلّمُ
إلى الله نشكو من خطوب أخفّها يئطّ ثبيرٌ تحته ويلملمُ
لقد جرحتنا شرّ جرح وما لنا سوى فرج يأتي من الله مرهمُ
وظنّي أنّ الله جلّ جلاله سيجبر هذا الكسر منّا ويرحمُ
وسيلتنا أنّا عبيد عبيده وعبد الكرام المكرمين يكرّمُ
أيربح قطمير ونخسر في الهوى ويعطى بحبّ الطيّبين ونحرمُ؟
إذاً فضياء الصبح لا شكّ ظلمة وجنّة عدنٍ في القياس جهنّمُ
إذا كان أغرانا بأخلاف(١) جوده فكيف ولمّا نملك الحول نفطمُ
تفضّله بالخير مبتدئاً به يبشّر أنّ الله بالخير يختمُ[1]

وقال يمدح أمير المؤمنين ويشكو إليه تلك المحنة:

عجّ بالغري وقل يا حامي النجفِ تلافنا قبل أن نفضي إلى التلفِ
عطفاً علينا فقد أرسى بعقوتنا من الحوادث صرف غير منصرفِ
خطب من الدهر لا تنبو صوارمه ولا يطيش له سهم عن الهدفِ
ضربٌ دراك ورمي طلّ كلّ دمٍ منّا بمتّفق منه ومختلفِ
فيا أعزّ الورى جاراً وأقومهم بالقسط في زمن العدوان والجنفِ
أعجوبة كيف حلّ الضيم ساحتنا ونحن من حبلك الموضون في كنفِ
يعدو العدوّ علينا بين منتهب ما نصطفيه من الدنيا ومختطفِ
وما هنالك ذنب غير حبّكم وبغض أعدائكم والأمر غير خفي

---

(١) الأخلاف جمع خلف والخلف حلمة ضرع الناقة.[2]

---

١. راجع أعيان الشيعة ٢: ٢٤٧.
٢. راجع: الصحاح ٤: ١٣٥٥؛ القاموس المحيط ٣: ١٩٩، «خ.ل.ف».

وكيف نعدلُ عن عين الحياة إلى ماءٍ نرى جوفه ملآن بالجيفِ
ولو تلاشى بما نلقاه حبّكم كنّا كمن يعيد الباري على طرفِ
وعبدك الدهر يسعى في مساءتنا فقل له أيّها العبد اللئيم قفِ
وكن لنا واقياً ممّا نخاف فمن كفيته يا أمير المؤمنين كفي
حتّى متى نحن في ذلّ يطيب به طعم المنيّة عند الماجد الأنفِ
نمسي ونصبح في همّ وفي حزن ولا معوّل غير المدمع الذرفِ
مشرّدين عن الأوطان ليس لنا مغنى يحيط بنا إلّا من الأسفِ
فوضى إذا ما قطعنا جوف ملتقم من العداة حوانا كفّ ملتقفِ
إذا طلبنا وصال الوفر فرّ إلى فراش مشتمل بالبخل ملتحفِ
وإن طلبنا فراق الفقر عانقنا يا للرجال عناق اللام والألفِ
أرغمت يا دهر والأقدار غالبة منّا أنوف أباة الضيم والأنفِ
كأنّنا ما رفعنا للعلى علماً يناطح الفلك الدوّار بالكتفِ
ولا غدونا إلى الهيجاء تحملنا خيل جياد تبذّ الريح بالهرفِ
إذا أصبنا عظيماً هان مصرعه فينا وأسد الشرى تجني ولم تخفِ
وإن أُصبنا بندب قال قائلنا ما أطيب الموت بين البيض والحجفِ
وكم تركنا حياض الجود مترعةً والناس من كارع فيها ومغترفِ
وكم ترعرع فينا ماجد بطل سمح ينوب مناب العارض الوطفِ
إذا تهلّل جوداً قال حاسده تالله لا عيب في هذا سوى السرفِ
وكم رفعنا من التقوى منارَ هدى والناس خابطة في ظلمة السدفِ
وكم تركنا قطوف العلم دانية والناس ما بين مُشتَمٍّ ومقتطفِ
وكم أناخ بنا والأرض مجدبة ضيف فألقى العصا في روضة أنفِ
فضل من الله آثرت الحديث به وما سلكت سبيل البذخ والترفِ
يا لهف نفسي وهل يُطفي أُوارَ جوىً بين الجوانح قول المرء يا لهفي
فيا لها ليلة ليلاء قد عصفت رياحها بجذوع الدوح والسعفِ
فكن لنا يا أبا السبطين منتصراً من الظلام بصبح منك منكشفِ

فأنت دون الورى والله مفزعنا وفي البحور غنىً عن آسن النطفِ
وكيف يجنح مولاكم لغيركم وحامل الدرّ لا يرنو إلى الخزفِ
إلى مَ يا فارس الخيلين تتركنا فريسة البيض والخطيّة الهيفِ
أماترى في حضيض الذلّ شيعتكم صرعى، وأعداؤكم تختال في الغرفِ
وقد وعدت الوليّ المبتلى فرجاً إذا أحاطت به البلوى وأنت وفيّ
وكيف تخذل ملهوفاً وما سلفت لغيرك العارفات البيض في السلفِ
بل أنت بحر نوال غير منتقص يوماً وبدر كمال غير منخسفِ
وإن تأخّر إحسان فلا عجب فالغيث إن يأذن الباري له يكفِ
وهاكها يا عليّ الشأن قافيةً كالبدر حسناً، وحاشاها من الكلفِ
حوت صفاتكم ألفاظها فزهت والفضل للدرّ ليس الفضل للصدفِ
فاقبل هديّة عبد من عبيدكم بالحبّ محترق، بالعجز معترفِ
صلّى عليكم إله العرش ما طرفت عين، وما حنّ مشتاق إلى النجفِ[١]

وقال من قصيدة عصماء تربو على الستّين بيتاً:

أشكو إلى الله الزمان وطالما مدّ الكسير يديه للجبّارِ
كم سامني ضيماً وهل يرضى الفتى ـ وهو العزيز ـ بذلّة وصغارِ
يجني عليّ مقارباً ومجانباً لا مرحباً بحديدة المنشارِ
خوف وفقر واغتراب، حيث لا يسر، ولا عدوى على الإعسارِ
وإذا تأمّلت الشدائد لم تجد كيمين مغترب بغير يسارِ
خطب رماني حيث لا روض الثنا زاهٍ، ولا ماء المكارم جاري
ما بين قوم، ليس يبرح جارهم في جور جبّار، وسوء جوارِ
بَشَرٌ ولو كشف الغطاء وجدتّهم ما بين شيطان وبين حمارِ
فلأصبرنّ، فما تطاول غيهب إلّا محاه الله بالأنوارِ
والحرّ يظهر بالنوائب فضله فانظر إلى نار وحُرٍّ نضارِ

١. راجع أعيان الشيعة ٢: ٢٤٠.

وأمــاط عــنّي الهــمّ أنّـي واثـق ... بـالله فـي الإعـلان والإسـرارِ
والخير كلّ الخير في الأمر الذي ... يـجري بـحكم الفـاعل المـختارِ[1]

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ يشكو المحنة ويمدح أهل البيت عليهم السلام من قصيدة:

أكـفكف دمـع العـين وهـو غـزيرُ ... وأكـتم نـار القـلب وهـي تـفورُ
وأنتشق الأرواح مـن نـحو عـامل ... وفـيها لمـثلي سـلوة وسـرورُ
وأنهض من شوق إلى ذلك الحمى ... وكـيف نـهوضي والجـناح كسـيرُ
مـنازل أحـباب إذا مـا ذكـرتهم ... شـرقت بـماء المـزن وهـو نـميرُ
وبـي ظـمأ بـرح، وفـيها مـوارد ... ومـا هـي إلّا أوجـه وثـغورُ
ولي عـندها أفـلاذ قـلب تـركتها ... ومـنها صـغير بـاغم وكـبيرُ
وقد كـان يشـجيني تـفرّق سـاعة ... فكـيف وقـد مـرّت عـليّ شـهورُ
ولي أمـلٌ أن يـجمع الله بـيننا ... ويـنظمَ هـذا الشـمل وهـو نـثيرُ
فقد زال صـبري عـنهم، وتـصبّري ... وإن كـان شـيء مـنه، فـهو يسـيرُ
وغـرّاء مـن عـليا نـزار تـطلّعت ... إليّ بـعين الظـبي، وهـو غـريرُ
تسـائل عـنّي لا بألفـاظ نـاطق ... ولكـن بأغـصان اللـجين تشـيرُ
فقلت لهـا، والعـين يـرفضّ دمـعها ... وقـد بـادرتني أنّـة وزفـيرُ
كريم رمـاه الدهـر فـي دار غـربة ... فأصـبح فـي دور الضـلال يـدورُ
صبور عـلى جـور الزمـان وقـلّما ... يخيب ـ وإن طـال البـلاء ـ صبورُ
تـروح عـليه النـائبات وتـغتدي ... وليس يـبالي بـالرياح ثـبيرُ
قضى ما قضى في عامل وتصرّمت ... حـبال الأمـاني والحـياة غـرورُ
وقوض عـنها حـين أظـلم جـوّها ... وغابت مـن الحـيّ الحـلال بـدورُ
وكيف يـطيب العـيش بـين مـنازل ... وفـيهنّ كـلب للكـرام عـقورُ
فأزمـعت إزمـاع الأبـيّ تـنفّست ... عـليه ريـاح الضـيم فـهو نـفورُ[2]

١. المصدر: ٢٤١.
٢. المصدر: ٢٤٥.

وكتب ـ وهو مشرّد ـ إلى أهله ووطنه، ويشكو هموماً جاشت في صدره، ويذكر أغراضاً اعتلجت في فكره، يمدح أهل البيت عليهم السلام في قصيدة تربو على السبعين بيتاً:

لَهفي على تلك الديار وأهلها ... لو كان تنقع غلّتي لهفاتي
يا ليت شعري هل أرى ذاك الحمى ... خال[1] من الفتيان والفتياتِ
سرعان ما درجت أويقات اللقا ... إنّ البروق سريعة الخطواتِ
أشكو إلى الرحمن بُعد أحبّة ... ـ عصف الزمان بهم ـ وقرب عداةِ
خطب دعاني للخروج من الحمى ... فخرجت بعد تلوُّم وأناةِ
وتركته خوف الهوان وربما ... تُركَ النمير مخافة الهلكاتِ[2]
وطرحت رحلي في الشآم ولم تكن ... لولا صروف الدهر من حاجاتي

ثمّ استرسل في ذكر أهل الشام إلى أن قال:

وانفض يديك من الشآم وأهلها ... نفض الأنامل من ثرى الأمواتِ
وابرأ إلى الرحمن من سكّانها ... حاشا ذوي الإيمان والطاعاتِ
أطريت قوماً أبصروا طرق الهدى ... والغيّ فاختاروا طريق نجاةِ
بيض الوجوه يلوح في جبهاتهم ... للناظرين دلائل الخيراتِ(١)
وهم الكرام الأتقياء فدأبهم ... بذل الصلات وكثرة الصلواتِ
خيّمت في أكنافهم فكأنّني ... ظامٍ أناخ بدجلة وفراتِ
ووجدت قوماً من أتاهم بادروا ... قبل السؤال إليه بالبدراتِ

(١) يعني بهم أبناء عمّنا الأشراف من آل نورالدين، وفي مقدّمتهم السيّد موسى بن السيّد عليّ بن السيّد جمال الدين، وقد تقدّمت من الشيخ مدائح فيه كثيرة[3].

١. في المصدر: «حال».
٢. راجع أعيان الشيعة ٢: ٢٤٦.
٣. تقدّم في ص ٩٢.

مــنح يشدّ كـبيرها وصـغيرها ... رمي الحجيج أحـاط بـالجمراتِ

يزداد نور وجـوههم يـوم العطا ... والبرق يكثر في الزمـان الشـاتي

قوم رتعت بـقربهم يـوم[1] النـوى ... من بعد ما صدع الفراق حـصاتي

طـابت أُصـولهم فـلا عـجب إذا ... أتت الفــروع بأطـيب الثـمراتِ

نسب يــؤول إلى النــبيّ مـحمّد ... خــير الأنـام وسـيّد السـاداتِ[2]

ثمّ استرسل في مدحه ومدح الأوصياء من أهل بيته عليهم السلام:

صلّى الإلٰه عـليهم عـدد الحـصا ... والرمل والحركات والسكـنات[3]

وهذا القدر من أقواله كاف لتصوير صبره على تلك المـحن وتـوكّله فـيها عـلى الله تــعالى وتــوسّله إليــه بــعباده المكــرّمين، الذيــن لا يــسبقونه بـالقول وهـم بأمره يعملون.



رجوع إلى الغرض الأصلي من ترجمة السيّد صالح

فإنّه بعد هربه إلى العراق، لحقه بولديه وأُمّهما أخوه الأوحد السيّد الشريف محمّد، ثمّ رجع أخوه إلى عاملة فكانت المراسلة بينهما متواصلةً شعراً ونثراً.

وشعرهما يدلّ على أنّهما كانا كسائر من قصر أوقاته على العلم والعمل ممّن يربأ بنفسه وأوقاته عن القريظ ونظمه.

وإليك بعض ما يحضرني ممّا أرسله السيّد صالح إلى أخيه.

برق أضاء لنـا مـن نـحو حـيّهمِ ... ففاض جـفني بـمنهلّ ومـنسجمِ

وقلت والدمع من عينيّ منسكب ... يــا بـرق حـيّهم وانـزل بـحيّهمِ

يزداد شوقي لهم يا صاحبي أبداً ... إذا تذكّرت عصراً قد مـضى بـهمِ

أقضي نهاري وليلي في تذكّرهم ... والناس تعجب منّي كيف لم أنـمِ

---

١ ـ ٣. راجع أعيان الشيعة ٢: ٢٤٦.

كتمتُ وجدي ودمع العين يظهره وكيف أكتم سرّاً غير منكتمِ
جسمي مقيم بدار لا أنيس بها والقلب منّي مقيم في طلولهمِ
قلبي يحنّ إليهم كلّما سجعت ورق الحمام وسحّت أوجه الديمِ
ولست أبغي سواهم في الورى أحداً همُ مُرادي ومقصودي من الأُممِ
أشتاقهم وبودّي لو أزورهم مشياً على الرأس لا سعياً على القدمِ
من مبلغ سادة في عامل نزلوا إنّي مزجت دموعي بعدهم بدمي
وإنّ ذاك لعمري من تذكّرهم لا (من تذكّر جيران بذي سلمِ)
يا حادي العيس إن جئت الديار فقل سقيت يا دار صوب الوابل الرذمِ
فثمّ لي خلّة فيها وعيتهم الله زيّنه في العلم والكرمِ
سميّ طه الذي ما مثله أحد خير البريّة من عرب ومن عجمِ
نجل النبيّ الذي والله طلعته تغني عن الشمس والمصباح في الظلمِ
أخي الشقيق لنفس والمقيم وإن شطّ المزار بقلبي غير متّهمِ
يا سيّداً طهرت أعراقه وزكت يا طاهر الأصل والأخلاق والشيمِ
لمّا أتاني كتاب منك ذو فقر كالدرّ ما بين منثور ومنتظمِ
جلّى همومي وأحزاني وذكّرني أيّامكم فغدا للقلب كالكلمِ
فصرت ألثمه والدمع منهمل لذكركم لا لذكر البان والعلمِ
وكان كالغيث وافى الأرض مجدبةً فزال ما كان من جدب ومن عدمِ
وكنت من قبله حيران مكتئباً أمشي ببحر بموج الحزن ملتطمِ
سررتني بكتاب منك متّضح شكراً لكم، ثمّ للقرطاس والقلمِ
يا لوعة في فؤادي لا تزال ولا تزول إلّا بلقيا كلّ ذي رحمِ
يا نفس صبراً، فإنّ الصبر مكرمة وعادة الدهر لم يبرح ولم يدمِ
والحمد لله حمداً دائماً فلنا من جانب الصبر ركن غير منهدمِ[١]

---

١. راجع أعيان الشيعة ٧: ٣٧٧. لكن بعض الأبيات لم ترد فيها.

وما كنت لأورد هذه الأبيات لولا أنّها تمثّل حناناً يوجب على أولاد هذين السيّدين وأحفادهما أن يتبادلوه بينهم في كلّ خلف.

وللسيّد صالح ترجمة مفصّلة في تكملة الأمل ص ٢٣٣، وقد استطرد ذكره صاحب روضات الجنّات في غضون[1] ترجمة ولده السيّد صدر الدين فقال:

وكان أبوه الصالح من أفاخم رجال عصره، وأجلّاء فضلاء قومه، صاحب العزّة والكرامة بين فرقتي الموافق والمخالف، جيّد الحفظ، نقيّ العمل، وقد انتقل في بعض وقائع تلك الديار مع قاطبة أهله وعياله الذين من جملتهم صاحب العنوان، وكان هو إذ ذاك صبيّاً لم يتجاوز أربع سنين(١) إلى أرض بغداد والكاظمين عليهما السلام فكان بها تحت ظلّ جناح والده المعظّم إلى أن بلغ مبالغ الرجال فتردّد على جملة من أفاضل علماء المشهدين، وقرأ على جماعة، منهم صهره المتقدّم صاحب كشف الغطاء إلى آخر كلامه[2].

قلت: وكانت وفاة السيّد صالح في النجف الأشرف لتسع بقين من ذي الحجّة سنة ١٢١٧ قبل هلاك الجزار بأقلّ من سنتين، ودفن في بعض حجرات الصحن المقدّس الحيدري حيث يزار[3].

وخلّفه أربعة من أبنائه الكرام، كلّهم علماء أعلام: السيّد صدر الدين، والسيّد محمّد عليّ، والسيّد أبو الحسن، والسيّد مهديّ، ولكلّ منهم فروع باسقة، وأفنان ناضرة تجمعهم أربع حدائق فيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين.

(١) بل كان في السادسة من عمره الشريف.

١. في غُضون كلامه: أي في أثنائه. المعجم الوسيط: ٦٥٥، «غ. ض. ن».

٢. روضات الجنّات ٤: ١٢٧، الرقم ٣٥٨.

٣. وقد ترجمه في ج ٢ من الكرام البررة ص ٦٦١ وما بعدها. وله ترجمة في أعيان الشيعة ج ٧ ص ٣٧٧. «ع»

الحديقة الأولى

لسيّد هذه الأُسرة وإمامها الأوحد السيّد الشريف محمّد المعروف بـالسيّد صدر الدين ابن السيّد صالح.

وأُمّه الفاضلة بنت الشيخ عليّ بن الشيخ محي الدين بن الشيخ عليّ بن الشيخ حسن بن الشهيد الثاني أعلى الله منازلهم.

وإليه يضاف السادة القادة الأشراف آل صدر الدين . وجلّهم الآن في العراق وأصفهان.



مولده وخصائصه في نشأته

ولد ليلة ٢١ من ذي القعدة سنة ١١٩٣ في مزرعة لهم تدعى شدّ غيث(١) فأنبته الله نباتاً حسناً، وآزره بوابل متّصل من لطفه وتوفيقه وعنايته، فكان ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾[1].

فإذا أساريره وهو في المهد تنطق بأسرار عمرو العلي، وتشرق بأنوار شيبة الحمد، حتّى كأنّه المعني بقول القائل:

في المهد ينطق عن سعادة جدّه   أثر النجابة ساطع البرهانِ

(١) أصبحت اليوم أثراً بعد عين، وأُضيفت أرضها إلى قرية في جنبها تدعى معركة من أعمال صور.[2]

١. الفتح (٤٨): ٢٩.

٢. راجع أعيان الشيعة ٩: ٣٧٢، و ١٠: ١٢.

نشأ آية من آيات الله سبحانه في صفاء النفس، ولطافة الحسّ، وسموّ المدارك، وتوقّد الذهن، عرفنا منه ذلك بخصائصه في نشأته، وحسبك أنّه غادر البلاد العامليّة وهو في السادسة من عمره الشريف[(١)]، ثمّ لم يرجع إليها حتّى لحق بربّه.

وقد كان مع ذلك يحدّث عن علمائها وزعمائها وعشائرها وأكابرها وبيوتاتها، وأنساب ساداتها، وعن زرعها وضرعها، وحقلها وبقلها، وماشيتها وأحراجها، وعن أطوار أهلها وأزيائهم وسائر شؤونهم.

وكان إذا زاره زائر أو اجتمع به منهم أحد، فإنّه يكلّمه بمصطلحهم لا يخرم ألفاظهم ولهجتهم، ولا تفوته أمثالهم السائرة في محاوراتهم، شأن الألمعي من أهل عرفهم الخاصّ، الواقف على جلائل أمورهم ودقائقها، كأنّه لم يفارق جبل عامل وأهله منذ استهلّ حتّى اكتهل، وهذه خصيصة تكاد تلحق بخوارق العادات[(٢)].

---

(١) مع عمّه شقيق أبيه جدّنا السيّد محمّد بن السيّد محمّد بن شرف الدين، إذ خرج به عمّه وبأخيه السيّد محمّد عليّ وبأمّهما الفاضلة فألحقهم بأخيه الصالح في العراق، كما بيّنّا في ترجمة السيّد صالح.[1]

(٢) حدّثني بهذا على التفصيل الذي ذكرناه تلميذاه وخرّيجا حوزته وكلاهما ثبت حجّة، أحدهما: جدّي الفقيه العلّامة السيّد هادي وهو ابن أخيه. وثانيهما: السيّد محمّد هاشم الموسوي الأصفهاني صاحب مباني الأصول، وكان صهر السيّد صدر الدين. وقد تشرّفت بخدمته إذ زار النجف الأشرف سنة ١٣١٧ أثناء هجرتي العلميّة إليه، وهو من أثبات الأثبات وشيوخ الإجازات، فاستجزته فأجاز لي أن أروي عنه عن مشايخه وهم كثيرون ←

---

١. تقدّم في ص ١٥٥.

على أنّها ليست ذات الشأن الأوّل من الخصائص المأثورة عنه، فكان يتردّد قبل بلوغه الحلم إلى مجلس سيّد الأمّة، وبحر علوم الأئمّة، المهديّ الطباطبائي[1] ليخوض عباب علومه، ويغوص على أسرارها.

وكان بحر العلوم قد انتخبه يومئذ فيمن انتخبهم من شيوخ العلماء وفحول الأدباء؛ ليعرض درّته المنظومة الفقهيّة عليهم. وناهيك بهذا دليلاً على صفاء ذهنه، ورواء طبعه، ولولا بلوغه الغاية في ذلك ما كان بحر العلوم ليلزّه وهو ابن لبون مع البزل القناعيس. وما لزّه وإيّاهم في قرن إلّا لعلمه بأنّه يجلّي في حلباتهم كما يجلّون، ويحوز قصب السبق في مضامير العلم والأدب كما يحوزون.

← وأعلاهم سنداً شيخه السيّد صدر الدين، وحين ذكره نقل عنه هذه الخصيصة فيما نقله عنه من الخصائص، وإنّي مع ذلك أظنّ أنّ السيّد صدر الدين لِكَلَفه بعاملة وحنينه إليها كان لا يفتأ يذكرها، ولا يألو جهداً في البحث عن شؤونها، وكان يأنس بالعامليّين ويرتاح إليهم فيتعرّف ممّن يجتمع بهم من أهل الجبل بشؤونهم المختلفة. وقد شبّ على عهد أبويه وهما عامليّان فأخذ عنهما كثيراً من شؤون البلاد العامليّة وبكلامه معهما ومع غيرهما من العامليّين احتفظ باللهجة العامليّة. على أنّ السيّد قاسم الموسوي المارّ ذكره في الباب الأوّل[2]، قد هاجر إلى أصفهان فكان نزيل السيّد صدر الدين وتلميذه الملازم له مدّةً طويلةً حتّى مات، وكان بحّاثةً، فربّما أخذ عنه السيّد صدر الدين شيئاً كثيراً من أخبار هذه الديار، ولعلّ كلامه معه باللهجة العامليّة كان سبباً في تجديد عهده بها. وبهذه التقريبات تخرج هذه الخصيصة عن خوارق العادات والله تعالى أعلم.

---

١. هو السيّد محمّد مهديّ بن السيّد مرتضى بن السيّد محمّد البروجردي ـ ١١٥٥ ـ ١٢١٢ هـ ـ كان علّامة دهره ووحيد عصره، قال في المستدرك ج ٢ ص ٤٤: قد أذعن له جميع علماء عصره ومن تأخّر عنه بعلوّ المقام، والرياسة في العلوم النقليّة والعقليّة وسائر الكمالات النفسيّة. عن الكنى والألقاب ج ٢ ص ٦٧.«ع»

٢. تقدّم في ص ٧٤.

وقد كان قبل بلوغه أوان الحلم يرتّب على نفسه أثر الاجتهاد(١)، وأجازه أُستاذه الإمام صاحب الرياض إجازةً مفصّلةً عامّةً كان تأريخها سنة ١٢١٠ صرّح فيها ـ كما نصّ عليه سيّدنا في تكملة أمل الآمل[1] ـ ببلوغه من قبل تأريخها درجة الاجتهاد، وكان له يوم التأريخ سبع عشرة سنةً.

أساتذته وشيوخه في الإجازة

وقف أوّلاً في تحصيل العلوم على كلّ من أبيه المقدّس، والفقيه العلّامة الشيخ سليمان بن معتوق العاملي[2] فأفاضا عليه سجال العلوم. وبوّآه من الثقافة ـ بكلّ معانيها الصحيحة ـ مبوّأ صدق، حتّى لمع في حوزتيهما كوكبا، وسطع بدراً كاملاً.

فانتشر فضله في العراق، انتشار الصبح في الآفاق، وانتجع بعد هذا جهابذة أهل النظر في عصره، الراسخين في العلم من كلّ طود ينحدر عنه السيل، ولا يرقى إليه الطير

(١) تردّده قبل أوان حلمه إلى مجلس السيّد بحر العلوم ليستفيد من بركات أنفاسه وعرض بحر العلوم منظومته الفقهيّة حينئذٍ عليه مع من كان يعرضها عليهم في كلّ يوم، ومعاملة نفسه معاملة المجتهد قبل أوان بلوغه، و كلّ ذلك منقول في ترجمته من كتاب روضات الجنّات[3] وحدّثني به جدّي السيّد هادي والسيّد محمّد بن السيّد زين العابدين الموسوي الأصفهاني، وهما من خرّيجي حوزته. وقد ذكر هذا كلّه سيّدنا في تكملة الأمل[4].

١. تكملة أمل الآمل: ٢٣٦، الرقم ٢٠٤.

٢. الشيخ سليمان: عالم فاضل فقيه متبحّر كامل، قرأ في جبل عامل على السيّد محمّد بن إبراهيم بن شرف الدين الموسوي، آل شرف الدين. وأجازه أُستاذه هذا بالرواية. وكان شريك السيّد صالح ابن أُستاذه المذكور في الدرس، وانتقلا معاً إلى العراق على أثر فتنة الجزّار سنة ١١٩٧ أو ١١٩٨، وتوفّي في شهر شعبان أو رمضان سنة ١٢٢٧ في بلد الكاظمين عليهما السلام. راجع: أعيان الشيعة ٧: ٣١٥؛ تكملة أمل الآمل: ٢٢٧، الرقم ١٩٥.

٣. روضات الجنّات ٤: ١٢٦، الرقم ٣٥٨.

٤. تكملة الأمل الآمل: ٢٣٥، الرقم ٢٠٤.

كالسيّد محسن الأعرجي صاحب المحصول والوافي، والشيخ أسد الله ابن الشيخ إسماعيل الكاظمي صاحب المقايس[1]، والسيّد الشريف الأمير عليّ الطباطبائي صاحب الرياض، والسيّد الشريف الميرزا محمّد مهديّ الشهرستاني الحائري، وإمام الكلّ في الكلّ السيّد مهديّ بحر العلوم. وقد علمت منزلة الصدر من نفسه منذ كان حَدَثاً.

وعكف على مربّيه ومخرّجه الشيخ الأكبر كاشف الغطاء، وكان السيّد صهره على كريمته وله منها ذرّيّة طيّبة.

وحين رنّ صيت الميرزا القمّي في الأقطار، وتجاوبت بصدى ذكره محافل النجف شدّ السيّد إليه رحاله وهو في قمّ، فجمع بخدمته شتات العلوم، وعبّد مناهجها، وأحكم قواعد الفقه، وقوانين الأُصول، فائزاً بغنائمها.

وقرّظ يومئذ كتاب القوانين بالبيتين السائرين المسجّلين في فاتحته:

ليت ابن سينا درى إذ جاء مفتخراً باسم الرئيس بتصنيف لقانونِ
أنّ الإشارات والقانون قد جمعا مع الشفا في مضامين القوانينِ[2]

وكان ذهاب السيّد إلى قمّ عام تشرّفه بأعتاب الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، وذلك سنة ١٢٢٦[3] قبل رحلته إلى أصفهان بسنة.

أمّا مشايخه في الإجازة فهم كلّ من ذكرناهم من أساتذته الأعلام، وربما روى عن غيرهم... قال في ترجمته صاحب روضات الجنّات:

وأمّا مشايخه الذين يروي عنهم بطريق الإجازة فهم كثيرون جدّاً، تنيف عدّتهم عن عشرة من الفقهاء والمجتهدين، وأعلاهم سنداً والده السيّد محمّد، عن شيخه وأُستاذه محمّد بن الحسن الحرّ العاملي صاحب الوسائل وغيره. فإنّه ـ رحمه الله تعالى ـ يروي

١. مقابس الأنوار ونفايس الأسرار.
٢. راجع قوانين الأُصول ١: ١.
٣. وقد اجتمع قبل ذلك بالميرزا المحقّق القمّي في كربلاء والنجف الأشرف إذ تشرّف القمّي بزيارتهما، ورجع إلى قمّ ولم يقض السيّد منه لبانته فلحقه إلى قمّ لقضائها. «ع»

كتاب الوسائل بتمامه من هذا الطريق، وكذلك عن شيخه الشيخ سليمان العاملي عن السيّد محمّد المذكور[1]. إلى آخر كلامه.

قلت: وقد أدرك من حياة الوحيد البهبهاني ثلاث عشرة سنةً كما يستفاد من رسالته ـ حجّيّة الظنّ ـ إذ قال فيها: وبالجملة: لا نعرّف مصرّحاً بأصالة حجّيّة الظنّ، وقائلاً بها على القطع قبل الأُستاذ رحمه الله.

قال:

وقد رأيته في كربلاء ـ على مشرّفها السلام ـ سنة خمس ومائتين وألف قبل وفاته بسنة وأنا ابن اثنتي عشرة سنة(١)، وهو شيخ قد ناهز التسعين، ولم يكن فيما حدّثني به شيخ الطائفة جعفر بن خضر وجماعة من ثقات العلماء، قبل سنة الطاعون ـ وهي ستّ وثمانون ومائة وألف ـ أحد يذهب إلى أنّ الأصل الثانوي حجّيّة الظنّ غيره. انتهى بنصّه.

رحلته إلى أصفهان

كان ذهابه إلى أصفهان سنة ١٢٢٧ بعد زيارته المشهد الرضوي وإقامته في قمّ سنةً أو أكثر، وإنّما أتاها لزيارة تِرْبَيه[2] في الفضل، وصنويه في العلم والعمل الشيخ محمّد تقيّ صاحب الهداية في شرح المعالم، والسيّد محمّد باقر الموسوي الرشتي.

وكان بينهما وبين السيّد مودّة ـ على البعد ـ رسخت قواعدها، ومصافاة ـ على النوى ـ توثّقت عراها، فكانوا يتبادلون العواطف بالمواصلة، ويتبارون في بثّ الأشواق والحنين بالمراسلة، وحين استخفّته إليهما نزيّة الشوق، وجدهما ظمئين إلى لقائه، ووجد أهل العلم كافّةً ـ شيوخهم وشبابهم ـ في صبوة إليه.

---

(١) من هنا عرفنا أنّ مولده الشريف إنّما كان سنة ١١٩٣.

---

١. روضات الجنّات ٤: ١٢٧، الرقم ٣٥٨، وفيه: «والده المعظّم» بدل «والده».

٢. الترب: المماثل في السنّ. راجع المعجم الوسيط: ٨٣، «ت. ر. ب».

وقد أجمع الشيخ التقيّ والسيّد الباقر على أن يلتمسا من السيّد توطّنه في أصفهان، وتبعهما على ذلك من سواهما من عالم وفاضل، وأديب وتقيّ، وصمدوا إليه في ذلك علماً منهم بقوّته في ذات الله، ومكانته في العلم والعمل، وحسن أُسلوبه في رفع منار الإسلام، وتعظيم شعائر الله ـ عزّوجلّ ـ ونشر علوم آل محمّد، وإذاعة هديهم، وإحياء أمرهم عليهم السلام وما إلى ذلك من إنعاش السنن، وإماتة البدع، وإرشاد الضالّ، ومعاونة الضعيف، وإغاثة اللهيف، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والحكم بما أنزل الله عزّ سلطانه.

وحين رأى السيّد أنّ من تكليفه الشرعي أن لا يردّ هذين الإمامين المخلصين لله تعالى، وأن لا يخيب رجاء من تبعهما من المؤمنين، أجابهم إلى ملتمسهم متوكّلاً على الله عزّوجلّ.

فكانوا يرون له الفضل، إذ عقد آمالهم بالفوز، وذيّل مسعاهم بالنجح فشكروا له ذلك، وشكر الله للإمامين التقيّين الباقرين هذه النفس المطمئنّة، والمساعي المقصورة على إرادة الله سبحانه والدار الآخرة بكلّ إخلاص لوجهه الكريم. وهكذا يجب أن يكون العلماء متحابّين في الله، متآزرين في النصح له عزّ اسمه، ولكتابه، ولرسوله صلى الله عليه وآله ولأئمّة المسلمين عليهم السلام ولعامّتهم.

السيّد ومعاصراه في أصفهان

عاصر السيّد في أصفهان كلّاً من الإمامين الجليلين السيّد محمّد باقر الموسوي الرشتي، والشيخ محمّد تقيّ الأصفهاني، وكانا تِربَيه في الفضل، وصِنويه في العلم والعمل كما سمعت.

وقد علمت أنّه وإيّاهما كانوا أخوان صدق، وحلفاء حقّ، قد رسخت بينهم قواعد الإخاء، واستحصفت أسباب الولاء، فكانوا جميعاً كيد واحدة، ترمي إلى غرض واحد، متآزرين في المهمّات، متناصرين في الملمّات، يبالغ كلّ منهم في النصيحة للآخر

ويجتهد في المشورة له، يتوخّون لأُمّتهم مناهج الرشد، ويبصّرونها عواقب الأُمور.

وبهذا ضرب الدين في أصفهان يومئذ بجِرانه[1]، واستتبّت أُمور العامّة والخاصّة، واتّسقت الأحكام الشرعيّة، وكان الأمر لله وحده، فكانت أصفهان وجهة كلّ بحّاثة علّامة، ورحلة كلّ محقّق مدقّق، تؤمّها أقطاب الفضل، وتقيمها أركان العلم.

يردون مناهل الشيخ التقيّ، والسيّدين الباقرين الصدرين، فيصدرون عنهم رواء مرويّين، مبيضّةً وجوههم علماً وعملاً.

امتزج السيّدان والشيخ امتزاج الأرواح في الأشباح ـ ولا سيّما بعد تبادلهم المصاهرة(١) ـ وبها كانوا من بغيتنا بمكان، لا يختلف فيه اثنان.

أمّا السيّد محمّد باقر ـ أعلى الله مقامه ـ فقد كان من أعلام الهدى ومصابيح الدجى، وفقهاء آل محمّد وزعماء آل البيت، الكافلين لأيتامهم، والقائمين بمهامّهم، صاحب المآثر الكريمة، والمؤلّفات الممتعة، في الفقه والأُصول وعلم الرجال.

ثنيت له وسادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحكم بما أنزل الله عزّ سلطانه.

وكان مبسوط اليد في تنفيذ الأحكام الشرعيّة، يقيم حدود الله كما شرّع عزّ اسمه على وجه ما اتّفق لغيره من علماء الإماميّة، ولا من غيرهم فيما نعلم(٢)... وله آثار خالدة علماً وعملاً، شكرها الله له ورسوله والمؤمنون... .

---

(١) فإنّ المصاهرة جعلت السيّد محمّد باقر جدّ الكثير من أحفاد السيّد الصدر، وجعلت ولده السيّد أسد الله خالاً لهم، وجعلت السيّد الصدر جدّاً لأحفاد الشيخ محمّد تقيّ، وجعلت أبناءه أخوالاً لهم.

(٢) حتّى بلغ عدد من أقام عليهم الحدّ الشرعي بالقتل ثمانين أو تسعين. وقيل: أكثر من ذلك، كما في روضات الجنات[2].

---

١. الجِران: الثبوت والاستقرار. راجع المعجم الوسيط: ١١٩، «ج . ر . ن».

٢. لم نعثر عليه في روضات الجنّات. وفي فوائد الرضويّة: ٤٢٧ نسبه إلى الشهرة بين الناس.

وكان ميلاده سنة ١١٨٠ للهجرة، وهاجر إلى العراق لتحصيل العلوم في حدود سنة ١١٩٧، وأخذ العلم عن السيّد بحر العلوم والسيّد محسن الأعرجي، وروى بالإجازة عن الشيخ كاشف الغطاء والسيّد عليّ الطباطبائي صاحب الرياض وغيرهما.

وأتى قمّ فقرأ على صاحب القوانين، ملازماً له ستّة أشهر، وأجازه إجازةً مفصّلةً.

واستوطن أصفهان في حدود سنة ١٢١٧، وحجّ بيت الله الحرام وتشرّف بالمدينة الطيّبة على مشرّفها الصلاة والسلام سنة ١٢٣١.

وأنشأ سنة ١٢٤٥ في أصفهان مسجداً فخماً قليل النظير(١)، وأحاطه بحجرات كثيرة أعدّها مدارس لطلبة العلوم، وأفرد منها قبّة جعلها مدفناً له، وقد أنفق في سبيل ذلك مائة ألف دينار شرعي تقريباً.

وقضى نحبه ولقي ربّه مبروراً مشكوراً عصر يوم الأحد الثاني من ربيع الأوّل سنة ١٢٦٠ في أصفهان، ودفن في المقبرة التي أعدّها لنفسه، وكانت المصيبة به عامّة والحزن عليه عظيماً.

وخَلَفَه ولده الأبرّ الأغرّ، الفقيه الأُصولي، المحقّق البحّاثة، العلّامة السيّد أسد الله.

كان ﷺ على شاكلة أبيه في العلم والعمل والجهاد لنفسه والمراقبة عليها آناء الليل، وأطراف النهار.

وقد انتهت إليه رئاسة الدين في إيران، وانقادت لأمره عامّة الناس وخاصّتها حتّى السلطان ناصر الدين شاه.

وقد أنفق هذا الجاه العظيم في خدمة الدين الإسلامي، وتأييد المذهب الإمامي، ونشر علوم آل محمّد.

(١) أنشأه في محلّة بيد آباد وهي من محلّات أصفهان العظيمة.

أخذ الفقه عن الشيخ صاحب الجواهر، وكان معدوداً في الطّبقة العليا من تلامذته المتخرّجين من حوزته.

ووقف في سائر العلوم على أعلامها من تلك الطبقة في النجف الأشرف.

واستدعاه أبوه قبيل وفاته فلبّاه مسرعاً، وما إن وافاه حتّى لحق والده بربّه عزّ وجلّ، فصلّى عليه وقام مقامه، فكان على وتيرته، يمثّله في الإخلاص لله عزّ وجلّ، ولعباده، حتّى قبضه الله إليه في بلدة من أعمال كرمنشاه تدعى كرند في سبيله إلى التشرّف بالأعتاب المقدّسة، فحمل سريره إلى النجف الأشرف، فطاب ثمّة رمسه يوم الثامن عشر من صفر سنة ١٢٩٠. انتهى[1].

ومن آثاره إجراء الماء من عمود الفرات إلى النجف الأشرف في قناة ونفق يزيد طوله على عشرة أميال على كيفيّة خاصّة، كلّفته أموالاً طائلةً أنفقها في سبيل ريّ الظمآن من إنسان وحيوان وزرع وضرع فجزاه الله خير جزاء المحسنين.

ونبغ بعده ولده المعروف بالسيّد آغا واسمه الكريم السيّد محمّد باقر فكان سيّد هذه الأسرة العريقة بالإمامة، والحقيقة بالزعامة إلى أن توفّي سنة ١٣٣٣.

وأمّا الشيخ محمّد تقيّ فقد كان آيةً من آيات الله المحكمة، وحجّةً من حججه البالغة، يمثّل أئمّة أهل البيت في هديهم، ويصدع بأمرهم ونهيهم، بحر علم من بحار علومهم المحيطة، وعلماً راسخاً جعله الله من أوتاد البسيطة، وله في خدمة الدين والمؤمنين سيرة شكرها الله له ورسوله.

ارتحل أيّام شبابه في تحصيل العلوم إلى العراق فأخذ من أعلام الأمّة، وممثّلي هدي الأئمّة كالسيّد مهديّ بحر العلوم، والسيّد محسن الأعرجي، والسيّد عليّ صاحب الرياض، والسيّد محمّد مهديّ الشهرستاني وغيرهم من طبقتهم، واختصّ بالشيخ الأكبر كاشف الغطاء مربّيه ومخرّجه ـ وصاهره على كريمته، وهي أمّ ولده، والخلف من بعده،

١. هكذا في الأصل، ولكن لم يتقدّم نقله عن أحد، ولم نعثر على قائله في مضانّه.

الشيخ محمّد باقر ـ وقد أجازه إجازةً مفصّلةً، وما انفكّ عن حوزته المباركة حتّى بلغ الغاية في الفقه والأُصول، وسائر العلوم عقليّةً ونقليّةً.

وحين رجع إلى أصفهان شمّر لنشر العلم عن ساقه، وحسر لتربية طالبي العلوم عن ساعده.

فكانت حوزته منهم تقارب ثلاث مائة من الفضلاء والأجلّاء، وله في تخريج المجتهدين غايةٌ تتراجع عنها سوابق الهمم. وله في التأليف عزيمة قلّ نظيرها... وحسبك من آثاره الخالدة هداية المسترشدين في شرح معالم الدين وغيرها من الكتب الممتعة في الفقه والأُصول.

وله حسنة أُخرى وهي فوق الحسنات، ونعمة كبرى تخشع أمامها الهامات، ألا وهي تربية أخيه، ووديعة أبيه الشيخ محمّد حسين؛ إذ ربّاه على يديه، ووقف بنفسه على تثقيفه، ليُصنع على عينيه، فإذا هو بفيوضاته فحل الفحول في المعقول والمنقول، وإذا هو صاحب الفصول في تهذيب الأصول، وإذا هو على منوال التقيّ أخيه، يروّج الأحكام، ويخرّج العلماء الأعلام، ويحقّ الحقائق، وينقض البدع ومحدّثات الطرائق[١]، مرهف العزم في تأييد الدين، نهّاضاً بأمور المؤمنين، يصل ليله بنهاره في نشر علوم آل محمّد ﷺ، وإذاعة معارفهم، حتّى اختار الله له دار كرامته في كربلاء المقدّسة سنة ١٢٦١، وقد كان اتّخذها وطناً قبل وفاته بسنين عديدة، كان فيها روح العلم والعمل.

أمّا أخوه ومربّيه الشيخ محمّد تقيّ صاحب العنوان فقد كانت وفاته في أصفهان ظهر يوم الجمعة منتصف شوّال سنة ١٢٤٨ ودفن فيها حيث يزار.

وكان ولده الشيخ محمّد باقر حينئذ في سنّ المراهقة فنشط لتهذيب نفسه وتصفيتها من كلّ شائبة، مشمّراً عن ساعد الجدّ في ذلك، قائماً في تحصيل العلوم وتمحيص الحقائق على ساق، فما اكتهل حتّى كان خلف أبيه وعمّه، يمثّلهما في هديه وفهمه،

(١) كان ﷺ شديد الوطأة على الطائفة الشيخيّة الغلاة المنتمين إلى الشيخ أحمد الأحسائي.

وينسج على منوالهما في علمه وحلمه وحكمه، ويسير سيرتهما في أفعاله وأقواله، وينهج نهجهما في جميع أحواله.

وقد ذكره حفيده الرضا في حليته[١] فقال:

كلّ لسان عن وصفه قاصر، وكلّ فكر في كنهه حائر، وأحسن وصف لمعاليه: أنّه أشبه الخلق بأبيه. إلى آخره.

قلت: وكان في إيران ركناً من أركان الهدى والإيمان، وعلماً من أعلام التقى والرضوان، على شاكلة أُستاذه ومربّيه، ومخرّجه وحميه(١)، السيّد صدر الدين بن السيّد صالح شرف الدين الموسوي العاملي، وقد أبلى السيّد في تدريبه وتثقيفه بلاءً حسناً، زقّه العلوم والآداب زقّاً.

وكان الشيخ صهر السيّد على كريمته(٢) وهي أُمّ العلماء الأعلام من أولاد الشيخ، وبهذا نال من الحظوة بالسيّد ما لم يتسنّ لغيره، فبرز أعلى الله مقامه مرجعاً في الدين، ومفزعاً للمؤمنين، وكان يجيب نداء العافي بلسان نداه، ويروي صدى اللهيف قبل رجع صداه، إلى أن دعاه ربّه فلبّاه، في السنة الأُولى بعد الألف والثلاثمائة.

وخلفه أبناؤه الأبطال الأبدال وكلّهم جاؤوا على غراره، وجروا على أعراقه، أعرف منهم اثنين:

---

(١) أي والد زوجته[٢].

(٢) وكانت كريمة السيّد بنت خالة الشيخ ؛ لأنّ أُمّه وأُمّها أُختان أبوهما الشيخ الأكبر كاشف الغطاء[٣].

---

١. اسمها: حلى الدهر العاطل في من أدركته من الأفاضل. راجع الذريعة ٧: ٧٩، الرقم ٤١٨.

٢. الصحاح ٦: ٢٣١٩، «ﻫ م ى».

٣. راجع العبقات العنبريّة: ١٧١.

أحدهما: الشيخ محمّد حسين، وأُمّه كريمة السيّد صدر الدين بن السيّد صالح شرف الدين العاملي.

كان هذا الشيخ أعلى الله مقامه نسيج وحده، وقريع وحده، قد أربى على الأكفاء، وتميّز عن النظراء، منقطع النظير في كمال نفسه وتهذيبها، وفي إخلاصه لله عزّ وجلّ في أفعاله وأقواله لا نظير له في مراقبة نفسه، ومحاسبتها بكلّ دقّة، زاهداً في الدنيا، متجافياً عنها، مبرّزاً في غوامض العلوم اللاهوتيّة، وأسرار المعارف الإلٰهيّة، فقيهاً أُصوليّاً محدّثاً متكلّماً، وله في التفسير قدحه المعلّى... وقد اصطفاه الله عزّ وجلّ أوّل السنة الثامنة بعد الثلاث مائة والألف.

وخلّف ـ قدّس الله سرّه ـ ولده أبا المجد، وسورة الحمد، وعنوان الفضل والأدب، وحجّة العجم فيه والعرب: الشيخ محمّد رضا، ويدعى بآقا رضا. وأُمّه كريمة الإمام السيّد محمّد عليّ المعروف بآقا مجتهد بن الإمام السيّد صدر الدين بن السيّد صالح العامليّ.[1]

فالرضا كريم الأُبوّة والأُمومة، شريف الخؤولة والعمومة، كان في أصفهان ـ بعد سلفه ـ كعبة الطائف، وقبلة العاكف، قطب هذاالبيت الرفيع العماد، وزعيم هذه الأُسرة المستطير مجدها في البلاد، لا أعرف منها إلّا من عجن من طينة المجد، وغذي بلبان الشرف، ودرج من مهد السيادة، ونشأ في حجر الحسب، ونجلته آباء أفاضل، وأُمّهات عقائل، لهم المجد المؤثل، والزعامة المعروفة.

وللشيخ آقا رضا ـ مع مكانته السامية في الفقه والأُصول والحكمة وغيرها من العلوم العقليّة ـ حظّ وافر في الأدب العربي والفارسي نظماً ونثراً، جمع فيه بين فصاحة

---

(١) فالسيّد صدرالدين جدّ أمّ آقا رضا لأبيها، وجدّ والد آقا رضا لأمّه. فآقا رضا قد ولده السيّد صدر الدين مرّتين وأبناء السيّد صدر الدين أعمام أمّه وأخوال أبيه.

العرب ودقّة العجم، وأشعاره في اللغتين وافرة لا يحضرني منها شيء.

وله مؤلّفات في الفقه والأُصول، وباع في العلوم الرياضيّة طُولى، وذكاء متوقّد. وهو الذي زيّف فلسفة داروين[1]، فجدعها ببيانه الناصع، ودليله القاطع. وله حلية جيد الزمن العاطل في من لقيته من العلماء والأفاضل.

ومن صفاته أنّه رقيق الحواشي، ظريف الطبع، حلو الشمائل، فكه الأخلاق، طيّب النفس، سخيّ الكفّ، لطيف الروح، خفيف الظلّ. نظمنا التوفيق وإيّاه في سلك الحضور على أعلام الأُمّة في النجف الأشرف، وتركته في السنة الثانية والعشرين بعد الألف والثلاثمائة، وله يومئذ خمس وثلاثون من العمر تقريباً، فظلّ يغوص على دقائق العلوم وغوامضها، وينقّب عن غرائب الفنون ومخبآتها، حتّى عرج إلى أوج آبائه، وارتفع عن مواقف نظرائه.

وقد توفّاه الله إليه في أصفهان سنة ١٣٦٢ فأُصيب العلم والأدب العربي والفارسي بفقده فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

ثانيهما: الشيخ محمّد تقيّ المعروف بآقا نجفي، المتوفّى في شعبان سنة ١٣٣٢ عن ثمان وستّين سنة تقريباً ـ وأُمّه كريمة السيّد صدر الدين الموسوي العاملي ـ أخذاً عن والده في أصفهان، ثمّ هاجر إلى العراق فأخذ عن إمام الكلّ في الكلّ السيّد الميرزا محمّد حسن الحسيني الشيرازي، وشيخي الإسلام: الشيخ راضي، والشيخ مهديّ وغيرهم من أعلام الأُمّة.

ثمّ رجع إلى أصفهان عالماً متبحّراً في الفقه والأُصول، وفنون المعارف، فألقت

---

١. داروين: هو الدكتور شارلز روبرت. ولد في سنة ١٨٠٩، وتوفّي في سنة ١٨٨٢، له عدّة تأليفات، منها: رسالته في أصل الإنسان والانتخاب المتعلّق بالجنس، وهي تكملة رسالته في أُصول الأجناس. وادّعى فيها أنّ أصل الإنسان من رتبة حيوانيّة، فترقّى إلى حالته الحاضرة بعد أن كان ذا ذنب وشعر، كالحيوان. وردّ عليه علماء الدين مبطلين دعواه بأدلّة من الكتب المقدّسة وغيرها. راجع دائرة المعارف للبستاني ٧: ٥٤٧ ـ ٥٤٨.

العامّة إليه مقاليدها ورجعت إليه في تقليدها.

وكان على منهاج أبيه وجدّه في ترويج الدين، وتخريج العلماء العاملين، لا يألو جهداً، ولا يدّخر وسعاً.

وله مؤلّفات ممتعة في الفقه والأُصول والدراية والحديث والحكمة والكلام، والأخلاق والفضائل، وأُصول العقائد، وله شرح الزيارة.

حجّ بيت الله الحرام، وتشرّف بالمدينة الطيّبة ـ على مشرّفها الصلاة والسلام ـ سنة ١٢٩٨ فكان لحجّه آثار عظيمة، عادت على الأُمّة بفوائد كثيرة.

وفي سنة ١٣٠٧ كانت الفتنة في أصفهان بظهور جماعة هناك ببدعة توجب الردّة عن الدين، فأراد الشيخ تدارك الفتنة بالحكمة فاستعصت عليه، وخشي من تفاقم الخطب، فحكم بقتل القائمين بها، فنفّذ حكمه على الرغم من معارضة السلطة له، وشدّتها في إلغاء الحكم، وفتح الله عليه بذلك فتحاً مبيناً، ونصره نصراً عزيزاً، وعظم أمره، وارتفع قدره.

وحين استتبّت له الأُمور، ونجع لحكمه الجمهور، لم يكن له همّ سوى النصح لله عزّ وجلّ ولعباده فجزاه الله خير جزاء المحسنين.

وهناك علماء وزعماء آخرون من أهل هذا البيت الرفيع، والمعقل المنيع، من أولاد الشيخ محمّد باقر وأحفاده، حال بيننا وبين الحظوة بمعرفتهم بُعد الدار، ومشقّة المزار، خلّد الله مجدهم وأعلى جدّهم.

مكانة السيّد علماً وأدباً

كان في النجف الأشرف على عهد أُستاذه الشيخ الأكبر يرشّح لمكانته من بعده، لكن نزوحه في حياة الشيخ إلى أصفهان وتوطّنه فيها صرف الرئاسة العامّة عنه.

على أنّ العلماء كافّةً من معاصريه والمتأخّرين عنه يبوّؤونه مكانة المرجع العامّ في

شرائع الإسلام، وقد تصافقوا على أنّه أهلها ومحلّها، جلالة قدر، وعظم شأن، وعلوّ مكانة علماً وعملاً، وورعاً وزهداً، وهدياً ورأياً، يعدّونه من أبطال العلم وأعلامه البارزين[١] ولا سيّما في الفقه والأُصول، والحديث، والدراية، والرجال، والعلوم العربيّة بأسرها، والفنون الأدبيّة كلّها.

كان مقدّماً في علوم القرآن، وأنساب العرب، وأخبار الماضين، وحوادث السنين، وله في العلوم العقليّة ولا سيّما الحكمة والكلام مكانةٌ ساميةٌ.

وقد جمع الله فيه علوّ الفهم، وقوّة الحافظة، فكان إذا تلا عن لوح قلبه رأيته يتلو عن لوح محفوظ، لا يفوته عند الحاجة شيء من آي الذكر الحكيم، والفرقان العظيم، ولا يغيب عنه شيء من السنن المأثورة، والحكم المسطورة، ولا تفوته دقيقة من ظرائف الكلام ولطائفه ونوادره ونكاته، يحفظ الكثير من مفردات اللغة، ممحّصاً لها، خبيراً في اشتقاقاتها.

وكان يقظ الفؤاد، ملتهب الذكاء، قويّ الحجّة، سديد البرهان، يتحرّى في رأيه القواعد والأُصول، ويتّبع فيه أدلّة المعقول والمنقول، فيترك خصمه معتقل اللسان، كأنّما أفرغ عليه ذنوباً.

وله مواقف في بغداد شكره الله له ورسوله والمؤمنون، وحسبك منها مناظراته ومحاضراته مع فقيه الحنفيّة، ومتكلّم الأشاعرة، معاصره السيّد صبغة الله، فقد أذاعها بريد الثناء: ورواها له لسان الحمد.

---

(١) قال صاحب روضات الجنّات[١] في ترجمة السيّد: وكان معظّماً عند علماء تلك الصفحة ـ أي العراق ـ وأمرائها الخاصّة والعامّة من لدن وفاة أبيه المبرور بل قبل ذلك، وله مع كلّ من أُولئك أيضاً نوادر وحكايات ووقائع تدلّ على عظيم موقعه منه، شافهني المرحوم بحكاية جملة منها لا يسعها المقام، إلى آخر كلامه.

---

١. روضات الجنّات ٤: ١٢٨، الرقم ٣٥٨.

وكان يرتجل الشعر ارتجالاً، ويقتضبه اقتضاباً، ولا يسهر عليه جفناً، ولا يكد فيه طبعاً، ولا يثبته في ديوان(١).

ومن شعره هذه القصيدة في وصف رحلته إلى المشهد الرضوي ـ على مشرّفه السلام ـ وهي من غرر الشعر:

أتتك استباقاً تقدّ القفارا ... سوابح تقدح في السير نارا
تثير مثار الحصى بالحصى ... وتتبع باقي الغبار الغبارا
أرادتك أبعد غاياتها ... وقبل الطواف رمين الجمارا
من الصافنات تباري الصبا ... إذ الأفعوان على الجيد مارا
تصدّ القوانس منها التراق ... وتضغط في اللبّ صدراً طمارا
يقيم على الريب فيها الفتى ... أعقبان صيد رأى أم مهارى؟
تقلّب في سبسبٍ أغبر ... قريب اليباب بعيد القصارى
يباب من الآل إيرادها ... تقلّ خماراً وتلقي خمارا
وتلقي السنابك في الراسيات ... ورى لا تداني مداها الحبارى
إذا ظللت نوقهنّ انثنت ... مدى عقبة النسر تهوي انحدارا
رواس تسامت تريد السماء ... كأنّ لهنّ على النجم ثارا
يروع الوعول بهنّ الخيال ... وتنبو المها أن تراءى نفارا
تركنا سجستان[١] ذات اليمين ... وذات الشمال جعلنا بخارى[٢]

(١) وقد ضاع شعره في إيران ضيعة البدر في ليالي الشتاء.

١. سِجِستان: ناحية كبيرة ...، وهي اسم تأريخي كان يعرف به الإقليم الذي يشمل اليوم القسم الجنوبي والشرقي من أفغانستان ...، وكان يحدّها من الشمال إقليم خراسان، ويفصلها من الشمال إقليم مكران. راجع: معجم البلدان ٣: ١٩٠؛ القاموس الإسلامي ٣: ٢٦٣.

٢. بُخارى: من أعظم مدن ماوراء النهر وأجلّها، وهي اليوم مدينة بجمهوريّة أُوزبكستان المعاصرة، كانت أحد مراكز الثقافة الإسلاميّة الكبرى في آسيا الوسطى، فتحت في أيّام معاوية. راجع: معجم البلدان ١: ٣٥٣؛ القاموس الإسلامي ١: ٢٨١؛ أعيان الشيعة ١: ١٩٧.

تــــوالي التــــلفت فــيها بــنا وقــبل العــميد الحــذار الحـذارا
هـــما خــطّتان جــلا عــنهما حـديث الوفـود وأعـطى الخـيارا
فــإمّا تــلاقي الصـدور الطـعان وإمّـا تـقاسي الضـلوع الأسـارى
وقـــوم إذا ارتـــفعت غــبرة على البتّ قـالوا خـيول تـجارى
تــظلّ القــلوب تـدقّ الصـدور كأجـــنحة الطـير واللبّ طـارا
ويـــغدو وقـــورهم لاعـــباً من الخوف والخوف ينفي الوقـارا
وفـــي القـوم نشـوان مـن شـوقه يـخال غـبار الأعـادي المـزارا
يرى خـير وصـليه ورد الحـتوف حـذار تـرائـي الوداع ادّكـارا
ودامت عـلى العـود غـلماننا تبيت نشـاوى وتـصحو سكـارى
أطـلّت عـلى النـوم أجـفانها فـما تـطعم النـوم إلّا غـرارا
غـدونا بـها تـحت ظـلّ القنا تهادى على القبّ غـرثى سهارى
سـعت وأوام الهـوى رادهـا فـبلّت بـقرب الجـواد الأوارا
تـراءى لهـم مـن تـجاه الرضـا بـريق كسـا الجـوّ مـنه نـضارا
ومشكـاة إن لاح مـصباحها أعـاد الدجـى آيـةً والنـهارا
يـدور إذا دار شـمس الضـحى ترى فلك الشـمس مـنها استعارا
وسـل هـل تـجافي لتـقبيله ثـرى الأرض بـين يـديها صَـغارا
ولمّـا بـدا طـاق أيـوانـها أرانـا الإلــه هـلالاً أنـارا
ومـنه وردنـا إلى جـنّة لو أنّ الخـلود يـرى أن يـعارا
هـناك يـطأطيء[١] قـرنُ المـليك ويـصبح سـيّان دار ودارا
تـؤمّ بـطون الأكـفّ السـماء وتـنحو الجـباه الصـعيد افـتخارا

١. في المصدر: «هناك تطأطأ قرون الملوك».

تبثّ الشكايا وترجو المنى وتفدى الأُسارى وتنجو الحيارى
فصافح ذويك بذاك الغبار وشرّف به إن مررت الديارا
ومن زار قبر الرضا عارفاً كمن جدّه أحمد الطهر زارا
أنخها، بَلَغْت، وألق العصا فغالط فؤاداً يسوم انفطارا[1]
فمن كم إليك نشدّ الرحال وبين ثراكم نسوق المهارا
عليّ بن موسى وحسب الصريخ غياث إذا دائر السوء دارا
إليك إليك ومن قد رجا[2] رجاءُ سواكم عن القصد جارا
غلاصم [جيدي][3] استطالت إلى أياد كست أنعم الدهر عارا
وجئت على عاتقي موبقاً من السيّئات عظاماً غزارا
وحسبي غداً أن يقول الذي أعاديه فيك اصطبر لن تجارى
إذا ذاق في النار طعم النعيم وألقى بحبّك عاراً ونارا
وأخشى الصراط وعمي الصراط وفي جَدَدٍ قد أمنت العثارا
أتقفو غباري جيوش الهموم ومنها إليك خرجنا فرارا؟
يقول بنونا: البدار البدار ونومي إليك: الجوار الجوارا!
سجون سكنّ سويدا الفؤاد وكنّ الشعار له والدثارا
غزت داره اللبّ فاستوطنت حماها وكانت تلمّ ازديارا
أسامر سود ليال طوال وعهدي بها قبل بيضاً قصارا
عزمت المديح ولكن أرى قصارى المديح إليك اعتذارا

---

١. في المصدر:

«أنخها بلغت وألق العصا وصلّ وطف والزم المستجارا
وإمّا نويت النوى كارهاً فغالط فؤاداً يسوم انفطارا»

٢. في المصدر: «حجى» بدل «رجا».

٣. أضفناه من المصدر.

إلى أن يقول، حيث سقط مقدار ورقة منها:

علـى الأرض طـوفان نـوح طغى   فأقـصى جـواراً وأدنـى جـوارا
ومـارج بـحرين عـذب فـرات   ومـلح أجـاج كـما شـاء خـارا
ومـن قـبله جـاور المـصطفى   وهـيهات لايشكـران انـتصارا
وكـان عـلى البـيت أصـنامهم   وفـي البـيت ثـمّ اقـتنوه شـعارا
أبـا الصـلت، طـوباك، سِرٌّ طـوي   لعـينيك دون الأنـام اسـتنارا
وفـود الجـواد لتـجهيزه   أبـاه وأن يـحضر الاحـتضارا
طوى الأرض لا السـرج مـتناً رقـى   ولا الأبـرق النـهد نـقعاً أثـارا
كـنجم سـرى أو شـعاع سـما   فـنال السـهى أو صـباح أنـارا
فـوافـى سـناباد مـن يـثرب   كـليل البـراق ومـن فـيه سـارا
سـناباد طـبت ثـرىً إنّـما   سـماك لنـور الرضـا قـد أشـارا
عـليّ بـن مـوسى أتـتك العروس   فـصُرَّ الصـداق وبثّ النـثارا
أيـحظى بـها دعـبل جـبّةً   إليـها الجـنان تـحنّ انـتظارا
وأحـرمها والفـتى دعـبل   عـليم بأنّـي أعـلى ابـتكارا
وَقُـدّ لي مـن جـبّة خـملة   لو أنّ العـطا النـزر يـرضي نـزارا[1]

وله هذه الأبيات ذكرها في أعيان الشيعة نقلاً عن خطّه:

خـليلي هـل مـن وقـفة بـالمعاهدِ   لروعـة مـحزون ولوعـة مـاجدِ
وذكرى فـقيد كـان للـقلب واحـداً   وربّ فـؤاد فـاقد غـير واحـدِ
وصلت، فـلمّا جـاءك الصبّ طـائعاً   هجرت، فـهل يـوم الوصـال بـعائدِ
بعيشك هل شاهدت بـعد افـتراقـنا   من البين ما شاهدت أم لم تشـاهدِ

١. أعيان الشيعة ٩: ٣٧٣ ـ ٣٧٤.

فعودي سليماً أسلموه إلى الرقى وعودي على شاك قليل العوائدِ
أُعيدي لجفني الغمض ثاني مرّة لعلّ به طيف الخيال معاودي[١]

سيرته وأخلاقه

كان ـ رحمه الله تعالى ـ طيّب السريرة، حميد السيرة، ينطق الكرم من محاسن خلاله، ويتمثّل المجد في منطقه وأفعاله، وكان أشمّ الأنف، لا يطمئنّ إلى غضاضة، ولا يصبر على خسف، على أنّه سهل الأخلاق، سلس الطباع، طلق الوجه، وضاح المحيا، يرضى لله، ويغضب لله، ويحبّ لله، ويوالي لله، ويعادي لله، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا سطوة ظالم غاشم، وله في العبوديّة لله سبحانه والنصح له ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين ولعامّتهم مقام لا يتعلّق به درك، وله في مجاهدة النفس ومراقبتها غاية تعرج به إلى أوج المقرّبين.

يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وينصر الحقّ، وينقض الباطل، ويرشد الضالّ، ويعين الضعيف، ويغيث اللهيف، لا يألو في ذلك كلّه جهداً، ولا يدّخر وسعاً.

مؤلّفاته

له مؤلّفات في علوم شتّى، ترتفع بغزارة مادّتها عن مقام المتحدّي، وتتحصّن بجزالة مباحثها وسديد مناهجها من نظر الناقد، فقصارى معارضه فيها أن ينهي إليها، وينسج في التأليف عليها، رأيت منها منظومة في الرضاع أنيقة، يلخّص فيها فروع هذا الباب أحسن تلخيص، ويحرّر مسائله أحسن تحرير، بنظم رائق، وقد شرحها شرحاً رأيته متكفّلاً بحلّ مشكلها، وتفصيل مجملها، والكشف عن مكنون أسرارها، وخفيّ مقاصدها، فهي مع شرحها ممّا لا نظير له في بابه ـ وقد شرحها حجّة الإسلام الميرزا

١. أعيان الشيعة ٩: ٣٧٣ ـ ٣٧٤.

محمّد تقيّ الشيرازي(١) ـ ورأيت له رسالةً شريفةً في حجّيّة الظنّ، نـقل فـيها القـول بأصالة الحجّيّة عن الوحيد البهبهاني كما سمعته آنفاً(٢)، ورأيت له تعليقةً نفيسةً بخطّه الشريف على كتاب الشيخ أبي عليّ في الرجال(٣)، تدلّ على إحاطته بهذا العلم، وله ـ أعلى الله مقامه ـ كتاب في الفقه كبير على طريق الاستدلال أسماه أثرة العترة(٤).

---

(١) هو الميرزا محمّد تقيّ الإمام الشهير، المتوفّى في الحائر المقدّس ١٣ ذي الحجّة سنة ١٣٣٨، وكان ممّن ثنيت له الوسادة في العلوم العقليّة والنقليّة من تلامذة الإمام السيّد الميرزا محمّد حسن الشيرازي ونحن لم نطّلع على شرحه لهذه المنظومة، وقد نسبها إليه الثقة الصـدوق والشيخ عبّاس القمّي حيث ذكر الإمام التقيّ الشيرازي في ترجمة القاآني في ص ٣٦ مـن الجزء الثالث من الكنى والألقاب[1].

(٢) في آخر ما كتبناه عن أساتذته وشيوخه في الإجازة[2].

(٣) وقد ذكرها شيخنا الحجّة النوري في ترجمة السيّد من خاتمة المستدركات[3] فقال:

ويظهر منها طول باعه وسعة اطّلاعه، وقد دوّنها ابن ابن أخيه البارع في العلوم الحسن بن الهادي الموسوي الكاظمي أبقاه الله تعالى. انتهى. قلت: تشرّفت بمطالعتها بعد أن أفردها سيّدنا رسالةً على حدة بخطّه الشريف، وهي موجودة في مكتبته في الكاظميّة، وكذلك رسالة حجّيّة الظنّ، ومنظومة الرضاع مع شرحها.

(٤) «الأُثرة»: بوزن عُقدة هي البقيّة من العلم تُؤثر. نصّ على ذلك علماء اللغة في معاجمها[4]، «والعِترة» بالكسر هنا ذرّيّة رسول الله ﷺ، وهذا الاسم من ألطف أسماء الكتب المؤلّفة في فقه آل محمّد وأشرفها، ومن أدلّها على سلامة الذوق، وحسن الاختيار، وقد أخطأ من ←

---

١. الكنى والألقاب ٣: ٤٤ ـ ٤٥.

٢. تقدّم في ص ١٦٣.

٣. خاتمة المستدرك ٢: ١١٢.

٤. راجع: القاموس المحيط ١: ٦٨٣؛ لسان العرب ٤: ٧، «أ. ث. ر».

واختصره بكتاب سمّاه عترة العترة(١)، وله كتاب في مسائل متفرّقة فقهيّة لم يتعرّض لها الفقهاء من قبله أسماه المستطرفات، وله القسطاس المستقيم في أُصول الفقه، وله كتاب النكت، وكتاب المجال في علم الرجال، وله قرّة العين رسالة في النحو ذكرها صاحب كتاب معدن الفؤاد(٢) فقال:

هي مع صغر حجمها تفوق على المغني لابن هشام مع طوله وبسطه. قال: فهذه الرسالة لا توافق إلّا فهم المنتهي. انتهى.

وله رسالة في شرح مقبولة عمر بن حنظلة قال في روضات الجنّات حيث ذكرها: هي في نهاية البسط تتضمّن قواعد شرعيّة مستطردة، وفوائد غير محصورة[1].

← ظنّ أنّ اسم الكتاب «أُسرة العترة» بالسين[2] تبعاً لروضات الجنّات[3] المطبوعة في إيران، والإيرانيّون ينطقون بالثاء المعجمة المثلّثة سيناً. وقد ذكر الشيخ محسن الطهراني في ص ٥٧ من الجزء الثاني من ذريعته هذا الكتاب فأسماه أسرة العترة[4] اعتماداً على ما في روضات الجنّات.

(١) لفظ «العترة» حقيقة في القطعة من المسك الخالص.[5] وهذا المعنى هو المراد من المضاف في هذا الاسم، وحقيقة أيضاً في الذرّيّة[6]، وهذا هو المراد من المضاف إليه. فيكون الكتاب على مقتضى هذا الاسم: قطعة من خالص مسك ذرّيّة رسول الله ﷺ . وهذا كسابقه من ألطف أسماء الكتب الفقهيّة على مذهب أهل البيت عليهم السلام.

---

١. روضات الجنّات ٤: ١٢٧، الرقم ٣٥٨.

٢. كالسيّد الصدر في تكملة أمل الآمل: ٢٤١، الرقم ٢٠٤.

٣. روضات الجنّات ٤: ١٢٦، الرقم ٣٥٨.

٤. هذا صحيح، ولكن ذكره أيضاً في الذريعة ١: ١١٢، وأسماه: أثرة العترة.

٥ و٦. راجع: القاموس المحيط ٢: ١٢٠؛ لسان العرب ٤: ٥٣٨ ـ ٥٣٩، «ع. ت. ر».

وله رسالة فارسيّة سمّاها قوت لا يموت عملها لمقلّديه. قال في الروضات: وله أشعار فاخرة طويلة وقصيرة شرح جملة منها أيضاً بمعونة نفسه. إلى غير ذلك من الحواشي والرسائل، وأجوبة المسائل، إلى آخر كلامه[1]... .

مترجموه

ترجمه المتأخّرون عنه ممّن تصدّى لتراجم الرجال. كتلميذه ثبت الأثبات، وثقة الثقاة شيخنا العلّامة البحّاثة السيّد محمّد هاشم بن السيّد زين العابدين الموسوي الأصفهاني، إذ ذكره في كتابه معدن الفوائد فترجمه ترجمةً مفصّلةً. فكان ممّا قال فيها:

وكان جامعاً للمعقول والمنقول، وأئمّة العربيّة كانوا يرجعون إليه من أطراف البلاد الروميّة والحجازيّة والشاميّة والمصريّة والعراقيّة.

وترجمه تلميذه الآخر صاحب روضات الجنّات السيّد محمّد باقر وهو أخو الأوّل[2].

وترجمه شيخنا الحجّة الشيخ ميرزا حسين النوري في خاتمة المستدركات[3] إذ كان من شيوخ أسانيده... .

(١) وقد وقف عليها بعض المعاصرين من علماء عاملة في مكتبة الشيخ هادي بن الشيخ عبّاس بن الشيخ عليّ بن الشيخ الأكبر في النجف الأشرف فبالغ في الثناء عليها وبلغ في ذلك كلّ مبلغ. وهي موجودة أيضاً في مكتبة سيّدنا أعلى الله مقامه.

١. روضات الجنّات ٤: ١٢٧، الرقم ٣٥٨.

٢. المصدر: ١٢٦.

٣. خاتمة المستدرك ٢: ١١١ـ١١٢.

وترجمه الشيخ عبّاس القمّي الثقة الثبت، وذكر آباءه وأولاده في باب أولاد الإمام موسى بن جعفر من كتابه منتهى الآمال [١].

وترجمه أيضاً في أوائل الجزء الثاني من كتابه سفينة البحار [٢]، وفي المجلّد الثاني من كتابه الكنى والألقاب [٣].

وترجمه صاحب النقد ترجمةً مفصّلةً تناولت أبناءه الميامين.

وترجمه شيخ بني كاشف الغطاء في هذه الأيّام الشيخ محمّد حسين بن الشيخ عليّ بن الشيخ محمّد رضا بن الشيخ موسى بن الشيخ الأكبر في كتابه العبقات العنبريّة في الأسرة الجعفريّة ـ أي أسرتهم الكريمة ـ إذ ترجم في هذا الكتاب جدّه شيخ الطائفة جعفر بن خضر وأبناءه وأصهاره فذكره في الأصهار الأطهار [٤].

وممّن ترجم السيّد صدر الدين ابن أخيه السيّد محمّد عليّ بن السيّد أبو الحسن بن السيّد صالح في كتابه اليتيمة [٥].

وترجمه أيضاً في كتاب أعيان الشيعة [٦]، وللسيّد صدر الدين في تكملة الأمل ترجمة مفصّلة [٧].

---

١. منتهى الآمال ٢: ٤١٠.
٢. سفينة البحار ٣: ٤٧ ـ ٤٨، «صدر».
٣. الكنى والألقاب ٢: ٤١٣.
٤. راجع العبقات العنبريّة في الأسرة الجعفريّة: ١٧١ و ٢٨٢.
٥. مخطوط، راجع الذريعة ٢٥: ٢٧٤، الرقم ٨٣.
٦. ج ٩ ص ٣٧٢ ـ ٣٧٤ وترجمه أيضاً في الكرام البررة ج ٢ ص ٦٦٨ ومابعدها، وله ترجمة في معارف الرجال ج ٢ ص ٢٣٨، وترجمة في شعراء الغريّ ج ١٠ ص ٢٩٠ وما بعدها، وذكر أنّ له ترجمة في ج ٩ ص ٣٣٦ من الحصون المنيعة للشيخ عليّ كاشف الغطاء، وفي الروض النضير للشيخ جعفر النقدي، وترجمه السيّد مصلح الدين المهدوي في دانشمندان وبزرگان أصفهان ص ١٤٤.«ع»
٧. تكملة أمل الآمل: ٢٣٥ ـ ٢٤٤، الرقم ٢٠٤.

وفاتـه

مُني السيّد في أواخر حياته بمصائب ونوائب أمرضت جسمه فأنحلته، وأضعفت قواه فأوهتها.

وأُصيب بفقد ولديه المبرزين في الفضل والدين والأخلاق: السيّد محمّد تقيّ، والسيّد عليّ فهدّه موتهما، وأصبح صريعاً على فراشه لا يستطيع النهوض.

وبينا هو على هذه الحال إذ نشط إلى التشرّف بأعتاب آبائه الطيّبين الطاهرين رغبةً في أن تكون خاتمته في جوارهم وأن يطيّب رمسه في قدسيّ تربتهم. فخشي عليه أهله وخاصّته وسائر ذويه من مشقّة السفر ووعثائه، مؤثرين له الخلود إلى الراحة والسكون احتياطاً عليه، ورغبوا إليه في ذلك، فكان يجيبهم: بأنّي إنّما أُريد من سفري هذا أن أموت في سبيل الله، وأدفن في جوار أهل بيت الرحمة، فعسى أن أنشر وأحشر معهمعليهم السلام .

فزمّت ركابه من أصفهان في أواخر شوّال سنة ١٢٦٣ متوكّلاً على الله تعالى مستجيراً بأولياء الله لاجئاً إليهم.

وفي أوائل ذي الحجّة من تلك السنة حطّ رحله بفناء باب الحوائج إلى الله تعالى الكاظمين الجوادينعليهما السلام وبعد التشرّف بأعتابهما وأعتاب الإمامين الهاديين العسكريّين في سامرّاءعليهما السلام توجّه إلى الحرم الحائري فتشرّف بأعتاب سيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء وزار تلك الأرواح التي حلّت بفنائه وأناخت برحله.

ثمّ فاز بالتشرّف بأعتاب جدّه أمير المؤمنين. وسيّد الوصيّين في النجف الأشرف صلوات الله عليه.

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى　　كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ

وما إن حطّ رحله حتّى قضى نحبه، ولقي ربّه مبروراً مشكوراً، وكان ذلك ليلة الجمعة ١٤ المحرّم الحرام سنة ١٢٦٤(١).

وصلّى عليه زعيم آل كاشف الغطاء يومئذ الفقيه الأوحد الشيخ محمّد بن عليّ بن الشيخ جعفر[١] في خلائق كثيرة، وفي طليعتهم علماء النجف الأشرف وفضلاؤها وأبرارها كافّةً، ودفن في بعض حجرات الصحن الحيدري حيث يزار إلى الآن(٢)، وكان لفقده رنّة حزن هائلة، طبّقت العراق وأصفهان وعاملة، وعقدت له مآتم الفاتحة والحزن والرثاء والتأبين في كثير من بلاد المؤمنين... وقد أرّخ وفاته شيخنا الفقيه العلّامة الشيخ إبراهيم بن الشيخ صادق بن الشيخ إبراهيم يحيى العاملي، فقال:

لله أيّ جليل خطب ثلّ من جنبات ركن الدين كلّ حصينِ

---

(١) في دار أخيه العلّامة السيّد أبو الحسن بن السيّد صالح الموسوي العاملي وكان قد استوطن النجف الأشرف، وله فيها مكانة وجاه، وقيل: إنّ وفاته إنّما كانت سنة ١٢٦٣[٢] وهذا هو الذي نقله صاحب روضات الجنات[٣]، والصحيح ما قلناه وهو الموافق لتأريخ العلّامة المقدّس الشيخ إبراهيم صادق العاملي الذي كان في من شيّع جنازته وفي من صلّى عليه واحتفل بمآتمه في النجف الأشرف أثناء هجرته العلميّة إليها.

(٢) وله في سفره هذا الأخير نوادر وحكايات مستطرفة مع العلماء والرؤساء والأُدباء وخصوصاً عبد الباقي العمري تدلّ على سعة ذرعه وشهامة طبعه وبلوغه من الأدب العربي أقصى الغايات يطول المقام بذكرها. حدّثني بكثير منها تلميذاه الصدوقان جدّي السيّد أبو الحسن الهادي وهو ابن أخيه، والسيّد محمّد هاشم الموسوي الأصفهاني وهو صهره.

---

١. قال في التكملة: عالم جليل فقيه كامل رئيس مطاع، قام بعد موت عمّه الشيخ حسن في الرياسة والتدريس والمرجعيّة في التقليد، وكان أجلّ من في النجف من العلماء بعد عمّه، توفّي سنة ١٢٦٨. انتهى ملخّصاً عن ماضي النجف وحاضرها ج ٣ ص ١٩٣ ـ ١٩٧. «ع»

٢. في المصدر: سنة ١٢٦٤.

٣. روضات الجنّات ٤: ١٢٨، الرقم ٣٥٨.

وملمّة عمّت وخصّت كلّ ذي | فضل وعلم في الأنام طبينِ
لمضيّ علّام الورى من لم يزل | في الشرع خير مجاهد وأمينِ
نجل النبيّ وربّ فضل يكتفي | بوضوحه عن كلفة التبيينِ
ألوى عن الدنيا الدنيّة فائزاً | ومسارعاً لعناق حور العينِ
مذ غاب فرد الدهر قلت مؤرّخاً | بكت البرايا رزء صدر الدينِ

وله أيضاً في رثائه:

آهاً ولم يشف داءً في الجوى آها | وآهاً ولم يطف ناراً في الحشى واها
أقوى فؤادي وصرف الدهر جار وما | أبقى على مهجة ما كان أقواها
وسامني خطّة البلوى وجرّعني | من صاب هائلة الأوصاب أرواها
غداة زمّت ركاب الظاعنين على | رغمي وأقفر بعد البين مغناها
بانوا وقد نزلوا أقصى الضمير فما | أقصى منازلهم منّي وأدناها
لا الصبر من بعدهم باق وقد رحلوا | ولا المدامع راق فيض مجراها
وربّ قائلة ما أنت أوّل من | مسّته من نوب الأيّام أدهاها
خفّض عليك الأسى واحفظ لنفسك ما | عليك من حرج لو كنت ترعاها
فقلت هيهات غاض الصبر إذ غدرت | يد الليالي بمولانا ومولاها
صدر الأئمّة «صدر الدين» خاتمة الأعـ | ـلام أعلى الورى جاهاً وأقواها
وسيّد الملّة الغرّاء قطب مدا | ر الشرع أزكى بني الدنيا وأتقاها
زاك تفرّع من زاك وشمس هدىً | لكنّها لم توار الحجب مسراها
بقيّة العزّ من أبناء فاطمة | والمرتضى حيدر، والمصطفى طه
عجبت من جدث واراه كيف حوى | ذاتاً يحكّ مناط النجم علياها
ليس الفضائل والتقوى سوى جُمَل | مذ ركّبت كان صدر الدين معناها
إن يقصر الخلف عن إدراك واضحها | فنور ثاقبها الوضاح أخفاها
كالشمس رأد الضحى ردّت أشعتها | أبصار من رام في الآفاق مرآها

أو يــجهل الدهــر قــدراً لابـن فـاطمة — فــتلك شــنشنة مــنه عــرفناها
مــضى إلى الله بــرّاً زاكــياً عــلماً — مــطهّر الذات أوّاباً وأوّاهــا
واخــتار آخــرةً تــبقى فـخار له — إلــهه مــن جــنان الخــلد أعــلاها
وحسـبنا عــنه سـلواناً بـذي هـمم — عــلياء ليس يـنال الدهــر أدنــاها
صنو العُلى صنوه الزاكـي أبـو حسن — أوفــى البــريّة إنـعاماً وأنــداهـا
بــدر العــلوم وأهــل العلم مـرجعها — طــرّاً وسـيّدها الأعــلى مـفدّاهـا
وبــابنه العــلم المـفضال «مـجتهد» — مــن حــلّ مـن رتب العلياء أسناها
ولم تــزل صــلوات الله دائــمةً — يــهدى لمـرقد صـدر الديـن أزكـاها

عقبه

أنجب السيّد سبعة من سادة الأشراف، وعلّية بني عبد مناف، مات اثنان منهم على عهده ولم يعقبا، وكانا من الفضل والدين والأخلاق على جانب يبوّئهما المنزلة السامية من أوج أبيهما، مبرزين في حوزته، وحوزة حجّة الإسلام السيّد محمّد باقر الموسوي الرشتي، معدودين على حداثتهما في طبقة الشيوخ من تلامذة هذين الإمامين ـ أبيهما والباقر ـ:

أحدهما: السيّد الشريف محمّد تقيّ، المولود في أصفهان صبح يوم الجمعة الثامن من شوّال سنة ١٢٣٨، والمتوفّى في السادسة عشر من عمره الشريف في أصفهان.

الثاني: السيّد الشريف عليّ، المولود سنة ١٢٤٠ في أصفهان، والمتوفّى فيها عن ثماني عشرة من عمره الشريف.

وكانا ذكيّي المشاعر، شاهدي اللّب، ذوي حسن بارع، وجمال رائع، ورونق معجب وبهاء مونق.

قد أربيا في أنواع الفضل على أكفائهما، وتميّزا عن نظرائهما، فكانا منقطعي النظير في أترابهما، لا تفتح العين على من هو مثلهما في سنّهما ...؛ ولذا كانت وفاتهما مصيبةً

عظيمةٌ نكب بها أبوهما المقدّس نكبةٌ أثّرت على جسمه فلجاً، وعلى قلبه وهناً، وهدّت قواه، ونغّصت عيشه، حتّى لحقهما رضوان الله تعالى عليهم.

فعقبه منحصر في خمسة أصناء:

الصنو الأوّل: سيّدنا الشريف محمّد عليّ ويعرف بآقا مجتهد، وأمّه البرّة بنت الشيخ الأكبر كاشف الغطاء.

كان ـ أعلى الله مقامه ـ خطير النفس، بعيد مرتقى الهمّة، يصبو إلى شريف المطالب، وتنزع همّته إلى سنيّ المراتب، وكان من العلم والعمل بأعلى مناط العقد، وله فيهما الميزة الظاهرة، والغرّة الواضحة.

وبذلك عرج بعد أبيه إلى ذروته، واستوى على منصّته، فوطأ أعراف المجد، وبنى في أصفهان خطط الفضل، وأقبل على مؤمّليه وراجيه بانبساطه، واسترسل إليهم بأنسه، وتلقى روّاد العلم من حوزة أبيه وغيرهم بسعة ذرعه وشهامة طبعه، فأوضح لهم مناهج العلوم، وأظهر مكنونها، وأبرز دُخلتها، وأبان مضمونها، وكان في البحث والتحقيق والاعتدال والتدقيق بما لا مزيد عليه.

تخرّج على يد أبيه وجماعة من أعلام الفقهاء ومحقّقي الأصوليّين كالإمام السيّد محمّد باقر الرشتي، وكان صهره على بنته الشريفة المنيفة، وذرّيّته منها مباركةٌ طيّبةٌ.

له مؤلّفات غزيرة المادّة، جزيلة المباحث، فمنها: إحياء التقوى في شرح الدروس لم يكمل. والعلائم في شرح المواسم غير تامّ. وفرائد الفوائد في أصول الفقه لم يتمّ. ونفائس الفرائد مختصر منه. ومنظومة في الوقف. وأخرى في المواريث. وألفية في النحو لم تكمل. وديوان شعر فارسي ورسالة موسومة بالبلاغ المبين في أحكام الصبيان والبالغين. صنّفها قبل البلوغ... وقد ذكره صاحب النقد في آخر ترجمة أبيه فقال:

وللسيّد صدر الدين عدّة بنين أشهرهم وأعلمهم السيّد محمّد عليّ الملقب بآقا مجتهد، عالم فاضل شاعر ثقة جليل ماهر في أكثر العلوم، فقيه مجتهد، حسن الخلق، له كتب،

ثمّ ذكر كتبه التي أشرنا إليها.

وذكره السيّد محمّد عليّ ابن عمّه السيّد أبو الحسن بن السيّد صالح في آخر ترجمة السيّد صدر الدين من يتيمته فقال:

وقد أعقب ـ السيّد صدر الدين ـ خمسة أولاد علماء فحول أساطين. الأوّل: السيّد محمّد عليّ الملقّب بآقا مجتهد، وقد كتب قبل بلوغه البلاغ المبين في أحكام الصبيان والبالغين.

[قال]: وصرّح أبوه باجتهاده قبل ذلك، وكان لا يصرّح باجتهاد أحد إلّا أن يبلغ أقصى ذراه.

وكان بارّاً، تقيّاً نقيّاً، وفيّاً صفيّاً، عالماً عاملاً كاملاً، طوداً، هماماً، إماماً، مقداماً، متبحّراً في فنون العلوم والأدب، مرجعاً للعجم والعرب، مقتدىً للمسلمين كافّة، مدّخراً لمهمّاتهم، قائماً مقام أبيه في كلّ ماله، نافذ الحكم، مطاع الأمر والنهي. إلى آخره.

وذكره شيخ آل كاشف الغطاء في هذا العصر الشيخ محمّد حسين في عبقاته العنبريّة[1] المختصّة بأسرتهم الجعفريّة حيث استطرد فيها أصهار جدّهم الشيخ الأكبر: فكان السيّد صدر الدين من أعلامهم وبعد ترجمته استطرد بنيه فكان آقا مجتهد أوّلهم، وقد أفاض في بيان فضله بما لا مزيد عليه وذكر من مصنّفاته ما ذكرناه.

وترجمه أيضاً سيّدنا في تكملة الآمل[2] وجماعة آخرون فوصفوه بأكمل

١. المؤسف عليه جدّاً أنّ هذا القسم من العبقات فقد ولم يصل إلينا.

٢. وقد جاءت ترجمته في تكملة أمل الآمل ص ٣٨٥ ومابعدها، ونقتطف منها مايلي:

كان نادرة عصره ووحيد دهره، كتب كتابه البلاغ المبين وهو ابن اثنتي عشرة سنة، فشهد له السيّد حجّة الإسلام السيّد محمّد باقر الرشتي الأصفهاني بالاجتهاد، وصدّقه علماء عصره.

وبالجملة: كان علّامة متبحّراً في العلوم كلّها، قام مقام والده، وزاد على والده أنّه كان يصعد المنبر بعد فراغه من الصلاة، ويتكلّم بالمعارف والأخلاق على وجه ينتفع منه عوام الناس، بل والنساء، حتّى إنّي سمعت من أخيه حجّة الإسلام السيّد الصدر: أنّه كان يذكر غوامض المسائل في التوحيد، كشبهة ابن كمونة وأمثالها، ويجيب عنها بلسان يفهمه كلّ أحد، وكأنّه من أوضح المطالب، لشدّة سلطته على التقرير وحسن البيان، ووفرة علمه وطول باعه.

←

الصفات وأفضلها علماً وعملاً.

وأعقب آقا مجتهد ولدين فاضلين كاملين السيّد بهاء الدين، والسيّد محمّد جواد.

أمّا بهاء الدين فقد ولد في أصفهان سنة ١٢٧٠. وأمّه كريمة حجّة الإسلام وعلم الأعلام السيّد الشريف محمّد باقر الموسوي الرشتي الأصفهاني.

أُصيب السيّد بهاء الدين بأبيه وله أربع سنين، فاحتضنه خاله الإمام الهمام السيّد الشريف أسد الله فشبّ على هديه، ولا غرو فإنّ الولد نزّاع إلى أخواله.

والسيّد بهاء الدين نجيب الخال والعمّ، كريم الأب والأُمّ، جدير بأن يكون جليل القدر، رفيع الشأن، عظيم المنزلة، وقد نشأ على الورع عن محارم الله، والزهد في هذه الدنيا الفانية، والرغبة في ما عند الله عزّ وجلّ فترعرع مخلصاً له الدين، وتفقّه على ثلّة من أعلام العلماء المجتهدين، وكان مع ذلك أديباً شاعراً يذهب في شعره مذهب العرفاء.

رأيته في النجف الأشرف إذ تشرّف بالأعتاب السامية سنة ١٣٢٠ فكان على غاية من السكينة والتواضع والزهد.

ورأيت أعلام النجف الأشرف وشيوخ الإسلام يحترمونه، ويلتمسون أدعيته، وقد احتفلوا به واختلفوا إليه تبرّكاً بزيارته. وهكذا كان في سائر المشاهد المشرّفة، ثمّ رجع

← قال: وكان كثير الفكرة، غزير العبرة، مشغولاً بنفسه، ولمّا شاعت تحقيقاته في المعارف، كثر ازدحام الناس في الصلاة خلفه، حتّى ضاق مسجد والده، فأُضيف إليه الدور المتّصلة به، شراها الناس ووسّعوا المسجد، ومع ذلك حدّثني بعض التجّار الأخيار قال: كنت أركب بغلتي قبل الفجر بمدّة حتّى أحصل على مكان للصلاة في مسجد آقا مجتهد.

وترجمه السيّد مصلح الدين المهدويّ في دانشمندان وبزرگان أصفهان ـ الفارسي ـ ص ١٥ فقال: ما تعريبه: من كبار ومفاخر علماء الشيعة، وممّن حصّلوا على درجة الاجتهاد قبل البلوغ، واجتهاده محلّ قبول وتسليم عند كبار المجتهدين... إلى آخره.

وترجمه أيضاً في أعيان الشيعة ج ١٠ ص ٦. وترجمه في أوائل الجزء الأوّل من ريحانة الأدب ج ١ ص ٥٧. وكانت وفاته في أصفهان مسموماً ليلة الثامن عشر من ذي الحجّة سنة ١٢٧٤، وله خمس وثلاثون سنةً، وحمل إلى المشهد الغروي، فدفن إلى جنب أبيه في بعض حجرات الصحن الشريف الحيدري، حيث نزورهما قدّس الله مضجعهما. «ع»

إلى أصفهان، وتوفّي فيها سنة ١٣٢٥، ألحقه الله بدرجة آبائه الميامين[1].

وأمّا السيّد الشريف محمّد جواد ـ بن آقا مجتهد بن السيّد صدر الدين ـ فقد ولد في أصفهان سنة ١٢٧٣ وأصابه اليتم رضيعاً، ومع ذلك فقد فرَعَ ذروة المجد، فبلغ قمّة الشرف، أخذ العلوم العربيّة، والفنون الأدبيّة عن عدّة من جلّة العلماء الأعلام، وقرأ المنطق والحكمة والعلوم العقليّة على جماعة تخصّصوا بها، ووقف في سطوح الفقه والأُصول على ثلّة من أعلام تلك الديار... ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف فأخلى للعلوم الشرعيّة ذرعه، وبذل فيها وسعه، وعكف على أعلام الأمّة، وورثة المعصومين من الأئمّة، كعمّه السيّد إسماعيل الصدر، وأُستاذيه الإمامين: الخراساني صاحب «الكفاية»، والهمداني صاحب «مصباح الفقيه»، وربما وقف في الفقه على الشيخ محمّد حسين الكاظمي[2] صاحب «هداية الأنام في شرح شرائع الإسلام»، وفي الأُصول على الشيخ الميرزا حبيب الله الرشتي صاحب «بدائع الأصول»[3] فكرع من سائغ علومهم حتّى ارتوى.

ثمّ رجع إلى أصفهان فلازم حجّتي الإسلام وعلمي الأعلام: الشيخ محمّد باقر بن الشيخ محمّد تقيّ الأصفهاني، وولده الشيخ محمّد حسين.

واستقلّ بعدهما بنفسه فكان في أصفهان أحد الأركان، تناط به الثقة، وتفوّض إليه الأُمور.

وقد تشرّف بزيارة المشاهد المقدّسة في العراق سنة ١٣١٩ فرأيته ثمّة فأكبرته في

---

١. وأعقب ولداً يدعى السيّد وجيه الله، ولد سنة ١٣١٢، وتوفّي سنة ١٣٧٣ في أصفهان ولم يعقب. «ع»

٢. ولد في الكاظميّة سنة ١٢٣٠ وقد بلغ في الفقه مبلغاً عظيماً وتخرّج عليه جمع من جهابذة المجتهدين، وكان من أكابر المراجع وأعاظمهم، توفّي سنة ١٣٠٨. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٢ ص ٦٦٥. «ع»

٣. عالم مؤسّس كان وحيد عصره في ابتكار الأفكار الحسنة والتحقيقات المستحسنة، وحلاوة التعبير ورشاقة البيان، كانت حوزته تعدّ بالمئات وأكثرهم من شيوخ العلماء وأفاضل الفقهاء، وأمّا ورعه ونسكه وزهده فهو مالا يحدّه القلم ولا يصفه البيان، ولد سنة ١٢٣٤ وتوفّي سنة ١٣١٢ انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ١ ص ٣٥٧. «ع»

فضله وعقله وسمته وهديه، وتكلّمت معه في بعض الفروع والأُصول فوجدته ذا ملكة راسخة، وخطوة فسيحة... .

له من المصنّفات رسالة شريفة في صلاة الليل وآدابها وأسرارها تمثّل الصّلة بينه وبين الله عزّ وجلّ، ورسالة في الجبر والتفويض تدلّ على فضله في المعقول والبيان والنحو والصرف واللغة، وأنّه من الربّانيّين الروحانيّين، ورسالة في الشبهة المحصورة تدلّ على مبلغه من أُصول الفقه، ورسالة في الاجتهاد والتقليد، ورسالة في الولاية العامة تريك فقاهته المعتدلة، وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في أصفهان سنة ١٣٤٧.[١]

وأعقب ولدين فاضلين كاملين. هما السيّد صدر الدين، والسيّد أبو القاسم[٢].

أمّا السيّد صدر الدين ـ بن السيّد محمّد جواد بن آقا مجتهد ـ فقد ولد في أصفهان سنة ١٢٩٥، وهاجر إلى طلب العلم في النجف الأشرف سنة ١٣١٨ ـ بعد أن فرغ من المقدّمات وسطوح الفقه والأُصول ـ فعكف على درس أُستاذنا الإمام الشيخ محمّد كاظم الخراساني، وسيّدنا الإمام السيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي[٣] وغيرهما من الأعلام، وأخذ العلوم الرياضيّة والحكمة عن أساتذتها المهرة.

وقد سلك مسلك أهل الزهد والعرفان فكان دائم المراقبة لنفسه، مواظباً على تكميلها وتهذيبها وتصفيتها.

---

١. وقد ترجمه في نقباء البشر ج ١ ص ٢٣٦ فقال: عالم مروّج، وفقيه جليل، من العلماء الأعلام، والمراجع المحترمين في أصفهان، وكان مروّجاً للدين إلى أن توفّي في ١٣٥٧، له في مجلّة الإسلام مقالات كثيرة في الردّ على النصارى. انتهى ملخّصاً. والصحيح من تأريخ وفاته ما ذكر في نقباء البشر. «ع»

٢. ويعرفان مع ذرّيتهما بصدر عاملي. «ع»

٣. كان بحراً متلاطماً علماً وتحقيقاً ومتانةً، مستحضراً للفروع الفقهيّة ومتون الأخبار، وكان أديباً شاعراً ماهراً في اللغتين العربيّة والفارسيّة. ولد في يزد سنة ١٢٤٧، وانتهت إليه الرياسة العامّة في جميع الأقطار، توفّي سنة ١٣٣٧. انتهى ملخّصاً عن معارف الرجال ج ٢ ص ٣٢٦ وماضي النجف وحاضرها ج ١ ص ١٣٩. «ع»

وقد رجع إلى أصفهان، واشتغل فيها بتدريس الكفاية لأُستاذه الخراساني، وصار يؤمّ الجماعة في مسجد «قصر منشي» وكان الناس يرجعون إليه في مرافعاتهم ومشاكلهم وسائر أُمورهم، وله حواشٍ استدلاليّة على العروة الوثقى، وقد توفّي في أصفهان في ٢٨ جمادى الأُولى سنة ١٣٦٠، وله ولدان: السيّد أحمد ولد سنة ١٣٢٩[١]، والسيّد عليّ ولد سنة ١٣٥١[٢].

وأمّا السيّد أبو القاسم ـ بن السيّد محمّد جواد بن آقا مجتهد ـ فقد ولد خامس ذي الحجّة سنة ١٣١٦، وهو من الفضلاء الكاملين والعلماء العاملين، تشرّف سنة ١٣٣٨ بأعتاب آبائه الطاهرين في العراق فاستجاز من ابن عمّه الإمام الشريف أبي محمّد الحسن الصدر فأجازه إجازةً عامّةً وأثنى عليه، وراقه فضله وفهمه.

ويقيم الآن في طهران، وهو أحد أجلاء علمائها، وممّن يرجع إليه في مهامّ الأُمور وحلّ مشاكلها وله ولدان: السيّد حسن ولد سنة ١٣٤٩[٣]، والسيّد جواد ولد سنة ١٣٥٢[٤].

الصنو الثاني ـ من أبناء السيّد صدر الدين بن السيّد صالح ـ السيّد الشريف أبو الحسن.

ولد رحمه الله تعالى سنة ١٢٤٣، وتوفّي سنة ١٣١٤ وكان عالماً ربّانيّاً متجرّداً للمعارف والعبادة والزهد والانزواء، وترك المعاشرة للناس، حدّث عنه بذلك كلّه صنوه حجّة الإسلام السيّد إسماعيل ﷺ وذكره مرّةً فقال:

> كان جمال السالكين والعارفين، دائم العبادة والمراقبة، لا يترك الرواتب وصوم الأيّام المندوبة، دائم الذكر والفكر.

---

١. لم يعقب إلى الآن سوى بنات. «ع»

٢. له ولد واحد اسمه صدر الدين ولد سنة ١٣٧٩. «ع»

٣. له ولد اسمه حسين. «ع»

٤. توفّي في ذي القعدة سنة ١٣٩٧ عن ولدين محمّد رضا، وعليّ رضا. «ع»

قلت: وكان جدّي الصدوق أبو الحسن الهادي يثني عليه ثناءً بليغاً، ويذكر من علمه وورعه وزهده وعبادته وانقطاعه إلى الله ـ تعالى ـ شيئاً كثيراً، وله ترجمة في تكملة أمل الآمل [ص ٤٤١ ـ ٤٤٢]، ولد له خمسة عشر ولداً، تسعة منهم درجوا أطفالاً، والذين شبّوا منهم وترعرعوا ستّة:

أوّلهم المرحوم المبرور السيّد الميرزا محمّد مهديّ، كان من أهل الزهد والتقوى، وتوفّي سنة ١٣١٤، وأعقب ولدين: السيّد صدر الدين، والسيّد أسد الله.

أمّا السيّد صدر الدين فقد ولد سنة ١٣٠٦ وكان من أجلّاء أهل الفضل، وأكابر أهل المنابر والوعظ، وهاجر إلى العراق واشتغل بطلب العلم، ثمّ رجع إلى أصفهان واشتغل بالتبليغ والإرشاد، وكان لمنبره تأثير بليغ في النفوس، ثمّ انتقل إلى طهران واشتغل في نفس المهمّة إلى أن توفّي في ٢٥ جمادى الأُولى سنة ١٣٧٢ فنقل إلى قمّ بتشييع مهيب حافل ودفن هناك ـ رحمه الله تعالى ـ وله من المؤلّفات مجالس المؤمنين في الأخلاق والمواعظ... .

أعقب ولداً واحداً هو السيّد مهديّ ولد في ٩ صفر سنة ١٣٣٢ ثمّ انتقل إلى طهران ودخل في جامعة المعقول وتخرّج من قسم المنقول، ودخل أيضاً منتدى الوعظ والإرشاد وتخرّج منه، ثمّ هاجر إلى قمّ واشتغل هناك مدّةً، ثمّ رجع إلى طهران وأقام الجماعة في أحد مساجدها مشتغلاً بالوعظ والإرشاد والتدريس.

وله مؤلّفات: منها رسالة اسمها كلام قدسي في تفسير آية الكرسي بالفارسيّة، ورسالة في الصلح وأقسامه ووجه ترغيب الشارع إليه.

وهو من أهل التقوى والأخلاق الحسنة، طيّب السيرة والسريرة[1].

---

١. توفّي عليه الرحمة في أواسط ربيع الثاني سنة ١٤٠٦، وله ولدان: السيّد محمّد المولود في ١٩ ربيع الأوّل سنة ١٣٦٦، والسيّد عليّ المولود في ٣ ربيع الأوّل سنة ١٣٧١، وأُمّهما كريمة المقدّس الإمام السيّد صدر الدين الصدر «ع» وللمزيد راجع ص ٧١٤ ـ ٧١٥، الذيل ٤.

الصنو الثالث ـ من أبناء السيّد صدر الدين بن السيّد صالح ـ السيّد الشريف حسين.

المولود سنة ١٢٥٠، والمتوفّى في أصفهان سنة ١٣٢٧، وكان قبل وفاته بسنتين قد زار العراق، وهو من أجلّاء السادة الأتقياء، وقد أعقب شبلين كريمين:

أحدهما: السيّد العارف الأديب جلال الدين المولود سنة ١٢٨٧، والمتوفّى سنة ١٣٥٧.[١]

الصنو الرابع ـ من أبناء السيّد صدر الدين بن السيّد صالح ـ السيّد الشريف أبو جعفر.

وأمّه كريمة شيخ الطائفة الأكبر الشيخ جعفر، ولد في أصفهان سنة ١٢٥٢ وتلقى العلم عن أخيه آقا مجتهد، وعن حجّة الإسلام الشيخ محمّد باقر بن الشيخ محمّد تقيّ الأصفهاني، واختصّ بسيّد السادة في عصره السيّد أسد الله بقيّة حجّة الإسلام السيّد محمّد باقر الرشتي وكان صهره، وتخرّج في الفقه عليه، فكان بدر العلم الزاهر، وبحر الفضل الزاخر، ذا قدم في الفقه راسخة، ومادّة غزيرة.

كتب بعض المسائل الفقهيّة المشكلة وعرضها على أستاذه ومربّيه ومخرّجه وحميّه، السيّد أسد الله فقرّظها بخطّه الشريف تقريضاً يثبت له ملكة الاستنباط للأحكام الشرعيّة عن أدلّتها التفصيليّة.

وكان السيّد أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ من أهل الحفائظ العربيّة، والحميّة الإسلاميّة، والآداب الفارسيّة، وكان في أصفهان ممّن لا تخالف العامّة أمرهم، ولا تعدو الخاصّة رأيهم، ذا شهرة ونباهة، ومنزلة كريمة. وقد رأيته في النجف الأشرف سنة ١٣١٤ إذ تشرّف بالأعتاب المقدّسة، وكان في أبّهة وعظمة وموكب وحجّاب وحاشية، واحتشد العلماء فمن دونهم لملاقاته، والتفّوا حوله، وانتدوا مكانه، ورأيتهم

١. للمزيد راجع ص ٧١٦، الذيل ٥.

يعظّمونه ويقدّمونه. وبعد رجوعه إلى أصفهان مضى لسبيله وأجاب داعي ربّه سنة ١٣٢٥ فكان يومه في أصفهان مشهوداً[١].

وخلفه أبناؤه الميامين، وهم ثمانية[٢]:

الأوّل: العالم العامل والفاضل الكامل السيّد محمّد ويعرف بميرزا محمّد، المولود في حدود سنة ١٢٨٠.

كان من العلماء الأجلّاء، جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة، كريم الأخلاق، زاهداً عابداً، زار مشاهد آبائه الطاهرين في العراق سنة ١٣١٩ فرأيته على جانب من البرّ والتقوى، يمثّل السلف الصالح في هديه وسكينته. وقد حجّ في تلك السنة بيت الله الحرام[٣]، فاختاره الله إليه يوم الموقف في عرفات ودفن هناك ولا عقب له، أعلى الله درجته كما شرّف خاتمته.

الثاني ـ من أولاد السيّد أبوجعفر ـ: السيّد الشريف عليّ ويعرف بمير سيّد عليّ المولود في حدود سنة ١٢٨٣، والمتوفّى في النجف الأشرف سنة ١٣٣٠، وكان قد هاجر إليها ـ قبل عشرين سنة من وفاته ـ لطلب العلم.

واختصّ بأستاذنا المولى آية الله الخراساني فكان من فضلاء حوزته فقهاً وأصولاً، وكان تقيّاً نقيّاً، ثقةً ثبتاً، من عباد الله ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا سَلَـٰمًا * وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾[٤].

وله ولد يدعى السيّد جواد ولد سنة ١٣١٧[٥]، وللسيّد جواد هذا ولد اسمه السيّد حسين ولد سنة ١٣٦٥.

---

١. وقبره في روضة مختصّة به وهو ظاهر يزار في المقبرة المعروفة في أصفهان بتختة فولاد.«ع»

٢. وهم يعرفون مع نسلهم بخادمي، نسبة إلى أبيهم الملقّب بخادم الشريعة.«ع»

٣. وآثر لنفسه أن يحجّ في خدمة ابن عمّه الشريف أبي هاشم السيّد محمّد بقيّة الإمام أبي محمّد الحسن الصدر، فعزم عليه بذلك فلم يكن لأبي هاشم بدّ من إجابته، فكان معه حتّى قضى نحبه بالوباء يوم الوقوف بعرفات وصلّى عليه ودفنه ثمّة.«ع»

٤. الفرقان (٢٥): ٦٣ ـ ٦٤.

٥. توفّي ليلة أوّل رجب سنة ١٣٩٠.«ع»

الثالث ـ من أولاد السيّد أبو جعفر ـ: السيّد الشريف محمّد تقيّ ويعرف بآقا مجلسي، ولد سنة ١٢٨٦ فأنشأه الله منشأً مباركاً، وأنبته نباتاً حسناً، فشبّ على الهدى والإيمان، وشاب على التقوى والرضوان، وكان طيّب السريرة، قدسي السيرة، من رجالات الخير، وأهل السمت، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، له في الخيرات والمبرّات قدم صدق، تشرّف بأعتاب المشاهد المشرّفة في العراق أيّام هجرتنا العلميّة إليها فقرّت نواظرنا بطلعته البهيّة... وحجّ في تلك الأيّام بيت الله الحرام[١]، وتشرّف بأعتاب المدينة الطيّبة ـ على مشرّفيها الصلاة والسلام ـ ورجع إلى العراق فتزوّد من زيارة آبائه الطاهرين، ثمّ عاد إلى أصفهان مصحوباً بالمجد، مشيّعاً بالثناء والحمد، وكان ذلك سنة ١٣١٩.

وبقي في أصفهان إلى أن كان من الشاه رضا بهلوي ما كان من منكرات الأعمال[٢]، ففرّ السيّد حينئذ بدينه إلى العراق مستجيراً بمشاهد آبائه الطاهرين، متفرّغاً فيها لعبادة الله عزّ وجلّ، وقد قسّم أوقاته الشريفة بين الحرمين الشريفين: الحرم الحائري، وحرم الغريّين، وفرض على نفسه الزيارة لبقيّة المشاهد في كلّ سنة.

ولم يزل كذلك مقبلاً على شأنه، مستوحشاً من أوثق إخوانه، إلى أن دعاه الله فلبّاه، وطاب في النجف الأشرف رمسه ومثواه، وذلك سنة ١٣٥٧.

---

(١) وآثر لنفسه أن يحجّ في خدمة ابن عمّه السيّد محمّد حسين بقيّة الإمام أبي الحسن الهادي الصدر، فعزم عليه بذلك فلم تكن لأبي أحمد مندوحة عن إجابته، فحجّ السيّدان في تلك السنة ورجعا سالمين والحمد لله.

(٢) كحكمه بسفور المؤمنات متبرّجات، وتزيّي المؤمنين بزيّ الكافرين، ومنعه الناس عن حجّ بيت الله الحرام وعن الشعائر الحسينيّة وعن كثير من شعائر الله عزّ وجلّ، وقد أقصى العلماء والأتقياء، وأدنى الجهلة والأشقياء.

وكنت قد اجتمعت به في أواخر سنة ١٣٥٥ وفي أوائل سنة ١٣٥٦؛ إذ تشرّفت تلك الأيّام بزيارة المشاهد المشرّفة، فرأيته منقطعاً إلى عبادة ربّه عزّ وجلّ ينتظر منيّته، معلّقاً عليها أُمنيّته قدّس الله نفسه.

أعرف لهذا السيّد البارّ ولداً اسمه السيّد أسد الله، وقد ولد سنة ١٣١٥، وله ولد اسمه السيّد حسين ولد سنة ١٣٥٣.

الرابع ـ من أولاد السيّد أبو جعفر ـ: السيّد الشريف نور الدين.

كان عالماً فاضلاً قرأ أوّلاً في أصفهان على عدّة من فضلائها، ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف فحضر درس الأُستاذ آية الله الخراساني وغيره من أعلام عصره.

ورجع إلى أصفهان فتوفّي فيها سنة ١٣١٩ على عهد أبيه، وكانت ولادته سنة ١٢٨٩ ولا عقب له رحمه الله تعالى.

الخامس ـ من أبناء السيّد أبو جعفر ـ: السيّد الشريف صدر الدين.

هاجر من أصفهان إلى النجف الأشرف لطلب العلم، وكان معدوداً في الفضلاء والأتقياء، شريكنا في الدرس على كثير من أعلام مشايخنا في النجف الأشرف، بعيد الغور، دقيق النظر في المسائل الأُصوليّة، معتدلاً في مفاد الأدلّة ومجاري الأُصول.

قضى عليه الوباء في النجف الأشرف سنة ١٣٢٢ فكان الأسف عليه عاماً في أوساط النجف الأشرف، قضى في ريعان الشباب وكان كريم الخُلق، جميل الخَلق، خفيف الروح، حسن المعاشرة، حلو الشمائل، لم يعقب سوى بنت واحدة.

السادس ـ من أولاد السيّد أبو جعفر ـ: السيّد الشريف حسن، ولد سنة ١٣٠٤ وقرأ في أصفهان بعض السطوح، وهاجر إلى النجف الأشرف فشمّر عن ساعد الجدّ والاجتهاد، ووقف في طلب العلوم على ساق.

وعرض على صحّته بعض العوارض الملجئة إلى الراحة وتغيير الهـواء، فـعاد إلى وطنه أصفهان فهو من أشرافها الأجـلّاء، وفـضلائها المـحترمين[١]، وله ولدان: السـيّد ميرزا إبراهيم المولود سنة ١٣٣٢[٢]، والسـيّد مـيرزا مـرتضى المـولود سـنة ١٣٣٤[٣] حفظهم الله ورعاهم.

السابع ـ من أولاد السيّد أبـو جـعفر ـ: السـيّد الشـريف شـمس الديـن، عـالم فاضل، ورع كامل، جليل القـدر، كـريم الأخـلاق، له مـنزلة فـي نـفوس الخـاصّة والعـامّة مـن أهـل أصـفهان، يـعدّ عـندهم مـن أعـيان العـلماء، وجـلّة أئـمّة الجماعات، يستصبحون بضوئه، ويهتدون بهداه، ولد سـنة ١٣١٦[٤]، وله سـتّة أولاد على هديه.

السيّد مهديّ ولد سنة ١٣٤٠[٥].

والسيّد رضا ولد في ٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٥[٦]، وللسيّد رضا هذا ولد اسمه أحمد رضا ولد في ٢٢ صفر سنة ١٣٧٣[٧].

والسيّد صدر الدين ولد في رمضان سنة ١٣٤٦[٨] وله بنات.

والسيّد محمّد عليّ ولد سنة ١٣٥١[٩].

١. توفّي عليه الرحمة في ١٤ المحرّم سنة ١٣٧٩.«ع»
٢. يعرف بالسيّد آقا شريعة، وهو يقيم في خرّمشهر يشغل وظيفة كاتب عـدل هـناك، وله ولدان السـيّد عـليّ ولد سنة ١٣٦٧، والسيّد حسين ولد سنة ١٣٧٨.«ع»
٣. توفّي ﷺ سنة ١٣٨٠ ولم يعقب.«ع»
٤. توفّي ﷺ في ٢٧ رمضان سنة ١٣٩٩.«ع»
٥. توفّي دارجاً في سنة ١٣٩٦.«ع»
٦. هو أحد تجّار أصفهان المحترمين.«ع»
٧. هو مجاز في الاقتصاد.«ع»
٨. هو مدرّس في إحدى ثانويّات أصفهان.«ع»
٩. وله ولدان: جعفر ولد سنة ١٣٧٧، ومسعود ولد في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٨٤.«ع»

والسيّد أكبر آغا ولد سنة ١٣٧١.

والسيّد أصغر آغا ولد في ذي القعدة سنة ١٣٧٣[١].

الثامن ـ من أولاد السيّد أبو جعفر بن السيّد صدر الدين محمّد بن السيّد صالح بن السيّد محمّد بن السيّد شرف الدين ـ : السيّد حسين، ولد سنة ١٣١٩، وأخذ المقدّمات وسطوح الفقه والأُصول عن أعلام تلك الديار، ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف، فأخذ الفقه والأُصول عن علمائها الأعلام، ثمّ رجع إلى أصفهان بدر علم زاهر، وبحر فضل زاخر، ونبراس هدىً ساطع، وسيف حقّ قاطع!![٢]

الصنو الخامس

من أبناء السيّد صدر الدين بن صالح ـ سيّدنا ومولانا الإمام الجليل السيّد الشريف إسماعيل ويدعى السيّد الصدر أعلى الله مقامه.

مولده ونشأته وطلبه العلم ولمعة من شؤونه

ولدﷺ في أصفهان سنة ١٢٥٥ وما بلغ التاسعة من عمره الشريف حتّى أُصيب بأبيه، وكان كما قيل ـ أثر النجابة ساطع البرهان ـ : على غاية من الذكاء والفطنة، كأنّما طبع على غرار أبيه، وضرب على قالبه.

احتضنه ـ بعد أبيه ـ أخوه الأكبر السيّد محمّد عليّ، المدعوّ آقا مجتهد، فلم يأل في تربيته جهداً، ولم يدّخر في تأديبه وتهذيبه وسعاً، زقّه العلوم العربيّة وما إليها من آداب، وعلم المنطق، وسطوح الفقه، والأُصول، والرياضيّات، زقّاً، فكان ـ على

---

١. وولد للسيّد شمس الدين بعد أولاده الستّة هؤلاء، ولدان، وهما: السيّد مصطفى، والسيّد مرتضى ولد في ٢٥ صفر سنة ١٣٨٤.«ع»

٢. للمزيد راجع ص ٧١٦ ـ ٧٢٣، الذيل ٦.

حدأثته ـ في كلّ من الصرف والنحو، والمعاني والبيان، والمنطق كالمتخصّص به لا يُعنى بسواه(١).

وأُصيب ـ وهو في التاسعة عشرة ـ بأخيه ومربّيه، فوقف على حجّة الإسلام الشيخ محمّد الباقر بن الشيخ محمّد التقيّ الأصفهاني فعُنيَ بأمره، واهتمّ بشؤونه(٢)، وقام السيّد في أخذ العلوم ـ عن باقرها ـ على ساق، يصل نهاره بليله، وصباحه بمسائه، لا يستوطئ راحةً، ولا يضيع فرصةً.

وأوغل الشيخ في البحث معه عن دقائق الأُصول، ممعناً في التنقيب معه عن غوامض الفقه ـ فقه آل الرسول ـ يستقرئان دقائقها، ويمحّصان حقائقها، حتّى أصبح السيّد في أصفهان ممّن يشار إليه بالبنان.

---

(١) رأيته هو شيخ أناف على الستّين يُحصي مسائل المنطق والنحو والصرف والمعاني والبيان ويستقرئ دقائقها ويحيط بأُصولها وفروعها مستقصياً أطرافها، وكنت ـ ونحن في سامرّاء ـ أرجع إليه في كثير من مشكلات مطوّل التفتازاني وغيره فيفيدني فوائد لم أستفدها من أساتذتي كلّهم، وكان يفيض عليّ من سجّال العلوم العربيّة والمنطق ما يثلج أوامي وما لا أنساه إلى الآن.

(٢) كان الشيخ الباقر هذا من أعلام المحقّقين ـ كما سمعته فيما ذكرناه عنه في أحوال السيّد صدرالدين[1] ـ وكان صهره على العقيلة الجليلة أكمل أخوات السيّد إسماعيل وأفضلهنّ، وكانت من الجلالة والأُبهة والبرّ والتقوى بمكان. وكان لها حظوة خاصّة بزوجها الشيخ محمّد باقر ومنزلة سامية عند الناس ببرّها وإحسانها، وهي أمّ الأئمّة الأعلام من أبناء الشيخ، وهم الشيخ محمّد حسين، والشيخ محمّد تقيّ المدعوّ آقا نجفي، والشيخ نور الله، والشيخ جمال الدين، وغيرهم. استطردنا في الأصل ذكر هذا البيت الرفيع العماد.

---

١. راجع ص ١٦٨ ـ ١٦٩.

وصرّح الشيخ بأنّه أحرز ملكة الاجتهاد، وأنّ لديه مقطع الحقّ ومشعب السداد[١]، وما إن قرع الأسماع صيته، وجاب تلك الأقطار بريد الثناء عليه علماً وعملاً، حتّى هاجر إلى النجف الأشرف؛ ليقف في علمه على إمام المتأخّرين، وخاتمة المحقّقين المتبحّرين شيخنا الشيخ مرتضى الأنصاري ﷺ وحين بلغ كربلاء المقدّسة فوجئ بنعيه، وذلك سنة ١٢٨١ فبلغ الأسف به كلّ مبلغ، وأتى النجف الأشرف.

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ

وحضر مآتم الشيخ، واتّصل بأفضل تلامذته إمام الكلّ الحاج الميرزا السيّد محمّد حسن الشيرازي، فوجد عنده ضالّته التي كان يبتغيها من الشيخ فعكف على دروسه في الفقه والأصول، ووقف في الفقه خاصّةً على فقيهي النجف يومئذ الشيخ مهديّ حفيد شيخنا الأكبر كاشف الغطاء، والشيخ راضي[١] بن الشيخ محمّد النجفي المشهور.

وفي تلك السنة حجّ السيّد بيت الله الحرام، وتشرّف بالمدينة الطيّبة ـ على مشرّفيها الصلاة والسلام ـ وكان ذلك بعزيمة من العلويّة العليا شقيقته الماجدة زوجة أستاذه حجّة الإسلام الشيخ محمّد باقر، وأمّ أبنائه الأئمّة الأعلام.

وفي ذلك العام مُني الحجّاج بقارعة الوباء وكان جارفاً فتك بهم فتكاً ذريعاً فأباد جمّاً غفيراً من حجّاج الآفاق كلّها، وقضى على شقيقة السيّد وجميع رفقائه يومئذ، ونشبت مخالبه بالسيّد نفسه فأشفى على الخطر، لكن الله عزّ وجلّ شافاه بلطفه

(١) مقطع الحقّ ما يقطع به الباطل ومشعب السداد طريقه الفاصل

١. قال في التكملة: كان بحراً متلاطماً في الفقه وفي تمهيد قواعده والتفريع على قواعده، وكان ترجمان الفقهاء في فقه كلمات الفقهاء، والعلّامة في استنباط الفروع من الأصول، لم أر أفقه منه، توفّي سنة ١٢٩٠. انتهى ملخّصاً عن الكرام البررة ج ٢ ص ٥٢٨. «ع»

فرجع ولله الحمد إلى النجف ناقهاً[(١)] وكفى بالأجل حارساً.

وبرجوعه صمد إلى أساتذته الثلاثة المارّ ذكرهم يخوض معهم عباب العلوم، فيغوص على أسرارها، مرهف العزم في استخراج مخبّآتها، نافذ الهمّة في جمع أشتاتها، كثير التصرّف والتقلّب في البحث عن دقائقها، حُوّلاً قلباً في تمحيص حقائقها.

وكان أساتذته الثلاثة ممّن لا يدّخرون عن تلامذتهم وسعاً، ولا يألون في تثقيف حوزتهم جهداً فما خاب فيهم أمل السيّد، ولا خدعته فيهم أُمنيّته، وإنّما أنزل آماله منهم منزل صدق، وابتغى بهم أمانيه من مبتغاها ؛ إذ عقدوها بالفوز، وذيّلوها بالنجح، فكان يجرّ أذيال الغبطة بهم، ويرفل[١] في برود السرور بما أخذه عنهم من العلم والحكمة اللتين كان ينشدهما.

وفي ١٢٨٧ تأهّل بالعقيلة الجليلة أمّ أولاده الأبطال الميامين، وهي كريمة ابن عمّه الإمام أبي الحسن الهادي بن السيّد محمّد عليّ بن السيّد صالح، وكانت ـ على حداثتها يومئذ ـ من العقل والدين والأخلاق والآداب والاعتدال بمكان[(٢)]، فجمع الله بها شمله،

(١) وكان ذلك سنة ١٢٨٢ وما أشبه حاله في حجّه بحاله في زيارته للإمام الثامن الضامن عليه السلام ؛ إذ لقيه وهو قافل من خراسان حيوان في بعض المنازل يدعى عندهم غريبگزيا فاعتلّ مزاجه حتّى أشفى على الخطر، ثمّ شفي ـ ولله الحمد ـ بعد اللتيّا والتي، فأتى سامرّاء ناقهاً وكانت زيارته هذه سنة ١٣٠١ ـ وفي أعيان الشيعة[٢] سنة ١٣٠٠ والصحيح ما قلناه ـ لقي فيها من علمائها وأعيانها وسوادها من الجلالة والعظمة ما يليق بشأنه، وخصوصاً في خراسان، على أنّه كان يؤثر البساطة، ويكره الأبّهة والشهرة.

(٢) توفّيت ـ رضوان الله عليها ـ سنة ١٣٣٠ في كربلاء المقدّسة ودفنت في النجف الأشرف، وهي خالتي شقيقة المرحومة والدتي. وكان زفافها إلى السيّد ليلة زفاف والدتي إلى المقدّس والدي في الكاظميّة منتصف شعبان سنة ١٢٨٧.

١. يَرفَلُ: أي يُكثر الحركة ولا يستقرّ. لسان العرب ١١: ٢٩٢، «ر. ف. ل».
٢. أعيان الشيعة ٣: ٤٠٣.

وأرغد بها عيشه، وقرّت بها عين والدته الجليلة، وكانت كما قيل:

فلم تك تصلح إلّا له ولم يك يصلح إلّا لها

وفي سنة ١٢٩١ أصابه ضعف في قواه، وهزال في جسمه بجهوده في العلم والعمل آناء الليل وأطراف النهار، مع زهده في الدنيا، وتقشّفه في العيش، وجشوبة في المأكل، وخشونة في الملبس، ومراقبة للنفس في حركاتها وسكناتها. فألزمه الأطبّاء بتغيير الهواء، فأمّ أصفهان مسقط رأسه، وموضع أُنسه، ففتحت له باع الترحيب، وأحلّته صدرها الرحيب، فعكف أهل العلم عليه، أُنساً به وإخلاداً إليه، واحتفل حشد الناس لديه خاصّةً وعامّةً، واحتفل جمعهم في خدمته حاكماً ومحكوماً، وغصّ المسجد الجامع في أصفهان بجماعته في الفرائض الخمس، وانتظم عقد اجتماع الناس عليه في سائر الأوقات، فكانت له الجلالة تطامن لديها المفارق، وتعنو لها الجباه، فأخذت هذه الأبّهة بكظمه[1]، وضيّقت خناقه؛ إذ كان من طبعه كراهة الظهور، وحبّ البساطة في كلّ الأمور؛ لذلك عقد نيّته على الفرار، وطوى كشحه على الهرب من تلك الديار، فخرج من أصفهان على وجه لا يشعر به أحد.

وتنكّب الطريق حتّى أتى العراق... فوجد أُستاذه الإمام السيّد الشيرازي قد هاجر إلى سامرّاء، وقد استتبّت له الرئاسة العامّة في الدين، وانحصر أمر التقليد به في جميع الأقطار، ومذ بلغه رجوع السيّد من أصفهان إلى النجف الأشرف دعاه إليه يستعين به في مهمّاته العلميّة والعمليّة في تلك الزعامة العامّة. فلبّاه السيّد مهاجراً إليه. فكان واسطة العقد من أعلام حوزته المقدّسة، وله فيها الغرّة الواضحة، والقدح المعلّى غير مدافع ولا معارض، واستمرّ في سامرّاء حتّى توفّي في النجف الأشرف ابن أُخته

(١) الكَظَم ـ بالتحريك ـ: مخرج النفس.[1]

١. راجع: لسان العرب ١٢: ٥٢٠؛ القاموس المحيط ٤: ٢٤٢، «ك. ظ. م».

آية الله أبو الرضا الشيخ محمّد حسين ابن حجّة الإسلام الشيخ محمّد باقر، وكانت وفاته سنة ١٣٠٨[1] توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ عن ولده الرضا طفلاً، وعن زوجته العلويّة أمّ الرضا وهي بنت السيّد محمّد عليّ ـ آقا مجتهد ـ أخي السيّد ومربّيه، وكان لهم يومئذ في النجف الأشرف مهمّات لا يمكن إنجازها إلّا بحضور السيّد صاحب العنوان فوافاهم لإنجازها، وما إن أتى النجف حتّى هرع إليه روّاد العلم يبتغون بقاءه بين ظهرانيهم، وعكفوا عليه يأخذون عنه، لكن أُستاذه السيّد المقدّس أبى ذلك عليهم وعليه، فكتب إليه يستحثّه على الرجوع إلى سامرّاء، وعزم عليه في ذلك، وضيّق عليه في هذا، فوافاه كتاب أُستاذه وهو في كربلاء منتصف شعبان سنة ١٣٠٩ فلبّى مسرعاً.

وكان السبب في ذلك أنّ السيّد أُستاذه لمّا كثرت أشغاله وكبر سنّه ضعف عن التدريس، فرأى أن يقيم عنه بدلاً في ذلك، فاستدعى السيّد لهذه المهمّة ففوّضها إليه وإلى كلّ من الإمامين آيتي الله السيّد محمّد الأصفهاني الحسيني، المتوفّى في النجف الأشرف سنة ١٣١٨، وشيخنا الميرزا محمّد تقيّ الشيرازي، المتوفّى في كربلاء سنة ١٣٣٨ أعلى الله مقامهم ونفعنا ببركاتهم.

وكان هؤلاء الثلاثة على عهد أُستاذهم أقطاب أرحية العلم والتدريس في سامرّاء، وهم المحور، وعليهم المدار، بإجماع من كان في سامرّاء من أعلام الدين، وأساطين المجتهدين.

وكان ثمّة طبقة ثانية في التدريس على وتيرة الأُولى، وطبقات أُخر بعضها دون بعض.

والسيّد إسماعيل أوّل الثلاثة ومقدّمهم، كان ابن جلاها، وطلّاع ثناياها، تمتدّ إليه أعناق الجميع، ويَرِنّ صيته في الأقطار.

---

(١) وقد أرّخها بعض أعلام الأدب والفضيلة فقال:

بحـر علم قـد فـقـدنا ... ه فـا أغـزر عـلـمَهْ

قد بكته السحب صيفاً ... واكتسى العالـم ظـلـمَهْ

مـذ تـوفّي أرّخـوه ... ثـلم الإسـلام ثـلمَهْ

وقد أدركت أواخر ذلك العهد، حيث شمل الدين والعلم كان مجتمعاً، والحبل كان متّصلاً، والشعب ملتئماً، والمزار أمّماً[١]، والدار جامعةً، وكانت تلك الحوزة كأنجم الثريّا، أو كالبنيان المرصوص، والسيّد كان وجهتها وقدمتها، وقلبها النابض، ودماغها المفكّر. وما زال في سامرّاء قطب رحى العلم والعمل حتّى أُصيب الإسلام بالعاصفة القاصفة، والقارعة الفاجعة، وفاة السيّد أُستاذه وذلك سنة ١٣١٢، فأشاد أهل الفضل بذكر السيّد حتّى استطار استطارة البرق في الآفاق.

فامتدّت إلى تقليده أعناق كثير من الناس، ملقين إليه مقاليد أمرهم في الأحكام الشرعيّة.

وفي سنة ١٣١٤ خرج من سامرّاء لأُمور اقتضت ذلك فلحقه معظم علمائها البررة(١) وجميع المحقّقين من تلامذته(٢).

واستوطن السيّد كربلاء لائذاً بسيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء، فكان من أفضل مراجع الأُمّة، تنزع إليه في كلّ مهمّة.

وفي سنة ١٣٣٤ اعتلّ مزاجه فأتى الكاظميّة لتغيير الهواء، ومراجعة الأطبّاء، ولم يزل ثَمّة حتّى قضى نحبه، وأجاب داعي ربّه، رحمة الله وبركاته عليه.

شذرة من خصائصه المقدّسة

كان ﷺ قليل النظير في قدسي نفسه، نادر القرين في قدسي أخلاقه، لا تفتح العين على أفضل منه في قدسي غرائزه، قد انفرد عن مواقف الأشباه في قدسي أفعاله

---

(١) كالمقدّسين الشيخ ملاّ فتح عليّ السلطان آبادي، والشيخ ميرزا حسين النوري، والسيّد حسن الصدر، والسيّد إبراهيم الخراساني وأمثالهم.

(٢) كالشيخ حسن الكربلائي، والميرزا حسين النائيني، والسيّد عليّ البستاني وأمثالهم.

---

١. أمّم: مقابل الشيء والقرب. راجع المعجم الوسيط: ٢٧، «أ. م. م».

وأقواله، لايدرك قرينه في محاسبة نفسه ومراقبتها آناء الليل وأطراف النهار، قد قصر سمعه وبصره وفؤاده وسائر حواسّه وجوارحه في حركاته وسكناته على ما يرضي الله تعالى، ويقرّبه إليه زلفى.

فإذا نطق أوصمت، فإنّما ينطق ويصمت لله.

وإذا تحرّك أو سكن فإنّما يتحرّك ويسكن لله ـ عزّ سلطانه ـ كأنّما هو ماثل بين يديه، أو أنّ الله ـ سبحانه ـ نصب عينيه، يرقبه في جلواته وفي خلواته، وفي سائر أوقاته فيتحرّى العبادة له في كلّ مايلفظه من حرف، أو يلحظ بطرف، وفي كلّ ما ينطوي في ضمائره، أو يسنح في خواطره، أو يستمع من قول، أو يؤثره من فعل أو ترك، وبهذا كانت له الجلالة تعنو لها الجباه، والمهابة تملأ الصدور إكباراً، على ما فيه من تواضع النفس لله ـ عزّ وجلّ ـ وخفض الجناح للمؤمنين.

وكان مِن أجمعِ العلماء والأعلام لأشتات العلوم نقليّةً وعقليّةً، مشاركاً فيها مشاركةً تامّةً، إماماً في الفقه وما إليه، من أُصول وحديث وتفسير، وغيره من العلوم والفنون، حجّةً في كلّ ما يستنبط من الكتاب والسنّة من حقائق ودقائق، عقليّةً ونقليّةً، بحراً لا يسبر غوره، ولا ينال دركه.

شذور من أقوال مترجميه

عني بترجمته جماعة من أثبات الأثبات، وأعلام الثقات، وحسبك منهم سيّدنا ـ أعلى الله مقامه ـ إذ ترجمه في تكملة الأمل [١] ترجمةً مفصّلةً(١).

---

(١) وله ترجمة مفصّلة بقلم بعض الأعلام كتبها على عهد السيّد، ونشرها صاحب العرفان في ص ١١٥ وما بعدها من المجلّد الثاني من عرفانه... وترجمه بعد وفاته بعض الأفاضل ترجمةً مفصّلةً نشرتها مجلّة الهدى تباعاً في أربعة أجزاء من مجلّدها الثاني... وذكره الثقة ←

---

١. تكملة أمل الآمل : ١٠٤ـ١٠٦، الرقم ٤٢.

وذكره العلّامة السيّد الشريف محمّد رضا من آل فضل الله الحسني العاملي العيناثي[١] في رسالة له عصماء أفردها لوفاة سيّدنا الإمام السيّد محمّد حسن الحسيني الشيرازي، وما حولها من تشييعه والصلاة عليه ومواراته، ومحافل مآتمه وتأبينه ومراثيه ـ أعلى الله مقامه ـ فقال في آخر تلك الرسالة الشريفة ما هذا نصّه:

ثمّ انتدبت إلى رثائه مع الشعراء، وكنت عزمت على ترك الشعر، لكن بعض الأجلّاء من السادة عزم عليّ، وكان لابدّ لي من إجابته، فتخلّصت من رثائه إلى قطب رحى الإسلام، وسفير حجج الملك العلّام، خاتمة المحقّقين، وخلاصة الفقهاء، ونخبة المجتهدين، رئيس الملّة، ومالك أزمة الشرع المبين، وإمام الأمّة، وسنام هذا الدين حجّة الإسلام المولى الأعظم السيّد إسماعيل صدر الدين الموسوي شدّ الله به أعضاء الملّة، وجمع به على الحقّ شمل الأمّة؛ إذ لعمري هو الشمس التي تجلّت في سماء الشريعة أقمارها، وأشرقت بشعشعاني سنائها أقطارها، وشجرة الدين التي تدلّت على أفواه الجانين أثمارها، وأشرقت في أكمام الرشد والهداية أزهارها، فبطالع طلعته أشرقت الأيّام بعد الإظلام، وبيمن نقيبته سلكت سبيل الرشد إلى ربّها الأنام، وانكشفت عنها حلك غاشية الجهل بعد حندسه، ولاح لها صبحها بعد السرار في تنفسّه، وعاد إلى عودها بعد الجفاف

ـ الحجّة الشيخ عبّاس القمّي في باب أولاد الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في كتابه. منتهى الآمال[٢] حيث ترجم السيّد صدر الدين العاملي وآباءه وأولاده... وللسيّد ترجمة في الجزء الثاني عشر من المجلّد الثالث عشر من كتاب أعيان الشيعة[٣] ص ١٢٤ وما بعدها حكى فيها كلمةً مجحفةً ليت أعيان الشيعة كان خلواً منها ومن أمثالها.

١. من الشخصيّات العلميّة الأدبيّة الفذّة، ولد في عيناثا سنة ١٢٨١، نال مقاماً كبيراً عند المراجع العليا، واتّجه إلى الاستفادة منه فريق من الفضلاء، وشعره من النوع الجيّد المطبوع كما له نثر بليغ. توفّي في قانا سنة ١٣٣٦. انتهى. معارف الرجال ٢: ٢٨٤؛ شعراء الغريّ ١٠: ٤١٩.

٢. منتهى الآمال ٢: ٤١٣.

٣. أعيان الشيعة ٣: ٤٠٣.

ماؤه، وآب إليه لينه وبهاؤه، فأكرم به إماماً سائساً للشريعة، وحكماً عن الله ورسوله مالكاً لأزمّة الشيعة، وأنعم به خير خلف منتخب، أقامه الله بدلاً عن خير سلف منتجب.

لو لم يكن صدر هذا الدين يخلفه ظلّاً على حين لا فرع، ولا شجرُ
لاستفحل الغيّ والإضلال أضرمها ناراً يـنمّ عـلى ضـوضائها الشررُ

وأنّى لا يكون كذلك وقد مزج العلم بالحلم، والشرف بالتواضع، وجمع بين سيادة وجلالة، ووقار وسكينة، وهدىً وسداد، وتقىً ورشاد، مع رزانة خفّت لها أركان هضبة يذبل، في هيبة تدع النواظر في مكان الأرجل، مندمجاً على تيار علم لا يعرف ساحله، وينبوع فضل لا يظمأ ناهله، تصفّقه نسمات أُخلاق عليلة، مشفوعة بفرائد صفات جليلة، مقرونة بوابل جود طويل المدى، ودلاح كرم أزرى بهطل الهاطلات إذا ما راح أو غدا.

طود ثقيل الضواحي في أظـلّته والمسنتون إذ الرمضاء تستعرُ
كنز المـؤمّل زاد السفر بـهجتهم ذخر الوفود الذي تشقى به الجزرُ

مع ما هو عليه في نفسه من دقّة المراقبة، وشدّة المحاسبة، وكثرة المجاهدة، والتصفية لها من الأكدار الدنيويّة، والنهوض بها على التجرّد من الملابس الطبيعيّة.

يـرى أنّـه إن جـاء يـوماً بـغفلة هي الكفر أو قد كان من دونها الكـفرُ

فكلامه ذكر، وصمته فكر، ونظره اعتبار.

ما أطلق الطرف يوماً في مناظره إلّا وقـد نـال كـنز العـبرة النـظرُ

وحيث كان في هذه الأخلاق الحميدة، والمآثر الفريدة، والغرر السعيدة، بمكانة هي أوضح من الشمس في رابعة النهار، ولا سيّما فيما فيه صلاح الأُمّة ولمّ شعثها ونظم أمرها، وتعديل جهاتها من سياسة دينها ودنياها، أصبح وهو الراية التي طمحت إليها بعد موت السيّد المقدّس الأبصار، والعقد الذي تـقلّدت بـه الأجـياد مـن سـائر الأقطار، والعـلم الذي عكـفت عـلى الاعـتصام بـه الخـاصّة، وألقت إليـه مـقاليدها العامّة، وأضحت به أُمور الشريعة متّسقةً، كما كانت في أيّام السيّد المقدّس مستوسقة. إلى آخر كلامه.

وذكره شيخ آل كاشف الغطاء في هذا العصر الشيخ محمّد حسين في عبقاته العنبرية المختصّة بأسرتهم الجعفريّة، حيث استطرد فيها أصهار جدّهم الشيخ الأكبر، فكان صدرهم السيّد صدر الدين. وبعد ترجمته استطرد ذكر بنيه، فقال حين أتى على ذكر السيّد إسماعيل:

هو سيّد الفقهاء المحقّقين، وعمدة العلماء الأساطين، حجّة الإسلام والمسلمين، وأبو الأرامل والأيتام والمساكين، حجّة الله في أرضه، ووليّه في بسطه وقبضه، ذو الوفاء والبهاء، والهيبة والسناء، والرفعة والعلاء، سيّدنا ومولانا ومقتدانا السيّد النبيل، والسند الجليل السيّد إسماعيل، أنارالله به جبهة الدنيا، وجعل كلمته هي العليا.

حضر مدّة في الفقه على الإمامين العلمين الشيخ مهديّ والراضي المرحومين المبرورين.

وفي الأصول على جناب حجّة الإسلام الميرزا محمّد حسن الشيرازي، وبعد وفاته رجع إليه بالتقليد أغلب الفضلاء الأماجيد، وصار طوع إرادته أعظم البررة المقدّسين، والأخيار المحتاطين (١) في أمور الدنيا والدين.

فصار وإن نازعوه الإمـا ... م وكان أبوه برغم الأنوفْ

فبقي مقلّداً رئاسة الدنيا والدين، مجتهداً في عبادة ربّ العالمين وغيره.

رام التحلّي بها جهلاً بفطرته ... وهل تسوغ لأنثى حلية الرجلِ

(١) كشيخنا الشيخ ميرزا حسين النوري صاحب مستدركات الوسائل، المولود سنة ١٢٥٤ والمتوفّى في النجف الأشرف سنة ١٣٢٠، وشيخنا الشيخ ملّا فتح عليّ السلطانآبادي المتوفّى سنة ١٣١٨، وسيّدنا السيّد مرتضى الكشميري الرضوي، وشيخنا الميرزا إبراهيم بن محمّد عليّ بن أحمد المحلّاتي الشيرازي المتوفّى في شيراز سنة ١٣٣٦، وسيّدنا السيّد إبراهيم بن السيّد محمّد عليّ الخراساني المتوفّى في الكاظميّة سنة ١٣٢٨، وكثير من أمثال هؤلاء الأئمّة الأعلام؛ إذ أرجعوا الناس إليه بعد أستاذهم الإمام الشيرازي، ونشروا تفصيله في أقطار البلاد الإماميّة.

ولكنّه خرج بعد أُستاذه الميرزا من دار هجرته سامرّاء لأُمور أوجبت خروجه منها، ولم تساعده الاستخارة إلى الآن على الإقامة بمكان. فبقي:

فيوماً بحزوى ويوماً بالعقيق   وبالعذيب يوماً ويوماً بالخليصاءِ

من سامرّاء إلى الكاظميّين إلى كربلاء إلى النجف وهلمّ عكساً. على أنّه لو أقرّه الزمان في بعض الأوطان، لعنّا له جميع الأعيان، وأقرّ له الكلّ بالإذعان، وركن إليه سائر الأساطين والأركان، ولكنّ الله يفعل ما يشاء. فيا أدام الله البقاء. وجلابه عن غرّة الدهر هذه الغماء. انتهى[١].

وألّف بعض الأعلام[(١)] رسالةً على أثر فقد السيّد أفردها لتأبينه ببيان هديه تحت عناوين من خصائصه، جعلها فصولاً تمثّل سيرته تمثيلاً، وإليك منها فصولاً لا يتّسق كتابنا ولا تستوسق مئيتنا إلّا بها، وهي ما يلي:



لمحة من أخلاقه وسيرته

قال ﷺ تحت هذا العنوان ما هذا لفظه:

يريد الكاتب أن يتمثّل الفقيد تمثيلاً أخلاقيّاً، ويصوّره للملإ العام تصويراً أدبيّاً؛ حرصاً على بيان ما أودعه الله فيه من الفواضل، واكتسبه من الفضائل، ولكنّ اليراع لا يستطيع الإعراب عن ذلك، والكاتب لا يرى عبارةً تكشف عن هذه الحقائق.

كان ﷺ ذا هيبة في بشاشة، ورهبة في طلاقة وجه، ووقار في تواضع، وسكون في رقّة أعطاف، وشدّة في لين، وعقل وحزم وثبات، ونظر دقيق في عواقب الأُمور، وفراسة غريبة فربما عرف الرجل بالنظر الأوّل، حسن البيان، عذب اللسان، طيّب المحضر،

(١) هو شيخنا الحجّة الشيخ راضي آل ياسين ﷺ.

١. المؤسف عليه جدّاً أنّ هذا القسم من العبقات فقد ولم يصل إلينا.
وراجع أيضاً ترجمته في نقباء البشر ١: ١٥٩؛ معارف الرجال ١: ١١٥؛ منتهى الآمال ٢: ٤١٢ ـ ٤١٣؛ گنجينة دانشمندان ١: ٣٣٠؛ ريحانة الأدب ٣: ٤٢١ ـ ٤٢٣.

هشّاً بشّاً. ترى الرجل في حال رغبته إلى الحضور بين يديه والكلام معه قد ملئ هيبةً منه، وربما ارتج[١] على بعضهم.

ومع أنّه كان يعامل أولاده بل غيرهم معاملة الرفيق الشفيق، فلم يكن أحدهم يجسر على الكلام عنده قبل أن يبتدئ هو به اللهمّ إلّا بأقلّ ما ترفع به الضرورة.

أمّا زهده وتوكّله وتورّعه فحدّث عنه ولا حرج. قد قطع من هذه الفضائل مراحل سامية، ومراتب عالية. انقادت إليه الدنيا من غير سعي وهو معرض عنها، وأتته الرئاسة العامّة عفواً. وهو يتباعد منها قولاً وعملاً.

ولم يظهر عليه تفاوت في أحواله المعاشيّة والمنزليّة. وفي شؤونه الأخلاقيّة والطبيعيّة، قبل الرئاسة وبعدها. لم يتّخذ خادماً، ولم ينصب حاجباً، ولم يشكّل حاشيةً، بل هو يفرّ من كلّ ذلك فرار الصحيح من الأجرب.

يمشي وحده، ويسافر وحده ويجيب عن المسائل الواردة إليه مع كثرتها بنفسه وبخطّه الشريف، وهو في جميع هذه الأحوال دائم المراقبة في أقواله وأفعاله، وحركاته وسكناته، شديد في ذات الله يغضب لغضبه ويرضى لرضاه. لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يلويه عن الصواب عتب عاتب.

لا تغيّره الوسائل، ولا تؤثّر فيه الوسائط. ولا يعرف المحاباة والمصانعة. وفي حال أنّه يحفل بملاقيه وزائره، فإنّه يراعي الآداب الشرعيّة بل والعرفيّة في تمام خصوصيّاته، وكان شديد التأثّر في الحوادث النوعيّة، والوقائع الخصوصيّة والعموميّة، التي تمسّ الإسلام والمسلمين، وكلّ ما لم يبتنِ من الأمور على أساس صحيح، ولا يصدر عن نيّة صادقة، ولو في أقاصي البلاد. فضلاً عن البلد الذي هو فيه. وكان لا يصرف سهم الإمام عليه السلام على نفسه وأهل بيته مع التزامه بعدم الاستقراض من أحد إلى زمان وفاته رحمه الله وله في إيصال الحقوق الشرعيّة والوجوه البرّيّة إلى الفقراء والضعفاء من أهل العلم وغيرهم طرق خاصّة وأبواب مختلفة لم تعهد من غيره. فكانت صلاته وعطاياه خفيّة، وهداياه غير معروفة ولا مشهورة، يتقاضاها الرجل وهو لا يدري من أين جاءت.

---

١. رَتِجَ: أي استغلق عليه الكلام. المعجم الوسيط: ٣٢٧، «ر. ت. ج».

وربما كان الطالب من أهل العلم والرجل من غيرهم يعيش مدّةً طويلةً يراتب من الفقيد وهو لا يعلم من القائم بأمور معاشه، وربما أعان بعض المحترمين بصفة القرض؛ صوناً لماء وجهه؛ وحفظاً لشرفه.

وربما أوعز إلى بعض التجّار أن يقرضوه ثمّ لا يأخذ منه، وطالما كان يهيّء في فصل الشتاء منازل لفقراء الزائرين تقيهم البرد والجوع، ولا يعرف غالب الناس من المؤسّس لهذا المشروع الخير الضامن لحياة أُولئك البؤساء، وكان لا ينظر في العطاء إلّا احتياج الرجل فيزيده على حسب حاجته، ولا تكون الجهات الخارجيّة والشؤون الاعتباريّة سبباً لمزيد عطاياه وتضاعف هداياه، بل لا يفرّق في ذلك بين الأرحام وغيرهم، ولا بين القريب والبعيد، و[لا] بين المتّصل بخدمته والمنقطع عنه، و[لا] بين من يحضر مجلس درسه ومن لا يحضر، وقلّما كان يقبض الحقوق الشرعيّة بيده، بل يضعها عند بعض التجّار الأخيار حتّى تقسّم بين أهلها، وكان يأذن لمقلّديه إذناً عامّاً في دفع الحقوق الشرعيّة حتّى سهم الإمام إلى فقراء بلدهم وأهل العلم عندهم مع حاجتهم، ولا يلزمهم بالحمل والنقل.

خطته في الدرس والبحث

قال ﷺ تحت هذا العنوان ما هذا نصّه:

كان السيّد ـ طاب ثراه ـ عالي الفهم، حسن السليقة، حلو المذاق، مستقيماً معتدلاً، ذا نظر صائب، وفكر ثاقب، إذا تكلّم في الفقه والأحاديث وكلمات العلماء رأيته أوّل عارف بلحن الخطابات العربيّة، والواقف على دقائق التعبيرات الخفيّة، مع سلامة ذوق، واستقامة فهم، وصحّة وجدان.

وإذا تكلّم في المسائل النظريّة الأُصوليّة أو غيرها نظر إلى الحقائق بنظر صائب، فاستخرج دقائقها من كنوزها.

وكان إذا شرع في درس كتاب من كتب الفقه، أو مسألة من مسائل الأُصول وقف على ما هو المهمّ في باب، وما هو كالأصل في المسألة، فتكلّم فيه دون غيره، حرصاً على

حقائق المطالب، ومهمّات المسائل، وتوسعةً لأوقات أهل العلم، وقد أخذ هذه الخطة الحسنة عن السيّد أُستاذه ﷺ .

وكان من حاله وطبعه عدم الاعتناء بغير الحقائق، وترك بعض الجهات التي لا حقيقة لها، ولا فائدة فيها.

ولهذا ترك سيّدنا الفقيد التدريس العمومي الذي كان يحضره جمّ غفير من صنف أهل العلم أيّام إقامته في كربلاء، وصار يدرّس في دار بعض الخواصّ من تلامذته من أهل الفضل والعلم، كلّ ذلك طلباً لمزيد الإفادة والاستفادة، وإعطاء مجال لأفاضل تلامذته في النقض والإبرام، وتمحيص الحقائق، وتنقيح المطالب والمسائل.

وربما طال درسه فبلغ زمانه الساعتين بل الثلاث، وهو على نشاطه الأوّل، ورغبته في البحث والتحقيق، وكان له ولع غريب في المذاكرات العلميّة، ولو في العلوم العربيّة، فضلاً عن علوم القرآن والفقه والأُصول، وقلّما حضر مجلساً من المجالس ولم ترتفع فيه أصوات المتباحثين حتّى عرف بذلك بين العلماء والأفاضل.

وأصبح إذا ورد إلى بلد من المشاهد في العراق التفّ أهل العلم حوله، وانعقدت مجالسهم ومحافلهم في ما سأل عنه السيّد أو في ما قال.

وكان من علوّ همّته ورفعة نظره أنّه لا يرى ما يكتبه من المؤلّفات موافقاً لطبعه، ولما يريد من نفسه، بل كأنّه يطلب خيراً منه ومن المعلوم أنّ من كان كذلك لا يخلّف تأليفاً ولا تصنيفاً تامّاً، ولا يبقى بعده هذا الأثر الجميل ـ وينقل مثل ذلك عن السيّد أُستاذه ـ .

نعم إنّ هناك بعض تقريرات في المسائل الأُصوليّة والفقهيّة لبعض أفاضل تلامذته ممّن كان يحضر مجلس درسه.

منها: ما كتبه المرحوم السيّد مهديّ الطباطبائي الشهير بالحكيم بصفة الشرح على منظومة المرحوم الشيخ موسى شرارة العاملي في الأُصول، فإنّه أودع فيها ما استفاده من تحقيق سيّدنا الفقيد.

ومنها: تقريرات أُخر لبعض فضلاء تلامذته في أبواب مختلفة في الفقه والأُصول، مثل ما كتبه بعض الأفاضل من أهل كربلاء في الأرض الخراجيّة، ومنجّزات المريض،

ومسألة اللباس المشكوك، وكثير من مسائل البراءة والاستصحاب وغير ذلك من قطعات متفرّقة رأيت بعضها.

تحصيله وأساتذته

قال ﷺ تحت هذا العنوان ما هذا عين لفظه:

عرفت ممّا تقدّم أنّه توفّي والده وهو في الثامنة من عمره[١] فقضى الدور الأوّل من أدوار تربيته، والمدرسة الأُولى في تحصيله، برعاية والدته المرحومة، وكانت من عقائل النساء[٢] المتديّنات، ولم تملك ولداً سواه، فربّته في حجرها التربية العائليّة السامية التي هي أساس كلّ تربية، ونشأ مفطوراً على حبّ العلم والمعارف، واكتساب مكارم الأخلاق، والسعي وراء تحصيل الكمالات الظاهريّة والمعنويّة، متّخذاً خطّة آبائه الكرام في صرف أوقاته غالباً في درس العلوم والمعارف.

وربما حدّث ـ طاب ثراه ـ أحياناً عن كيفيّة اشتغاله أيّام كان في أصفهان بما يكشف عن همّة عُليا، وعزم صادق، فكان له فيها أيّام اشتغاله في درس السطوح اثنا عشر بحثاً بين تعلّم وتعليم، ومباحثة بين اثنين، وربما زاد عن ذلك، وربما كان يجلس في بعض ليالي

(١) بل كان في التاسعة كما بيّناه[١].

(٢) كانت من جلائل العقائل حرّةً برّةً مقدّسةً صوّامةً قوّامةً حليفةً للقرآن والأدعية المأثورة، مخلصةً في أعمالها، حكيمةً في تدبير منزلها وتربية ولدها وترتيب شؤونها، من قوم في أصفهان من أبرار التجّار وأوفاهم ذمّةً، عنيت بتربية وحيدها السيّد، فكان وهو ناشئ كأنّما ربّته الملائكة، وهاجرت معه إلى العراق تتولّى بنفسها شؤونه البيتيّة بكلّ حكمة حتّى زوّجته كريمة ابن عمّه وكانت عروسه طفلة فتولّت تعليمها حتّى اتقنت مايلزم لهذه الحياة، ولم تتوفّ أمّ السيّد حتّى أقرّ الله عينها ببلوغ وحيدها الغاية علماً وعملاً وجلالةً. ورأت حفيدها المهديّ يملأ العين حسناً، ويملك الطرف ملاحةً. وكان وفاتها سنة ١٢٩٩ رحمها الله تعالى.

١. تقدّم في ص ١٩٩.

الصيف للمذاكرة في المسائل العلميّة ثمّ لا يشعر إلّا والمؤذّن يقول: الله أكبر، لصلاة الغداة(١) كان يحدّث بذلك أولاده وبعض أهل العلم تنشيطاً لهم في مزاولة البحث والدرس والمذاكرة. وهكذا كانت أوقاته غالباً مصروفةً في المسائل العلميّة الأُصوليّة والفرعيّة إلى أواخر عمره، حتّى في مرض وفاته، فإنّه لم يترك هذه الخطة المحمودة مع الإمكان... وقد حضر على عدّة أساتيذ، وأهمّهم فائدةً لهم خمسة:

أوّلاً: العلّامة الفاضل أخوه الأكبر السيّد محمّد عليّ المعروف بآقا مجتهد، المتوفّى سنة ١٢٧٤. وكان من نوادر الزمان علماً وعملاً، جيّد القريحة، مستقيم الذوق على الفهم، كثير الحفظ، ينظم الشعر الفارسي الجيّد، قرأ عليه سيّدنا الفقيد بعض الكتب الأُصوليّة والفقهيّة، وربما قرأ عليه العلوم العربيّة والرياضيّة أيضاً.

ثانياً: حجّة الإسلام الحاجّ الشيخ محمّد باقر بن أُستاذ المحقّقين الشيخ محمّد تقيّ الأصفهاني صاحب هداية المسترشدين، وكان الباقر ـ رحمه الله تعالى ـ من أفاضل العلماء المحقّقين، انتهت إليه الرئاسة في أصفهان وبلاد أُخر من إيران في أُمور الدنيا والدين، حضر عليه سيّدنا الفقيد ما يناهز عشر سنين في الفقه والأُصول، وخصّه ببحث خارج بغير شريك معه، ثمّ اتّسع نطاق بحثه فحضره جماعة من أهل الفضل،

(١) حدّثني الفقيه العلّامة الشيخ مهديّ الخالصي الكاظمي شارح الكفاية في الأُصول قال ـ رحمه الله تعالى ـ: كان السيّد إسماعيل إذا زار الكاظمين عليهما السلام يجلس كلّ ليلة بعد صلاة العشاء في حجرة خاصّة من حجرات الصحن الشريف فينضوي إليه ثلّة من أهل الفضل والتحقيق كأُستاذنا العلّامة الشيخ عبّاس الجصّاني[1] وتلامذته، قال: وكنت أنا من جملتهم فكان السيّد يخوض بنا عباب المسائل المشكلة بحثاً عن الدقائق والمخبآت فيفاجئنا المؤذّن في كثير من الليالي بأذان الصبح ونحن لا نشعر.

١. هو الشيخ عبّاس بن محمّد حسين الجصّاني الكاظمي، توفّي ليلة الأربعاء ثاني ربيع الأوّل سنة ١٣٠٧. كان من العلماء الفضلاء المعروفين، له شرح شرائع الإسلام في ١٣ مجلّد. راجع: أعيان الشيعة ٧: ٤٢٥؛ الذريعة ١٣: ٣٢٥، الرقم ١١٩٦.

وعلى هذا الأستاذ أكمل السيّد علومه الشرعيّة، وصار من أهل الاستنباط (١).

ثالثاً: الشيخ الفقيه المحقّق المتبحّر الشيخ راضي بن الشيخ محمّد النجفي، حضر عليه أيّام إقامته في النجف الأشرف كثيراً من أبواب المعاملات والعقود في الفقه.

رابعاً: الشيخ الفقيه أستاذ العلماء المحقّقين الشيخ مهديّ بن الشيخ عليّ بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، حضر عليه أيّام إقامته في النجف الأشرف المعاملات والعقود في الفقه أيضاً.

خامساً: أستاذه الأكبر مجدّد المذهب في القرن الرابع عشر الذي انحصرت فيه رئاسة الإماميّة في الدين والدنيا، السيّد الحاجّ الميرزا محمّد حسن الشيرازي المتوفّى في شعبان سنة ١٣١٢ في سامرّاء ونقل إلى النجف الأشرف ودفن حيث قبره الآن.

حضر عليه سيّدنا الفقيد في الفقه والأصول في النجف وسامرّاء، وتقدّم عنده فكان موضع لطفه ورأفته، ومعتمده في الآراء والاستنباط.

واستفاد منه الفقيد في طول ملازمته من مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، وحقائق الأمور ما لا يقلّ أهميّةً عمّا تلقّاه منه في درس العلوم الشرعيّة.

---

(١) حدّثني السيّد المقدّس الحجّة الشريف مرتضى بن الشريف مهديّ بن الشريف محمّد الموسوي الرضوي الكشميري، المتوفّى سنة ١٣٢٣ في الكاظميّة والمدفون في كربلاء، وكان من أعلام العترة الطاهرة والأولياء من آل محمّد ﷺ قال:

كان السيّد إسماعيل الصدر قبل هجرته من أصفهان مسلّم الاجتهاد فيها، وكان أفضل من كثير ممّن استقلّوا بأنفسهم واستغنوا عن الانضواء إلى الأساتذة، لكنّه كان من أبعد الناس عن مذاهب العجب، متجافياً عن مقاعد المعجبين بأنفسهم، يطلب العلم ويأخذه من أفواه الرجال منذ ترعرع حتّى شاخ، فحضر بعد مجيئه من أصفهان على أستاذه الميرزا الشيرازي نحواً من ثلاثين سنةً، وحضر على الشيخ راضي والشيخ مهديّ مدّةً ليست بالقصيرة، وكان يصغي لكلّ من تكلّم معه في المسائل العلميّة إصغاء المستفيد ولو مع أصغر الطلبة، وقد سبر الجواهر من أوّلها إلى آخرها بحثاً مع الشيخ آغا رضا الهمداني فاستمرّ في ذلك عدّة سنين.

وهكذا كانت همّة سيّدنا صاحب العنوان مصروفةً إلى كسب الكمالات النفسيّة على اختلاف أنواعها، ولهذا لم تكن معارفه ومعلوماته منحصرةً في الفقه والأُصول والتفسير ونحوها من العلوم النقليّة، بل كان يجمع معها مادّةً واسعةً من العلوم العقليّة كالكلام والحكمة، والرياضيّة كالهندسة والهيئة والنجوم على طرزها القديم، مع اطّلاع على الآراء الحديثة فيها.

ولا نعلم على من قرأ وممّن أخذ هذه العلوم، ولم يكن يظهر عليه معرفتها إلّا من مطاوي بعض كلماته ومجالسه، وتكملةً في بعض المسائل الأُصوليّة أو الفقهيّة المرتبطة بهذه العلوم.

تلامذته ومن حضر عليه

قال ـ عليه الرحمة ـ تحت هذا العنوان ما هذا عين نصّه:

الذين حضروا عليه واستفادوا منه كثيرون على أنحاء مختلفة من حيث مراتبهم في الفضل والعلم، ومن حيث زمان حضورهم طولاً وقصراً.

ويمكن أن يقال: إنّه قلّ من لم يستفد منه من أهل العلم في العراق؛ لأنّه كان كلّما سافر ودخل بلداً شرع في التدريس وحضره فضلاؤها، ولا سيّما الكاظميّة أيّام إقامته فيها أو تردّده للزيارة إليها.

ونحن نذكر الآن عيون أُولئك الفطاحل [1] ممّن هم اليوم مراجع أهل العلم والفضل، وحصون الإسلام والمسلمين في البلاد الإسلاميّة. ونورد أسماءهم على ترتيب حروف الهجاء:

١ ـ حضرة حجّة الإسلام الحاجّ السيّد أبو القاسم الدهكردي الأصفهاني، حضر عليه في سامرّاء، ولمّا زار الفقيد الكاظميّة سنة ١٣٠٧ وأقام فيها هاجر السيّد المذكور إليها ونزل دار الفقيد وصار يحضر عليه، ورجع إلى أصفهان فشرع بالبحث والتدريس

---

١. الفطاحل: الكبار من العلماء. راجع المعجم الوسيط: ٦٩٤، «ف. ط. ح. ل».

وأصبح أحد مراجع المسلمين في التقليد فيها، وهو رجل عالم خبير فاضل له منبر يرغب إليه أهل أصفهان، دام بقاؤه علماً للمسلمين [1].

٢ ـ حضرة حجّة الإسلام الحاجّ السيّد حسين بن السيّد إبراهيم الفشاركي الأصفهاني الحائري، حضر عليه أيّام إقامته في كربلاء مدّةً طويلةً حتّى برع في العلوم الشرعيّة فقهاً وأُصولاً، وفي سنة ١٣٣٣ هاجر إلى إيران فأقام في كرمنشاه، وهو اليوم مرجعها ومفزعها في الدين والدنيا، عالم فاضل، مدقّق، حسن البيان، لطيف المحضر، أدام الباري أيّامه ملاذاً للمسلمين وعماداً للدين.

٣ ـ حضرة حجّة الإسلام الشيخ عبد الحسين بن المرحوم الشيخ باقر ـ من أفاضل تلامذة العلّامة الأنصاري ـ ابن آية الله الشيخ محمّد حسن آل ياسين. حضر عليه أيّام إقامته في سامرّاء، وأيّام كان يتردّد إلى الكاظميّة للزيارة، وهاجر إلى كربلاء وأقام فيها مدّةً يحضر عليه في الدرس وغيره، ورجع إلى الكاظميّة وقد برع في الفقه والأُصول.

عالم فاضل، حسن الانتقاد، جيّد الاستنباط، مستقيم معتدل، أحد مراجع المسلمين اليوم في الكاظميّة، له موقع حسن في النفوس من حيث العلم والتقوى، يثقون به ويركنون إليه في الدين والدنيا، أدام الباري وجوده الشريف كهفاً للشيعة وحافظاً للشريعة [2].

٤ ـ حضرة حجّة الإسلام السيّد ميرزا عليّ آقا بن المرحوم أُستاذه، كان يحضر عليه أيّام إقامته في سامرّاء في وقت خاصّ به، وأقام فيها بعد مهاجرة الفقيد. وزار مشهد الرضا عليه السلام فلقي من علماء إيران وأُمرائها ووزرائها الغاية من الاحترام والتوقير والتجليل، حتّى أنّهم كانوا يتبرّكون به و يتصاغرون بين يديه. ثمّ رجع إلى سامرّاء، وفي سنة ١٣٣٤ هاجر إلى الكاظميّة فأقام فيها مدّةً طويلةً إلى سنة ١٣٣٧ فانتقل إلى النجف الأشرف وهو اليوم أحد علمائها يحضر عليه جملة من أفاضل أهل العلم. فاضل متبحّر

---

١. ترجمه في نقباء البشر ج ١ ص ٦١، وأرّخ ولادته بسنة ١٢٧٢، ووفاته بسنة ١٣٥٣. «ع»

٢. توفّي سنة ١٣٥١، كما في نقباء البشر ج ٣ ص ١٠٢٣. «ع»

محقق مدقّق مطّلع على كلمات المحقّقين في الفقه والأُصول، أحيا الله بـه ذكـر أبـيه، وجعله علماً به يقتدى، وبنوره يهتدى[١].

٥ ـ حضرة حجّة الإسلام الحاج السيّد عليّ السيستاني، حضر عليه أيّام إقـامته فـي سامرّاء، وهاجر معه إلى كربلاء، وحضر عليه مدّةً فيها، حتّى هاجر إلى مشهد الرضا عليه السلام وهو اليوم أحد مراجعه ورؤسائه الروحانيّين، يذعن له الحميع بالفضل، عالم فـاضل، متبحّر مـتضلّع، له إحـاطة غـريبة بأخـبار الفـقه وكـلمات العـلماء، أدام الله وجـوده للإسلام والمسلمين[٢].

٦ ـ حضرة حجّة الإسلام والمسلمين الميرزا محمّد حسين النائيني، قـرأ عـليه أيّـام إقامته في سامرّاء، وهاجر معه إلىٰ كربلاء، وأقام فيها مستفيداً منه في الفقه والأُصول، ومفيداً لأفاضل الطلّاب، ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف ولم يزل فيها حتّى الآن، وهـو اليوم مركز دائرة العلم، ومحطّ نظر فضلاء الطـلّاب فـي الدرس، عـالم فـاضل، دقـيق النظر، صائب الفكر، كثير الحفظ، من أهل التحقيق والغور، قلّ أن يوجد له نـظير مـن معاصريه في معرفته بالأشباه والنظائر الفقهيّة، أدام الله شريف وجوده ذخـراً للإسـلام والعلم والعمل[٣].

٧ ـ حضرة حجّة الإسلام الآقا محمّد حسين الطبسي، حضر عليه في سامرّاء، وهاجر معه إلى الكاظميّة سنة ١٣١٤، ومنها رجع إلى بلده، وهو اليوم مـرجـعها الوحـيد فـي الأحكام والأُمور النوعيّة، عالم فاضل، جمع بين العـلم ومكـارم الأخـلاق، ذو وقـار وسكينة وثبات واستقامة في الأُمور، حفظه الله للمسلمين ملاذاً ومعاذاً[٤].

٨ ـ حضرة حجّة الإسلام السيّد محمّد رضا البوشت مشهدي الكاشاني: حضر عـليه أيّام إقامته في سامرّاء وهاجر معه إلى كربلاء وأقام فيها مدّةً يحضر عليه الفقه والأُصول،

---

١. ولد سنة ١٢٨٧، وتوفّي سنة ١٣٥٥، كما أرّخه في الكنى والألقاب ج٣ ص٢٢٤.«ع»

٢. توفّي سنة ١٣٤٠ كما في تأريخ علماء خراسان ص ٢٨٣.«ع»

٣. ولد سنة ١٢٧٧ وتوفّي سنة ١٣٥٥، كما في نقباء البشر ج ٢ ص٥٩٣.«ع»

٤. ترجمه في نقباء البشر ج ٢ ص ٥٠٣، الرقم ٩٠٦ ولم يؤرّخ وفاته، وكذلك لم يؤرّخ وفاة الذي بعده.«ع»

ثمّ رجع إلى بلده وهو اليوم المرجع والمفزع لتلك النواحي، عالم فاضل، حسن الذوق، جيّد القريحة، أدام الباري وجوده كهفاً منيعاً، وحصناً رفيعاً.

٩ ـ حضرة حجّة الإسلام الحاجّ ميرزا محمّد عليّ بن الشيخ عبّاس الهروي الخراساني، المعروف بالحاجّ الفاضل، حضر عليه في سامرّاء مدّةً، ورجع إلى خراسان ثمّ زار مشاهد العراق نحو سنة ١٣١٨، وأقام في كربلاء قريباً من سنة يحضر على أُستاذه الفقيد في الفقه والأُصول، وهو اليوم في خراسان المرجع الوحيد في القضاء والتدريس.

عالم فاضل، جمع بين العلوم العقليّة والنقليّة، حسن البيان، عذب اللسان، كريم الأخلاق طيّب النفس، حفظه الله ونفع بوجوده المسلمين.[١]

١٠ ـ حضرة حجّة الإسلام الشيخ محمّد هادي البرجندي. حضر عليه في سامرّاء، وهاجر معه إلى كربلاء، ثمّ توجّه إلى بلده وهو اليوم رئيسها المطلق ومرجعها الأوّل، الذي له الكلمة العليا عند أميرها، والمنزلة الرفيعة في نفوس الناس. عالم فاضل، مدقّق أديب، حسن المحضر، لطيف العبارة، ينظم الشعر الجيّد بالفارسيّة أدام الباري أيّامه غوثاً للمسلمين وعماداً للدين[٢].

بعض نوادر أخباره

قال الشيخ في هذا الفصل ما هذا لفظه:

ربما يخطر في الأذهان لأوّل نظرة بساطة هذه النوادر. ولكن يظهر في النظرة الثانية ما تعرب عنه من مكارم أخلاق سيّدنا الفقيد وتواضعه، وما كان عليه من الزهد، والتوكّل، والعزم، والثبات، ويراها القارئ أصدق شاهد على ما ذكرنا في الفصول السابقة.

فمنها: أنّه لمّا كان في سامرّاء قدم إليها رجل من أهل كشمير أو تبّت للتحصيل، فحضر على بعضهم وطلب رفيقاً للمباحثة معه فامتنع أقرانه من المشتغلين عن ذلك. فلقي يوماً

---

١. توفّي سنة ١٣٤٢، كما في تأريخ علماء خراسان ص ٢٧٠. «ع»

٢. توفّي سنة ١٣٦٦، كما ذكره هناك أيضاً ص ٢٦٤. «ع»

سيّدنا صاحب الترجمة ـ وهو لا يعرفه إذ ذاك ـ فطلب منه ذلك فعرف السيّد منه صدق النيّة وأنّه قد ترفّع عنه أقرانه من الطلّاب، فأجابه إلى طلبه وأخذ يحضر بنفسه للمباحثة معه في بعض المقدّمات من كتب النحو والصرف، وربما أظهر ذلك الطالب أمام السيّد شدّته وتحمّسه شأن المتباحثين المتقاربين بالفضيلة. وبينما هما يتباحثان يوماً إذ مرّ بهما آخر فعظم عليه الأمر، فأعلم ذلك الطالب حقيقة الحال وعرّفه بالفقيد ومنزلته، فأخذ يعتذر لجهله وجرأته، ومهما طلب منه السيّد الفقيد المداومة على البحث لم يطع، ولم يستطع لسانه بعد ذلك على التكلّم بغير الاعتذار.

ومنها: أنّه حضر الفقيد على السيّد أُستاذه زماناً في النجف الأشرف، ولقي عنده منزلةً ساميةً، حتّى أنّه كان يلتفت إليه في الدرس، ويصغي لكلامه، وينظر إليه نظراً خاصّاً. ومع كلّ ذلك فلم يظهر منه إلى أُستاذه أقلّ إشارة إلى تعريف نفسه عنده، مع أنّه يعلم أنّ أُستاذه يعرف أباه المقدّس السيّد صدر الدين، وله مع أخيه السيّد محمّد عليّ المعروف بآقا مجتهد صحبة ورفاقة قديمة.

فاتّفق أنّ سيّدنا الفقيد لمّا رجع من حجّ بيت الله الحرام إلى دار هجرته النجف الأشرف زاره أُستاذه ؛ لأنّ بعض تلامذته أخبره بورود السيّد إسماعيل بن السيّد صدر الدين من مكّة. فلمّا ورد إلى الدار ونظر إلى الفقيد وقف متعجّباً وهو يقول له بالفارسيّة: «آقا شمائيد» أي أنت السيّد إسماعيل بن السيّد صدر الدين؟

فقال: نعم. فتعجّب من ذلك كثيراً، وازدادت في نفسه معنويّة هذا الرجل العظيم ؛ لأنّه لم يخبره أنّه ابن السيّد صدر الدين مع تمام اتّصاله به، ومنزلته عنده وسابقته مع أبيه وأخيه.

ومنها: أنّه ضاقت ذات يده في بعض أيّام إقامته في النجف الأشرف فلم يملك ما يسدّ به حاجته من القوت حتّى أدرك الضعف في نفسه، فخاف على والدته أن لاتستطيع على ذلك صبراً. فخرج ليستقرض ما يرفع به ضرورته، مع أنّه قد التزم أن لايستقرض من أحد شيئاً طول عمره كما تقدّم، فدخل إلى الصحن الشريف، والتكليف الشرعي يدعوه لهذه الغاية. والبقاء على العزم والتوكّل يردعه عنها، فهو يقدّم رجلاً ويؤخّر أُخرىٰ،

وجلس في الطرف الشمالي من الصحن خلف مسجد عمران مفكّراً في أمره، وإذا برجل قد وقف عليه وقال له: أنت سيّد موسوي النسب؟

قال: نعم. فدفع إليه خمس توامين وقال: هذه نذر لمن ينتسب إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فأخذها وقام حامداً شاكراً.

وكان سيّدنا الفقيد يحدّث أولاده بأمثال هذه النوادر عنه وعن غيره تهذيباً لهم وإرشاداً إلى مكارم الأخلاق، وأنّ العلم والفضل والانتساب إلى الأكابر، وشرف العائلة لا ينبغي أن يكون سبب غرور الرجل وتكبّره وترفّعه، بل الواجب أنّه كلّما ارتفع رتبةً عند الناس وخصّه الله بفضيلة ازداد تواضعاً، وأنّ خير معرّف للرجل بين الناس فضله وعلمه وتقواه، وأنّ الرجل يلزم أن يكون صادقاً في توكّله، ثابتاً في عزمه غير متلوّن. وله أمثال هذه الأخبار النادرة كثير وفي ما ذكرناه كفاية.



مجمل عن وفاته وتشييعه وتأبينه ومراثيه

قال الشيخ في هذا الفصل:

توفّي السيّد ـ طاب ثراه ـ ظهيرة يوم الثلاثاء الثاني عشر من جمادى الأُولى سنة ١٣٣٨ هجريّة في الكاظميّة.

فما شاع خبر وفاته المشوم في الكاظميّة وبغداد حتّى ضجّ الناس بالبكاء والعويل، وأقبلوا ينهالون إلى داره، وهم ما بين باك ونادب، وصارخ ولادم، يكسوهم المصاب أثواب التفجّع، وأبراد الكآبة والحزن، فتراهم سكارى وما هم بسكارى، ولكن رزءهم بالفقيد عظيم.

والأرض من عظم الرزيّة زلزلت لرحيله وعلى الرؤوس ترابها

ثمّ حملوا نعشه الشريف، بل حملوا عيبة علم العالمين، وخزانة حكمة المرسلين، فساروا به متسابقين إلى التبرّك بتناوله، وقائلهم يقول:

سرى نعشه فوق الرقاب وكم غدا يطوّق هاتيك الرقاب جميلا

وتزاحمت الناس تحت سريره، فكان لا يدركه إلّا طويل الباع برؤوس أصابعه، فكأنّه

كما قيل: «بساط سليمان على الريح يرفعُ».

وتقدّمت أمام النعش جماعات اللطم ـ الجوقات ـ وهم يحملون الأعلام السود، ويندبون بألحان تذيب القلوب شجواً وحزناً. والنساء من الأطراف تجاوبهم الصياح، وهكذا حتّى وردوا به المغتسل في خارج بلد الكاظمين فازدحم ذلك الفضاء الواسع بجماهير الناس، وغسّله هناك بعض العلماء الأبرار، ثمّ حمل إلى الصحن الشريف.

وقد انضمّ إلى أهل الكاظميّة الذين خرجوا لتشييعه عن بكرة أبيهم جماعات كثيرة تسابقوا إليه من بغداد ومن أطراف البلدة وأكنافها فكان يوماً عظيماً، ومنظراً باهراً، فـ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[1].

ثمّ وضع النعش الشريف في أواسط الصحن الشرقي، وتقدّم ولده الأكبر وخلفه الأعظم السيّد محمّد مهديّ فصلّى عليه بالعلماء والأعاظم وسائر الطبقات(١) ثمّ انكبّت الناس على تقبيل يديه وتعزيته. وهنا اختصّ بحمل السرير المبارك خدّام الروضة المباركة فجدّدوا له العهد بإماميه الهمامين عليهما السلام ثمّ دفن لائذاً بجوارهما فيما يلي رجليهما في الغرفة الواقعة في الإيوان الثالثة عن يمين الداخل إلى الرواق الشرقي من بابه المعروف بباب المراد.

وقامت مجالس الفواتح والمآتم في سائر أنحاء العراق، وعطّل الناس أشغالهم متوظّفين للقيام بمراسم العزاء ليلاً ونهاراً، ولا سيّما في الكاظميّة وبغداد ودامت إلى قريب من شهر.

وأمّا سائر البلاد الإسلاميّة فحدّث عنها ولا حرج وبالأخصّ إيران وأفغان والهند وجبل عامل. وقد جاءت كتب التعازي والبرقيّات إلى أولاده الأعاظم من أنحاء الأرض تترى بكثرة عجيبة وهي تمثّل التأثّر والتألّم في تلك البلاد.

وأبّنه العلماء والكبراء، ورثاه الشعراء والأدباء، ولو أردنا استيفاء ما قيل لخرجنا عن الاختصار المقصود في هذه العجالة، ولكن نذكر أمثلةً من ذلك تليق بالمقام.

---

(١) قدّمه للصلاة خاله الإمام أبو محمّد السيّد حسن الصدر.

---

١. هود (١١): ١٠٣.

مراثيه

قال الشاعر الكبير الشيخ محمّد حسن أبو المحاسن[١]:

أصابت سهام الحتف واحسرة الدهر صريح قريش والخلاصة من فهرِ
لقد نثل الدهر الكنانة راميا حشاشة نفس من كنانة والنضرِ
فقيد نسينا آية الصبر بعده فهل نسخت من بعده آية الصبرِ
نعى البرق غيث الناس في كلّ أزمّة وعهدي به قبلاً يبشّر بالقطرِ
نعى وهو لم يعرف حقيقة من نعى إلى الناس والرامي يصيب ولا يدري
وقد حملت أسلاكه نبأً به تقصّف أسلاك الأضالع والصدرِ
فلا شيء أقوى منه إذ خفّ سائراً بخطب وهى فيه الشديد من الأسرِ
وبرقيّة في قلب كلّ موحّد لها قبسات من ضرام ومن جمرِ
مضى علم الأعلام والآية التي حوت حكماً جلّت عن الحدّ والحصرِ
وقد غاب عن أُفق النبوّة نيّر يجلّ عن التشبيه بالشمس والبدرِ
محيّاه يتلو آية النور هاديا ويتلو علينا مجده آية الطهرِ
أصورته هاتيك أم هي سورة لناظرها أجر التلاوة والذكرِ
فلله نفس أخلص الله سرّها فيا قدّست نفساً وقدّس من سرّ
أمن عنصري ماء وطين تكوّنت خلائق أم صيغت سبائك من تبرِ
تغيّر وجه الصبح يوم وفاته وفي الوجه عنوان السلامة [والظفرِ][٢]
وروّعنا رأد الضحى ثمّ صرّحت ظهيرته فينا بقاصمة الظهرِ

---

١. من الشعراء المناضلين في حقل السياسة، انضمّ إلى طليعة الوطنيّين الأحرار لمحاربة المستعمرين والضالعين في ركابهم، وعكس في شعره كثيراً من صور كفاح الشعب العراقي، ولد في كربلاء سنة ١٢٩٣، وبرز في ميدان الشعر كشاعر موهوب طبّقت شهرته الأندية الأدبيّة، وحاز على قصب السبق، فكان شعره نشيداً تردّده شفاه الألوف من الناس، وكان ينشد الفضيلة؛ ليحثّ المجتمع على السير في طريق الصلاح والخير.
تولّى في أواخر حياته وزارة المعارف، توفّي سنة ١٣٤٤. انتهى ملخّصاً عن مجلّة العرفان، المجلّد ٤٩ ص ٨٥٠.«ع»

٢. أوردنا الكلمة الأخيرة، تقديراً منّا؛ إذ أنّها مطموسة أصلاً.«ع»

بكى الركن حزناً والمقام وبرّحت — رزيّة إسماعيل بالبيت والحجرِ
وقد كان في الدنيا منار هداية — به يهتدي في ظلمة الليل من يسري
وغامضة لا يدرك الفكر نهجها — أنار دياجيها بلامعة [الفكرِ][1]
يعزّ على الإسلام فقد حميّه — وناصره إن قيل: أين أُولو النصرِ؟
يقولون: ما للعين قد فاض دمعها؟ — فقلت: دعوا عيني تفيض على الصدرِ
أرى الغيث لم يحبس عن الأرض جفوة — ولكن وكلنا للدموع التي تجري
أقول وقد ساروا به يحملونه — إلى القبر ماذا تحملون إلى القبرِ
حملتم يدا بيضاء كانت بجودها — على السنّة الشهباء أندى من القطرِ
حقيق علينا أن تفيض جفوننا — لتلك الأيادي البيض بالأدمع الحمرِ
ولله درّ الدمع ما نظم الأسى — مزاياه إلّا قابل النظم بالنثرِ
فيا جوهراً زان الوجود بهاؤه — وسبحان باري جوهر اللطف والبرِّ
وقد غالب الأقدار واستأثرت به — وقد كان أهلاً للمغالاة بالقدرِ
ثمانون حولاً قد طواهنّ قائماً — بتشييد دين الله بورك من عمرِ
طواه الردى طيّ الرداء وذكره — بنشر المساعي لم يزل طيّب النشرِ
رأيت حياة المرء ظلاً وإنّما — تدوم حياة المرء بالحمد والذكرِ
وبالخلفِ الباقي لنا خير سلوة — وإن كان لا يسلي الفقيد مدى الدهرِ
فما أفلت شمس النبوّة والهدى — عن الأُفق حتّى أشرق الكواكب الدرّي
وما جنّ ليل الخطب حتّى تصدّعت — دياجيه بالمهديّ عن فلق الفجرِ
إذا ما أبو المهديّ ودّع راحلاً — فمهديّها من بعده صاحب الأمرِ
يجود رياض العلم صيّب فضله — فتزهو رياض العلم عن بهجة الزهرِ
ولو لم يمدّ البحر زاخر علمه — لما قيل في الأمثال: حدّث عن البحرِ
فيا سائلاً عن أُسرة المجد والعلا — وأهل المعالي الغرّ والأوجه الغرِّ
هم آل صدر الدين فاقصدهم تجد — منار الهدى والعلم والمجد والفخرِ

١. أوردنا الكلمة الأخيرة، تقديراً منّا؛ إذ أنّها مطموسة أصلاً. «ع»

مصابيح إيمان مفاتيح حكمة لهم ألسن بالحقّ تنطق عن خبرِ
نوال بلا منّ وحكم بلا هوىً وحلم بلا ذلّ وعزّ بلا كبرِ
إذا مات منهم سيّد قام سيّد ففي كلّ عصر منهم بهجة العصرِ
رئاسة شرع المصطفى اليوم فوّضت إلى الحسن الزاكي النقيبة والنجرِ
هو الحبر إلّا أنّ آيات فضله مسطّرة بالنور لا النقس والحبرِ
وبالندب صدر الدين يعتصم الرجا وأعظم به ذخراً لملتمس الذخرِ
أرى الدين قلباً وهو صدر يصونه حفاظاً وهل قلب يصان بلا صدرِ
وقد صدّر الدين الحنيف محمّداً ونعم ملاذ الناس في النهي والأمرِ
ومن بالغ شأو الجواد وحيدر لدى حلبات العلم في الجري والفرِّ
ما زال منهم في العلا بدر سؤدد يطوف به رهط من الأنجم الزهرِ

وقال الإمام الحجّة الشيخ مرتضى آل ياسين ﷺ:

ويح الصروف فكم تجود بحكمها أو ما درت من ذا أُصيب بسهمِها
أمست وما برحت أفاعي غدرها تسقي حشا الإسلام ناقع سمِّها
أبداً تهمّ بمحق دين محمّد فكأنّ محق الدين أكبر همِّها
حتّى م تقترف الجرائم جمّةً وتروح تهتف في الأنام بجرمِها
وإلى م حرب النائبات مثارة أبداً تضنّ على الزمان بسلمِها
عجباً لها كيف ارتقت أطوارها فرمت على وجه الصعيد بشمِّها
أم كيف أمسكت السماء بكفّها فاستنزلت للأرض زاهر نجمِها
عمدت لآل نزار[1] حتّى استهدفت بسنانها المسنون سيّد قومِها
فلتنع بعد اليوم هاشم شهمها فاليوم أفزعها الزمان بشهمِها
ولتبك سيّدها وجامع شملها ومزيح كربتها وكاشف غمِّها
مصباح ليلتها وشمس نهارها وملاذ حيرتها وفارج همِّها

١. نِزار: أبو قبيلة، وهو نِزار بن مَعَدّ بن عدنان من أجداد العرب، وهو جدّ الرسول ﷺ. راجع: معجم أسماء العرب ٢: ١٧٥٤؛ الصحاح ٢: ٨٢٦؛ لسان العرب ٥: ٢٠٤، «ن. ز. ر».

ولتندب العلماء عليهما الذي قد كان قبل اليوم مصدر علمِها
ضرغامها وهمامها وإمامها وسنامها الأعلى وهضبة حلمِها
أعظم بداهيّة دهت في رزئه كادت تسيخ الراسيات لعظمِها
طرقت ففاجأت الأنام بفادح ما كان يخطر سانحاً في وهمِها
من موقظ عزم الشريعة في الورى من بعد إسماعيل موقظ عزمِها
ومن المجدّد رسمها من بعده هيهات قد أودى مجدّد رسمِها
ومن الذي يرعى لها أحكامها من بعد راعيها وحافظ حكمِها
هذي شريعة أحمد قد أيتمت فمن الكفيل بحفظها في يتمِها
هيهات قد أودى أبوها بالردى فلتحي بعد بخالها أو عمِّها
ولسوف لا يبقى لها من بعده إلّا الحديث برسمها أو اسمِها
لولا الرجاء بفتية من ولده ورثوا المكارم عن بكارة أمِّها
جدّوا إلى العلياء حتّى أصبحوا ولهم من العلياء أكبر سهمِها
أكرم بهم من فتية ما أصبحت إلّا وكان الفضل غاية همِّها
سبقوا فما لُحقوا وحسب عداهم من بعد ذلك أن تموت برغمِها
ولحسبنا المهديّ منهم أنّه علم الورى لا بل خزانة علمِها
الواضح الحسبين خيرة هاشم والباسط الكفّين صفوة قومِها
انظر به فلسوف يجلو همّه تجلو عن الدنيا غياهب ظلمِها
إن ينع جسم للشريعة روحها فلسوف ينفث روحه في جسمِها
هذي لعمرك نفثة من واله قد جاد لكن ما أجاد بنظمِها
فاسمح له كرماً وخذها نفثةً وفدت عليك صغيرة في حجمِها
واسلم من الأيّام بعد فلاخطت أبياتكم إلّا بأرجل سلمِها

وقال العلّامة الحجّة الشيخ راضي آل ياسين ﵀:

تجاوبت الدنيا أسىً وعويلا وأوشك دين المصطفى ليزولا
وزلزلت السبع الطباق لفادح به طود علم العالمين أهيلا
لقد فُجعت فهر بفرد قبيلها فغادرها فرداً وراح قبيلا

هو الرزء عمّ الخافقين شعاره وطبّق أرجاء البلاد عويلا
لقد حلّ حتّى كلّ واجد لوعة إذا لجّ فيها لا يخاف عذولا
فيا راحلاً عنّا وفي إثره الهدى رويدك هلّا قد ونيت رحيلا
فهذي رسوم الدين أضحت دوارسا وذيّاك ربع العلم عاد محيلا
ومن يكفل الإسلام بعدك إذ عدت حياري ولم تعرف سواك كفيلا
ومن ذا لثغر الدين يمنع كافلاً عليه ويحمي في حماه دخيلا
لقد فقد الإسلام فيك عميده وهيهات يلقى عن علاك بديلا
فقد كنت حاميه وقد كنت سوره وقد كنت حصناً لو بقيت جليلا
فيا حوزة الدين الحنيف تصدّعي ويا شمس هلّا قد أفلتِ أفولا
ويا راجي المعروف دونك إنّه قضى اليوم من أولاك أمس جزيلا
لتسلو لؤيٌّ جيدها فعميدها قضى ولتنح حزناً عليه طويلا
لقد فقدته وهو بيت قصيدها وقوّض لكن بالجميع قفولا
سرى نعشه فوق الرقاب وكم غدا يطوق هاتيك الرقاب جميلا
وطاشت عقول العالمين لرزئه وضيّعت الرشد الأنام ذهولا
فلم تدر أنّ النعش يوم أقلّه أقلّ إماماً أم أقلّ رسولا
فيا سيف دين الله في جبهة العدى فلم ولماذا قد أصبت فلولا
وبدر الهدى الموفي على البدر نوره برغم المعالي أن تحلّ رمولا
ويا بحر كفيه نضبت وطالما صببت بأيدي السائلين سيولا
سأبكيك بالدمع الكثير وإن أكن أرى الدمع في هذا المصاب قليلا
ولو أنّني استنزفت ماء مدامعي برزئك لم أنقع بذاك غليلا
لقد دفنوا بالأمس أروع ما رأت لعليائه عين الزمان مثيلا
ولولا بنوه ما سلا قلب واجد ولا أصبح الصبر الجميل جميلا
لئن لم يكن في العالمين عديلهم فكلّ بكلّ قد أصاب عديلا
وللسيّد المهديّ غرّ فضائل أبت لسواه في الأنام حصولا
منار الهدى الهادي وحامل عبئه وناهيك عبئاً قام فيه ثقيلا

له الطلعة الغرّا إذا الشمس قابلت   سناها لراحت تستشيط أفولا
رزين بصدر الدست لكن خلقه   هو الروض حياه النسيم عليلا
وفكرته في العلم إمّا أجالها   جَلاً مبهماً فيها وسنّ سبيلا
وإن ضلّت الآراء يوماً بغامض   رأته لها في الغامضات دليلا
فإن لم نجد فينا أباه فإنّنا   وجدنا لعمري فيه عنه بديلا

وقال السيّد حسّون القزويني:

دهياء قد دهم الأنام مصابُها   وذكّى ضراماً في القلوب شهابُها
جذّت يد الدين الحنيف سيوفها   عمداً وقد طعنت حشاه حرابُها
فتحت مفاتيح الأسى أقفالها   قسراً فسدّت بالردى أبوابُها
قد طبق الأكوان قاتم حزنها   واجتاز فوق النيّرين ضبابُها
لسبت فؤاد الدين رقشاء الأسى   وبمهجة الأحكام أثّر نابُها
عصفت بنا نكباء قاصمة القرى   لما نعى علم الهداة غرابُها
خصّت بها آل النبيّ محمّد   شجواً وقد عمّ الأنام مصابُها
أودى بها بحر العلوم فما حلا   للعالمين طعامها وشرابُها
علّامة العلماء إسماعيلها   من أذعنت لعلومه أقطابُها
يحيي الليالي قائماً متضرّعاً   ويضيء من أنواره محرابُها
قلب الهدى قد ذاب يوم نعيّه   والمكرمات الغرُّ شقّ إهابُها
كيف المنيّة قد دهت مقدامها   فليقصدنّ لمن يشاء ركابُها
عجباً لقبر قد حواه وإنّما   بعلومه الغرّا يضيق رحابُها
فالأرض من عظم الرزيّة زلزلت   لرحيله وعلا الرؤوس ترابُها
والشرعة الغرّاء ضعضع ركنها   وهوت مبانيها وفلّ ذبابُها
والناس خلف سريره منهلّة   آماقها سيل عليه رقابُها
لله قبر ضمّه ولتربة   طهرت بمرقده فطاب ترابُها
صبراً بني الهادي كصبر جدودكم   من لا تخفّ حلومها وهضابُها
فمحمّد المهديّ خير خليفة   للناس فيه رشدها وصوابُها

بحر تدفق بالعلوم وبالندى — منه نوالأ يستمدّ سحابُها
والحبر صدر الدين فهو عمادها — بل بدرها وذكاؤها وشهابُها
ذو طلعة غرّاء يشرق نورها — ومكارم كالشهب جلّ حسابُها
وهمامها السامي العماد جوادها — من في معاليه تضيق رحابُها
ذو همّة علويّة من حيدر — منها الجلامد يستلين صلابُها
وحجىً لحلّ المشكلات مجرّب — فيه تُراضُ من الأُمور صعابُها
هم معشر بيض الوجوه ديارهم — تسمو على هام السها أعتابُها
وأماجد شمّ الأُنوف جحاجح — ضربت على هام السماك قبابُها
وبحور جود للأنام طوافح — لا زال يزخر بالنوال عبابُها
وأفاضل في الدهر عزّ نظيرها — غرّ تسامى شيبها وشبابُها
قد أزهرت بعلومها أحسابها — للعالمين وأشرقت أنسابُها
وتجلببت برد المكارم والتقى — من حيث أردية العلى جلبابُها
أبقى المهيمن ظلّهم لعباده — في الدهر ما الدنيا نعت أحقابُها
وسقى إله العرش منهل الرضا — مثواه ما جاد الرياض سحابُها

وقال الحاجّ عبد الحسين الأزري ﷺ(١):

أرأيت كيف غرائب الأنباءِ — وتصادم الأرزاء بالأرزاءِ
وطوارق الحدثان كيف تدافعت — فأتت بأعظم غارة عشواءِ

(١) ولد في بغداد سنة ١٢٩٨، ونشأ وهو ثورة أدبيّة اجتماعيّة سياسيّة. وصف ديوانه الشيخ عليّ الشرقي فقال: وجدته وعاء أنيقاً في قراراته روح الشاعر الشاعر، وفي جنباته قلبه المشع وعاطفته الملتهبة: فما أروع وما أسمى، تصوير بارع بديع، وتعبير جميل خلاب، أحاسيس عاشت زمناً في قلب الشاعر، ونبضت في نبضه ثمّ تنزت صاعدة إلى شفتيه، وهكذا يصعد الكلم الطيّب، توفّي سنة ١٣٧٤. انتهى ملخّصاً عن أعيان الشيعة[١] ج ٣٧ ص ١١٢ وغيره[٢].

١. أعيان الشيعة ٧: ٤٤٠.
٢. راجع: نقباء البشر ٣: ١٠٨٨، الرقم ١٥٨٧؛ الأعلام للزركلي ٣: ٢٧٨.

وصروح دين الله كيف تضعضعت ... شرفاتها فهوت على الغبراءِ
نكبات دهر خادع وشتات ديـ ... ـن جامع وسبات عزّ ناءِ
ماجت بها الأفلاك في دورانها ... واهتزّت الأرضون بالأحياءِ
واهاً على الإسلام والمجد الذي ... قامت عليه دعامة العلياءِ
حجب القضا عين الحياة فأذّني ... يا صيحةٌ من صورها بفناءِ
وقضي على صدر الشريعة فانطوت ... مجموعة الأحكام والإفتاءِ
فلتبك سيّدها نزار بعبرة ... تذر الدموع مشوبة بدماءِ
ولتنع طالع سعدها ولوائها ... في يوم نحس أو لدى هيجاءِ
وزعيمها في المشكلات إذا عرت ... وسراجها في الليلة الظلماءِ
كشّاف كربتها وفارج همّها ... وأمامها في الجهر والإخفاءِ
يا باسطاً كفّ الأماني بعده ... اقبض يديك ومُتْ رهين الداءِ
خابت ظنونك لا تَرُمْ يد مسعف ... أودى زمانك باليد البيضاءِ
فاصبر على جدب الثرى وهجيرها ... من بعد ظلّ الروضة الغنّاءِ
حملوا بنعشك فقه آل محمّد ... وتراثهم يا سيّد الفقهاءِ
واروك يا كهف اليتيم وضيّعوا ... في الترب خير يتيمة عصماءِ
قد كنت للإسلام أثمد عينه ... فتركته أعشى من الأقذاءِ
وركين هضبته بأحرج موقف ... دارت عليه كتائب الأسواءِ
لم تحتمل صبراً على البلوى التي ... نزلت بساحة هذه الأرجاءِ
فتركت آلام الحياة وشأنها ... واخترت أن تجتاز كلّ عناءِ
ستطول بعدك للنيابة أنّةٌ ... مشفوعة بتنفّس الصعداءِ
وأقول للصبر الجميل ألا ابتعد ... فالنفس قد رزحت من الإعياءِ
يا قرحة أعيا الطبيب علاجها ... فتمكّنت من باطن الأحشاءِ
لو لم يكن مهديّ آل محمّد ... لقطعت من هذي الحياة رجائي
الحازم المفضال والمقدام في ... الأفعال والأقوال والآراءِ
تنبيك نظرته بفرط ذكائه ... كالفجر ينبيء عن طلوع ذكاءِ

وتـقرّ طـلعته بشـدّة بأسـه لكـنّها مـمزوجة بـحياءِ
يـتوسّم الإسـلام فـيه صـلاحه والمـرء تـعرفه مـن السـيماءِ
ومـن السـعادة أن تـراه مسـدّدا بـعد الإلـه بـإخوة فـضلاء
ورثـوا السـجايا الغـرّ مـن آبـائهم فـأكـرم بآبـاءِ وفـي أبـناءِ
يـا سـادة نشـر الفـخار عـليهم بُـرْدين: بُـرد تـقى وبُـرد إبـاءِ
إنّـي أحـبّكم ويشـهد خـالقي أنّـي أحـبّكم بـغير مـراءِ
عـزت مـصيبتكم عـليّ وعـزّ أن آتـي إليكـم فـي نشـيد رثـاءِ
لكـنّها حكـم القـضا تـجري ومـن يسـطيع ردّ مشـيئة وقـضاءِ
ولو استطعت فديت روحـي دونـه لكـن أبـى المـحتوم كـلّ فـداءِ
عذراً فـقد سـمح الأسـى بـقصيدة جـاءتكم تـمشي عـلى استحياءِ

وقال الأُستاذ كاظم الدجيلي [١]:

أبـى الرزء إلّا أن يكـون جـليلا وأن لا يكون الصبر فـيه جـميلا
رمى كاهل الإسلام منه بفادح وأفعم قـلب الديـن مـنه غـليلا
أصاب الردى سـيفاً لآل مـحمّد حديد الشبا يردي العداة صـقيلا
لقـد فـقدت مـنه الأئـمّة نـائبا أمـيناً عـلى أحكـامهم ودليـلا
إمام هدىً يهدي إلى ديـن جـدّه بشـرعته مـن ضـلّ عـنه سـبيلا
على فقد إسماعيل في كلّ بـلدة أقـام رجـال المسـلمين عـويلا
ولم يـجدوا للـصبر بـعد رحـيله مـقيلاً كـذاك الصبر بـعده عـيلا
إمام الهدى نم واسترح غير متعب فـقد أتـعبتك الحـادثات طـويلا
لقد كنت للإسلام في كلّ حـادث من الدهر سيفاً لا يـخاف فـلولا
أضعناك تضييع الحـقيقة عـندما دنـوت بـها منّا تـريد وصـولا

١. كاتب باحث، وأديب محقّق، وصحفي معروف، ولد في الدجيل ١٣٠١ وله مؤلّفات ودراسـات عـلميّة وأدبـيّة واجتماعيّة كثيرة، وقد تقلّب في مناصب كثيرة، في وزارة الخارجيّة، كان فيها مثال الوطني المخلص، توفّي سنة ١٣٨٩هـ «ع».

ولمّا دجت تلك الخطوب وأرزمت ... وأصبح وجه الحادثات مهولا
أرادوك إقناعاً فنكّبت عنهم ... وزادوك إرهاقاً فزدت عدولا
ثبتّ لهم إذ ناظروك وجادلوا ... فأثبتّ أنّ الحقّ أصدق قيلا
نأيت عزيزاً عن مواطن ذلّة ... بهذا عزيز القوم بات ذليلا
علمت الذي خلف الستار وإنّنا ... لنعلم ممّا قد علمت قليلا
نعاك لنا الناعي ونحن بحاجة ... إليك لأنّا فيك نبلغ سولا
فخيّب آمالاً وعفّى أمانيا ... وأدهش ألباباً وبزّ عقولا
مضيت وخلّفت الأسى في قلوبنا ... وألقيت عبئاً عنك كان ثقيلا
تساويت في الإجلال حيّاً وميّتاً ... لذلك كان الرزء فيك جليلا
لتبك عليك اليوم أعين أمّة ... من الضغط تبغي للنجاة سبيلا
لتبكِ عليك اليوم فتيان هاشم ... بكاء بملء المقلتين طويلا
لقد كنت فيهم سيّداً وابن سيّد ... وكنت لهم والبائسين معيلا
ولولا إمام المسلمين وشيخهم ... هو الحسن الزاكي هدىً وأصولا
لما وجد الإسلام عنك مسلّياً ... وما وجد الصبر الجميل جميلا
وبالسيّد المهديّ نجلك للورى ... ترى علماء الدين عنك بديلا
وإخوته الأعلام كلّ مبرز ... تراه لدى كلّ العلوم نبيلا
عليك سلام الله ما هبّت الصبا ... وغرد طير بكرةً وأصيلا

وقال السيّد صالح الحلّي رحمه الله [1]:

قدر أصاب من الشريعة صدرها ... وأذلّ مسلمها وأشمت كفرَها
من بعده خذ ما تشاء من الورى ... فلقد أصبت من الهداية سرّها

١. هو السيّد صالح الأعرجي الحسيني الحلّي، قال عنه البحّاثة السماوي في طليعته: سيّد فاضل مشارك في العلوم، شديد العارضة، وخطيب بارع في فنّ الخطابة، ومحاضر حسن المحاضرة، لطيف المذاكرة، جميل المعاشرة، لولا أنّ صاحبه كراكب أسد أو عائم بحر، ولد سنة ١٢٨٩، وتوفّي سنة ١٣٥٩. انتهى ملخّصاً عن البابليّات ج ٣ ص ١٣٣. «ع»

ومنها:

كيف استطاع مغسّلوه أما دروا ... أنّ الخلائق منه تأخذ طهرَها
عجباً لوجه الأرض كيف علا على ... وجه به الأرضون تنبت زهرَها
وبوجهه قطرت سمانا فوقنا ... مذ غاب قد منعت سمانا قطرَها
هتف النعيّ فمالت الغبرا له ... فلعلّ ممسكها أزال مقرَّها
وأظلم أفق الكون بعد شروقه ... مذ غيّبت نوب الليالي بدرَها

ومنها:

قل للبغاث تنشّري من بعده ... إنّ المنيّة قد أصابت نسرَها
أمجبّر العظم الكسير ومطـ ... ـلق العاني الأسير ويا مقيلاً عثرَها
حزنت عليك شريعة الهادي كما ... مهديّ آل محمّد قدسرَّها
ما مات من أشباله أسد الشرى ... كلّا تراه هو المدبّر أمرَها
أشبال ليث كلّ فرد منهم ... كأبيه في الإسلام أفنت عمرَها
إن يطو في ملحودة أبقى له ... عقباً فضائله أزادت نشرَها
فترى مجازاً غيرهم وتراهم ... عند الحقيقة للحقيقة ظهرَها
مهديّها صدر جواد حيدر ... يوم الكريهة حين تشرع سمرَها

وقال أيضاً:

ألا اصنعي كيفما شئت لا تذري ... يا نفخة الصور بالأرواح والصورِ
يا دهر حسبك لا تأتي بها أبداً ... هي القيامة قد قامت على البشرِ
أخذت يا دهر منها صدرها فغدت ... في حيرة بعده في الورد والصدرِ

ومنها:

تلفّعي هاشم بالحزن واتّزري ... مضى الردى بضياء العين من مضرِ[1]
لوى لويّاً واقصى غالباً ومضى ... من يعرب بالعرب في سمع وفي بصرِ

---

١. مُضَر: القبيلة المعروفة التي ينسب إليها قريش، وهو مُضَر بن معدّ بن عدنان. راجع: الأنساب للسمعاني ٥: ٣١٨؛ معجم أسماء العرب ٢: ١٦٢١.

إن مات فالخلف المهديّ نائبه		وصنوه صدره يقفوه في الأثرِ
جوادها حيدر في فعله حسن		من آل ياسين من صفو بلا كدرِ

وقال الشيخ مهديّ جرموقة الكاظمي[1]:

دري الردى إذ رمى سهماً أصاب به		عين الهدى أو رمى من حيث لا يدري
ما دار في خلدي عيني ترى قمرا		يهوي من الفلك الأعلى إلى القبرِ

ومنها:

صدر المجالس في النادي يحلّ به		تكسيه بهجته تاجاً من الفخرِ
كفّ يقلبها تجري أناملها		كالسحب منهلة بالنائل الغمرِ
يمناه لليمن قد صيغت أناملها		يسراه لليسر عند الجدب والعسرِ

وقال أيضاً:

أينَ لي أيّها الناعي المصابا		فنعيك زلزل الشمّ الهضابا
وداعي ركن بيت الله ذعراً		فقل لي هل نعيت لنا الكتابا

ومنها:

زجرت الطير إذ سنحت شمالا		فلم أر سانحاً إلّا غرابا
يغيب لخاطري غيب ويبدو		فيكشف لي به العجب العجابا
عويلاً يملأ الأيّام حزناً		ويسدل في مسرّتها نقابا

ومنها:

دفنتم، لا مكارمه، وحاشا		فقد وسعت من الأرض الرحابا
ملأتم للمعلى كاسات ثكل		ستجرع مرهاً صاباً فصابا
تركتم للورى قشراً قشيبا		وواريتم من الصدف اللبابا
أرى العليا ستقعد في حداد		عليه لا تسيغ لها شرابا

---

١. هو الشيخ مهديّ بن إبراهيم بن هاشم الجرموقي، كان من أهل الفضيلة والأدب، باعه في الفقه مديد، ورأيه في الأُصول سديد، له حاشية على كفاية الأُصول للآخوند، ولد سنة ١٢٨٩، وتوفّي في الكاظميّة سنة ١٣٣٩. انتهى ملخّصاً عن معارف الرجال ج ٣ ص ١٤٥. «ع»

ولولا الحـجّة المـهديّ سـلّى لهـا قـلباً سـلا حـزناً وذابـا

ومنها:

عذيري الدهر ممّا قـد جـناه جنى في مجدكم يوماً وتـابا
سقيت الوبل يا جدث حـواه من الرضـوان يـنهل انـصبابا
ولولا أن أشـط فأنت قـدس يـحطّ ولاؤه عـنّا العـذابـا

وقال الشيخ كاظم آل نوح[1]:

بصرف القضا أودى زعيمك يا فهرُ وعـزّك أودى والمكـارم والفـخرُ
وبحر نداك مفعماً غاض في الثرى ففاض عليه من عيون العـلى بـحرُ

ومنها:

أنازلة الأقدار، أنهيت أسهم المنـ يّـة جسـماً قـد تـعالى له القـدرُ
فدونك من شئت من الناس بعده خذي أو ذري فالكلّ من بعده ذرُّ
عـجبت إليك إذ تـطرّقت غـابه ولمّـا يـرعك مـن زمـاجره الزأزُ
أظنّك [قد] ألفيت [ليثاً] مهوّماً[2] ولو كان يقظاناً لأودى بك الذعرُ
وخـالسته نـفساً تـقدّس سـرّها هي الروح للدين الحنيفي والسرُّ

ومنها:

لوى مـن لؤيّ[3] كـفّ جـود مـنيلة لدى السنوات الشهب وكّافها التبرُ
ومـن مـضر الحـمراء لفّ لواؤهـا وبالنائب المـهديّ حـان له النشـرُ
مـن الشـرعة الغـرّاء ألّـف شـملها بـه بـعد تشـتيت ودان له العـصرُ
لتـلق جـماهير الكـلام عـنانها لمقول من لم يـعره العـيّ والحـصرُ

---

١. هو أحد الخطباء المعروفين والوجهاء المصلحين، ولد في الحلّة سنة ١٣٠٢، وانتقل إلى الكـاظميّة فكـان مـن خطبائها الأوّل، له عدّة مؤلّفات منها: محمّد والقرآن، وديوان شعر. توفّي سنة ١٣٧٩. «ع»

٢. [ ] تقديراً منّا لاستقامة الوزن. «ع»

٣. لؤيّ: هو ابن غالب بن فهر، وهو أبو قريش، والجدّ التاسع لرسول الله ﷺ. راجـع: مـعجم أسماء العـرب ٢: ١٥٠٥؛ الصحاح ٦: ٢٤٧٨؛ لسان العرب ١٥: ٢٣٨، «ل.ا.ى».

يـريها إذا مـا فـاه سـمط لآلئٍ مـنظَّمة لكـن مـنثوره درُّ
له القدح في نادي البلاغة أن يفه بـموجز لفظ موجز وله الصدرُ
فسد يا ملاذ الدين فالدين ضارب عـليك رواقاً دونـه الأنـجم الزهـرُ
وقم حاملاً عبء الرئاسة بـعد مـن مضى خلفاً عنه لك النهي والأمـرُ
ووازر حماة الديـن إخـوتك الأُلى يشـدّ لعـمر الله فـيهم لك الأزرُ

وقال الشيخ محسن الخالصي[١]:

رمى الدهر في سهم الردى والنـوائبِ فأودى بصدر الديـن مـن آل غـالبِ
فـرى كـبد الإسـلام واجـتذّ أنـفه مصاب دهى، أنسى جميع المصائبِ
لقد مات ديـن الله وانـطمس الهـدى وهدّت حصون الشرع من كلّ جانبِ

ومنها:

أيـا كـعبة العـلم التي كـان حـجّها لزاماً إلى مـن بـعد مسرى النجائبِ
ويـا أيّـها البـحر الذي عـمّ فـيضه على الناس جوداً في السنين الجوادبِ
بك المـحل خـصب، والنياق مدرّة لبـاناً فـلم تـحفل بـها غـير جـاذبِ
ولو لم نـر المـهديّ قـد قـام بـعده لعـدنا مـن الآمـال عـودة خـائبِ

وقال السيّد حسن البغدادي:

غال الردى من آل صـدر الديـن قـلباً أحـاط بسرّ عـلم الديـنِ
وأبان عن غاب المدارس مـلبداً خـضعت له آسـاد كـلّ عـرينِ
فانهلّ من عـين الشـريعة دمـعها مـتناثراً كـاللؤلؤ المكـنونِ
وتزلزل المـلكوت فـي أفـلاكـه حـزناً عـليه بـعولة ورنـينِ
ولو أنّ دمع العـين يـرجـع مـيّتاً بـذلت له الآمـاق كـلّ ثـمينِ
لو يفتدى ذاك الجناب من الردى لفـدته جـملة عـالم التكـوينِ
لكنّما باري النـفوس قـضى بأن لا بـدّ يـوماً مـن ورود منونِ

---

١. هو أحد فضلاء الكاظميّة وأُدبائها، ومن رجـال الثـورة الفـرسان، ولد سـنة ١٣١٣، وله عـدّة مـؤلّفات، تـوفّي سنة ١٣٧٠. «ع»

ومنها:

قل يا بني عمرو العلى ذهب الذي لن تأتي الدنيا له بقرينِ
قد راح عزّكم ولا يجديكم عضّ البنان وصفقة المغبونِ
ماكنت أحسب قبل حمل سريره أنّ الجبال تسير فوق متونِ
كيف استطاعوا حمله أولم يكن في حلمه أرسى من الراهونِ
يا مغمضي أجفانه ما شاهدت عين الدجى منه انطباق جفونِ

وقال الشيخ حسن صادق[١]:

هو البرق لكن بالشجى سيق قادمُهْ فأزجى سحاب الدمع تدمى سواجمُهْ
أثارته أسلاك حسبت متونها الأ راقم والأشداق منها مباسمُهْ
ففي كلّ قلب نافذات سمومه وفي كلّ قطر لافحاتٌ سمائمُهْ
أطلّ على وادي الغريّ فصكّه نياحاً بأذن الخافقين زمازمُهْ
مصاب به رجع النواح تخاله تقصّف رعد تستهلّ غمائمُهْ
ترى رهجاً بالشرق منه كأنّما تغشّاه من زلف الدجنّة فاحمُهْ
فتحسب أن سدّت مسارح ليله فما ينجلي عن ناظر العين قاتمُهْ

ومنها:

فجعناه لكنّا فجعناه وابلا دلوحاً وفوّاراً تفوح لطائمُهْ
أجل لم تقم نعشاً به الناس إنّما أقامت كتاب الله تتلى عزائمُهْ
كما خطّ في الأعناق عقد ولائه لقد خطت الستّ الجهات مآتمُهْ
عجبت لدهر كيف أنحى بصرفه عليه ولم تبلى بيبس قوائمُهْ
وتيّار علم منك قد جفّ غربه وقد كان زخّاراً شديداً تلاطمُهْ
لئن غاب بدراً لا يرى الناس مثله لقد غاض بحر لا يرى العبر عائمُهْ

---

١. كان من أفاضل العلماء، وأعيانهم، وأعلام الفضلاء، وأجلّائهم، على جانب كبير من كرم الأخلاق وطهارة الذات، ومحامد الصفات وجميل المزايا كما كان له المكانة العالية في الشعر والأدب، ولد سنة ١٣٠٦، وتوفّي في النبطيّة سنة ١٣٨٦. «ع»

وعطّل جيد الدهر منه فلا يرى شبيهاً له من عالم فيه عالمهْ
بل الحسن الزاكي فحسب الورى به[١] زعيم هدى فيه تقام دعائمهْ
وبالخلف المهديّ عن سلف مضى بديل وما من واجد لك عادمهْ
إمامان سبّاقان: هذاك حائز السـ ـباق، وذا تلو له وملازمهْ

وقال الإمام الشيخ مرتضى آل ياسين مؤرّخاً وفاته، وقد كتب على الشبّاك الذي نصب في مقبرة السيّد في الطارمة الشرقيّة في المشهد الكاظمي، وهو:

جدث به أنزلت يا ابن المصطفى جدث تضمّن محكم التنزيلِ
أنزلت فرداً في ثراه فلم يكن لك فيه من خلّ سوى جبريلِ
ولديك أملاك السماء عواكف ترعاك بالتسبيح والتهليلِ
أعظم به جدثاً غدت أملاكها تنتابه باللثم والتقبيلِ
فإذا مررت به وجئت مؤرّخاً سلّم فهذا حِجر إسماعيلِ

عقبه

أعقب أئمّةً أربعةً من أعلام الإسلام، وأبطال الإماميّة، كانوا كالحلقة المفرّغة لا يدرى أين طرفاها، غزارة علم، ورجاحة حلم، وسماحة نفس، في تكوينٍ تعالى مكوّنه من قدسي مقدّساته، آخت بينهم ملكاتهم القدسيّة، ومواهبهم العالية، كما آخى بينهم نسبهم الرفيع، لكأنّ الله ـ تعالى ـ إذا شاء أن يصوغهم إخوة لأب وأمّ(١) شاء أن يصوغهم في خصائصهم.

---

(١) اُمّهم المقدّسة كريمة ابن عمّ أبيهم الإمام أبي الحسن ـ الهادي ـ وهي خالتي كما بيّنّاه في أحوال المقدّس أبيهم[٢].

---

١. هو الإمام الحجّة السيّد حسن الصدر. «ع»
٢. تقدّم في ص ٢٠٢.

فهم بكلمة جامعة أئمّة حقّ تمّت لله بهم النعمة، ووجبت له عزّ وجلّ بهم الحجّة، أطواد في العلم، أوتاد في الأرض، في سمت الصدّيقين، وهدي الأنبياء، لا تصدع صفاة حلمهم، ولا يستخفّهم غضب، على سنن أبيهم يعفون عن هفوات الجاهلين. (ومن يشابه أبه فما ظلم).

كانوا في هذه الخصائص كلّها على غرار واحد، لكأنّهم فيها روح واحد، في أربع صور، وهم وإن كانوا في هذه الدقّة من الشبه ليمتاز كلّ منهم عن صنوه بخصائص أُخر:

فأوّلهم: **السيّد محمّد مهديّ** (بن السيّد إسماعيل بن السيّد صدر الدين محمّد بن السيّد صالح بن السيّد محمّد بن السيّد شرف الدين إبراهيم).

ولد ـ أعلى الله مقامه ـ في الكاظميّة ١٧ المحرّم سنة ١٢٩٦، فأخذ العلوم العربيّة وما إليها من أساتذتها المهرة في سامرّاء ـ وكانت يومئذ دار العلوم ومدارها عقليّةً ونقليّةً ـ ووقف في سطوح الفقه والأُصول والمنطق والحكمة والكلام على عدّة من أعلام المتخرّجين من حوزة أبيه، كالشيخ حسن الكربلائي، والشيخ محمّد حسين الطبسي، والشيخ محمّد صادق الشيرازي[1] وغيرهم من المحقّقين.

وفي سنة ١٣١٩ أتى النجف الأشرف فلازم الأئمّة من أعلام شيوخنا في تلك الأيّام، الشيخ محمّد كاظم الخراساني. والشيخ آقا رضا الهمداني، والشيخ محمّد طه نجف، مرهفاً عزمه لعلومهم يلتهمها التهاماً، حتّى كان من المبرّزين في حوزاتهم، ووقع من نفوسهم موقعاً جليلاً، ثمّ لم يزل قائماً على ساقه حتّى أشاروا إليه، وعقدوا الخناصر عليه.

فرجع حينئذ إلى أبيه، وقد أحرز من نفسه ملكة الاجتهاد، وذلك سنة ١٣٢٤. وكان المقدّس أبوه قد استوطن الحائر الشريف في ثلّة من أعلام حوزته، فإذا المهديّ واسطة

١. كان من الأفاضل الأدباء بارعاً في العلوم العربيّة متضلّعاً في الفلسفة والفقه والأُصول، جامعاً متقناً عاد إلى بلاده وصار مرجعاً، وقد توفّي حدود سنة ١٣١٨. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٢ ص ٨٥٤. «ع»

عقدهم، وقد عُني أبوه بأمره، يؤويه منه إلى عيلم علْم وعَلَم حلم، فكان كلّ يوم من ذلك في مزيد حتّى قضى أبوه نحبه، وأجاب داعي ربّه، فتبوّأ دست إمامته يصدر عن رأيه أُلوف يقلّدونه في أحكام الدين، واستوسقت زعامته بعد المقدّس خاله الإمام أبي محمّد الحسن الصدر أعلى الله مقامه.

وكان منذ نشأ مهوى الأفئدة، ومناط القلوب، بما تحلّى به من لين الجانب، وكرم الخلق، يسع الصغير بما يسع به الكبير، من عواطف أرقّ من نسمات الربيع، وأندى من طلل الفجر، يأخذ نفسه بزيارة القادم، وتشييع المسافر، وعيادة المريض، وأداء حقّ كلّ ذي حقّ، فإذا تهلّل للحديث قلت: ﴿مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[1].

وكان ذا حسن بارع، وجمال رائع، ورونق معجب، وبهاء مونق، ملء السمع والبصر، خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً، فلا غروَ أن علقت به النفوس، واستأثر منها بأسمى مكان وأعزّه، وأُحيط منها بأوفىَ ثقة وأتمّها.

وكان موسوعة جامعة، يضمّ إلى علومه العقليّة والنقليّة ضلاعة أدبيّة وعربيّة وفارسيّة، يرجح بها على المتخصّصين بالآداب من أعلام العرب والفرس.

وله في ذلك ذوق يوصله إلى أبعد الغايات في النقد ـ مع امتيازه بالذكاء والفطنة، وسرعة الانتقال ـ ذو حافظة تجمع شوارد اللغة، وكثيراً من جيّد الشعر الجاهلي والإسلامي، وتأريخ الأدب العربي والفارسي، وخصائص عصوره، وأحوال الأُمم العابرة والحاضرة، وأمثال العرب والفرس، وحكمهم المأثورة لا تفوته في ذلك شاردة.

وكان في قوّة الذاكرة آية من آيات الله، ينطبع فيها ما يروقه وما يسمعه، أو يقرأه من كلام فيه علم أو أدب، ثمّ لا ينساه غالباً، فإذا أفرغ فإنّما يفرغ عن أوعية شتّى، يسترسل عن لوح قلبه، فتخاله يتلو عن لوح مسطور.

لم أرَ أحضر منه ذهناً، ولا أطول في البحث نفساً، يثبت رأيه بالأدلّة الملزمة من

---

١. يوسف (١٢): ٣١.

عقل أو نقل، فيقطع مناظريه، ويظهر بالحقّ عليهم، على لين في جانبه، وخفض جناح لهم.

وهكذا كان مع سائر الناس من وليّ وغير وليّ، يأخذ الأُمور معهم بكلّ هوادة، وطول أناة، ما رأيناه في شؤون من شؤونه ضيّق الحيلة، أو خشن المراس.

وكان له في الثورة العراقيّة سنة ١٣٣٨[١] مقام مرموق، ورأي متّبع، وجهادٌ مشكور، وكان من الأعلام الذين ساهموا في هذه النهضة، وأمدّوا الزعماء بالفكرة والجلاد، على نحو ما هو معروف في تأريخها المجيد.

أمّا آثاره العلميّة: فمختصر نجاة العباد، و شرح التبصرة لم يتمّ، وشرح الشرائع لم يكمل،[٢] وتعليقة على كفاية الأصول. وله رسالتان عمليّتان عربيّة وفارسيّة على كلّ من التبصرة والعروة الوثقى والجامع العباسي، وربما كان له غير ذلك، وله شعر رائق في العربيّة والفارسيّة لا يحضرني شيء منه.

ومن آثاره الباقية في بغداد الحسينيّة الكبرى في جانب الكرخ ؛ إذ وقف في إنقاذها من البابيّة موقفاً محموداً، وقد اعتزم البابيّة أن يجعلوا منها كعبةً مبتدعةً، ليضلّوا بها من كان خفيف الحصاة، لكن غيرة السيّد أبت له ذلك، فنهض يسانده خاله الإمام أبومحمّد الحسن نهضةً خالدة الأثر، فأنقذ البنية وأحالها حسينيّة، فإذا هي مثابة المؤمنين، يعظّمون فيها شعائر الله عزّ وجلّ فجزاه الله عن الإسلام وأهله خير جزاء المحسنين.

فوجئ أوائل ذي الحجّة سنة ١٣٥٥ بفالج ألزمه الفراش، وكنت حينئذ متشرّفاً بزيارة المشاهد المقدّسة، فكنت أختلف إلى خدمته كلّ يوم، فكان ـ على ما به من

---

(١) الموافقة سنة ١٩٢٠.

(٢) فرغ فيه من كتاب الطهارة وابتدأ في كتاب الصلاة، وهذا الشرح عيبة علم وتحقيق، وهو مزجيّ.

مرض ـ يتدفّق في حديثه تدفّق الديم، فيجود الآذان والنفوس بما تتفتّح على فوائده أكمامها، وتبتسم على لطفه ثغورها، يفيض على هذا النحو في كلّ مذهب من مذاهب القول والرأي، لا تعييه مشكلة في علم، ولا تفوته نكتة في حديث، ولا نادرة في مؤانسة.

وما زال على هذه الحال، حتّى اختار الله له لقاءه ليلة الاثنين لثلاث مضين من رجب سنة ١٣٥٨، فكانت وفاته فجيعة هادمة، وكان لها صرخة دوّت في العراق، وعاملة، وإيران، والهند، وغيرها من بلاد الإماميّة.

وشيّع نعشه الشريف في مواكب عظيمة من الخاصّة والعامّة، حضرها السائس والمسوس من بغداد والكاظميّة وما إليهما.

وتقدّم للصلاة على نعشه ولده الفذّ العيلم العلم العلّامة السيّد أبو الحسن، يأتمّ به أعلام العلماء وغيرهم ممّن حضر ذلك المحشر.

ودفن إلى جنب المقدّس أبيه في حجرتهم المعلومة من الرواق الكاظمي المطهّر.

وأرّخ وفاته بعض العلماء بقوله من أبيات:

ومن السما أرّخت جاء ندأ   غاب الإمام محمّد المهديُّ

وأُقيمت له في آفاق الإماميّة مآتم حزينة، أبلى فيها الخطباء والشعراء في تأبينه ورثائه بلاءً حسناً، وكان السبق فيها لعاملة، ولا سيّما أهل صور ؛ إذ أخذوا بحظّهم، وفازوا بنصيبهم من ذلك فوزاً عظيماً.

أمّا بنوه الميامين فثلاثة من الأشراف الغطارفة، وهم: العيلم العلم العلّامة السيّد الشريف أبو الحسن، وصنواه الكريمان السيّد محمّد صادق، والسيّد محمّد جعفر ويدعى حاج آغا[1].

(١) أُمّهم كريمة شيخنا المقدّس الشيخ عبد الحسين آل ياسين.

أمّا السيّد أبو الحسن [بن السيّد محمّد مهديّ] فقد ولد يوم ٢١ جمادى الأُولى سنة ١٣٢٠. وأنشأه الله منشأً مباركاً في حجر إسماعيل وحضن أبوين كريمين، وبيئة[١] كريمة، فشبّ باسقاً في أُرومتها، حتّى احتلّ ذؤابتها، ولا غرو فيمن تداركته أعراق تلك البيئة ـ وهي أصدق أعراق الصدق ـ أن يكون في عِلية ذوي الإحسان، وفي ذروة الشرف الأعلى.

أخذ مبادئ العلوم العربيّة وغيرها عن أساتذتها في الكاظميّة، وهاجر إلى النجف الأشرف فوقف على ثلّة من أعلامها، ثمّ رجع إلى أبيه وعمّيه فعكف على شرائعهم السائغة، ومناهلهم العذبة، يكرع منها عَلَلاً بعد نهل، حتّى رآه(١) ريّان الحشا، واثقاً من نفسه، وبهذا خلف المقدّس أباه، معتصماً بأسبابه، مستقلاً بمحرابه، فكان نعم الخلف عن خير سلف. كتب ترجمته بقلمه وهي ما يلي[٢]:

... وعنيت في زمن الشباب بالشعر والأدب فطالعت للأدباء كأبي الفرج الأصبهاني، وابن خلّكان الكردي العراقي، وأبي حيّان التوحيدي، والجاحظ العثماني البصري، والراغب الأصبهاني ـ وأعتقد أنّه إماميّ أخفى مذهبه ـ وما شاكل أُولئك وكنت مغرماً بديوان الشريف الرضي من القدماء، والسيّد الحبوبي[٣] من المتأخّرين.

وقرظت الشعر في مواضيع متعدّدة، وسرعان ما تركته ولو لم أكن في دار غربة

(١) أي رأى نفسه.

١. البيئة: المنزل والحال. راجع المعجم الوسيط: ٧٥، «ب. و. ء».

٢. هذا مقدار ما وجدته منها في المبيضّة، وكان الباقي منها عند المرحوم ابن العمّ السيّد عليّ ولم أتمكّن من العثور عليها بين أوراقه. «ع»

٣. هو السيّد محمّد سعيد الحبوبي الحسني فقيه جليل من مجتهدي النجف الأعلام في طليعة أعلام الأدب ومن أعاظم الشعراء، ولد سنة ١٢٦٦. وكان على جانب عظيم من التقوى والصلاح وكمال النفس. اشترك بالجهاد مع الأتراك ضدّ الإنكليز في الحرب الأُولى توفّي سنة ١٣٣٣. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٢ [: ٨١٤، الرقم ١٣٢٨]. «ع»

لأتحفتكم من شعري بقطعات يمكن أن تدرج في هذه الترجمة، ولكـن شـعري غـير مجموع ويدي الآن قصيرة عنه.

وأمّا تلامذتي فهم كثر، وأغلب شباب العشيرة من آل الصـدر وآل شـرف الديـن وآل ياسين تلمّذوا عليّ، وكذلك عدّة من طلّاب جبل عامل، وطلّاب الكـاظميّة، وطـلّاب النجف الأشرف من إيرانيّين وعراقيّين، وكان لي في النجف الأشرف مجلس تـدريس مهمّ في المسجد الهندي، وبعض هؤلاء اليوم من أجلّاء العلماء ونخبة الفضلاء.

وكنت حين نشأت سعيداً مجدوداً، ومحظوظاً محسوداً، نشأت بـين آبـاء وأجـداد، وأعمام وأخوال من ناحية الأب والأُمّ، وبني أعمامهما، وبني أخوالهما من الطـرفين، وهم كانوا مجموعين على الأغلب في البلد الذي أُقيم فيه.

ولو افتكرت لما وجدت أحداً أسعده الجدّ في حسبه ونسبه فنشأ محاطاً بأمثال هؤلاء زهاء ربع قرن، وهم من عرفت غرر المجد، ونجوم السعد، وأساطين الدهر، وعـذبات الفخر، وبحور العلم، وهضبات الحلم، وغيوث الكرم، وصفوة الأُمم، من عـرب ومـن عجم، وأبطال الهيجاء، وإخوان الصفاء، فوا وحشتاه اليوم بعد انقشاع ظلّهم، وانكساف شمسهم، واحتجاب نورهم، حسرةً لا تطفأ إلّا باللحوق بهم، والعيش معهم في الرفيق الأعلى تحت راية أجدادهم الأئمّة الطاهرين.

وليس عندي من التأليف والتصنيف ما يستحقّ الذكر أللهمّ إلّا كراسات وقـصاصات، وتقريرات لبعض الدروس، وتعليقات على بعض الكتب، وقد شتّتتها أيـدي الأسـفار والأقدار وليس عندي الآن منها شيء إلّا ما علق منها بالقلب أو الدماغ.

وكنت أكتب وأُطالع وأُعلّق، وكنت أُطالع وأختار، وكنت أُطالع وأنتخب، وكنت أُطـالع وأختلف مع المؤلّف فأُعلّق على موضع الخلاف، ولكن على قـصاصات مـن الأوراق طارت بها أيدي الإهمال والاغتراب.

وقد آمنت منذ الشباب حتّى الآن بالأسفار والاغتراب. فسافرت إلى القطر الهندي في سنة ١٣٤٦ فدخلت لاهور ومدينة لكهنو، وهي مدينة العلم والعلماء في الهند يوم ذاك، فاتّصلت بعلمائها وأُدبائها وخطبائها فتباحثنا وتقارضنا وأفدنا واستفدنا وأجزنا بعضهم واستجزنا من بعض.

ثمّ دخلت حيدر آباد دكن ـ وثمّ التأريخ يحدّثني أن قد دخلها بعض أولاد السيّد عليّ نور الدين ـ وهناك طال المقام ثلاث سنين أو أكثر. وقد كتبت في حيدر آباد رحلةً لطيفةً بالفارسيّة لا أدري ما صنع بها الزمان.

ورجعت إلى الوطن سنة ١٣٥٠ فلم يطل بي المقام حتّى أزمعت الترحال إلى زيارة الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، فدخلت لأوّل مرّة إيران بلاد الله الجميلة الصالحة ـ إن تركتها الأجانب ولم تركبها ـ فدخلت أصفهان وهمذان وقمّ وطهران وخراسان، واتّصلت بعلمائها وكبرائها ورؤسائها، وكان العمّ الصدر يومذاك في خراسان فمكثنا بخدمته أشهراً، وأنا محاط هناك بهالة من العزّ والاحترام، ورجعت إلى الكاظميّة فمكثت فيها ما شاء الله شاغلاً مقام آبائي وأجدادي فيها.

وقدّر لي السفر ثانياً إلى إيران فزرت الإمام الرضا عليه السلام ثانياً، وكان سيّدنا العمّ الصدر قدس سره في قمّ يومئذ فمكثنا عنده أشهراً أيضاً ورجعنا ـ وكان ذلك سنة ١٣٦٧ ـ إلى الكاظميّة، وفي هذه السنة ذهبت بوفاة السيّدة الوالدة، وكانت لي أعظم ركن في حياتي السعيدة ماديّة وأدبيّة فاستوحشت ولم يطب لي المقام في الوطن.

فقصدت للمرّة الثالثة أيضاً إيران، وألقيت عصا التسيار في أصفهان وأنا الآن صار لي فيها قاطن عشر سنين أباحث وأدرّس وأطالع وأنقّب وأقيم صلاة الجماعة وأرقى المنبر في المسجد الذي أصلّي فيه. ولا أزال أمنّي النفس في الرجوع إلى الأوطان والربوع والأمر بيد الله عزّ وجلّ.

وقد شاءت الأقدار ـ والتأريخ يعيد نفسه، والولد على سرّ أبيه ـ أن أقيم صلاة الجماعة في أصفهان في المسجد الذي كان يقيم فيه صلاة الجماعة جدّي السيّد إسماعيل الصدر قدس سره، وسكنت في أصفهان مدّةً من الزمان في دار عمّرت واقتطعت من دار جدّي الأعلى السيّد صدرالدين الموسوي العاملي قدس سره وإن كان يملكها اليوم أجنبي. فانظر إلى الصدف والأقدار.

وكنت ولا أزال مولعاً بمطالعة الكتب أيّ كتاب كان ما عدا الكتب الفلسفيّة، وكان لي توجّه خاصّ نحو علم الرجال والدراية والحديث وتراجم العلماء والمصنّفين من

الفريقين، وإلى الآن أتخطّر أنّي كنت أُطالع كتابيكم الجليلين مقدّمة المجالس الفاخرة والفصول المهمة الطبعة الأُولى وعمري يوم ذاك لا يتجاوز العشر سنين وكنّا يومئذ في كربلاء المشرّفة.

وأمّا إجازاتي فإنّي مجاز في الرواية عن عدّة من الأساطين والأساتيذ، منهم: حضرة سيّدنا أنتم دام ظلّكم، ومنهم: سيّدنا الوالد، ومنهم: سيّدنا الحسن الصدر، ومنهم: السيّد نجم الحسن من أعاظم علماء الإماميّة في الهند [١] وهذا الإسناد عندي ثمين؛ لأنّ هذا السيّد يروي عن جدّي السيّد إسماعيل الصدر وأنا الوحيد الذي يحمل هذا الإسناد في طائفتنا حسبما أعلم... ومنهم: السيّد ناصر حسين [٢] نجل صاحب العبقات [٣]، وكان من أساطين علماء الإماميّة في الهند.

وهؤلاء الخمسة أجلّ من أروي عنهم وكلّهم من أهل الفنّ ومن أكابر العلماء ورؤساء الدين والمذاهب.

وإنّي أروي عن العلّامة المجلسي بسبع وسائط هكذا: بحقّ روايتي عن أبي وعنكم، وعن النوري الطبرسي صاحب المستدرك، عن الشيخ عبد الحسين الملقّب بشيخ العراقين [٤]،

---

١. عالم مصلح كبير، ولد سنة ١٢٧٦، وقد أسّس في لكنهو مدرسة الواعظين خرّجت كثيراً من الدعاة والمبشّرين بالإسلام. توفّي سنة ١٣٦٠.«ع»

٢. كان على وتيرة أبيه في سعة العلم وعظم البحث والتحقيق، أكمل كثيراً من موسوعة أبيه العبقات في الإمامة، ولد سنة ١٢٧٤، وتوفّي في لكنهو سنة ١٣٦١.«ع»

٣. هو السيّد المير حامد حسين بن المير السيّد محمّد قلي الموسوي الهندي من أكابر المتكلّمين وأساطين المناظرين، بذل عمره في نصرة الدين بتحقيقات أنيقة، وتدقيقات رشيقة، وإلزامات نبويّة، واستدلالات علويّة، لم تر عين الزمان مضاهياً لها في تتبّعه وكثرة اطّلاعه ودقّته وشدّة حفظه وضبطه، وله تصانيف جليلة تموج بمياه التحقيق والتدقيق، تعلم الناس بأنّه بحر لا ساحل له. أهمّها عبقات الأنوار في إمامة الأئمّة الأطهار يقع في أكثر من عشر مجلّدات. ولد في لكنهو سنة ١٢٤٦، وتوفّي فيها سنة ١٣٠٦. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ١ ص ٢٤٧.«ع»

٤. كان نادرة الدهر وأُعجوبة الزمان في الدقّة والتحقيق وجودة الفهم في الفقه والحديث والرجال. جاهد في الله في مَحوِ صولة المبتدعين، وأقام أعلام الشعائر في العتبات العالية. توفّي بكربلاء سنة ١٢٨٦. انتهى ملخّصاً عن الكنى والألقاب ٢: ٣٩٧.«ع»

عن صاحب الجواهر، عن كاشف الغطاء، عن الأُستاذ الأكبر، عن أبيه محمّد أكمل، عن خاله العلّامة المجلسي... . فيلاحظ وإن كان فيه خلل فليصحّح، ولعلّه أعلى إسناد يوجد في هذا العصر[١]. انتهى.

وأمّا السيّد محمّد صادق ابن السيّد محمّد مهديّ بن السيّد إسماعيل بن السيّد صدر الدين محمّد بن السيّد صالح بن السيّد محمّد بن السيّد شرف الدين إبراهيم، فقد ولد يوم ٢١ جمادى الأُولى سنة ١٣٢٤، وهو من أهل العلم والفضل، انقطع لطلب العلم، وأخلى في النجف الأشرف له ذرعه، وقصر عليه نفسه، وعكف على درس خاله إمام الفقهاء في وقته، الشيخ محمّد رضا آل ياسين ﷺ وهو صهره على كريمته الوحيدة، وله قدم صدق في مكارم الأخلاق، في الطليعة الأُولى من أهل الهدي والسمت وأخيار الناس، طيّب السريرة والعلانية، نزوع عن كلّ ما لا يستحسن، ناءٍ عنه كلّ النأي، عزوف عن كلّ ما يعاب، طهر طاهر مطهّر، من طهر طاهر مقدّس[٢].

ثانيهم: السيّد صدر الدين ـ ابن السيّد إسماعيل بن السيّد صدر الدين محمّد بن السيّد صالح بن السيّد محمّد بن السيّد شرف الدين إبراهيم ـ واسمه محمّد عليّ لكن غلب عليه لقبه الشريف، ولد ـ أعلى الله مقامه ـ مطلع الفجر يوم سابع عشر ذي القعدة سنة ١٢٩٨.

ونطق وهو في المهد عن سعادة جدّه، فسطعت آثار نجابته، وظهر وهو في الصبا صفاء ذهنه، وذكاء قلبه، إذ كان منذ صباه شهم الفؤاد، سريع الفطنة، يمازج الأرواح لرقّته، وتشربه النفوس لعذوبته.

أخذ العلوم العربيّة وما إليها، والمنطق وسطوح الفقه، والأُصول عن أساتذة صنوه المهديّ في سامرّاء.

---

١. توفّي في أصفهان في ٢١ شوّال سنة ١٣٩٨ ولا عقب له عليه الرحمة. للمزيد راجع ص ٧٢٣ ـ ٧٢٦، الذيل ٧.
٢. توفّي ﷺ سنة ١٤٠٦هـ «ع». للمزيد راجع ص ٧٢٧ ـ ٧٣٠، الذيل ٨.

وأخذ عن الإمام الشيخ عبد الكريم اليزدي، وأوغل في البحث عن هذه العلوم، فإذا هو فسيح الخطوة، غزير المادّة فيها، وهاجر إلى النجف الأشرف، فوقف على الأئمّة من شيوخنا: الشيخ ملّا كاظم الخراساني، والشيخ آقا رضا الهمداني، والشيخ محمّد طه نجف.

وأخذ عن العيلمين السيّد محمّد بحر العلوم الحسني[1] صاحب البلغة، والشيخ ضياء الدين العراقي، يغوص على دقائق المسائل الأُصوليّة، وغوامض الأحكام الفقهيّة، فيمحّص حقائقها بدقّة واعتدال، لا يفوته مطلب، ولا يقف دون غاية، حتّى عظم وقعه في نفوس أساتذته، وسطع فضله في أوساط النجف الأشرف وأنديتها العلميّة.

ثمّ رجع إلى أبيه وهو في الحائر فعكف على دروسه فقهاً وأُصولاً، ووقف نفسه على خدمته ليلاً ونهاراً، يصمد إليه في دخائل العلوم واستقراء دقائقها، يغدو ويروح ممعناً مع أبيه وإخوته وأعلام تلك الحوزة الفاضلة في التنقيب والتحقيق، مستلزماً أوقاته في ذلك، حتّى أحرزوا فيه فصل الخطاب، ومفصل الصواب، فإذا هو من مراجع الأُمّة، ومصابيح هداها... .

وله الميزة في الزهد، والعزوف عمّا يشوق غيره من مغريات المظاهر، يعيش في رحب من نفسه الراضية، غنيّاً عن دنيوات الناس بما في دنياه من جنان القناعة والإيثار والتواضع، وفي نفسه من هذا المعدن كنوز تتوهّج بالأعلاق والنفائس، من حُلى النفس ورياضتها على جشوبة العيش وخشونة المركب.

ولعلّي لا أعرف رجلاً يمتاز بمثل امتيازاته البيتيّة والعلميّة والنفسيّة، ثمّ يفرّ ممّا يدعوه ذلك إليه من ظهور أو استعانة به على أمر من أُمور الحياة.

---

١. كان له اليد الطولى في المعقول، وإحاطة بالمنقول، ماهر في الفقه، ولد سنة ١٢٦١، وتوفّي سنة ١٣٢٦. انتهى ملخّصاً عن ماضي النجف وحاضرها، ج ١ ص ١٥٨، ومعارف الرجال ج ٢ ص ٣٨١. «ع»

إنّه يفرّ من كلّ أنانية، ومن كلّ استعلاء، ومن كلّ ما يثقل على جليس أو سامع أو معاصر، يفرّ من ذلك فراراً مطبوعاً لا تكلّف فيه ولا صنعة، ولو أنّه استعان أو رضي بالاستعانة ـ في حال من أحواله ـ بعلمه أو بيته أو بشخصيّته لما ثقل منه ذلك على أحد؛ لأنّ شيئاً من ذلك لا ينكل عليه ولا يجحد له، وإنّما هو مسلّم مستساغ منه في كلّ تقدير.

كان في النجف وكربلاء زمناً غير قصير، وإنّه لمن أعلام أهل الفضل الذين يشار إليهم بالبنان، وإنّ له لمنزلة في وسطه الرفيع مغبوطة يدلّ بمثلها أمثاله. ولكنّه كان يتناساها، منصرفاً إلى طبعه الترابي المتواضع.

ثمّ كان في خراسان.(١)

ولعلّ أحداً من أعلامها لا يعدله علماً، ولا تقوىً، ولا وثاقةً، ولا بياناً، ولا إخلاصاً، ولكنّه كان إلى الاعتزال منه أميل إلى الظهور، وإلى الوحدة أقرب منه إلى الزحام.

ثمّ كان في قمّ بناءً على إلحاح أُستاذه الإمام الشيخ عبد الكريم اليزدي، فكان المرشّح الأوّل للزعامة الكبرى في إيران بعد الشيخ عبد الكريم، وكان الشيخ يشير إليه بذلك.

(١) إذ تشرّف بأعتاب الإمام الثامن الضامن عليه السلام سنة ١٣٣١ فألزمه الخاصّة والعامّة من أهل المشهد الرضوي ولا سيّما روّاد العلم منهم بالبقاء عندهم، فلم يسعه إلّا إجابتهم، فكان له المقام المحمود في النصح لله تعالى، ولكتابه، ولنبيّه، ولأئمّة المسلمين، ولعامّتهم. بالغ في خدمة الدين وأهله، وتعظيم شعائر الله، وتربية روّاد العلم، وإصلاح ما فسد من أُمور العامّة والخاصّة وما إلى ذلك، وأبلى بلاء حسناً، وفي سنة ١٣٣٧ جدّد العهد بالعراق تشرّفاً بالأعتاب المقدّسة وفوزاً بزيارة أبيه وأهليه. وفي سنة ١٣٣٨ رجع إلى خراسان بعد وفاة المقدّس أبيه.

ثمّ يتوفّى الشيخ ـ أعلى الله مقامه ـ فتجتمع الناس حوله متّفقين على اختياره، ولا سيّما أهل الفضل منهم، ولكنّه يأبى ذلك تخفّفاً من الأعباء واحتياطاً لنفسه.

لكنّه بالرغم من إبائه تقدّمت به مكانته فأقبل عليه الناس ساخطاً كان أم راضياً، وحين رأى نفسه أزاء الأمر الواقع، تولّاها زعامة دروس وخطابةً وجماعةً، وقياماً بأُمور العامّة في سنّة نبويّة، وهو ـ بعد ـ هو في طبعه ووضعه زهداً وتواضعاً.

وإذا عدونا منه هذه الناحية القدسيّة، فإنّ له في الأدب باعاً طُولى، وضلعاً في اللغتين العربيّة والفارسيّة.

وكان في مطلع شبابه منصرفاً إلى هذه الناحية، يجري في هذا المضمار ورفيقه حجّة الإسلام الشيخ مرتضى آل ياسين، وكانا يتجاريان إلى غاية مرموقة في فجر النهضة الأدبيّة في العراق، فكانا يشغلان أُمّهات الصحف بأدبهما الفذّ وعلمهما الجمّ.

وله في ذلك الفجر من المؤلّفات: مختصر تاريخ الإسلام، و رسالة في الحقوق اقتبسها من كلام الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام وهما كتابان مدرسيّان. وله في كهولته مؤلّفات أشهرها كتاب المهديّ المنتشر وهو كتاب نفيس أنفق عليه من عقله وإيمانه وذوقه وعلمه ما أخرجه متقن الأبواب، سديد المنطق، بليغ الأداء ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1].

وله: حاشية على كفاية الأصول، وخلاصة الفصول مطبوع، ورسالة في أُصول الدين، ورسالة في ردّ شبهات الوهابيّة، ورسالة في إثبات عدم تحريف الكتاب، وكتاب لواء الحمد فيما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله من طريق أئمّة أهل البيت عليهم السلام ومن طريق غيرهم، ممّا يتعلّق بالأُصول والفروع، والحكم والمواعظ، والمناقب والفضائل، في عدّة أجزاء، والغاية منه التأليف بين طوائف المسلمين، ومدينة العلم في أخبار أهل البيت، وله

١. البقرة (٢): ٢.

رسالة في الطلاق مطبوعة، ورسالة في حقوق المرأة في الإسلام، ومقدّمة كبيرة لكتاب المراجعات، ومنظومة في الحجّ، ومنظومة في العلوم، ورسالة في حكم ماء الغسالة، وحاشية على العروة الوثقى، وحاشية على وسيلة النجاة، وحاشية على منتخب المسائل، ورسالة في الحجّ، ورسالة في مناسك الحجّ، وسفينة النجاة، فارسيّة مطبوعة، وقد ترجمت إلى العربيّة، وله عدّة حواش على عدّة رسائل عمليّة.

وله قلم مطبوع مترسّل في النثر، وسهل في الشعر.

وإليك ما يحضرني من غرره:

قال مراسلاً ومعاتباً، وذلك في سنة ١٣٢٢، بعد مجيئنا إلى عاملة من هجرتنا العلميّة:

حتّى مَ بين حشاي النار تضطرمُ وفوق خدّي دمع العين ينسجمُ
ولا أرى نظرة من أهل عاملة ممّن محضت لهم ودّي وقد علموا
رفقاً بمن قيل فيه بعد بعدكم وجدانـنا كلّ شيء بعدكم عدمُ

إلى أن يقول:

عبد الحسين ترفق سيّدي بفتى ما غيرته الليالي بعد بُعدكُمُ
عمّت مناقبك الآفاق واشتهرت وهل عن العين نور الشمس يكتتمُ
قرآن فضلك يتلوه ويسمعه حتّى البصير، ومن في أُذنه صممُ
ماذا أقول وإن رمت البيان لما قد خصّك الله ضاقت دونه الكلمُ
بحر العلوم إذا أمواجه التطمت فليس إلّا بأسنى الدر تلتطمُ
جواهر العلم فيه استبشرت وزهت به وأمست رياض العلم تبتسمُ
وقد أضاءت مصابيح العلوم به ففي سناها نجاة الخلق كلّهمُ
قد جاء للمجد والعلياء منفرداً وأُمّهات الورى عن مثله عقموا

وله بيت واحد من الشعر المسمّى بالمشجّر أرسله إلى ابن خاله الزعيم الكبير السيّد محمّد الصدر عليه الرحمة وذلك إلى النجف الأشرف سنة ١٣٢٢، عندما كان مهاجراً إليها للتحصيل.

روضة حسن باكرتها الشمال
ينعم بالإحسان قبل السؤال
حلماً له خفت رواسي الجبال
فضائل ميل الحصى والرمال
عداه في ما حاز قبل الفصال
حتى صار صيد الرجال
الإنعام يوم النوال
الذي لا ينال
الفعال

الخلق الذي قد حوى
الجواد الذي
قد حوى
في

محمد الفضل الذي فاق من سواه في الفضل وحسن الفعال

عن
عزمه
علمه
ومن
الخلق الذي فاق من

الكمال
وأسنى الجلال
نيل العلى والكمال
طراً من وفي وعال
أمثاله فهو عديم المثال
أقرانه بما من العلم نال
فحكى بنقل الزهقات العضال
يرويه بالإسناد عن خير آل
عداه في الخلق وأسنى جمال

وهذا البيت يقرأ على تسعة عشر شكلاً تبدأ كلّها بنفس الكلمة، وتشترك مع سواها بعدد من كلمات البيت، وتستقلّ بكلمات أخرى[1].

---

١. محمّد الخلق الذي قد حوى روضة حسن باكرتها الشمال
محمّد الفضل الجواد الذي ينعم بالإحسان قبل السؤال
محمّد الفضل الذي قد حوى حلماً له خفّت رواسي الجبال
محمّد الفضل الذي فاق في فضائل ميل الحصى والرمال
محمّد الفضل الذي فاق من عداه في ما حاز قبل الفصال
محمّد الفضل الذي فاق من سواه حتى صار صيد الرجال
محمّد الفضل الذي فاق من سواه في الأنعام يوم النوال
←

وله هذه الأبيات بمناسبة هدم مقام أئمّة البقيع عليهم السلام من قبل الوهّابيّين:

لعمري أنّ فاجعة البقيع يشيب لهولها فود الرضيعِ
وسوف تكون فاتحة الرزايا إذا لم نصحُ من هذا الهجوعِ
فهل من مسلم لله يرعى حقوق نبيّه الهادي الشفيعِ

وقد اشتهرت هذه الأبيات في أوساط الشعراء فيما بين النهرين، وخمّسها ما يزيد على مائة شاعر، ونشرت في المجلّات والجرائد.

وله هذان البيتان محذّراً من استفحال دعوة البروتستانت[١] ضدّ الإسلام:

فوّقت الأعداء سهم حقدها وقلب دين المصطفى هو الغرضْ
فيا حماة الدين حولوا بينه وبينها قبل بلوغ الغرضْ

وقد نشرت في مجلّة الهدى التي كانت تصدر في العمارة، وذلك في مجلّدها الثاني الصادر سنة ١٣٤٨، وقد نشرت مع ستّة وعشرين تشطيراً من نظم عدّة من العلماء والأدباء.

→ محمّد الفضل الذي فاق من سواه في الفضل الذي لا ينال
محمّد الفضل الذي فاق من سواه في الفضل وحسن الفعال
محمّد الفضل الذي فاق من سواه في الفضل وحسن الفعال
محمّد الفضل الذي فاق من سواه في الفضل وحسن الكمال
محمّد الفضل الذي فاق من سواه في الفضل وأسنى الجلال
محمّد الفضل الذي فاق من سواه في نيل العلى والكمال
محمّد الفضل الذي فاق من سواه طرّاً من وفيّ وعال
محمّد الفضل الذي فاق من أمثاله فهو عديم المثال
محمّد الفضل الذي فاق عن أقرانه بما من العلم نال
محمّد الفضل الذي عزمه فتكاً يفلّ المرهفات الصقال
محمّد الفضل الذي ومن علمه يرويه بالإسناد عن خير آل
محمّد الخلق الذي فاق من عداه في الحقّ وأبهى جمال

١. بروتستان: مذهب إصلاحي ديني في قبال الكنيسة الكاثوليكيّة، مؤسّسة مارتن لوثر الألماني. وللمزيد راجع: الموسوعة العربيّة الميسرة ١: ٣٥٧؛ موسوعة الفلسفة ٢: ٣٦٣ ـ ٣٦٧.

وله هذه القصيدة في رثاء الزهراء عليها السلام:

يا خليليّ احبسا الجرد مهارا وابكيا داراً عليها الدهر جارا
وربوعاً أقفرت من أهلها وغدت بعدهم قفراً برارا
حكم الدهر على تلك الربى فانمحت والدهر لا يرعى ذمارا
كيف يرجى السلم من دهر على أهل بيت الوحي قد شنّ المغارا
لم يخلّف أحمد إلّا ابنةً ولكم أوصى إلى القوم مرارا
كابدت بعد أبيها المصطفى غصصاً لو مسّت الطور لمارا
هل تراهم أدركوا من أحمد بعده في آله الأطهار ثارا
غصبوها حقّها جهراً ومن عجب أن تغصب الزهرا جهارا
من لحاها إذ بكت والدها قائلاً فلتبك ليلاً ونهارا
ويلهم ما ضرّهم لو بكيت بضعة المختار أيّاماً قصارا
من سعى في ظلمها من راعها من على فاطمة الزهراء جارا
من غدا ظلماً على الدار التي اتّخذتها الإنس والجنّ مزارا
طالما الأملاك فيها أصبحت تلثم الأعتاب فيها والجدارا
ومن النار بها ينجو الورى من على أعتابها أضرم نارا
والنبيّ المصطفى كم جاءها يطلب الإذن من الزهرا مرارا
وعليها هجم القوم ولم تك لاذت وعليها الخمارا[١]
لست أنساها ويا لهفي لها إذ وراء الباب لاذت كي توارا
فتك الرجس على الباب ولا تسألنْ عمّا جرى ثمّ وصارا
لا تسلني كيف رضّوا ضلعها واسألنْ الباب عنها والجدارا
واسألنْ أعتابها عن محسن كيف فيها دمه راح جبارا

(١) هكذا ورد عجز البيت، ولا يخفى ما فيه من زحاف.

واسألنْ لؤلؤ قـــرطيها لمـــا انتثرت والعين لم تَشْكُ احـمرارا
وهــل المســمار مــوتور لهــا فـغدا فـي صـدرها يـدرك ثـارا

ولـه في رثاء الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

سقى دارهم بالكرخ صوب الغمائمِ وحـيّت ربـاها هـاطلات المـرازمِ
ولا برحت تبكي الغـوادي ربـوعها وأزهــارها تـفتر عـن ثـغر بـاسمِ
تــرتّل آيــات المســرّة والهـنا على كلّ غصن ساجعات الحـمائمِ
ولا عــدت الأفـراح مـربع أُنسـها تـروح وتـغدو بـين تـلك المـعالمِ
فــتلك ديـار أشـغف الحبُّ قـلبها وهِمْت بها مـن قـبل شـدّ التـمائمِ
منازل أحـبابي وأهـلي ومشـعري عـليها سـمات العزّ ضـربة لازمِ
حـظيرة قـدس لا يـضام نـزيلها وكـيف يـضام المسـتجير بكـاظمِ
سميّ كليم الله موسى ذخـيرة العبا دِ التـي اخـتيرت، وصـفوة هـاشمِ
إمـام بـه الكـون استقام ومـن بـه ولولاه أمسى وهو واهـي الدعـائمِ
به تجلب النعمى ويستدفع القضا وتكشف لأواء الخـطوب العـظائمِ
إذا أمّـه ذو حـاجة ـ وهـو بـابها ـ يـعود بـها مـقضيّة غـير نـادمِ
فيا ليت شعريِ كيف يمسي مشرّداً أسـير طـغاة مـن كـفور وآثـمِ
ويقذف مـن سـجن لآخـر صـابراً ومن ظـالم يـهدى إلى شرّ ظـالمِ
فسل سجن عيسى وابن يحيى وفضلها ولُمْ بعدها ما شئت إن كنت لائـمي
فوالله ما سجن ابن يعقوب يـوسف حكى سجنه والفرق بادي العـلائمِ
فيوسف قد أمســي عـزيزاً بـمصره على رأسه التـيجان غـير مـزاحـمِ
وعـلّة إيـجاد الورى بـاب سـؤلها يكــابد أهــوال الهـموم العـظائمِ
ودع خبر السـنديّ عـنك وسـجنه فـتعساً له مـن ظـالم غـير راحـمِ
وتبّاً لدهر مثل مـوسى بـن جـعفر يـحكّم فـيه شـرّ نـذل وحـاكـمِ
ولم أنسـه فـي السـجن يـعيد ربّـه ويروي ثـراه بـالدموع السـواجـمِ
يــصلّي ليـاليه يـصوم نـهاره تفدّيك نـفسي مـن مـصلٍّ وصـائمِ

أفي أيّ وجه يلطم الرجس وجهه	وما ذاك إلّا فرع لطمة فاطمِ
يجرّعه كأس النوائب علقماً	ويمنعه ظلماً لذيذ المطاعمِ
إلى أن قضى بالسمّ صبراً وما قضى	كريم لهم إلّا بسمّ وصارمِ
فزلزلت السبع الطباق وأعولت	جميع الورى من مبغض ومسالمِ
غريب وحمّالون تحمل نعشه	ولم يحفظوا فيه عظيم الذمائمِ
ويوضع ـ يا للمسلمين ـ سريره	على الجسر من بغداد من غير لائمِ
ودع عنك ما نادى المنادي فإنّما	مصيبته قد أقعدت كلّ قائمِ
فبعداً لهارون الرشيد وحزبه	فكم لهم أمثالها من جرائمِ

وله مؤرّخاً وفاة الإمام الجليل الشيخ عبد الكريم اليزدي ﷺ:

عبد الكريم آية الله قضى	وانحلّ من شمل العلوم عقدُهُ
أجدب ربع العلم بعد خصبه	وهدّ أركان المعالي فقدُهُ
كوكب سعد سعد العلم به	دهراً وغاب عنه اليوم سعدُهُ
كان لأهل العلم خير والد	وبعده أمست يتامى ولدُهُ
بشهر ذي القعدة غاله الردى	بسهمه يا ليت شلّت يدُهُ
في حرم الأئمّة الأطهار في	شهر حرام كيف حلّ صيدُهُ
دعاه مولاه فقلت مؤرّخاً	لدى الكريم حلّ ضيفاً عبدُهُ

اختار الله له دار كرامته في ١٩ ربيع الثاني سنة ١٣٧٣، ففجع به الدين والعلم، وكان يومه مشهوداً وأُقيمت له مجالس الفواتح والعزاء في أكثر أنحاء العالم الإسلامي، تغمّده الله برحمته ورضوانه.

أمّا بنوه الميامين فثلاثة[1].

(١) أنجبتهم أمّ برّة صدّيقة هي كريمة الإمام الهمام الحاجّ آقا مير السيّد حسين الحسيني القمّي، المتوفّى في ربيع الأوّل سنة ١٣٦٦، وكان من أعلام الإسلام ومصابيح الهدى ﷺ.

وإنّ لفتاهم وأكبرهم الأبرّ الأغرّ العبقري الفذّ، السيّد الشريف أبا الكاظم، وأخا الفضل والهدى والمكارم السيّد الآقا رضا، المولود في رمضان سنة ١٣٣٩، وقد كانت لنا الحظوة بهذا الفتى الهمام؛ إذ شرّفنا بزيارته إيّانا في صور مستهلّ المحرّم الحرام سنة ١٣٧٢ فرأيت به ذهناً رحباً حاضراً عميقاً ينكشف في ميادين البحث والتفكير عن عبقريّة متفتّحة، وملكة في الفقه وما إليه من العلوم راسخة، فيظلّ منهما عليك فيما تجاذبه من أطراف العلم والحوار، غزير المادّة، محكم الرأي، صحيح المنهج، قويّ العارضة، عيلم علم خضماً، وعَلَم فضلٍ راسخاً.

فتىً في ميعة الشباب الغضّ، يبذّ طوال الأعمار من المفكّرين، والعلماء الراسخين، فتبارك الله أحسن الخالقين صاغ العبقريّة به قبل أوانها آية من آياته عزّ وجلّ فإذا هو على حداثة السنّ يطوي المراحل الشداد الطوال، فيعيد المحال غير محال.

قرّت به والله عيني؛ إذ قد اطمأننت منه إلى علم يهدي به الأُمّة، ويحفظ به علوم الأئمّة.

ولنا نحن آل شرف الدين به الغبطة والحبور، إذ أحرزنا به استمرار هذه الأُسرة في بيئة العلم؛ إذ وجدناه نعم الخلف عن السلف فالحمد لله على ما أحرزناه من هذا الاستمرار، وإليه عزّ وجلّ نبتهل بأن لا يخيب لنا هذا الرجاء، وأن يستجيب لنا هذا الدعاء إنّه أرحم الراحمين[١].

ثالثهم: السيّد محمّد جواد بن السيّد إسماعيل بن السيّد صدر الدين محمّد بن السيّد صالح بن السيّد محمّد بن السيّد شرف الدين إبراهيم.

ولد ـ أعلى الله مقامه ـ في جمادى الآخرة سنة ١٣٠١، فدرج من مهد السيادة، ونشأ في حجر الدين والعلم والنسب.

نجله أبوان كريمان، فما بلغ أشدّه حتّى كان من آيات الله في الذكاء والفطنة، يباري فهمه سمعه، ويسبق قلبه أذنه، يفهم من الإيماء قبل اللفظ، ومن النظر قبل الإيماء.

---

١. للمزيد راجع ص ٧٣٠ ـ ٧٣٢، الذيل ٩.

وكان طلق المحيا، بادي البشر، أنيس الطلعة، مشرق الديباجة، مفوّهاً أُوتي جوامع الكلم، وتوابغ الحكم.

أخذ علومه العقليّة عن عدّة من أساطينها كشيخنا الشيخ ضياء الدين العراقي، وسيّدنا السيّد حسين الفشاركي الأصفهاني، وسيّدنا السيّد أبو الحسن الطالقاني[1].

ولازم والده ـ المقدّس ـ مدّة حياته، فكان من أقطاب حوزته، بحر علم لا يسبر غوره، ولا ينال دركه، يرجع إلى عقل أصيل، ولبّ رصين، ورأي جميع، وقلب واع، فلو مثّل العقل شخصاً لكانه عينان متقدّمتان تتلألآن تلؤلؤ النجم في فلكه البعيد، فإذا خلا إلى نفسه علّقتا في الأُفق وشع منهما تأمّله، تغمر أوّل قادم عليه بلسان حديد، يومض منهما ببيان متدفّق، وتحيطان بالسامع من أمام ووراء، جهارةً في الصوت، وعمقاً في المغزى، ودقّةً في الفكر.

كان ـ أعلى الله مقامه ـ يستمدّ الحديث من ثقافته العامّة، وإنّه لمن خير العلماء ثقافةً عامّةً.

كان عالماً من أعلام الإسلام في الفقه، وكان إلى ذلك جامعاً تمتدّ باعه إلى الفلسفة والتأريخ والجغرافيا والهندسة، وكان فيها جميعاً فارساً جوّالاً، يقبض على أعراقها، ويدرّ لسانه بألبانها صافياً معسولاً.

رأيته سنة ١٣٥٥ ـ إذ تشرّفنا بالأعتاب المقدّسة ـ يتبختر في تلك الميادين على صهوة تختال به اختيالاً، وهو يعلو بها كرّةً وصيالاً، فتوسّمت به أن ينتهي إليه احتياءً بهذه البردة الفضفاضة؛ واشتمالاً بهذه العارضة الفيّاضة.

تقلّد بعد صنوه المهديّ منصبه الروحي، فكان جارياً على مثاله في ممارسة الأُمور العامّة، ومعاشرة الناس، يصدر في ذلك عن الرويّة والخلق في النصح لله ـ تعالى ـ برعاية عباده.

---

١. كان من العلماء الأجلّاء الاتقياء، حضر في سامرّاء مدّةً على المجدّد الشيرازي، وذهب إلى طهران مقيماً بالوظائف الشرعيّة، وتوفّي سنة ١٣٥٠. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ١ ص ٣٣.«ع»

وهكذا كان مدّة حياته يعمرها بالعلم والعمل، حتّى فوجئ الناس بوفاته بغتةً فجر يوم الخميس ٢٦ شوّال سنة ١٣٦١، فوقع منهم النبأ موقعاً فاجعاً، وعمّت المصيبة بفقده، ورهق الناس من الخطب ما هالهم، واحتفل حشدهم بتشييعه والصلاة عليه، ودفن إلى جنب أبيه وأخويه حيث يزارون في حجرتهم من الرواق الكاظمي الشريف، وأُقيمت له مآتم الحزن في العراق وفي جبل عامل وإيران وكانت مشهودةً ولا سيّما عندنا في صور.

ولقد نعته الصحف باكيةً حزينةً، ورثته الشعراء وأبّنته الخطباء... وأرّخ وفاته ابن خاله العلّامة السيّد محمّد صادق فقال:

رزءُ آلــم وفــادحٌ عظم المصاب به وجلّا

فالدين ينعى باكياً وشريعة الإسلام ثكلى

عمّ المصاب فأرّخوا فقدُ الجواد الشرع ثلّا

أمّا عقبه فمن كرائمه العقائل.

رابعهم: السيّد حيدر بن السيّد إسماعيل بن السيّد صدر الدين محمّد بن السيّد صالح بن السيّد محمّد بن السيّد شرف الدين إبراهيم.

ولد ـ أعلى الله مقامه ـ في سامرّاء أثناء جمادى الأولى سنة ١٣٠٩[1]، وأخذ علومه عن أئمّة العلماء في عصره، وعكف على أبيه في دروسه وفي سائر أوقاته، فكان آية علم، إن تَقِس به أيّ جهبذ من جهابذة الفقه والأُصول يرجح عليه عمقاً في النظر، وجولةً في الفكر، وقوّةً في التفريع، وإحاطةً بالأدلّة، واعتدالاً بمفادها، واستحضاراً للشواهد والنظائر والمؤيّدات.

عرفته طفلاً فكان من ذوي العقول الوافرة، والأحكام الراجحة، والأذهان الصافية،

(١) أرّخ بعض العامليّين مولده فقال:

فحيدر واليمن قد جاءا معاً فناد بالتأريخ: يُمنٌ قد ظهر

كان وهو مراهق في أوائل بلوغه لا يسبر غوره، ولا تفتح العين على مثله في سنّه، تدور على لسانه مطالب الشيخ مرتضى الأنصاري ومن تأخّر عنه من أئمّة الفقهاء والأُصوليّين، وله دلو بين دلائهم قد ملأه إلى عقد الكرب.

يقبل على العلم بقلبه ولُبّه وحواسّه، فينمو في اليوم ما ينموه غيره في شهر، ما رأت عيني ولا سمعت أُذني بمثله في هذه الخصيصة وقد رأيته قبل وفاته بفترة يسيرة، وقد استقرّ من جولته في غاية من الفضل لا تبلغها همم العلماء، ولا تدركها عزائم المجتهدين.

والحقّ أنّ السيّد حيدر قد بلغ من الفقه والأُصول على حداثة سنّه مبلغاً يستوجب أن يكون في الطليعة من شيوخ الإسلام، ومراجعه العامّة، ولعلّي لا أعرف ـ غير مبالغ ـ من يرجح عليه بشيء ما في ميزان من موازين الفقه الراجحة.

كان ﷺ بعيد الشوط، قصيّ الغاية، يُتعب في البحث فرسان العلم، وهم يتجارون حوله مُغذّين، وإنّه ـ فيما عنده ـ مسترسل يمشي الهوينا، في غير جهد ولا لغوب.

كان بناءً شامخاً ملحوظ الشموخ في الأوساط العلميّة، ولرأيه وزن عند المحقّقين، وقوله عندهم فصل الخطاب.

وقد يورد المشكلة النظريّة في فقه أو أُصول فتدوّي في الأوساط العلميّة، وتتناولها أفكار الأساطين وألسنتهم بحثاً وجدلاً وأخذاً وردّاً أيّاماً وأسابيع، ثمّ تظلّ في مكانها من الدقّة والغموض، وتظلّ العقدة ـ الحيدريّة(١) ـ كما ساقها متقنةً محتبكةً، حتّى يبسط عليها من بيانه ما يحلّ مِرّتها، ويكشف غموضها.

---

(١) ذكرها الإمام الهمام الشيخ ضياء الدين العراقي في تنبيهات الاشتغال[1].

---

١. راجع مباحث الأُصول ٤: ٢٦٩ قال: «لم ترد في نهاية الأفكار تسمية ذلك بالشبهة الحيدريّة وإنّما وردت نسبته إلى عنوان بعض الأجلّة المعاصرين». راجع نهاية الأفكار ٣: ٣٦٢. وفي القواعد والفوائد ٢: ٣٥٨ قال: «الشبهة الحيدريّة تعرّض لها آية الله آقاضياء الدين العراقي في مجلس درسه فكتبت بقلم بعض طلّابه في تقرير بحثه».

لم يكن يُرى غير مفكّر، وربما أمعن في الفكر قائماً أو قاعداً أو مضطجعاً، وربما همهم وأشار يدير الإشارة مُوقعةً، كما إذا احتبى في مجلس المناظرة، فإذا رآه من لا يعرفه عجب من أمره... .

وكانت له في ذلك ميزة التربية في طريقة التدريس، يذوق طلّابه في درسه ما لا يذوقونه في درس غيره من أساتذة العلم وأساطينه، لا لأنّه يمتاز بعلمه فقط، بل لأنّه يمتاز مع ذلك بإلهامه، فإذا توسّط هالة الطلّاب تجلّت روحانيّته المُثلى، فاسترقّ الأفهام بأُسلوبه، واستعبد الأسماع بسحر بيانه، فلا يرد كلامه على سمع ذي لبّ فيصدر إلّا عن إذعان.

هكذا كان وجهة روّاد العلم، وقبلة أمانيّهم، لكن الله عزّ وجلّ قد استأثر به، فأقصدته المنيّة، وطوت ـ بكلّ أسف ولهف وحسرة ـ صحيفته، فأخفقت الآمال، وأكدى الرجاء.

اختلج من بين أهل العلم، وقد عقدوا بإمامته العامّة حبل أمانيّهم، وشدّوا بها عرى آمالهم، وكانوا يرونها على طرف الثمام[1]، ولو تأخّر أجله إلى ما بعد شيوخه ما اختلفوا في تقدّمه، ولكن لله أمرٌ هو بالغه فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وقد كانت المصيبة بفقده ليلة الخميس ٢٧ جمادى الأُولى سنة ١٣٥٦، فهفت الأفئدة جزعاً، وتساقطت النفوس حسرةً، وشيّع في مشهد من الناس عظيم، ودفن إلى جنب ـ المقدّس ـ والده حيث يزارون في حجرتهم من الرواق الكاظمي، وأُقيمت له الفواتح، وانعقدت له المآتم في المشاهد المشرّفة وإيران وعاملة، فكانت حافلةً تتلى فيها مناقبه وخصائصه نظماً ونثراً.

---

(١) يقال: على طرف الثمام أي قريب المنال؛ لأنّ الثُمام نبت قصير[1].

---

١. الثُمام: ... ضعيف له خُوص، أو شبيه بالخوص. راجع: الصحاح ٥: ١٨٨١؛ لسان العرب ١٢: ٨١، «ث. م. م».

الحديقة الثانية

السيّد الشريف العلّامة السيّد محمّد عليّ بن السيّد صالح بن السيّد محمّد بن شرف الدين

ولد ـ أعلى الله مقامه ـ في جبل عامل سنة ١١٩٥، وهو شقيق صنوه السيّد صدر الدين لأبويه كليهما(١)، أنشأه الله منشأً مباركاً، وأنبته نباتاً حسناً، فتلقّى علومه عن شيوخ أخيه، وكان شريكه في جميع دروسه لدى كلّ من أبيه والشيخ سليمان بن معتوق، والسادة القادة صاحب المحصول، وصاحب الرياض، وبحر العلوم، وكاشف الغطاء وغيرهم. يضارع أخاه في جميع خصائصه العلميّة والعمليّة، ولا غرو في من قدّا من أديم واحد، وشقّا من نبعة واحدة أن يكونا كفأين في العلاء، كفرقدين في السماء.

قال سيّدنا ـ وقد ذكرهما(٢) ـ: وكانا كالشريفين المرتضى والرضي على التحقيق في جميع المعاني.

قال: وكانا شريكين في الدرس والتلمذة على المشايخ، إلى آخر كلامه.

---

(١) ولمّا هاجر أبوه إلى العراق كان في الرابعة من عمره الشريف فلحقه عمّه ـ جدّنا أبو إسماعيل السيّد محمّد ـ به وبأخيه وأمّهما.

(٢) في ترجمة جدّه السيّد محمّد عليّ من تكملة الأمل[1]، وترجمه أيضاً في ج ٤٦ من أعيان الشيعة[2].

---

١. تكملة الأمل الآمل: ٣٨٥ ـ ٣٧٢.

٢. أعيان الشيعة ١٠: ١٢.

وحدّثني ﷺ عن ابن عمّه السيّد محمّد عليّ بن السيّد أبو الحسن بن السيّد صالح:
أنّه رأى مجموعة لعمّه السيّد صدر الدين بخطّه الشريف كانت عيبة [1] علم، ومستودع حكمة، وفيها مشكلات من علوم شتّى، كان السيّد صدر الدين سأل أخاه السيّد محمّد عليّ عنها، فأجابه عن كلّ منها(١) بما يوجبه العلم، ويفرضه التحقيق، ويحكم به الاعتدال في رفع الإشكال.

ـ قال: ـ ويستفاد من ذلك علوّ مقام السيّد محمّد عليّ في استجلاء غوامض العلوم، فإنّ من يؤامره مثل السيّد صدر الدين في معضلات المسائل، ثمّ يروي أجوبته عنها محتفظاً بها مسجّلاً لها بيده لرفيع المنزلة في العلوم إلى الغاية.

ـ قال: ـ وكان على جانب من التقوى والورع، عليه أنوار الجلالة والمهابة، مفوّهاً فصيحاً، فإذا قال بَدّ(٢) القائلين، ونقع غلل السائلين [2].

ـ قال: ـ وحدّثني السيّد الأجلّ السيّد أحمد بن السيّد حيدر الحسني [3]، وكان من العلماء الأتقياء المعمّرين فقال: كان جدّك السيّد محمّد عليّ إذا حضر في مجلس فيه العلماء الأعاظم كالشيخ موسى بن الشيخ جعفر [4] وأمثاله فإنّما يكون المجلس

(١) ذكرها الشيخ محمّد محسن الشهير بآغا بزرك بعنوان جوابات شتّى في ص ٢٢٤ من الجزء ٥ من الذريعة.
(٢) بدّ القائلين بالدال المهملة: فرّقهم [5].

١. عيبة علم: أي وعائه. راجع المعجم الوسيط: ٦٣٩، «ع. ي. ب».
٢. نقع غلل السائلين: أي سكن عطشهم. راجع المعجم الوسيط: ٦٥٩، «غ. ل. ل»، وص: ٩٤٨، «ن. ق. ع».
٣. كان من العلماء الأجلّاء، ورعاً تقيّاً وثّق به عامّة الناس، ورجعوا إليه في مسائل الدين والدنيا، ولد في الكاظميّة سنة ١٢٢٢، وكان قائماً بالوظائف الشرعيّة إلى أن توفّي سنة ١٢٩٥. انتهى ملخّصاً عن الكرام البررة ج ٢ ص ٨٦. «ع»
٤. هو الشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، قال في التكملة: من أساطين العلماء وجبال العلم وأركان الدين، والمرجع العامّ في الدنيا والدين لعامّة أهل عصره من الأمراء والوزراء فضلاً عن العلماء والمقلّدين، توفّي سنة ١٢٤١، وقد قارب الستّين. انتهى ملخّصاً عن ماضي النجف وحاضرها ج ٣ ص ١٩٩. «ع»
٥. راجع المعجم الوسيط: ٤٢، «ب. د. د».

للسيّد محمّد عليّ والكلّ يكونون مصغين إليه، وكان مع ذلك آية في الورع والزهد، وكثرة العبادة. انتهى بلفظه.

قلت: وقد تزوّج من بغداد بإحدى العقائل من سراة[١] القبائل وهي أمّ أولاده، وأقام مدّةً في الكاظميّة وبغداد مفزعاً للمؤمنين في معالم الدين حتّى زمّت ركابه إلى المشهد المقدّس الرضوي بأطفاله وعياله، فمرّوا بأصفهان وفيها أخوه السيّد صدر الدين، فنزل في رحابه مريضاً واشتدّ به المرض حتّى قضى ثمّة نحبه وأجاب ربّه، وذلك سنة ١٢٤١ فحمل نعشه إلى النجف الأشرف بوصيّة منه، فدفن في الحجرة الكائنة عن يمين الداخل إلى الصحن الأقدس من بابه الشمالي المعروف بباب الطوسي حيث يزار.

وأعقب من ثلاثة أصناء[٢].

الصنو الأوّل: هو السيّد الشريف عيسى ـ بن السيّد محمّد عليّ بن السيّد صالح ـ كان من العلماء الربّانيّين، ذا معرفة بالله عزّوجلّ كاملة، وإخلاص لوجهه الكريم تامّ، وكان من أهل الأسرار والأذكار، والعزلة عن الناس، مشغولاً بتهذيب نفسه، ومجاهدتها بالرياضات الشرعيّة، وقمع الشهوات الحيوانيّة.

وربما كانت له اليد الطولى في العلوم الغريبة كالجفر وعلم الحرف والأعداد وأمثالها، وقيل: إنّه ظفر بالكيمياء، فكانت له ثروة الملوك، وسيرة الأولياء في الزهد والعبادة، وإيثار الإنزواء عن الناس.

سكن طهران فكان له فيها منزلة رفيعة في نفوس العلماء والأجلّاء والملوك والأمراء والسواد من الناس، وكان الأمراء والوزراء يستأذنون في الدخول عليه فيأذن لمن شاء ويحجب من شاء.

---

١. سَراة كلّ شيء: ما ارتفع منه وعلا. وأراد به هنا أشرفهم، راجع لسان العرب ١٤: ٣٧٨، «س. ر. ا».

٢. وهم عيسى وموسى والهادي، احتضنهم عمّهم السيّد صدر الدين وكفّلهم كما يحتضن أولاده فنشؤوا في حجره وشبّوا في ظلّه، وكذا نسبوا إليه هم وأعقابهم. «ع»

وفي آخر أيّامه خرج من طهران لحجّ بيت الله الحرام، فأدركه الموت في همذان ووقع أجره على الله عزّ وجلّ سنة ١٢٨٠، فحمل نعشه إلى النجف الأشرف بوصيّة منه، فدفن ثمّة بجوار جدّه عليه السلام.

أعقب ولدين فاضلين، وهما: السيّد إبراهيم الطبيب، والسيّد جمال الدين الخطيب.

أما السيّد إبراهيم بن السيّد عيسى، فقد ولد في طهران سنة ١٢٦٧، وأخذ العلوم العربيّة والفنون الرياضيّة، وعلم الفلسفة ـ الحكمة ـ عن عدّة من أعلام العلماء المتخصّصين بهذه الفنون، وتفقّه في الدين على جماعة من الفقهاء الروحانيّين في قمّ وطهران، ثمّ تخصّص بعلم الطبّ فأخلى له ذرعه واستفرغ فيه وسعه، حتّى كان منه بأعلى مناط العقد، وكانت له فيه الميزة الظاهرة، وسكن في آخر أيّامه أبهر من بلاد خمسة قرب زنجان، ومات فيها سنة ١٣١٣، وله مؤلّفات في فنون شتّى، فيما حدّثني عنه بعض الثقات، وأعقب ولدين مهذّبين كاملين:

أحدهما: السيّد إسماعيل المولود سنة ١٣٠٠ والمتوفّى في المسيب في الحجر الصحّي أيّام الوباء سنة ١٣٢٢، وكان من الفضلاء والأتقياء مهاجراً لطلب العلم. وترك ولداً ذكراً مات في صباه.

ثانيهما: السيّد عبّاس المولود سنة ١٣٠٥ في أبهر، والمتوفّى بها سنة ١٣٥٠ عن ولدين: السيّد أبو الفضل المولود سنة ١٣٣٠، وله ولد اسمه السيّد محمّد ولد سنة ١٣٦٦، والسيّد عبدالله ولد سنة ١٣٣٧، وله ولدان: السيّد عليّ أصغر ولد سنة ١٣٥٨، والسيّد رضا ولد سنة ١٣٧٢.

وأمّا السيّد جمال الدين الخطيب ـ بن السيّد عيسى ـ فقد كان في طهران من أهل العلم والفضل، والمنزلة والصدق، والأمانة والورع، خطيباً بليغاً، قويّ العارضة، فسيح الخطوة، بعيد المدى، رائع المنطق.

تشرّف بالأعتاب السامية سنة ١٣١٨، ونحن إذ ذاك في النجف الأشرف فاجتمعت به وراقني أدبه وهديه وورعه، وسعة اطّلاعه وحفظه لحديث أهل البيت وتفسير القرآن

بالمأثور عنهمﷺ، رأيته في بعض الليالي وقد ارتقى ذروة المنبر في مسجد الهندي وهو غاصّ بالأفاضل والأماثل، منصتين لما يلقيه عليهم، وقد خشعت له الأبصار، وسكنت لحكمته الجوارح، فملأ الدلو إلى عقد الكرب.

وكان ﷺ من المؤسّسين للمشروطة في إيران، ركناً من أركانها الناهضين ـ أيّام الشاه مظفّر الدين ـ في بنيانها.

لكنّ السلطان محمّد عليّ شاه لمّا نقض أحكام المشروطة، وبغى على الناهضين بها، أخذ السيّد جمال الدين فقتله مظلوماً ليلة ٢٦ رجب سنة ١٣٢٦(١)، عن سبعة وأربعين من عمره، تغمّده الله بعفوه[1].

وله ولد اسمه محمّد عليّ[2] تخصّص في العلوم العصريّة، وقد تخرّج منها أوّلاً من كلّيّة عينطورة المعترف بها من الجامعة الأميركيّة في بيروت، وبعد أن نال الشهادة منها هاجر إلى باريس وغيرها مكمّلاً في تلك العلوم، وكان المتفوّق دائماً.

(١) إذ كان ميلاده سنة ١٢٧٩، وله حكايات فيما كان ينقمه على شاه إيران يطول المقام بشرحها، وقد ألقي عليه القبض في طهران وسيق إلى همدان فكان تحت مراقبة أميرها المعروف بأمير أفخم، وكان مكرماً له حتّى أمره الشاه بقتله، فلمّا علمت زوجة الأمير أفخم بذلك أنكرت قتله وهالها ذلك وكانت صالحةً فاستعفى زوجها من الشاه لئلّا يبتلى بدمه، وحينئذٍ أمر الشاه بتسليم السيّد إلى حسام الملك، وكان حاكماً في لورستان فوضع السيّد في خيمة خارج البلد، فتمكّن السيّد أن يكتب في أمره إلى ابن عمّه الإمام أبي محمّد الحسن الصدر، وحين وصل الكتاب إليه أبرق إلى محمّد عليّ شاه بالشفاعة بالسيّد جمال الدين ملتمساً إرساله إليه وقد ضمن له عدم عودته إلى إيران، لكن هذه البرقيّة عجّلت على السيّد جمال الدين فقتله وأبرق للسيّد بأنّه مجهول الإقامة.

١. للمزيد راجع ص ٧٣٢ ـ ٧٣٥، الذيل ١٠.

٢. وله أيضاً السيّد حسن والسيّد جلال والسيّد رضا ويأتي ذكرهم بعد أخيهم.«ع»

رجع إلى إيران يحمل شهادة الانتهاء، وقد بلغنا أنّ له مؤلّفات ممتعة، وقد تعيّن قبل الحرب العالميّة الثانية مندوباً عن حكومته في عصبة الأُمم في جنيف، ثمّ استقرّ فيها، هداه الله إلى سواء السبيل.[١]

الصنو الثاني ـ من أبناء السيّد محمّد عليّ ـ هو الشريف موسى، كان أيّام شبابه في بغداد. وله ولدان: السيّد محمود، والسيّد عليّ.

تركهما في بغداد وارتحل إلى إيران فسكن طهران حتّى توفّي فيها في حدود ١٢٩٠.

أمّا ولداه فقد مات أكبرهما وهو السيّد محمود في مصر شابّاً[٢]، والسيّد عليّ أعقب بنتاً واحدةً، وتوفّي بحدود ١٣٢٥ رحمه الله تعالى.



الصنو الثالث

ـ من أبناء السيّد محمّد عليّ بن السيّد صالح ـ هو سيّدنا ومولانا الإمام أبو الحسن الشريف الهادي

وأُمّه من جلائل عقائل المؤمنين الصالحين من بيوتات بغداد.

مولده ونشأته وتحصيله للعلوم

ولد ـ أعلى الله مقامه ـ في النجف الأشرف سنة ١٢٣٥، وذهب أبوه به وبأُمّه إلى أصفهان طفلاً.

وسرعان ما أُصيب ثَمّة بأبيه، فضمّه عمّه السيّد صدر الدين إليه وكان قد توطّن

١. للمزيد راجع ص ٧٣٥ ـ ٧٣٧، الذيل ١١.

٢. علمنا أنّ له ذرّيّةً في مصر وسنبحث عنهم في أوّل فرصة إن شاء الله. «ع»

أصفهان، وكفله أحسن كفالة، فنشأ في حجره، وشبّ في وارف ظلاله، كأعزّ أبنائه ـ ولذا نسب هو وأعقابه إليه ـ لم يدّخر عمّه وسعاً في تربيته، ولم يألُ جهداً في تأديبه وتهذيبه، وكان منذ الطفولة ذكيّ القلب، متوقّد الذهن، حديد الفهم، سريع الفطنة، ملتهب الذكاء.

عيّن له عمّه ـ بعد حفظه القرآن الحكيم وتعلّمه الخطّ ومبادئ الحساب ـ أساتذةً بررةً مهرةً، أخذ عنهم النحو والصرف والمعاني والبيان، وما إلى ذلك من فنون اللغة العربيّة وآدابها.

وأخذ مبادئ المنطق والحكمة والكلام عن بعض المتخصّصين بهذه الفنون، وأخذ سطوح الفقه والأُصول عن بعض الأعلام من معاصريه في أصفهان.

وكان يختلف إلى بعض المهرة من الأطبّاء يأخذ عنهم علم الطبّ[1]، وعمّه يهيمن عليه في كلّ ذلك.

وعكف بعد هذا على دروس عمّه في الفقه والأُصول، فكان لما أخذه عن عمّه أثر عظيم في فضله، ودقّة نظره، واعتدال طريقته في مفاد الأدلّة ومجاري الأُصول.

وهاجر على عهد عمّه إلى النجف الأشرف سنة ١٢٥٢، فانضمّ إلى بحرها الخِضَم[2]، وعلمها الأشمّ[3]، الشيخ حسن بن الشيخ الأكبر كاشف الغطاء[4] يخوض عباب علومه، ويقتبس أنوار فقاهته.

وأخذ فرائد الأصول عن مؤلّفها آية الله الأنصاري، يستقرئ دقائقها، ويمحّص حقائقها، وقد طوى فؤاده على عزيمة في التحصيل ماضية، لا يلوي على شيء يشغله

---

١. وله فيه أُرجوزة فارسيّة. «ع»

٢. الخِضَم: البحر الواسع. راجع المعجم الوسيط: ٢٤٢، «خ. ض. م».

٣. الأشمّ: المرتفع. راجع المعجم الوسيط: ٤٩٥، «ش. م. م».

٤. من أعاظم فقهاء الإماميّة، وصفه في مستدرك الوسائل بقوله: الأكمل الأفقه الزاهد الصالح الكامل، كان من العلماء الراسخين الزاهدين المواظبين على السنن والآداب، ومعظّمي الشعائر الداعين إلى الله بالأقوال والأفعال، ولد في النجف الأشرف سنة ١٢٠١، وتوفّي فيها سنة ١٢٦٢. انتهى ملخّصاً عن الكرام البررة ج ٢ ص ٣١٧. «ع»

عن ذلك، حتّى أنّه آثر الغربة تفرّغاً للعلم وانقطاعاً إليه، وكان في أوقاته كلّها على جمام من نفسه، ونشاط من عزمه، يرقب بريد الظفر، ويتتبّع رائد النجح، حتّى بلغ الغاية التي كانت تحدّثه بها نفسه، ويتعلّق بها أقصى آماله، والحمد لله ربّ العالمين.

منزلته العلميّة وهديه

كان ـ أعلى الله مقامه ـ من أعلام الفقه والأُصول، وأثبات الأثبات في هدي آل الرسول، عيبة أسرارهم، ومستودع أخبارهم، قد تتبّع حقائقهم، واستقرأ دقائقهم، يخوض عبابها، ويغوص على غوامضها، محيطاً بأُصولها وفروعها، عارفاً بكنه ما يؤثر عنهم من علم وحكمة، جهبذاً في كلّ ما يعزى إليهم من قول وفعل، مستنّاً بسنّتهم، مقتصّاً مواقع أقدامهم، فلا غرو أن كان مفصل أحكامهم، ومقطع الحقّ من حلالهم وحرامهم عليهم السلام.

ومع هذا فقد كان يتورّع عن الفتوى بغير الاحتياط، ولا يقضي بين المترافعين إليه وإنّما كان يصلح بينهم، آثر بذلك طريقة السيّد جمال الدين عليّ بن طاووس[١]، وكان على شاكلته في المراقبة والمحاسبة والمجاهدة لنفسه قدّس الله نفسيهما.

وكان نسيج وحده، وقريع دهره في علم الأخلاق، وله في تفسير القرآن قدحه المعلّى، وله في علم الدراية والرجال والرياضيّات غرّة واضحة، ومزيّة ظاهرة.

أمّا العلوم العربيّة فقد كان ممّن لا يجارون ولا يبارون فيها، ولا سيّما في علمي المعاني والبيان إذ بان شأوه فيهما.

كنت أستصبح بضوئه فيما لم أهتد إليه من معضلات المطوّل ـ للمحقّق التفتازاني ـ فيهديني إليها بنور بيانه، وسطوع حجّته، فإذا هي كالشمس في ريعان الضحى، وكم كنت أرجع إليه في مشكلات المنطق والعلوم العربيّة ـ إذ كنت مشغولاً بها ـ فيثلج

---

١. راجع: ترجمته في أعيان الشيعة ٨: ٣٥٨؛ أمل الآمل ٢: ٢٠٥، الرقم ٦٢٢؛ روضات الجنات ٤: ٣٢٥، الرقم ٤٠٥.

غلّتي بما ينفيه عنّي من معتلج الريب، ويميطه من حجاب الشبهة.

وكان على جلالته وشيخوخته يقبل على مباحثتي بانبساطه، ويسترسل بمناظرتي بأنسه، ويحملني على مناقشته بوجه متهلّل، ويتلقّى معارضتي بأريحية تهزّ عطفيه حبوراً.

وقسماً بكرم أخلاقه وقدسي ذاته أنّي ما انتجعته في مشكلة، ولا رجعت إليه في مسألة، إلّا وجدته حاضر الجواب، لا يحتاج فيها إلى مراجعة كتاب، كأنّه قد جمع لها ـ من ذي قبل ـ أهبتها، وأخذ لها عدّتها وكان لعلوّ همّته إذا كتب في الموضوع لا يتسنّى لقلمه أن يخرج ما تطمح إليه نفسه من المؤلّفات؛ لذلك لم يترك منها كراريس في مواضيع مختلفة تدلّ على فضل واسع(١).

وكان ـ أعلى الله مقامه ـ بعيد غور الحلم، طويل حبل الأناة، لا يزدهف عن وقاره، ولا يحفز عن رزانته. وله أخلاق هي ألين من أعطاف النسيم، وأعذب من كوثر جنّات النعيم.

فسبحان من زانه بالجبين يتألّق فيه نور الهدى، والوجه الأغرّ يترقرق فيه ماء البشر. وتبارك الله الذي فطره على رقّة يمازج بها الأرواح، وعذوبة تشربه بها النفوس.

وكان على شاكلة جدّه السيّد صالح في الزهد والعبادة، يعامل النوافل الراتبة معاملة الفرائض.

كثير البرّ والصدقة، يحنو على اليتامى، ويعطف على الأيامى، ويرقّ للفقراء والمساكين، ويرفرف على المؤمنين بجناح رحمته، ويوسّع لهم أكناف عطفه، ويغمرهم بحنانه، سواء في ذلك القريب منهم إليه والبعيد عنه، حتّى عرف بهذه العاطفة.

---

(١) وله رسالة في المعارف الخمسة أسماها أصول الدين، أملاها من حفظه على تلميذه السيّد حسين بن السيّد رضا عليّ الحسيني الطبيب الهندي المدراسي ثمّ الكاظمي المعروف بالإمامي، المتوفّى في سامرّاء في ٢٤ جمادى الثانية سنة ١٣٣٤. وكان السيّد حسين هذا من حفظة القرآن العظيم وقرّائه المجوّدين، حسن الخطّ إلى الغاية، وهذه الرسالة ذكرها شيخنا الشيخ محمّد محسن الشهير بآقا بزرك الطهراني في ص ١٩٥ ـ ١٩٦ من الجزء الثاني من ذريعته.

كما عرف بعزّة النفس، وعلوّ الهمّة، والعزوف عن الدنيا، والقناعة بالكفاف، والرضى بميسور العيش.

حاله مع الشيخ، توطّنه، تأهّله، بعض شؤونه في الكاظميّة

كانت الكاظميّة في ذلك العهد مزدانة بآية الله المحكمة وحجّته البالغة شيخ الطائفة الشيخ محمّد حسن آل ياسين صاحب أسرار الفقاهة.

وكان ـ أعلى الله مقامه ـ قد عظم قدره في نفوس الخاصّة والعامّة، وارتفع شأنه عند الله عزّ وجلّ علماً وعملاً. فعنت له وجوه المؤمنين، وأُلقي إليه مقاليد الدين، فكان من مراجعه المقدّسة التي تملأُ الأسماع والأبصار والأفئدة وثاقةً، ويخفض لها جناح الضعة هيبةً وعظمةً، وكان ﷺ قائماً في نشر العلوم الشرعيّة، مرهف العزم في تمحيص حقائقها، نافذ الهمّة في استيضاح دقائقها، نهاضاً بتربية طلّابها وتخريجهم فقهاء محقّقين، وكان له منهم حوزة يكتظّ(١) بها درسه، حتّى لا يندوها ناديه(٢).

(١) أي يمتلئ بهم ويضيق عليهم[1].

(٢) أي لا يسعهم لكثرتهم، فنهم الشيخ عبّاس الجصّاني المتوفّى سنة ١٣٠٦، والشيخ محمّد بن الحاجّ كاظم الكاظمي المتوفّى سنة ١٣١٤، والشيخ محمّد تقيّ أسد اللّه المتوفّى قبل سنة ١٢٩٠، والسيّد محمّد حيدر الحسني، وأخواه السيّد مهديّ المتوفّى سنة ١٣٣٦، والسيّد مرتضى، والشيخ راضي الخالصي المتوفّى سنة ١٣٤٧، وأخوه الشيخ مهديّ المتوفّى سنة ١٣٤٣، والشيخ مهديّ جرموقة المتوفّى سنة ١٣٣٩، والسيّد موسى الجزائري الموسوي المتوفّى سنة ١٣٢٠ وغيرهم.

١. راجع المعجم الوسيط: ٧٨٩، «ك. ظ. ظ».

وكان السيّد إذا أتى الكاظميّة للزيارة ينتهز فرصة الاجتماع بالشيخ وقت درسه وأوقات فراغه، فيمعن معه في البحث عن مشكلات المسائل الفقهيّة، واستجلاء غوامضها ؛ إذ كان يكبر الشيخ في اعتداله في مفاد الأدلّة ومجاري الأُصول، وبإحاطته بالفقه في جميع أبوابه.

والشيخ كان يكبر السيّد بقدسي نفسه، وعلوّ أخلاقه، ورسوخ ملكته في استنباط الفروع باعتدال ودقّة، معجباً بفضله الواسع، واشتراكه في كثير من العلوم.

وبهذا وذاك كانا ـ منذ تعارفا ـ يتساهمان الوفاء، ويتقاسمان الصفاء.

ثمّ استوطن السيّد في الكاظميّة بعد أن تأهّل فيها بالعقيلة الجليلة أمّ أولاده الميامين[١]، وذلك سنة ١٢٦٤، فاستحفصت[٢] بينه وبين الشيخ أسباب الإخاء، وأُمِرّ[٣] بينهما حبل الولاء، ولبس كلّ منهما صاحبه، وأمتع به حتّى الممات.

فورث عنهما هذه العاطفة أعقابهما، حيث اشتبكت بينهم وشائج الرحم، وجمعتهم المناسب والمناصب[٤]، فكانوا كأنّهم أهل بيت واحد، وأُرومة واحدة.

وما إن حطّ السيّد رحله بفناء بابي الحوائج إلى الله عزّوجلّ مستجيراً بحرمهما،

---

(١) هي كريمة الشيخ محمّد بن الحاجّ حسين مراد الهمداني، وكان من صالحي المؤمنين مجاوراً للإمامين الكاظمين عليهما السلام وله في البرّ والإحسان وصالحات الأعمال قدم صدق، أمّا كريمته فقد كانت على جانب من الدين والعقل والآداب والأخلاق، من أكمل النساء وأعرفهنّ بواجبات المرأة من كلّ النواحي، وقد توفّيت ـ رحمها الله تعالى ـ في الكاظميّة سنة ١٣١٩، ودفنت في النجف الأشرف أيّام هجرتنا العلميّة إليها، وأنا وسّدتها في ملحودة قبرها المبارك، وقمت بتوفيق الله تعالى بما يجب يومئذٍ لها، والحمد لله ربّ العالمين.

(٢) أي استحكمت.

(٣) أي أحكم.

(٤) المناسب جمع نسب على خلاف القياس، والمنصب هنا الحسب.

لاجئاً إلى كرمهما، حتّى استأنف نشاطه للبحث مع الشيخ عن أشتات العلوم، والإحاطة بأُصولها وفروعها، فأنفقا عمريهما في ذلك متأهّبين للتدقيق، متلبّبين للتحقيق.

وحسبك مثالاً لهذا أنّ الشيخ ﷺ كان في طبقة آية الله الأنصاري معدوداً من رفقائه؛ لذلك لم يأخذ عنه فرائد الأُصول، إذ لم تكن متداولة ولا مشهورة أيّام اشتغاله، بخلاف السيّد فإنّه أخذها عن مؤلّفها مشافهةً، فلمّا عكف أهل العلم عليها، وأشادوا بذكرها، أبت همّة الشيخ وعزائمه إلاّ الوقوف عليها مع من أخذها عن مؤلّفها؛ لذلك أوسعها مع السيّد من أوّلها إلى آخرها بحثاً وتحقيقاً.

بخ بخ هذا هو التجافي عن مذاهب العجب، وهذا هو التواضع لله تعالى وللعلم.

ونزع طلّاب العلم في الكاظميّة إلى السيّد برجائهم، متأهّبين لأخذ العلم عنه، فتلقّاهم السيّد بشهامة طبعه، وسعة ذرعه، وأرهف لتدريسهم عزمه، وأخذ لذلك عدّته، وعني بأمرهم حتّى أمكنهم من بغيتهم، وملأ أيديهم ممّا أملوه، فكان منهم بعد ذلك أُولو الملكة الراسخة في الاستنباط[١].

وانثال عليه المؤمنون من أهل تلك الناحية، وقد أنسوا بناحيته، وناطوا به ثقتهم، فكانوا مغتبطين بما أخذوه عنه من الحكمة والموعظة الحسنة.

وما أسعدهم إذ جعلوه وافدهم[٢] إلى الله عزّ وجلّ في فرائضه الخمس في جماعة عظيمة، فيها الأبرار والمقدّسون من خواصّ الناس وعوامهم، وكان في تلك أمَلَ

---

(١) منهم الشيخ أسد الله الصائغ العاملي المتوفّى سنة ١٢٩٠، وكان من المجتهدين المحقّقين، وكذلك الشيخ عليّ بن الحاجّ زين عاصي العاملي المتوفّى سنة ١٢٩٣ في الكاظميّة، والشيخ محمود الغول المتوفّى في الكاظميّة أيضاً سنة ١٢٩٥ وكثير من أمثالهم من عامليّين وعراقيّين.

(٢) أي إمامهم في الصلاة، وهذا مقتبس من قوله ﷺ: «ألا وإنّ أئمّتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون»[١].

---

١. كمال الدين: ٢٢١، الباب ٢٢، ح ٧؛ قرب الإسناد: ٧٧، ح ٢٥٠؛ بحار الأنوار ٢٣: ٣٠، ح ٤٦.

الراغب الراجي، وأمَن(١) الراهب اللاجي، يتوسّلون به إلى الله عزّوجلّ في قضاء حوائجهم، وإصلاح شؤونهم، وقد عقد الله توسّلهم به بالفوز، وذيله بالنجح، فرأوا من إجابة دعائه لهم، وبركة عطفه عليهم، ويمن لطفه بهم، ما تقرّبه الأعين، وله في ذلك معهم نوادر وحكايات، جرت مجرى الكرامات، فصّلها بقيّته الإمام أبو محمّد الحسن في رسالة أفردها لترجمة أبيه أسماها بهجة النادي في ترجمة السيّد الهادي(٢).

وفاته وما إليها

دعاه الله عزّوجلّ إلى جواره(٣) فلبّاه مبروراً مشكوراً، عصر يوم الثاني والعشرين من جمادى الأُولى سنة ١٣١٦ في مشهد الكاظمين عليهما السلام، فكانت المصيبة عامّةً، والرزيّة بفقده طامّةً، وخصوصاً في المشاهد المشرّفة وفي جبل عامل وأصفهان.

وكان يومه في الكاظميّة مشهوداً، وصلّى عليه خلفه الإمام أبو محمّد الحسن، ودفن في بعض حجرات(٤) الصحن الشريف الكاظمي حيث يزار.

(١) الأمَن بفتح الميم هو الأمن بسكونها، يقال: أمِنَ أمْناً وأمَناً وأمَنةً وإماناً بمعنى اطمأنّ.[١]

(٢) وترجمه أيضاً في كتابه تكملة الأمل[٢]، وذكره ثقة الإسلام وصدوق الأنام الشيخ الميرزا حسين النوري في كتابه دار السلام[٣] وأورد له كرامات.

(٣) في مرض كانت مدّته خمسة أيّام قاسى فيها ألم المعدة بالإسهال الكبدي لم يفقد فيها شيئاً من حواسّه، ولا فقد من قواه ما يتعذّر معه الوقوف في الفرائض الخمسة حتّى العصر من وفاته، أعلى الله مقامه.

(٤) هي الحجرة الثانية عن يمين الداخل إلى الصحن الشريف من الباب الشرقي الكبير المعروف بباب المراد، وكان قد ذكر له الدفن في النجف الأشرف فقال ـ رحمه الله تعالى ـ: كنت في الحياة ←

١. راجع المعجم الوسيط: ٢٨، «أ . م . ن».

٢. تكملة أمل الآمل: ٤٢٢، الرقم ٤١٧.

٣. دار السلام ٢: ١٥٧ ـ ١٦٠.

وأُقيمت له المآتم والفواتح، فكانت في المشاهد الشريفة وغيرها فخيمةً إلى الغاية، تباري فيها العلماء والأعيان واحداً بعد واحد.

وكان أوّلهم في النجف الأشرف آية الله أُستاذنا الإمام الخراساني أعلى الله مقامه.

وفي كربلاء آية الله الإمام السيّد إسماعيل الصدر قدّس الله سرّه.

وفي سامرّاء آية الله الإمام الميرزا محمّد تقيّ الشيرازي رفع الله درجته.

أمّا في الكاظميّة فكانت له مآتم حزن، وأهلها بين لادم ولادمة، وقد أشاد الخطباء بتأبينه فأحسنوا، وأجاد الشعراء برثائه وأكثروا[1]. وأرّخ وفاته بعض الأعلام من أسباطه فقال:

منذ اطمأنّت نفسه راجعه ترجو لقاء ربّها تشوّقا
نادى الأمين في السما مؤرّخاً انطمست والله أعلام التقى[2][1]

عقبه

أعقب السيّد من ولديه الإمام أبي محمّد الحسن، والهمام أبي أحمد محمّد حسين.

فهنا فرعان:

← الأُولى سعيداً بانضوائي إلى الوارف من ظلال الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام، وأرجو من الله السعادة في الحياة الأُخرى برمسي في تربتها المقدّسة وحسبي ذلك وكفى.

(١) غير أنّه لا يحضرني شيء من ذلك؛ إذ كنت يومئذٍ في كربلاء مريضاً بالحمى المطبقة وكنت على خطر والحمد لله على العافية وعلى كلّ حال.

(٢) هذا التأريخ إنّما يوافق تأريخ وفاة السيّد أعني سنة ١٣١٦ إذ اعتبرنا الألف الوسطى في لفظ «والله» التي تثبت في النطق دون الكتابة، وإنّما توضع مصغّرةً فوق اللامين المدغمين، أمّا إذا لم نعتبرها فينقص سنةً واحدةً؛ لأنّ مجموعه سنة ١٣١٥.

---

١. وله ترجمة في ج ٥٠ من أعيان الشيعة ص ٤٦، وما بعدها، وترجمه نجله الإمام السيّد حسن في تكملة أمل الآمل ص ٤٢٢. «ع»

الفرع الأوّل: أبو محمّد الحسن الزكيّ رفع الله درجته ونفع الأمّة ببركاته

مولده ونشأته

ولد ـ أعلى الله مقامه ـ في مشهد الكاظمين عليهما السلام ظهر يوم الجمعة ٢٩ شهر رمضان المبارك سنة ١٢٧٢.

وقد أنشأه الله تعالى منشأً مباركاً في حجر حكيم كان من أبرار الحجور المنجبة، حجر أبيه المقدّس ـ وناهيك ـ فبذل ـ أعلى الله مقامه ـ في تربيته جهده، واستفرغ في تأديبه وتهذيبه وسعه، وبوّأه ـ من حكمته في تثقيفه وشدّ أسره[١] العلمي ـ مُبَوّأ صدق، ينهج له سُبل الحجى، ويعرج به إلى أوج الهدى، زقّ أوّلاً علوم اللغة وفنون اللسان زقّاً. فما بلغ الخامسة عشرة حتّى أتقن الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع، وتوقّل في علم المنطق درجةً رفيعةً.

أخذ هذه العلوم عن أساتذة مهرة بررة من علماء الكاظميّة[٢] اختارهم له والده، وكان يهيمن عليه معهم في كلّ دروسه، لا يألو جهداً في تمرينه وتنشيطه، ولا يدّخر وسعاً في أرهاف عزمه، وإغرائه في الإمعان بالبحث.

---

(١) شدّ الأُسر: بالسين المهملة، تقويته إحكام البنية[١]، والمراد هنا قوّة إحكام مبانيه العلميّة.

(٢) كالشيخ العلّامة الثقة الشيخ باقر بن حجّة الإسلام الشيخ محمّد حسن آل ياسين. والشريف العلّامة الثبت السيّد باقر بن المقدّس السيّد حيدر قرأ عليهما النحو والصرف. والشيخ العلّامة الشيخ أحمد العطّار قرأ عليه المعاني والبيان والبديع، والشيخ محمّد بن الحاجّ الكاظم، والميرزا باقر السلماسي قرأ عليهما المنطق.

---

١. راجع المعجم الوسيط: ١٧، «أ.س.ر».

وكان من أوّل نشأته يعيد مرتقى الهمّة، نزّاعاً إلى الكمال، فحسر عن ساعد الجدّ، وقام في التحصيل على ساق، فبدّ[1] أقرانه وجلّى، وفاز دونهم بالقدح المعلّى.

وما إن بلغ الثامنة عشرة من عمره حتّى خرج من سطوح الفقه والأُصول، أخذهما عن أبيه بكلّ ضبط وإتقان، وربما وقف فيهما على غير أبيه أيضاً من أعلام الكاظميّة، وفشا ذكره في التحصيل على ألسنة الخاصّة والعامّة من أهل بلده، ورنّ صيته بالعقل والفضل والهدي والرأي وحسن السمت في تلك الناحية، فكان المثل الأعلى من شباب الفضيلة، في حمد السيرة، وطيب السريرة، وجمال الخَلق، وكمال الخُلق.

رحلته إلى النجف الأشرف

النجف الأشرف مهطّ العلم، ومهوى أفئدة العلماء، منذ هاجر إليها شيخ الطائفة الإمام أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي سنة ٤٤٨، ولم تزل إلى يومنا هذا شرعة وُرّادِ المعارف الإلهيّة، ونجعة روّاد العلوم والفنون كلّها، وعاصمة الدين الإسلامي، والمذهب الإمامي، والجامعة العظمى تشدّ إليها الرحال، والمتجرة[2] الكبرى تركب إليها ظهور الآمال، راجت فيها أسواق العلوم عقليّةً ونقليّةً، وتخرّج منها الأُلوف المؤلّفة من أساطين العلماء الذين ملأوا الدنيا علماً وهدياً، فانتشروا في الأرض انتشار الكواكب في السماء مبشّرين ومنذرين على سنن الأنبياء من بني إسرائيل.

---

(١) بدّهم ـ بالدال المهملة ـ أي فرّقهم[1].

(٢) المتجِرة ـ بكسر الجيم ـ يقال: أرض متجرة أي يتجر فيها واليها، جمعها: متاجر[2]. أمّا المَتجَر فهو الاتجار، ومنه قولهم: صفقته في متجر الحمد رابحة.

---

١. راجع المعجم الوسيط: ٤٢، «ب. د. د».

٢. راجع تاج العروس ١٠: ٢٧٩، «ت. ج. ر».

وكان السيّد من كواكبهم اللامعة، ومصابيحهم الساطعة، ارتحل إليها بأمر والده سنة ١٢٩٠ متأهّباً متلبّياً لبلوغ الكمال في علومه، حاسراً في ذلك عن ساعد الجدّ، قائماً فيه على ساق الاجتهاد، فأكبّ على فقه الأئمّة من أهل البيت وأُصولهم، وسائر علومهم عليهم السلام، يأخذها عن شيوخ الإسلام في تلك الأيّام.

ووقف في علمي الحكمة والكلام على المولى محمّد باقر الشكّي(١).

فلمّا لحق الشكّي بدار النعيم أكمل العلمين على المولى الشيخ محمّد تقيّ الكلبايكاني[١] والشيخ عبد النبيّ الطبرسي[٢].

ولم يزل عاكفاً في النجف على الاشتغال، مجدّاً في تحصيل الكمال، جادّاً في [أخذ] العلوم عن أفواه الرجال، قائماً في الاستفادة والإفادة على ساق، مُدرّساً ومؤلّفاً ومحاضراً ومناظراً حتّى ارتحل إلى سامرّاء، وقد نوّه[٣] شيوخ الإسلام ـ أساتذته ـ باسمه، وأشادوا بفضله، مصرّحين بعروجه إلى أوج الاجتهاد، وقدرته على استنباط الأحكام الشرعيّة الفرعيّة عن أدلّتها التفصيليّة، فانصرف عنها مفلحاً منجحاً، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) عالم عارف وحكيم إلهي، وورع كامل زاهد من المتكلّمين والعرفاء المتشرّعين التاركين للدنيا، توفّي في النجف وهو في حدود الستّين سنة ١٢٩٠. انتهى ملخّصاً عن الكرام البررة ج ٢ ص ١٦٣.

---

١. ترجمه هو رحمه الله في التكملة فقال: كان أُستاذي في العلم الإلهي، ولم يكن في النجف أفضل منه في جميع أقسام الحكمة حتّى الطبّ، ومع أنّه كان أفضل أهل عصره كان أزهدهم عن الدنيا وترك ما فيها، توفّي سنة ١٢٩٢، مناهزاً للثمانين [راجع الكرام البررة ١: ٢٠٥، الرقم ٤٢٣.]. «ع»

٢. كان عالماً كبيراً نبغ في الفقه والأُصول، وبرع في المعقول والمنقول، وحاز من كلّ علم قسطاً وافراً، وصار من المتبحّرين الجامعين للفنون، المشاركين في العلوم، رجع إلى طهران فكان مرجعاً مبجّلاً في القضاء والفتيا والإمامة والإرشاد والتدريس إلى أن توفّي سنة ١٣٤٤. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٢ ص ١٢٤٢. «ع»

٣. نوّه: يقال: نوّه بفلان أو باسمه: شهره ورفع ذكره وعظّمه. راجع المعجم الوسيط: ٩٦٥. «ن. و. ه».

رحلته إلى سامرّاء

لمّا ارتحل سيّد الشيعة، ومجدّد الشريعة الإمام الشيرازي الكبير من النجف الأشرف إلى سامرّاء، وذلك سنة ١٢٩١ خفّ إليه ـ رحمة الله وبركاته عليه ـ نخبة من أعلام حوزته، فكانوا حوله، كجمّاع الثريّا، أو كحلقة مفرّغة لا يدرى أين طرفاها، وقد حسر ـ أعلى الله مقامه ـ وحسروا معه ـ للعلم ـ عن سواعدهم، وقام وقاموا بين يديه ـ في تمحيص الحقائق ـ على ساق، يصلون ـ في البحث والتدقيق ـ صباحهم بمسائهم، وليلهم بنهارهم، لا يسأمون ولا يفترون.

وكيف يسأمون أو يفترون وقد نفخ فيهم من روحه ـ روح القدس ـ فأرهف طباعهم، وصقل أذهانهم، وشرح للعلم والعمل صدورهم، فكانت آذانهم واعيةً، ومجامع قلوبهم صاغيةً، تتلقّى ما يلقيه من ضروب الحكمة، وفنون العلم عقليّةً ونقليّةً.

حمي بذلك وطيس العلم في سامرّاء، وارتفع فيها أوجه، وبان شأوها على ما سواها من المعاهد العلميّة كلّها، فكانت شرعة الوارد، ونجعة الرائد من أبطال العلم والدين.

وكان السيّد ـ صاحب العنوان ـ من أعلام من وردوا تلك الشرعة السائغة، وارتادوا تلك النجعة الخصبة.

ارتحل إليها من النجف الأشرف سنة ١٢٩٧ وقد شدّ للعلم حيازيمه، وأرهف له عزائمه، وأرصد الأهب لأخذه بجميع فنونه عن ذلك الإمام المجدّد الذي قلّما سمحت الأيّام بمثله أُستاذاً مربّياً.

عكف السيّد على دروسه مع من عكفوا عليها من أبطال العلم يخوض معهم عبابها، ويغوص معهم على أسرارها، لا يستوطئ في ذلك راحة، ولا تفوته فرصة. وعُني أُستاذه الإمام بأمره إلى الغاية، واهتمّ بشأنه كلّ الاهتمام، حتّى أورى زند آماله، وأنزل أمانيّه منه منزل صدق، فما خدعته فيه الأماني، ولا كذّبته فيه الظنون.

ورسخت بين السيّد وبين كلّ من أبطال تلك الحوزة قواعد المودّة، وتوثّقت عرى المصافاة، واستحصفت أسباب الولاء، وأُمِرّ حبل الإخاء، فكانوا جميعاً رحماء بينهم، يغدون على أُستاذهم ومربّيهم ويروحون في كلّ يوم، ولا همّ لهم إلّا الإيغال في البحث،

والإمعان في التنقيب، والتقصّي في التدقيق، واستبطان دخائل العلم، واستجلاء غوامضه، وخوض عبابه، والغوص على أغواره، واستخراج مخبآته، والإحاطة بفروعه وأُصوله دائبين في ذلك، تارةً مع أُستاذهم أوقات دروسه، وأُخرى معه في غير أوقات الدرس.

وكثيراً ما يكون على سبيل المناظرة فيما بينهم، وقد يكون هذا بينهم وبين من هو دونهم من تلامذتهم وغير تلامذتهم.

هذا شأن السيّد ـ صاحب العنوان ـ وشأن أترابه منذ حلّوا في سامرّاء حتّى ارتحلوا.

كانت إقامة السيّد فيها نحواً من سبع عشرة سنة ما جفّ فيها لبده، ولا فاتته فيها نهزة، كان دأبه فيها تعقب خطوات أُستاذه الإمام وسائر أساتذته الأعلام، متتبّعاً أطوار الأبطال من أركان تلك الحوزة في سامرّاء مستقرئاً طرائق الماضين من أساطين الإماميّة، يتعرّف بذلك مداخل العلماء في التحقيق والتدقيق ومخارجهم، ويتدبّر أساليبهم في النقض والإبرام، واستنباط الأحكام لِيَطْبَعَ على أفضلهم غراراً، وينهج مناهج أعدلهم أُسلوباً، وأمثلهم طريقةً شأن من عناهم الله سبحانه بقوله[1]: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[1].

كانت أوقاته في سامرّاء مرتّبةً بين حضور على أُستاذه الإمام، ومناظرةٌ مع أترابه الأعلام، ومحاضرةٌ يلقيها على تلامذته، وتأليف ينفرد فيه بكتابه، وعبادةٌ ينقطع فيها إلى محرابه.

وكان بينه وبين الإمام المحقّق المقدّس الميرزا محمّد تقيّ الشيرازي مذاكرةٌ ومناظرةٌ في وقت خاصّ من كلّ يوم استمرّت اثنتي عشرة سنة(١).

---

(١) في ما نقله الثقة الشيخ عبّاس القمّي في أحوال القاءآني ص ٣٦ من الجزء الثالث من كتابه ـ الكنى والألقاب[2] ـ وكنت أيّام هجرتي العلميّة إلى سامرّاء، وذلك سنة ١٣١٠ أرى المقدّس الميرزا التقيّ الشيرازي يبكّر في كلّ يوم إلى بيت السيّد للبحث معه، ثمّ ينصرف إلى درسه العامّ يلقيه على تلامذته الأعلام.

---

١. الزمر (٣٩): ١٨.

٢. لم نعثر عليه في أحوال القاءآني ولا في غيره في مظانّه. انظر الكنى والألقاب ٣: ٤٤.

وما برح السيّد في سامرّاء مجدّاً مجتهداً يقظ الجنان، نافذ الهمّة في العلم والعمل حتّى رجع منها إلى مسقط رأسه ـ الكاظميّة ـ وذلك بعد وفاة أُستاذه الإمام بعامين.

كلمة موجزة عن أُستاذه(١)

هو الإمام المجدّد(٢) حجّة الإسلام(٣) السيّد الشريف الميرزا محمّد حسن بن الميرزا محمود بن الميرزا إسماعيل الحسيني الشيرازي من أُسرة في شيراز عريقة في الشرف.

---

(١) كان أُستاذه الميرزا ـ أعلى الله مقامه ـ كالشمس في ريعان الضحى ـ والشمس معروفة بالعين والأثر ـ فهو أبين من أن يُبيّن، وأمره أوضح من أن يوضح، وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً. على أنّ البيان ليضيق عن خصائصه الحسنى فلا يسعها كتابنا هذا، وإن أفردناه لها، وقصّرناه عليها، وإنّما آثرنا بكلمتنا هذه مجرّد التشرّف والتبرّك، وتزيين الكتاب وتشريفه بذكره.

(٢) المعروف بين المسلمين: أنّ الله عزّ وجلّ يقيّض لهذا الدين على رأس كلّ مائة سنة من يجدّده ويحفظه. ولعلّ المدار في هذا ما أخرجه أبو داود في صحيحه[١] بسند صحيح عند القوم، رفعه إلى رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله يبعث لهذه الأمّة عند رأس كلّ مائة سنة من يجدّد لها دينها». وقد أورد ابن الأثير هذا الحديث في كتاب النبوّة من كتابه جامع الأُصول في أحاديث الرسول[٢]، ثمّ أورد في شرح غريب هذا الباب كلاماً ذكر فيه المجدّدين، فعدّ ممّن جدّد في مذهب الإماميّة على رأس المائة الأُولى: محمّد بن عليّ الباقر، وعلى رأس المائة الثانية عليّ بن موسى الرضا، وعلى رأس المائة الثالثة أبا جعفر محمّد بن يعقوب الكليني، وعلى رأس المائة الرابعة الشريف المرتضى الموسوي[٣].

قلت: لعلّ أمر المجدّدين ثابت مطّرد جدير بالتصديق والإذعان، وإذن فمجدّد الدين في رأس القرن الرابع عشر إنّما هو هذا الزعيم العظيم الذي ثنيت له وسادة الزعامة والإمامة وكان أهلها أعلى الله مقامه.

(٣) هو أوّل من أطلق عليه في العراق حجّة الإسلام ولعمري أنّه جدير بذلك، ولو اقتصروا في اللقب الفخم عليه وعلى أمثاله لكان أحجى.

---

١. سنن أبي داود ٤: ٤٨٠، الرقم ٤٢٩١.

٢. جامع الأُصول في أحاديث الرسول ١٢: ٦٣، الرقم ٨٨٤١.

٣. المصدر: ٢٢٠ ـ ٢٢٢.

ولد ـ أعلى الله مقامه ـ في شيراز منتصف جمادى الأُولى سنة ١٢٣٠ وفيها كان مبدأ تحصيله.

ثمّ أتى أصفهان على عهد الشريفين الموسويّين السيّد محمّد باقر الرشتي، والسيّد صدر الدين العاملي، فوقف على أساتذة مهرة بررة أعلام[1] فأخذ عنهم علماً جمّاً.

ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٢٥٩ فانضوى إلى أعلامها عاكفاً على التحصيل، لا يألو جهداً في ذلك حتّى نصّ أُستاذه الإمام صاحب الجواهر على اجتهاده المطلق[2].

واختصّ بإمام المحقّقين المتبحّرين الشيخ مرتضى الأنصاري ففاق جميع أصحابه، ولازمه ملازمة ظلّه، حتّى قضى الإمام الأنصاري نحبه، واضطرب الناس في تعيين المرجع العامّ بعده، فكان هو المتعيّن في نظر الأعاظم الأساطين[3] من تلامذة ذلك الإمام ﵀.

وفي سنة ١٢٨٨ حجّ بيت الله الحرام، وتشرّف بالمدينة الطيّبة على مشرّفيها الصلاة والسلام.

وفي سنة ١٢٩٠ هاجر إلى سامرّاء فاستوطنها في جمّ غفير من أصحابه وخرّيجيه، فكانت سامرّاء شرعة الوارد، ونجعة الرائد، أخذ عنه من فحول العلماء عدّة لا تسع

---

(١) كالعلّامة المحقّق السيّد الشريف حسن المدرّس، والعلّامة المحقّق الشيخ محمّد إبراهيم بن محمّد حسن الكلباسي وغيرهما.

(٢) في كتاب أرسله صاحب الجواهر إلى بعض الولاة في إيران.

(٣) كالميرزا حسن الآشتياني، والميرزا حبيب الله الرشتي، والشيخ عبدالله نعمة العاملي الجبعي، والشيخ جعفر الشوشتري، والآقا حسن الطهراني، والميرزا عبد الرحيم النهاوندي، وأمثالهم من بحار العلم وأوتاد الأرض رضوان الله عليهم.

هذه العجالة استقصاءهم[١]، تخرّجوا على يديه راسخين في العلم، محتبين بنجاد العلى، فإذا هم:

علماء أئمّة حكماء يهتدي النجم باتّباع هداها

وقد نشروا علمه الباهر، على صهوات المنابر، وسجّلوه في مؤلّفاتهم الخالدة، جزاه الله وإيّاهم خير جزاء المحسنين.

ثنيت لهذا الإمام «الهاشمي» العظيم وسادة الزعامة والإمامة، وألقيت إليه مقاليد الأمور، وناط أهل الحلّ والعقد ثقتهم بقدسي ذاته، ورسوخ علمه، وباهر حلمه وحكمته، وأجمعوا على تعظيمه وتقديمه، وحصروا التقليد به.

فكان للأمّة أباً رحيماً تأنس بناحيته، وتفضي إليه بدخائلها.

وكان للدين الإسلامي والمذهب الإمامي قيّماً حكيماً، يوقظ لخدمتهما رأيه، ويسهر لرعايتهما قلبه.

---

(١) وحسبك منهم ابن عمّه السيّد الميرزا إسماعيل الحسيني الشيرازي، والسيّد إسماعيل الصدر الموسوي العاملي، والسيّد محمّد الحسيني الفشاركي الإصفهاني، والسيّد كاظم الحسني الطباطبائي اليزدي، والسيّد حسن هادي الصدر الموسوي الكاظمي العاملي صاحب العنوان، والسيّد عبد المجيد الحسيني الكروسي، والسيّد إبراهيم الدامغاني الدرودي، والآقا مير السيّد حسين القمّي، والميرزا محمّد تقيّ الشيرازي، والآخوند الشيخ ملّا كاظم الخراساني، والشيخ آقا رضا الهمداني، والشيخ الميرزا حسين النوري، والشيخ فضل الله الشهيد النوري الطهراني، والشيخ ملا فتح عليّ السلطان آبادي، والشيخ حسن عليّ الطهراني، والشيخ الميرزا إبراهيم الشيرازي، والمولى عليّ النهاوندي، والشيخ إسماعيل الترشيزي، والشيخ الميرزا أبو الفضل الطهراني، والشيخ الميرزا حسين السبزواري، والمولى الشيخ محمّد تقيّ القمّي، والشيخ حسن الكربلائي، والميرزا حسين النائيني، إلى كثير من أمثالهم الذين شهدت بفضلهم محابرهم ومنابرهم وخرّيجو حوزاتهم وسبائك مؤلّفاتهم، وسائر آثارهم العلميّة والعمليّة، ربّاهم على يديه، ووقف بنفسه على تثقيفهم ليضعوا على عينيه، فجزاه الله عنهم وعنّا خير جزاء المحسنين.

وكان شاهد اللبّ، يقظ الفؤاد، كلوء العين، شديد الحفاظ، ضابطاً لأُموره، حارساً لأُمّته، عظيم الخُلق، رحيب الصدر، سخيّ الكفّ، زاهداً في الدنيا كلّ الزهد، راغباً في ما عند الله إلى الغاية، زعيماً عظيماً، تخشع أمامه عيون الجبابرة، وتعنو له جباه الأكاسرة. كما قال في رثائه بعض الأفاضل من السادة الأشراف:

قدتَ السلاطين قود الخيل إذ جنبت		وما سوى طاعة الباري لها رَسَنُ
لك أستقيدوا على كره لما علموا		بالسوط أدبارهم تدمى إذا حرنوا
لا خوف بعدك أمسى في صدورهم		فليفعلوا كيف شاؤوا أنّهم آمِنوا

وحسبك شاهداً لهذا أمر التنباك إذ التزمته بريطانية العظمى من حكومة إيران العليّة على عهد صاحب الجلالة ناصر الدين شاه القاجاري. فأوجس ذلك الإمام اليقظان خيفةً على استقلال إيران أن يمسّ بسوء، فتلافى الخطر بفتوى أصدرها تقتضي تحريم استعمال التنباك معلناً غضبه وصخبه من الدولتين بما تعاقدتا عليه من الالتزام. فهاج الشعب الإيراني هياج البحر بعواصف الزعازع، وزلزلت الأرض زلزالها، وأعرض الشعب بأجمعه عن استعمال التنباك، وعاملوه معاملة الأبرار للخمر، واستمرّوا على ذلك. فلم يكن للدولتين كلتيهما بدّ من فسخ ذلك الالتزام، ونقض ذلك التعاقد على الرغم منهما معاً، وعلى ضرر تكبّدتاه في الماديّات والمعنويّات.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ ١.(١)

---

(١) وحينئذٍ أعلن الإمام الشيرازي أنّ حرمة استعمال التنباك زرعاً وبيعاً وشراءً وتدخيناً وغير ذلك من أنواع الاستعمال إنّما كانت بالعرض لا بالذات، وحيث ارتفع المحذور فقد ارتفعت الحرمة وأصبح الناس فيها أحراراً، فرجع الناس إلى عادتهم.

---

١. الأحزاب (٣٣): ٢٥.

وقد سالت بهذه المنقبة أسلات الألسنة، وجرت سيولاً من أنابيب الأقلام، فأغنانا ذلك عن تفصيلها.

فتح الله على هذا الإمام العظيم أبواب الخيرات بالأموال منهمرةً، وفجر له كنوز الأرض قناطير مقنطرةً، فعزفت نفسه القدسيّة عنها رغبةً عن الثراء، وزهداً في الاستكثار، وإيثاراً لمهمّات الأمّة، ومصالحها العامّة[1].

وكان ـ أعلى الله مقامه ـ يؤثر في صرف الأموال فريقين:

أحدهما: أهل العلم ليتخرّجوا من معاهدهم ومدارسهم العلميّة دعاةً إلى الحقّ، وقادةً إلى سبيله.

وثانيهما: الضعفاء والبائسين من اليتامى والأيامى والفقراء والمساكين وأبناء السبيل من الشيعة في أقطار الأرض التي كانت الأموال تأتيه منها.

فأمّا من كان في سامرّاء من الفريقين كليهما فقد كانوا بأجمعهم عيالاً عليه في جميع شؤونهم، وقد وسعهم عطاؤه، وغمرتهم نعمته.

وأمّا من كان من الفريقين في غير سامرّاء من جميع الأنحاء التي تجبى إليه منها تلك الأموال فقد أجرى عليهم نفقاتهم رواتب تأتيهم في كلّ شهر أينما كانوا، فكانت هوادي نعمه عليهم متّصلةً بتواليها، وكانت سوابقها مردفةً بلواحقها، فكلّ نعمة من نعمه عليهم كانت تتمّ غوابر أنعامه، وتضاعف سوالف إيلائه.

ولا تسل عن الوفود التي كانت تنتجع فضله، وتستمطر معروفه، فيجزل لهم من

---

(١) كبناء المدارس والمساجد، وقد بنى في سامرّاء مدرستين كبيرتين أنفق عليهما أموالاً كثيرةً، وبنى فيها جسراً وصل به ضفتي دجلة أنفق عليه نحواً من عشرة آلاف ليرة عثمانيّة ذهباً أو أكثر، لكنّ الحكومة العثمانيّة حين استولت عليه لم تحتفظ به فإذا هو الآن لا عين ولا أثر، وقد رجعت زوّار العسكريّين إلى ماكانوا عليه من الخطر، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

هباته، ويسبغ عليهم من نعمه، ما جعلهم يثنون على جميله ثناء الزهر على القطر، ولا غرو فإنّ الشكر قيد النعم الموجودة، وصيد النعم المفقودة.

وقد أدركت أيّامه ـ أعلى الله مقامه ـ في هجرتي العلميّة إلى سامرّاء سنة ١٣١٠ أيّام كانت الدنيا لذلك الإمام مستوسقةً، وأُمورها له متّسقةً، والعلم والدين ضاربين بجرانيهما، وكانت الدار به وبأصحابه جامعةً، والحبل بينهم وبين الأُمّة متّصلاً، والمزار أَمَماً، فشهدت بعينيّ كثيراً ممّا أوردته من خصائصه.

أمّا ما لم أره بعينيّ فقد شهدته أُذناي متواتراً من أفواه أُولئك الأعلام من حجج الإسلام وغيرهم، وقد أشاد به الخطباء، وتغنّت به الشعراء، ولو جمع ما أشادوا وما تغنّوا به لكان طوامير ودواوين، وحسبك منه في هذه العجالة المستطردة قول بعض الأفاضل من السادة الأشراف في رثائه أعلى الله مقامه:

من الوفود التي تأتي على ثقة ... بأنّ واديك فيه العارض الهتنُ
إليك قد يمّموا من كلّ قاصية ... بالبرّ والبحر تجري فيهم السفنُ
يلقون في حيّك الزاهي عصيّهم ... كأنّهم بمجاني أهلهم سكنوا
فينزلون على خصب إذا نزلوا ... ويظعنون بشكر منك إن ظعنوا
فلا ببذلك ماء الوجه مبتذل ... ولا بمنّك تنكيد ولا منَنُ
كأنّ أبناء أيتام الورى تركوا ... لهم كنوزاً ـ بسامرّاء ـ تختزنُ
تسعى إليهم برزق فيه ما تعبوا ... كالعشب تتعب في أرزاقه المزنُ

أسعد الله هذا الإمام بوزراء من أركان حوزته كانوا من ذوي العقول الثاقبة، والأحلام الراجحة، من كلّ ذي رأي جميع، وقلب واعٍ.

وكان أبو محمّد الحسن الصدر ـ صاحب العنوان ـ رئيهم[1] وجماعهم[2] ابتلاهم

---

(١) أي صاحب رأيها.

(٢) أي الذين يأوون إلى رأيه وسؤدده.

سيّدهم، فما وجد فيهم إلّا مشير صدقٍ ونصح وإخلاص وشفقة، فناط بهم ثقته، وألقى إليهم مقاليده في تلك السعادة العظمى، والرئاسة العامّة، فأخلصوا له النصح، واجتهدوا له في المشورة، وكان أمره شورى بينه وبينهم، فاتّسق له بوزارتهم ما اتّسق من أمور الدنيا والدين.

وكان من أخصّهم به في هذه الوزارة لسيّدنا صاحب العنوان، صغى إليه أُستاذه بودّه، وكان له موضع خاصّ من نفسه، ومكان مكين من قلبه، يؤامره في دخائله ـ قبل وضعها على بساط الشورى ـ إخلاداً إليه بالثقة، واعتماداً عليه بحصافة الرأي، ثمّ يحيلها إلى الشورى التي كان لا يورد في مهمّات الأُمور العامّة ولا يصدر إلّا عنها، حتّى كأنّه وأصحابه هم المعنيّون بقوله عزّ من قائل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[١].

هكذا كان أيّام زعامته كلّها، وهكذا كان أصحابه البررة الخيرة مخلصين لله عزّوجلّ في أعمالهم حتّى لقوا الله تعالى حنفاء مخلصين له الدين.

وكانت وفاته ـ أعلى الله مقامه ـ في سامرّاء ليلة الأربعاء الرابع والعشرون من شعبان سنة ١٣١٢ وحمل على رؤوس الخلائق وأكفّهم من سامرّاء إلى النجف الأشرف مسافة ثماني مراحل على راكب الدابّة.

تداول حمله عامّة الناس ممّن هم في سامرّاء والنجف وما بينهما من المدن والقرى والبوادي، فكان الاجتماع عظيماً لم ير مثله أبداً.

تداولوا حمله عشيرةً عشيرةً، وحيّاً حيّاً، ومدينةً مدينةً، وقريةً قريةً، وتزاحموا على التبرّك والتشرّف به، متهافتين عليه أُلوفاً، تهافت الهيم العطاش على الماء، وجدّدوا فيه العهد بالضرائح المقدّسة، وصلّوا عليه في المشاهد الأربعة، وكان لأهل بغداد والمشاهد المشرّفة وما حولها، ولا سيّما النجف الأشرف حالات في استقبال النعش وتشييعه

١. الشورى (٤٢): ٣٨.

يكلُّ عنها الوصف، ويضيق دونها البيان.

وقد [دفن] ـ طاب رمسه ـ يوم الخميس الثاني من شهر رمضان في مدرسة جانب الصحن الشريف الحيدري، ونزل في قبره الشريف تلميذه الإمام أبو محمّد الحسن الصدر صاحب العنوان، وكان على رأس المشيّعين له من العلماء والزعماء وشيوخ العشائر وسائر الناس وأنزل معه المقدّس والدي وكان يومئذٍ متشرّفاً بزيارة أجداده الطاهرين عليهم السلام[(١)].

رجوعه إلى الكاظمية وبعض شؤونه فيها

رجع ـ أعلى الله مقامه ـ إلى مسقط رأسه الكاظميّة سنة ١٣١٤[(٢)] فحطّ رحله بفناء جدّه باب الحوائج إلى الله تعالى، وكانت أوقاته متقسّمةً بين المحراب، والمكتبة، والدرس، والكتابة، والبحث، والإرشاد.

فإذا وقف في المحراب بين يدي ربّ الأرباب ـ عزّ سلطانه ـ تجلّى لك الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين، خاشعاً لله عزّ وجلّ بقلبه وسمعه وبصره وجميع حواسّه وجوارحه.

---

(١) هذه شذرة من بذر ونقطة من بحر، ولو أردنا التفصيل لخرجنا عن الغرض المقصود، وقد ألّف الشريف العلّامة السيّد محمّد رضا آل فضل الله الحسيني العاملي رسالةً جليلةً، أفردها لما كان في تشييعه من سامرّاء إلى النجف، وما كان من مآتم الحزن والتأبين والرثاء، فليراجعها من أراد الوقوف على العظمة الممثّلة بأجلى مظاهرها.

(٢) كان ابن عمّه الإمام الجليل السيّد إسماعيل خرج في تلك السنة من سامرّاء فلحقه الجمّ الغفير ممّن كان في تلك الناحية المقدّسة من مقدّسي العلماء ومحقّقيهم الأعلام، فكان السيّد صاحب العنوان من جملتهم كما بيّناه في أحوال السيّد إسماعيل رحمه الله[1].

---

١. تقدّم في ص ٢٠٥ التعليقة (١).

وإذ كان في المكتبة ـ مكتبته القيّمة ـ تجلّى للناظرين إمعانه في تتبّع آثار المتبحّرين من المتقدّمين والمتأخّرين، يحصي مسائلهم، ويتدبّر دخائلهم، ويقف على الكنه من أغراضهم السامية.

وإذ رأيته يلقي دروس العلم قلت: ﴿مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[١].

وإذا نظرت في ما أخرجه قلمه قلت: هو الغاية في بابه.

وإذا أوغل في البحث، وأمعن في التنقيب، استبطن الدخائل، واستجلى الغوامض، واستخرج المخبآت، ومحّص الحقائق.

وإذا انبرى للوعظ والإرشاد، فجّر الله على لسانه ينابيع الحكمة، فملك أعنّة القلوب، وردّ شوارد الأهواء، وقاد حرون الشهوات، وقوّم زيغ النفوس، فخشعت الأبصار، وخفقت الأفئدة خشيةً ورقّةً.

وبرجوعه إلى الكاظميّة على عهد المقدّس والده، قد استأنفا نشاطهما للبحث عن غوامض العلوم، وارهفا عزائمهما لذلك؛ جرياً على عادتهما المستمرّة كلّما اجتمعا منذ نشأ أبو محمّد حتّى شاخ.

ماضمّهما مكان إلاّ وكان على جمام من النفس، ونشاط للبحث، وارتياح إلى العلم، ينتهزان فرصة الاجتماع، فلم تفتهما نهزةٌ، ولا ضيّعا فرصةٌ.

لم يمض عليه ـ بعد رجوعه إلى الكاظميّة ـ سنتان حتّى أُصيب بالمقدّس أبيه، فكان رزؤه به عظيماً، وقام بعده بمهمّاته كلّها وزيادةً.

أبى أوّلاً على الناس أن يقلّدوه فأرجعهم ـ منذ توفّي أُستاذه الأكبر ـ إلى ابن عمّه المقدّس السيّد إسماعيل الصدر.

فلمّا توفّي ابن عمّه سنة ١٣٣٨ قام بالأمر بعده، فظهرت رسالته العمليّة ـ رؤوس المسائل المهمّة ـ وعلّق على كلّ من تبصرة العلاّمة ونجاة العباد والعروة الوثقى تعاليق

---

١. يوسف (١٢): ٣١.

جعلتها مراجع لمقلّديه، فتداولت بينهم متقرّبين إلى الله تعالى بالعمل على مقتضاها.

وكان ـ أعلى الله مقامه ـ أيّام سفارته وقبلها من أقوم أولياء آل محمّد بمهامّهم، وأحوطهم على أحكامهم، وأحناهم على يتاماهم(١) وقد ضرب أطنابه على نصرهم ووقف حياته على إحياء أمرهم، فكان لا يستوطئ في ذلك راحةً، ولا تفوته فرصةً، حتّى لحقهم في دار كرامتهمعليهم السلام.

مجالسه حِلاً وترحالاً

أمّا مجالسه فقد كانت مدارس سيّارة تتفيّأ وارف ظلاله، في حلّه وترحاله، فيها ما يبتغيه الإنسان الكامل من فنون العلم، وضروب الحكمة، وما إلى ذلك من مواعظ تسمو بالإنسان إلى عالم الملكوت، وتلحقه بالروحانيّين، فيكون كما قيل عن بعضهم:

في الأرض جوهر جسمه الـ فاني وفي الملكوت عقلُهُ

وكان ـ أعلى الله مقامه ـ واضح الأسلوب في كلامه، فخم العبارة، مشرق الديباجة، يجلّي(٢) عن نفسه بأبلغ بيان، ويعبّر عن ضميره بأجلى العبائر الحسان، فيبلغ بكلامه كنه القلوب من خواصّ الناس وعوامهم، يخاطب كلّاً منهم بما يتناسب مع شعوره، ويتّفق مع مبلغه من الفهم والعلم، بكلام هو أندى على الأفئدة من زلال الماء.

فكان منتجعو مجالسه ـ من خواصّ الناس وعوامهم ـ ينقلبون عنه بما التمسوه من ضوال الحكمة، وجزيل الفوائد العلميّة، وجليل العوائد العمليّة.

علومه ومكانته فيها

كان ـ أعلى الله مقامه ـ رحلةً في العلم، كما كان قبلةً في العمل، إماماً في الفقه تمّت

---

(١) كلّنا نحن الشيعة يتاماهم.

(٢) يعبّر بجلاء.

به النعمة، وهادياً إلى الله وجبت فيه الحجّة، ومفزعاً في الدين تلقى إليه المقاليد، ومرجعاً في أحكام الله يناط به التقليد، وثبتاً في السنن، وحجّةً في الأخبار، وجهبذاً في حوادث السنين وأحوال الماضين، ورأساً في أُصول الفقه، وعلم الرجال والدراية، وأنساب قريش وسائر العرب، ولا سيّما الهاشميّون، راسخ القدم في التفسير وسائر علوم الكتاب والسنّة، وما إلى ذلك من فنون، كالصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع ومتن اللغة، وكان من ذوي البسطة في المنطق والحكمة ـ الفلسفة ـ الراسخين في علم الكلام، طويل الباع في الهيئة والحساب، بحراً في علم الأخلاق، لا يسبر غوره، ولا ينال دركه.

مناظراته دفاعاً عن الحقّ

لم أفتح عيني على مثله، ثَبْتَ الغَدَرْ(١) في مناظراته دفاعاً عن الدين الإسلامي وانتصاراً للمذهب الإمامي، بعيد المستمرّ(٢) في ذلك، شديد العارضة(٣) غرب اللسان(٤)، طويل النفس في البحث(٥)، بعيد غور الحجّة(٦). يقطع المبطل

---

(١) الغدَرَ ـ بفتحتين ـ: هي الأرض الرخوة ذات الأحجار والحفر لا يثبت في المصارعة فيها إلّا القويّ: يقال: رجل ثبت الغَدَر إذا كان ثابتاً في القتال أو الجدال[١] ونحوهما. والإضافة هنا بمعنى «في».
(٢) يعني أنّه قويّ في القتال والجدال لا يملّ ولا يسأم.
(٣) يعني أنّه قادر على الكلام وحسن البيان.
(٤) أي حديده[٢].
(٥) أي بعيد المدى لا يسأم أبداً.
(٦) أي يستنبطها من مكان بعيد. وغور الشيء عمقه.[٣]

---

١. راجع: لسان العرب ٥: ١٠؛ المعجم الوسيط: ٦٤٥، «غ.د.ر».
٢. راجع المعجم الوسيط: ٦٤٧، «غ.ر.ب».
٣. راجع لسان العرب ٥: ٣٣، «غ.و.ر».

بالحقّ، فيرميه بشكاته[١]، ويدمغه بأحقاف رأسه[٢]، فإذا هو زاهق.

ولا سمعت أُذني، بمثله، يقتضب ـ في إحقاق الحقّ ـ جوامع الكلم، فتكون فصل الخطاب، ومِفصل الصواب.

أدبـه

أمّا الأدب العربي، فقد كان جذيله المحكّك، وعذيقه المرجّب، صحيح النقد فيه، صائب الفكر، ثاقب الرويّة.

غير أنّ الذي كانت تطمح إليه نفسه من نظم القريظ لم يكن ميسوراً له ؛ لا نصرافه عن النظم إلى العلم منذ نعومة ظفره إلى منتهى عمره، والميسور له منه كان ممّا لا يعجبه ولا يرضاه لنفسه.

فإنّ همّته رفيعة المناط، قصيّة المرمى، تأبى عليه إلّا السبق في كلّ مضمار ؛ لذلك لم يؤثر عنه من النظم شيء.

وكان في هذا كالخليل بن أحمد، إذ كان أروى الناس للشعر ولا يقول بيتاً، فقيل له: مالك لا تقول الشعر؟ قال: الذي أُريد لا أجده، والذي أجد منه لا أُريده.

وكذلك كان الأصمعي مع علوّ مكانه في الأدب، وقد قيل له: ما يمنعك من قول الشعر؟

قال: يمنعني منه نظري لجيده[٣].

---

(١) أي بما يسكته.

(٢) أي أنّه يكسر جمجمته ثمّ يرميه بِقَطعها، وهذا كناية عن أنّه دمغه بالحجّة فكسره.

(٣) نقل هذا عن الخليل والأصمعي ابن عبد ربّه في باب رواة الشعر من الجزء الثالث من عقده الفريد[١].

---

١. العقد الفريد ٦: ١٥٨ ـ ١٥٩.

مؤلّفاته

كان ـ أعلى الله مقامه ـ ممّن لهم الميزة الظاهرة، والغرّة الواضحة في التأليف، جمع فيه بين الإكثار والتحقيق، كتب في مواضيع مختلفة من علوم شتّى، وما منها إلّا غزير المادّة، جزيل المباحث، سديد المناهج، مطّرد التنسيق، وإليك ما يحضرني من ذلك:

أُصول الدين

١ ـ كتاب الدرر الموسوية في شرح العقائد الجعفرية، أعني عقائد الشيخ الأكبر كاشف الغطاء، استدلّ الشيخ فيها على الوحدانيّة والعدل بآيات الله وآثاره في ملكوته، كخلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار إلى غير ذلك ممّا استرسل بذكره آيةً آيةً، وترك تفصيل القول فيها لغيره من الأعلام، فظهر فضل هذا الشرح بما اشتمل عليه من تفصيل شؤون تلك الآيات البيّنات وحكمها وأسرارها وآثارها، وبما بسطه من الكلام فيها على ما يقتضيه مصطلح هذا الفنّ، فإذا هي أدلُّ على وحدانيّة العزيز الجبّار من سطوع الشمس ضاحيةً على وجود النهار، وأثبت في باب الإمامة من هذا الشرح رأيه في الأئمّة عليهم السلام من طريق مخالفيه.

٢ ـ سبيل الصالحين[1] في السلوك وطريق العبوديّة، وقد ذكر لها سبع طرق.

٣ ـ إحياء النفوس بآداب ابن طاوس، جمعه من بيانات السيّد جمال الدين عليّ ابن طاوس الحسني في مؤلّفاته، ورتّبه على ثلاثة مناهج: المنهج الأوّل في معاملة العبد مع ربّه تعالى، المنهج الثاني في معاملته مع مواليه حجج الله عزّ وجلّ، المنهج الثالث في معاملته مع الملائكة والناس.

---

(١) طبع في تبريز.

الفقه

٤ ـ كتاب سبيل الرشاد في شرح نجاة العباد على سبيل الاستدلال، خرج منه مجلّد ضخم في مباحث المياه إلى أحكام التخلّي.

٥ ـ كتاب تبيين مدارك السداد للمتن والحواشي من نجاة العباد، خرج منه أكثر مباحث الطهارة، وجلّ مباحث الصلاة.

والمراد من الحواشي، حاشيتا الشيخ مرتضى الأنصاري، والسيّد الميرزا الحسيني الشيرازي، أُستاذه[١].

٦ ـ تحصيل الفروع الدينيّة في فقه الإماميّة، كتاب ينفع المحتاط والمقلّد، خرج منه كتاب الطهارة، وكتاب الصلاة، وفي مقدّمته مباحث التقليد على سبيل التفصيل.

٧ ـ المسائل المهمّة، رسالة شريفة في العبادات لعمل المقلّدين (١).

٨ ـ سبيل النجاة في المعاملات، متن شريف لعمل المقلّدين [وفيه من] الشروح الغريبة.

٩ ـ المسائل النفيسة، رسالة أفردها لمشكلات المسائل الفقهيّة والفروع الغريبة.

١٠ ـ حواشيه على العروة الوثقى وعلى الغاية القصوى، وعلى نجاة العباد، وعلى الفصول الفارسيّة.

١١ ـ الغالية لأهل الأنظار العالية، رسالة باللغتين ـ العربيّة والفارسيّة ـ في تحريم حلق اللحى (٢).

---

(١) طبعت والتي بعدها في بغداد وفي صيدا وفي نيويورك ـ أميركا.

(٢) طبعت باللغتين.

---

١. هو المجدّد الشيرازي محمّد حسن. تقدّم ترجمته في ص ٢٧٧ ومابعدها.

١٢ ـ تبيين الرشاد في لبس السواد على الأئمة الأمجاد، رسالة بالفارسيّة.

١٣ ـ نهج السداد في حكم أراضي السواد.

١٤ ـ الدرّ النظيم في مسألة التتميم، رسالة في تتميم الكرّ بماء متنجس.

١٥ ـ لزوم قضاء ما فات من الصوم في سنة الفوات.

١٦ ـ تبيين الإباحة، رسالة في جواز الصلاة بأجزاء الحيوان المشكوك في إباحة أكل لحمه.

١٧ ـ إبانة الصدور، رسالة في موقوفة ابن أُذينة المأثورة إرث ذات الولد من الرباع.

١٨ ـ كشف الالتباس عن قاعدة الناس، أعني الناس مسلّطون على أموالهم.

١٩ ـ الغرر في نفي الضرار والضرر، رسالة جليلة فيها تحقيقات وفيها معنى الحكومة والورود.

٢٠ ـ أحكام الشكوك الغير [الـ]منصوصة، رسالة استدلاليّة تكلّم فيها على فقه الروايات الدالّة على البناء على الأكثر في الشكّ في الركعات.

٢١ ـ رسالة في حكم الظنّ بالأفعال والشكّ فيها.

٢٢ ـ الرسائل في أجوبة المسائل، رسالة تشتمل على فتاويه التي أجاب فيها مقلّديه عمّا كانوا يستفتونه عنه في الأحكام الشرعيّة.

٢٣ ـ تعليقة على رسالة التقيّة لشيخنا الأنصاري.

٢٤ ـ تعليقة على مباحث المياه من كتاب الطهارة للشيخ الأنصاري ﵀.

٢٥ ـ الرسالة في حكم ماء الغسالة.

٢٦ ـ رسالة في تطهير المياه.

٢٧ ـ رسالة في مسألة تقوّي العالي بالسافل.

٢٨ ـ تعليقة مبسوطة على ما كتبه الشيخ الأنصاري في صلاة الجماعة.

٢٩ ـ رسالة في شروط الشهادة على الرضاع.

٣٠ ـ رسالة في بعض مسائل الوقف.

٣١ ـ رسالة في حكم ماء الاستنجاء.

٣٢ ـ رسالة في الماء المضاف.

٣٣ ـ رسالة وجيزة في رواية الإخفات في التسبيحتين في الركعتين الأخيرتين.

٣٤ ـ منى الناسك في المناسك، رسالة حافلة أفردها لمناسك الحجّ والعمرة وآداب التشرّف بالحرمين الشريفين، حرم الله عزّ وجلّ وحرم رسوله ﷺ.(١)

الحديث

٣٥ ـ شرح وسائل الشيعة إلى أحكام الشريعة، كتاب لم يصنّف مثله، يذكر فيه الحديث فيعقد فيه عناوين لكلّ من المتن واللغة والسند والدلالة، فيذكر في عنوان المتن اختلاف النسخ وضبط الألفاظ، ويشرح في عنوان اللغة مفردات الألفاظ، ويبحث في عنوان السند عن رجال الإسناد، وفي عنوان الدلالة يجيل نظره في مفاد الحديث ونهوضه بإثبات الحكم، ويتكلّم في ما يعارضه فيجمع بينهما أو يرجّح أحدهما على وجه لم يسبقه إليه أحد. فهو كتاب جامع للفقه والحديث والأصول والرجال، خرج منه عدّة مجلّدات.

٣٦ ـ كتاب تحية أهل القبور بالمأثور، مرتّب على عشرة أبواب وخاتمة.

٣٧ ـ كتاب مجالس المؤمنين في وفيات الأئمة المعصومين، عقد فيه لكلّ واحد منهم مجلساً يشتمل على فضائله وكراماته ووفاته بحذف الإسناد، جعله كخطبة على ترتيب حسن ليتلى على منابرهم أيّام وفياتهم عليهم السلام، وذيّله بفصل يشتمل على أولاد المعصوم ونسائه.

٣٨ ـ مفتاح السعادة وملاذ العبادة، كتاب يشتمل على المهمّ من أعمال اليوم والليلة وأعمال الأسبوع والشهر والسنة، وعلى الزيارات وآدابها.

---

(١) طبعت في بغداد سنة ١٣٤١.

٣٩ ـ كتاب تعريف الجنان في حقوق الإخوان، سفر جليل فيه مطالب ونصائح وفوائد قد لاتوجد في غيره.

٤٠ ـ رسالة في المناقب على ترتيب الحروف، مستخرجة من الجامع الصغير للسيوطي.

٤١ ـ كتاب النصوص المأثورة على الحجّة المهديّة ـ عجّل الله فرجه ـ من طريق الجمهور لم يتمّ. ولعلّه هو الكتاب المدعوّ أخبار الغيبة الذي ذكره صاحب الذريعة في ص ٣٨ من جزئها الخامس.[١]

٤٢ ـ كتاب صحيح الخبر في الجمع بين الصلاتين في الحضر، اقتصر فيه على ما في الصحاح الستّة من النصوص على جمعه ﷺ في الحضر بلا علّة ولا مطر، وذكر أقوال من وافقنا على ذلك من علماء الجمهور.

٤٣ ـ كتاب الحقائق في فضائل أهل البيت عليهم السلام من طريق الجمهور.

٤٤ ـ كتاب أحاديث الرجعة.

٤٥ ـ هداية النجدين وتفصيل الجندين، رسالة في شرح حديث الكافي في جنود العقل وجنود الجهل.

الدراية

٤٦ ـ كتاب نهاية الدراية، شرح فيه وجيزة الشيخ البهائي، وقد بسط الكلام في هذا العلم، واستقصى مسائله وأنواع الحديث، ومباحث الجرح والتعديل، وفيه فوائد مهمّة(١).

(١) طبع في الهند طبعة سقيمة مشحونة بالغلط الفاحش الذي يغيّر المعنى ويؤذي المطالعين بما لا مزيد عليه ونعوذ بالله من تلك الطباعة. وقلت عند اطّلاعي عليها: ليت السيّد لم يؤلّف هذا الكتاب حتّى لا نبتلى بمثل هذه البليّة. فبلغه قولي هذا فكان يحكيه معجباً.

١. سمّاه فيه بـجامع أخبار الغيبة.

طرق تحمّل الحديث

٤٧ ـ كتاب بغية الوعاة في طرق طبقات مشايخ الإجازات، يشتمل على عشر طبقات، وله مقدّمة ذات فوائد جمّة أجاز فيه السيّد العالم السيّد محمّد مرتضى الجهانبوري الهندي، الذي كتب له العلّامة النوري كتاب اللؤلؤ والمرجان. وللسيّد إجازات أُخر كثيرة أجاز بها جماعة من فضلاء معاصريه، بعضها مطوّل، وبعضها مختصر.

علم الرجال

٤٨ ـ كتاب مختلف الرجال، دوّن فيه هذا العلم تدوين سائر العلوم بذكر حدّه وموضوعه وغايته، ومبادئه التصوريّة والتصديقيّة، ومن اختلف فيه من الرواة والرجال.

٤٩ ـ عيون الرجال، كتاب ذكر فيه الرجال الذين نصّ على ثقتهم أكثر من واحد، وذكر في تراجمهم طبقاتهم، وذيّله بمشجّرة في طبقات الرواة، وبإجازة مفصّلة لبعض الأعيان من السادات، وقد ذكر في آخر الكتاب أكثر مصنّفاته(١).

٥٠ ـ كتاب نكت الرجال، جمعه من تعليقة عمّه السيّد صدر الدين على رجال الشيخ أبي عليّ، فهو في الحقيقة من مؤلّفات عمّه.

٥١ ـ كتاب انتخاب القريب من التقريب، أفرده لرجال نصّ على تشيعهم ابن حجر العسقلاني في التقريب.

٥٢ ـ رسالة أفردها لترجمة المقدّس المحقّق المحسن الحسيني الأعرجي صاحب المحصول وسمّاها: ذكرى المحسنين.

٥٣ ـ بهجة النادي في أحوال والده أبي الحسن الهادي.

---

(١) وكان الفراغ منه سنة ١٣٣١ وطبع على عهده في لكنهو الهند.

٥٤ ـ كتاب تكملة أمل الآمل أو أعيان الشيعة، وهو في بابه عديم النظير، ذكر فيه من لم يشتمل أمل الآمل على ذكرهم ممّن تقدّم على الأمل في القسم الأوّل من الكتاب، إلى هذا العصر جاء في ثلاثة مجلّدات، المجلّد الأوّل في القسم الأوّل من الكتاب المختصّ بعلماء عاملة، والثاني والثالث في القسم الثاني وهو علماء بقيّة البلاد على ترتيب الأصل.

٥٥ ـ البيان البديع في أنّ محمّد بن إسماعيل المبدوء به في أسانيد الكافي إنّما هو ابن بزيع.

٥٦ ـ التعليقة على منتهى المقال.

علم الفهارس والتأليف والتصنيف

٥٧ ـ تأسيس الشيعة الكرام لسائر فنون الإسلام، كتاب لا نظير له في بابه تتبّع فيه العلوم الإسلاميّة ذكراً، واستقصاها صبراً، واستوفى البحث عن مؤسّسيها، وأمعن في التنقيب عن طبقات المصنّفين فيها، فأثبت بالبرهان، وأظهر للعيان، سبق الإماميّة في جميع الفنون الإسلاميّة، وهذا ممّا لم يسبق إليه(١).

٥٨ ـ الشيعة وفنون الإسلام، كتاب ما أجلّه قدراً، وما أعظمه سفراً، قد اختصره من كتابه السابق تأسيس الشيعة، وانتشر ببركة الطباعة(٢)، ومن وقف عليه عرف مبلغ الأصل من العظمة في بابه.[1]

(١) طبع في بغداد.

(٢) في صيدا سنة ١٣٣١.

١. وقد طبع حديثاً طبعةً ممتازةً في القاهرة مع مقدّمة ضافية، بقلم الدكتور سليمان دنيا، وطبعت هذه المقدّمة أيضاً في كتاب مع رجال الفكر في القاهرة ص ٥٩ أو مابعدها للسيّد مرتضى الرضوي حفظه الله.

٥٩ ـ فصل القضا في الكتاب المشتهر بفقه الرضا، كشف فيه حال هذا الكتاب بما لا مزيد عليه، فأثبت أنّه كتاب التكليف لابن أبي العزاقر الشلمغاني[١]، وأوضح في وجه الاشتباه بما لم يسبقه إليه أحد.

٦٠ ـ رسالة في أنّ مؤلّف مصباح الشريعة إنّما هو الشيخ سليمان الصهرشتي[٢] تلميذ السيّد المرتضى، اختصره من كتاب شقيق البلخي[٣].

٦١ ـ الإبانة عن كتب الخزانة أي خزانة كتبه، رسالة شريفة استقصى فيها ما لديه من الكتب، ذكر العلوم علماً علماً، فألحق بكلّ منها ما يختصّ به من كتب خزانته، ووصف ما كان منها غريباً أو غير متداول، فصوّره بريشة قلمه للناظرين، وصدّر هذه الرسالة بمقدّمة شريفة حضّ فيها على الكتابة والتصنيف وجمع الكتب وتتبّعها، وذكر العلم والعالم بما هما له أهل من المكانة السامية، مشيراً إلى آثارهما الشريفة في النشأتين.

الأخلاق

ـ له فيه إحياء النفوس، وكتاب سبيل الصالحين المتقدّم ذكرهما ـ.

٦٢ ـ و رسالة وجيزة في المراقبة.

٦٣ ـ و رسالة أخرى في السلوك.

---

١. هو محمّد بن عليّ الشلمغاني، من شلمغان قرية بنواحي واسط، له كتب وروايات. كان متقدّماً في أصحابنا فحمله الحسد للشيخ أبي القاسم الحسين بن روح على ترك المذهب والدخول في المذاهب الرديّة، وظهرت عنه مقالات منكرة فأخذه السلطان وقتله وصلبه ببغداد سنة ٣٢٢. انتهى ملخّصاً عن رجال النجاشي ج ٢ ص ٣٧٨، الرقم ١٠٢٩، والكنى والألقاب ج ٢ ص ٣٦٥. «ع»

٢. هو الشيخ سلمان بن الحسن الصهرشتي فقيه ديّن، قرأ على الشيخ الطوسي، وجلس مجلس درس السيّد المرتضى وله تصانيف. انتهى ملخّصاً عن أمل الآمل ج ٢ ص ١٢٨. «ع»

٣. هو صاحب إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه الطريقة، حكي أنّه كان في أوّل أمره ذا ثروة عظيمة فتصدّق بجميع ما يملكه ولازم العلماء والزهاد إلى أن مات سنة ١٥٣. انتهى ملخّصاً عن الكنى والألقاب ج ٢ ص ٤١. «ع»

المناظرة

٦٤ ـ قاطعة اللجاج في تزييف أهل الاعوجاج، وهم الأخباريّة منكرو الاجتهاد والتقليد، لزعمهم أنّ الأخبار عن الأئمّة الأطهار قطعيّة الصدور والدلالة.

٦٥ ـ البراهين الجليّة في ضلال ابن تيمية، كتاب ضخم أقام الأدلّة فيه على ضلاله بأقواله وأفعاله، وبشهادة علماء الجمهور وحكمهم عليه بذلك، وقد أحصى سيّئاته ومخالفاته للأُمّة، واستطرد ذكر ابن القيم والوهابيّين فكشف حالهم وأبان ضلالهم بما لا مزيد عليه والحمد لله.

٦٦ ـ الفرقة الناجية، رسالة تثبت أنّ تلك الفرقة إنّما هي الإماميّة.

٦٧ ـ عمر وقوله: هجر، رسالة أفردها لما صحّ عن ابن عبّاس من قوله: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثمّ بكى حتّى خضب دمعه الحصباء، فقال: اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس، فقال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً» فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازع، فقالوا: هجر رسول الله، فقال ﷺ: «دعوني». الحديث(١).

٦٨ ـ رسالة شريفة في الردّ على فتاوى الوهابيّين(٢) إذ أفتوا بحرمة البناء على الضرائح المقدّسة، ووجوب هدم ما بناه المسلمون عليها، وقد جاءت هذه الرسالة على وجه لا نظير له في بابها، فما قرأتها إلّا وقلت: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1].

---

(١) بلفظ البخاري في باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير ص ١١٨ من الجزء الثاني من صحيحه[2].

(٢) طبعت سنة ١٣٤٥ مرّتين في مطبعة الفرات ببغداد، فليراجعها من شاء من أهل البحث والتمحيص.

---

١. الإسراء (١٧): ٨١.

٢. صحيح البخاري ٣: ١١١١، الرقم ٢٨٨٨. وأيضا راجع صحيح البخاري ٣: ١١٥٥ ـ ١١٥٦، ح ٢٩٩٧، و ٤: ١٦١٢، ح ٤١٦٨.

أُصول الفقه

٦٩ ـ اللوامع، كتاب في أُصول الفقه يتضمّن نتائج الإمامين الأنصاري والشيرازي وتلامذتهما الأعلام، وللمؤلّف دلوٌ بين دلائهم ملأه إلى عقد الكرب.

٧٠ ـ تعليقة على رسائل الشيخ مرتضى الأنصاري.

٧١ ـ اللباب في شرح رسالة الاستصحاب.

٧٢ ـ رسالة في تعارض الاستصحابين.

٧٣ ـ حدائق الأُصول، خرج منه مسائل متفرّقة من مشكلات أُصول الفقه.

٧٤ ـ التعادل والتعارض والتراجيح، رسالة مستقلّة، غير ما علّقه على رسائل الشيخ.



النحو

٧٥ ـ خلاصة النحو، كتاب لخّص فيه هذا العلم على ترتيب ألفيّة ابن مالك.

التأريخ

٧٦ ـ نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين، مشهد أمير المؤمنين ومشهد أبي عبدالله الحسين عليه السلام، رسالة تشتمل على ذكر أوّل من عمّرهما وذكر من جدّد تعميرهما وتواريخ التعمير والتجديد، وأسماء المعمّرين والمجدّدين، وأوّل من سكن الحائر من الفاطميّين(١).

٧٧ ـ وفيات الأعلام من الشيعة الكرام، كتاب يتبيّن موضوعه من اسمه، رتّبه على العصور والطبقات، خرج منه أهل المائة الأُولى والثانية والثالثة والرابعة.

---

(١) طبعت في لكنهو الهند سنة ١٣٥٤، على نفقة إدارة مجلّة الرضوان الغرّاء مصدّرة بترجمة المصنّف، بقلم العلاّمة السيّد عليّ النقيّ النقويّ دام فضله.

٧٨ ـ محاربو الله ورسوله يوم الطفوف، رسالة أفردها لبيان عدد المخرجين إلى حرب سيّد الشهداء يوم الطفّ، أثبت فيها أنّهم كانوا ثلاثين ألفاً أو يزيدون.

٧٩ ـ المطاعن، كتاب يتضمّن طعن بعض علماء الجمهور على بعض.

٨٠ ـ النسيء، رسالة تبيّن فيها ما كان عليه أهل الجاهليّة من النسيء الذي جعله الله زيادةً في الكفر[١]، وفيها دفع الإشكال عن تولّد رسول الله صلى الله عليه وآله في ربيع الأوّل مع كون بدء الحمل به إنّما كان في ليالي التشريق.

٨١ ـ كشف الظنون عن خيانة المأمون، رسالة تثبت خيانته الفادحة بسمّ الرضا عليه السلام.

٨٢ ـ محاسن الرسائل في معرفة الأوائل في خمسة عشر باباً.

مكتبته

وَلُعَ أعلى الله مقامه ـ منذ حداثته إلى منتهى أيّامه في جمع الكتب، وعني بذلك كلّ العناية، وكان موفّقاً في تحصيل نفائسها من جميع العلوم والفنون عقليّةً ونقليّةً.

ولا غرو فقد كان يؤثر تحصيلها على بلغته ونفقة يومه، وربما باع في سبيلها الضروري من أمتعته، فاجتمع له بسبب ذلك من الكتب ـ مطبوعةً ومخطوطةً ـ ثروة طائلة ـ ومن جدّ وجد ـ.

تضمّنت مكتبته من نوادر الأسفار المخطوطة ما لا يوجد في أكثر المكاتب الحافلة وربما كان فيها من الكتب القيّمة ما لا يوجد في سواها، وبهذا رنّت في الأقطار، وذهب سِمْعُها في الناس، فذكرها المتتبّع البحّاثة جرجي زيدان[٢] في طليعة مكاتب العراق،

---

١. التوبة (٩): ٣٧.

٢. هو منشيء مجلّة الهلال بمصر، وصاحب التصانيف الكثيرة، ولد في بيروت سنة ١٢٧٨، وتوفّي في القاهرة سنة ١٣٣٢. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج ٢ ص ١١٧. «ع»

حيث استقصى تلك المكاتب في كتابه تأريخ آداب اللغة العربيّة(١).

وعني السيّد بهذه المكتبة فألّف لها فهرساً أسماه الإبانة عن كتب الخزانة، رتّبه أحسن ترتيب، ووصف فيه الكتب، فصوّرها ببراعته تصويراً ـ كما بيّنّاه عند ذكر الإبانة من مؤلّفاته ـ وله بها عناية أُخرى فوق العنايات، حيث تتبعها مطالعةً، واستقرأها مراجعةً، وأوسعها إحاطةً وتقصّياً،[١] كما أشرنا إليه فيما تقدّم من هذه الترجمة.

قال الثقة الثبت العلّامة تلميذه وابن شقيقته الشيخ مرتضى آل ياسين[٢] أثناء ترجمته:(٢)

لقد كنت أسمع عن السيّد المؤلّف زمان كان شابّاً قويّ العضلات أنّه كان لا يكاد ينام الليل في سبيل تحصيله، كما أنّه لا يعرف القيلولة في النهار، ولكنّي بدل أن أسمع ذلك عنه في زمن شبيبته فقد شاهدت ذلك منه بأُمّ عيني في زمن شيخوخته، وإنّ مكتبته التي يأوي إليها الليل والنهار، ويجلس هناك بيمناه القلم وبيسراه القرطاس لهي الشاهد الفذّ بأنّ عيني صاحبها المفتوحتين في الليل لا يطبق أجفانها الكرى في النهار، وإن جاءها الكرى فإنّما يجيئها حثاثاً لا يكاد يلبث حتّى يزول. إلى آخره.

---

(١) راجع ص ١٢٠ من جزئه الرابع[٣].

(٢) المنتشرة بالطبع في فاتحة كتاب الشيعة وفنون الإسلام[٤].

---

١. تقصّى الأمر: بلغ اقصاه في البحث عنه. راجع المعجم الوسيط: ٧٤١، «ق. ص. ی».

٢. هو أحد كبار مجتهدي النجف الأشرف وفي الطليعة من أعلامها وأركان حوزتها، ولد سنة ١٣١١، وهو آية في صفاء النفس ورجاحة العقل واستقامة على المثل العليا لا يعرف أملك منه لعنان الفكر في بعد شديد عن الضجيج ووسائل الشهرة، فتبارك الله أحسن الخالقين، توفّي سنة ١٣٩٨ عليه الرحمة والرضوان. «ع»

[راجع ماضي النجف وحاضرها ٣: ٥٢٤ ـ ٥٣٥، الرقم ٧].

٣. تأريخ آداب اللغة العربيّة ٢: ٤٨٩.

٤. الشيعة وفنون الإسلام: ٦.

مشايخه في الرواية:(١)

مشايخه في الرواية على صنفين:

منهم: من يروي عنهم بطرق السماع والقراءة فقط دون الإجازة.

ومنهم: من يروي بطريق الإجازة العامّة.

وأمّا مشايخه من الصنف الأوّل:

فمنهم ـ وهو أجلّ من يروي عنهم ـ: حجّة الإسلام الميرزا محمّد حسن الشيرازي الغروي العسكري المتوفّى سنة ١٣١٢.

ومنهم: الشيخ المحقّق المؤسّس الحاج الميرزا حبيب الله الرشتي الغروي صاحب كتاب بدائع الأصول، المتوفّى سنة ١٣١٣.

ومنهم: الشيخ الفقيه الشيخ محمّد حسين بن الشيخ هاشم الكاظمي النجفي شارح كتاب الشرائع، المتوفّى سنة ١٣٠٨.

ومنهم: الفاضل المتبحّر المولى محمّد الإيرواني، المتوفّى بعد المائة الثالثة عشرة.

ومنهم: شيخ الإسلام الشيخ محمّد حسن آل ياسين الكاظمي صاحب أسرار الفقاهة، المتوفّى سنة ١٣٠٨.

ومنهم: والده الشريف السيّد هادي، المتوفّى سنة ١٣١٦.[1]

وأمّا مشايخه من الصنف الثاني، فهم جماعة من العلماء:

ومنهم: المولى الفقيه الشيخ ملّا عليّ بن الميرزا خليل الرازي الغروي، المتوفّى سنة ١٢٩٧.

ومنهم: السيّد المتبحّر المهديّ القزويني الحلّي الغروي المصنّف المكثّر، المتوفّى سنة ١٣٠٠.

---

(١) هذا العنوان وما تحته ممّا جاد به العلّامة الحجّة الشيخ مرتضى آل ياسين في ترجمة السيّد خاله. نقلناه بعين لفظه.

---

١. في المصدر ذكر وفاته سنة ١٣١٨. وتقدّم في ص ٢٧٥ وما بعدها في الصنو الثالث.

ومنهم: المولى المحقّق المتبحّر الميرزا محمّد هاشم بن زين العابدين الأصفهاني، المتوفّى في النجف الأشرف سنة ١٣١٨.

وقد ذكر تراجمهم على طراز مبسوط في إجازاته المطوّلات، واستقصى جميع مشايخه بما لا مزيد عليه.[١]

خلقه وبنيته ومنظره

أفرغه الله عزّ وجلّ في قالب الكمال، وطبعه على غرار البهاء والأُبّهة والجلالة، فجعله من أجمل الناس صورةً، وأكملهم خِلقةً، وآنقهم شكلاً، وأحسنهم هيئةً، وأسلمهم فطرةً، وأقواهم بنيةً، وأمتنهم عصباً، صُلب المفاصل، شديد الأضلاع، غليظ الألواح، عبل الذراعين، مفتول الساعدين، بعيد ما بين المنكبين، أسيل الخدّين، لطيف الأنف والحاجبين، أحور العينين أدعجهما، أوطف الأهداب، وضيء الطلعة، أبلج الغرّة، أزهر اللون، رقيق البشرة، شديد الحواسّ، صادق الشعور إلى الغاية، قد تسربل بالملاحة، وألقى الله عليه محبّةً منه، يروق الناظرين ابتسامه، يفتر عن مثل حبّ الغمام.

له شيبة تفرض الهيبة، قد ملأت ما بين منكبيه، فسبحان من زاده بسطةً في العلم والجسم، وعلّمه البيان، وآتاه البرهان، وتبارك الله أحسن الخالقين.

غرائزه وملكاته

خلقه الله من طينة القدس، وصاغه من معدن الشرف، وأنبته من أُرومة الكرم، وجمع فيه خلال النجابة، فكان المجد ينطق من محاسن خلاله، والمروءة تتمثّل في منطقه وأفعاله، لم أرَ أكرم منه أخلاقاً، ولا أنبل منه فطرةً.

---

١. الشيعة وفنون الإسلام: ٨ ـ ٩.

وكان ربيط الجأش، صادق البأس، من حماة الحقائق، وممثّلي الحفائظ، قد جمع ثيابه على أسد خادر.

وكان عزيز النفس، أشمّ الأنف، لا يعنو لقهر، ولا يصبر على خسف، على أنّه كان متجافياً عن مقاعد الكبر، نائياً عن مذاهب العجب، سلسل الطباع، لين العريكة، سهل الجانب، منسجم الأخلاق.

وكان جواداً سخيّاً، فيّاضاً أريحيّاً.

ولا غرو ؛ فإنّه كان من قوم فجّروا ينابيع الندى، وإليهم تنتهي السماحة، وكان حادّ الذهن، يقظ الفؤاد، ذكيّ المشاعر، حديد الفهم، سريع الفطنة، صادق الحدس، شاهد اللبّ، رؤوفاً بالمؤمنين، شديداً على أعداء الله، لا تأخذه في الله لومة لائم، له همّة بعيدة المرمى، ونفس رفيعة المصعد، تسموبه إلى معالي الأُمور فيبلغ بها الأقدار الخطيرة.



مترجموه

ترجمه ـ على عهده ـ غير واحدٍ من الثقات الأثبات كالعلّامة المحقّق الشيخ مرتضى آل ياسين، وقد جاءت ترجمته(١) رائعةً بتمثيل تلك الشخصيّة الفذّة، نافعةً بتنبيه أُولي العلم إلى أُمور تختصّ بكمالهم.

وللسيّد ترجمة في كتاب أعيان الشيعة [ج ٢٣](٢)، وله ذكر خالد في الغابرين بعلمه الخالد بخلود مؤلّفاته إن شاء الله تعالى. وبكونه من شيوخ الإجازات في قرنه، فهو سند الأسناد إلى يوم التناد.

---

(١) انتشرت هذه الترجمة بطبعها مع كتاب السيّد الشيعة وفنون الإسلام.[١]

(٢) ص ٣٥٦ وما بعدها.[٢]

---

١. في مقدّمة الكتاب ٥ ـ ١١.

٢. أعيان الشيعة ٥: ٣٢٥.

وقد ذكره البحّاثة المقدّس الشيخ عبّاس بن الشيخ رضا القمّي إذ ترجم جدّه شرف الدين العاملي(١) وذكره بعض الأجانب(٢) فأنصفوا بوصفه كالفيلسوف، أمين الريحاني اللبناني(٣) وغيره من سيّاح المستشرقين(٤).

وبعد وفاته ـ أعلى الله مقامه ـ ترجمه الشريف العلّامة المتتبّع الثبت الحجّة السيّد عليّ النقيّ النقوي[١] ترجمةً مفصّلةً علّقها على رائيّته العصماء العامرة التي رثى بها السيّد.

وقد جرى في الترجمة مجرى الشرح لتلك الرائيّة العبقريّة، فكانت ترجمةً ضافيةً جامعةً مثّلت أدوار حياته العلميّة والعمليّة منذ ولد حتّى اختار الله له دار كرامته، وتناولت ذكر الأعلام من آبائه عَلَماً عَلَماً حتّى انتهت إلى شرف الدين فأبيه زين العابدين، فجدّه عليّ نور الدين، فجدّ أبيه نور الدين عليّ، فجدّ جدّه الحسين بن عليّ بن محمّد بن أبي الحسن تاج الدين الموسوي، واستقصت سائر الأبطال من متقدّمي هذه الأُسرة ومتأخّريها ممّن هم في جبل عامل أو في العراق، ذكرتهم بطلاً

(١) في ص ٣٢٢ من الجزء الثاني من كتابه الكنى والألقاب[٢] وذكره في باب ذكر أولاد الإمام موسى الكاظم من كتاب منتهى الآمال[٣].

(٢) الأجانب جمع أجنب وهو الذي لا ينقاد.

(٣) فراجع ما قاله عنه في ص ٢٧٣ من الجزء الثاني من كتابه. ملوك العرب الطبعة الأُولى.

(٤) الذين نالوا الحظوة بخدمته وأخذوا عنه بعض الحكمة ممّن لا تحضرني أسماؤهم ولا مؤلّفاتهم وهم غير واحد.

١. السيّد علي نقي بن السيّد أبي الحسن بن السيّد إبراهيم بن السيّد محمّد تقي بن السيّد دلدار علي النقوي اللكنهوني، عالم جليل محقّق ثبت عزيز العلم، وأديب كبير وشاعر مجيد، ولد سنة ١٣٢٣ بلكنهو، وتخرج على كبار أعلام النجف الأشرف، وعاد إلى بلاده، وصار من المشاهير فيها. ثمّ عين مدرساً في جامعة علي گر، وله مؤلّفات كثيرة وبحوث قيّمة، في مختلف المواضيع. توفّي ١٤٠٨. انتهى ملخّصاً عن المنتخب. «ع»

٢. الكنى والألقاب ٢: ٣٥٦.

٣. منتهى الآمال ٢: ٤١٠.

بطلاً بما هم أهله من جلالة القدر وعلوّ المنزلة في الدين والدنيا. وأرّخت وفياتهم، وتصدّت لبيان مكانة السيّد في العلم، ومنزلته في الأمّة، وذكرت شيوخه الذين أخذ عنهم، وكثيراً من الشيوخ الذين أخذوا عنه، وأتت على مصنّفاته في سائر العلوم والفنون، واشتملت على ذكر وفاته وتشييعه ومآتمه التي انعقده في العراق وعاملة والهند وغيرها... وقد نقلنا من هذه الترجمة ما تراه تحت العنوانين التاليين.[١]

مستجيزوه

قال السيّد النقوي(١):

كان ـ رحمه الله تعالى ـ في رواية الحديث أعظم شيخ تدور عليه طبقات الأحاديث العالية في هذا العصر.

ومن يروي عنه من أعلام هذا العصر كثير، وفيهم جملة من حجج الطائفة وعلمائها وفضلائها المبرّزين، فمنهم الآية العظمى السيّد أبوالحسن الأصفهاني النجفي ـ دام ظلّه ـ والآيات الحجج الأعلام الحاجّ الشيخ محمّد حسين الأصفهاني صاحب الحاشية على الكفاية، والشيخ محمّد كاظم الشيرازي[٢]، والشيخ هادي آل كاشف الغطاء[٣]،

(١) في آخر ما جاد به قلمه المبارك في ترجمة السيّد المنتشرة بطبعها في لكنهوء مع كتابه نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين فراجع منه ص ١٢٠.

١. للمزيد راجع ص ٧٣٨ ـ ٧٤٥، الذيل ١٢.

٢. ولد في شيراز سنة ١٢٩٢ وهاجر إلى سامرّاء، ولازم درس الميرزا محمّد تقيّ الشيرازي وأصبح من تلامذته المشار إليهم بالبنان، وبعد وفاته انتقل إلى النجف الأشرف حيث استقلّ بالبحث والتدريس وأصبح من مراجع التقليد خاصّةً بعد وفاة السيّد أبو الحسن الأصفهاني، توفّي سنة ١٣٦٧. انتهى ملخّصاً عن أعيان الشيعة ج ٩ ص ٤٠١.«ع»

٣. هو أحد أعلام النجف والمقدّمين من رجال هذه الأسرة، ولد سنة ١٢٨٩ وتخرّج على علماء النجف، وله مؤلّفات غزيرة الحظّ من الفضل والتحقيق، كما أنّه ذو حظّ وافر من البراعة في الإنشاء والكتابة والنظم إلّا أنّه لعلوّ همّته يستقلّ الكثير منها، وحقاً إنّ كريم سجاياه وغزير علمه ومحاسن أخلاقه وتهافت القلوب على حبّه والثقة به ليستقلّ فيه الكثير ويستحقر فيه الخطير، توفّي سنة ١٣٦١. انتهى ملخّصاً عن ماضي النجف وحاضرها ج ٣ ص ٢١٠.«ع»

والشيخ محمّد رضا آل ياسين، والحاجّ الشيخ عليّ القمّي[١]، والحاجّ السيّد رضا الهندي، والميرزا محمّد عليّ الأوردبادي[٢] في النجف الأشرف، والسيّد ميرزا هادي الخراساني[٣] في كربلاء المشرّفة، والشيخ المحسن المعروف بآقابزرك الطهراني صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة وغيرها في سامرّاء، والسيّد هبة الدين الشهرستاني[٤] في بغداد، والسيّد عبد الحسين شرف الدين في جبل عامل، والشيخ آقا رضا الأصفهاني[٥] صاحب نقد فلسفة داروين في أصفهان، والسيّد صدر الدين الصدر في مشهد الرضا عليه السلام، ووالدنا العلّامة السيّد أبو الحسن النقوي في لكنهو[٦]،

١. ولد سنة ١٢٨٣ وبلغ في العلوم الإسلاميّة درجةً عاليةً، وأصاب حظّاً، وعرف بالورع والزهد، وكان دائم الاشتغال بمجاهدة النفس، واتّفقت كلمة أهل العلم والدين وسائر الطبقات على أنّه أورع وأتقى وأعدل علماء عصره، توفّي سنة ١٣٧١. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٤ ص ١٣٢٣.«ع»

٢. ولد بتبريز سنة ١٣١٢ وأتى إلى النجف الأشرف، وساعده ذكاؤه الفطري على النبوغ في كلّ المراحل الدراسيّة فبرع في الشعر والأدب وتضلّع في التأريخ والسير، وأصبح حجّة في علوم الأدب واللغة والفقه وأُصوله والحديث والرجال والتفسير والكلام والحكمة، أضف إلى ذلك كمالاته النفسيّة ومزاياه الفاضلة. توفّي سنة ١٣٨٠. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٤ ص ١٣٣٢.«ع»

٣. هاجر إلى النجف وحضر على أعلامها ثمّ عاد إلى كربلاء وأصبح من مدرّسيها، وقد جمع بين المعقول والمنقول والأدب والكلام، وكانت له اليد الطولى في الرياضيّات والطبيعيّات، وكان متّصفاً بالزهد والتهجّد، وكانت داره محفلاً لأهل العلم والحقيقة، ألّف في مختلف العلوم والفنون، وأصبح أخيراً من مراجع التقليد في كربلاء، توفّي سنة ١٣٦٨. انتهى ملخّصاً عن أعيان الشيعة ج ١٠ ص ٢٣٢.«ع»

٤. هو السيّد محمّد عليّ بن السيّد حسين الحسيني الشهير بالسيّد هبة الدين الشهرستاني، ولد سنة ١٣٠١، ودرس في النجف حتّى بلغ مكانةً ساميةً في العلم والفضل والأدب، وتميّز منذ شبابه بيقظة ووعي ونزعة إصلاحيّة، واتّصل بالمجامع العلميّة، والنوادي الأدبيّة في البلاد العربيّة والإسلاميّة، وأصبح لكتاباته وخطبه أثر في توجيه نفوس كثير من الشباب، وله آثار كثيرة قيّمة في مختلف المواضيع، توفّي سنة ١٢٨٦. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٤ ص ١٤١٣، الرقم ١٩٣٦.«ع»

٥. راجع: ترجمته في أعيان الشيعة ٧: ١٦؛ نقباء البشر ٢: ٧٤٧، الرقم ١٢٢٧.

٦. هو السيّد أبو الحسن بن السيّد إبراهيم النقوي، ولد في لكنهو سنة ١٢٩٨، وكان فيها مرجعاً للتدريس والفتيا وسائر التكاليف الشرعيّة، وله تصانيف، توفّي سنة ١٣٥٥. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ١ ص ٣٤، الرقم ٨٨.«ع»

والعلّامة السيّد شبير حسن [١] في فيض آباد وغيرهم.

وأروي عنه بإجازة كتبها لي في ١١ شوّال سنة ١٣٤٦ هـ، وهو أوّل شيخ للحديث استجزت منه، فأجاز لي بإجازة عامّة شاملة لكلّ ما بأيدينا من كتب الحديث والتفسير وسائر العلوم.

وفاته وتشييعه وقدسي رمسه ومآتمه

قال السيّد النقوي(١) ـ أدام الله إقامته ـ:

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في عاصمة البلاد العراقيّة بغداد ـ حيث كان مقامه منذ أيّام فيها؛ لأجل المعالجة(٢) ـ في منتصف ربيع الأوّل(٣) سنة ١٣٥٤ فكان لوفاته أثر كبير، ووقع خطير في النفوس جميعاً.

وقد شيّع جنازته إلى الكاظميّة مسقط رأسه ومدفنه زهاء مائة ألف من الناس من جميع الطبقات(٤).

(١) في ص ١١ من الترجمة المطبوعة مع نزهة أهل الحرمين.

(٢) كان قبل وفاته بأيّام قلائل رغب إليه ولده الأكبر في أن يكون في داره ـ من دار السلام بغداد ـ مادام محتاجاً إلى الأطبّاء؛ إذ رأى قربه منه أنجع له وأسهل وسيلةً إلى اتّصال الأطبّاء به في سائر الأوقات، فأجابه إلى ذلك بعد الاستخارة، فلم يلبث إلّا ليالي قليلةً حتّى فاجأه أجله ﷺ.

(٣) بل توفّي في عصر الخميس في ١١ ربيع الأوّل سنة ١٣٥٤ وهي ليلة ١٢ حزيران سنة ١٩٣٥.

(٤) وقد حضر رئيس الوزراء وسائر الوزراء والأعيان والنوّاب وموظّفوا الحكومة وشيوخ العشائر، وكان في مقدّمة ذلك السواد الأعظم علماء المسلمين من الطائفتين خاشعي الطرف خلف السرير حتّى وردوا الكاظميّة.

١. عالم فاضل وأديب معروف من علماء الهند المعاصرين سكن فيض آباد، واشتغل بالتدريس بها. له قصيدة في رثاء أستاذه السيّد محمّد باقر اللكنهوي، المتوفّى سنة ١٣٤٦. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٢ ص ٨٣٥، الرقم ١٣٤١. «ع»

ودفن في جوار جدّه الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في الكاظميّة(١) وقد طار صدى وفاته إلى سائر المناطق العراقيّة، وعلى الأخصّ النجف الأشرف فأُقيمت الفواتح، وأعظمها الفاتحة التي أقامها في النجف الأشرف ثلاثة أيّام رئيس الشيعة آية الله السيّد أبو الحسن الأصفهاني دام ظلّه.

ـ قال: ـ لا شكّ أنّه أحدثت وفاته دويّاً في العالم الإسلامي أجمع، وعلى الأخصّ بلاد الشام وجبل عامل حيث كان مغرس دوحته، ومنبت شجرته منذ عهد طويل، ولا سيّما نواحي صور حيث يقيم آل شرف الدين وزعيمهم حجّة الإسلام السيّد عبد الحسين ـ دام ظلّه ـ وهو ابن أُخت السيّد المترجم أيضاً. فقد أُقيم في صور مأتم عامر حزين مدّة سبعة أيّام لم يكد ينقطع ولا تسكن حدّته، وجاءتنا بطاقة مطبوعة تدلّ على قيام حفلة تأبينيّة هناك في الجامع الجديد في الساعة الثانية بعد ظهر يوم الأحد الواقع في ٢٢ ربيع الأوّل سنة ١٣٥٤ الموافق ٢٣ حزيران سنة ١٩٣٥، وفيها منهاج الحفلة، وأسماء المتكلّمين والخطباء، ناهيك منهم بمثل العلّامة العظيم حجّة الإسلام الشيخ عبدالحسين صادق[1]، وحجّة الإسلام السيّد عبد الحسين نور الدين[2]، والأُستاذ خيرالدين بك الأحدب[3]، والعلّامة الشيخ أحمد رضا[4] وغيرهم من أُدباء مفلّقين.

---

(١) إلى جنب المقدّس والده في حجرتها المعلومة من الصحن الشريف الكاظمي حيث يزاران.

---

١. هو أحد فحول العلماء، وأعلام الأُدباء وشيوخ الخطباء، كان على جانب من كرم الأخلاق، وصفاء النفس، ولطف المعاشرة، ولد سنة ١٢٧٩، وتوفّي سنة ١٣٦١. «ع»

٢. كان من العلماء الأعلام واسع الاطّلاع متكلّماً مناظراً، له تخصّص في الدفاع عن المذهب، وله مؤلّفات تدلّ على طول باعه في ذلك وكان أديباً شاعراً مجيداً، ولد سنة ١٢٩٣، وتوفّي سنة ١٣٧٠. أعيان الشيعة ٧: ٢٤٥؛ تكملة أمل الآمل: ٢٥٦، الرقم ٢٢٢. «ع»

٣. هو أحد الساسة المجرّبين والدهاة المحنّكين ترأس الوزارة اللبنانيّة مدّةً من الزمن، ولعب دوراً مهمّاً في السياسة أيّام الانتداب الفرنسي، توفّي سنة ١٣٦٠. «ع»

٤. كان من أفاضل الأُدباء شاعراً ناثراً جيّد القلم، له تخصّص في اللغة وتأريخ جبل عامل، قضى أكثر عمره باحثاً ومنقّباً في هذا السبيل، ولد في النبطيّة سنة ١٢٨٩، وتوفّي فيها سنة ١٣٧٣. أعيان الشيعة ٢: ٤٦٥؛ نقباء البشر ١: ١٢٦، الرقم ٢٨٥. «ع»

وأُقيمت له في الهند فاتحة كبيرة. ونشرت الصحف نبأ وفاته بصورة مفجعة، وهكذا في سائر المناطق الإسلاميّة.

ولا غرو فإنّه «إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمةٌ لا يسدّها شيء إلى يوم القيامة»[١].

انتهى بنصّه.

الصحافة العراقيّة وتأبينه

حسبك ـ مثالاً لما قالته الصحف العراقيّة في تأبينه ـ ما نشرته جريدة الكرخ(١) في عددها ٣١٢ من سنتها السابعة، الصادر يوم الإثنين ٣٠ ربيع الأوّل سنة ١٣٥٤، الموافق ١ تموز سنة ١٩٣٥ وإليك نصّها تحت عنوان:

شخصيّة الإمام السيّد حسن الصدر الفذّة.

قالت:

بعث إلينا نجفي فاضل بهذه اللمحة من ترجمة حياة الراحل العظيم المغفور له حجّة الإسلام السيّد حسن الصدر ـ رضوان الله عليه ـ ننشرها نصّاً:

من العبث يحاول الكاتب أن يصف الخسارة الجسيمة التي تكبّدتها الأُمّة الإسلاميّة من جراء فقد زعيمها الأكبر الإمام آية الله السيّد حسن الصدر، فقد كانت خسارتها بفقده عظيمةً، وكان خطبها فادحاً وكان رزؤها جللاً، ومصابها أليماً.

وكيف لا يكون فقده خسارةً عظيمةً وقد فقدت إمامها الكبير، وعلّامتها الجليل، ومرجعها الأعظم الذي كانت ترجع إليه في أُمور الدنيا والدين، والذي كانت تستظلّ بوارف ظلّه، وتلجأ إلى ركنه الحصين.

---

(١) لصاحبها الملّا عبود الكرخي، ومدير إدارتها نجم الكرخي، ومديرها المسؤول محمّد شكري قاسم، ومحرّرها حاتم الكرخي.

---

١. كما ورد في المحاسن ١: ٣٦٤، ح ١٨٧/٧٨٥، باب حقّ العالم، وعنه في بحار الأنوار ٢: ٤٣، ح ٩.

كان الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ شخصيّةً علميّةً فذّةً، لم يحكِ لنا التأريخ نظيرها في العصر الحاضر، وكان المثل الأعلى في العلم والفضيلة في أدواره الثلاثة:

دور الصبا، ودور الكهولة، ودور الشيخوخة.

فقد كان في دور الصبا الفتى اللامع الذي حاز قصب السبق في الجِدّ والذكاء، وكان في دور الكهولة العالم الوحيد بين الفضلاء والعلماء، وكان في دور الشيخوخة المرجع العظيم للأُمّة التي ألقت إليه مقاليدها، وفزعت إليه في جميع مهمّاتها وأُمورها.

كان باسم الثغر، وضّاح الجبين، وكان قويّ الحجّة، طلق اللسان، إذا تكلّم انحدر كالسيل من غير تلعثم أو تلكّؤ، يقرع الحجّة بالحجّة، والدليل بالدليل، يتبسّط إليك في الحديث الصعب الغامض، فتخال إنّه سهل واضح، وما هو بالسهل ولكن فصاحة اللسان، وسطوع البرهان، وجاذبيّة الحديث، وساحريّة الأُسلوب، كلّ ذلك جعلك تتذوّقه وتستسيغه وتحسبه سهلاً.

وكانت مجالسه مدرسةً راقيةً، فيها العلم، وفيها الأدب، وفيها كلّ ما شئت من ألوان الحديث وضروب الكلام، وكانت تختلف باختلاف الأشخاص مراعاةً لمقتضى الحال.

وقد كنت ترى ـ وأنت جالس بين يديه ـ كأنّك في العصر الذي ينتقل بك إليه، ويحدّثك عنه، فتارةً يحدّثك عن جبرائيل عليه السلام ونزوله بالوحي، فتحسب أنّك قد رأيت شخصه وسمعت صوته.

وطوراً يحدّثك عن النبيّ صلى الله عليه وآله فتخال أنّك شهدت رسالته، وحضرت معجزاته، وأبصرت عن كَثَبٍ[1] أحاديثه وحكمه.

وهكذا ترىٰ نفسك كلّما انتقل بك من حديث إلى حديث، نظراً لدقّة تصويره وبراعته في التعبير، وتخرج من مجلسه ـ وبودّك أن لا تفارقه ـ مصقول الذهن، مهذّب الفكر، واسع الاطّلاع.

وإليك الكلمة التي قالها عنه فيلسوف الفريكة[2] في كتاب ملوك العرب قال في

---

١. كَثَب: أي قرب. راجع المعجم الوسيط: ٧٧٧، «ك. ث. ب».

٢. هو أمين بن فارس الريحاني، كاتب خطيب يعدّ من المؤرّخين، ولد بالفريكة من قرى لبنان سنة ١٢٩٣، وتوفّي فيها سنة ١٣٥٩، وكان يقال له: فيلسوف الفريكة. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج ٢ ص ١٨. «ع»

ص ٢٧٣ من الجزء الثاني: قد زرت السيّد حسن صدر الدين في بيته بالكاظميّة فألفيته رجلاً عظيم الخُلق والخَلق، ذا جبين رفيع وضّاح، ولحية كثّة بيضاء، وكلمة نبويّة، له عينان هما جمرتان، فوق خدّين هما وردتان، عريض الكتف، طويل القامة، مفتول الساعدين، وهو يعتمّ بعمامة سوداء كبيرة، ويلبس قميصاً مكشوف الصدر، رحب الأردان، فيظهر ساعده عند الإشارة في الحديث.

ما رأيت في رحلتي العربيّة كلّها من أعاد إليّ ذكر الأنبياء كما يصوّرهم التأريخ، ويصفهم الشعراء والفنّانون مثل هذا الرجل الشيعي العاملي الكبير.

وما أجمل ما يعيش فيه من البساطة والتقشّف، ظَنَنْتني وأنا داخل إلى بيته أعبر ببيت أحد خدّامه إليه، رأيته جالساً على حصير في غرفة ليس فيها غير الحصير وبضعة مساند، وقد كنت علمت أنّ لفتواه أكثر من مليوني سميع مطيع [1]، وأنّ ملايين من الروبيات تجيئه من المؤمنين في الهند وإيران؛ ليصرفها في سبيل البرّ والإحسان، وأنّه مع ذلك يعيش زاهداً متقشّفاً، ولا يبذل ممّا يجيئه روبيةً واحدةً في غير سبيلها.

أكبرت الرجل أيّما إكبار، وودِدْتُ لو أنّ في رؤسائنا الدينيّين الذين يرفلون بالأرجوان ولا يندر في أعمالهم غير الإحسان، بضعة رجال مثله. انتهى.

هكذا يحدّثنا الأُستاذ أمين عن الإمام، وهكذا يصوّر لنا شخصيّته الفذّة، كما يشاء الحقّ، ويفرضه البحث، وتقتضيه نزاهة الضمير، وكم للأُستاذ الريحاني في هذا من نظير.

فقد كان كثيراً ما يجتمع بخدمته المستشرقون والباحثون يسألونه عن مسائل استصعب عليهم وأعياهم حلّها، فيجيبهم على الفور بالبرهان الساطع، والدليل المقنع، فينقلبون إلى أهلهم وكلّهم لسان شكر، وكلمة إكبار، يشيدون بذكره، ويرتّلون آيات حمده.

وكثيراً ما كانوا يندهشون حينما يرون تبسّطه في الحديث وإتيانه بالشواهد التأريخيّة المتوفّرة عن بحث مبهم غامض، قضوا العمر الطويل في البحث عنه، ولم يُجدهم البحث.

---

١. وقد أضاف إلى كلمته هذه في الطبعة الثانية ص ٣٠٠ ما يلي: أعترض العالم النجفي أبو الحارس المحترم فقال: إنّ مقلّدي السيّد الصدر لا يبلغون الآلاف فضلاً عن المليونين، وأنّ جميع ما جاءه من الروبيات لا تبلغ الآلاف فضلاً عن الملايين. أقول: إنّي من المعجبين بالسيّد الصدر وإن قلّت ملايينه. انتهى.

وقد شاءت أمانة القائمين بطبع الكتاب أن يحذفوا كلمة الريحاني كلّها من الطبعة الرابعة ومابعدها. «ع»

وبالجملة: كان الإمام الفقيد مرجعاً عظيماً، يخضع لحكمه المسلمون وغيرهم، سواء في الشرق أو في الغرب.

وكان إماماً في الفقه وأُصوله، والتفسير والحديث والرجال، وغير ذلك من الفنون الإسلاميّة.

وكان يضرب في علمه المثل في حياة أُستاذه الإمام السيّد محمّد حسن الشيرازي، وقد كلّف الإمام الشيرازي مرّةً فقيدنا المترجم أن يحقّق بعض المسائل العلميّة المشكلة، فأجاب وكتب رسالةً في تحقيق ذلك وعرضها على أُستاذه، وما أكمل قراءتها حتّى رفع يديه في الدعاء، ثمّ قال: إذا متّ اليوم أموت مرتاح الضمير، فقد وُجد في تلامذتي من يعيد لي تحقيقه تحقيق المحقّق البهبهاني.

والمحقّق البهبهاني أُستاذ آية الله بحر العلوم السيّد مهديّ، وقد كان مشهوراً في البحث والتحقيق.

وهذه شهادة كبرى من أُستاذه تعطينا صورةً صادقةً عن عظمة الإمام الفقيد ومنزلته العلميّة. وهو كما قيل فيه:

إمــام ولولا لا لقــلنا بأنّــه نبيٌّ تلقّى الحكم من خير حاكمِ(١)

ولا شكّ بأنّ الإمام حيٌّ بأعماله الصالحة، حيٌّ بآثاره الخالدة، ومؤلّفاته القيّمة التي قد تبلغ مائة مؤلّف(٢)، وهي من أحسن ما كتب العلماء، ولعلّنا نعرض لذكرها في فرصة أُخرى إن شاء الله تعالى.

وهو حيٌّ بولديه العلّامتين صاحبي السماحة السيّد محمّد الصدر رئيس مجلس الأعيان الأفخم، والسيّد علي الصدر، فهذا الزعيم الصدر، زعيم العراق المحبوب، ودماغ العراق المفكّر، وذو الشخصيّة البارزة في العلم والسياسة.

---

(١) هذا البيت في السيّد صاحب العنوان من قصيدة لحجّة الإسلام الشيخ عبد الحسين صادق العاملي الشهير.

(٢) أحصينا منها اثنين وثمانين مرّت عليك في الأصل[1].

---

١. مرّت في ص ٢٩٤ ـ ٣٠٤.

أتته [الزعامة] منقادة إليه تجرجر أذيالها
فلم تك تصلح إلّا له ولم يك يصلح إلّا لها

وهذا الحجّة أخوه «العليّ» قد تربّع بعد فقد الإمام على المنصّة الدينيّة فشخصت إليه الأبصار، وتوجّهت نحوه النفوس، تهتدي بهديه، وتنهل من علمه. فأطال الله وجودهما، وألهمهما الله الصبر، وأجزل لهم الأجر. انتهى بعين لفظه.

قلت: هذه لهجة الصحافة العراقيّة استمرّت دائرة على هذا المحور مدّة قيام الفواتح والمآتم في العراق، ومثلها الصحافة الإيرانيّة والأفغانيّة والهنديّة والسوريّة والمصريّة وغيرها، نعته بكلّ أسف، وأبّنته بكلّ تقدير.

الصحافة اللبنانيّة

أمّا الصحافة اللبنانيّة فقد زيّنت صدورها بتمثال السيّد، وأذاعت في تأبينه الكلمة الفذّة التي أبرزتها لجنة[1] الاحتفال بالمآتم التي انعقدت عندنا في صور. وهاكها بعناوينها وعين لفظها:

فجيعة الإسلام بمصاب الإمام الصدر

مختصر حياته ـ صفاته ـ علمه ـ شخصيّته

بشفتين تحملان الكلام مختصراً، وفكر مبلبل شارد تنقل للملإ الإسلامي صدى دويّ

١. ترأس هذه اللجنة بعض الرؤساء من أعلام العلماء، وكانت مؤلّفةً من أشخاص مثقّفين في علومهم الدينيّة ومعارفهم العصريّة، أدباء كتبة مبرّزين في فنونهم من بيوتات عاملة العريقين في المجد. أذاعوا كلمتهم هذه في الصحافة وأشادوا بها على منبر الحفلة. وكانوا طبعوها كرّاسةً على حدة فوزعوها على المجتمعين في مأتم الأربعين، وكان حافلاً بالعلماء والأدباء والشعراء والزعماء، وممثّلي الحكومتين اللبنانيّة والإفرنسيّة وممثّلي الطوائف. قصد الناس هذا المأتم من دمشق وبعلبك وبيروت وصيداً وفلسطين وأنحاء جبل عامل، وكان على غاية من الانتظام مثالاً للسكينة والجلالة. تبارت فيها الخطباء والشعراء بما يستحقّ أن يفرد بكتاب على حدة. وإنّما آثر بالذكر هنا كلمة لجنة الاحتفال نزولاً على رغبة منشئيها والمعجبين فيها، وهم كلّ من سمعها من تلك الجماهير وغيرهم فأوردتها بعين لفظها وإن طال بنا المقام. وقد ذكرت مجلّة العرفان شيئاً ممّا كان يومئذٍ. «ع»

انتحاب العراق والإسلام والعرب قاطبةً على زعيمهم الإمام الأكبر.

السيّد حسن الصدر الراحل إلى جوار ربّه تاركاً في الأرض وحشةً لا تستأنس، وفوضى لا تنتظم، وخراباً لا يعمر بعده. إلّا أن يقيّض[1] الله إماماً مثله يُعنى بالأمّة، ويعالج المصالح العامّة بلباقة ودربة يشبهان منطق لباقته المستقيم في الأمور كلّها، في العلم، في العمل، في الرأي، في الحرص على إحياء الروح، وإنماء العقل، وإرساء العقيدة، والمبدإ في نفوس الأمّة بأسلوبه الملهم القويم الفيّاض.

فالأمّة الإسلاميّة والعرب والتأليف والإسلام قبل الجميع يشكون ألم هذا الصدع، ويألمون الألم لا يذيقهم النوم إلّا غراراً، ولا يجدون معه راحةً ولا استقراراً لهذه الفاجعة النازلة بفقد آخر مصلح كان يمثّل عظمة الله في صدور المؤمنين، ويصوّر الأنبياء والصدّيقين بما طبع عليه من ظواهر الإخلاص والصلاح والكمال بكلّ ما لهذه الكلمات من مدلول أو معنى.

وإنّا لنسأل الله تعالى أن يعوّض على الأمّة بخسارتها العظمى، دليلاً من أدلّائه على الخير والبرّ والإحسان العاملين لحياة الأمّة، واتّساق العلم، وحدّة الرأي والتفكير.

ولا بدّ لنا أن نلمع إلى حياته بكلمة مختصرة، وذلك فرض لا تبرأ الذمّة إلّا بأدائه قياماً ببعض ما يجب تجاه إمامنا المقدّس ـ رضوان الله عليه ـ.

ولادته

ولد يوم الجمعة ٢٩ شهر رمضان المبارك سنة ١٢٧٢ في الكاظميّة مشهد جدّيه الإمامين الكاظم والجواد عليهما السلام، والكاظميّة بلدة طيّبة الموقع والمناخ تقع من بغداد في أقلّ من فرسخ على الجهة الشماليّة منها.

اسمه ونسبه

وإذا استطال الشيء قام بنفسه   وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً

وكذلك الفقيد استطال حتّى قام بنفسه، فهو وحده نسب قصير، جمّ المآثر، ضخم الظواهر، ولكن عادة ديمقراطيّة أبت للمترجمين إلّا ذكر الأنساب، لا تفرّق بين

---

١. يقيّض الله: أي يقدّر ويهيّأ له. راجع المعجم الوسيط: ٧٧٠، «ق. ي. ض».

عظمائهم وأوساطهم، على أنّ للفقيد نسباً لا يخونه يوم الفخّار يصعد به إلى ذروة ليس إلى جانبها ذروة مجد، وأنّ نسبه لفوق ما قيل:

نسبٌ كأنّ عليه من شمس الضحى نوراً من فلق الصباح عموداً

فهو الإمام أبو محمّد الحسن بن الشريف الهادي بن الشريف عليّ بن الشريف صالح بن الشريف محمّد بن الشريف إبراهيم ـ الشهير بشرف الدين ـ بن زين العابدين بن عليّ نور الدين بن نور الدين عليّ بن الحسين بن محمّد بن الحسين بن عليّ بن محمّد بن تاج الدين ـ المعروف بأبي الحسن ـ بن محمّد بن عبدالله بن أحمد بن حمزة بن سعد الله بن حمزة بن محمّد بن عبدالله بن محمّد بن عليّ بن عبدالله بن محمّد بن طاهر بن الحسين بن موسى بن إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام أبي عبدالله الصادق بن الإمام أبي جعفر الباقر بن الإمام زين العابدين بن الإمام أبي عبدالله الحسين سيّد الشهداء وسبط سيّد الأنبياء، أبوه أمير المؤمنين وأُمّه الزهراء سيّدة نساء العالمين، أُولئك أعلام الأُمّة وأئمّة المسلمين في عصورهم لا يدافعون، آباؤه ونبعته التي انحدر منها ماءً طاهراً من طهرٍ طاهرٍ مطهّر.

مواهبه ونشؤه

أنشأ الله فقيدنا خلقاً نادر المثال، وصاغه على أحسن تكوين يختاره الرحمن لإنسان دون العصمة، فميّزه بسلامة الفطرة، وقوّة الحاضرة، وحدّة الفهم، واتّقاد الجذوة.

وحباه بوضوح الشخصيّة، وحضور البال، وعزّة النفس، ورزانة العقل، وسهولة الخلق.

وخصّه بالتوفّر على بيانٍ قويّ البرهان، محبوك الدليل، صحيح المنطق، وإنّك لتجد في لغته رنّة جذّابة التوقيع، يأخذك منها روح فنّي ضليع، يعرف كيف يتصرّف بالقلوب، ويخضع الألباب عند كلمته القدسيّة النشوانة الريّانة بماء الروحيّة والحيويّة.

وكان ـ رضوان الله عليه ـ لا يقنع بظواهر الأشياء وقشورها، وإنّما كان وثّاباً إلى اللباب والخلاصة، ثمّ هو إذا وصل إليهما تخيّر منهما ما كان أشدّ ملائمةً لعقله المترف الممتاز، وذوقه الصحيح المتأنّق، وطبعه الرفيع الفذّ.

وهكذا أنشأه ربّه.

وطبيعي له وهو المتوفّر على هذه المواهب منذ نعومة أظفاره أن ينشأ منشأ لا تيسّره الأيّام لأحد إلّا بعد مخض وتمحيص يحتاجان إلى قرون كثيرة وقرن.

وطبيعي أن يصل إلى ما وصل إليه من العظمة والخلود؛ إذ كان تلك المجموعة الصالحة من كلّ كمال، والمزاج الخالص من ألوان الالتواء والتعقيد يدرج ويتدرّج في بيت كبيت الإمام الهادي وآل الفقيه العظيم، وهو كمعهد علمي منظّم الصفوف، أو كلّيّة راقية تفرض على طلّابها الانسجام في نسج من الفضيلة والأخلاق والإخلاص والإيمان واليقين على نحو منقطع النظير.

ويقرّر أطبّاء النفوس وأعلام التربية أنّ البيت هو الحجر الأساسي لحياة الناشئين، فلا بدّ من الحكمة واستعمال الفنّ في وضع الحجر الأوّل؛ ليقوم البناء مستقيماً معتدلاً فيه قوّة وجمال، وفيه ضخامة ورواء، وعلى ذلك يخطو الناشئ خطوةً خطوةً باستعداده واكتسابه مصطحبين إلى المثل الأعلى.

وينتقل من دور إلى دور حتّى إذا هو الموسر المثري المنوّر لا يشكو فقراً ولا يعاني ظلّاماً.

ومَنْ أحكم من الشريف الهادي في وضع الحجر الأساسي؟

ومَنْ أليق استعداداً من الفقيد لاستقبال تلك التعاليم والخطط المصطنعة لحياة دائمة حيّة؟

لا بدّ إذن من ارتقاء سيّدنا هذه السماء العالية الواسعة، ولا بدّ من بلوغه درجات الصدّيقين والأئمّة.

صفاته وشخصيّته

كان ـ رحمه الله تعالى ـ شفيقاً رفيقاً حريصاً على المصالح العامّة، لا يقرّب رجلاً لحبّ، ولا يقصي آخر لكراهة، ولا يحترم أحداً لعظمة وإنّما القياس عنده في كلّ ذلك الإيمان والخير الواقعان في الرجال والأشخاص الطائفين برواقه.

وقد زاره فيلسوف الفريكة الريحاني ووصفه في كتابه ـ ملوك العرب[1] ـ بما تستطيع

---

(١) أذاعت الصحافة العراقيّة كلمة الريحاني بنصّه فراجعها في العنوان المختصّ بها من هذا الكتاب.[1]

---

١. تقدّم في ص ٣١٤.

أن تفهم منه بلا عسر ولا مشقّة مركز الإمام في البلاد العربيّة وفي العالم الإسلامي من حديثه المختصر، وتستطيع أن تفهم أيضاً زهده وتقواه، ونظره إلى العالم الفاني بنظر روحي محض يشبه النبيّين وكبار المصلحين.

علمه وآثاره

تستطيع أن تعبّر معي أنّ الفقيد العظيم عبقري العباقرة، ومن أكبر قادة الفكر في القرن العشرين، فإنّ العلماء وإنّ طبقات المنوّرين الأفذاذ كانوا ولا يزالون ينحون نحو الاختصاص بضرب من ضروب الفنون والآداب والمعارف.

كأنّما الواحد منهم يُعدّ نفسه لأن يكون حكيماً فيلسوفاً.

أو يجهّز نفسه لأن يكون فقيهاً أصوليّاً.

أو يأخذ على نفسه دراسة الآداب أخذاً يجعله أديباً لامعاً.

فيكبّ[1] على صفحة من الفلسفة يدرّس فيها العقول والمعقولات، والجواهر والأعراض.

أو يكبّ على صفحة يدرّس فيها القضاء والمواريث والتجارة وسائر أبواب الفقه.

أو يكبّ على مباحث أُصول الفقه كأصل البراءة والاستصحاب، وقاعدة الاشتغال والتعادل والتراجح ومباحث القطع والظنّ، وسائر عناوين الأُصول اللفظيّة والعقليّة.

أو يكبّ على دراسة الآداب العربيّة وتأريخها ونصوصها مع استظهار بعض الشعر الجاهلي والأموي والعباسي، والتعرّف إلى الشخصيّات الأدبيّة في هذه العصور، ليتميّز بضرب من هذه الضروب العلميّة، ونحو من الانحاء الثقافيّة متّجهاً إليها بجهده في تحضير غاية من هذه الغايات.

ولكن همّة سيّدنا الفقيد العظيم لم تقف عند حدّ، ولم يكن لها غاية أو أمد، وقد شاء أن يجعل صدره موسوعة علميّة محيطة غوّاصة على دقائق المسائل من شتّى العلوم ؛

---

١. أكبّ على شيء: أقبل عليه وشُغل به. المعجم الوسيط: ٧٧١، «ك ـ ب ـ ب».

فسعى لذلك فإذا هو قيّم، بيده لكلّ علم مفتاح مطوّع يديره متى شاء، فيخرج من كنوز العقل والنقل كلّ لؤلؤة وهّاجةً لا يقتحم نورها البصر.

وإنّك لمأخوذ بالدهش إذا وقفت أمام مؤلّفاته التي تجاوزت المائة، والبعض منها فيه مجلّدات كثيرة.

نعم يأخذك الدهش ؛ لأنّك تخرج من كلّ واحدٍ من هذه المؤلّفات وأنت على إيمان وعقيدة أنّه خصيص به لا يعرف سواه.

ثمّ تقرأ الثاني وتقرأ الثالث فإذا أنت تراه خبيراً بشعاب هذه المواضيع وزواياها كأنّما هو من بُناتها.

وسنضع لحياته رسالةً خاصّةً[1] نشرح بها عناءه في التأليف، وخدماته للأمّة والمعارف خدمةً له ولهما ﷺ، ويسّر لهما خلفاً عنه يعيشان بظلاله في نعمة وأمان.

صدى وفاته

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم ١١ ربيع الأوّل سنة ١٣٥٤ فضجّت لصدى وفاته إيران وأفغان والهند والعراق وجبل عامل وسائر البلاد الإسلاميّة.

وفي صور اُقيم مأتم عامر حزين مدّة سبعة أيّام لا ينقطع ولا تسكن حدّته، فنسأل الله الصبر للأمّة، ونتقدّم بأرقّ التعازي لخلفه سماحة سيّدنا الزعيم رئيس أعيان العراق، ولسائر أفراد الأُسرة الكريمة، ولهم السلامة والبقاء.

وأخيراً نتقدّم للأمّة الإسلاميّة أن تتّعظ بحياة الفقيد، وتحتذي مثاله لتنجب من أشبالها اُمناء مخلصين، يرفعون لها أعلاماً خفاقةً، ويتقدّمون بها إلى حياة طافحة باليقظة المرهفة، ومن التوفيق، وعليه الاتّكال.

لجنة الاحتفال

---

(١) لعلّنا أغنينا اللجنة عن هذه الكلفة والحمد لله على هذا التوفيق لأداء هذا الواجب.

تأريخ وفاته بالقريظ

أرّخ عام وفاته جماعة من الأُدباء باللغتين العربيّة والفارسيّة تواريخ كثيرةً لعلّها ناهزت العشرين، والذي يحضرني منها الآن قول شيخنا الفقيه العلّامة الحجّة الشيخ مرتضى آل ياسين طيّب الله أنفاسه.

غبت فلا قلب خبت ناره   كلّا ولا عين عراها الوسنْ
فليت إذ فارقت هذا الحمى   قد فارقت روحي هذا البدنْ
سكنت دار الخلد فاهناً بها   فهي لعمر الله نعم السكنْ
إن غبت عن عيني فقد أصبحت   ترمق عيناك عيون الزمنْ
غبت ومذ غبت نعاك الهدى   أرّخ: لقد غاب الزكيّ الحسنْ

مراثيه

تستحقّ مراثيه أن تفرّد برسالة، ولهي أكثر من أن تستقصى في هذه العجالة، وإنّما نذكر منها بعض ما يحضرنا لئلّا يخلو منها كتابنا هذا.

قال ولدي أبو عليّ الرضا من قصيدة له عصماء:

عثر الزمان فلم يفد قولي لعا   وكبا فأردى الدين والدنيا معا
وعدا على العرباء باديها وحا   ضرها فشتّت شملها والمجمعا
ونفى قريشاً عن مرابع عزّها   فاستوطنت جدباً وقفراً بلقعا
وطوى لهاشم رايةً خفّاقةً   فطوى بها سرّ العوالم أجمعا
عذباتها زهر الكواكب في الدجى   تبدي بهيم الليل أبيض أنصعا
وعمودها فلق الصباح لمهتدٍ   أو صعدة تردي المضلّ المبدعا
فاضت أشعّته فأفعمت الدنا   علماً وأفعمت السماء تورّعا
بكر النعيّ ـ ببرقه ـ ينعى لنا الـ   حسن الزاكيّ فيا بنفسي من نعي

وأصاب يجهش بالبكاء معزّيا　　ـصنو النبيّ بشبله ـ ومروعا
يذكي الفضاء بزفرة ملتاعة　　حرّى ويلفظ قلبه متقطّعا
ينعى لنا البطحاء ينعى شيخها　　ينعى لفهر حصنها والمفزعا
ينعى ثمال بني الورى ينعى الهدى　　ينعى الإمام المجتبى والمرجعا
ينعى لهاشم آيةً عُلْويّةً　　سمح الزمان لنا بها واسترجعا
علّامة ملأ النهار إفادةً　　نسّاكةً ملأ البهيم تطوّعا
أبقيّة السلف الذي كنّا به　　نستمطر البركات مزناً منجعا
إنّا فقدنا فيك ـ يا خصب الورى ـ　　خصب الدنا وفراتها المتدفّعا
إنّا فقدنا فيك جمع شتاتنا　　إذ كنت أنت نظيمه والمجمعا
يا واحد الدنيا مضيت بجمعها　　أملاً وأُنساً ـ إذ مضيت ـ ومطمعا
لك في الفؤاد مكانة حتّى إذا　　ما متّ خطّ لك السويدا مضجعا
وحباك في شغف القلوب مكفّنا　　وأتاك في الأمل الرطيب مشيّعا
وأسال دمع العين أحمر قانياً　　بدل القراح مغسّلاً ومودّعا
وإذا بنى خشباً لغيرك نعشه　　فلنعشك السامي بَنيتُ الأضلعا
حملوه نحو الأُفق فوق رؤوسهم　　فجرى على بحرين مجرى طيّعا
بحرين فيّاضين بحر خلائق　　يجري وبحر قد تساقط أدمعا
والنعش فوقهما يسير وحوله　　رفعت أكفّ بالدعاء تضرّعا
فلك سرى أم فلك نوح ماخراً　　طوفانه والطير حامت فُزّعا
واستقبلته من الجنان ملائك　　بشرى بمقدم روحه وتطلّعا
طافت به محنيّة لمهابة　　كان الزمان بحصنها متمنّعا
فتحوّلت تلك المهابة روعةً　　بسط المنون بها جلالاً أروعا
فخلا الزمان من المهابة والجلا　　لة والإمامة بعده فتضعضعا
ولطالما وسع الزمان عطاؤه　　فأعمّه دعة وأوسعه دعا

أخليفة الماضين من عمرو العلى هلّا درى فيك الردى من أفجعا
قد أفجع التنزيل في آياته فهوت عزائم آية لك وقّعا
من يحكم التفسير بعدك موضحاً ومـؤوّلاً آيـاته ومفرّعا
من يحسن التأليف بعدك موهناً جسماً ومفني العمر فيه تتبّعا
وقصرت وقتك لم تضع ببطالة منه الثمين ولا الرخيص الأوضعا
جدّدته بشبابك الزاهي كما جدّدته شيخاً كروحك أنصعا
ورفعته صعداً لأبعد غاية متطلّباً بين السواري موضعا
فأتى كما تهواه بكراً لم يصب فكر العباقر من علاه مطلعا
وافتنّ فكرك ما تشاء فنونه فأتى بإعجاز البيان مرصّعا
أظهرت للملإ العليم معارفاً شتّى لها تعنو المعارف خضّعا
وتركتها آيات فضل خالد بخلود ذكرك لا يزال مرجّعا
يمشي على عنق القرون وذكر ك الفيّاح يفعمها شذى وتضوّعا
كم فلّ مزبرك الدقيق صوارما وشهاب فكرك كم أمضّ الأدرعا
تعنو لفتياك الأنام فإن تشا نقضاً وإبراماً يكن كلاًّ معا
وإذا أمرت فكلّ أمر نافذ لم تلف بين الناس إلّا الأطوعا
يا هادي الضُلّال من لهداية إن قيل هذا قد أضلّ وأبدعا؟
يا مورف الروض البهي وموتع الغرس الجنيّ فمن لغرس ضيّعا؟
أنشأت للمرتاد روضاً غرسه فينان علم قد زها وتفرّعا
وتعاهَدَتْهُ بريّه لك فكرة وقّادة كالشهب حتّى أينعا
وسلكت بالمرتاد كيما يجتني من روضك الزاهي طريقاً مهيعا
فأتت مصاعيب العلوم بأسرها مطواعة راضت ظهوراً ضُلّعا
هي روضة للعلم باكرها الحيا حتّى إذا استوفت حياها أقلعا
بسقت فما أبقت مكاناً مجدباً وذوت فما أبقت مكاناً ممرعا

أمنارَ هاشم كيف أطفاك الردى وحياتها كيف الردى بك أوقعا؟
روّعتها فتصايحت خوفاً على أحرارها أن تسترقّ فتخضعا
لولا «محمّدٌ» الزعيم حميّها لتشتّت الشمل الجميع ووزعا
فيه استعادت هاشم سرواتها وبه العرين غدا العرين المسبعا
أمّته هاشم وهو في عليائها نسباً وآمنها على ما استودعا
وأجلّها قدراً بها وأحدّها ذهناً وأعلاها أباً وترفعا
ذو عزّة شمخت به أنسابه من غير عجب أو فخار مدّعى
وحميّ أنف كلّ أنف شامخ ـ إن قست فيه ـ كان أنفاً أجدعا
وكبير نفس طأطأت لسموّها كلّ النفوس تصاغراً وتخضّعا
أ«رضيّ» هذا العصر سمعاً «للرضا» وأنا الذي قال القريض لتسمعا
لا تبتئس إن طاولتك هياكل صمّاء تعجز أن تضرّ وتنفعا
فالهرّ يزأر كالأسود تشبّهاً لكنّما الأفعال تكذب ما ادّعى
ثقة من الشعب الوفيّ بمن وفى للشعب في اليوم العصيب تبرّعا
أ«محمّد» ـ والعين عبرى والشجى ملأ اللهى ـ صبراً فصبري أزمعا
عظم المصاب سلوّاً إنّ في عليا (عليّ) قد كففنا المدمعا
هو للإمامة بعد والده وما عدت الإمامة شخصه المتورّعا
جمع التقى والعلم فهو مبرز وحوى الهدى والنسك في قلب معا
وإليك يا «مهديّ آل محمّد» لوت الإمامة جيدها والأخدعا
قد بايعتك بنو الزمان وسلّمت بعد «الزكيّ» لك الأزمّة أجمعا
نصبتك في دست الزعامة بعده علماً وخرّت عند دستك رُكّعا
فاصبر فإنّ الصبر يجمل إن دهى خطب ويعظم إن تعاظم موقعا
وعزيّ بكم «يا آل ياسين» فلا راع الزمان لكم فؤاداً موجعا
حسبي أقول فلو ملأت أديمها شعراً وصفحتها كلاماً مبدعا

لقصرت عن تعداد فضلكم وما أبديت عذري بالقصور تذرّعا

لكم العزى، ولنا بكم سلوى، وللحسن الجنان، وللزمان بكم لعا!

وقال السيّد الحجّة السيّد عبد الحسين نور الدين ﷺ[١]:

آية الحقّ تجلّت في سماها بهر الشمس علاها وسناها

زهرت في الشرق فاهتزّ لها وربا فخراً على الغرب وتاها

رفعت للعرب مجداً عفّرت لعلاه أمم الشرق الجباها

وتعالت بذُرى عمرو العلى في فضاء الفضل لا يدرى مداها

ساجلتها الشهب في أشواطها فانثنت خاسئةً تشكو جواها

ملكت لا عنوة سبل الهدى فالورى والنجم يسري بهداها

واستهلّت رحمةً واسعةً فاض بالخيرات زخّار نداها

تلك نفس الحسن السبط التي عظمت قدراً على الله وجاها

من فلزٍّ القدس من روح الهدى من لباب الشرف المحض براها

شاءها للدين والدنيا معاً حين لم يقو على الأمر سواها

فاستقلّت بالمقاليد ويا فرحة الآمال لو طال مداها

رعدة لله ما أوجعها زمجر البرق بها يوم نعاها

صبّها من سلكه صاعقة من عذاب ملأ الكون صداها

خلعت كلّ فؤاد وأتت كلّ نفس تشتكي صدع حشاها

قُطّعت أسلاكه ما حملت أنعت نفس الهدى نفسي فداها

أيّ صدعٍ رُمي الدين به ثلمةً لا يتلاقى طرفاها

عجباً للقدر الجبّار في بطشه أيّ سما عزّ رقاها

شاء أن يغتال نفس المجتبى فرماها وهي في أعلى ذراها

١. تقدّمت ترجمته مختصراً ومصادر ترجمته في ص ٣١٣.

حـــطّها شــاهقةً فــي جـوّها ملء ثـوب الدهـر عـزّاً وذرَاهـا
مـــدّها يــا قـطعت كـفّا إلى جبهة الشمس تجلّي في ضحاها
فـرمى بـالخسف فـي غـرّتها ومـحا بـهجتها ثـمّ طـواهـا
فـي الثرى غـيّبها من بعد ما لفّـها، أوّاه، فـي بـردي عـلاها
غـادر النـاس حـيارى وُلّـهاً سـادراتٍ فـي ديـاميم دجـاها
أتـــــراه آذن النـــاس بأن قـد دنـا مـن هـذه الدنـيا فـناها
طـفئت مـنها المـصابيح فـيا ليت شعري أيّ معنىً فـي نـقاها
من رأى الأعلام من عمرو العلى أنكـرت تـيجانها مـنها الجـباها
نـــثرتها أنـجماً فـي مـوقف لفّ فـيه القـدر العـاتي لواهـا
بـــذّها أمـنع نـفساً وحـميً مـن عـقاب الجـوفي عـزّ إبـاها
ردّهـا مـقهورةً وابـتزّها الجـو هـر الفـرد ومـصباح هـداهـا
وأحـال الشـرق ثكـلى فترى كـلّ نـفس فـيه تـبكيه أبـاها
قـبّة الإسـلام يـا قـيّمها مـن لهـا إن أوهـن الكـفر بـناها
وبـحار الفـضل يـا خـوّاضها مـن لهـا يـخرج مكـنون حـلاها
وحـماة الديـن يـا عـصمتها من يـقيها إن تـردّى فـي خـطاها
والخـطوب السـود يـا كشّـافها إن دجت في الدهر من يجلو دجاها
والمـنايا الحـمر يـا قـتّالها من لها إن فاض بالجدب فـضاها
وريـاض العـلم إن عـاثت بـها حشرات الجهل من يحمي حماها
حكـماء النـفس أقـطاب الهـدى بـعده مـاذا تـقاسي مـن ظـماها
كـــان فــي حكـمته يـنهلها من نمير القدس ما يطفي صداهـا
صـــلوات الله مـع رضـوانـه زادُ تـلك النـفس، آهٍ مـن نـواهـا
مـفزع الإسـلام صـبراً هكـذا شاءت الحكمة أن يجري قضاها

بك يا عبد الحسين المجتبى ... خير سلوى كلّ نفس وعزاها
أنت في الناس المرجّى لحمى ... بيضة الإسلام من نيل عداها
أسهر الطرف يراعي صونها ... ما يد مدّت لها إلّا لواها
غيرة شبّ عليها مِرّةً ... يركب الأهوال فرداً في مناها
تعصب التاج على مفرقه ... إمرة قد عقد الدين لواها
تتجلّى بالتقى من تحته ... سمة كالشمس في رأد ضحاها
صعدة في كفّه لكنّها ... قيد شبر أرهف الله شباها
أين منها السمهريّات وما ... طبع الهند إذا الهول انتضاها
تستلوّى أفعواناً تارةً ... وأواناً ما أحيلى مجتناها
تتلظّى حنقاً لكنّما ... لتروّي أنفساً طال ظماها
يا لها خرساء كم معضلةً ... أخرست بالفضل فيها بلغاها
كشف اللوح لديها فغدا ... الحقّ فيما لفظته شفتاها
نفسه أعظم بها قدسيّةً ... حسبها أنّ فرض الله ولاها
طهرت سرّاً وطابت جهرةً ... ودّت الصهباء لو تحوي صفاها
كم أيادٍ لك في الدين بدت ... تتجلّى كالدراري في سماها
كم صعاب رضتها فاستوسقت ... بعدما أعيا على الدهر رقاها
جامحات الخطب تلقاها لدى ... رأيه صاغرة طوع براها
ورياض الفضل من رشحاته ... باسمات الزهر فيّاحٌ شذاها
تخلف الشمس إذا ما غربت ... قمراً يجلو الدياجي بسناها
إن تكن شمس علاكم غربت ... فلقد أشرق فينا قمراها
جبهة المجد هما غرّتها ... ومن العليا هما باصرتاها
كأبي هاشم، فخر هاشم ... وقريش ومعدّ وفتاها

ضـــــرب العـــــزّ له أروقـــــة   أين منها النجم فـي بُعد مـداهـا
كـم أيــاد طــوّق العــرب بـها   فبدت في جـيدها أبـهى حـلاها
وغـــمار خـــاض فـــي إنـــقاذها   وهـــي لولاه تـــردّت فـي رداهـا
تشـــــهد الهـــيجاء والغـــرب له   أنّـــه كـــان بـــها قـــطب رحـاها
وأبـــو الهـــادي عـــليّ ســـل بـه   زاخرات العلم من خاض حشـاها
مَـــن حـــوى لؤلؤهـا أكـرم بـها   خـــرزات وســـع الديـــن ثـراهـا
عـــــرج الفـــــضل بـــعلياه إلى   ذروة غـــير عـــليّ مـــا رقـاها
كلّ نفس منكم علماً، تـقىً، شـر   فاً، فـــخراً، عـــليّ مـــلء رداهـا
روضـــة القـــدس ســـقى تـربتها   من رياض الرحمٰن وكاف عداهـا

وقال شيخنا العلّامة الشيخ عبد الكريم صادق عليه الرحمة[1]:

دجى الكون لا شمس تـضيء ولا بـدرُ   بربّك قل لي هل قضى الحسن الصـدرُ؟
أرى البــرّ بــحراً بـالدموع فـهل ترى   به غـيظ مـن ريّ الورى ذلك البـحرُ؟
وكـــم قـــائل والذعـــر مـــلء فـــؤاده   أرى الدهشة العظمى فهل أزف الحشرُ
وكـــاد يـــطير القـلب نـزعاً فشـبّكت   عـــلى الصـــدر تـحويه أنـامله العشـرُ
ولا بـــدع مـــن إكـــبارِ فـــادحة بـــها   رمى الدهر من لم يأت في مثله الدهـرُ
وقـــــارعة أدمت مـــــحاجرَ زمـــزم   وناحت لها البـطحاء والبـيت والحـجرُ
أجـــل دهت الدهـــياء ســـيّد هـــاشم   فقل صادقاً مـن هـاشم انكسـر الظـهرُ
حوى من سماها نعشه البـدر فـانحنت   حـــداداً وراء النـعش أنـجمها الزهـرُ
ألا أيّـــها المـــحمول فـــوق ســـريره   ألست مـــليكاً؟ أيـــن نـهيك والأمـرُ؟

---

١. كان من الأعلام المبرّزين والفقهاء الكاملين، له يد طولى وتمكّن قويّ في الشعر والأدب ولد سنة ١٣٠٨، وقد عرف بالورع والتقديس والأخلاق العالية والصفات الحميدة، وبهذا كانت له مكانة سامية ومحلّ مرموق فـي نفوس جميع الطبقات، توفّي في الخيام سنة ١٣٩٢.«ع»

وأيـن اللسـان الطـلق والمـقول الذي هو السحر أو من دون تبيانه السحرُ؟
رفـعت عـلى الأيـدي فـخيّل للسـما عـروجك فـيها كـي يـخطّ بـها القـبرُ
وفوق الهوادي مذ سروا فيك للثرى تـرجّـلت إذ لا زهـو فـيك ولا كـبرُ
فَـقَدناك طـوداً يـا أبـا الطـود شـامخاً إلى حـيث لا يـرقى بـتحليقه النسرُ
فـقدناك بـحراً يـا أبـا الأبـحر التـي لها المـدّ فـي فـضل وليس لهـا الجـزرُ
وقـد كـنت فـيّاض اليـنابيع بـالهدى فـلا رشـحها نـزّ ولا مـاؤها النـزرُ
لك القـلم المـاضي الشـباة فـللهدى كم انشقّ من مـنشقّ أسحمه الفـجرُ؟
بـه الكـيمياء اللاتِ أشكـل أمـرها إذا عبّ حـبراً مـجّه وهـو التـبرُ
لك الصـحف البـيضاء نـاصعة السـنا حـقائقها لا سـجفَ ثـمّ ولا سـترُ
تهاجم فـيها الجـهل والجـيش عـندها هو السطر فوق الطرس يـردفه السطرُ
حميت حمى الديـن الحـنيف بـمرهف هو القـلم الجـاري فـما فـاتك النـصرُ
بـمن نـدوة العـلم الشـريف كـعهدها تضيء ومنها اليـوم مـنك خـلا الصدرُ
ومـن يـصدر الأحكـام مـوثقة العرى ومن يدفع الجـلّي مـن الشكّ إذ تـعرو؟
مـضى العـلم الحَـبْر الذي لست مـغرقا إذا قـلت عـن عـرفانه يـصغر البـحرُ!
مـضى حـجّة الإسـلام فـالناس بـعده يـتامى نأى عـنها، وغـاب الأب البرُّ
مضى الدين والدنيا، مضى العلم والحجى مضى العـلم والعـليا، مـضى البـرّ والبشـرُ
مـضى الحسـن الزاكـي ولولا مـحمّد لأعـيا عـلى الجـازع الصـبرُ
هـو السـيّد العـالي الرواقـين بـيته له الشـرفات: المسجد والعـزّ والفـخرُ
تـرفّ عـليه للـرئاسة رايـة لهـا العـذبات: الحـزم والعـزم والنـصرُ
إذا مـا تـهادى هـابه لوقـاره مـخاطبه لولا الطـلاقة والبشـرُ
عـليم حـليم حـازم كـلّ مـا قـضى من الحـلم فـيه قـبيل قـد قـضي الأمـرُ
وهـذا عـليّ وهـو صـنو مـحمّد له شـدّ مـنه فـي أبـرّ أخٍ إزرُ
وقـالوا قـناة الديـن أوسـع كسـرها فـقلنا أبـو الهـادي بـه يـجبر الكسـرُ

سيخضرّ عود الفضل بعد جفافه		به وإليه يرجع الورق النضرُ
وبالسيّد المهديّ حقّاً لنا الرضى		به حجّة كبرى له النهي والأمرُ
هو العلم الهادي إذا ارتبك الدجى		وحار دليل الركب وانقطع السفرُ
هو البدر من طّة ويسين حوله		تحفّ به الأقمار والأنجم الغرُّ
خليفة إسماعيل وهو خليفة		لمن عمّ إسماعيل من أجله الفخرُ
أُعزّيهم عن بعد دار وبينهم		وبيني طال الشوط وانفسح البرُّ
بني الحلم أنتم هضبه وجباله		وهل هزّ من طودٍ لعاصفة مرُّ
وعن كثب مني لكوكب عامل		عزاء به يخبو بمهجته الجمرُ
أعبد الحسين الفذّ صبراً لحادث		هو الفذّ في الأرزاء والفتكة البكرُ
لئن صدع الإسلام وانثغر الهدى		لها أنّ فيك الصدع يرأب والثغرُ
وذا العلم منكم بالعراق بدوره		تضيء فضيّ في عاملٍ أنت يا بدرُ!
وسدّ إنّما تلقى السيادة عبأها		على رجل منه بها لا يهي الظهرُ
أرى بك ما لو أضمر الطود بعضه		من الوجد ماد الطود واتصدع الصخرُ
فصبراً لها إنّ الخطوب إذا عدت		فأجمل ما فيه ردٌّ هو الصبرُ
وجاد الحيا من مزنة اللطف والرضى		وحيّا ضريحاً ملؤه اللطف والبرُّ!

وقال الشاعر الكبير الشيخ عبد العزيز الجواهري[1]:

لمن البسيطة زلزلت أركانها		أأصاب ممسكها القضا وأمانها؟
عثر القضاء بمن يقيل عثاره		وأضاعت الأقدار من قد صانها

---

١. هو الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ عبد عليّ بن الشيخ محمّد حسن صاحب الجواهر، أُستاذ من أُساتذة الأدب، وعيلم من أعلام الكمال، ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٠٨، [في المصدر: «١٣١٠»] ونشأ على والده فكان مغرسه خير مغرس، تراه في الشعر سابق الحلبات ومجلّياً عند الرهان، وأمّا في العلم فله فيه القدح المعلّى والنصيب الوافر، وهو وديع النفس، فاضل الروح، أقام اليوم في طهران مكبّاً على التصنيف والتأليف، من مؤلّفاته: آثار الشيعة الإماميّة في عشرين مجلّداً. توفّي سنة ١٤٠٦. انتهى عن شعراء الغريّ ج ٥ ص ٤٤٧ وغير ذلك [راجع ماضي النجف وحاضرها ٢: ١١٨، الرقم ١٦]. «ع»

لمن الجبال الراكدات تدكدكت فوق السهول وزعزعت ثهلانها؟
لمن الشموس الدائرات تكوّرت فوق البسيط وأوقفت دورانها؟
فتك الحمام به فأودى بدرها خسفاً وأودى في الثرى كيوانها
لمن المدارس أُرتِجَتْ أبوابُها لمن المنابر كُسّرت عيدانها
من غال أمّة أحمدٍ وطوى بأُطباق الثرى فرقانها؟
لله أيّ ملمّة دهت الورى بابن النبيّ فهدمت بنيانها؟
درت الملوك فنكّست أعلامها حزناً عليه وسوّدت تيجانها
نبأ أطل بها فعرقب ساقها وأطنّ ساعدها وسلّ لسانها
دار الزمان لها فأفجعها بمن عقدت عليه لدى الفخار بنانها
لو للمجوس يلوح نور جبينه عبدت سناه وأخمدت نيرانها
وإذا النصارى جادلته بدينها رمت الصليب وأعلنت إيمانها
أأبا محمّد أنت قرآن الثنا وأجلّ من وطئ البسيط وزانها
تهوى العيون بأن تراك وأنّها أهدت إليك مع الكرى إنسانها
ولما بها قد سوّدت أحداقها حزناً عليك، وشققت أجفانها
وغدت تمدّ الرافدين بعبرة أرخت ككفّك في الندى هتّانها
ساروا بنعشك وهو أكبر آية لله قد ضمن الكتاب بيانها
فيه النصارى أودعت إنجيلها والمسلمون به طوت قرآنها
هذي أكبّت فوقه أنصارها تبكي وهذي غيّرت رهبانها
ما إن رأته كتيبة إلّا وقد لوت البنود ورجّلت فرسانها
أعيا الرقاب جلاله لو لم تكن جعلت ملائكة السما أعوانها
جدث تغيّب فيه جسمك إنّما فيه الإمامة غيّبت برهانها
وغدا مزار الصالحين ؛ لأنّها فيه رأت إيمانها وأمانها
تاه الورى طرّاً ونور محمّد جلّى إليها شكّها وعيانها

فخرت به الدنيا فما من بلدة ... إلّا وهزّت لاسمه جدرانها
وله الأزاهر عطّرت ريحانها ... وبه المزاهر ردّدت ألحانها
علقت به أرواحنا ولو أنّها ... ملكت رضاه لفارقت أبدانها
يا من أتت آي الكتاب بوصفه ... وبه الرسائل زيّنت عنوانها
إنّي وإن فارقت وجهك سبعة ... كسنيّ يوسف تابعت حدثانها
ألقاك والبيدا تصدّ ركابها ... وأراك والظلما تمدّ دخانها
أنت الذي وهب البصائر ذكره ... نوراً وأهدى للقلوب حنانها
فيه العروبة واجهت قحطانها ... وبه قريش جابهت عدنانها

وقال الفاضل الأديب الشيخ سليمان ظاهر ﵀:

يا ناعي الحسن بن موسى الأروع ... رفقاً بمن لهم ابن موسى قد نعي
أترى علمت بمن هتفت بنعيه ... ووعيت روعة رجعة أم لم تعِ؟
أتراك تجهل ما نهضت بحمله؟ ... ولقد تنوء به جوانب لعلعِ
نعي على الآفاق مدّ بروقه ... فكأنّما اصطبغت بلون أسفعِ
نعي سرى بالرافدين فلم يدع ... في الشاطئين نواظراً لم تدمعِ
ومشى فطوّف في الشآم وعامل ... وسرى جواه بعامل وببلقعِ
وطوى الجزيرة نجدها وحجازها ... طيّ السجلّ على أسىً وتفجعِ
وكمثل بغداد الغريّ كآبة ... وكمثل وادي الطفّ وادي الأجرعِ
وكمكّة وادي المحصّب من منىً ... وكمثل كاظمة مواطن تبّعِ
لحملت في طيّاته جزع الورى ... من حاسر منهم شجٍ ومدرّعِ
لنعيت للإسلام عهد «مفيده» ... و«المرتضى» وجلاله في المجمعِ
لنعيت أوحد عصره في علمه ... وإمامه وابن الإمام الأنزعِ
أذكيت في الأحشاء ناراً لم تزل ... قبساتها مشبوبة بالأضلعِ
لنعيت من ملإ الزمان صحائفاً ... ذهبت بدائعها بلبّ الألمعي

أسفارها سارت مسير الشمس ... في الآفاق لم تحجب ولم تتبرقعِ
مزهوّة بسطورها زهو الربى ... بمعصّب من روضها وموشّعِ
يمشي البيان خلالها متألّقاً ... كالنور من خلل النجوم الطلّعِ
أمّا المعالي فهي فيها لجّة ... هي كالمحيط بموجه المتدفّعِ
رزء ابن موسى رزء موسى جدّه ... وصدى الأسى بكليهما لم ينقعِ
سلب الكرى خطباهما لكأنّما ... طبعاً على سهر جفون الهجّعِ
هي ثلمة ما إن تسدّ وعثرة ... ما إن تقال بدعدع وبلعلعِ
غمر المصاب المسلمين جميعهم ... وبه غدا السنّيُّ كالمتشيّعِ
يا ناعياً لم ينع إلّا مفحماً ... لدّ الخصوم بحجّة لم تدفعِ
أو حاكماً لم يُخطِ قطّ حكومة ... منها يصيب الحقّ حزّ المقطعِ
ومجمّعا للفضل كلّ مفرّق ... ومفرّق للجهل كلّ مجمّعِ
وقصير أنساب كماء المزن قد ... طهرت ولم يكدر منابعها دعي
ضربت بمغرس هاشم أعراقه ... وتفرّعت من غالب ومجمّعِ
ما فيهم إلّا أغرّ سميدع ... يروي المفاخر عن أغرّ سميدعِ
متناسقون مكارماً كتناسق ... الصعدات في صمّ الرماح الشرّعِ
طبعوا على كرم الطباع وما ترى ... خطراً لبيض الهند إن لم تطبعِ
لم ينحت الأعداء من أثلاتهم ... وحلومهم منها الحصى لم تقرعِ
ما خالفت أحسابهم أنسابهم ... وكلاهما يعزى لأكرم منبعِ
غذّاهم درُّ الفواطم فانتشوا ... في عزّة المطبوع والمتطبّعِ
ومن انتمى لمحمّد ووصيّه ... فبغير درع الفخر لم يتدرّعِ
قل للطموح إذا انتميت لفاطم ... زاحمهم بمدى المفاخر أو دعِ
أنّى يجاريهم مجارٍ في مدى ... سبق يشقّ على المغذّ المسرعِ
ألقى الزمان على جموع طباعه ... لهم عنان الخاضع المتخشّعِ

الصدر للحسن بن موسى ما احتبى في منتدىً وذرى المحلّ الأرفعِ
كالبدر مبسوط الضياء وإن يكن صعباً تناوله على المتطلّعِ
وصّال كلّ قطيعة في حلمه طلّاع كلّ ثنيّة لم تطلعِ
إن يصف أو يكدر ففي الحالَيْن ما ينفكّ ملء العين ملء المسمعِ
كالغيث لم تذمم مواقع مزنه في الأرض إن يقلع وإن لم يقلعِ
ما فارقته خليقةٌ نبويّةٌ علويّةٌ في محفل أو مجمعِ
مستودعاً سرّ الشريعة وهو ما إن خان قطّ أمانة المستودعِ
بالعلم عزّ وبالتقى ما إن ثنى أبداً لخوفٍ جيده أو مطمعِ
لا مثل مبتزّ ببزة عالم وبغير ثوب الجهل لم يتلفّعِ
طاوٍ على حبّ الدنا أضلاعه ولئن بدا في صورة المتورّعِ
كالنبت إن راقتك منه نضارةٌ فلقد يكشف عن مرير مهوعِ
أو مثل صلّ إن يلن لك مسّهُ فالحتف تحت نيوبه إن يلسعِ
متصيّد بالدين دنياه ودنيا غيره لم يخش هول المطلعِ
ما العلم حفظ مسائل محدودة كلّا، ولا لقب ودعوى مدّعي
ما العلم أن يُثنى به أربابه لدنيّة خدّ الذليل الأضرعِ
والجهل أجدر بامرئ لم ينتفع من علمه ـ ما العلم إن لم ينفعِ
ما قيمة الأنوار أن تحجب عن الأبصار في ظلم الحياة وتمنعِ
ما العلم إلّا ما يردّ إلى الهدى من زاغ عن سنن الطريق المهيعِ
ما العلم إلّا ما يقوّم من خطى متنكّب قصد السرى متسكّعِ
العلم ما يهب الحياة عزيزة شعبا عدته عزّة المترفّعِ
هو مهمل في كلّ معجم أمّة فكأنّه بعض النسيء الأوضعِ
لا سائس منه يروض خلائقاً ويسيمه من روض عزّ أمرعِ
كلّا ولا حام يكفّ أذى العدى عنه وعادية الزمان المسبعِ

عَـزَّ الطـبيب فـلا يـداوى داؤه ... وهـو العـضال بـغير سمّ منقعِ
مـتفرّقاً شـيعاً ومـا إن جـامع ... يـوماً لجـامع شـمله المـتوزّعِ
وإذا تـصدّع عـزّه لم يـلف من ... يأسـى عـلى بـنيانه المتصدّعِ
أتـرى له يـرضى المـذلّة دينه ... والديـن يـرفع شأن مـن لم يـرفعِ
العلم مـا الحسـن استراض فـنونه ... وإليـه ألقـى بـالعنان الأطـوعِ
حـفلت بـه نـدواته ومشت بـه ... همّاته مشي [الهـزبر][1] المـوضعِ
حامي عن الديـن المبين بـه وكـم ... قد كـفَّ مـن غـلواء مـن لم يـقرعِ
لولا خـليفته الأغـرّ مـحمّد ... للوى المـصاب بـحاسرين وظـلّعِ
الهـاشمي الفـاطمي المـوسوي ... الأريـحي الألمـعي اللـوذعي
عـرف العـراق مكـانه فأحـلّه ... مـنه ذرى النـجم الذي لم يـضرعِ
حـمال ألويّـة المـعالي حـائز ... القصبات كاشف كلّ خطب مضلعِ
آراؤه مـا أخـطأت قصد النهى ... وسـبيله بـالنازل المـتوقّعِ
أمّـا العـليّ فـلم يـفارق نـهجه ... فـي مـوطن للمكرمات ومـوضعِ
العـلم هـذّب مـنه نـفساً حـرّةً ... مـرتاضةً لسـوى التـقى لم تـنزعِ
أمّـا الفـتى عـبد الحسين فـإنّه ... دفّـاع كـلّ رزيّـة لم تـدفعِ
بـحر ولكـن بـالفضائل قـد طـمى ... وبـغير نشـر العـلم لم يـتدفّعِ
يـزري إذا قـرع المـنابر خـاطباً ... في كـلّ جـمع بـالخطيب المصقعِ
وإذا جرى بالطرس طـرف يـراعه ... يـلوي بـليت للـزمان وأخـدعِ
تـرد النـفوس الظـامئات بـيانه ... ورد الظـماء لمـنهل أو مشـرعِ
فـتعود مـن سـلساله ريّـانة ... وبـغيره مـنها الصـدى لم يـنقعِ

إلى آخرها ...

---

(١) منّا؛ إذ هي بياض في الأصل.

عقبه

أعقب ـ أعلى الله مقامه ـ من فرعيه الباسقين «محمداً» و «عليّاً»:

الفرع الأوّل: أبو هاشم، ويكنّى أبا المكارم، ولقبه شرف الدين، وهو الزعيم الكريم

الشريف محمّد بن الحسن بن الهادي

مولده وعبقريّته

ولد في ١٨ ذي الحجّة سنة ١٣٠٠ ونشأ مباركاً مهذّباً، حديد الفهم، مرهف الذهن، وكان المقدّسان ـ جدّه وأبوه ـ يتوسّمان فيه النبوغ منذ نشأ. وكان يوم هجرتي العلميّة إلى العراق في العاشرة من عمره، وأنا في العشرين، وبوقوع بصري عليه لمست منه سرعة الفطنة، في ذكاء ملتهب، وفؤاد شهم.

تلقّى مبادئ العلوم العربيّة، والمعارف الإسلاميّة في حضن المقدّسين ـ جدّه وأبيه ـ وناهيك به معهداً غزير المادّة، معتدل الطريقة، سهل الأُسلوب.

وارتحل بعد ذلك إلى النجف الأشرف، ووقف على ثلّة من الفضلاء.

وفي ريعان شبابه حجّ بيت الله الحرام وتشرّف بمدينة جدّه ﷺ.

وانصرف بعدها إلى إصلاح الشؤون السياسيّة في العراق، فوقف من تأريخ العراق موقف العَمَد من البناء الشامخ، وامتدّ فيه امتداد الصلب المنشئ. فمن اجتلى العراق رأى السيّد بَيّن الزعامة، أصالة رأي، وإخلاص نيّة، وصدق جهاد، وجسامة مَآت.

وإنّ من إنصاف الحقيقة أن يعترف التأريخ، ويعترف العلم أنّ العراق مَدينٌ لهذا الرجل العبقري بنصره في أوقات مآزقه الكثر، وأعقد مشاكله المتشابكة.

فقد كان رفيقاً برّاً لنهضة العراق منذ فجرها، وما زال ولن يزال الرفيق البرّ لهذه النهضة، يلتمع منها في كلّ دجنةٍ غامضة الظلام التماع الكوكب الهادي، فتنجاب على إشراقه ظُلَمُهُ، وتنحل على أنامله عقدُه، وتطّرد من الحياة في أمن وسلام، حتّى إذا تعقّدت من جديد كان عدّتها المؤمّل، وفرجها المنتظر، يأتي بأعماله الحكيمة الجسيمة في سكينة وصمت، ويتسلسل مطّرداً فيها بهدوء ووقار، فلا ضجيج، ولا عجيج، ولا إعلان، ولا اكتراث، وإنّما هي طبيعة الإخلاص تدعوه فيجيب، ثمّ لا يحفل إلّا بأن يجيب، ولا يأبه إلّا بأن تستجيب لإجابته مآتيه البكر، وأحداثه الجسام.

شأن الجندي المجهول في أعلى خصائصه وميزاته وطبائعه، وبماذا يحدّثك كتابنا هذا؟ وهو محدود بنُصُب مرسومة وضعت ؛ لتدلّ على ملامح الأُسرة دلالةً عامّةً تجتزئ بالقليل عن الكثير، وإنّ في حياة هذا الغلام الزعيم الكريم لأصواتاً تحتجّ على الإقلال، وتهيبُ بالقلم إلى الإكثار. ولكنّ الجمع بين خطّة هذا الكتاب ومقتضيات تلك الأصوات يوجب بأن نأخذ بجوامع من حياة هذا الزعيم على نحوٍ يدلُّ عليها الدلالة التي ترضي الواقع، وتصحّ أن تكون مأخذاً للمفصّلين.

اعتكر جوّ السياسة في العراق سنة ١٣٣٨ وهي سنة ١٩٢٠ وآذنت رياحه المشتدّة بعاصفة من عواصفه التأريخيّة التي تلتقي عليها عهود العراق، وتتجدّد في أعقابها تواريخه، وكانت بريطانيا تُساومُ على أن تلحق العراق بما ألحقته بها من بلاد الله الممتحنة، وتحاول أن تضمّه إلى مستعمراتها التي تُعلي كلمة السكسون وتبسط ظلّهم، ولكنّ العراق ـ وهو ما هو امتلاءً بالعرانين الشمّ، واحتفالاً بالهمم المواضي ـ تململ فيه روح الإباء، وانتهضت به عزيمة البطولة، فهبّ صلب العود، قويّ الشكيمة، تنبعث جوانبه بالرجال، وتسيل نواحيه بالفتوّات، وتندلع فيه ألسنة النهضة، وألوية الجهاد في صيحة رعد تجلجل في سمائه، وإذا بالعراق غابة واحدة تبرق بالسيوف، وتتوهّج بالبارود، وتتدافع بالآساد من كلّ ذي فؤاد حديد، ومخلب جارح، وما نحن من ذلك

في سبيل المؤرّخ. ولكنّ مقبض هذه الجبهة، أو أحد مقابضها المهمّة كان بيد هذا الزعيم الذي نتحدّث عنه. وكان لهذه الجبهة أثرٌ أبلغ الأثر في حياته التي توجّهت هكذا على ما نراها، أو كان لموقفه الكريم في هذه الجبهة هذا الأثر في حياة العراق التي توجّهت هكذا على ما نراها.

وما موقفه في هذه الجبهة في الحادث الهيّن الذي يحدّث عنه المحدّث بخبر من أخبار البسالة، أو بصورة من صور البطل المغامر فحسب، بل كان موقفه موقف القائد المفكّر المنبعث عن عقيدة وإخلاص الداعية الحكيم الذي بطبعه الأداء والدليل، يدلي بالرأي ويشرع الفكرة. وموقف الرجل الجندي لا يستند إلى جدار مثغور ومتّكأ مستور، وإنّما هو الرجل الواسع العقل، البعيد الغور، يقلّب أمره بطناً لظهر فإذا استقرّ منه على قرار، لا وهن فيه ولا عثار، مضى منه إلى مهيع ملحوب.

وبالإجمال فقد كان موقفه عنواناً من العناوين التي تسمو بصاحبها في كلّ تقدير من تقادير الرجولة البانية المنشئة الموهوبة في البناء والإنشاء.

فكيف به وقد اجتمعت له كلّ هذه العناوين، وائتلفت في وحدة منه منسجمة، لا أجد في التعبير عنها أدلّ من قولنا: السيّد محمّد الصدر.

ولعلّ لهذه الخصائص ترجع زعامته، وبهذا تفسّر شعبيّته، وقد علمنا أنّه كان حين يهبط بغداد تقام بين يديه المهرجانات، وتحفُّ به الجموع، وتنطق باسمه الأفواه إلى أبعد مدى يبلغه هتاف الحناجر والأرواح.

وكان ـ مع خصائصه في القيادة والفكر والحذر ـ يندفع بنفسه في الميدان، ينهد في الرعيل الأوّل من رعال المجاهدين، ويتدفّق بين الرصاص والقنابل وفوقه الطائرات وأمامه المدافع، قُدماً في بسالة حيكت حولها الأساطير، وتقوّل فيها الرواة: أنّه إنّما يأتيه السلاح بارداً، وإنّما يأتيه البارود دخاناً لا يلبث أن ينقشع.

بهذه الصورة المؤتلفة في روحه وبدنه وشخصيّته صمد للجيش البريطاني، وزحف

عليه بالقشاعم والليوث من شبولة العراق الباسل، فأثخن في عدوه وأبلى في الجهاد أحسن بلاء، ولكن النهاية المنتظرة أن لا تقوى القلّة على الكثرة، وأن لا يصمد الأعزل للمسلّح، وكان لا بدّ أن يظفر الجيش في عدده وعُدده على العراق في قلّته وعُريه.

في دمشق

وحين لم يُجدِ طَوله وحوله في ميادين الوابل من قنابل الإنكليز وأجهزتهم الحربيّة الحديثة، انسحب السيّد من عرينه في ثلّة من زعماء الفكر في العراق يجوبون الصحراوات على مذلّلاتها الخشناء في غير زاد إلّا هذا الزاد الذي تُطعمه النفسُ المؤمنة والعزم القويّ.

وكانت أيّام وليالٍ تمادت فيها السرى على هذا الذلول المُغذ وراء الدليل من أبناء الصحراء.

فلمّا أفضى إلى الشام كان له في دمشق منزل الزعيم الكريم، يَفِدُ مرموق الزعامة، مَحبوّ الكرامة، وبين احتفال الوطنيّين به، واحتفاء الإفرنسيّين بمقامه، واصل جهاده السلمي، وتحوّلت قيادته إلى جبهة فكريّة، دبّجَ فيها المذكرات، وأطال فيها المخابرات، وأطار فيها البرقيّات إلى عصبة الأمم، وإلى كلّ ذي شأن بقضيّته العراقيّة التي يجب أن تُحلّ كما يجب.

في عاملة

وكان في خلال ذلك زار البلاد العامليّة، فاستهلّت به القمر الذي ما زالت تلك البلاد تتطلّع لا ستهلاله، وتتشوّف إلى مرآه، وقد اجتمعت عليه تأتمّ به، وتستوضح هديه، واحتفلت بتكريمه وتعظيمه احتفالات رائعة، في صيدا وصور والنبطيّة وشحور وبنت جبيل، وأجاد الخطباء والشعراء يومئذٍ بما أشادوا به من مآثر السيّد في نهضته وخصائصه.

وكنّا يومئذٍ من لبنان ـ في مثل ما كان من العراق ـ مشرّدين في سبيل الله من عقر ديارنا ـ كما ستقرأه في محلّه من هذا الإملاء ـ وقد رغب في مقابلتنا ونحن في فلسطين، لكنّ الاحتياط على نفسي من الفرنسيّين وعليه ومن الإنكليز منعني من لقياه.

واجتمع ـ رحمه الله تعالى ـ بأُولي الأمر من الفرنسيّين وهم له مقدّرون. فاحتجّ عليهم بمحنتنا معهم، فكان لذلك شأن في رجوعنا إلى الوطن، وقد أكبره مفوّضهم السامي الجنرال غورو[1] وإنّما رجعنا إلى البلاد بعد رجوعه إلى العراق.

رجوعه إلى العراق

ولمّا تمّت المفاوضات بينه وبين الإنكليز ونزلوا على رأيه في إقامة دولة عربيّة تحت ظلّ النسر الهاشمي «فيصل»[2]، ورجع فيصل من أُوربا مظفّراً، أبرق حينئذٍ إلى السيّد ومن معه أن يلاقوه إلى السويس إذ كان ينتظرهم في الباخرة التي أبحرت بهم إلى البصرة.

واقتضت الحال تأخّر الملك في البصرة ريثما يصل السيّد إلى بغداد، وبوصوله

---

١. هو أحد كبار رجال فرنسا العسكريّين كان قائد الجيش الرابع في حملة الحلفاء على الدردنيل أثناء الحرب الأُولى، وقد تولّى في أوائل الحرب الثانية منصب حاكم باريس العسكري، ولد سنة ١٢٨٤، وتوفّي سنة ١٣٦٥. انتهى ملخّصاً عن المنجد في الأعلام: ٥١٠ وغيره.«ع»

٢. هو من أشهر ساسة العرب في العصر الحديث، وصفه المارشال اللنبي بقوله: وجدته رجلاً يجمع بين حسن القيادة العسكريّة وبراعة السياسي الحاذق، بعيد النظر، سريع الإقرار لما يعرض له من أُمور ومسائل، مخلصاً صريحاً جريئاً، ولد في الطائف سنة ١٣٠٣، واختير نائباً عن جدّه في مجلس النوّاب العثماني، ولمّا ثار والده على الترك تولّى قيادة الجيش العامّة، ودخل سوريّة سنة ١٣٣٧، ونودي به ملكاً عليها سنة ١٣٣٨، ثمّ كانت وقعة ميسلون فاحتلّ الجيش الفرنسي سوريّة فرحل فيصل إلى أُوربا، ثمّ نودي به ملكاً على العراق سنة ١٣٣٩ فوضع دستور البلاد وأنشأ مجلساً للأُمّة، وأقام العلاقات بين العراق وبريطانيا على أُسس عدّة معاهدات، وأصلح ما بين العراق وجيرانه، ثمّ قصد سويسرة للاستجمام وتوفّي في برن عاصمتها سنة ١٣٥٢، ونقل جثمانه إلى بغداد فدفن فيها. انتهى ملخّصاً عن كتاب فيصل بن الحسين، والأعلام ج ٥ ص ١٦٥.«ع»

احتفلت بغداد به في يوم مشهود احتفالاً كانت الأرواح من زينته، ثمّ احتفل بعدئذٍ في يوم تأريخي من أيّام الدهر باستقبال ملكها الهاشمي ومفداها العظيم فيصل الذي عقد السيّد بيده تاجه، وأخذ عليه العهد والميثاق بالنصح لله تعالى وللأمّة.

في طهران

وما كادت تطمئنّ به الدار، أو يطمئنّ بها حتّى انتقض بعض قَتْلِه فاضطرّ إلى المعارضة على نحو اشتدّ به الخلاف بينه وبين السلطات، فخرج ـ على أثر ذلك ـ من العراق وجعل له الخيار فيما يروقه من الأقطار فآثر طهران، وما إن قاربها حتّى وجد الألوف من مستقبليه يهتفون باسمه في صوت واحد، ثمّ كان منزله بعدئذٍ مثابة الزائرين، ومختلف الكرام من العلماء الأعلام، ومن الزعماء والحكّام، وذوي الخطر والشأن في إيران، وقد لبث ثَمّة سنةً ونيّفاً أُصيب خلالها بمرض عضال أعيا الأطبّاء، وقد سهروا عليه سهراً متطاولاً حتّى منّ الله عزّ وجلّ عليه بالشفاء بابتهال المقدّس والده ـ وهو في الكاظميّة ـ إلى ربّه تعالى بالدعاء.

عودته

وكانت المدّة التي لبث فيها في إيران تقرّب من شقّة الخلاف بينه وبين السلطات في العراق، حتّى إذا سوّيت المشكلة بينهما عاد وقد نَقِه والحمد لله.

وكان ليوم عودته تأريخ ضخم في أيّام الزعامات، شوهدت فيه الحشود تملأ الأرض، ويغصّ بها السهل بين بغداد والكاظميّة.

وذهبت أيّام طويلة تعقد فيها الحفلات صباح مساء، وتنظم القصائد، وتنثر الخطب في تكريمه وعدّ أياديه.

وحسبنا في هذه العجالة عبقريّة العيلم العلم العلّامة الفذّ الشيخ راضي آل ياسين(١) ـ رحمه الله تعالى ـ فإنّها عنوان كلّ ما جادت به قرائح الخطباء والأُدباء ؛ إذ على قالبه أفرغوا، وعلى منواله نسجوا قال ولله أبوه:

قدم الزعيم وأقبل العملُ ... فاليوم لا وهنٌ ولا كسلُ
قدم الزعيم فحيِّ موكبه ... حيث الرجاء يسير والأملُ
وإذا أطلَّ بنور طلعته ... فقل السلام عليك يا بطلُ
قدم الزعيم فكلّنا أذنٌ ... قُدّت إليه وكلّنا مُقلُ
نرنو بأعيننا لنجلوها ... بسناه أو نصغي فنمتثلُ
قدم الزعيم ومن بمقدمه ... طاب الزمان وولّت العللُ
وأعادت الأيّام جدّتها ... فاليوم عمر الدهر مقتبلُ
وانجاب غيم الغمّ منقشعاً ... والجرح أصبح وهو مندملُ
وزهت بلاد الرافدين بمن ... كفّاه كالبحرين تنهملُ
وكأنّ هذا القطر من فرح ... نشوان من خمر اللقا ثملُ
والناس طائفة به ولها ... وَلَه لتبصره فتكتحلُ
ولها على كفّيه مزدحم ... إذ أقبلت ومرادها القبلُ
وبوجهه جالت نواظرها ... وبه لوجه الله تبتهلُ
لاذوا بظلّ لوائه شغفاً ... وعلى صميم ولائه جُبلوا

---

(١) كان شيخ الكاظميّة وعالمها وبيضة البلد فيها، ذا مدرسة أخلاقيّة، وموهبة في سياسة الناس، أخذ بها خدمةً للدين، له كتاب صلح الحسن وهو فذّ في بابه، فريد في موضوعه، ولد سنة ١٣١٦، وتوفّي سنة ١٣٧١.[١]

---

١. راجع: ماضي النجف وحاضرها ٣: ٥٢٨ ـ ٥٢٩، الرقم ٢؛ مستدرك الأعيان ١: ٤٣.

قد كان فارقهم فأرّقهم وأذاقهم ما ليس يُحتملُ
عرفوا الجميل له فشكرهُمُ أبداً لجود يديه متّصلُ
هيهات تنسى الناس موقفَه بالذات إذ أعيت به الحيلُ
وسوابقاً بيضاً بمفخرها شهدت شعوب الأرض والدولُ
وزَهَا بها التأريخ مبتهجاً طرباً كأنّ حديثها الغزلُ
لمّا تفادى دون ملّته بالنفس لكن هابه الأجل
ناهيك من كرمٍ ومكرمة كبرت بعين الحقّ لو عقلوا
فَمَن المجاهد مثله وبه بين البريّة يضرب المثلُ
واتركْ تفاصيلاً إذا ذكرت سخط العدوّ ودونك الجُمَلُ
وبفارسٍ هل كان موقفه إلا كما أرسى بها جبل
ما زعزعته العاصفات ولا مسّت مواطئ نعله الحيلُ
ما كان أعظم في نفوسِهِمُ منه بكلّ صفاته رجلُ
وعنت رؤوسُهُمُ لهيبته بالطوع فهي لعزّه ذللُ
عرفوا نزيلَهُم فكان له في قلب كلّ منهم نُزُلُ
وسرورهم في يوم مقدمه كزفيرهم إذ همّ يرتحلُ
وعليه تزدحم الورى شغفاً فكأنّها بأبيه تحتفلُ
ذاك الإمام ومن بسنّته وضُحت لسنّةِ جدّه سُبُلُ
ورث الإمامة عن أبٍ فأبٍ متسلسلاً للمصطفى يصلُ
فضفت على أعطافه كرماً منها برود وازدهت حللُ
والله أعلم حيث يجعلها إذ ليس في تقديره زللُ
هو غوث أهل الدين مفزعهم مهما ألمّ الفادح الجللُ
وزعيم شرعهُم وحارسُهُ من أن يحلّ بثغره خللُ

جـمع الـعـلوم الغرّ أجـمعها جـدّاً وزان عـلومه العـملُ
ومـناقب كـالشهب سـائرةٌ ولهـا كـنور جـبينه شُـعلُ
ومكـارم مـا فـي روايـتها ضـعفٌ ولا بـعزيزها وشـلُ
كـالبحر أنّى جئت سـاحله فـيه لغـلّة ظـامئ نـهلُ
وبـحلمه لو أنّـهم عـدلوا زنة الجـبال الشمّ ما عـدلوا
لا غرو فهو سليل من عـجبت مـن صـبره الأمـلاك والرسـلُ
وكـذلك الأبـناء إن كـرمت تـحيا بـها آبـاؤها الأُولُ
فـليَهْنَ سـيّدنا بسـيّدنا ولتـنطفئ بـلقائه الغـللُ
وَلْيَهْنَ فيه أخوه مـن شـهدت فـيه الفـضائل أنّـه الرجـلُ
أخـوين كـلٌّ مثل صـاحبه كـرماً وكـلٌّ فـي العلى مَـثَلُ
لولا عـليّ لم يكـن أحـد بأخـوةٍ لمـحمّدٍ يـصلُ
دامـا بـظلّ أبـيهما ولنـا بـوجودهم من عـزّهم ظُـلَلُ

وبعد رجوع السيّد من طهران كان يعقد البرلمان العراقي في مجلسيه: الأعيان والنوّاب، فرغب الملك فيصل إلى السيّد أن ينتظم مجلس الأعيان اعتداداً برأيه وشخصيّته. ورجّح له ذلك قادة الرأي من رجال العراق، فراض بعد امتناع.

وتولّى رئاسته بعد الشيخ يوسف السويدي[١]، فكان الرئيس تجتمع الكلمة على انتخابه أربع عشرة سنةً متواليةً. وكان خلالها معقد الأمل في كلّ عمل، ومفصل كلّ قضيّة من قضايا العراق المعقدة.

١. هو الشيخ يوسف بن نعمان السويدي، زعيم عراقي، ولد في بغداد سنة ١٢٧٠، تفقّه وتأدّب وكان من أوائل القائمين في العراق بالفكرة العربيّة في عهد العثمانيّين ومن المنادين بالثورة على الإنكليز، وكان كبيراً في نفسه وفي قومه، مقداماً مخلصاً. توفّي سنة ١٣٤٨. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج ٨ ص ٢٥٥. «ع»

مناسبات

إنّ من المناسبات الجديرة بالذكر: أنّه في خلال هذه السنين التي انصرف فيها إلى عمله الإيجابي، ترأس الوفد العراقي الذي أمّ عمّان في شعبان سنة ١٣٤٩[١] لزيارة الملك حسين بن عليّ عاهل العرب[٢] بمناسبة وعكة[٣] أصابته في منفاه «قبرص» فانتقل إلى عمّان ليقوم بتمريضه ولده الملك عبدالله[٤]، وكانت مهمّة الوفد العراقي زيارة الملك ـ أبي الأملاك ـ ودعوته إلى العراق باسم الشعب العراقي.

وقد استقبلنا السيّد يومئذ في جماعة من زعماء عاملة وأعيانها إلى الشام، وكانت دمشق ترحّب بقدومه بوزرائها وزعمائها وأدبائها وصحفها.

---

١. الموافقة لأوّل كانون الأوّل سنة ١٩٣١. «ع»

٢. هو الملك حسين بن عليّ بن عبد المعين بن عون من أحفاد أبي نمي بن أبي بركات الحسني، آخر من حكم مكّة من الأشراف الهاشميّين، ولد في الآستانة سنة ١٢٧٠ وكان أبوه منفيّاً بها، وانتقل معه إلى مكّة وعمره ثلاث سنوات، وآلت الإمارة إلى عمّه الثاني عون الرفيق فلم يحتمل هذا تدخّله في شؤون الإمارة، فطلب إبعاده من الحجاز فنفي إلى الآستانة سنة ١٣٠٩، وجعل فيها من أعضاء مجلس شورى الدولة، وأقام بها إلى أن توفّي عون الرفيق، ثمّ عمّه الثالث عبد الإله فعيّن أميراً لمكّة سنة ١٣٢٦، فعاد إليها ونشبت الحرب العامّة الأولى، واشتدّت جمعيّة تركيا الفتاة السريّة في العمل بواسطة حزبها العلني ـ الاتّحاد والترقّي ـ على تتريك العناصر في الدولة، ونمت روح النقمة على الترك والدعوة إلى الانفصال عنهم، وانتهز البريطانيّون الفرصة فاتّصلوا بصاحب الترجمة وكاتبوه من مصر فنهض نهضته المعروفة، ووجّه ابنه فيصلاً إلى سوريّا فدخلها فاتحاً وبعد ذلك اشتدّ توتّر الحال بينه وبين ابن سعود، وأقبلت جموع الأخير إلى الطائف، فمزّقت جيش الحسين المرابط فيها واحتلّتها واجتمع بجدّة بعض ذوي الرأي، فاتّفقوا على نصح الحسين بالتخلّي عن العرش لكبير أبنائه «عليّ» ففعل ثمّ أبحر إلى العقبة وأقام بضعة أشهر، ثمّ تلقى إنذاراً بريطانيّاً بوجوب رحيله عنها، ووصلت إلى مينائها مدرعة بريطانيّة، ركبها وهو ساخط إلى جزيرة قبرص سنة ١٣٤٤، فأقام ستّ سنين ومرض وجاءه ابناه فيصل وعبدالله فصحباه إلى عمّان، ووافته منيّته سنة ١٣٥٠ فحمل إلى القدس، ودفن في المسجد الأقصى. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج ٢ ص ٢٤٩. «ع»

٣. وَعَكَ فلان: أصابه ألم من شدّة التعب. راجع المعجم الوسيط: ١٠٤٤، «و. ع. ك».

٤. ولد بمكّة سنة ١٢٩٩، ونصب أميراً على الأردن سنة ١٣٣٩، ثمّ ملكاً سنة ١٣٦٥ وكان مطاع اللسان، مولعاً بالمحاجّة والمناظرة، له تضلّع تامّ في الشعر والأدب، اغتيل في المسجد الأقصى سنة ١٣٧٠. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج ٤ ص ٨٢ وغيره [راجع المنجد في الأعلام: ٤٥١ ـ ٤٥٢]. «ع»

أمّا في شرقي الأُردن وفلسطين فقد استفاضت أعمدة الصحف بأخباره ووصفه والحديث عنه بما هو أهله.

وبعد أن قضيت المهمّة التي جاء بها السيّد وزار المسجد الأقصى وما حوله من الضرائح ـ ضرائح النبيّين عليهم السلام ـ زارنا في صور مشيّعاً برتل من السيّارات تقلّ أعيان الفضلاء من الفلسطينيّين، وفي مقدّمتهم العلّامتان الشيخ عبد القادر المظفّر المقدسي[١]، والشيخ أسعد قدورة قاضي عكّا ومفتي صفد[٢] وكانوا معه إلى الناقورة، وهي الحدّ بين لبنان وفلسطين.

ونحن استقبلناه إليها بجمهور أهل العلم والزعامة وممثّلي جبل عامل في المجلس النيابي، وأُقيمت لتكريمه الحفلات الرائعة في صور عشرة أيّام كانت من أزهى أيّام الحياة وأروعها، والخطباء والشعراء، يشيدون بذكره وشكره، وعدّ مآثره ومفاخره[٣].

وأُقيمت له المآدب، ونضّدت الحفلات في أُمّهات القرى العامليّة، فكان أفخم تلك

١. هو أحد أعيان علماء بيت المقدس ولد سنة ١٣٠٦، واشتهر منذ حداثته بخطبه الحماسيّة الدينيّة والوطنيّة، وكان عضواً بارزاً في الحركة الفلسطينيّة، ساهم في كلّ مراحلها ضدّ الإنكليز والصهيونيّة واعتقل كثيراً في هذا السبيل، فكان صلب العود ثابتاً في مواقفه توفّي سنة ١٣٦٨. [راجع موسوعة الأعلام الفلسطينيّة ٣: ١٧٠].«ع»

٢. كان زعيماً وطنيّاً عمل بكلّ إخلاص لوطنه وخدمة مجتمعه، ولد في صفد سنة ١٢٩٢، وقد عرف بنبله وكرم أخلاقه وعلوّ صفاته، فكان في منطقته مرجعاً لحلّ مشاكل الناس وقضاء حوائجهم، وقد سمعت من والدي عليه الرحمة ثناء كثيراً على خلقه وطيب ذاته؛ حيث شاهد ذلك فيه عندما كان مشرّداً في فلسطين من قبل الفرنسيّين، توفّي بدمشق سنة ١٣٧٨ [راجع ترجمته في موسوعة الأعلام الفلسطينيّة ١: ٢٨١].«ع»

٣. فللشيخ عليّ شمس الدين أحد فحول الشعر قصيدة في ذلك رائعة، ولقائمقام صور ـ في تلك الأيّام ـ الزعيم رشيد بك نخلة الماروني خطبة عصماء وأبيات غرّاء، ولولده الأديب الفذّ الأُستاذ أمين بك خطبة غرّاء، وقصائد أُخر لكلّ من الأدباء الفضلاء: الأُستاذ أحمد حجازي، وأديب فرحات، والشيخ حسين الحوماني، والشيخ عبدالله سليمان، والشيخ توفيق البلاغي، والسيّد عبد اللطيف قاسم، والسيّد نور الدين الأخوي، وعبد الرحمن المجذوب، والشيخ حسين الدادا، والأفندي مصطفى فواز وغيرهم، وكلّهم أجادوا فيما أفادوا، فالمرجوّ المعذرة في عدم نشر فوائدهم، فإنّ المجال ليضيق عن ذلك.«ع»

المآدب مأدبة يوسف بك الزين في بلدة كفر رمان[1]، وقد شهدها أعلام الفكر، وقادة السياسة من وزراء ونوّاب ومحافظين وحكّام، وكان على رأسهم العلّامة الشيخ محمّد الجسر[2] رئيس البرلمان اللبناني في طائفة من أُدباء البلاد وشعرائها، فلم يألوا في شكر أياديه، والثناء عليه بما هو أهله.

وإليك من غررهم ودررهم عبقريّة الشيخ سليمان ظاهر من أكبر أُدباء جبل عامل وشعرائه ـ فقس عليها ما سواها، فإنّ الاستقصاء ممّا يضيق عنه الإملاء ـ قال رحمه الله تعالى:

نور النبوّة في جبينك يصعدُ ... إن لم تكن طه فأنت محمّدُ

ومن الإمامة في برودك عبقة ... علويّة النفحات ليست تنفدُ

والموسوي نجارك السامي به ... «شرف» المناسب مطلقٌ ومقيّدُ

وعليك من «حسن» الخلال شمائل ... لم تحو رقّةَ ما حوته صرخدُ

ريّانة لكن بماء مكارمٍ ... لم تحوِ ريّقها الغصون الميّدُ

إنّ العراق بمزنها لا في طوا ... مي رافديه دائماً مسترفدُ

لك طلعة قيد النواظر يشتفي ... منها السقيم ويستطبّ الأرمدُ

إنّ العراق بما له أسديت ظ ... لّ أبردُ والدهر دهرٌ أمردُ

ناصرته في ساعة طاش الحلي ... م بها وفارق صبره المتجلّدُ

لم تألُ لاستقلاله تسعى ولم ... يحجمك أنّك عن حماه مُبعدُ

حتّى شققت له الطريق إلى العلى ... فطريقه بك يا محمّد أقصدُ

---

١. كان زعيماً كبيراً وسياسيّاً مفكّراً، ولد سنة ١٢٩٧، وقد انتخب نائباً عن جبل عامل في أكثر دورات المجلس النيابي، وله في هذه الأثناء خدمات جليلة مشكورة لطائفته وبلاده، ومن أهمّها مشروع جرّ نبع الطاسة إلى النبطيّة، توفّي سنة ١٣٨٢ [راجع ترجمته في شهداء الفضيلة: ٢٧٤]. «ع»

٢. عالم حقوقي بارع وداهية فذّ من عباقرة رجال السياسة، ولد في طرابلس سنة ١٢٩٧، وانتخب نائباً عنها في مجلس المبعوثان العثماني، وتولّى في عهد الانتداب مديريّة الداخليّة ورئاسة محكمة الجنايات، ثمّ رئاسة مجلس الشيوخ فرئاسة مجلس النوّاب، وظهر في أثنائها سياسيّاً مداوراً من ألمع رجال السياسة ومن أقدر محنكيها، توفّي سنة ١٣٥٣.«ع»

خلع الوصاية عنه لا متقيّداً ... فيها كما سلك السبيل الأرشدُ
وبفيصل رجعت له أيّامه الأو ... لى وجدّد رسمه المتأبّدُ
وأعاد فيه دولةً عربيّةً ... طلقاً بها يجري الطمرّ الأجردُ
في حيث يخطر في ظلال لوائها ... رمح وينعم بالصقال مهندُ
في حيث سيّدة اللغات محلّها ... من أبرج العليا المحلُّ الأسعدُ
ممنوعة من لغو كلّ رطانةٍ ... يغري بها المستعمر المستعبدُ
شتّان ما لحن الهزار بمشبهٍ ... لحناً يردّده الغراب الأسودُ
كلّا ولا رجع الصدى بمشابهٍ ... صوتاً به وُرق الحمام تغرّدُ
لغة كأنّ بيانها متدفّقاً ... بحرٌ ولكن بالمعاني مزبدُ
وكأنّما هي للنفوس على الظما ... نهرٌ يصفّق بالرّحيق وموردُ
الحكمة الغرّاء بين نظيمها ... ونثيرها يحظى بها المسترشدُ
والسابري بذين رائع نسجه ... وبذين منه مسرّدٌ ومعضّدُ
حسب البيان بأنّه في ذكرها ... ـ وهو المجلّد في الزمان ـ مخلّدُ
أبداً يهزّ الأريحيّة باعه ... منها يصوّب تارةً ويصعّدُ
سيعيد دولتها العراق وفيه عقـ ... ـد لوائها فوق المجرّة يُعقدُ
يا تاركاً قطر العراق بليلةٍ ... لجّ السقام بها وقلّ العُوّدُ
غادرته وكلاكما مغرىً بما ... يسمو به للنيّرين ويصعدُ
لو كان يستطيع المسير لسار في ... وفدٍ يسير إلى الحسين ويقصدُ
وفدٌ كفى شرفاً بأنّك فيه يا ... ابن الصدر صدر رجاله والسيّدُ
تلقى أبا الأملاك فيه يضمّه ... صرحٌ بأشتات الفخار ممرّدُ
تلقى به شيخ العروبة رابضاً ... فيه حليفاه العُلى والسؤددُ
نَصَرَ العروبة يوم قلّ نصيرها ... والبيض تلمع والعوالي قُصّدُ
وجنى لها النصر المؤيّد في شبا ... عضب تخرّ له الرؤوس وتسجدُ
والأرض من دم كلّ قرم أشوسٍ ... خدٌّ بقاني حمرتيه مورّدُ

قلب الزمان له المجنّ فلم يلن عزماً وإن نسخوا الذي قد قيّدوا
لم يشجه إقصاؤه عن ملكه ولئن بكته مكّة والغرقدُ
[وجنت عليه سياسة غربيّة ما إن لها إلّا المطامع مقصدُ]
[شتّى مذاهبها على الشرقيّ لم يبرح لها فيه المغار الأبعدُ]
[تطوي على استعباده صفحاتها ويروق خادع برقها المستعبدُ]
تمشي بركبك يا محمّد هيبة ويودُّ أن يقفو خطاك الفرقدُ
أنّى تسر يسر الجلال وإن تقم يمرع بك النادي ويزهُ المعهدُ
لكفاك فخراً أن محتد أحمد ووصيّه أزكى الورى لك محتدُ
ما إن أقلّت منك غير متالع سيّارة ولها الكواكب حشّدُ
تغلي مراجلها كأنّ بصدرها نيران غيرتك التي تتوقّدُ
بلغت بك الأمد القصي وزادها لا ما يزوّد للطوى المتزوّدُ
من قال: «برق» أكذبته بطيّها صحف الثرى ولها الطريق معبّدُ
أو قال: «أخت الطير» أكذبه لها مشي المسفّ بمشيه يتقيّدُ
أو قال: «بنت العلم» أصدقه لها خَبَرٌ وخُبْر ليس فيه مقيّدُ
حملت بك الطود الذي همّاته تسري به حيث الشوامخ رُكّدُ
أدركت فيها المسجد الأقصى فرحّـ ـب فيك أهل جواره والمسجدُ
لك فطنة ما الغيب في مرآتها مجلوّة في الخطب إلّا مشهدُ
لك في العراق يدٌ ولولا فيصل لم تجر مجراها بعارفة يدُ
جازاك بالحسنى على الحسنى ولم يجحد لك النعمى التي لا تجحدُ
إن أتهم الساري فذكرك متهم أو أنجد الساري فذكرك منجدُ
قد رحّبت عمّان فيك وصرحها رغدان والملك المفدّى الأصيدُ
ملك نزلت بجنبه فكأنّما في قربه لك بالمجرّة مقعدُ
وكفاك أنّك للحسين عن العرا ق وأهله في خير رهط موفدُ
حسب العراقيّين فخراً أنّهم حفظوا الحسين وبابنه لم يزهدوا

لا كالأولى قد ضيّعوا ما استحفظوا قدماً وعن نصر ابن أحمد أبعدوا
وطوى الزمان بهم إساءة من مضوا إذ بيّضوا بصنيعهم ما سوّدوا
إن زرت عاملة فعامل موطنٌ لك وهي في هذي الزيارة تسعدُ
يدنيك من أنساب أكرم أسرة فيها معظّمة المناسب قعْدُ
والفضل في عبد الحسين بعاملٍ فينان أغصان وظلّ أبردُ
وصلتك في أعراقه القربى التي لم يتّخذ أجراً سواها أحمدُ
جدّدت فيها ذكر آباء مضوا فاسلم فأنت إلى العهود مجدّدُ
لا زلت ترعى العرب يا ابن محمّد في عينك اليقظى التي ما ترقدُ
واليمن ما ينفكّ طائر سعده يرعاك في الدنيا ونجمك أسعدُ

وكانت للسيّد زيارة أُخرى لجبل عامل أوائل سنة ١٣٥٢، وهذه الزيارة كانت شخصيّة قصد فيها الراحة من أعبائها الثقال، وكانت الأجواء السياسيّة في العراق يومئذٍ مختلفة المهبّ، فأحبّ أن يرتاح من كثير ممّا يثقل عليه من أعبائها.

وكان في هذه الزيارة مثل زيارتيه السابقتين محطّ الرحال، وموضع الإجلال، وكان قد ألقى إلى الناس بانبساطه، وأقبل عليهم متهلّل الأسارير، فيتعلّقون منه بالآخذ الآسر، مع مهابة مسيطرة، وحديث ساحر وابتسام ورنوات تأخذ بمجامع القلوب وأزمّة الألباب. وبينا هو في هذا الأُنس المتبادل إذ فوجئ ـ أبّان النشوة ـ بنعي الملك فيصل تغتاله يد المنون في «برن» وتأتيه من ساسة العراق برقيّات تلحّ باستعجاله، فيركب إليهم متن الريح فما مضت ساعات حتّى حلّق فوق بغداد، فهمّت الطيّارة أكثر من مرّة بالنزول فلم تستطع لازدحام المستقبلين حتّى أفسحوا لها في رحبة المطار، وكان مجلس الأعيان حاشداً ينتخب بإجماعه السيّد ـ وهو في الطيّارة ـ رئيساً، فلمّا هبط واستقلّ سيّارته توجّه توّاً إلى المجلس ليقوم بمراسم العرش المتّبعة.

فكانت يده الكريمة تضع التاج الثاني على مفرق الملك الثاني، الفرخ الهاشمي، فتى العرب والعروبة «غازي»[1].

إجمال

وإنّا لنخشى أن يطول بنا الكلام إذا أردنا أن نعرض للملابسات السياسيّة التي يستدعيها البحث عن شخصيّة السيّد في حياة الملك غازي وبعده؛ لذلك نحن نطوي التفاصيل كما طويناها في ما سبق من كلامنا إيثاراً للإيجاز الذي إن تعدّيناه تجاوزنا إلى تأريخ العراق في هذه الفترة، وهذا ليس من موضوع الكتاب.

وبالجملة: فإنّ للسيّد في عهد غازي مكانته في عهد أبيه، وطادة في الرأي العام وقرباً من ملك البلاد الفتى الناهد إلى مجد أبيه.

ولكن أحداثاً لم تكن بالحسبان ـ وإن كانت أحداث العراق لا تخضع لحساب ـ استدعاها الإيثار من بعض المسؤولين للمناصب، واستبدادهم بالكراسي، فكانت ثورات داخليّة، وتقلّبات لا تبتني على موازين دوليّة ذات بال. طرأت مرّةً على يد ياسين الهاشمي[2]، وتارةً على يد بكر صدقي[3] في معاكسات بعيدة عن روح

---

١. كان خليفة أبيه في أخلاقه وطموحه، ولد في مكّة سنة ١٣٣٠، ونودي به ملكاً على العراق بعد وفاة أبيه، فاستمرّ إلى أن توفّي قتيلاً ببغداد سنة ١٣٥٨ باصطدام سيّارته، وهو يقودها بعمود للتلغراف، وكان مولعاً بالرياضة والصيد. وللناس في سبب مقتله أقوال. انتهى ملخّصاً عن مجمع الآثار العربيّة ج ٢ ص ١٠ والأعلام ج ٥ ص ١١٢.«ع»

٢. هو زعيم العراق السياسي في عصره، ولد ببغداد سنة ١٣٠٠، وقد تقلّد رئاسة الوزارة مرّتين، وعاش يحرّك سياسة العراق كيف شاء إلى أن قامت ثورة بكر صدقي فرحل إلى بيروت، وتوفّي بها سنة ١٣٥٥، كان واسع أفق التفكير هادئ الطبع حازماً. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج ٨ ص ١٢٨.«ع»

٣. قائد عراقي حكم العراق حكماً عسكريّاً تسعة أشهر وعشرين يوماً، ولد ببغداد سنة ١٣٠٢ وقد بلغ رتبة فريق في الجيش العراقي فبرز اسمه وقويت صلته بالملك الشابّ غازي، وشعر بأنّ رئيس وزرائه ياسين الهاشمي ينظر إليه نظرته إلى طفل له، وتسرب إلى بكر صدقي ما في نفس الملك من تململ، وكانت له أهداف ومطامح فتلاقت ←

النظام، كانت تضطرّ المخلصين ـ وفي مقدّمتهم السيّد ـ إلى مجانبتها حتّى لا تمعن في ضراواتها.

ولكن الملك الفتى اضطرّ إلى أن يتدخّل في بعض هذه الثورات التي إن تُرك لها المجال عصفت بالملك، وزعزعت أركان السلطان، فكانت نهاية بكر صدقي إذاناً بحزم الملك الفتى، وكانت استئنافاً لحياة دستوريّة منظّمة، عاد فيها السيّد إلى رئاسة المجلس بعد فترة شهورٍ تخلّى فيها عن الرئاسة في عهد إرهابي شاذّ.

في وفاة الملك

وما كادت الحياة تستتبّ حتّى فجع العراق بملكه المحبوب، وثكل العرب فتاهم النجيد، بحادثه المعروف في فناء قصره في الحارثيّة.

وكان السيّد ليلتئذٍ في مزرعته من ضواحي العاصمة، وما راعه إلّا الرسول يشقّ إليه الظلام في سحرٍ من ليالي الصيف، فينتهي إلى مخيمه بالنبأ الفاجع.

وكان قصر الزهور حاشداً بالنخب من الوزراء والقوّاد والساسة ينتظرون السيّد،

← الفكرتان، وخرج الجيش من بغداد للقيام بمناورات على حدود إيران، وعلى رأسه بكر صدقي فلمّا كان صباح ١٣ شعبان سنة ١٣٥٥ والجيش بعيد عن بغداد نحو خمسين ميلاً، حلقت في سماء بغداد بضع طائرات وألقت نشرات بإمضاء «بكر صدقي قائد القوّة الوطنيّة الإصلاحيّة» خلاصة ما فيها: أنّ الجيش العراقي قد نفد صبره ممّا تعانيه البلاد، ويطلب من الملك إقالة الوزارة القائمة، وتأليف وزارة أُخرى برئاسة حكمت سليمان، وإلّا فهو زاحف على بغداد، فخرج جعفر العسكري وزير الدفاع لإقناع بكر بالعدول عن حركته، فقتله بعض الثائرين فاستقال ياسين الهاشمي، وتألّفت وزارة حكمت سليمان وظلّ رئيساً، وكلّ أمور الدولة في يد بكر، وحلّ مجلس النوّاب، وانتخب مجلس آخر أكثره من مؤيّديه. ولم ينعم العراق بالهدوء في أيّامه وقامت حركة عصيان في لواء الديوانيّة، وأُخرى في السماوة وقمع الثورتين بشدّة وكره بعض الوزراء أن تكون عليهم التبعات، وفي أيدي العسكريّين مقاليد الحكم فاستقال أربعة منهم مستنكرين إهراق الدماء في البلاد وحلّ محلّهم غيرهم، ودعت حكومة تركيا بكراً لزيارتها وإحكام سياسته بها، وكذلك فعلت حكومة هتلر الألمانيّة، فأجاب بكر الدعوتين وغادر بغداد إلى الموصل في طريقه إلى أنقرة، وبينما هو في مطار الموصل في ٤ جمادى الثانية سنة ١٣٥٦ وإلى جانبه عدد من الضبّاط تقدّم منه جندي من أكراد الموصل فصبّ عليه رصاص مسدّسه فسقط صريعاً، وكانت ثورته هذه هي الأُولى من نوعها في تأريخ الشرق العربي الحديث. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج ٢ ص ٦٤.«ع»

ليكونوا الشهود على حادث كهذا الحادث يصرع فيه عاهل البلاد.

وقضى السيّد ليلته مع هذا النفر من الهيئة الحاكمة حتّى الصباح ينتظرون تجهيز فقيدهم العزيز، ولمّا تمّ ذلك مشى ومشوا في موكب لم تر بغداد أروع ولا أشجى منه موكباً، تشقّ الولولة أهاب سكونه، والنعش يثقل الأعناق بالخشوع، ويحني الظهور بالفجيعة.

في مشكلة الوصاية

ولمّا فرغ الناس من إيداع ملكهم في مقرّه الأخير، عاد السروات من أولي الأمر يفكّرون في الوصيّ على صاحب عرشهم الصبيّ «فيصل الثاني»[1].

وكان المرشّحَ للوصاية أميران: عمّاً وخالاً.

فانقسم الرأي في صفّين، أحدهما ـ وهو الذي بيده السلطة التنفيذيّة ـ ينزع إلى الخال الأمير عبد الإله.[2] وثانيهما ـ وهو الذي بيده سلطة التشريع ـ ينزع إلى العمّ الأمير زيد[3]، ولكلّ فريق عدّته وقوّته وعصبيّته، فأيهما ينزل للآخر عن رأيه؟

الواقع إنّها لعقدة لا تحلّ إلّا بمعجزة من الإقناع والتقريب، وسحرٍ من البيان.

أتعرف من هو صاحب هذه المعجزة والسحر؟

إنّما هو السيّد محمّد الصدر بلا مراء، انحنى على كلّ من الصفّين ببيانه وبرهانه،

١. ولد سنة ١٣٥٤، وتولّى السلطنة سنة ١٣٥٨ إلى أن قتل في انقلاب ١٤ تموز الشهير. وكان دمث الأخلاق، محبّاً لخير بلاده، ولكنّه كان محاطاً بحاشية سوء تبعده عن الصلاح والإصلاح [راجع الأعلام للزركلي ٥: ١٦٨]. «ع»

٢. هو ابن الملك عليّ. ولد في مكّة سنة [١٣٣١] ودرس في الإسكندريّة. ثمّ في لندن، ثمّ عيّن وصيّاً لفيصل فوليّاً للعهد وكثر اللغط في سيرته وسيرة نوري السعيد إلى أن قتل في انقلاب العراق الشهير سنة ١٣٧٧. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج ٣ ص ٢٦٩. «ع»

٣. هو رابع إخوته، ولد سنة ١٣١٦ واشترك في ثورة أبيه على الترك، وكان ينوب عن أخيه فيصل في غيابه، وعيّنه سفيراً في لندن، توفّي في باريس سنة ١٣٩٠. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج ٣ ص ٥٨. «ع»

فانحازا كلاهما إلى الأمير عبد الآله يوليانه الثقة، وينصبانه وصيّاً على الملك الطفل وحامياً للعرش المفدّى.

وما نريد أن نعلّق على هذه الحادثة التأريخيّة الكبرى، فمدلولها بذاته أكبر من التعليق، وأدلُّ من لوازمها التي لا بدّ منها لرجل يستطيع دمج رأيين كلّ واحد منهما يعتزّ بقواه وأنصاره ونفوذه، ويستطيع قبل ذلك أن يجتاز العراق هذه المرحلة الخطيرة التي لو لم يجتزها على هذا النحو من المرونة والدقّة والأناة لكانت نهايةٌ من النهايات.

في محنة أيلول سنة ١٩٤٠

ونحبّ أن نذكر المثل الأخير تأييداً لدعوانا في صدر كلامنا: أنّ السيّد مفزعٌ مدّخرٌ لمهمّات الأمور، ونعني بالمثل الأخير موقفه الحازم في فتنة رشيد عالي الكيلاني[1] التي كادت أن تترك الملك الوطني في العراق أثراً بعد عين.

ورشيد رجل تلقّفته السياسة من غير انتظار، فتقلّد منها ـ في أدوار ـ مناصب كبرى في الدولة العراقيّة، دلّ فيها على أنّه يصاب بنوبات أسلمُ ما نصفها به أنّها نوبات من الجرأة الفجّة، فلا تكاد تنطفئ إلّا بدم تسفكه، أو ببِذْءٍ تأتيه، وله نهمة قبل أيلول لم تبل إلّا بدم في الديوانيّة والكاظميّة في أحداث مشهورة، جهّز فيها الرشاشات على الآمنين من رعايا الحكومة من غير سبب مشروع، ولا عذر مقبول.

وفي أيلول سنة ١٩٤٠ كان ترأس الوزارة، والدنيا كانت ممتحنة يومئذٍ بالأتون الهتلري، تقدّم له من رجالها و أموالها ما تقدّم وقوداً وضراماً. وكان رشيد في عنفوان

١. هو أحد مشاهير ساسة العراق، ولد في بغداد سنة ١٣١١، وكان عالماً ومدرّساً في الحقوق، وقد عيّن رئيساً للديوان الملكي، وترأس الوزارة عدّة مرّات، ولعب دوراً مهمّاً في أغلب الأدوار، وقد فرّ بعد ثورته إلى إيران فالسعوديّة فمصر حيث استقرّ هناك، وتوفّي في بيروت سنة ١٣٨٤. انتهى عن القاموس السياسي ص ٢٨٧ وغيره [راجع الأعلام للزركلي ٣: ٢٣].«ع»

غروره في تلك الوزارة يتشوّف إلى الحكم الديكتاتوري، ويشتدّ به الهوس حين يهشّ من نائب أو عين ميلاً إلى معارضته.

وكانت الدسائس الأجنبيّة تمعن في بغداد إمعاناً تجد منه السبيل إلى نفس رشيد، ونفوس عصبة من قوّاد الجيش، فتملي لهم وتغريهم وتمنّيهم، فكان من ذلك أن ركب رشيد وأصحابه رؤوسهم، وظنّوا أنّهم الأقوون، فطفق رشيد يملي على الوصيّ إراداته متناقضةً، ثمّ كانت حوادث اتّسع فيها الخرق في تفاصيل يُلِمُّ بها من رجع إلى «محنة العراق» لولدنا أبي مصطفى صدر الدين، وإلى الوثائق والصحف في تلك الفترة وبعدها.

وكان السيّد محمّد الصدر مدّة ذلك الدور قطب الرحى تدور أخذاً وردّاً، ومشاورات ومفاوضات، يعتمده الوصيّ، ويعتمده خصومه الأغرار أيضاً، كما يستفاد ذلك من خطاب الوصيّ التأريخي الذي أذاعه بعد انجلاء الموقف من البلاط الملكي في ١٤ تموز سنة ١٩٤١، ونشرته الصحف العراقيّة، وهو وثيقة تأريخيّة مهمّة، تشرح دخائل الوضع يومئذ بتفصيل.

ولكن جهود السيّد ونصائحه لم تكبح من ذلك الجماح الحرون، وما لبث أن كان الذي كان قبل التدبّر والإمعان، فماذا ينتظر من السيّد؟

الموقف المنتظر من السيّد هو الذي كان اعتزال، فنقمة سلبيّة، وليس بالإمكان أكثر من ذلك؛ لأنّ تخطّي هذه الخطّة تعرّض للهلكة من غير مصلحة عامّة، ولا سيّما وهو يعتقد أنّ ظرف هذا الشذوذ قصير العمر.

وقد بلغنا أنّ رشيداً وأعوانه تعرّضوا إليه وأرادوه أن يعينهم ولو بكلمة، ولكنّه اعتصم دون ذلك بكبرياء ردّهم عنه صاغرين.

ثمّ أشاعوا باطلاً أنّه سيكون الوصيّ، ولكنّه أسرع إلى تكذيبهم، ولم يحضر المجلس على أنّه الرئيس يومئذٍ؛ ولأنّه لم يعترف بمشروعيّة الحكومة، ولا شرعيّة

الدستور حسب القوانين المرعيّة، بل اعتبرهم ـ كما هو الواقع ـ غاصبين.

وظلّ مدّة تلك الفترة ـ على عنفها وشدّتها ـ صريح الرأي، بيّن الموقف في معارضة جَبُنَ عن مثلها غيره.

في حين أنّ كثرة الرجال في العراق، وجمهور الرأي العامّ كانا مخدوعين بطلاء ذلك الدعاء الزائف الذي كان يبعثه أعوان رشيد في الصحف، ويرسلونه في المكبّرات والإذاعات.

وقد انكشف موقفه هذا عن أمرين:

١ ـ وثاقته في مكانته إذ كانت الصيحة يومئذٍ عامّة لا يستطيع أحد أن يتعرّض بتنفيذها دون أن يتعرّض لأعنف الأخطار في دمه وكرامته ووطنيّته.

غير أنّ مناعته الشعبيّة والوطنيّة أقوى من هذه الصيحة نفسها؛ لذلك لم يجرؤ رشيد عالي وأعوانه على التعرّض له بشيء من الأذى؛ لأنّهم كانوا واثقين أنّ التعرّض له يضعف موقفهم في مظهرهم الوطني، وفي نفوذهم الشعبي معاً.

٢ ـ وثاقته في رأيه إذ دلّ موقفه الصارم هذا على غور بعيد في سير الحوادث، وتعمّق أسرار السياسة بفكر سليم سديد النظر، ولو كان من زعماء السياسة السطحيّين أو النفعيّين لتعاون مع زعماء تلك الحركة التي كانت في ظاهر الحال حركة انقلابيّة [ذات] مصلحة غالبة.

ولكنّه دلّ بهذا الموقف ـ مضافاً إلى مواقفه السابقة ـ على أنّه من زعماء الفكر والعقيدة في السياسة فلا يثنيه عن رأيه هول، ولا يستدرجه إغراء، فلو انفرد ـ كما حدث في موقفه هذا ـ برأي كان في جانب، وكان العراق كلّه في جانب آخر، لم يختلف عليه الحال في موقفه من رأيه وإيمانه به، بل كان في وحدته مؤمناً أنّ العراق سيعود إلى رأيه بعد أن يستبين الرشد.

هكذا كان في محنة أيلول، وهكذا كان قبلها، وهكذا سيكون بعدها أيضاً.

في محنة كانون الثاني سنة ١٩٤٨

وتأبى الحوادث في دورانها المختلف العجيب، إلّا أن يكون اختلافها دليلاً على «معنى» السيّد محمّد المستقرّ الذي هو «الزعامة» بمعناها العلمي.

فقد كنّا أثبتنا كلامنا الآنف عنه سنة الأربعين بعد محنة أيلول، وقبل أن تدور الأحداث هذا الدوران العجيب خلال ثماني سنوات حتّى تقف في وثبة العراق في كانون الثاني سنة ١٩٤٨؛ لتخرج هذا الدليل الجديد الأنصع من ليالٍ سود عبرن بالعراق فما عرف في تأريخه أشدّ منهنّ حيرةً ولا خطراً، ولم ينقذه منهنّ إلّا منقذ العراق الخالد في تاريخه الحديث، إذ لجأ إليه الحكم مستجيراً على كره، فقبله مضحياً على كره أيضاً.

ولا يتّسع موضوع هذا الكتاب لتفصيل تلك الحوادث؛ لأنّ تفصيلها يخرجنا عن الترجمة إلى تأريخ العراق السياسي، وذلك ما يحتاج إلى كتاب مستقلّ[1] غير أنّنا سنشير إلى ما يتّصل بالمترجم له باختصار نجتزئ منه بما يوضح بعض أسرار هذه الحوادث التي تقرّر «معنى السيّد محمّد المستقرّ».

ونبدأ من سنة الأربعين إذ خرج السيّد محمّد الصدر من محنة أيلول زعيماً لا يطاول، ونافذاً ثنيت له الوسادة، وكان من الطبيعي أن يخرج من ذلك الموقف الفريد بهذا الظفر الذي جعله أقوى رجال الدولة بلا منازع ؛ لأنّه انفرد برأي جهر له في محنة، ثمّ رجع إليه العراق كلّه بعد انكشاف تلك المحنة.

وكما كان من الطبيعي أن يكون أقوى رجال الدولة بعد موقفه ذلك كان من الطبيعي

---

(١) فصّل ولدنا صدر الدين هذه الحوادث في كتابه سحابة بورتسموث تفصيلاً علمياً دقيقاً وأرجع كلّاً منها إلى مصدره، وكتابه هذا يعتبر مصدراً لهذه الفترة من تأريخ العراق السياسي.

أن يكون أكثر المحسودين تعرّضاً للدسائس، والذي حدث أن دبّت عقارب الحسد في نفوس النافذين في الحكم أمثال نوري السعيد[1]، ومن يتجنّد له أو يجنّدهم هو بالحكم لحماية نفوذه.

ومن يومئذ بدؤوا يعملون على إقصاء السيّد محمّد الصدر، والحدّ من نفوذه تدريجيّاً بإضعافه في مراكز الدولة ودوائر الحكومة باعتبارها وسائل للنفوذ الذي يخشونه.

وساعدهم هو على نفسه بترفّعه عن وسائلهم السياسيّة الرخيصة، وبتساميه عن الإسفاف إلى منازلتهم فيها، مقتنعاً بأنّ له «حقيقة» وهي وحدها تكفي؛ لأن تردّهم دون مرتقاه الصعب خاسئين.

وقد نجحوا في المرّة الأُولى بعد جهد أربع سنوات، فنحّوه عن رئاسة الأعيان بالتأثير على الأعضاء، وما اكتفى نوري السعيد بتنحيه حتّى نصب في رئاسة الأعيان صالح باش أعيان، وهو أحد أتباعه، ومن المعروفين بالضعف والضعة، وقد قصد نوري بذلك إلى إفساد المقاييس، وتشويه الحقائق، ومحاربة الجهاز الوطني المحترم بهذا السلاح ليفسد إيمان الرأي العامّ بزعمائه الموثوقين.

وحوالي سنة ١٩٤٤ هانت أساليب العمل السياسي هواناً كرّهها للأحرار الكرام،

---

١. هو نوري بن سعيد أفندي بن الشيخ صالح الملا طه، من أشهر رجالات العرب وكبار أساطين السياسة، ولد في بغداد سنة ١٣٠٦، وقد ذهب إلى الآستانة وتخرّج أوّلاً من مدرستها الحربيّة برتبة ضابط، ثمّ من مدرسة الأركان فيها، ولمّا أعلن الملك حسين ثورته على الترك سنة ١٣٣٤ انضمّ إلى قوّاته، فعيّن رئيساً لأركان حرب الجيش الشمالي ولمّا تألّفت الحكومة العربيّة في الشام كان أحد أركان الملك فيصل الأوّل وموضع ثقته، وبعد انحلال تلك الحكومة وتأليف حكومة العراق برئاسة الملك فيصل عيّن مديراً للأمن العامّ، ثمّ رئيساً لأركان الجيش، ثمّ ولي وكالة القيادة العامّة، ثمّ وزارة الدفاع عدّة مرّات مع عدّة وزارات، كما ألّف الوزارة في كثير من أدوارها، وأصبح الحاكم الحقيقي المطلق لحكومة العراق إلى أن قتل في الانقلاب الشهير الذي وقع في ١٤ تموز ١٩٥٨ الموافق ٢٤ ذي الحجّة سنة ١٢٧٧. انتهى ملخّصاً عن مجمع الآثار العربيّة ج ٢ ص ٥٩ وغير ذلك [راجع الأعلام للزركلي ٨: ٥٣]. «ع»

ولا سيّما حرّ كالصدر، وعاد النضال في ذلك الجوّ المليء بالدسائس عملاً عقيماً مبتذلاً تأباه النفوس المطبوعة على غرار نفس السيّد الصدر، لذلك اعتصم بنفسه متعالياً عن تلك الحياة الراكعة، غير أنّ هذا الحادث ترك في نفوس الناس جرحاً كتموا آلامه أوّل الأمر تحت ضغط السلطة المسيطرة.

وشجّع كتمانه السلطة على الإمعان في مثل هذه الأمور التي بدأ الناس يحصّلونها ويجمعون منها أسباب الوثبة على هذه الطبقة من أعوان الإنكليز التي استأثرت بالحكم، وأساءت التوزيع، وشجّعت على الرشوة والاحتكار، وأفسدت الحياة إفساداً عظيماً، ومضت على النحو أربع سنين، حتّى إذا أثيرت مسألة تعديل معاهدة سنة ١٩٣٠ بمعاهدة غرّة عام ١٩٤٨، التي سمّيت بمعاهدة «بورت سموث» عندئذٍ استيقظت كلّ تلك الأسباب، ووثبت باسم رفض المعاهدة الجديدة الجائرة التي كانت آخر تلك الأسباب من أسرار وثبة عام ١٩٤٨.

وحدث في بغداد في النصف الأخير من كانون الثاني انقلاب خطير، وقف فيه الشعب يجاهد الحكومة جهاداً عنيفاً، ووقفت فيه الحكومة تصاول بالرصاص الشعب الأعزل إلّا من وعيه وإيمانه في ليالٍ سود عبرت بالعراق، فما عرف تأريخ العراق الحديث أشدّ منهم هولاً ولا حيرةً ولا خطراً.

وبينما كانت المعركة دائرةً في ميادين بغداد التقى السيّد الصدر ونوري السعيد على جناحي سمو الوصيّ على عرش العراق الأمير عبد الإله، وكان من رأي نوري السعيد أن تمضي الحكومة شديدةً فتأخذ الواثبين بأقسى القسوة، وكان من رأي الصدر أنّ رأي نوري مظلم غير جدير بعصر النور، وأنّ إقالة الحكومة أمر لا بدّ منه إذا كانت البلاد ممّا يؤبه له، وأنّ رفض المعاهدة بعد إقالة الحكومة ضرورةً وطنيّةً لا يستغنى عنها.

وبعد معركة بين هذين الرأيين دامت أربعاً وعشرين ساعةً انتصر السيّد الصدر وانهزم نوري السعيد شرّ هزيمة.

هكذا تقدّم الصدر في اللحظة الحاسمة كعادته، وأنقذ العراق مرّةً أُخرى، فوجدت طبقة الحكم نفسها مضطرّةً إلى الرجوع إليه من جديد.

ولمّا سقطت وزارة جبر أجبرت الأُمّة بأحزابها وسائر طبقاتها الشعبيّة على إسناد الوزارة إليه، غير أنّ الحكم لم يكن من مشتهياته؛ لذلك أتى أوّل الأمر تأليف الوزارة وأعرض عنها، لذلك كلّف أرشد العمري بتأليفها، ولكن تكليفه بتأليفها فضلاً عن تعرّضه للإستياء العامّ فشل فشلاً بيّناً لما كان يعرف به أرشد العمري من العنف والولاء للإنكليز[1].

وأخيراً أقبل السيّد محمّد الصدر على الحكم مضحّياً، فألّف الوزارة بين هتاف الجماهير وتأييد الأُمّة، ثمّ سار بها سير الحكّام والراشدين حريصاً على تحقيق العدل والسلام وفق خطّته المثلى[2].



مترجموه

للسيّد ذكر خالد في الصحف العراقيّة والسوريّة واللبنانيّة والفلسطينيّة والمصريّة بكلّ مناسبة من مثله العليا، وشؤونه الميمونة.

---

١. سياسي شهير تولّى عدّة مرّات وزارات كما ترأس الوزارة أيضاً بعد السيّد الصدر وكان له دور بارز في أغلب أدوار العهد الملكي السابق. «ع»

٢. حدّثني بعض الأعلام الأجلّاء من أرحامنا ممّن كان لهم الاتّصال التامّ بالسيّد وممّن أثق بهم تمام الوثوق أنّ السيّد ـ عليه الرحمة والرضوان ـ كان عليه من الديون ـ عند استقالته من رئاسة الوزارة ـ مبلغ تسع مائة دينار، وأنّه لم يصرف من المصاريف السرّيّة ديناراً واحداً. وأمّا الذي أعرفه أنا وأتحقّقه بنفسي أنّه مات عليه الرحمة وهو لا يملك داراً للسكن وإنّما كان يسكن داراً متواضعةً بالأجرة في محلّة الجعيفر، وهذا شيء ليس بالمهمّ على من كان يحمل بين جنبيه نفسيّة جدّيه شيبة الحمد وشيخ البطحاء.

كما حدّثني أيضاً أنّه كانت له حالات مع الله عزّ وجلّ من العبادة والخشوع في الليل البهيم على وتيرة العبّاد الأوتاد ولم تعرف هذه الصفة عنه، وهذا واضح في أنّه كان يبالغ في التخفّي في ذلك حتّى تكون أعظم وقعاً عند الله عزّ وجلّ.

وفي سنة ١٣٧٢، اعيد الحقّ إلى نصابه، حيث اعيد انتخابه رئيساً لمجلس الأعيان، وبقي رئيساً حتّى وفاته عليه الرحمة. «ع»

وذكره الرحّالة الفاضل السيّد إبراهيم بن السيّد عيسى المصري في ص ٤١ من الجزء الثاني من كتابه مجمع الآثار العربيّة ورجال النهضة الفكريّة فقال:

لا نغالي إذا قلنا: إنّ السيّد محمّد الصدر شخصيّة عالميّة قلّما يظفر بمثلها الزمن، والصدر زعيم عظيم من زعماء العراق، يفخر به العراق، وتفخر به العروبة في سائر مواطنها بما له من المآتي الجسام، والمساعي العظام في بناء هذا الكيان العراقي المرموق المؤمّل للقضيّة العربيّة العامّة، وليس الصدر ـ وإن كان عراقياً ـ محدود الفكر، مقصور الهمم على وطنه الصغير ـ العراق ـ فحسب، وإنّما هو عامل صالح عامّ، دائب السعي في سبيل وطنه الأكبر موطن العروبة الكبير، تدفعه لذلك عوامل تربيته ونشأته من فجر حياته، تلك التربية العربيّة الإسلاميّة الصحيحة على يد ذلك الإمام الجليل المغفور له والده السيّد حسن الصدر ـ رضوان الله عليه ـ.

ولد الصدر في الكاظميّة سنة ١٣٠٠ ودرج في ذلك المعهد الجليل يستقي العلم والآداب من المنبع الصافي، والمورد الشهيّ، فيرجع ندي اللسان، ريّان الفؤاد، مستنير العقيدة، ويذهب تمرّ عليه عهود اليفعة والشباب، ويعرفه الإيفاع والشباب خير يافع وخير شابّ، ينبعث برسالة العقل والتفكير والوقار والخُلق الفاضل الرزين، وإلى ذلك كلّه فضل وغور ينقطع الطريق بهما على لداته، ويسبح وحده في أُفق واسع الأجواء، رحيب الأرجاء، ويصوغ نفسه على غير مثال يعدّها للقيادة الحكيمة التي يتولّاها الآن.

وتمرّ أحداث وتتوالى أعوام وهو آخذ سمته نحو هذا المثل العالي حتّى إذا حان الوقت واستعلنت الفرصة سنة ١٩١٤م، وكان الاستعمار يشرع الألسنة، ويشنّ الغارة على العراق، شعواء رعناء، يريد أن يلتهمه التهاماً يستذلّ به هذه النفوس الحيّة الكبيرة.

وتوثّبت يومئذٍ النفوس بالثبات المستبسل، وتشهد بغداد مهرجان الاستعداد للدفاع. وحفلات الوثوب للمجد الذي يدحض الهوان، فتشهد بغداد أيّاماً وليالي كانت غرراً مشرقةً في تأريخها الأغرّ.

من كان زينة تلك المهرجانات؟

ومَنْ إمام المحافل؟

وَمَنْ هو ممثّل العراق الطبيعي والرسمي في الدفاع عن الوطن؟

التأريخ وأهل العراق يقولون: إنّ السيّد محمّد الصدر ذلك الزعيم المحبوب رئيس الأحزاب الثلاثة المخلصة ـ الحرس، الوطني، النهضة ـ ذلك الزعيم الأثير المحمول على الأكفّ والأعناق، الحالّ في الصدور والأفئدة الهاتفة بحياته مئات الألوف!

وينهض بالأمر بعد يأسه من نتيجة المفاوضات السياسيّة، ويقود الجيوش المضطرمة بالحماس، وتنقلُ من مغامراته الحربيّة الأعاجيب والمعجزات، ويصمد للأساطيل الإنكليزيّة صمود الأبطال، فيثبت الرجولة الهاشميّة الفذّة في عهد البنادق والمدافع والرشاشات والطيّارات والمدرعات البرّيّة والنهريّة، وبذلك يتمّ له اسم كامل يرافق العراق في تأريخه الجديد.

ثمّ تدور الدائرة على جنود العراق، ويقهرها الإنكليز بالمدد والعدد اللذين لا يعرفان نهايةً، ويضطرّ سماحة الصدر زعيم الجهاد للانسحاب إلى سوريّا عن طريق الصحراء.

ولكن أتراه يهدأ، أو يستريح، أو يؤثر العافية من الجهاد؟

هيهات ذلك وإنّما يكدّ ويدأب فيؤلّف في سوريّا الأعضاء، ويرفع الراية، ويصدع بالرسالة الوطنيّة التي انتهت بالعراق إلى غاية من الاستقلال مرموقة.

ويظلّ يراسل ويكاتب الدول العربيّة النابهة وعصبة الأُمم حتّى يصل العراق بجهوده وجهود أصحابه وزملائه الأحرار إلى شكل لم يكن في الإمكان جعله أحسن ممّا كان ... .

ويعود الصدر إلى العراق بدعوة من جلالة المغفور له الملك فيصل، ملك العراق الفذّ، ثمّ تكون أحداث لم ترق لسماحة الصدر وتريده أن يعود إلى العمل؛ ولعلّه من الحسن أن نلمح إلى بعض تلك الأحداث بإشارة تناسب ما نريده من اختصار جهاد سماحته:

ذلك أنّه اصطدم مع السلطة لمخالفتها العهود والمواثيق التي أبرمها سماحته، وبنى عليها رجوعه من سوريّة بدعوة الملك فيصل، وكان اصطداماً قويّاً جبّاراً اضطرّ تلك الحكومة إلى السقوط بما نال من تأييد عامّة الشعب في سائر أنحاء العراق.

وممّا يذكر أنّه أذاع بلاغاً مؤلّفاً من عشر موادّ حازمة تضمّن للعراق الحياة المطلوبة من

هناءة ورغادةٍ وحرّيّة، وفي إبّان هذه السياسة الحكيمة المخلصة، قدّر لجلالة المغفور له الملك فيصل أن يُصاب بالزائدة، ويضطرّ للعمليّة الجراحيّة التي تحول بينه وبين الاتّصال بهذه الشؤون.

وكان المقدّر أن يعتبر المندوب السامي ـ السر برسي كوكس ـ نفسه مسؤولاً عن سلامة النظام في العراق، فيرسل إلى سماحته أن يغادر العراق إلى أيّ رقعة يختارها من رقاع الأرض، وأذعن سماحته لا ضعفاً عن النزال فقلبه الجبّار لم يستقل من بين جنبيه ويستطيع به أن يقتحم العجاج، ويثير النقع، ولكنّه أشفق على أبنائه العراقيّين أولئك الذين أكلتهم الحرب، وهم وقتئذٍ في حاجة إلى أن يستجمعوا قواهم، فآثر أن يخرج من عرينه فغادر بلاده إلى إيران.

ويظلّ هناك حقبة من الزمن أُصيب بصحّته، وبقي ردحاً تعلّله الأطبّاء حتّى إذا نقه وأبلّ تغيّر الجوّ السياسي أيضاً. وأبلّ وعاد إلى وطنه.

وهناك كان الاستقبال العظيم الذي قلّ ما عرف مثله العراق، وهناك كانت البهجة والسرور حتّى كان كلّ شيء في العراق باسماً.

ولا تمضي عليه مدّةٌ بعد رجوعه حتّى يشكل مجلس الأمّة فيعيّن عضواً في مجلس الأعيان، ثمّ ينتخب رئيساً له، ويظلّ رئيساً بإجماع الانتخاب الحرّ الذي يؤثره ولا يعدل به حتّى الآن.

وبعد فسماحة الصدر زعيم عظيم من زعماء العراق، وعَلَمٌ من أعلام العرب، وهو دين في السياسة، وسياسة في الدين. انتهى.

وذكره الأديب الفاضل يوسف غانم اللبناني في ص ۲٥ من الجزء الرابع من كتابه مشاهد الرجال فقال:

لو صُوّر العلم في جلاله، والنبل في وقاره، لما كانت صورتاهما أبين عن الحقيقة وأبلغ من صورة يتجلّى بها السيّد محمّد الصدر، طلعةٌ يشعّ[1] من محياها نور الكرامة، وتومض من لحظاتها بروق الذكاء والحكمة، تشخص بنظرك إليها فتطالعك بأسنى ما تقع عليه

---

۱. شعّ: تفرّق وانتشر. راجع المعجم الوسيط: ٤٨٥، «ش ـ ع ـ ع».

العين في الرجل الفاضل من هيبة وأريحيّة واتّزان.

حديث ناعم النغمات كالوتر الخفيف، مفصّل الآيات بالشرع الحنيف، يتساقط كالحُليّ في نوسانه، وله وسوسته في أيدي الغواني.

عينان تشتركان في الحديث بانطباق أجفانهما، وامتداد ريش الأهداب عليهما.

وابتسامة بريئة تشيع سابحة على الشفتين والجفنين والأهداب.

ولهجة خالصة العروبة، بيّنة الفصاحة، يرسلها بهدوء ورصانة، شأن الواثق بنفسه، المطمئنّ إلى سعة بيانه، المثبت من ناصع برهانه.

وإنّ ذلك لحقيق بسليل بيت الصدر الراسخ في العلم والعروبة والإسلام.

بيت نشأ فيه سماحة السيّد الصدر، يتوارث أهله العلم كابراً عن كابر منذ صدر الإسلام، فربّي كما ربّي أسلافه، يكتنفه العلم والدين من الجانبين فإذا هو فقيه مشترع عالم بالتأريخ، متكلّم يحذق المنطق والعلوم العربيّة.

وقد كان له من نشأته في بيت والده العلّامة السيّد حسن الصدر دافع قويّ إلى طلب العلم والتوفّر عليه، وسهولة أخذه والانتفاع به.

وللسيّد العلم حياة سياسيّة حافلة بجلائل الأحداث، وفضائل الأعمال. بدأ جهاده الوطني لاستقلال العراق منذ مدّت السياسة البريطانيّة باعها، وأعلنت انتدابها، فأسّس حزب الحرس الاستقلالي، يجاهد به في سبيل تحرير بلاده، ثمّ عهدت إليه الأمّة العراقيّة في مفاوضات الإنكليز بشأن الاستقلال، فسعى وفاوض حتّى إذا أخفقت المفاوضات، أذكى الثورة العراقيّة، وقاد رجالها في سبيل الوطن لا يبالي على أيّ جنبيه وقع الأمر؟

ثمّ شخص إلى أوربا[1] يطرق المراجع الدوليّة، ويقرع باب عصبة الأمم، لا يأتلي في الدفاع عن العراق، والمطالبة باستقلاله.

ولم يأنس به وطنه إلّا وقد تحقّقت أمانيّة، وخفق علم الحرّيّة في أرجائه، فعاد بصحبة

(١) لا علم لي بشخوصه إلى أوربا وإنّما طرق المراجع الدوليّة، وقرع باب عصبة الأمم بالبرقيّات المتوالية، والكتب المتواترة المشتملة على الاحتجاجات البالغة.

الملك يعمل لتوطيد أركان الاستقلال، وإرساخ دعائمه. فأنشأ الحزب «الوطني» ثمّ حزب «النهضة» ثمّ سافر إلى أوربا(١) يعالج قضيّة الاستقلال التامّ، بعد أن رأى من الإنكليز تصلّباً وعنتاً، وعاد إلى وطنه، وقد قامت الحياة الدستوريّة خير قيام، فسمّي عضواً في مجلس الأعيان، ثمّ انتخب رئيساً له، ولا يزال بعد تجديد ثماني مرّات، ولا عجب أن يكون رئيسه الدائم فإنّ العراق لفخور بالسيّد الصدر، برجله المقدام.

ألا وإنّ الرجال أمثاله لقليل. انتهى.

وذكره صاحب الدليل العراقي الرسمي سنة ١٩٣٦ م ص ١٢٧ فقال:

سماحة السيّد محمّد الصدر شخصيّة بارزة في العلم والسياسة، ولد في الكاظميّة في آخر ذي الحجّة(٢) سنة ١٣٠٠ هـ وشبّ في حجر أبيه الإمام السيّد حسن الصدر، فلمّا بلغ أشدّه شدّ الرحال إلى النجف الأشرف في طلب العلم سنة ١٣١٦ هفقرأ على فطاحل علمائها مختلف العلوم الدينيّة ـ العقليّة والنقليّة ـ حتّى بذّ فيها الأقران.

وفي سنة ١٣٢٤ هـ عاد إلى الكاظميّة حيث استأنف الدرس والبحث، ولم يشغله العلم عن الاهتمام باستقلال البلاد العربيّة ورقيّها، فجاهد في سبيل القضيّة العربيّة، ونهض بعد الاحتلال للمطالبة بحقوق العراق، والدفاع عن حوزته، فكان أحد زعماء النهضة العراقيّة، ومؤسّسي حزب «الحرس» والحزب «الوطني» وغيرهما.

وبعد اندلاع نار الثورة العراقيّة التي كان السيّد من زعمائها العاملين، رمت به المقادير وبعض صحبه من الأحرار في برّ نجد فسافر إلى سوريّة حيث والى مساعيه في سبيل القضيّة العراقيّة.

وعاد إلى العراق مع جلالة المغفور له الملك فيصل.

ثمّ اضطرّ إلى مبارحة بلده مدّةً تقارب السنتين. ورجع إلى بلاده لدى تشكيل المجلس التأسيسي فعيّن بعد مدّة قليلة عضواً في مجلس الأعيان.

---

(١) إنّما سافر إلى طهران وهناك عالج قضيّة الاستقلال التامّ برُسُله ورسائله وبرقيّاته.

(٢) بل في أوّل ذي الحجّة كما ذكرناه[1].

---

١. في ص ٣٣٩ ذكر تأريخ ولادته ١٨ ذي الحجّة.

ثمّ انتخب رئيساً له، وقد أُعيد انتخاب سماحته لهذا المنصب الرفيع سنةً بعد أُخرى حتّى الآن. انتهى.[1]

عقبه

إنّ لهذا الليث المصحر شبلين(١):

أحدهما: الشريف هاشم المولود في ١٩ المحرّم الحرام سنة ١٣٣٠، وهو من شباب الجرأة والإقدام، قويّ الجأش صليب النبع، يمثّل في الدور الحاضر شعبه في المجلس النيابي العراقي[2].

ثانيهما ـ من أبناء السيّد الصدر ـ الشريف حسين ولقبه عزّ الدين، ولد في سنة ١٣٤٣ وهو من شباب النجابة والأخلاق، تناط به الآمال، يتعلّم الآن في جامعة عاليه الوطنيّة، وله فيها مكانته المرموقة[3].



الفرع الثاني

ـ من فرعي الإمام أبي محمّد الحسن الصدر ـ السيّد الشريف أبو الهادي

ويكنّى أبا المكارم، ولقبه نور الدين، وهو العالم الكبير العامل التقيّ النقيّ الورع السيّد الشريف عليّ بن الحسن بن الهادي.

---

(١) أُمّها كريمة شيخنا وأُستاذنا الصدوق الثبت الحجّة الشيخ الميرزا حسين بن الملّا محمّد تقيّ النوري الطبرسي صاحب مستدرك الوسائل.

---

١. للمزيد راجع ص ٧٤٦ ـ ٧٦٥، الذيل ١٣.

٢. كان ذلك في العهد الملكي، أي في الوقت الذي عرف عنه هكذا. «ع»

٣. كان ذلك في سنة ١٣٦٣ أي عندما كتب عنه هكذا. «ع» وللمزيد راجع كتاب زعيم الثورة العراقية، ص ٢٢١.

ولد تاسع صفر سنة ١٣٠٣ وأنشأه الله منشأً مباركاً في حضن أبوين، وحجر جدّين قدسيّين، فكان كريم المحتدّ، طاهر العنصر، أثيل المنبت، زكيّ المغرس، شريف المنصب، من علية السادة القادة الذين تعقد عليهم الخناصر، وتثني لهم الوسادة.

أخذ مبادئ العلوم العربيّة، والمعارف الإسلاميّة عن أساتذته في الكاظميّة، وتفقّه على أبيه، وأخذ عنه الحديث وما إليه.

وقد نهج له في العلم والعمل سبيله، وحمله في الدين والأخلاق على جادّته، فإذا هو سرُّ أبيه، يضارعه في هديه ويضاهيه، وقد اعتصم بأسبابه، واستقلّ من بعده بمحرابه، في جماعة من المقدّسين، ورعيل من المؤمنين، جعلوه وافدهم إلى الله ـ تعالى ـ في فرائضه، وقائدهم إلى سبيله ـ عزّوعلا ـ فأكرم به وافداً نصوحاً، وقائداً مشفقاً، لا يألو المعتصمين به جهداً، ولا يدّخر عنهم وسعاً، وله في العطف واللطف والحنان والإحسان ومكارم الأخلاق، ومحامد الصفات، وطيب السريرة، وحسن السيرة، خصائص طبع عليها، فإذا هي من ظواهر سماته، وبواهر شاراته، ولله نفس بين جنبيه بعيدة المرتقى، باذخة الذرى، وشرف له يعلو جناح النسر، ويطأ منكب الجوزاء، إلى فضل غزير، وورع تامّ، وثقة بالله عزّوجلّ عظيمة، وتوكّل عليه في جميع الأُمور، ولسانٍ خلعت عليه بيانها، وطبعته على جزالة اللفظ، وفخامة الأُسلوب، خالصاً من الشوائب.

﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ واللهُ ذو الفَضْلِ العظيمِ﴾[1].

بلغني أنّ له مؤلّفات في مواضيع شتّى، وقفت منها على شجرة الموسويّين من آل شرف الدين، فإذا هي كتاب جليل وضعه على شكل مشجّرات الأنساب، فكان من أقربها منالاً، وأدناها قطوفاً، وقد استوعب أُصول هذه الأُسرة وأحاط بفروعها، مستوعباً أفرادها الذكور، وتلك نعمة ناطها قلائد في أعناقهم تستعيد ثناءهم عليه،

١. الحديد (٥٧): ٢١.

وتحبس ألسنتهم على شكره، فجزاه الله عن سلفهم وخلفهم خير جزاء المحسنين، وله أيضاً الحقيبة وهي خمسة أجزاء. وإرشاد العارف في ترجمة المعارف.[١]

وفي غيل هذا الأسد الخادر، شبول له ثلاثة(١):

أوّلهم: أبو الحسن(٢) السيّد الشريف محمّد الهادي، ولد ـ رعاه بعنايته، وضرب عليه سرادق عزّه ـ في ذي الحجّة الحرام سنة ١٣٢٦.

(١) أم كلّ من هؤلاء الشبول الشريفة المنيفة كريمة الشريف الرضا بن الشريف زين العابدين بن الشريف حسين بن الشريف محمّد صاحب المفاتيح ابن السيّد المير عليّ الحسيني الطباطبائي صاحب الرياض قدّس الله أسرارهم.

(٢) يكنى أبا الحسن باعتبار ولده الأكبر، وقد أنجب خمسة شبول وأرّخ أربعة منهم نظماً...

أوّلهم: الحسن المولود ليلة الإثنين الحادي عشر من شهر شوّال سنة ١٣٦٤، فقال ـ حفظه الله تعالى ـ في تأريخ:

تحدّر من أعراق مجد مؤثّل ... فأنعش آمالي وحقّق إسعادي

توسّمت في سيمائه الخير مشرقاً ... وأمّلت أن يحيي مآثر أجدادي

فسجّلت والتأريخ بالعزّ معلن ... بشائر آل الصدر بالحسن الهادي

ثانيهم: حسين المولود يوم السبت ١١ ربيع الأوّل سنة ١٣٦٤.

يا قمراً شعّ سنا نوره ... في الأرض حتّى طبّق الخافقين

←

١. توفّي في ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٨٠، عليه الرحمة والرضوان. وقد وصفه الأديب الكبير الحوماني «محمّد عليّ» في كتابه وحي الرافدين ج ٢، ونقله عنه في حاشية ص ٧ من كتاب زعيم الثورة العراقيّة وهو ما يلي:
وأوّل ما يأخذ عيني بالرهبة صدر المجلس، وقد تميّز فيه واستقلّ عليه سيّد ملء شخصه هيبة ووقار، وبين عينيه لمحات من عظمة النبوّة، وعلى فمه بسمات من فجر الرسالة، ذلك هو السيّد عليّ الصدر، نجل الإمام المقدّس السيّد حسن صدر الدين، صاحب كتاب الشيعة وفنون الإسلام. انتهى.
ومراده بالمجلس، هو المجلس الأسبوعي الذي كان يعقد في دار ابن عمّه العلّامة السيّد محمّد صادق، والذي ستقف على وصفه قريباً في ترجمته.
ووصفه بهذا الوصف الرائع يقرب جدّاً من وصف أمين الريحاني للمقدّس أبيه، وقد تقدّم أثناء ذكر تأبينه.

ونشأ ـ والحمد لله ـ شهم الفؤاد، ذكيّ المشاعر، مرهف الذهن، شاهد اللبّ، يجري في الدين والأخلاق والأدب على منهاج سلفه، ويطبع في طيب السريرة على غرارهم، وينسج في حسن السيرة على منوالهم، وناهيك في بيئتهم فهماً وأدباً وعلماً وعملاً، تخرّج منها غزير الأدب، كثير الموادّ، جيّد الملكة، حاضر النكتة، لطيف الكناية، بديع الاستعارة، حلو المجاز، واضح الأسلوب، حسن الترسّل، يُجلّي عن نفسه بأنصع بيان، ويعبّر عن ضميره بأفصح لسان، كأثبت الأُدباء إذا حاور، وأحضرهم جواباً إذا ناظر.

وهو الآن يتولّى القضاء الشرعي الجعفري[١] وله شعر رائق، يمثّل شعوره الفائق، وقد وقفت له على هذه الأُرجوزة، وهي أفضل الأراجيز، أُسلوباً وديباجةً، نظم فيها نسبه

→ أمــنيّتي أنت وهــل مــثلها أمنيّة في الكــون للــوالديــنْ
أرّخ إذا لاح بــســـــــمانه حسين منّي وأنا مــن حسـينْ

ثالثهم: حبيب المولود ليلة الإثنين ٢٤ ربيع الأوّل.

أطــلّ وعــين الله تــرعاه سـيّداً نمــاه العــلى والمجــد للســادة الغرّ
وأقــبل والأيّــام تهــتف بــالهنا حبيبٌ به قرّت عيون بني الصدرِ

رابعهم: حسيب المولود يوم الإثنين ١٣ شوّال سنة ١٣٧٢.

أطلّ عــلى الدنـيا بـغرّته ضـحىً وطــالعنا في شهــر شــوّال بــاليمنِ
وأصبح في ميلاده العـيد مـشرقاً بطلعته وازداد حسناً على حســنِ
فأرّخت لـمّــا لاح نـــور جـبينه أقرّ حـسيب الصدر ميلاده عـيني

خامسهم: حيدر المولود يوم الإثنين ٤ جمادى الأُولى، سنة ١٣٧٥ وأُمّهم كريمة العـلّامة الشيخ راضي آل ياسين، وأُمّها العلويّة عمّة أبيهم.

---

١. وقد توفّي عليه الرحمة في ٤ جمادى الأُولى سنة ١٣٩٧. «ع»

حتّى انتهى إلى أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين علـيّ بـن أبـي طـالب صـلوات الله وسلامه عليه:

أحـمدك أللـهمّ بـارئ النسمْ حـمداً يـضيق عـن أدائـه الكـلمْ
مـصلّياً عـلى النـبيّ المـرسلِ وخـير صـحبه ابـن عـمّه عـليّ
وآله سـفينة النـجاةِ السـادة الأئـمّة الهـداةِ
وبـعد أسـتعين بـالله الأحـدْ في نظم أجدادي جـدّاً بـعد جـدْ
أُرجـوزة أدرج فـيها نسـبي زاكـية تـريك زاكـي حسـبي
مـحمّد الهـادي: أبـي عـليّ ونسـبتي إن رمت مـوسوي
وإنّ جـدّي الإمـام المـؤتَمَنْ والذي للـدين والدنـيا حسـنْ
نجل الإمـام ذي المـزايـا الهـادي مـن شـاع عـلمه بكـلّ نـادي
حسـبك فـيه أنّـه الذي غـدا فـي عـصره للـعلماء مـقتدى
لا غـرو فـهو ابـن مـحمّد العَليّ مـن كـان للإسـلام خـير مـوئلِ
فـما أقـول فـيه وهـو الأوحـدُ وفـضله بـين الورى لا يـجحدُ
وإنّـه نـجل الإمـام الصـالحِ العـالم البـرّ التـقيّ النـاصحِ
نـجل مـحمّد حـليف السؤددِ ومـن بـفضله الأنـام تـهتدي
فكـم له فـي العـلم من مآثـرِ تـخرس كـلّ شـاعر ونـاثرِ
سـليل إبـراهـيم زاكـي الحسبِ من حاز في العلوم أسـمى الرتبِ
شـرف الديـن له كـان لقبْ يـعرف فـيه وإليـه نـنتسبْ
وهو ابن زين العـابدين بـن عـليّ سليل نور الدين ذي الفضل الجلي
ولقب الأوّل كـالثاني كـما تشـارك الاثـنان فـي اسـميهما
نجل الحسين بن الشريف الأفضلِ مـحمّد نـجل الحسـين بـن عـليّ
نـجل مـحمّد بـن تـاج الديـنِ من قـد سـما فـي فـضله المبينِ
ذاك الإمـام الأوحـد المـؤتمنْ وهـو الذي كـنيته أبـو الحسـنْ

ابـــن مـــحمّد بـــن عـــبد اللهِ سـلـيل أحـمد عـظيم الجـاهِ
وأحـمد نـجل الشـريف حـمزة سـليل سـعد الله نـجل حـمزة
مـحمّد أبــوه ذاك الســيّدُ أبـو السـعادات الرئـيس الأمـجدُ
ابــن عــبدالله ذو المـحامدْ نـجل مـحمّد الشـريف المـاجدْ
وإنّــه نـجل العـليّ الفـاضلِ سـليل عـبدالله ذي الفـضائلِ
نـجل مـحمّد سـليل طـاهرِ نجل الحسـين صـاحب المـفاخرِ
نجل أبـي سـبحة مـوسىٰ العالمِ سـليل إبـراهـيم ذي المكـارمِ
وهـو الذي بـالمرتضى يـلقّبُ وفـيه للكـاظم يـنمى النسبُ
ذاك الإمـام ابـن الإمـام جـعفرِ نـجل الإمـام البـاقر المـطهّرِ
نـجل الإمـام السـيّد السـجّادِ وحـجّة الله عـلى العـبادِ
ابـن الحسـين بـن عـليّ وكـفى فـضلاً تسـامى للـنبيّ المـصطفى
حسـبك فـي آبـائي الأكـارمِ فـي العـلم بـين فـاضل وعـالمِ
ذلك مـا أرويـه عـن آبـائي وإنّـها مـن أصـدق الأنـباءِ
فـطاحل يـقصر فـيهم مـدحي والدهـر فـي أمـثالهم لم يسـمحِ
فـالعلم والعـرفان فـيهم حـبسا وبـيتهم عـلى الهـدى تأسّسا[١]

ثانيهم ـ من أبناء السيّد عليّ الصدر ـ الشريف المنيف أبو السعادات السيّد محمّد المهديّ.

ولد حرسه الله في ١٦ شعبان سنة ١٣٣٣ فنشأ سَنيّاً مباركاً، برّاً مواسياً، عزوفاً عن السوء، نزوعاً عن الشرّ، نائياً عن القبيح، موسوماً بالخير والصلاح، فإذا هو من أمثل أترابه، وأقربهم إلى الله زلفى.

رأيته سنة ١٣٥٥ في الكاظميّة يتلهّف على الهجرة إلى النجف الأشرف في طلب العلوم الشرعيّة، ليخلي لها ذرعه، ويقصر عليها وسعه، وكم حسرات في نفوس كرام.

---

١. للمزيد راجع ص ٧٦٥ ـ ٧٦٩، الذيل ١٤.

وقد راقني هديه وسمته، وفهمه وتحصيله، وتوسّمت فيه كلّ خير، بلغنا الله فيه الأمل، وبلغه أمانيه في العلم والعمل.[١]

ثالثهم ـ من أبناء السيّد عليّ الصدر ـ: السيّد عبّاس ولد ليلة ٢٥ جمادى الأُولى سنة ١٣٤٣، وهو من أهل الدين والنجابة والأخلاق التي لا تتأتّىٰ إلّا لمن رضي الله عنهم ورضوا عنه، وقد تخرّج من كلّيّة الحقوق في جامعة بغداد بدرجة عالية أهلته للعمل في وزارة الخارجيّة العراقيّة متنقّلاً بين عواصم الشرق والغرب بكفاءة دبلوماسيّة عزّ نظيرها بين أقرانه. كما أنّ صباحة وجهه ولياقته الخلقيّة والبدنيّة كانتا من العوامل التي عزّزت مكانته الاجتماعيّة والوظيفيّة[٢].



الفرع الثاني

ـ من عقب الإمام أبي الحسن الهادي ـ: الشريف أبو أحمد محمّد حسين ﷺ

ولد في الكاظميّة سنة ١٢٨٨ فنشأ عزيز أبويه وأثيرهما، ولا غرو فقد أُوتي محابّ القلوب من سائر الناس؛ وإذ كان جميل المنظر، صبيح الوجه، حسن الملامح، مفرط الجمال، له رواء باهر، وبزّة لطيفة، وسيماً قسيماً، ذا نضرة وزهرة، وأنق ورونق، من أكمل النشء خِلقةً، وأعدلهم تكويناً، وآنقهم شكلاً، وأسلمهم فطرةً، حلو الشمائل، ربعة القوام، أدعج العينين، أوطف الأهداب، حديد البصر، حادّ السمع، قويّ الحواسّ، تقرأ في أسِرّته عنوان النجابة، وتتوسّم في غرّته مخائل الكرم، ويقطر من شمائله ماء الحياء، ويفوح من خلائقه عرف السيادة، وكان نديّ الراحة، بسيط الكفّ، رحب

---

١. للمزيد راجع ص ٧٧٠ ـ ٧٧١، الذيل ١٥.

٢. وقد توفّي عليه الرحمة في ٨ المحرم سنة ١٤٢٠. له من الأولاد اثنان وهما: السيّد محمّد، ولد في ١٩ جمادى الأُولى سنة ١٣٧٩، والسيّد عليّ ولد في أوّل ربيع الثاني سنة ١٣٨٣، حرسهما الله تعالى. «ع»

الجناب، صادق البأس، مشيّع القلب، حميّ الأنف، شديد الأخدعين(١)، على لين في عطفه، واطّراد في خلقه، وتألّق في صفحته، وإشراق في أسرّته.

وكان صافي الذهن، ذكيّ المشاعر، فصيحاً مفوّهاً، حرّ المنطق، ليّن اللهجة، أنيق الألفاظ، صدوقاً في قوله وفعله، عظيماً في إيمانه بالله تعالى وثقته به، وتوكّله عليه، مطمئناً بقدره، راضياً بقضائه، ممتازاً في إخلاصه له تعالى، ولأوليائه عزّ وجلّ.

أخذ مبادئ العلوم العربيّة، وسطوح الفقه وما إليه في الكاظميّة، كان المقدّس والده يزقّه ذلك، وهاجر إلى النجف الأشرف فوقف على عدّة من العلماء يحمل عنهم حتّى توسّط باحة الفضلاء وأخذ منها مكانه، ثمّ رجع إلى مسقط رأسه وقد توفّر حظّه من ذلك، وكان محلّ الاحترام من خاصّة الناس وعوامها.

وحجّ بيت الله الحرام متشرّفاً بالمدينة الطيّبة مدينة جدّه ﷺ، وذلك سنة ١٣١٧، بعزيمة من ابن عمّه السيّد محمّد تقيّ المعروف بآقا مجلسي كما تقدّمت الإشارة إليه في ترجمته.[١]

وتشرّف بعدها بزيارة الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، فاحتفل به أهل العلم والزعماء في طهران وخراسان وسائر المدن التي استطرقها ذاهباً وراجعاً.

وفي سنة ١٣٢٥ حجّ حجّته الثانية، وقفل من الحجاز على طريق الشام فوافاه إلى دمشق ثلّة من أرحامه يرأسهم المقدّس أخي الشريف العلّامة ـ أعلى الله مقامه ـ فدعاه إلينا واشتركت البلاد العامليّة في استقباله بعلمائها وزعمائها وسوادها، وبحلول ركابه في صور انثالت عليه المؤمنون وغيرهم من أطراف البلاد على اختلاف مللهم، وقد وقع ـ في نفوس الناس عامّةً، وساسة البلاد وزعمائها ورجال حكومتها خاصّةً ـ موقعاً جليلاً، وكان إذ تكلّم ملأ الصدر هيبةً وإجلالاً.

---

(١) عرقان في العنق[٢]، وشدّتهما كناية عن انتصاب العنق عزّاً وأنفة. ويقال في ضدّه: لين الأخدع.

---

١. في ص ١٩٦.

٢. راجع المعجم الوسيط: ٢٢١، «خ. د. ع».

وتأهّل في تلك الأيّام بالعلويّة كريمة المقدّس أبي[١] ـ وهي أمّ ولده الفذّ النابه السيّد محمّد صادق ـ فرجع إلى العراق محبوّاً بها، محبوراً بكلّ كرامة هو أهلها ومحلّها.

وفي سنة ١٣٢٩ آثر السياحة فافتتحها بحجّ بيت الله الحرام، وتشرّف بالمدينة الطيّبة ـ على مشرّفيها الصلاة والسلام ـ وكان ولوعاً بالحجّ والزيارة مغرماً بهما.

ثمّ عرج علينا يجدّد العهد بنا وبسائر أوليائه الولوعين به من أرحامه وغيرهم، فاحتفلوا به احتفالاً قليل النظير، ولا تسل عمّا وجدته المقدّسة والدتي يومئذٍ من الروح والبهجة والغبطة والحبور؛ إذ وجدت به قرّة عينها، وبرد السرور في كبدها، وما لبث أن أبحر من بيروت إلى مصر وكنت يومئذٍ في خدمته، قائماً بكلّ ما يلزم لرحلته، فكانت لرحلتنا هذه شؤون عادت على الدين والمذهب الإمامي بالتأييد، وربما كانت من أجزل الرحلات فائدةً، وأرجاها[٢] منفعةً، وأتمّها عائدةً.

وبعد رجوعنا إلى عاملة توجّه إلى العراق مستهلّ ربيع الأوّل سنة ١٣٣٠، وتوفّي ـ رضوان الله عليه ـ تلك السنة في الكاظميّة ظهر يوم الجمعة خامس شوّال[٣]، وكان لوفاته أثر بليغ في نفوس أسرته وغيرهم من خاصّة الناس وعامّتها. ودفن بعد تشييعه الحافل والصلاة عليه إلى جنب والده ـ المقدّس ـ في الحجرة المختصّة بهم من الصحن الشريف الكاظمي، وأبّنته الخطباء، ورثته الشعراء؛ إذ احتفلت الكاظميّة وجبل عامل بما تمّه احتفالاً عظيماً، غير أنّه لم يحضرني شيء من ذلك التأبين ولا من ذلك الرثاء.

ألحقه الله بدرجة آبائه الطاهرين في جنّات النعيم.

---

(١) وكان ذلك بعزيّة من المقدّسة والدتي، وهي شقيقته حيث استخفّها ـ قدّس الله نفسها ـ الفرح بقدوم أخيها، واستفزّتها به الأريحيّة، وهزّها السرور، وماد الحبور بعطفيها فزوّجته تلك العقيلة الجليلة وأمهرتها، وخلعت عليها نفائس الحلل والحلي، وما رأيت البشر أبين في وجهها من تلك الأيّام، وكان رجوعه إلى العراق بعرسه الميمون سنة ١٣٢٦.

(٢) أرجى أفعل تفضيل من الرجاء، وهي بناء شاذّ؛ لأنّه بمعنى المفعول.

(٣) بمرض أخطأ الطبيب في علاجه فقضى عليه.

عقبه

أعقب ـ رضوان الله عليه ـ ثلاثة من السادة:

أكبرهم السيّد الشريف أحمد المولود في الليلة الرابعة من شهر رمضان سنة ١٣٠٨، والمتوفّى يوم الرابع والعشرين من شوّال سنة ١٣٣٢ ولم يتزوّج، وكان من خيرة الشباب في دينه وأخلاقه.

ثانيهم: السيّد الشريف محمود(١) المولود في ١٢ شعبان سنة ١٣١١، وهو من السادة النجباء، والبررة الأتقياء[1]، وله ولدان نجيبان السيّد الشريف إبراهيم المولود سنة ١٣٣٥، والمتوفّى في رجب سنة ١٣٦٩ ولم يتزوّج، والسيّد الشريف شرف الدين المولود سنة ١٣٤١[2] ـ حرسه الله بعنايته ـ وولده أحمد[3] المولود ليلة الأحد الثاني من شعبان سنة ١٣٧١[4].

(١) وأمّه أمّ شقيقه السيّد أحمد وهي بنت أبيها الأديب الفاضل الشاعر الشيخ جابر الكاظمي مخمّس القصيدة الهائيّة المعروفة بالأزريّة، المولود سنة ١٢١٢، والمتوفّى سنة ١٣١٢.

١. كان ﷺ مثلاً أعلى للصفات الفاضلة الحميدة، يتوقّد غيرةً وحميّةً ورحميّةً على ما فيه من بعد، وحبّ للاعتزال، وهو في كلّ حالاته قريب من الله ـ تعالى ـ بعيد عن الناس، توفّي في ٨ ذي الحجّة سنة ١٣٩٤ تغمّده الله برحمته. «ع»

٢. وصفه صديقه ورفيقه الأديب الكامل عبّاس عليّ في حاشية ص ٢١٩ من كتابه زعيم الثورة العراقيّة فقال: أوّل ما يطالعك من السيّد شرف الدين هذا الوقار «الصدري» الذي تلمحه في حركاته وسكناته، ولم أجد شخصاً أجمع الناس على أنّه نبيل بحقّ، كما وجدت هذا الشابّ إنّه آية في الوفاء والإباء والكرم، وهذه العناصر بمجموعها هي الأخلاق المثاليّة، وتعتبر عيادته «الأسنان» في الكاظميّة ندوة جليلة تزدان أرائكها في كلّ مساء بصفوة كريمة من علماء، وأدباء، وسادة البلدة المقدّسة. «ع»

٣. وهو حائز على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، وله ولدان: زيد، ومحمود.

٤. وله أيضاً ولدان: محمّد المولود في ٢ ربيع الأوّل سنة ١٣٧٦، ومصطفى ولد في ٢١ المحرّم سنة ١٣٨٣ وهو حائز على شهادة الهندسة، وقد مال به هديه إلى سلوك مسلك آبائه في طلب العلوم الشرعيّة فهاجر إلى النجف الأشرف مشمّراً عن ساعد الجد في الدراسة وهو الآن معدود في فضلاء الحوزة وفّقه الله وله ولدان: إبراهيم ولد في .... «ع»

ثالثهم: السيّد الشريف أبو جعفر محمّد الصادق السَنيّ السريّ، الأبرّ الأغرّ العبقري، العالم الفاضل الأديب الكامل أعزّه الله ورعاه بغايته.

ولد في جمادى الأُولى سنة ١٣٢٧ في الكاظميّة. وكان أشبه شيء بأبيه سنّةً وأُمّةً لم يترك منه مغدى ولا مراحاً. فسبحان من شقّه من نبعته، وطبعه على غراره جمالاً وأنقاً، وخَلقاً وخُلقاً، عاجله اليتم وهو في الثالثة من عمره الشريف، فرجعت به والدته ـ وهي كريمة أبي ـ إلينا، فكان كواحدٍ من أترابه أفلاذي، بل أعزّ جانباً، وأقربهم إلى قلبي مكانةً، حتّى ترعرع وأخذ عنّي دروس النحو والصرف، فكانت أساسه المحكم في بناء أدبه ومعارفه، وحينئذ بعثته إلى خدمة عمّه الإمام أبي محمّد بأمر منه‌ﷺ وله إذ ذاك ثلاث عشرة سنةً، فحدب وحنا عليه عمّه، حنوّ الوالدات على الفطيم، ولم يأل جهداً في تربيته وتعليمه.

وأرسله إلى النجف الأشرف مع أترابه من أفلاذي، فقام في طلب العلم على ساقه، وشحذ له غرار عزمه، متجهّزاً بجهازه، يبتغيه من معالمه، ويأتيه من مآتيه، وما زال متحزّماً متلبّباً[١] لذلك حتّى اختاره ابن عمّه الزعيم الكريم مستشاراً أوّلاً، ثمّ رئيساً في محكمة التمييز الشرعيّة الجعفريّة في بغداد، وذلك بعد وفاة عمّه ـ المقدّس ـ فكان مأثور المحامد في هذه الوظيفة، مبرور الصنع فيها، قد أورثته طيّب الأُحدوثة، وجمال السمعة، وحسن الأثر، وله مآثر يناط بها الذكر الجميل، فتخلّد الثناء الطيّب، إلى مؤلّفات نفيسة تدلّك على مبلغه من الإيمان والعلم، طبع منها كتاب الشيعة، وكتاب حياة أمير المؤمنين يروقني منهما حسن المنحى، واطّراد التنسيق، وغزارة المادّة، وعذوبة المورد، وإحكام الوضع، وتناسق التبويب والترتيب. وله أشعار رائقة قد أفرد لها مجموعة على حدة.[٢]

١. المتلبّب: المتحزّم بالسلاح وغيره، وهنا كناية عن تعقّله وتدبّره. راجع: لسان العرب ١: ٧٣٣؛ الصحاح ١: ٢١٦، «ل . ب . ب».

٢. للمزيد راجع ص ٧٧١ ـ ٧٧٤، الذيل ١٦.

الحديقة الثالثة

السيّد الشريف الفقيه السيّد أبو الحسن ابن السيّد صالح، أخو السيّد صدر الدين والسيّد محمّد عليّ لأبيهما

وأمّه من أُسرة عراقيّة عريقة في الهدى والإيمان.

ولد في النجف الأشرف في حدود سنة ١٢٠٠، ووقف في العلوم العربيّة وما إليها من فنون الأدب على أبيه.

وأخذ الفقه وما إليه من علوم ومعارف عن أعلام النجف الأشرف في ذلك العصر.

وتخرّج من حوزة أُستاذه شيخ الإسلام الشيخ موسى بن الشيخ الأكبر كاشف الغطاء[١].

وكان من قادة الفكر في ذلك العصر، نبيل النفس، أريحي الطباع، ندي الراحة، رحب الصدر، صادق البأس، قد جمع ثيابه على أسد، وكان أبي الضيم، عزيزاً إلى الغاية، على رقّة في حاشيته، ولين في عطفه، واطّراد في خلقه، ورزانة في حصاته، وسعة في أناته، وبسمة في ثغره، وتهلّل في غرّته، يقري الأضياف، ممثّلاً جدّيه: عمرو العلى، وعبد مناف.

وكان قويّ البنية، صبيح الوجه، فصيح اللسان، يفرع الناس[٢] طُولاً وطَولاً،

(١) هذا ما أخذته عن المقدّس جدّي الشريف أبي الحسن الهادي وهو ابن أخيه، ووجدته في ترجمة السيّد أبو الحسن من تكملة الأمل[١] وربما سمعت من السيّد جدّي أنّ السيّد صاحب العنوان قرأ على الشيخ حسن صاحب أنوار الفقاهة.

(٢) أي يعلوهم بطُوله وطَوله.

١. تكملة أمل الآمل: ٤٤٠.

حسّاساً صادق الشعور، ذا حسن رائع، وجمال بارع(١)، وكان حسن الخطّ متأنّقاً إلى الغاية، يشهد بذلك بعض الكتب الموجودة بخطّه في مكتبة سيّدنا(٢).

استوطن النجف الأشرف، فكان فناؤه الرحب: شرعة الوارد، ونجعة الرائد، وندوة الفقهاء، ومحتشد الأدباء، ومشهد أُولي الحاجات من طبقات الناس وأنماطهم.

وقد ترجمه سيّدنا في التكملة[1] ترجمةً مفصّلةً، وترجمه أيضاً ولده السيّد محمّد عليّ في كتابه اليتيمة[2]، وله ترجمة في الجزء السادس من المجلّد السابع من أعيان الشيعة(٣).

ورأيت لخالنا الشيخ جابر قصيدة في مدح السيّد في اثنين وخمسين بيتاً.

فمنها:

أبـو الحسن الذي بحماه لاذت بنو الدنيا من الدهر العنيدِ

(١) كان المقدّس جدّي الشريف أبو الحسن الهادي يصفه بهذا كلّه، وسمعته مرّةً يقول: «إنّ ولدي السيّد حسن مختصر من عمّي السيّد أبو الحسن في خلقه وخُلقه». وناهيك به شهادة.

(٢) يوجد في مكتبة سيّدنا الخال أبي محمّد الحسن بعض مجلّدات من شرح المفاتيح للمحقّق الوحيد البهبهاني بخطّ السيّد أبوالحسن ـ صاحب العنوان ـ وقد صرّح السيّد أبو الحسن عند انتهائه من استنساخه بأنّه كان حينئذٍ في العاشرة من عمره، وهذا ما ذكره سيّدنا في ترجمة السيّد أبوالحسن من تكملة الأمل[3] وكان محلّ إعجابه.

(٣) ص ٣٠٩[4].

١. تكملة أمل الآمل: ٤٣٩ ـ ٤٤١، الرقم ٤٣٢.
٢. اليتيمة مخطوط.
٣. تكملة أمل الآمل: ٤٤٠.
٤. أعيان الشيعة ٢: ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

فـتىً يستنقذ اللاجي إليه ... ولو بفم الأفاعي والأُسودِ
وأقرب للصريح وإن تناءى ... لدى الأهوال من حبل الوريدِ
همام كلّ من آوى إليه ... فقد آوى إلى ركن شديدِ
أخو الكرم الذي حجّت إليه ... عفاة الناس من فجّ بعيدِ
وعمّ نداه أهل الأرض طرّاً ... فروّى كلّ من فوق الصعيدِ
له نسبٌ زكا أصلاً وفرعاً ... وأكرم بالطريف وبالتليدِ
ونال الفضل عن آباء صدق ... نمتهم للعلى خير الجدودِ
كرام قلّدت كرماً ومنّاً ... أيادي جودهم جيد الوجودِ
وعلمهمُ أحاط بكلّ شيء ... فكان الغيب من بعض الشهودِ
هدانا الله للإسلام فيهم ... وعرّفنا الشقيّ من السعيدِ
مكارم طار طائرها لشأوٍ ... بعيد عن مدى الأمد البعيدِ
مناقب قد سرت في كلّ فجّ ... كما سرت الكواكب بالسعودِ
مساع تترك الأوهام حسرى ... ولم تترك سبيلاً للصعودِ
ألا يا ابن الأولى سادوا البرايا ... وشادوا كلّ مكرمة وجودِ
شكاية من له ظلماً أُضيعت ... حقوق بين قالٍ أو حسودِ
عدوّ جاحد وزمان سوءٍ ... ألدّ عليّ من خصيم لدودِ
أتجحد حقّي الأيّام ظلماً ... ويسعدها الحسود على الجحودِ
ولي في كلّ مكرمة دليل ... على فضلٍ به كثرت شهودي

إلى أن يقول:

زففت إلى علاك عروس فكرٍ ... تردّت بالجميل من البرودِ
وحيدة دهرها فاقت جمالاً ... فتاقت أن تزفّ إلى وحيدِ
فدم كدوام فضلك في البرايا ... يبشّرنا بقاؤك بالخلودِ

وقد أجاب داعي ربّه عزّوجلّ في النجف الأشرف سنة ١٢٧٥، ودفن إلى جنب أبيه في حجرته من الصحن الشريف المعروفة[١]، وكان يومه مشهوداً(١).

[عقبه]

أعقب ـ أعلى الله مقامه ـ ولدين فاضلين كاملين: الميرزا جعفر، والسيّد محمّد عليّ.

أمّا الميرزا جعفر فقد كان من أفاضل الفقهاء، جليل القدر، عظيم الشأن في تقواه وورعه.

ولد أوّل الزوال من يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجّة ـ وهو يوم الغدير ـ سنة ١٢٤٦.

وأُمّه البرّة بنت الإمام المتبحّر الشيخ أسد الله الكاظمي صاحب المقابيس(٢) وأُمّها بنت الشيخ الأكبر الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء.

تخرّج الميرزا جعفر في الفقه وما إليه من علوم وفنون على أعلام النجف الأشرف في ذلك العصر، واختصّ بكبيرهم الشيخ مهديّ حفيد كاشف الغطاء، وكان الشيخ مهديّ ينوّه بفضله ويشير إليه.

وقطن السيّد طهران مدّةً من الزمان فاتّسقت له الأمور، وانقادت له الخاصّة والعامّة، فكانت له ثَمّة إمامة دينيّة، وزعامة زمنيّة، فخشي على نفسه من ذلك الظهور، ففرّ إلى العراق زاهداً في الجاه، وخوفاً من سوء عواقبه في الدار الآخرة.

---

(١) أبّنته العلماء، ورثّته الأُدباء، في ما سمعته من سلفنا الصالح، لكن لم يصل إليّ شيء من ذلك.

(٢) بهذه العلاقة، اتّصل شيخنا الفقيه العلّامة الشيخ محمّد تقيّ بن الفقيه العلّامة الشيخ حسن صاحب المقابيس بالسادة فتزوّج العقيلة الجليلة بنت السيّد أبوالحسن بن السيّد صالح وهي أمّ أولاده العلماء الأجلاء: الشيخ عبد الحسين، والشيخ عليّ، والشيخ محمّد.

---

١. في تكملة أمل الآمل: ٤٤١، الرقم ٤٣٢، ومعارف الرجال ١: ٤٣، الرقم ١٨، قالا: «إنّه ﷺ توفّي في الكاظميّة ودفن في الحائر الحسيني». وفي أعيان الشيعة ٢: ٣٢٧ قال: «إنّه توفّي في طهران ودفن في الحائر الحسيني». وراجع ترجمته في الكرام البررة ١: ٣٤.

وفي آخر حياته سكن كرمنشاه داعياً إلى الله عزّ وجلّ بالحكمة والموعظة الحسنة، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، حتّى أجاب داعي ربّه أواسط شهر رمضان سنة ١٢٩٧... وقد ترجمه سيّدنا في تكملة الأمل[١]، وله ترجمة في المجلّد السادس عشر من أعيان الشيعة ص ٣٣٩[٢].

وأعقب ثلاثة أولاد: السيّد موسى، والسيّد محمّد عليّ، والسيّد أبو الحسن.

أمّا السيّد موسى بن الميرزا جعفر فأُمّه بنت عمّ أبيه السيّد مهديّ بن السيّد صالح، وكان عالماً فاضلاً شاعراً أديباً كريم الأخلاق، تقيّاً سخيّاً، توفّي سنة ١٣٠٢ عن ولد واحد.

وأمّا السيّد محمّد عليّ وأخوه السيّد أبوالحسن فأُمُّ الأوّل منهما روميّة، وأُمُّ الثاني إيرانيّة. وقد أصابهما اليتم قبل البلوغ ولا أعرف عنهما سوى أنّهما كانا في كرمنشاه معدودين من الأشراف المحترمين.

وأمّا السيّد محمّد عليّ ـ صنو الميرزا جعفر ـ ابن السيّد أبوالحسن بن السيّد صالح فقد كان من الفضلاء والأُدباء، والعلماء والشعراء، والبررة الأتقياء.

ولد سنة ١٢٤٧، وتوفّي في كربلاء سنة ١٢٩٠ ولا عقب له؛ إذ لم يتزوّج.[٣]

له حاشية على قوانين الميرزا في الأُصول، ويتيمة الدهر في من لقيهم من أعلام العصر.

وقد ترجمه ابن عمّه سيّدنا في تكملة الأمل[٤]. وله ترجمة في المجلّد الثاني عشر من العرفان ص ٦٩٦.

ذكره صاحب الحصون في ج ٢ فقال:

ولد في الصحراء في الهور، كان أبوه مسافراً لتلك الجهة في تحويل السنة عام ١٢٤٧، كان عالماً فاضلاً، أديباً شاعراً، فقيهاً أُصوليّاً، كاتباً مترسّلاً، ماهراً في العلوم العربيّة، حضر على جملة من علماء عصره، كالشيخ مرتضى الأنصاري والشيخ مهديّ كاشف الغطاء

١. تكملة أمل الآمل: ٤٤١، الرقم ٤٣٢، ضمن ترجمة والده.
٢. أعيان الشيعة ٤: ٨٠. وللمزيد راجع ص ٧٧٤ ـ ٧٧٥، الذيل ١٧.
٣. تكملة أمل الآمل: ٤٤١، ذيل الرقم ٤٣٢ في ترجمة أبيه.
٤. المصدر: ٣٨١، الرقم ٣٧٠.

والحاجّ ميرزا عليّ الطباطبائي[١] والشيخ زين العابدين المازندراني[٢]. وكانت أُمّه بنت الشيخ أسد الله التستري صاحب المقابيس، وكان كثير الشرب لقهوة البن، حتّى أنّه تزوّج بابنة السيّد موسى الهندي أحد الأفاضل الأخيار وبقيت عنده مدّةً فلم يتمكّن منها فطلّقت منه وهي بكر، وكان مقيماً في دارنا في كربلاء لمّا كان أبي مقيماً أوّل أمره. حسن العشرة، سريع البادرة، ذكيّ الذهن، ذو قريحة وقّادة، وكان بديع النظم، وكان لي صديقاً معاشراً إلى أن انتقلت إلى النجف، وتوفّي عام ١٢٩٠ ولم يعقب.[٣]

الحديقة الرابعة

السيّد الشريف مهديّ بن السيّد صالح



ولد ـ أعلى الله مقامه ـ سنة ١٢٠٣.

وقد ذكره سيّدنا في تكملة الأمل[٤] وذكر اشتغاله في النجف الأشرف على علماء ذلك العصر، وأنّه توفّي قبل أخيه السيّد أبو الحسن.

ونصّ على أنّ العقب من ولديه السيّد محمّد والسيّد عبد الكريم، ووصف السيّد محمّد بالعالم الجليل، وذكر أنّه اجتمع به في العراق سنة ١٣٨٥، وأنّه سكن كردستان من بلاد إيران هو وأخوه السيّد عبد الكريم بن مهديّ. قال: ولا أعرف تواريخهما ولا عقبهما ؛ إذ انقطعت عنّا أخبارهما.

---

١. هو السيّد عليّ بن السيّد رضا بن السيّد مهديّ بحر العلوم الطباطبائي، عالم محقّق، برع في فقاهته مع غور واسع في الأُصول، وكان له اليد الطولى في الشعر والأدب، له البرهان القاطع في الفقه، توفّي في النجف الأشرف سنة ١٢٩٨. انتهى ملخّصاً عن معارف الرجال ج ٢ ص ١٠٧. «ع»

٢. من أعاظم العلماء، وأكابر الفقهاء، رجع إليه الناس في التقليد، ولا سيّما في البلاد الهنديّة، ولد حدود سنة ١٢٢٤، وتوفّي في كربلاء سنة ١٣٠٩. انتهى ملخّصاً عن معارف الرجال ج ١ ص ٣٣١، ونقباء البشر ج ١ ص ٨٠٥. «ع»

٣. للمزيد راجع ص ٧٧٥ ـ ٧٧٩، الذيل ١٨.

٤. راجع تكملة أمل الآمل: ٤٤١، ذيل الرقم ٤٣٢.

الصنو الثاني[١]

ـ من صنوي السيّد محمّد بن السيّد شرف الدين بن السيّد زين العابدين بن السيّد علي نور الدين ـ هو السيّد الشريف محمّد أبو إسماعيل

ويدعى السيّد محمّد الثاني(١)، ذو الذرّيّة الصالحة الباقي أكثرها في جبل عامل(٢).

وأُمّه بنت الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ صاحب الوسائل، فهو شقيق صنوه السيّد صالح.

كان ـ أعلى الله مقامه ـ من فقهاء أهل البيت الروحانيّين، وعلمائهم الربانيّين، جمع الفقه والأُصول والحديث، وأحوال الرجال، وأيّام الناس، والعلوم العربيّة، مع ورع تامّ، وزهدٍ عظيم، واجتهاد في العبادة، وسخاء هاشمي وتواضع للمؤمنين.

على أنّه كان يتجافى عن الناس غالباً، يؤثر الوحدة، والخلوّ بنفسه في غرفة له مغلقةً في أغلب الأوقات عليه، وكان يقول ـ إذا سُئل ـ: لا يستوحش من انفرد بالله عزّ وجلّ.

ولد ـ أعلى الله مقامه ـ في شحور صبح الخامس والعشرين من المحرّم سنة ١١٢٥ بعد رجوع أبيه من مهجره العلمي بأربع وعشرين سنة، ولأبيه يومئذٍ ستّ وسبعون سنة.

وقد أنبته الله ـ وصنوه الصالح ـ نباتاً حسناً، فارتشفا الدين والأخلاق، ومبادئ العلوم من سلسال أبيهما، وسلسبيله السهل السائغ.

---

(١) باعتبار أنّ أباه السيّد محمّد الأوّل.

(٢) فبعضهم لا يزال باقياً في شحور، وبعضهم ارتحل إلى صور.

---

١. فالصنو الأوّل هو السيّد صالح المتقدّمة ترجمته في ص ١٣٧. «ع»

وكان السيّد محمّد حين وفاة أبيه في الرابعة عشرة، فوقف بعده مع صنوه الصالح على عدّة من فضلاء عاملة، وربما قرأ على أخيه، ثمّ هاجرا معاً إلى العراق سنة ١١٥٥ وللسيّد محمّد يومئذٍ ثلاثون سنة.

فأقاما في الحائر المقدّس، والنجف الأشرف متفرّغين لطلب العلوم الشرعيّة، وأخذها عن أعلامها المحقّقين كالإمام الوحيد البهبهاني، ومن كان في طبقته.

ثمّ رجعا إلى عاملة سنة ١١٦٣ فأقاما في مسقط رأسيهما «شحور» يتعاونان على البرّ والتقوى، ونشر هدي آل محمّد وعلومهم عليهم السلام.

وكان السيّد صالح يتولّى الأمور العامّة بكلّ عناية وحكمة، وصنوه السيّد محمّد يؤيّده ويسدّد مراميه من حيث لا يكون له ظهور ؛ إذ كان كأبيه يألف العزلة ويؤثر الخمول، حتّى أنّه لم يقضِ في حياته بين اثنين، ولم يفتِ أحداً أبداً، مع وثوقه برسوخ ملكته في الفقه وإحاطته بأبوابه، ولكنّ الورع والاحتياط عصماه عن ذلك، فكان القضاء والفتوى لأخيه، وكان التدريس لهما، وكان دأبهما البحث عن غوامض العلوم على الاتّصال.

حتّى كانت فتنة الجزّار التي ألجأت السيّد صالح إلى الفرار من هذه الديار، وذلك سنة ١١٩٩ حيث هاجر إلى العراق كما فصّلناه عند ذكره.

وبقي السيّد محمّد في شحور، وقد أُسقط في يده بفراق أخيه، وأصبح غريباً وحيداً، وهو بين أهليه يسامر النجوم، ويساور الهموم، وقد أخذ الرعب منه مأخذه، فانقبض عن الناس فرقاً من الجزّار، قابعاً في قعر بيته، حتّى لحق بربّه يوم عرفات من سنة ١٢١٥ قبل هلاك الجزّار بأربع سنين تقريباً.

وله مدائح في أهل بيت العصمة كثيرةً، فمنها قوله ـ وقد طلب منه نظم حديث الكساء ـ:

دع عنك سعدى ودع شِعْباً بـبوانِ واستوقف العيس في أكناف كوفانِ

واجعل شعارك لله الخشوع بها ولذ بقبر إمام الإنس والجانِ
نفس الرسول أبي السبطين حيدرة كفء البتول شفيع المذنب الجاني

إلى أن قال:

هم أفضل الخلق أصحاب الكساء ومن قد باهل الله فيهما أهل نجرانِ
يا طالباً للكسا شرحاً نفصّله فاسمع نظامي بإمعان وإذعانِ
روى الثقات العدول الحافظون لنا رواية أرسلت عن خير نسوانِ
بنت الرسول البتول الطهر فاطمة ذات الفخار وذات الفضل والشانِ
أنّ النبيّ أتى يوماً لمنزلها يشكو من الضعف شكوى المدنف العاني

إلى آخر ما استرسل فيه من نظم الحديث على الوجه الذي أرسله الثقة الطريحي في منتخبه تفصيلاً، ثمّ قال ـ أعلى الله مقامه ـ:

يا منكراً فضل أصحاب الكسا سفهاً وزائغاً عنهم من غير برهانِ
سَلْ أمّك ....[1]
إنّا عذرناك إيماناً بسيّدنا الهادي النبيّ وقد نادى بإعلانِ
إنّا طهورٌ ونورٌ ليس يبغضنا إلّا ابن زانية لخناء أو زاني

إلى أن يقول:

لا قدّس الله أقواماً قد انقلبوا بعد النبيّ وضلّوا بعد تبيانِ
سمعاً بني الوحي والقرآن قافيةً من نظم نجلكم لا نظم حسّانِ
كأنّها روضة تزهو ببهجتها أو عقد درٍّ يُحلّي جيد مفتانِ
من سيّد موسوي فرع فرعكم يأتي بنظم يواقيت ومرجانِ
هذا محمّدكم يرجو شفاعتكم والعتق في حشره من حرّ نيرانِ
صلّى عليكم إله العرش ما صدحت حمامة أو تغنّت فوق أغصانِ

---
١. في خ جاء محذوفاً غير هاتين الكلمتين.

وله:

لساني بمدح رسول الله قد نطقا والقلب منّي في عقد الولا علقا
محمّد المصطفى أزكى الورى شرفاً وأفضل الخلق ماضيهم ومن لحقا
وأفضل الأنبيا طرّاً وخاتمهم وشأنه لوجود الأنبيا سبقا
لولاه ما كوّن الأكوان خالقها كلّا وآدمها لولاه ما خلقا

إلى آخر القصيدة.

وكانت المراسلة بينه وبين أخيه ـ بعد تفرّقهما ـ متواصلةً نظماً ونثراً، وفيها من الحنين والأشواق والعواطف وشكوى الزمان ما لا يسعه وصف، غير أنّ نظمهما لم يكن ممّا يجب أن يؤثر في شرع الأدب ؛ ولذا ضربنا عنه صفحاً، على أنّه لم يكن منحطّاً عن أكثر ما أنشأ من الشعر في ذلك العصر.

وكان السيّد ـ أعلى الله مقامه ـ جمّ المبرّات، صوّاماً قوّاماً، يعفو عمّن ظلمه، معروفاً بذلك، حجّ بيت الله الحرام مرّتين، تشرّف فيهما بالمدينة الطيّبة المنوّرة على مشرّفيها الصلاة والسلام، وزار الأئمّة في العراق ثلاث مرّات(١)، والمشهد الرضوي مرّتين، وكان عاكفاً على العبادة، معرضاً عن الدنيا وزهرتها كلّ الإعراض.

يروي عن جماعة من أعلام الأمّة، وأعلاهم سنداً والده السيّد محمّد بن السيّد إبراهيم شرف الدين عن شيخه صدوق المحدّثين الحرّ العاملي صاحب الوسائل بطرقه المعروفة[1].

---

(١) مرّةً يوم هجرته العلميّة وكانت سنة ١١٥٥، والثانية سنة ١١٩٢ ومعه الحاجّ إبراهيم خليل، والحاجّ زين خليل، والثالثة يوم لحق أخاه بعياله وأطفاله.

---

١. وقد ترجمه في ج ١ : ٣٦٣، الرقم ٣٥٢ من تكملة الأمل وله ترجمة في ج ٩ من أعيان الشيعة ص ٤٠٩. «ع»

[عقبه]

وقد أعقب من ولده السيّد الشريف إسماعيل(١) كان في التقوى والصلاح والورع على منهاجه، يتخلّق بأخلاقه، ويتوسّم١ بسيماه(٢)، فـإذا هـو أشبه شـيء بـه سُنَّةً وأُمّةً(٣)، جرى على أعراق آبائه في موجبات الإيمان كلّها، وفي كرم الأخلاق وعزّة النفس، وسموّها إلى المعالي، ونشاطها في العمل الصالح، وصونها صيانةً تـذود طـير الريب، وبهذا نيطت به الثقة، وألقى إليه أهل ناحيته مقاليد أمرهم، فكانوا لا يـقطعون أمراً دونه، ولا يردون ولا يصدرون إلّا عن رأيه ومشورته.

وكان موفّق الرأي، نصوحاً لله تعالى ولهم، يتوخّى لهم مناهج الرشد، بضمير صادق، وسريرة مخلصة، وكان معروفاً بذلك.

أخـذ عـن أبـيه العـلوم العـربيّة، وتـفقّه عـليه، وأجـازه إجـازةً مـفصّلةً بـطرقها كلّها، وكان من فضلاء عـصره، يـقدّره العـامّة والخـاصّة مـن مـعاصريه، ويأنسـون بناحيته.

ما استفزّه في حياته نزق، ولا استخفّه غضب، وكان يتلقّى هفوات الجاهلين بحلمه، ويتحمّل إساءاتهم بسعة صدره، وله في ذلك حكايات جرت مجرى الكرامات.

---

(١) ولم يعقّب من سواه، لكنّه رُزق أولاداً ماتوا قبل البلوغ، وراهق البلوغ أحـدهم وكـان يدعى عليّاً فقضى غريقاً في نهر الليطاني؛ إذ قذف بنفسه في النهر لينقذ غريقاً فماتا معاً ـ رحمهما الله تعالى ـ ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

(٢) تقول: تسوّمت بسيماه إذا علمت٢ نفسك بها، كما تقول: اتّسمت بسيماه.

(٣) أي صورةً وقامةً.

---

١. في خ: «يتسوّم».

٢. في خ: «أعلمت».

وكان نهّاضاً بأُمور معاشه، كما كان مطبوعاً على العمل ليوم معاده، يقظ الجنان في تدبير شؤونه في هذه الحياة، دائباً على العمل في طلب الرزق الطيّب حتّى أغنى وأقنى، وتوسّع في ما أنعم الله عليه بكدّ يمينه، فكلّ ما في أيدي أحفاده في شحور من أملاك وأرض ودور إلى يومنا هذا فإنّما هو موروث عنه، فنحن إلى الآن نرتع في نعمته، وما قد بعناه نحن وآباؤنا من تركته أضعاف ما بقي منها في أيدينا، فجزاه الله عنّا خير جزاء المحسنين.

وكانت وفاته في شحور سنة ١٢٦٦ عن نحو ثمانين من عمره الشريف.

وأعقب ولدين كريمين نهج لهما في التقوى سبيله، وحملهما في الورع على جادّته، فاقتصّا في حسن السيرة وطيب السريرة أثره، وتحلّيا من مكارم الأخلاق ومحامد الصفات بحليته، فكانا من أمثل السادة وأدناهم إلى الخير، وهما جدّنا السيّد جواد وصنوه السيّد أبو جعفر[1].

ومعقّب الذكور منهما إنّما هو السيّد جواد، ولد ﷺ سنة ١٢٢٢، وكان من علية الأشراف، وجلّة السادة، سهل الجانب، سمح المقادة، وادعاً وقوراً حمولاً ذا بشاشة

(١) واسمه محمّد كان صوّاماً قوّاماً زاهداً في الدنيا، معرضاً كلّ الإعراض عنها، لا يُعني بغير العبادة ولا يأنس إلّا بها، نُزُله ومأواه في الليل والنهار غالباً إنّما هو المسجد، قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً، يتلو القرآن ويتدبّره خاشعاً باكياً، وكان من حفظته ومجوّديه صيّتاً إلى الغاية فيه، متفقّهاً في الدين، محتاطاً فيه، شديداً في ذات الله، لا تأخذه فيه لومة لائم، وعلماء عصره وأتقياؤهم كانوا يتبرّكون به، ويزورونه في مسجده يلتمسون أدعيته، وكان كثير التضرّع إلى الله والابتهال إليه عزّ وجلّ بالأدعية المأثورة وغيرها، لا يفوته من سنن اليوم والليلة شيء في غالب أيّامه، وقد نزع يده من كلّ ما كان يملكه وتخلّى عنه لأخيه، وكان مئناثاً أعقب ثلاث عقائل، تزوجهنّ ثلاثة من أبناء عمهنّ، وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في حدود سنة ١٢٧٩ عن إحدى وخمسين من عمره الشريف.

وأريحية، حلو المعاشرة، خفيف الظلّ، شاهد اللبّ، ذكيّ القلب، من ذوي الأحلام الراجحة، والعقول الوافرة، في منتهى الورع والاحتياط.

وبهذا وقع في نفوس الخاصّة والعامّة موقعاً جليلاً، فكان العلماء من معاصريه يكبّرونه في كرم نفسه، وشريف ملكاته، وطهارة محتده، والناس تعظّمه وتقدّمه بكلّ ارتياح وكلّ جدارة، حتّى قضى نحبه، ولقي ربّه مبروراً مشكوراً في أوائل جمادى الأُولى سنة ١٢٩٧، وكان آخر كلامه: ربّ توفّني مسلماً وألحقني بالصالحين.

وكان يومه مشهوداً، وتولّى تغسيله السيّد الجليل البدل السيّد موسى(١) الحسيني الزهراوي، وصلّى عليه الفقيه الورع العلّامة الشيخ محمّد عليّ عزّالدين[١] في خلائق كثيرة، ودفن خلف قبر والده أعلى الله مقامهما.



وأنجب خمسة بنين ميامين:

(١) المتوفّى ٢٨ ربيع الأوّل سنة ١٣٠٢ في إسماعيليّة مصر راجعاً من أداء فريضة الحجّ، وهو السيّد موسى بن الشريف السيّد حسن بن الشريف يوسف بن الشريف درويش بن قاسم بن قاسم بن صلاح الدين بن قاسم بن زهرة بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن حمزة بن عبد الله بن محمّد بن محمّد بن الحسن بن الحسن بن زهرة بن الحسن[٢] بن حمزة بن عليّ بن زهرة بن عليّ بن زهرة بن عليّ بن محمّد بن محمّد بن أحمد بن أبي العبّاس بن الحسين بن إسحاق بن الإمام الصادق عليه السلام. والعقب من السيّد موسى هذا منحصر بولده الفاضل الأمجد السيّد أحمد القاطن هو وذرّيّته في شحور.

١. كان عالماً فقيهاً جليلاً مكثراً من التأليف، ولد سنة ١٢٣٧ وتوطّن حنويه، رأس في عصره وافتتح مدرسةً زهت مدّةً بالطلبة وأهل الفضل، وكان زاهداً ينفق ما في يده على الفقراء والمحتاجين، توفّي سنة ١٣٠١ [لمزيد الاطّلاع على ترجمته راجع أعيان الشيعة ٩: ٤٤٧]. «ع»

٢. في «خ»: «الحسين» بدل «الحسن».

أوّلهم: السيّد الشريف عليّ، ولد سنة ١٢٥٢[١] في شحور، ومات فيها سنة ١٢٧٣، ولم يتزوّج، وكان من شباب الفضيلة والأدب، قرأ العلوم العربيّة ومبادئ الفقه والأُصول في جبع على عهد المقدّس الشيخ عبدالله بن علي نعمة.

وكان نابه الذكر تقوىً وتحصيلاً وشجاعةً، وحسن سيرة، جيّد الخطّ[٢]، نديّ الصوت، ولا سيّما في الأذان وتجويد القرآن.

---

(١) في هذه السنة زلزلت الأرض في سوريّا زلزالاً عظيماً فهدمت من بلادنا عثرون[١] وقدس، وهدمت صفد، ولم تخل قرية من الهدم، وقد أرّخها الفقيه العلاّمة أبو محمّد الشيخ عليّ مروّة فقال:

ظهر الفساد على البسيطة فاختشت　ربّ العباد فزلزلت زلزالها
أمست تميد بأهلها فكأنّها　أرجوحة جذب القويّ حبالها
ومياهها كادت تغيض وتخرج　الأثقال لمّا ربّها أوحى لها
دهش الأنام لهولها فكأنّهم　شهدوا القيام وشاهدوا أهوالها
ولعظم ما عاينت قلت مؤرّخاً:　يا أيّها الناس اتّقوا أمثالها

سنة ١٢٥٢.

وكان الشيخ يومئذٍ في قرية صلحا فهدم عليه البيت، لكنّه أخرج حيّاً بعد اليأس منه. وله عقب إلى الآن ـ في قريتي حداثا وحاريص ـ نابه، ومنهم حفيده وسميّه الفقيه المقدّس العلاّمة الشيخ عليّ بن الشيخ محمّد مروّة، المتوفّى سنة ١٣٣٨، وكان من البررة الخيرة ومن أفاضل العلماء والأُدباء والشعراء، وهو أبو الحسين المبرز في أدبه، والنابغة فيما يلفظه من فمه وقلمه وفّقه الله تعالى.

(٢) عندنا كتب بخطّه منها: شرح القطر لجمال الدين عبدالله بن أحمد بن عليّ الملكي[٢] الشافعي المعروف بالفاكهي، المتوفّى سنة ٩٧٢. ومنها: شرح شواهد العيني، والعيني هو قاضي القضاة محمود بن أحمد الحنفي الحلبي العينتابي، المتوفّى في مصر سنة ٨٥٥.

---

١. في «خ»: «عيثرون».
٢. في «خ»: «المكّي».

فاجأته الحمى وهو منقطع إلى طلب العلم في جبع فحمله أبوه إلى بلده، ومضى لسبيله مأسوفاً عليه من عامّة الناس وخاصّتهم.

وكان يومه مشهوداً، صلّى عليه أُستاذه فقيه عاملة في عصره الشيخ عبدالله نعمة(١) في طائفة من علماء البلاد، ولفيف من بشارتها وشقيفها رحمه الله تعالى.

ثانيهم: السيّد الشريف محمود، المولود سنة ١٢٥٥، والمتوفّى سنة ١٣١١.

وقبره إلى جنب قبري أبيه وجدّه، وكان شريفاً نبيلاً جواداً جليلاً فاضلاً كاملاً ذكيّاً ألمعيّاً ورعاً من الصالحين المصلحين، أبي النفس، ذا حفيظة شديدة، وحميّة هاشميّة، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لا تأخذه في الحقّ لومة لائم.

وكان شديد الثقة بالله والتوكّل عليه، بليغ الخطاب، حاضر الجواب، يقول الحقّ ولو على نفسه أو الأقربين، لا يتزلّف بشيء من أقواله وأفعاله، ويكره ذلك إلى الغاية، وكان لا يماري ولا يداري المستبدّين والمستأثرين، وله في ذلك نوادر وحكايات كثيرة يطول المقام بإيرادها.

صرف جانباً من عمره في تحصيل العلم في جبع أيّام المقدّس الشيخ عبدالله نعمة، فقرأ النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق وعلم التجويد وتفقّه في الدين، وصدّه عن الهجرة إلى النجف الأشرف لإكمال علومه مرض أصابه في صلبه احدودب به ظهره، فكان رهن الفراش من أيّام شبابه حتّى لحق بربّه محموداً مبروراً.

وأعقب أربعة من السادة، وهم: السيّد محمّد، والسيّد حسن، والسيّد عبد الحسن، والسيّد عليّ.

---

(١) المتوفّى سنة ١٣٠٣ في بلدة جبع.[1]

---

١. لمزيد الاطّلاع على ترجمته راجع أعيان الشيعة ٨: ٦٠.

أمّا السيّد محمّد فقد ولد سنة ١٢٨٢، وتوفّي يوم ١٣ من شهر رمضان(١) سنة ١٣٥٣، وكان من الأتقياء والصالحين.

حجّ بيت الله الحرام مرّتين تشرّف فيهما بالمدينة الطيّبة. وزار الأئمّة في العراق وخراسان مرّتين أيضاً، وكان سيّداً أيّداً وسيماً جسيماً صيّتاً، أخذ التجويد عن أبيه فكان من القرّاء، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ مئناثاً.

وأمّا السيّد حسن فقد ولد سنة ١٢٩٣، وتوفّي يوم ١٠ من صفر(٢) سنة ١٣٤٩ وكان من الصالحين صوّاماً قوّاماً.

وأنجب ولداً واحداً هو السيّد محمود أبوالرضا، ولد سنة ١٣١٢ وأنشأه الله منشأً مباركاً، فإذا هو من نجباء هذه الأسرة المهذّبين سيرةً وسريرةً، وهو من التجّار الأخيار، حجّ ـ ولله الحمد ـ وزار، ملأ بهديه الأسماع والأبصار[1]. وله ثلاثة أولاد: محمّد رضا[2] المولود في رجب سنة ١٣٤٥، وحسن المولود ١٥ ربيع الأوّل سنة ١٣٦٣، وحسين المولود في ٢٢ صفر سنة ١٣٦٦[3].

(١) في مستشفى الأميركان ببيروت؛ إذ دخله لعلاج وجع أصابه في صلبه تبيّن أنّه من نوع السرطان فأدركه ثمّة أجله، ووقع على الله أجره، وحمل نعشه بكلّ احترام إلى بلده فدفن في مقبرة أهله.

(٢) في بعض مستشفيات بيروت بسبب عمليّة جراحيّة عملت به؛ لاستخراج حصيات كانت في شحم كليتيه، وبعد وفاته ثمّة حمل نعشه إلى بلده فدفن في تربة سلفه.

١. توفّي ﷺ في ٢ شوّال ١٣٨١ في صور، ونقل جثمانه بوصيّة منه إلى النجف الأشرف ودفن في إحدى غرف صحن روضة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام. «ع»

٢. توفّي ﷺ في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٩٨ وأعقب أربعة أولاد هم: عليّ ولد في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٦٥، ومصطفى ولد في ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٦٩، ولمصطفى هذا ولدان هما: وسام ولد في ذي الحجّة سنة ١٣٩٥، ومحمّد ولد في رمضان سنة ١٣٩٩، وعمّار ولد في ٢٤ رمضان سنة ١٣٧٥، وياسر ولد في ٤ صفر سنة ١٣٧٩، ولعمّار ولد اسمه عامر ولد في ٥ المحرّم سنة ١٤٠٧. «ع»

٣. للرضا ولد اسمه علي المولود في ربيع الثاني ١٣٦٤، وللحسين هذا ولدان: محمود المولود في ٧ ذي الحجّة سنة ١٣٩٨، وأحمد المولود في ٤ رمضان سنة ١٣٩٩. أمّا أخوه حسن فهو غير متزوّج وقد توفّي قبل فترة في بيروت. «ع»

وأمّا السيّد عبد الحسن فقد ولد سنة ١٢٩٦، وهو من صالحي السادة وأتقيائهم لا يُعنى بغير ما يصلح نفسه عند الله عزّوجلّ ويقرّبه إليه زلفى، وهو مئناث[١].

وأمّا السيّد عليّ فقد ولد سنة ١٢٩٩، وتوفّي ثالث ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ غرقاً في نهر الليطاني، وكان شابّاً وسيماً شهماً كريماً أيّداً شجاعاً. أحيا من فتاة، وأجرأ من أسد، كريم الأخلاق إلى الغاية، تعلّق الآمال عليه. ترك طفلاً مات بعده بمدّة قصيرة، وكانت زوجته حاملاً وضعت بعده بنتاً.

ثالثهم: والدي المقدّس السيّد يوسف، سنذكره وعقبه في تتمّة هذا الباب.[٢]

رابعهم: السيّد الشريف إسماعيل، ولد سنة ١٢٧٠ وكان سريّ الأخلاق، حرّ الخلال، كريم المخبر، جزل المروءة، شريف المساعي، رحب الجناب، سهل الفناء، موطّأ الأكناف، عزيز النفس، رفيع المصعد، رقيق الحاشية، سهل الجانب، تفقّه وتأدّب على أخيه الفقيه العلّامة والدي، وكان على جانب من الصلاح والشدّة في أمر الدين، والحبّ في الله، والبغض في الله، حسن الخطّ، نديّ الصوت، ذا سليقة معتدلة في كلّ أُموره، بصيراً في شؤون الزراعة والغرس، وله يد مطاوعة لأفكاره، فقلّما رأت عيناه شيئاً من الصناعة إلّا احتذى مثاله، وكان موضع الثقة في ناحيته، وعيبة أماناتها، وخزانة أسرارها، يؤثر صديقه، لا يخيب قاصديه، فإذا احتاج أحدهم إلى استقراض مال عمد إلى بيته أو كرمه فباعه بالكمّيّة التي يريدها صديقه، وأبقى الخيار لنفسه إلى مدّة معلومة إن أرجع المبلغ، بهذا ونحوه كان يقضي حاجة أصدقائه، فلمّا توفّي ﷺ وجدنا تركته بأجمعها مرتهنةً في هذا السبيل، وله نوادر كثيرة تمثّل كرم الأخلاق، وشرف النفس بأجلى مظاهر العبقريّة، وفي

١. توفّي عليه الرحمة والرضوان في ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٧٧.«ع»

٢. سيأتي في ص ٤٠٦ وما بعدها.

سنة ١٢٩٨ زار أئمّة العراق عليهم السلام بخدمة أخيه ـ المقدّس ـ والدي.

وفي سنة ١٣٠٤ ساقته السلطة العثمانيّة في جيشها إلى مقدونيّا في جماعة من أهل الفضل، كالمقدّس العلّامة الشيخ محمّد دبوق(١)، والشيخ طالب بن الشيخ محمّد سليمان البياضي(٢)، والسيّد محمّد بن السيّد عبد المطّلب نور الدين الموسوي(٣) وغيرهم، فأصابه رمد شديد ذهبت به عينه اليسرى، وأُصيبت اليمنى ببياض ذهب بالكثير من نورها فرجع وهو على تلك الحال، وكان قبل حديد البصر، أوطف الأهداب.

وفي شهر رمضان سنة ١٣٢٥ أصابته حمى شديدة أشفى فيها، ثمّ أعقبتها حمى لازمة فَبُحّ صوته وضعف وهزل، غير أنّه لم يغيّر شيئاً من عاداته الحسنى في استقبال الناس صباحاً ومساءً من كلّ يوم.

وفي آخر أيّامه انفجر صدره دماً فكان يقلب بعض قطعه في الطست بعودة باكياً على الإمام أبي محمّد الحسن السبط عليه السلام قائلاً: روحي لك الفدا يا مولاي ولي بك أُسوة فإنّكم الأُسوة لمن تأسّى، والعزاء لمن تعزّى.

وانقطع إلى الله ـ تعالى ـ يائساً من الحياة، وأوصى إلى شقيقه السيّد والدي، ولم يفتر بعدها عن ذكر الله عزّ وجلّ والتوسّل إليه ـ جلّ وعلا ـ بالنبيّ صلى الله عليه وآله، وبالأئمّة عليهم السلام حتّى لحق بهم وهو يقول: ربّ توفّني مسلماً وألحقني بالصالحين.

وكانت وفاته ليلة السبت الثامنة عشرة من ربيع الأوّل سنة ١٣٢٧، وكان يومه يوم

---

(١) المتوفّى في قرية حرب سلم سنة ١٣١٧، وكان من أبرار العلماء الربانيّين وأخيارهم.

(٢) المتوفّى في المدينة المنوّرة سنة ١٣٢٦، وكان من أهل العلم الصالحين.

(٣) المتوفّى في بلدة جويا سنة ...

أسف وحزن شديدين استوى فيهما الخواصّ والعوام، وبلغ الجزع بصنويه ـ السيّد المقدّس والدي، وعمّي السيّد حسين ـ كلّ مبلغ، حتّى لم يستطع سيّدنا الوالد أن يقف للصلاة عليه[١] فأمرني بذلك، فصلّيت عليه في جماهير من أطراف البلاد العامليّة ما فيهم غير الآسف والمثني عليه، والداعي له بالرحمة والمغفرة، وكانت مآتمه يوم الوفاة ويومي الأُسبوع والأربعين حافلةً بالتأبين، مكتظّةً بعلماء البلاد وأُدبائها وسوادها، ألحقه الله بدرجة الصدّيقين من آبائه.

وكان قد ولد له بنون كثيرون مات جلّهم على عهده أطفالاً، وإنّما ترك أربعة أشبال: السيّد عبدالله، والسيّد محمّد[٢]، والسيّد عليّ، والسيّد عبد الحسين[٣].

أمّا السيّد عبدالله فقد ولد ليلة الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٠٣.

وأمّا السيّد محمّد فقد ولد في الرابع عشر من شعبان سنة ١٣٠٧، وتوفّيا في أُسبوع واحد أثناء شهر شعبان سنة ١٣٣٣ بوباء الحرب العالميّة، وكانا من أُولي النجابة والآداب، ممتازين بين الشباب في دينهما وأخلاقهما ـ تغمّدهما الله برحمته ـ ولم يعقبا.

وأمّا السيّد عليّ ـ ويدعى أبا هاشم ـ فقد ولد في الليلة الخامسة والعشرين من رجب سنة ١٣١٠، فحمله أبوه المبرور على جادّته في الصلاح والتقوى، ونهج له في الهدوء والسكينة سبيله، فيمّم سمته، وتحلّى بحليته، وما إن ترعرع حتّى بلوت أخلاقه،

---

(١) سبقه إلى ذلك علم الهدى السيّد الشريف المرتضى ؛ إذ لم يستطع أن ينظر إلى جنازة أخيه الشريف الرضي فصلّى عليه غيره.[1]

(٢) وأُمّها بنت عمّه السيّد محمّد المعروف بالسيّد أبو جعفر.

(٣) وأُمّها كريمة الحاجّ قاسم بن الحاجّ يحيى الزين.

---

١. راجع روضات الجنّات ٦: ١٩٧ ـ ١٩٨، الرقم ٥٧٨.

وتعرّفت دخائله، فاصطفيته من أهلي، وضممته إلى نفسي، وقرنته بعقيلة عمّه أُختي(١). فكان أكثر أهل بيتي لي خلطةً، وأنفعهم لي صحبةً، لم يفارقني في حضر ولا سفر منذ ثلاثين سنةً أو أكثر، كان معي في حجّي وعمرتي، وفي زيارتي لأئمّة الهدىعليهم السلام في العراق وخراسان، قائماً بمهمّاتي في سائر أوقاتي، وقد أبلى أيّام تشريدي(٢) بلاءً حسناً، ما رأيته من صديق حميم، ولا من رحمٍ رحيم، وله بلاء مشكور باستنساخ مؤلّفاتي وتسجيل خطبي وكتاباتي كلّها بخطّه الجميل وبقيامه على طبع ما طبع منها، محترزاً كلّ الاحتراز من وقوع الغلط في طبعها، باذلاً في ذلك كلّ جهده.

ولعمري إنّه ما قصّر في شيء ممّا عهدت به إليه، ولا ونى[١] في شيء ممّا اعتمدت به عليه، وبذلك أصفيته برّي، ومنحته شكري، فإذا هو ـ من دون أهلي ـ صاحبي وكاتبي، وأثيري وسفيري، وخاصّتي وخِلْصِي، وإذا هو منية نفسي، ومحلّ أُنسي.

تفقّه عليّ فاتقن ما هو محلّ ابتلائه في العمل من الأحكام الشرعيّة الفرعيّة على سبيل التقليد المبرئ للذمّة، واستفاد فوائد جمّةً في صحبته إيّاي طيلة هذه المدّة، ولا

(١) وهي أمّ بناته الأربع، وكانت من المؤمنات الصالحات، وفي سنة ١٣٧٢ حجّت بيت الله الحرام فاختار الله عزّوجلّ لها دار كرامته يوم الأضحى في منى رحمها الله تعالى. ثمّ تزوّج بعدها بكريمة العبد الصالح الحاجّ أحمد جابر وهو من المؤمنين الأخيار من عائلة عريقة في بلادنا، فرزقه الله ـ جلّ جلاله ـ منها ولداً أسماه إسماعيل وقد ولد ضحى يوم الخميس الرابع من رجب سنة ١٣٧٥.[٢]

(٢) وذلك سنة ١٣٣٨هـ وسنة ١٩٢٠م والتفصيل في محلّه.

١. وَنى في الأمر: فتر وضعف وكَلَّ وأعيا. المعجم الوسيط: ١٠٥٨، «و. ن. ى».

٢. ورزق أيضاً ولداً ثانياً اسمه محمّد صادق، ولد في ٢٥ المحرّم سنة ١٣٨٤. «ع»

سيّما بقراءته عليّ كلّ ما أخرجه قلمي من المؤلّفات وغيرها، حتّى رسائلي وتحاريري إلى الناس[١] على اختلاف منازلهم، ممعناً في فهمه حين كتابته، وحين قراءته، وحين طبع ما طبع منه، ولم يأتني كتاب ولا استفتاء إلّا قرأه عليّ، فأمليت الجواب عليه فكتبه بخطّه.

وقد كفاني في تأليف هذا الكتاب مؤونة البحث عمّا قيل في آل شرف الدين من المدائح والمراثي ؛ إذ كان دوّنها من قبل في مجاميع أفردها لها[٢]، فأخذتها عن تلك المجاميع عفواً صفواً.

وقد رأى بعض الأعلام[١] صورته فوقّع عليها بخطّه الشريف:

روح الكمال تجسّمت بمثال ذي الشرف الأصيل
والشمس أبدت شكلها عكساً لمنظره الجميل
وبنور ثاقب وجهه عكست بنور مستطيل
هي هيكل للموسوي النسب ذي النسب الخليل
ذاك «العلي» أبو العلى وقبيله خير القبيل
من معشر قد حلقوا في الدهر جيلاً بعد جيل

وكان قد كتب بعض الأفاضل[٢] كتاباً فأجابه عنه بما يلي :

بأبهى من العِقْيان في عنق الدمى كتابك وافانا جماناً منظّماً

(١) وقد دوّن شيئاً منها فأفرده برسالة أسماها الشذرات.

(٢) فنها: المجموعة التي أسماها صدى التهاني ببلوغ الأماني ومنها: مجموعة رسائل ومسائل.

١. هو الفقيه العلّامة السيّد صدر الدين بن السيّد محمّد أمين بن السيّد محي الدين آل فضل الله الحسني العيناثي المتوفّى سنة ١٣٦١.«ع»

٢. هو العلّامة القاضي الشيخ محمّد حسين بن المرحوم العلّامة الشيخ عبدالكريم بن المقدّس الشيخ حسين المعروف بالشيخ أبوخليل بن الحاج سليمان بن الشيخ علي الزين.«ع»

ولمـا مـضضنا عـنه مسك خـتامه　　قـرأنـاه قـرآن البـلاغة مـحكماً
نـعمتُ بـه مَـرْءً سـماعاً تـلاوةً　　لقـاءً فـؤاداً مـقلّةً اذنـاً فـما
ومـا طـرسه إلّا سـماء بـلاغة　　بـها بـزغت سيّارة الفـضل أنـجماً
عـجبتُ بـه بـحراً وإن قـلّ جـحمه　　عـريضاً بـزخـار البـلاغة مـفعماً
فـبات لنـا مـنه سـمير حـديثه　　من السلسبيل الهذب أشهى على ظماً
وبتُّ قـرير الطـرف فـيه كأنّـما　　تـوسّدني ذات الأسـاور مـعضماً
ورحتُ وصـحبي مـنتشين كأنّـما　　تـدير عـلينا الراح مـعولة اللّـما
يـميناً بـمنشيه أليّـة صـادقٍ　　أحـقّ الورى بـالبرء إنْ هـو أقسـما
لأنت وإنْ شـطّت خـيامك نـازحاً　　أراك بـقلبي لا تـزال مـخيما
مـحضتك ودّاً عـن سـواك حـبسته　　وعـاصيت عـذّالاً وخـالفت لُـوما
وإنّـي وإن أُهـدي العـظيم مـن الثنا　　أرى بعض ما تـهديه أسـنى وأعـظما

وكان للسيّدين المقدّسين ـ والدي وأخي ـ عطف خاصّ عليه، لهديه وحسن سمته، وله منذ حداثة سنّه مكانة المحبوب للقريب والبعيد[1].

وأمّا السيّد عبد الحسين فقد ولد في الليلة الثامنة من المحرّم سنة ١٣١٤ فأدرك من حياة المبرور أبيه ثلاث عشرة سنةً تقريباً، جوّد عليه القرآن، واقتبس منه الهدى والإيمان، فهو من السادة النجباء المحترمين.

وتوفّي في المستشفى في حيفا، ونقلت جثّته إلى بلدة شحور، فدفن فيها يوم الخميس ٢٢ ذي القعدة سنة ١٣٦٥ الموافق ١٧ تشرين الأوّل ١٩٤٦ إلى جنب عمّه المقدّس والدي، وكان الأسف عليه عامّاً والحزن شديداً تغمّده الله برحمته.

١. توفّي عليه الرحمة في ١٢ شوّال سنة ١٣٨٧. «ع»

وله خمسة شبول(١): إبراهيم[1] المولود ثالث شعبان سنة ١٣٤٦هـ، ومحمّد علي[2] المولود ١٥ شوّال سنة ١٣٤٨، وعبدالله المولود ٦ رجب سنة ١٣٥٢[3]، وعبدالكريم المولود ١٨ ذي الحجّة سنة ١٣٥٤[4]، وعبد العزيز المولود في ٥ شعبان سنة ١٣٥٧[5]، وفّقهم الله لرضاه، وجعلهم من السادة القادة إلى سبيل الله.

وإنّ مخايل النجابة واضحة فيهم، وملامح الوراثة ناطقة بهم، وإنّهم جميعاً أصحاب مكتبات مدرسيّة وتراثيّة.

خامسهم: السيّد الشريف حسين ذو المناقب، ويكنّى أبا محمّد، ولد سنة ١٢٧٥ في شحور، وتوفّي فيها يوم الأحد ٢١ رجب سنة ١٣٣٥.

---

(١) وقد أُصيب بولده الأكبر إسماعيل المولود ٦ ذي الحجّة سنة ١٣٤٤، والمتوفّى سنة ١٣٦٣ قبل أن يتزوّج، وأمّه هي أمّ شقيقيه إبراهيم ومحمّدعليّ كريمة عليّ أيّوب بحسون، أمّا باقي إخوته، فأمّهم كريمة الشيخ حسين بن الشيخ محمّد الهادي من الأسرة الوائليّة المعروفة بآل عليّ الصغير.

---

١. لإبراهيم هذا أربعة أولادهم: خليل المولود في ٢٩ ربيع الثاني سنة ١٣٧٣، وهو رقيب في الجيش. عبد الحسين المولود في ٧ جمادى الأُولى سنة ١٣٧٤، تخرّج طبيباً من إحدى الجامعات الروسيّة، وله ولد اسمه رامي وقد ولد في جمادى الثانية سنة ١٣٩٩. حسن ولد في أوّل ذي الحجّة سنة ١٣٨٥. قضى نحبه بحادث الانفجار في ١٦ محرّم سنة ١٤٠٥ عليه الرحمة له ولد اسمه عليّ وقد ولد في ١٦ ذي القعدة سنة ١٤٠٣.«ع»

٢. ولمحمّد عليّ هذا خمسة أولاد وهم: نزار ولد في ٣ جمادى الأُولى سنة ١٣٧٤ وقد تخرّج من الجامعة اللبنانيّة. ونبيل ولد في ٢٨ رجب سنة ١٣٧٨. وناصر ولد في ١٧ شعبان سنة ١٣٧٩. ويوسف ولد في ٤ ذي القعدة سنة ١٣٨٥. وجعفر ولد في ٢٨ المحرّم سنة ١٣٩٠ ويسيرون على نهج آبائهم.«ع»

٣. ولعبد الله هذا ولدان: محمّد المولود في ٦ ربيع الأوّل سنة ١٣٨٤، ووائل المولود في أوّل صفر سنة ١٣٨٦.«ع»

٤. ولعبد الكريم هذا ولدان: حسين المولود في ٦ ذي القعدة سنة ١٣٨٨، وهو منذ نعومة أظفاره ملتزم بواجباته اليوميّة حتّى أصبح ابن العشرين يكاد يكون من عباد المؤمنين، وفي مقدّمة الطلّاب الجامعيّين. وحسن ولد في ١٠ شوّال سنة ١٣٩٤.«ع»

٥. ولعبد العزيز هذا ولدان: عليّ ولد في ٢٩ جمادى الأُولى سنة ١٣٩٢، وحسن ولد في أوّل المحرّم سنة ١٣٩٨، ولهما مستقبل كريم يدلّ عليه حاضر عتيد.«ع»

كان عليه الرحمة بقيّة الأشراف، وتليّة الأحرار، ربيب السيادة، وتوأم النجابة، وصنو المروءة، وخلاصة الحسب، وعصارة الكرم، من ذوي الجرأة والإقدام، والنجدة والحفيظة، وأباة الضيم، وله في ذلك مواقف كريمة مع المستأثرين من المترغّمين، ومن ممثّلي الحكومة العثمانيّة في بلادنا دفاعاً عن المظلومين، وكان حاضر الجواب مفوّهاً لا تفوته النكتة، صدوقاً إلى الغاية، يؤذيه الكذب فيستفزّه، وكان سريع الغضب، سريع الرضى، يبادر إلى العفو عمّن اعترف له واعتذر إليه.

حجّ بيت الله الحرام مرّتين تشرّف فيهما بالمدينة الطيّبة على مشرّفيها الصلاة والسلام، وزار الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام مرّتين ـ أيضاً ـ.

وكان من الورع والتقوى بمكان، معروفاً بذلك لدى الخاصّة والعامّة. لم يفته من رواتب النوافل شيء إلّا لعذر حتّى قضى نحبه مأسوفاً عليه.

وقد أوصى إليّ فقمت بما أوصى ـ والحمد لله ـ واشتركت البلاد العامليّة معنا في تشييعه والصلاة عليه، والاحتفال بمآتمه الحزينة.

وأعقب خمسة من الشبول: محمّداً، ومحمّد عليّ، ومحمّد حسن، وعبد الكريم، وعبدالله.

أمّا السيّد محمّد فقد كان من فتيان السخاء والحباء والحياء والوفاء والإباء والاستقامة والشهامة والكرامة، يمثّل سلفه الهاشمي نجدةً وحفيظةً وعبقريّةً بكلّ ما لها من المعاني.

وقد ولد يوم ١٨ من جمادى الأُولى سنة ١٣٠١ في شحور، وتوفّي فيها أواخر شعبان سنة ١٣٣٥ بعد وفاة المرحوم أبيه بمدّة يسيرة، وكان ذا حظّ بالمضاربة والتجارة، يربح فيها ما لا يربحه غيره، ويخرج خمس الأرباح بمجرّد حصولها لا ينتظر فيه الحول.

وكان بارّاً بوالديه إلى الغاية، وصولاً لأرحامه من أعمامه وبني أعمامه قليل النظير

في ذلك. لم يعقب سوى ولد واحد يدعى نور الدين المولود سنة ١٣٣٣[١].

وأمّا السيّد محمّد عليّ فقد ولد سنة ١٣٠٥، في شحور، وتوفّي في صور أواخر سنة ١٣٤٠[(١)]، وكان من نجباء السادة.

ضرب في الأرض وراء المضاربة، وغامر في سبيلها في البحر ابتغاء الرزق الحلال، فرجع من أفريقيا مصاباً بداء السرطان فقضى عليه راضياً بقضاء الله، محتسباً ما أصابه في جنب الله تعالى، وأعقب ولداً واحداً اسمه ضياء الدين ولد سنة ١٣٣٦[٢].

وأمّا السيّد محمّد حسن فقد ولد في ٢٩ صفر سنة ١٣١٠ في شحور، وهو من خيار السادة ورجال الخير، وأهل السمت، وممّن يتوسّم فيهم الصلاح، برّ مواسٍ مصافٍ، محمود الخلطة، حسن الجوار، جميل السيرة، طيّب السريرة، عيوف للشرّ، عزوف عن اللغو، نزوع عمّا لا يعنيه، ناءٍ عن كلّ ما يعاب، في الطليعة من عدول

---

(١) وأمّه هي أمّ أخيه المتقدّم السيّد محمّد، وهي بنت الوجيه الكريم موسى مزيد الحاجّ، أمّا باقي إخوتها فأمّهم بنت الحاجّ محمّد عليّ عاصي وجيه وقته في قرية أنصار.

---

١. توفّي في ١٩ شعبان سنة ١٣٩٦ وكان من أهل النجدة والسخاء أعقب ثمانية أولاد:

أوّلهم: محمّد ولد في ٢٨ شعبان سنة ١٣٥٦ وله ولد اسمه حسين.

ثانيهم: عبد الأمير ولد في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٦٩ وله ولدان: جعفر ولد في شوّال سنة ١٣٩٢، وحسين ولد في ٧ ذي الحجّة سنة ١٣٩٦.

ثالثهم: حسين ولد سنة ١٣٧٠ وتوفّي سنة ١٣٩٨.

رابعهم: عليّ ولد في ٤ شوّال سنة ١٣٧٣ وله أربعة أولاد: محمود ولد في ... ومحمّد ولد في ... وحسين ولد في ... وحسن ولد في ... .

خامسهم: حسن ولد في ٣ ربيع الأوّل سنة ١٣٧٥.

سادسهم: أحمد ولد في ٢٣ رجب سنة ١٣٧٨.

سابعهم: يوسف ولد في ٤ ذي القعدة سنة ١٣٧٩.

ثامنهم: إبراهيم ولد في ٣ شوّال سنة ١٣٨٦.«ع»

٢. توفّي ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٩٩، وله ولدان لم نطّلع على اسميهما، حيث بقيا في فلسطين وانقطعت أخبارهما.«ع»

المؤمنين، قضى في أفريقيّا شطراً وافراً من عمره، عملاً بقوله ـ عزّ من قائل ـ: ﴿فامشوا في مَناكِبِها وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ وَإليهِ النُّشُور﴾[1]، لكنّه لم يفلح بغير الثواب من الله ـ عزّ وجلّ ـ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، لم يعقب سوى بنت واحدة[2].

وأمّا السيّد عبد الكريم فقد ولد في حدود سنة ١٣١٦ في شحور، وتوفّي سنة ١٣٤٤ في افريقيا غريباً في سبيل طلب الرزق الحلال، والاستغناء عمّا في أيدي الناس، وكان من شبّان الحميّة الإسلاميّة، والحفيظة الهاشميّة، سخيّاً أبيّاً، لم يعقب سوى بنت واحدة، ألحقه الله بمنازل آبائه.

وأمّا السيّد عبدالله فقد ولد سنة ١٣١٩ في أنصار، وأنشأه الله منشأً مباركاً، فإذا هو من الصالحين، لا يُعني بغير شؤونه الدنيويّة والأُخرويّة، وهو الآن في سيراليون من بلاد أفريقيّا يبتغي التجارة، مع أخيه السيّد محمّد حسن وابن عمّهما أخي السيّد موسى، فعسى أن تصل أيديهم بملتمسهم من الرزق الحلال الطيّب، فينقلبوا إلى أهليهم، وقد أصابوا نفساً من كربهم، وفرجاً من غمّهم، فنفضوا عنهم شعار الحزن على إخوتهم ـ السيّد محمّد، والسيّد محمّد عليّ، والسيّد عبد الكريم ـ وأطفأوا حرّ أكبادهم بما قاسوه من الإحن والمحن في غربتهم على غير طائل سوى الثواب والاحتساب، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم[3].

---

١. الملك (٦٧): ١٥.

٢. توفّي في ٢٣ رجب سنة ١٣٩٥ عليه الرحمة والرضوان.«ع»

٣. عاد السيّد عبدالله من مهجره سنة ١٣٨٠، واستقرّ في صور إلى أن توفّي في ٧ رمضان سنة ١٤٠٢، وقد أعقب ولدين: عليّاً، وحسناً، أمّا عليّ فولد في ذي الحجّة سنة ١٣٤٢ وله ولدان: شريف ولد في ٢١ شعبان سنة ١٣٧٢، وعبدالله ولد في ٢٦ رمضان سنة ١٣٧٤، ولعبد الله هذا ولد اسمه عليّ ولد في ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٤٠٢. أمّا حسن فولد في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٧٣، وله ولد اسمه موسى ولد في ١ جمادى الأُولى سنة ١٤١٦.«ع»

تتمّة الباب

والدي المقدّس السيّد يوسف

سبق الوعد منّا بترجمة السيّد والدي في تتمّة هذا الباب[1]، فهاكها مفصّلةً.

اسمه، ونسبه، ومولده، وتحصيله ورحلته العلمية ورجوعه منها

هو الشريف المقدّس الفقيه العلّامة السيّد يوسف بن السيّد جواد بن السيّد إسماعيل بن السيّد محمّد الثاني بن السيّد محمّد الكبير بن السيّد شرف الدين إبراهيم بن زين العابدين بن عليّ نور الدين بن نور الدين عليّ إلى آخر النسب المتقدّم ذكره في أحوال شرف الدين من مقدّمة هذا الكتاب[2].

وأُمّه كريمة الحاجّ درويش بن الحاجّ عليّ بن الحاجّ فارس من أُسرة كريمة في شحور تدعى بيت الحاجّ.

ولد ـ أعلى الله مقامه ـ في شحور سنة ١٢٦٢ أو سنة ١٢٦٣(١) فأنشأه الله منشأً مباركاً، وأنبته نباتاً حسناً في حجر أب برّ صدوق حليم، وحضن أُمّ برّة صالحة، وتعلّم

---

(١) الشكّ في مولده بين هاتين السنتين إنّما هو منه أعلى الله مقامه.

---

١. في ص ٣٩٦.

٢. تقدّم في ص ١٥ـ١٦.

القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والنحو والصرف في بلده.

ثمّ ارتحل إلى جبع سنة ١٢٧٥ مع أخيه السيّد محمود، وابن خالته الشيخ عليّ بن الحاجّ زين عاصي(١) على عهد شيخ الإسلام أبي الحسن الشيخ عبدالله بن علي نعمة، وكانت جبع في عهده ـ أعلى الله مقامه ـ نجعة علم، وشرعة فضل.

فانقطع السيّد ﷺ فيها لطلب العلم، وتوجّه بكلّ ماليه إلى تحصيله، مخلّياً له ذرعه، قاصراً عليه نفسه، حتّى نبغ في العلوم العربيّة نحواً وصرفاً، ومعاني وبياناً، وقرأ حاشية(٢) الملّا عبدالله في المنطق، واقتبس من الشيخ دروساً سطحيّةً في الفقه.

ثمّ هاجر إلى العراق سنة ١٢٨٥ وما إن بلغ الكاظميّة حتّى أنزله ابن عمّه ـ الإمام الشريف أبو الحسن الهادي ـ في جناب مريع، وآواه منه إلى ركن منيع، وأقبل عليه بانبساطه، واسترسل إليه بأنسه، ونهج له سبيله، وحمله في العلم والعمل على جادّته، فتخلّق بأخلاقه، وجرى على أسلوبه، فقرأ عليه أصول المعالم فالقوانين، ففرائد الشيخ ـ الرسائل ـ وأخذ عنه شرح اللمعة، وربما أخذ بعض أبوابها عن الفقيه العلّامة الشيخ

(١) المتوفّى سنة ١٢٩٥ في الكاظميّة أثناء هجرته العلميّة، وكان من الفضلاء والأتقياء قرأ على المقدّس السيّد هادي الصدر، وعلى كلّ من شيوخ الإسلام الشيخ محمّد حسن آل ياسين والشيخ محمّد حسين الكاظمي وغيرهما.

(٢) قرأها في جبع على شيخه العلّامة الشيخ مهديّ شمس الدين؛ إذ كان قد تفرغ هناك لأخذ الفقه عن أُستاذه الشيخ عبدالله نعمة وكان أحد المدرّسين يومئذٍ في تلك المدرسة الحافلة، وهو من العلماء والأُدباء مفوّه خطيب كاتب شاعر مكثر من التأليف في فنون من العلم مكبّ على المطالعة حتّى لحق بربّه في مجدل سلم يوم التاسع عشر من شهر رمضان سنة ١٣٣٤ عن اثنتين وثمانين سنةً رضوان الله عليه.

محمّد بن الحاجّ كاظم[١] وكانت له حوزة من أهل التحصيل تأخذ عنه العلوم العربيّة، ولا سيّما مباحث المطوّل في المعاني والبيان للمحقّق التفتازاني.

وما إن فرغ من سطوح الفقه والأُصول حتّى شرع في أُصول الفقه يأخذها عن ابن عمّه على سبيل الاستدلال.

ولازم شيخ الإسلام الشيخ محمّد حسن آل ياسين يأخذ عنه الأحكام الشرعيّة الفرعيّة عن أدلّتها التفصيليّة، وكان له في نفس الشيخ منزلة صدق؛ لورعه ومكانته في الفضل والأخلاق.

وعني السيّد ابن عمّه بأمره إلى الغاية، واهتمّ بشؤونه كلّها أيّ اهتمام، فأحلّه سويداء فؤاده، وأجراه مجرى أولاده، واختصّه بأكرم عقائله ـ والدتي المقدّسة(١) ـ فأورى بذلك زند آماله، وأوصل يديه بكلّ ما كان يلتمسه من الخير.

وأشخصه بعرسه إلى النجف الأشرف لإكمال تحصيله، وذلك سنة ١٢٩٠ فانضمّ إلى شيخ الإسلام في تلك الأيّام الشيخ محمّد حسين الكاظمي صاحب هداية الأنام في شرح شرائع الإسلام يأخذ عنه الفقه على سبيل الاستدلال.

وانضوى إلى حوزة شيخنا وأُستاذنا الإمام الشيخ محمّد كاظم الخراساني صاحب الكفاية يأخذ عنه أُصول الفقه على سبيل التحقيق، والتقصّي في التدقيق.

ووقف على أُستاذنا الإمام الشيخ آقا رضا الهمداني صاحب مصباح الفقيه، وربما

(١) زفت إليه ليلة النصف من شعبان سنة ١٢٨٧، وفي تلك الليلة نفسها زفت شقيقتها أمّ السيّد محمّد مهديّ إلى ابن عمّها الإمام الجليل السيّد إسماعيل الصدر.

١. هو الشيخ محمّد بن الحاجّ كاظم الوندي الكاظمي، كان عالماً فقيهاً مستحضراً لمتون الأخبار والقواعد العامّة، حسن البيان والمحاضرة، زاهداً ورعاً، رجع إليه بالتقليد جملة من الناس من بلده ونواحي الكرخ، توفّي في الكاظميّة سنة ١٣١٣. انتهى ملخّصاً عن معارف الرجال ج ٢ ص ٣٧٠ [وأيضاً راجع ماضي النجف وحاضرها ٣: ٥١١، الرقم ٧]. «ع»

قرأ على المحقّق المقدّس الشيخ ميرزا حبيب الله الرشتي صاحب بدائع الأصول وقد أجازه هؤلاء الأعلام كلّهم إجازةً عامّةً مفصّلةً.

وقرأ في الفقه والأُصول على ابن عمّه الإمام الجليل السيّد إسماعيل المعروف بالسيّد الصدر الموسوي، وما زال حاسراً للعلم عن ساقه، مرهفاً له غرار عزمه، مجدّاً في تحصيل الكمال، جادّاً في أخذ العلوم عن أفواه الرجال، قائماً في الإفادة والاستفادة على ساق، مدرّساً ومحاضراً ومناظراً حتّى أحرز من نفسه ملكة الاستنباط، والاستغناء عن طريقتي التقليد والاحتياط.

وكان ـ أعلى الله مقامه ـ قد أعرض عن جبل عامل بالمرّة، وعزم مصمّماً على التوطّن في العراق، لكن أباه المبرور دعاه إليه وضيّق عليه في ذلك، فلمّا لم يجد بدّاً من إتيانه شخص إليه بنفسه منفرداً، وتركني ووالدتي في دار جدّي المقدّس، رجاء أن يبيح له أبوه الرجوع إلينا، وكان ذلك سنة ١٢٩٧.

وقبل وصوله بأيّام يسيرة توفّي المقدّس أبوه، وفي نفسه حسرات على رؤيته، وكان قد رأى رؤيا أوّلها بعدم ملاقاته، فاشتدّ بذلك وجده، وأوصى بنيه بالسلام عليه، وبثّ أشواقه إليه.

ولمّا ورد السيّد عاملة وجد بوفاة أبيه مسّاً أليماً، ومضّاً موجعاً، ولوعةً مزعجةً بلغت به كلّ مبلغ، ورأى من والدته البارّة وإخوته وسائر أهله بفقد عميدهم ـ أبيه ـ ما أرّق ناظريه، وأطال ليله، وألجأه إلى لمّ شعثهم، وجمع شملهم ببقائه عندهم، وقد حرّكوا عواطفه نحوهم بتضرّعهم إليه وبكائهم لديه، فلم تسعه بعدُ مبارحتهم، ثمّ رغبوا إليه بأن يتأهّل بكريمة العالم الفاضل التقي البار الشيخ محمّد بن الحاجّ سليمان الزين[١].

وما إن بنى بها حتّى كرّ راجعاً إلى العراق، ومعه أخوه الجليل السيّد إسماعيل يجدّد العهد بمشاهد المعصومين ثمّة من آبائه عليهم السلام، ويودّع عمّه العطوف وآل عمّه البررة

١. للاطّلاع على ترجمته راجع: أعيان الشيعة ٩: ٣٥٠؛ تكملة أمل الآمل: ٣٤٦، الرقم ٣٣٢.

والأعلام من أساتذته، وقد حملني ووالدتي برخصة من جدّي المقدّس فورد بنا هذه الديار منتصف شوّال سنة ١٢٩٨.

وفي ذي الحجّة من تلك السنة أُصيب بوالدته البارّة ـ وكانت من خيرة النساء ـ فحزن عليها حزناً استوقد صدره، وأقضّ مضجعه.

حاله بعد رجوعه من مهجره

كان دأبه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا تأخذه في ذلك لومة لائم، وأوّل شيء فعله أن دعا أهل بلده شحور إلى التفقّه في الدين، وعيّن للناس وقتين، وقتاً يلقي فيه عليهم ما هو محلّ ابتلائهم من الأحكام الشرعيّة، ووقتاً للنظر في شؤونهم يتحرّى لهم فيه وجوه النصح، ويتوخّى لهم مناهج الرشد، ويبصّرهم عواقب الأمر، لا يألو في ذلك جهداً، ولا يدّخر وسعاً.

وكان مسجد جدّه السيّد شرف الدين ضيّقاً فأوسعه بإضافة ما حوله إليه، وعمّره بالصلوات، وتلاوة الكتاب الحكيم، والأدعية المأثورة، ومآتم سيّد الشهداء، وسائر أنواع العبادة ولا سيّما في شهر رمضان وسائر المواسم من ليالي السنة وأيّامها.

وانثال طلبة العلم عليه، فأرهف لهم عزيمته، وأخذ لتربيتهم عدّته، فبنى لهم قرب داره حجرات تليق لهم، وأقبل عليهم بانبساطه، واسترسل إليهم بأُنسه، باذلاً لهم وسعه مادّةً وأدباً، مستفرغاً أوقاته في نجاحهم علماً وعملاً، حتّى برع منهم جماعة أرسلهم إلى العراق[1] فعُني بأمرهم، واهتمّ بشؤونهم، وكفاهم وهم في النجف الأشرف ما استكفوه من نفقاتهم حتّى رجعوا علماء أجلّاء.

---

(١) كشيخنا العلّامة المقدّس الشيخ محمّد دبوق، المتوفّى في بلدة خربة سلم يوم الجمعة خامس المحرّم سنة ١٣١٧، وكان في غاية من مراقبة النفس ومجاهدتها آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، داعياً إلى الله ـ تعالى ـ بالحكمة، جامعاً لمحامد الصفات، ومحاسن الملكات، في ←

وكم من أثر جميل كان له على طلبة العلم أينما كانوا، وحيثما حلّوا، وله أيادٍ بيضاء كانت على مطلق من حوله من المؤمنين حيث يلين لهم أعطافه، ويوسّع لهم أكنافه، ويقبل عليهم بلبّه، ويخفض لهم جناحه، مخلصاً لهم في النصح، ومجتهداً لهم في المشورة.

السيّد في بنت جبيل

كانت فتنة في شحور بين حزبين من أهلها، وتعذّر على السيّد إصلاح ذات بينهما، فآثر التنحّي عن البلد حتّى تفيء إلى أمر الله وذلك سنة ١٣٠١.

وما إن بلغ هذا علّامة عاملة ونابغتها في تلك الأوقات الشيخ موسى بن الشيخ أمين شرارة[١] أعلى الله مقامه، حتّى هرع حافلاً بأعيان بنت جبيل وما حولها من القرى فحملوا السيّد وأهله ورحله إلى بنت جبيل، وكان للشيخ وأهل بلده يومئذٍ أيادٍ بيضاء تخلّد لهم الثناء.

وكان الشيخ والسيّد قد تساهما الوفاء، وتقاسما الصفاء من قبل ذلك، فإذا هما أخوان لا يذمّ عهدهما، وحميمان كريمان لا يتّهم ودّهما، وقد توازرا على إعلاء

← منتهى الزهد والتواضع، أديباً شاعراً كاتباً خطيباً، نبيل النفس، جزل المروءة إلى الغاية، وكالشيخ عبدالله بن الشيخ محمّد شومان، المتوفّى في بلدة جويا ليلة السبت الرابعة من صفر سنة ١٣٣٥، وكان من الفقهاء، وله جاه ومنزلة أنفقها في خدمة الدين والمؤمنين، وكالشيخ محمّد عليّ بن الشيخ أحمد عليّان المتوفّى في بلدة قلويه ضحى الاثنين ثاني المحرّم سنة ١٣٣٥، وكان في غاية من الورع والصلاح، وكالعالم الجليل الشيخ حسين نور الدين المتوفّى في جويا سنة ١٣٦٩ والعالم الفاضل السيّد أمين عليّ أحمد [المتوفّى في جناثا سنة ١٣٨٢]، وغيرهم.

١. للاطّلاع على ترجمته راجع: أعيان الشيعة ١٠: ١٧٢؛ معارف الرجال ٣: ٥٦، الرقم ٤٤١.

كلمة الله، والنصح لعباده منذ حلّت ركابهما في عاملة[١] فاستتبّ لهما ما أراداه باجتماعهما في بلد واحد، كما أشار إليه معاصرهما الفاضل الألمعي الشيخ الجليل الشيخ محمّد[٢] بن الشيخ مهديّ مغنية حيث ترجم السيّد في كتابه ـ جواهر الحكم ونفائس الكلم ـ فقال ما هذا نصّه:

ومن العلماء المعاصرين السيّد يوسف شرف الدين الموسوي الصحيح النسب من أشرف بيت من بيوتات العرب، عالم فاضل، ورع تقيّ عامل، من الأبرار الأخيار المبرزين في الفضل، طلب العلم فأحرزه، وبعد ما جمعه في خزانته قرّره وأبرزه، قرأ الدرس في المشهد الغروي واشتهر بالفضائل حتّى ورد عامل، وأقام بوطنه قرية شحور، وفتح المدارس وبثّ العلوم، وعكف على بابه الأفاضل مدّةً لم تستقرّ حاله فيها، حيث إنّ أهل تلك القرية في ربقة الجهالة، تائهون في حالك الضلالة، هداهم وأرشدهم، فأبت نفوسهم إلّا الاعوجاج، وسوء المنهاج، فجاشت نفسه ألماً لمّا لم يجد قيام الشريعة، ولا مكنة له على ارجاعهم عن الطرائق الشنيعة، وعندها عزم على الرحلة عنها، فعلم سكّان البسيطة في سوريّا من طائفة الشيعة فهرعوا أفواجاً إلى بابه، وطلبوا الرضى من جنابه، وعندها الشيخ الأكبر، والأستاذ الموقّر، جاء للسيّد فلبّاه، والتمسه ودعاه، فأخذه إلى قرية بنت جبيل، وتباحث الشيخ معه، وكثر الفضل والتدريس وابتدر يفيد، ويباري الشيخ الطوسي والمفيد[٣] فهو شيخ للإسلام والمسلمين، وعماد للشريعة والدين، ولم يزل مجدّاً على هذه الطريقة، كارعاً من عين اليقين والحقيقة. انتهى كلامه.

---

(١) بل كانا متوافيين متصافيين على المحبوب والمكروه من عهدهما في جبع، وقد توثّقت عرى المصافاة وتأكّدت عقد الإخلاص بينهما في العراق، ولهما في إيثار كلّ منهما الآخر على نفسه، نوادر وحكايات جرت مجرى الكرامات.

(٢) المتوفّى في بلدة طير دبا سنة ١٣٢٨.

(٣) قرأ عليه في تلك الأيّام جماعة من أهل الفضل كان في مقدّمتهم الشريف العلّامة الفقيه السيّد نجيب بن السيّد محيي الدين بن نصر الله بن محمّد بن عليّ بن يوسف بن محمّد بن ←

قلت: وتسنّى للسيّد ـ في سنة ١٣٠٣ ـ إصلاح ذات بين أهل شحور وإطفاء ما كان متأجّجاً من نار الفتنة فيها.

وحين فاء الحزبان إلى رشدهما توسّلا إلى رجوعه بأسباب الآمال، وركبا إليه في ذلك ظهور الأماني والرجاء، فلبّى مبتغاهم وخفّ إليهم، وإن عزّ ذلك على أهل بنت جبيل وناحيتها.

السيّد في طورة

وفي سنة ١٣٠٤ أُصيبت البلاد العامليّة بأكبر علمائها المجدّد فيها لكلّ فضل وفضيلة، من علم وعمل وأدب وأخلاق الشيخ موسى شرارة ـ رفع الله مناره ـ فتمزّق شمل طلبة العلوم، وتصدّع شعبهم، فنهض الشيخ الجليل محمّد مغنية، وأنهض أهل الساحل إلى لمّ شعث البقيّة من تلامذة الشيخ المقدّس بجمعهم على أُستاذ يخلي ذرعه لتدريسهم، واختاروا السيّد لهذه المهمّة باتّفاق الآراء.

فالتمسوا منه أن يكون مقرّه في طورة لمكانها من وسط الساحل، وصمدوا إليه بذلك، وما إن نزل على مقترحهم حتّى أرصدوا الأُهُب لمهمّته فبنوا له في طورة داراً تليق به، وقرّروا له من الأرض مقسماً يعود عليه بنفقته، وأفرغوا حجرات تناسب تلامذته، وذلك سنة ١٣٠٥، فخفّ إليه جمّ من أهل الفضل، وكان في مقدّمتهم

← فضل الله بن محمّد بن محمّد بن يوسف بن بدر الدين حسن بن عليّ بن محمّد بن جعفر بن يوسف بن شمس الدين محمّد بن حسن بن عيسى بن زين الدين فاضل بن كمال الدين يحيى بن شرف الدين جوبان بن جمال الدين الحسن بن ذياب بن عبدالله بن محمّد بن يحيى بن محمّد بن داود بن إدريس بن داود بن أحمد المتسوّر بن عبدالله بن موسى بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام أبي محمّد السبط الحسن عليه السلام.

الفقيه العلّامة الشيخ حسين بن الشيخ عليّ مغنية[١].

وشدّ السيّد لهم حيازيمه، وأخذته لهم أريحية ونشاط، فكانت قرية طورة يومئذٍ كوكب علم، ونبراس فضل، يؤمّها طلبة العلم من أنحاء بشارة والشقيف، وحين أكمل الشيخ حسين مغنية[٢] ورفقاؤه فرائد الأصول حضوراً على السيّد في طورة توجّه جلّهم إلى النجف الأشرف لأخذ العلم عن أعلامها. وذلك سنة ١٣٠٨ وتوجّه معهم ثلّة من أهل التحصيل لهذه الغاية. فانقطع بذلك سلك تلامذة السيّد، ولم ينتظم بعدها لطلبة العلم عنده عقد.

حجّه ورجوعه إلى بلده

حجّ السيّد بيت الله الحرام سنة ١٣٠٨، وتشرّف بمدينة جدّه عليه وآله الصلاة والسلام، ورجع سالماً فاستقبله ـ إلى مزيريب حوران ـ جمّ من أعيان البلاد، يرأسهم الزعماء الكرام الشيخ محمّد مغنية، والحاجّ عليّ أفندي عسيران، والحاجّ عليّ أفندي الزين[٣]،

---

١. وابن عمّه المحقّق العلّامة الشيخ محمود بن الشيخ محمّد مغنية المتوفّى سنة ١٣٣٤، والعلّامة السيّد محمّد رضا فضل الله الحسني العيناثي المتوفّى في قانا في محرم سنة ١٣٣٦، والشيخ جواد بن الشيخ عليّ السبيتي المتوفّى في كفرى سنة ١٣٤٧، والشيخ طالب بن الشيخ سليمان البياضي المتوفّى في المدينة المنوّرة سنة ١٣٢٦، والشيخ محمّد بن الحاجّ حسين شعيثاني المتوفّى في أنصار سنة ١٣١٦، وأخوه الشيخ أحمد المتوفّى في الكاظميّة سنة ١٣١٢، والشيخ محمّد بن الشيخ مصطفى عاصي المتوفّى في أنصار سنة ١٣٢٣، والشيخ جواد بن الشيخ خليل الكوثراني المتوفّى في الصرفند سنة ١٣٦٦، وأخوه الشيخ حسين المتوفّى في تفاحتا سنة ١٣٧٤، والسيّد أمين بن السيّد عليّ أحمد المتوفّى في جناثا سنة ١٣٨٢، والشيخ عليّ بن الحاج حسين حمّادي الدهيني المتوفّى في طورة، والشيخ عبد الحسين حدرج المتوفّى في البازورية سنة ١٣٣٥، والسيّد محمود بن السيّد إسماعيل مرتضى المتوفّى في دير قانون رأس العين، والشيخ حسين بن الشيخ جواد مغنية المتوفّى في طيردبا وغيرهم من روّاد العلم.«ع»

٢. كان من الأعلام الكبار ومن المبرّزين الأوّل من علماء عصره، ولد سنة ١٢٨٠ وكان جميل الخصائل، جمّ المناقب، تقيّاً صالحاً؛ وبهذا صار محلّ وثوق الخاصّة والعامّة، توفّي سنة ١٣٥٩. راجع: أعيان الشيعة ٦: ١٠٣؛ نقباء البشر ٢: ٦٠١، الرقم ١٠٣٢.«ع»

٣. راجع ترجمته في شهداء الفضيلة: ٢٧٢.

وخفّ الناس ـ بوصوله ـ إلى زيارته، وفي مقدّمتهم علماء البلاد، وزعماء عشائرها، وأُدباؤها وشعراؤها، وقد أرهفوا قرائحهم لتهنئته فأجادوا وأكثروا، غير أنّي لم أجد بعد رجوعي من مهجري العلمي شيئاً ممّا شنّفوا به المسامع يومئذٍ إلّا أبياتاً من قصيدة طويلة للشريف العلّامة السيّد محمّد رضا فضل الله الحسني العيناثي[1].

ضحك البشر والهنا فاستنارت ... خاليات الربوع بعد العبوسِ
ذاك يوم أضاء للمجد فيه ... شعلة أخمدت شعاع الشموسِ
حين آبت بيوسف مصعبات ... مرقلاتٌ بوخدها والرسيسِ
من أبرّ البيوت من أكرم الناس ... خلقاً لسائس أو مسوسِ
يوسفي الفعال خَلقاً وخُلقاً ... أحمدي في طيب خيم النفوسِ
راجع[2] الحلم بالتسامح[3] إمّا[4] ... خفّ عند المزاح حلم الجليسِ
وجّه العيس وهي عيس إلى الله ... لاكتساب الثواب والتقديسِ
فدنا والحجيج في رهج السعي ... للإله ناكسات الرؤوسِ
رحّب البيت فيه حين أتاه ... لاثماً ركنه فعال الأنيسِ
فقضى الحجّ ثمّ آب كالبد ... رشقّ ديجور ظلمة الحنديسِ
تترامى بشخصه ناجياتٌ ... تخذت قطع الفلا للتعريسِ
مصعبات القياد حين امتطاها ... ذللاً غير نافرات وشوسِ
جائلات النسوع في كلّ فجّ ... حلفاء التهجير والتغليسِ
كلّما استفحل الوطيس تراها ... طامحات الزمام وقت الوطيسِ
قاصدات بسعيها وسراها ... معقلاً عاد للمهار العيسِ

١. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ٩: ٢٩٠؛ وتكملة أمل الآمل: ٣١٩، الرقم ٣٠٤؛ ومعارف الرجال ٢: ٢٨٤، الرقم ٣٥٢.
٢. في «خ»: «راجح».
٣. في «خ»: «بالشوامخ».
٤. في «خ»: «وإمّا».

وبذهاب السيّد إلى الحجّ، وذهاب جُلّ تلامذته إلى العراق انقطع سلكهم في طورة، فرجع بعد إيابه من الحجّ إلى وطنه شحور.

زيارته [أعتاب المعصومين ﷺ في العراق]

تشرّف بأعتاب المعصومين من الأئمّة في العراق مستهلّ رجب سنة ١٣١٢ أثناء هجرتنا العلميّة إليها، فجدّد العهد بعمّه العطوف، وآل عمّه الرحماء، وبالعلماء الأعلام في المشاهد المقدّسة.

وما إن بلغها حتّى استهلّت به أندية العلم، ومحافل الدين، وأوساط الفضل والأدب في الكاظمية وسامراء والحائر والنجف الأشرف ولا سيّما أندية أرحامه، ورحاب عمّه وبني أعمامه، واختلفت إليه شيوخ الإسلام وأقاطب العلم، وأعيان الناس وعامّتهم في المشاهد الأربعة، يغدون زُمراً زُمراً للسلام عليه، ويروحون طرفي النهار وزلفاً من الليل، فكان مجلسه الممتع آهلاً بالعلم، حافلاً بالجلالة، وقد أكبره الخاصّة والعامّة، واستعذبوا مناهله.

فكنت وأخي في غبطة به وحبور، ولعلّ أهنأ ما طاف بنا في عمرنا كلّه تلك الأيّام القصيرة التي امتعنا فيها بزيارته لمعاهدنا العلميّة ؛ إذ تغشّتنا منه يومئذٍ ألوان من البركات، وضروبٌ من البهجة والاغتباط، لا تزال ذكراها تهزّ نفسي بنشوة من حُلُمها، وتطير بروحي على أجنحة من نعمها، فأهفولها، وأصبو إليها، وأشتاق منها تلك الساعات الهنيئآت، وتلك الجلوات الأنيسات التي وقعت من العمر موقع الشباب، ومن الحياة محلّ الأماني.

وهيهات للشباب المنصرم أن يعود، وللماضي المترامي أن يقبل، وإنّما هي ذكريات المبتلى الأسوان، يستعيد صور هناءته، ويقف على أطلال ماضيه.

وما يعنينا من هذا فإنّما نريد أن نلمح إلى ما أحاطنا به ذلك الوالد العطوف في

زيارته من عناية ورعاية وبركة وخير، ولقد ترك في نفسي ونفس أخي أبلغ ممّا يتركه الندى في الأكمام من تفتح في البراعم، وتفاوح في الزهر، حتّى استراح إلى راحتنا، واطمأنّ إلى تحصيلنا، ولفرط حنانه لم يقنع بما شاهد بنفسه من أسباب الثقة بنا، حتّى استقصى أحوالنا فأشرف على حياتنا العلميّة بسائر مرافقها، ووقف على دروسي، وعلى أبحاثي ومذاكراتي، واتّصل بأساتذتي ومربّي اتّصالاً أفضى به إلى ذلك الرضى، وإلى تلك الثقة، والحمد لله رب العالمين.

وقد غادرنا قافلاً إلى وطنه مطمئنّاً مرتاحاً بعد منتصف شعبان سنة ١٣١٣.

أخلاقه

كان ـ أعلى الله مقامه ـ خلاصة الحسب، وعصارة الكرم، وبقيّة الأحرار، وتليّة الكرام، وعنوان المروءة، وكنه النجابة، ومثال الإباء، وعزّة النفس، لا يلبس ملابس الهوان، ولا يُري من نفسه استكانة، وربما نزت في رأسه سورة الأنفة، وملكته عزّة النفس ـ على أنّه كان خافض الجناح للمؤمنين، في غاية التواضع لهم، يأخذ الأمور معهم ومع غيرهم بالمسامحة، ويُعطي النصفة من نفسه، حتّى للألدّاء من خصومه، ويعترف بالفضل لذويه، ويرتّب أثر ذلك عليهم في أفعاله، كما يصرّح بها في أقواله.

وما أشدّ تنائيه عن العجب، وتجافيه عن مذاهبه، وما أعظم ورعه واحتياطه عند الشبهات، لم يقض بين اثنين على كثرة المترافعين إليه، وإنّما كان يصلح بينهم، وله في ذلك طرق موفّقة قلّ من يهتدي إليها، وكما لم يقضِ بين اثنين لم يفتِ بحكم، وإنّما كان يصدع بالاحتياط، أو يرجع المستفتين إلى المراجع العامّة، ورسائلهم العمليّة.

وكان موطّأ الأكناف، يبتهج بالأضياف، ويمتدّ باعه في قِراهم، يجد بذلك قرّة عينه،

وبرد السرور في فؤاده، وله في السخاء غرر وأوضاح، تبلّجت كفلق الصباح[١].

وفاته وتشييعه طاب رمسه

كانت الرزيّة بوفاته ـ أعلى الله مقامه ـ بعد العشاء من ليلة الأحد الرابعة والعشرين من ذي الحجّة سنة ١٣٣٤ بنوازل اشترك بها القلب والرئتان، لم تستمرّ عشرة أيّام حتّى قضت عليه، وقد أعدّ فيها للموت عدّته، فعهد إليّ بما أهمّه، مستبشراً بلقاء ربّه عزّ وجلّ واللحوق بسلفه الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

لم يفته في مرضه شيء من تكاليفه الشرعيّة حتّى فريضة العشاء من ليلة وفاته، وقضى نحبه راضياً من الله تعالى بقضائه، مولعاً بذكره ودعائه.

وكانت المصيبة به عامّة، ويومه كان يوماً عظيماً، احتشد الناس فيه على وجه قلّ

---

(١) فمنها: أنّ الفقيه العلّامة صديقه السيّد حسن يوسف الحبوشي ابتلي وهو في النجف الأشرف بدين وضائقة، وما أن بلغ سيّدنا ذلك وهو في عاملة حتّى بذل فرسه ـ وكانت من جياد الخيل ـ في سبيل التوسعة على صديقه فبيعت في دمشق بتسعين ليرةً فرنسيّةً ذهباً أحيلت لأمر السيّد في النجف.

ومنها: أنّ الحاجّ إسماعيل بن الحاجّ سليمان الزين دفع إليه مرّةً خمسين ليرةً فرنسيّةً ذهباً من الخمس الواجب في ذمّته، فعلم السيّد أنّ للحاجّ إسماعيل في ذمّة أخويه المقدّسين الشيخ محمّد والشيخ أبي خليل مبلغاً يربو على الخمسين، وأنّه ملحّ في طلبه منهما فتبرّع السيّد بدفع الخمسين له عن ذمّتيهما، فامتنع عن قبول ذلك حتّى ألحّ السيّد مصرّاً عليه فقبل.

ومنها: أنّ أخاه المبرور السيّد إسماعيل لمّا تزوّج كريمة الحاجّ قاسم الزين ـ وهي أمّ الباقين من أولاده ـ تبرّع عنه بصداقها، فبذل في سبيل ذلك جميع ما كان يملكه من معز، وكان قطيعاً يربو على الخمسين، وأنفله بعض الأجلّاء قطعةً من الأرض واسعةً جيّدةً فقبلها ثمّ وهبها لبعض الأعلام، وعلم الشيخ عليّ أفندي الحرّ مرّةً بضيق حاله فسعى له بنحو من ثلاثة آلاف قرش، فقبلها ووهبها في المجلس للفقيه العلّامة الشيخ حسين الحمّد.

نظيره، وفي مقدّمة تلك الجماهير علماء البلاد وزعماؤها من بشارتها وشقيفها، يتسابقون مزدحمين على التبرّك بسريره، متهافتين عليه بقلوب حرّى تهافت الهيم على الماء.

وتقدّمت للصلاة عليه وقد نزل بي من الحزن ما ضاق به وسعي، وعجز دونه ذرعي.

وما واريناه في ضريحه ـ المقدّس ـ حتّى ضاقت علينا الأرض برحبها، وأخذنا الوجد يفري المرائر، ويمزق لفائف القلوب، ورأينا يومئذٍ من الناس كافّةً مؤاساةً حسنةً، خاشعين بأبصارهم، يمثّلون الأسى والأسف.

وكان السواد الأعظم منهم يلدمون صدورهم وهم ينوحون حول البلد وفي أزقّتها فيقولون:

فجع الإسلام طرّاً والأنام بالإمام ابن الإمام ابن الإمامْ

فجعت سنّة طه والكتابْ بمبين الحقّ من غير ارتيابْ

عظم الخطب بهذا والمصابْ واستحال النور في الكون ظلامْ

هاشم لطماً بكلتا الراحتينْ فلقد مات أبو عبد الحسينْ

فإذا المجد أشلّ الساعدينْ وإذا الدين أجبّ وكهامْ

إلى آخر ما أنشدوه يومئذٍ على هذا الأسلوب، فجزاهم الله عنّا خير جزاء المحسنين.

مآتمه ومراثيه

احتفلنا في شحور بمآتمه ـ أعلى الله مقامه ـ واحتفلت معنا عاملة على اختلاف طبقاتها من علمائها وزعمائها وأُدبائها وخطبائها وشعرائها ولفيف سوادها، واحتشدوا بما لا مزيد عليه، ولا سيّما يوم الدفن ويومي الأُسبوع والأربعين، يمثّلون مؤاساتهم كآبةً وحزناً. وقد أجاد الخطباء بما أشادوا به من ذكر الفقيد العميد بما هو أهله من الثناء والبكاء.

وقد أفرد ابن العمّ السيّد عليّ لرثائهم وخطبهم في تآبينه يومئذٍ ديواناً على حدة... ولنورد الآن ما جادت به قريحة الفقيه العلّامة السيّد عبد الحسين نور الدين الموسوي.

قال ـ نفعنا الله ببركات وجوده الشريف ـ:

روّع قلب الدين خطب نزلا ... ودقّ صلب المكرمات والعُلى
وانثلم الإسلام أيّ ثلمة ... والمجد من أركانه تزلزلا
هذا الردى يا قطعت كفّ الرّدى ... أودى بيوسفٍ فلا حول ولا
أودى به أندى يداً أنأى مدىً ... غيظ عدىً بدر هدىً شمس عُلا
أثكل أمّ الفضل في واحدها ... أما درى يا ويحه ما فعلا
عمّ الورى مصابه فرزؤه ... للملإ الأعلى عليه أعولا
مصيبة جليلة من بعدها ... كلّ مصيبة نراها جللا
عجبت للمقدار من بطشته ... أما ترى كيف أزال الجبلا
وكيف قاد الليث من عرينه ... والبدر من أوج السماء أُنزلا
جاء بها الدهر ولا مثل لها ... لكي تكون للرزايا مثلا
عهدي به وهو المجلّي أبداً ... كيف له شقّ المنون قسطلا
والصارم الماضي الغرار ما نبا ... فمن ترى ثلّم ذاك المنصلا
لا كهف للخائف بعده ولا ... منجا ولا ملجا ولا ولا ولا
توازن الرجاء والخشية في ... فؤاده لربّه فاعتدلا
لم تلهِهِ الدنيا ولا زهرتها ... من أبصر النهج تخطّى المجهلا
شيّد داراً غيرها حتّى إذا ... تمّت كما شاء إليها رحلا
فليبكه العلم فكم حلّ له ... معقداً وفلّ منه مشكلا
وليبكه الجود فمن يكفله ... من بعده إذا الزمان أمحلا
وليبكه المحراب إن نام الورى ... قام به لربّه مبتهلا
إن غاب ذاك البدر في أُفق الهدى ... وشخصه عن العيون أفلا

فبعد ما خلّف بدرين به … مؤتلفين[1] مشرقين للملا
تسابقا فجاء ذا مجلّياً … وذا مصلّياً فنالا أملا
فقل لمن جاراهما بحلبة … أرْبِع ولا تلقَ العنا والفشلا
لو جريا والريح فاتا وكبت … ولم تصل لما إليه وصلا
عبد الحسين هل يجاريه فتىً … وهل يدانيه فخاراً وعُلا
يعقد تاج الفخر فوق مفرق … جبينه الصبح لمن تأمّلا
يلفُّ برديه على شخص تقيٍّ … كساه نسج[2] المكرمات حللا
إذا بنو العليا بيوم مفخر … تميّزوا بالفضل كنت الأفضلا
أعلمهم علماً وأرساهم حجىً … أنفعهم[3] للسائلين غُللا
مُرابط للدين في ثغوره … بالنوم جفن عينه ما كحلا
مجاهدٌ عنه يذبّ شبه الغاو … ين لم يدرِ العنا والمللا
إن قست علم غيره بعلمه … قرنت بالبحر المحيط وشلا
زعامة قام بها مضطلعاً … يحمل من أعبائها ما حُمّلا
لا تبرم الحاجات منه خُلقاً … وصدره أوسع من صدر الفلا
ولا يلين الخطب منه جانباً … إذا الخطوب قطّبت تهلّلا
موقّرٌ من التقى تحسبه … إذا احتبى بالدست أرسى يذبلا
تعلوه من نور الجلال هيبةٌ … يخفق قلب الليث منه[4] وجلا
ورحمةٌ تزينها سماحةٌ … أحسن شيء عنده أن يُسألا
لا ينقص الإعدام من نواله … تلك سجيّة عليها جبلا
يجود بالنفس لمن أمّله … فليتّقِ الله به من أمّلا
لو ساجلته الزاخرات كرماً … لردّ وجه الزاخرات خجلا

١. في «خ»: «مؤتلقين».
٢. في «خ»: «نسيج».
٣. في «خ»: «أنقعهم».
٤. في «خ»: «منها».

أو أبـصر الوابـل يـوم جـوده فـيض يـديه بـالندى مـا هـطلا
حـديثه السـحر فـإن وعـيته شربت منه الخَنْدَرِيس السلسلا
تـهدر مـنه إن رقـى مـنبره شـقشقة تـحكي الرعـود زجـلا
تطفح بـالحكمة لو صـبّت عـلى صمّ الصـفا الصـلد لذابت وجـلا
تـرى القـلوب خشّعاً لوقـعها تـحسبه وحـياً عـليه منزلا
إذا أجـال فكـرةً وقّـادةً بـمشكل خشـيت أن يشتعلا
يرمي بها الغـامض عـن قـريحةٍ تخرق للغيب الحجاب المسدلا
يـا نـفسه رفـقاً بـه ورحـمةً أتـعبته أمـا بـلغتِ الأمـلا
جازت[1] به الجوزاء عـن[2] رقـيّها صـاعدة حـتّى تـخطّت زحـلا
تـدأب فـي نـيل العُـلى جـاهدة قد نبذت عـن مـنكبيها الكسـلا
لا يدرك المـجد الأثـيل بـالمنى من يصطبر للنحل يـجن العسـلا
يرفل فـي فـضفاضة مـن بأسـه مـدججاً لكـن تـراه أعـزلا
يـراعـةٌ أغـنته عـن سلّ الظـبا وأن يـسهزّ الصـعدات الذبـلا
إن هـزّها تـراعش السـمر لهـا وإن جرت[3] في الطرس جرّت جحفلا
ريـقتها مـاء الحـياة تـارةً وتـارةً سـمٌّ يـتيح الأجـلا
إن رام يـطعن[4] فـيها مـعضلاً شكّ سـويداه وشـقّ المـفصلا
ريّشـها الله لنـصر ديـنه مـن شـرّ قـوم تـخذوه دخـلا
كم فرجة سدّت بها من بعد ما أعـيت وكـم فـتح فـيها مـقفلا
كـم ألّـفت للـمسلمين أمّـةً فـرّقها مـا مـوّهته الجـهلا
سبرت هذا الخـلق أبـغي رجـلاً خِـلاً وفـيّاً لي فكـنتَ الرجـلا
ولا تسـل عـن الشـريف مـخبراً فـفضله يـغنيك عـن أن تـسألا

١. في «خ»: «جارت».
٢. في «خ»: «في».
٣. في «خ»: «جزت».
٤. في «خ»: «أنْ يطعن».

روى حـديث العـلم عـن آبـائه فـهل رأيت الذهب المسـلسلا
مـا قـابل الخـطب بـنور رأيـه وإن دجـى ظـلامه إلّا انـجلى
تشبّ مـن فكـرته قـريحة تذكي بـقلب المشكـلات شـعلا
بالعلم والحـلم ارتـدى وبـالتقى وبـالإباء والعـلاء اشـتملا
تشـرق للـرائـين منه طـلعةٌ تـجلو لك الليل البـهيم الأليـلا
جلّى فحاز قـصب السـبق وهـل يرقى ثنايا المـجد إلّا ابـن جـلا
علا مـن الفـضل مكـاناً لم يُـنل وفـضله أشـهر مـن نـار عـلى
كم شـيّد الإسـلام مـنكم حـجّةٌ لولاهم الإسـلام أضـحى هـملا
وانـطمست أعـلامه وانـدرست أحكـامه وشـرعه[١] تـعطّلا
بـحر النـدى لو لم تكـن أكـفّكم تـمدّ طـاميه لعـاد وشـلا
تشبّ بـالمندل نـار جـودكم إلى القِـرى تـدعو ألا حـيّ هـلا
بضوئها تهدي البصير في الدجى وحـائر العـين يشـمّ المـندلا
حـبّكم ديـن وكـفر بـغضكم وودّكم فـي الذكـر فـرضاً أُنـزلا
بـهديكم فـاز الأنـامُ وهـدوا ألم تكـونوا للـوجود عـللا
شـحذت مـقولي لِـعدّ فـضلكم وقلت: هـل تسـطيعه؟ فـقال: لا
فراح يروي من حـديث فـضلكم مـجمله ويـترك المـفصّلا
ويـا سـقى الله ضـريح يـوسف من سحب الرضوان غيثاً مـرسلا

وقال شيخنا الفقيه العلّامة الشيخ عليّ بن الشيخ محمّد مُروّة أعلى الله مقامه[٢]:

تـركت الصـفوف وراء الصـفوفِ يـحومون حـول حـماك الشـريفِ
لفـضل الصـلاة وفـضّ الصـلات وصرف القضايا وشكوى الصروفِ

---

١. في «خ»: «وشرعه».

٢. ترجمه في تكملة أمل الآمل فقال: عالم عامل، وثقة صالح حسن الخـلق والقـريحة، جـالسته مـراراً عـديدة، وذاكرته في بعض المسـائل الدالّة على فضله وتبحّره. انتهى. وقد توفّي في بلدة حداثا سـنة ١٣٣٨، وهـو فـي حدود الخمسين. «ع» [لم نعثر عليه في تكملة أمل الآمل المطبوعة. ولكـن راجـع: أعـيان الشـيعة ٨: ٣٣٨؛ معارف الرجال ٢: ١٤٢، الرقم ٢٧٣].

وهـــذي الألوف أمـــام الألوف لفـــيف يـــؤمّك إثـــر لفـــيفِ
لمـــثواك تـــهوي بأفـــئدة حـــرارٍ وتـــهفو بـــقلب لهـــيفِ
بـــقبرك لاذوا كأنّـــهم يـلوذون مـنك بـظلٍّ[1] وريـفِ
وحـــلّوا بـــطيب ثـــراك وكـــا نوا يحلّون منك بخصبٍ وريفِ(١)
يـــطوفون حـــولك مـــيل الرقـــا ب حـــليفاً يكـفكف دمـع حـليفِ
كأن مـــقامك بـــيت المـــقا م ومكـــة أو عـــرفات الوقـــوفِ
وقـــد كـــان مـغناك بيت الطـوا ف لهـم دون كـل مـقام مـطوفِ
فأصـــبح ـ أفـــديك ـ للـــوافـــد ين مطاف الشجي وشجو المُـطيفِ
فِـــناكَ أجَـــلُ كـــعبة الزائـــر ين وحجر العُلى ومـعاج الضـيوفِ
وركـــــن عـــلاتك للـــطائف ين بـفضلك ركـن العلاء المـنيفِ
وبـــيتك للـــعاكـــفين عـــلى طـلّاب المـعارف بيت العكـوفِ
وكـــفّك فـــيض نـــدى المـــجتد ين إذا غيض فيض نـديّ الكـفوفِ
فـــما لك يـــا بـــحر غـــيض أذيُّك وهـــو يـــفيض عـــلى كـل سِيفِ
وهـــذي الأفـــاضل شـــدّت إلي ك الرحال وبابك مُرخى السجوفِ
وحُـــوّم كـــالطير حـــول فِـــنا ك وعـــمّن ســـواك كَـصُوَّم عِـيفِ
مـــلبّين عـــافٍ لداعـــي نـــدا ك أشَيعث مـن سـافيات الوجـيفِ
وذي ضـــلّةٍ شـــام نـــور هـــدا ك فـخف يشـقّ ظـلام السّـدوفِ
ومســـتنجدٍ أرهـــقته الخـــطو ب يـراك مـنيع الذُّرى والكـهوفِ
أتـــوك لمـــا كـــنت عـــوّدتهم وأنت أحـــاشيك غـــير خـــلوفِ

---

(١) «وريف» هذا البيت غير «وريف» في البيت الذي قبله. فإنّ «الواو» في هذا البيت عاطفة عطفت «ريف» على ما قبلها و«الواو» في البيت الأوّل من أصل الكلمة فلا تشتبه.[2]

---

١. ظلّ وريف: أي: ظلّ اتّسع وطال وامتدّ. راجع المعجم الوسيط: ١٠٢٦، «و. ر. ف».

٢. الريف أرض فيها زرع وخصب. راجع المعجم الوسيط: ٣٨٦، «ر. ي. ف».

فما لك أعقمت أشكالهم ... بمعتل ردٍّ وصرفٍ لفيفِ
وغادرت يا فردُ أجمَعَهُم ... يفرّقها الوجد بين الشعوفِ
أُساري الأسى مطلقات الدمو ... ع لهيفاً يساجل دمع لهيفِ
كرام النفوس تضحّي الأُلوف ... فدىً لك لو تفتدى بالأُلوفِ
يئنّون أنّة لا ذي أسىً ... فيسلو ولا واجد للأليفِ
عهدناك إمّا كمرقى الضرا ... ح مرامُكَ أو تحت ردم الرُّصوفِ
كثير الحنان على القاصد ... ين وللمستنين كأمٍّ رؤوفِ
ولكن دعا بك أكرم دا ... عٍ له كنت يا طودُ جمّ الخُفُوفِ
أجبت «لما هو أزكى» الإلـ ... ـه محققاً وزادك غير خفيفِ
لئن متّ والموت للأوليا ... ء حياة وفوزٌ لكلّ شريفِ
فذكرك حيٌّ سرى عرفُه ... فضجّ[1] بالطيب كلّ تنوفِ
رحلت ولكن بصبر الغيو ... ر وقلب الصبور وجسم القضيفِ
وخلّفت بعدك حزن الشجي ... حليفاً لمهجة كلّ حليفِ
وأزمعت لا راحلاً ترتجي ... لعودٍ ولا وادعاً عن وجيفِ
حنانيك والرفق في فاقديـ ... ـك وعطفيك يا خير والٍ عطوفِ
فليتك تنظر جمع العُلى ... وهم حول مثواك رُغم الأنوفِ
نواعيك أصمت بإعوالها ... حشا الدين حيث مهبّ الشغوفِ
نواعٍ تصدّع قلب الهدى ... وتشجي فؤاد النبيّ الرؤوفِ(١)
وتشجي الوصيّ وتبكي البتو ... ل وآل الرسول بدمعٍ ذروفِ

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2].

---

١. في «خ»: «فضمّخ».
٢. التوبة (٩): ١٢٨.

فقدناك ليثاً حميّ الذمار منيع الجوار كريم السجوفِ
فقدناك فرداً لجمع العُلى وتفريق جمع العدى والصروفِ
وعضباً إذا عضّ ناب الزمان وصالت نوائب دهر عسوفِ
فقدناك منتجع المرملين وعزّ الذليل وأمن المخوفِ
شققنا ضريحك بين القبور وفوق الضُراح مقامك موفي
وإبسنا بلوعة لا هاجعٍ نعالج أسري نوىً وحتوفِ
بكفٍّ نضمّم داء الحشا وأُخرى تكفكف غرب الوكوفِ
ولولا بقيّتك الأطيبان سرورُ الأسيف ومالُ المُسيفِ
لقلت لراجيك أكدى الرجا وسافة عَزْفك يأساً فسوفي
وأوقفت دمعي عليك المدى ودون ضريحك طال وقوفي
ولكن تركت لنا سلوة بها أنس كلّ مصاب أسيفِ
وخلّفت لاهوت قدس يريـنا سنا الشمس يطفح بعد الكسوفِ
ببدرين لاحا وقد حلّيا سماء العلاء بأحلى شنوفِ
تغيّبت كالشمس لمّا رأت سنا البدر شعّ لعين المؤوفِ
رحلت وعبد الحسين زعيم الصفوف وشبل زعيم الصفوفِ
عَجمناه صعدة حيّ العلى ومِنْصَلَ حيّ الوغى والزحوفِ
وفرداً يثنّيه جمع الكمال نشاطاً فيثنيه لا كالعزوفِ
جرى للمعالي يجاري الصبا وسيرُ مجاريه مثل الدليفِ
صغيراً يبلّدُ كُبّارها بعلمٍ تليدٍ وفضلٍ طريفِ
وحبراً يسدّدُ أخبارها[1] بحكمة علّامةٍ فيلسوفِ
فتى الفضل لا كحليف الفضول من القول مغرىً بهذّ الحروفِ
فتى الحزم والعزم يقظُ النهى مجنُّ الذنوب محكّ الزيوفِ

١. في «خ»: «أحبارها».

له همم عن مدى شأوها ... يقصِّرُ كلُّ مُجدٍّ خفوفِ
له المأثرات التي بيّضت ... بوجه التواريخ صُحُفَ الصُروفِ
له الرأي حكّكه العاجما ... ن جواري الصروف ومضغ الصريفِ
يراع له الدهر منه يُرا ... ع ويُفزع[1] أفراخ روع اللهيفِ
وفكر تثقّفه المشكلا ... ت لطيف يصيب مُصاص اللطيفِ
وفهم يرى بمرائي الظهو ... ر خفايا الأمور بلطف الشفوفِ
إذا الأمر أعجم أو أحجموا ... أسفَّ إليه برأيٍ حصيفِ
وراح يبدّد ما أشكلوا ... بلطف بيانٍ وشكل لطيفِ
صليب المشاشة ماضِغُها ... يهي وهي تقوى بنبعٍ ضعيفِ
يجاريه في فضله صنوه ... شريف الأفاضل خير شريفِ
فتىً عرّقت فيه من هاشم ... غطارف فضل ومجدٍ منيفِ
نقيُّ الحقائب عفُّ البرو ... د وقور المطارف طلق الكفوفِ
طليق المحيا إذا قطّبت ... وجوه الكرام بوجه الضيوفِ
تُريك يراعته مقولا ... يُصلصلُ بين القنا والسيوفِ
أخو فكرة تسبق الخطرا ... ت وتسبق في القول مرّ الحروفِ
وخلق ولا كرياضٍ على ... ضِفافِ الجداول غضّ الشنوفِ
وطبع ولا كنسيم الصبا ... ترقرقَ ما بين ماءٍ وريفِ
همُ القوم فرع وشيج العلا ... ء وفخر تليد الهدى والطريفِ
مناجيب فهرٍ وعليا نزار ... وهاشم شمّ الذرى والأنوفِ
مساميح في الجدب غرُّ الوجو ... ه مراجيحُ يقظٌ كرامُ الطروفِ
فلا غرو أن حلّقوا في الورى ... ولمّا يُقش فردهم بالألوفِ
بني آل بيت الهدى الأطيبين ... وسدرة عرش العلاء المنيفِ

---

١. في «خ»: «ويفرغ».

عذيري وصرف الزمان غدو ... ر لقد فهّهتني لُسْنُ الصُّروفِ
قريضي وإن مدّ جزر البحو ... ر يفيض اللآلي على كلّ سِيفِ
مواخرُ مدحي في فضلكم ... لقد غرقت فيه بعد الوقوفِ
فقولوا لطوفان فضلكمُ ... ترفّق وقولوا لفلكي طوفي
مآثركم إن[1] تُعدّ النجوم ... فما إن لهنّ على العدّ موفِ
سلمتم ولا جرّ حرب الصرو ... ف لكم بعدها غير صفو الأُلوفِ
أُعزّي ولست أخصّكمُ ... بني الوحي إذ عمّ رزء الشريفِ
ولا أنشد الصبر فيكم وأنتم ... سُلوّ الأسيّ أُساةُ القُروفِ
ولكن أُهنّي فقيد العُلى ... بسُعدى الوُصول وسُلمى الأُزوفِ
ونُعمى وطوبى وحسن مآب ... وعيشٍ رغيدٍ وربٍّ رؤوفِ
فيا نازحاً بالهنا والسرو ... ر إلى خير دارٍ وأخصب ريفِ
سعيت ونورك بين يديـ ... ـك سعى يستشفّ ظلام الحتوفِ
ونحن بنارَي جوىً ونوىً ... وأسْرَيْ هموم ودهرٍ عنيفِ
عليك أبا الطيّبين[2] السلا ... م وطبت عطوفاً نزيل عطوفِ
ولا زال دلّاح فيض الرضى ... يغادي ثراك بدجنٍ وكوفِ

وللفاضل الفذّ أديب عاملة في عصره المرحوم الشيخ محمّد حسين بن الشيخ محسن شمس الدين(١) ثلاث فرائد: الأُولى تليت يوم الدفن وهي ما يلي:

رزاياك في الأيّام جلّ وقوعها ... فلا غرو أن سالت عليك دموعُها

---

(١) كان من أعلام الأدب وفي طليعة الفحول من شعراء جبل عامل في هذا العصر. ولد في حدود سنة ١٢٨٠ في قرية مجدل سلم، وتوفّي فيها سنة ١٣٤٢ وكان في الفضل والعلم على جانب، ألحقه الله بمنازل الأبرار.

---

١. في «خ»: «لو».
٢. في «خ»: «الاطيبين».

وهذي العُلى من بعد فقدك حسرة　　يروع حشاها للنوى ما يروعُها
وتلك رياض العلم بعدك صوّحت　　وأندية العليا تعفّت ربوعُها
وهاشم هذا اليوم ولّى عميدها　　وثلّم ماضيها وأودى قريعُها
قد انتزعت للحادثات[1] مهنّدا　　على[2] حشا الإسلام طال نزوعُها
فيا راحلاً والمجد والرشد والهدى　　ألا أوبة يرجى الغداة رجوعُها
تركت قلوب الخلق تخفق زفرةً　　تكاد لها تنقضّ حزناً ضلوعُها
فكلّ لكلّ يشتكي لاعج الجوى　　بعبرة حزنٍ ليس يرقا نجيعُها
ولا كبد يا نور باصرة العُلى　　لفقدك إلّا أوهنتها صدوعُها
لتبكي المعالي شجوها بعد يوسف　　بحسرة ثكلى ما اعتراها هجوعُها
ويا شرعة الهادي اندبي ندبك الذي　　به كانت الأحكام عذباً شروعُها
ويا طالب المعروف طيّاً على الشجى　　فحافلة المعروف جفّت ضروعُها
أمرتاد أرياف الندى بعد فقده　　على اليأس عرّس فات منك مريعُها
بمن بعد نستسقي على الجدب مزنة　　فينهلّ من غرّ الغوادي هموعُها
لقد عثر الدهر الخؤون فلا لعاً　　بركن العُلى حتّى تداعى منيعُها
فدتك أبا عبد الحسين من الردى　　نفوس الورى ـ لو كنت تفدى ـ جميعُها
لك الله من ثاوٍ أطرت قلوبنا　　أسىً وعلى مثواك كان وقوعُها
ولله يوم سرت فيه مشيّعاً　　على النعش والتفّت عليك جموعُها
تُقِلُّ على أعناقها طود عزّها　　فيلوى بها ممّا تُقلُّ خضوعُها
وفي صدر من في النعش أسرار حكمة　　يضيق بها رحب الفضا لو يذيعُها
فيا حاملي نعش ابن أكرم هاشم　　رويداً فهذي طيبة وبقيعُها
ويا قبره بوركت قبراً فقد ثوى　　بك اليوم من عليا لؤيٍّ رفيعُها
وبوركت بالسيف الصنيع مضاجعاً　　على أنّه خير السيوف صنيعُها

١. في «خ»: «انتزعتك الحادثات».
٢. في «خ»: «عليه».

لئن أفظعت فيك الخطوب فإنّما يهون بأبناك الكرام فظيعُها
هما علما مجدٍ، منارا هدايةٍ وما أحد علياهما يستطيعُها
ويا لهما فرعين قد أنجبتهما أُصولُ عُليٍّ طابت فطابت فروعُها
وكلٌّ بأعباء الشريعة ناهض تطاوعه أحكامها ويطيعُها
ولله ألطاف بنا وأجلّها أمانته في خلقه لا يضيعُها
وليس سوى عبد الحسين يقيمها إمامة حقّ حيث غاب تبيعُها[(١)]
وإنّ ثنايا المجد صعب طلوعها وهذا الشريف ابن الشريف طَلوعُها
وعلياكم آل النبيّ لأنتم جواهر قدس ليس يخفى نصوعُها
إذا تليت في الناس آيات حمدكم على الوجه إعظاماً يخرُّ سميعُها
وهل أنتم إلّا ذؤابة هاشم وهاشم فخراً لا يجارى ضليعُها[(٢)]
لئن قصرت أنسابها وهو غاية العلا ء فقد طالت لدى الفخر بوعُها
فيا قدوة الأبدال صبراً وإن يكن رزاياكم ثهلان لا يستطيعُها
وما مات من أنتم بقاياه في الورى وأيّ رزاياكم خفيف وقوعُها
وجاد ثرى قبر الإمام أبيكم عهاد الرضا ما انفكّ يهمي مريعُها

الثانية تليت يوم الأُسبوع وهي:

لفّ الردى بك للهدى علما نشّرته يا قدوة العلما
ورماك يذبل مفخر وحجىً من هاشم العلياء فانهدما
فدتك هاشم نور مقلتها ويداً على أعدائها وفما
يا شيبة الحمد الذي أخذت عنه الورى الأحكام والحكما
هذي قلوب العالمين أسىً ذابت وأجرتها العيون دما

---

(١) أي نصيرها.

(٢) الضليع: القويّ شديد الأضلاع.[١]

---

١. راجع المعجم الوسيط: ٢: ٥٤٢، «ض.ل.ع».

وهويت من أُفق العلى قمراً ... تجلو بنور ضيائك الظلما
سلبتك من أيدي العلى ومضت ... أيدي المنون الصارم الخذما
يا دهر دونك من نشاء[١] فقد ... هوّنت بعد اليوم ما عظما
غادرت قلب الشرع مضطرماً ... حزناً وصدر الدين محتدما
وبعثتها يا دهر فادحةً ... أهدت إلى عين الرشاد عمى
لله أيّ ملمّة طرقت ... لم تبق لا مجداً ولا كرما
أهدت لبيت المجد رائعةً ... عمداً ودكّت للهدى علما
لقحت بها الأيّام داهيةً ... عن مثلها بطن الردى عقما
لله يومك يوم فادحة ... من وقعها ظهر الهدى انقصما
يوم به حملتك خاضعة ... أعناق من طوّقتها نعما
كلّ يراوح باليدين حشاً ... حرّى ويذري الدمع منسجما
وتحوم فوق النعش أفئدةٌ ... فيزيدها حرُّ الظما ألما
وعلى ضريحك عقّروا مهجاً ... منها تفجّرت العيون دما
أفبعد يوسف وهو معتصم الـ ... ـعلياء تلقى عنه معتصما
ولّى وملء ردائه كرم ... فأقام حزناً ليس منصرما
كانت ليالينا به غرراً ... وغدت له أيّامنا بُهما
كانت به الأيّام محكمةً ... عقداً وعقد المجد منتظما
قد كان للراجين منتجعاً ... ولحوزة الشرع الشريف حِمى
كنّا إذا أكدى الحيا زمناً ... بدعائه نستمطر الديما
هل بعد فقدك يا عميد بني الـ ... ـعلياء يعود الشمل ملتئماً؟
وأما وذاتك وهي طاهرة ... قسماً وتلك أبرّها قسما
لولا بنوك الأكرمون لما ... رفعت يد لفضيلة علما

١. في «خ»: «تشاء».

عبد الحسين وصنوه وهما عَمَدا بيوتات العلى سَلِما
نورٌ تناقله غطارفة حتّى استقلّ بصلبك انقسما
وبدا على عبد الحسين له سيما عُلىً من قبل أن فطما
وتلا الشريف له وآيته أن ليس للعلياء مثلهما
كلٌ بعبء الشرع مضطلع وبدسته أمضى الورى حكما
لم يكتسب غير العلاء ولم ينقل لغير فضيلة قدما
بكت الشريعة وهي عالمة أنّ الإلّه بحفظها التزما
ما قطّبت لفراق كافلها إلّا وعنهم ثغرها ابتسما
فهم سكينة كلّ مضطرب حزناً وهم بعد العميد حِمى
فشريعة الهادي بكالئها عبد الحسين فريدها انتظما
هو مثل ضوء الصبح منبلج أرأيت ضوء الصبح مكتتما؟
ألقت له العليا مقالدها إذ كان أوفى في الورى ذمما
بهداه يعدم كلّ مبتدع وبجوده يستأصل العدما
وإذا رمى نظراً بمشكلةٍ هتك الحجاب وأوجز الكلما
ولما تصيب اللب فطنته أضحى بعلم الغيب متّهما
يا خير أبناء الورى شرفاً فيها وأعلى في العلى قدما
أنتم لنا عن كلّ مفتقدٍ خلف فدوموا للهدى علما

الثالثة تليت يوم الأربعين.

هي روعة ملأت عليك رحابَها ندباً وحمّلت الورى أوصابَها
لقحت بها أُمُّ الخطوب وأعقمت عن أن تجيء بمثلها أحقابَها
صبّت مصائبها فما من نسمة إلّا وجرّعها مصابك صابَها
سلبتك من أيدي العُلى أيدي الردى صمصامة شحذ الإلّه ذبابَها
وطوى الردى بك للشريعة كهفها وإمامها وخطيبها وكتابَها
أذهلت يا علم الهدى بمصابك الأعـ لام حتّى ما تصيب صوابَها

ولكم حشا ذابت فصعّدها الجوى　　حزناً وصوّبت العيون مُذابَها
أمقوّضاً بالمكرمات وبالهدى　　رفقاً فبينك للقلوب أذابَها
فقدت بك العلياء روح حياتها　　وبنو الورى ماناب شخصك نابَها
هذي العُلى وبنو العلاء مروعة　　جعلت شعار الحزن بعدك دابَها
قد كنت يا غوث اللهيف مهنّداً　　بك نستذلّ من الخطوب صعابَها
كنّا إذا ما أقلعت ديم الحيا　　جدباً بوجهك نستدرّ سحابَها
من للعفاة إذا السنون تتابعت　　يروي بفيض ندى يديه سغابَها؟
من للمساجد بعد فقدك يوسفٌ　　في الذكر يعمر خاشعاً محرابَها؟
فلتبكه متهجّداً أوراده　　ولتبك ناشئة الدجى أوّابَها
وليبكه الذكر الحكيم فإنّه　　لم يبق في آياته متشابِها
ولتبك هاشم غوثها وملاذها　　في النائبات وكهفها ومآبَها
فكنانةٌ نثلت كنانة نبلها　　ولوت لؤيٌ للخطوب رقابَها
اليوم غاب عن الشريعة من به　　وبجدّه الباري أعزّ جنابَها
اليوم غودرت الفضائل والعُلى　　ثكلى تشقّ عن البرود إهابَها
لله يومك وهو أعظم فادحٍ　　ملأت نوادبه عليك رحابَها
يوم به حملتك أبناء الورى　　زُمراً وروزؤك مذهب[1] ألبابَها
لو أنصفتك لوسّدتك قلوبها　　وعن الصفائح أشرجت أهدابَها
كلّ يصعّد حول نعشك زفرة　　والعين يفعم دمعها ميزابَها
يتجرّعون من الكآبة أكؤساً　　مجّت بها أفعى الخطوب لعابَها
بوركت تربة يوسف من تربةٍ　　طابت فلم يحكِ العبير ترابَها
واريتِ ما داريت[2] عيبة سرّه　　في الخلق لو كشف الإله حجابَها
ما غاب عن غاب الشريعة ليثها　　حتّى أقام بنيه تحرس غابَها

١. في «خ»: «مذهل».
٢. في «خ»: «واريت».

كادت تمورُ سماءُ كلّ فضيلةٍ — لو لم تكن أبناؤه أقطابَها
فهُم بدورُ هدىً بحورُ فضائل — تنفكّ تمنح سؤلها طُلّابَها
سمكوا قباب المجد حتّى أنّهم — عقدوا بناحية[1] السُّهى أطنابَها
كلٌّ لكسب المجد جدّ فلم يدع — من غمرةٍ إلّا وخاض عبابَها
فالمجتبى عبد الحسين أجلُّ من — هتفت به أمّ العُلى فأجابَها
من مثله جلّى بكلّ فضيلةٍ — ورمى إلى غرض العُلى فأصابَها
لم تبدُ مكرمة له إلّا انبرى — كتّابها دون الورى وهّابَها
فترى بني الحاجات حول جنابه — جعلت نداهُ بابَها وعبابَها
وإذا جرى فوق الطروس يراعه — أبصرته أفعى تُصرّف نابَها
هو أعجمٌ لكنّه ببيانه — كشف الحقيقة موضحاً إعرابَها
ولو الرماح عرفْنَ وقع نثاره — يوم الوغى غيظاً نثرن كعابَها
فالسمر والبيض الرقاق كلاهما — عنه أخذن طعانها وضرابَها
وإذا تناقضت الظنون أعارها — عن فكره نظراً يضيء صوابَها
من مثله يقري الوفود بشاشةً — وقِرىً ويملأ بالنوال وطابَها
هو والشريف أخوه قد بلغا من الـ — ـعليا بصادق جدّهم أسبابَها
كلّ بأعباء الشريعة ناهض — ويُضيء للمسترشدين شهابَها
يستنبط الأحكام وهي غوامض — عن وحي فطنته فيفتح بابَها
ويجيل في بدء المطالب فكرةً — وقّادةً فيرى بها أعقابَها
كثرت مآثرهم فلست أطيقها — عدّاً ولا يحصي اليراع حسابَها
ولو أنّها تلك المآثر جُسّمت — كانت مصابيح السما أترابَها
من نبعة الشرف الأصيل تفرّعت — أنسابها واسأل بها أحسابَها
ضربت لنبعة هاشم أعراقها — شرفاً فسادت في الورى أضرابَها

---

[1] في «خ»: «بناجية».

صبراً على الأرزاء صفوة هاشم   فلقد علمتم أجرها وثوابَها
إنّ الرزايا كابراً عن كابرٍ   حلّت بكم فتدرّعوا جلبابَها

وللشريف الفقيه العلّامة السيّد جواد مرتضى الحسيني العاملي(١) ـ أعلى الله مقامه ـ قصيدة عصماء فقدناها فيما فقدناه من تلك الفرائد، ولم نجد منها سوى أبيات لم تكن مطّردة في سياق واحد وهي قوله:

خطب أزال الرواسي عن مراسيها   وزلزل الأرض فانهارت نواحيها
نفديك يا يوسف من كلّ نازلة   بالأهل والمال والدنيا ومن فيها
أُفدي الإمام أبا عبد الحسين ومن   لموته جزّت العليا نواصيها
جرت إليه المنايا في تصرّفها   فليتها لا جرت يوماً عواديها
لولا التسلّي بنجليه لما هجعت   منّا العيون ولا جفّت مآقيها
عبد الحسين إمام الناس مفزعهم   في النائبات إذا حلّت دواهيها
سعى لنيل المعالي سعي مجتهدٍ   بهمّة تملأ الدنيا مساعيها
مشاكل العلم إن غطت غياهبها   على العقول بنور الرأي يجليها
ألقى إليه إلّه الناس خالقهم   أحكام دينٍ غدا للناس يلقيها
كأنّ جبريل في ألواح خاطره   عن مصدر الوحي والتنزيل يوحيها

---

(١) هو السيّد الجواد بن الحسين بن حيدر بن المرتضى بن محمّد بن حيدر بن محمّد بن مرتضى بن حيدر بن عليّ بن حيدر بن محمّد بن يوسف بن قاسم الحسيني، المولود سنة ١٢٦٦ في قرية عيثا الواقعة على مقربة من تبنين، والمتوفّى فيها يوم الخميس الرابع من جمادى الأُولى سنة ١٣٤١. وكان من أجلّاء السادة والعلماء قد زاده الله بسطةً في العلم والجسم، ورعاً إلى الغاية، زاهداً في الدنيا، راغباً في ما عند الله، يستسق بوجهه الغمام، معروفاً بمكارم الأخلاق، ومحامد الصفات، وعزّة النفس، أديباً شاعراً، سكن مدّةً في بعلبك فكان محلّ الكرامة بما طبع عليه من المكارم والفضائل، وهكذا كان في أدوار حياته منذ نشأته حتّى أجاب داعي ربّه ـ رضوان الله عليه ـ.

يروي أحاديثها عن عترة كرمت ... عن جدّها سيّد الأكوان ترويها
وذا الشريف له في العلم منزلة ... مسارح الفكر تعيا عن ترقّيها
وذات قدس صفات الحمد قد جمعت ... فليس يلفى بهذا الكون ثانيها
ذو همّة لا أقول العضب يشبهها ... جلّت عن العضب تمثيلاً وتشبيها
فالعضب يخطئ أحياناً بضربته ... وهذه ما تخطّت عن مراميها
وطلعة لا أقول البدر يشبهها ... وقد رأيت بوجه البدر تشويها
صبراً بني المصطفى والصبر شيمتكم ... لدى النوائب إن جارت لياليها
إنّي أعزي كرام الحيّ أسرته ... عن محنة عمّت الدنيا بواكيها
في عترة خيرُ أهل الأرض قاطبةً ... أجدادهم فليكن فيهم تأسّيها
سقى الضريح وما يحويه من شرفٍ ... من مزنه العفو والرضوان هاميها

هذه شذرة ممّا جادت به قرائح أهل الفضل في مراثيه أعلى الله مقامه. وقس عليها ما سواها من القصائد العامرة لكلّ أديب فذّ من الشخصيّات البارزة في عاملة[1] شكر الله عواطفهم.

---

(١) كان عمّنا السيّد هاشم بن السيّد محمّد هاشم له في هذا الموضوع قصيدتان، وللسيّد أمين بن السيّد عليّ أحمد ثلاث قصائد، وللمقدّس أخي الشريف قصيدة واحدة، وللشيخ أسد الله صفا قصيدة، وللشيخ حبيب إبراهيم نزيل بعلبك قصيدة، وللشيخ أحمد عارف الزين صاحب العرفان قصيدة، وللشيخ عليّ مهديّ شمس الدين قصيدة، وللشيخ عبدالحسن بن الشيخ عبدالله الظاهر قصيدتان، وللشيخ عليّ بن الشيخ أحمد شرارة قصيدة، ولكامل بن الشيخ وهبه شعيب قصيدتان، وقصائد أُخر عصاه لغير هؤلاء الفضلاء ضاق عنها الإملاء... دوّنها ابن عمّنا السيّد عليّ مع ما أُنشأ يومئذٍ من الخطب في هذا الموضوع مجموعة على حدة، فكانت محكمة الوضع أنيقة. وربما توفّق لنشرها إن شاء الله تعالى.

عقبه

أعقب السيّد من البنين ثمانية ومن البنات خمسة، فأوّل البنين مؤلّف هذه السلسلة عبدالحسين وثانيهم أخوه السيّد محمّد الشريف[١].

ثالثهم: السيّد جواد وأمّه كريمة عمّ أبيه السيّد أبو جعفر بن السيّد إسماعيل ـ ولد في ربيع الأوّل سنة ١٣٠٢، وهو من الصالحين، وعدول المؤمنين، وله في مآتم جدّه سيّد الشهداء مقام كريم، يشكره مستمعو قراءته، والباكون المعولون عند نياحته، وهو من السادة المحترمين، صبور غيور، عزيز النفس، بعيد عن الشرّ؛ إذا غلب على الكلام لا يغلب على الصمت، وهو مثناث[٢].

رابعهم: السيّد محمّد المولود ليلة الحادي عشر من رجب سنة ١٣١٢، وأمّه كريمة السيّد عليّ أحمد(١)، وهو من أهل النجدة والحميّة، قويّ البنية، شديد الأسر، مستحكم الخلقة، وثيق التركيب، مرير متماسك، صلب العضل، متين العصب، شديد الأوصال، له مكانة بين أترابه، محترم بينهم، في خلقه لين وهوادة، يأخذ الأمور بالملاينة والمساهلة[٣].

له من الأولاد اثنان: عبد الرؤوف ولد سنة ١٣٣٨ وهو من النجباء الغيورين[٤].

---

(١) المتوفّى في جناتا سنة ١٣٢٨، وكان من الأجلّاء وصالحي المؤمنين، يقري الضيف ويرتاح إليه، وله إيمان يوازن ثهلان، وله أولاد نهج لهم مناهج الهدى فاقتفوها فكانوا له خلفاً صالحاً.

---

١. يأتي ذكر السيّد عبدالحسين في ص ٤٩٣ بقلمه الشريف. والسيّد الشريف في ص ٤٤٨.

٢. توفّي عليه الرحمة في ٢٥ شوّال سنة ١٣٩٥.«ع»

٣. توفّي عليه الرحمة في ٨ صفر سنة ١٣٧٩.«ع»

٤. توفّي في ٢٠ رجب سنة ١٤٢٢، وله أربعة أولاد: شريف ولد في ١١ ربيع الثاني سنة ١٣٦٩، وهو حائز على الماجستير في الأدب العربي، وعليّ ولد في شعبان سنة ١٣٧٧، ومحمّد ولد في ٢٩ رجب سنة ١٣٧٩، وهو دكتور في هندسة الكومبيوتر، وعصام ولد في جمادى الثانية سنة ١٣٨٥. وكان من شباب الوطنيّة المتحمّس، وقد ذهب ضحيتها في ٢٨ رجب سنة ١٤٠٥، وكان حائزاً على البكلوريا الثانية ومهيأً للتخصص.«ع»

وعبد الأمير ولد في ٨ المحرّم سنة ١٣٦١[١].

خامسهم: السيّد أحمد و كنيته أبوعلي، بها يعرف. ولد في صفر سنة ١٣١٤، وأعقب ولدين ماتا طفلين.

سادسهم: السيّد محمود، ولد سنة ١٣١٧[٢] وله ولد اسمه جعفر ولد سنة ١٣٤٩[٣].

سابعهم: السيّد موسى، ولد سنة ١٣١٨، وهو من النجباء، ذو نجدة ومروءة، يصبو إلى الشرف، وتطمح نفسه إلى المجد، يتّجر منذ أمد بعيد في سيراليون، افريقيا مع السيّد محمّدحسن والسيّد عبدالله ولدي عمّه السيّد حسين وأخباره سارّة من حيث دينه ومن حيث دنياه[٤] وله ولدان: عبد الأمير ولد هناك سنة ١٩٣٨م / سنة ١٣٥٧[٥] جعله الله من الصالحين وعبد الإله ولد في ٢٧ رمضان سنة ١٣٦٥[٦].

ثامنهم: السيّد شرف الدين ولد سنة ١٣٢٧، وهو من نجباء السادة[٧] ولا عقب له[٨].

---

١. ولعبد الأمير هذا ولد اسمه محمّد هادي ولد في ١٢ المحرّم سنة ١٣٩٣، وهما من السادة الأشراف الغيورين الطامحين إلى المعالي المشرعة بيوتهم للأهل والأصدقاء.«ع»

٢. توفّي رحمه الله في أوّل جمادى الأولى سنة ١٤٠٠.«ع»

٣. ولجعفر هذا خمسة أولاد: غازي ولد في ١٥ صفر سنة ١٣٧٢، ومحمّد ولد في ٢ رمضان سنة ١٣٧٤، وقتل سنة ١٣٩٥ بيد الكتائب، وعليّ ولد في ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٨٣، وأحمد ولد في ذي الحجّة سنة ١٣٨٧، ومصطفى ولد في ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٩٠.«ع»

٤. توفّي عليه الرحمة في بيروت ليلة ١٧ ذي الحجّة سنة ١٣٩٣، ونقل إلى النجف الأشرف ودفن بجنب المقدّس أخيه.«ع»

٥. هو من خيرة الشباب في نبل صفاته وحسن سلوكه، له خبرة تامّة في التجارة، ويقيم في سيراليون وله أربعة أولاد: يوسف ولد في ٢٠ شعبان سنة ١٣٨٢، وإبراهيم ولد في ١ صفر سنة ١٣٨٤، وناصر ولد في ٢٥ شوّال سنة ١٣٨٧، وعليّ ولد في ٢ جمادى الثانية سنة ١٣٩٤، وأمّهم فاطمة ثانية كريمات أخي السيّد صدر الدين عليه الرحمة ولناصر ولدان: خليل ولد في ١٤ المحرّم سنة ١٤٠٨، ومحمّدعليّ ولد في ٤ شوّال سنة ١٤٢٤.«ع»

٦. هو على وتيرة أخيه في أخلاقه وصفاته، له ولدواحد اسمه موسى، ولد في ٨ شوّال سنة ١٣٩١، وأمّه بنت محمّد عيسى من محترمي بلدة جون قرب صيدا، وحسين وهما على سيرة أبيهما وسريرته، كريمان مستقيمان جادّان في العمل والنشاط.«ع»

٧. أمّ شرف الدين هذه هي أمّ أخوته السيّد محمّد والسيّد محمود والسيّد أحمد أمّا السيّد موسى فأمّه من قوم نجباء يعرفون ببيت حمزة.«ع»

٨. توفّي عليه الرحمة في ٢٣ رجب سنة ١٣٩٥.«ع»

والدتي

هي السيّدة الشريفة زهراء، كريمة الشريف أبي الحسن الهادي بن السـيّد مـحمّد عليّ بن السيّد صالح بن السيّد محمّد الكبير.

وبالسيّد محمّد هذا يجتمع نسبا والدي المؤلّف عبدالحسين.

ولدت ـ قدّس اللّه نفسها، وطهّر رمسها ـ في حدود سنة ١٢٧٠، وهي بكر أبويها، أنشأها اللّه منشأً طيّباً زكيّاً في حضن أبوين مقدّسين، قد بـذلا الجـهد فـي تـربيتها وتهذيبها، وتعليمها كلّ ما يزيّن المرأة المؤمنة من شـؤون مـعاشها ومـعادها، وهـذه سنّة أبويها في جميع أولادهما ذكوراً وإناثاً، فكانت مـطبوعةً عـلى العـفّة، والصـون والطهر، ومكارم الأخلاق، ومحامد الصفات، ومحاسن الأفعال، طيّبة السريرة، محمودة السيرة، قد جرت في الإيمان باللّه تعالى وملائكته وكتبه ورسله والأئمّة المعصومين واليوم الآخر إلى أبعد الغايات، ولهـا فـي الإخـلاص للّـه عـزّوجـلّ فـي أعـمالها وأقوالها منزلةً سامية، فكانت صـوّامـةً قـوّامـةً، تـرتّل القـرآن الحكـيم، مـبتهلةً إلى اللّه عزّوجلّ بالأدعية المأثورة ولا سيّما في مظانّها، لا يجري لسانها بغير الحـقّ ولو على نفسها.

وكانت مع هذا كلّه متأنّقةً في خدمة الزوج، وتدبير المنزل، وتربية الأولاد، وإدارة سائر شؤونها، ماهرةً في تفصيل ثيابها وخياطتها وتطريزها، لَبِقَةً فـي أنـواع الطـبخ،

متفنّنةً في ذلك، تنشّط[١] لإكرام الضيف إلى الغاية.

وكانت مطّردة الخُلق مع القريب والبعيد، تأخذ الأُمور بالملاينة والإغماض.

أتحف اللّه بها والدي سنة ١٢٨٧، وقد أُخذ عليه في نفس العقد أن لا يخرجها من العراق إلّا باختيارها، وكان عازماً على التوطّن هناك، لكنّه أُلجئ إلى العود إلى جبل عامل ـ كما سمعت في أحواله[٢] ـ فلم يلزمها بمتابعته، وإنّما عزم على أن يصحبني معه، وكنت في الثامنة من عمري وأنا وحيدها ليس لها سواي من ذكر أو أنثى، فاضطرّت إلى متابعته، وفي الحقيقة أنّها إنّما تابعتني.

وحين أتت عاملة سلكت من سُبل الكرامة والشهامة منهجاً رفع اللّه به قدرها وعظّم أمرها، فكانت محلّ الإكبار، وموضع التقدير والإعجاب من جميع الناس.

وقد منيت بثلاث علّات ـ ضرائر ـ كانت تعاملهنّ المعاملة التي فرضت عليهنّ وعلى أهليهنّ إكبارها ومودّتها، فكنّ يَرَيْنَ خدمتها والبخوع لأمرها في كلّ ما تريد ضربة لازم، وكانت تُعني بأُمورهنّ وتهتمّ بشؤونهنّ وتؤثرهنّ فيما تربأ بنفسها عنه من الزخارف وزينة الدنيا.

ولمّا تزوّج السيّد والدي أُمّ أولاده محمّد ومحمود وشرف‌الدين زفّتها عروساً إليه من طورة إلى شحور، وخلعت عليها خلعاً نفيسةً، وآثرتها ببعض حليّها، وكانت تشفق على أولاد علّاتها، وتحنو عليهم حنو الوالدة العطوف لا تألو في رعايتهم والعناية بهم جهداً.

وكان أخي ـ المقدّس ـ الشريف حين أتتْ جبل عامل رضيعاً، فكانت تلقمه ثدييها، حاضنةً له، هانيةً عليه، بحنان وعطف فدرّت له(١) مع بعد عهدها عن الإرضاع، فأرضعته

(١) إذ كان لها حينئذٍ نحو ستة أو أكثر لم ترضع ولداً، وكان لها من قبلي بنت وجاءها بعدي غلام ماتا فطيمين.

١. تنشّط: صار نشيطاً. وللعمل: تهيّأ له وأقبل عليه. المعجم الوسيط: ٩٢٢، «ن. ش. ط».

٢. في ص ٤٠٩.

مع أُمّه تمام الحولين ثمّ ضمّته إليها في ليلها ونهارها وحضرها وأسفارها، وصحبته معها على حداثته إلى العراق في هجرتنا العلميّة، فكانت تؤثره عليّ في كلّ أمرٍ تؤثر الوالدة ابنها الصغير، وهكذا كانت معه حتّى زوّجته وقامت في عرسه قيام الوالدة الخبيرة.

ثمّ لمّا فجعت به كانت ثكلى حتّى لحقته رضوان اللّه عليهما.

وكانت من عزّة نفسها وشهامة طبعها وعلوّ أنفتها قد أسقطت حقوقها الزوجيّة منذ تزوّج السيّد عليها، ورغبت إليه كلّ الرغبة في أن يبادلها ذلك بكلّ رضىً منها وطلاقة وجهٍ ولم تزل به حتّى أجابها نزولاً على إصرارها. فانحازت إليّ حيث أكون.

وقد كنت محبوراً بخدمتها في هجرتي العلميّة مدّة إقامتي في العراق، وحين رجعت إلى عاملة كنت محبوّاً بخدمتها أيضاً.



[وفاتها]

وحين أتينا جبل عامل آثرت منزلي في شحور فكانت لي الحظوة بها، ثمّ ارتحلت معي إلى صور، فما زلت متعماً سعيداً بخدمتها حتّى اختار اللّه لها دار كرامته، وألحقها بآبائها الطاهرين ـ في صور ـ عند طلوع الشمس من يوم الخميس الرابع عشر من ربيع الثاني سنة ١٣٣٧، الموافق ١٦ كانون الثاني سنة ١٩١٩ في مرض الإسهال الكبدي ـ الدزنطاريا ـ وقد استمرّ معها نحواً من عشرين يوماً ما فاتها فيه شيء من واجباتها الشرعيّة.

وقد منينا في أواخر مرضها بمحنة أصابتنا في سبيل اللّه ـ عزّ وجلّ ـ إذ فاجأنا مدير الأمن العام ـ قومسير البوليس ـ بالهجوم علينا في دارنا ونحن غافلون، يريد تفتيشنا بزعم أنّ عندنا شيئاً يعارض سياسة المستعمرين، ولم يكن حينئذٍ في الدار من الرجال سواي، وكان معه بعض الدرك، فقمت في وجوههم، فألحّ في إنفاذ ما أراد بقلّة حياء، فأغلظت له القول، فصوّب مسدّسه تجاه وجهي، ففاجأته بدفعة منكرةً في صدره برجلي ألقته على قفاه وسقط المسدّس من يده، فبادرته بحذائي ضرباً على وجهه.

وفرّ أصحابه واجتمع الناس عليه رجالاً ونساءً وأولاداً فمزّقوه بضربهم ثياباً،

وإهاباً. وقامت قيامة البلد على بكرة أبيها، وقيامة البلاد العامليّة بأسرها مضربةً عن أعمالها، احتجاجاً على تلك السلطة الجائرة باعتدائها الفظيع على بحبوحة دينها، صاخبةً لهتك حرماتها، فنصر الله المؤمنين يومئذٍ بهذا نصراً عزيزاً. ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾[1].

وكانت المقدّسة قد انزعجت وارتاعت بوقوع هذه الحادثة، وقضت نحبها بعدها بيومين، فشاع في البلاد أنّها قضت بروعة الهجوم على ولدها، وحين نُعيت إلى الناس هرعوا رجالاً ونساءً ينسلون من كلّ حدب في جبل عامل، فكان لها تشييع رائع قليل النظير، وكانت الجلالة والأُبهة والسكينة والرضوان تتمثّل فيه بأجلى المظاهر.

وتقدّمت للصلاة عليها في تلك الجماهير، ثمّ واريناها في ضريحها المقدّس، ونزلت في قبرها فكنت آخر الناس عهداً بها.

ثمّ بنينا على القبر قبّةً، ومنّ الله عليّ بإنجاز ما أوصت به اليّ(١) والحمد للّه ربّ العالمين.

وكانت مآتمها حافلةً بأهل العلم والزعامة والوجاهة وسائر المؤمنين، وغيرهم من أهل المذاهب ولا سيّما في يومي الأُسبوع والأربعين. وأقام المؤمنات النياح عليها فبرهنّ بما قمن به على إخلاصهنّ لها ومثلن منزلتها في نفوسهنّ.

وكان شيخنا المقدّس الفقيه العلّامة الشيخ عليّ بن المرحوم الشيخ محمّد بن المبرور الشيخ عليّ مروّة[2] مريضاً في بلده حداثا، فلم يتمكّن من تشريف مآتمنا بحضوره، فكتب إلينا رسالةً كريمةً ضمّنها قصيدة عصماء، نكتفي

(١) وكنت على عهدها عازماً على نقلها إلى المشاهد المقدّسة، ومذ علمت بذلك نهتني عنه إيثاراً لراحتي وقالت: «يا بنيّ، المؤمن مع من أحبّ أينما كان».

١. الأحزاب (٣٣): ٢٥.

٢. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ٨: ٣٣٨؛ نقباء البشر ٤: ١٥٢٢، الرقم ٢٠٣٨؛ تكملة أمل الآمل: ٢٧٨، الرقم ٢٥٣؛ معارف الرجال ٢: ١٤٢، الرقم ٢٧٣.

بإثباتهما دون سائر المراثي؛ لأنّهما يصوّران تلك المرحلة من تأريخ البلاد:

بسم الله الرحمن الرحيم

أُقدّم واجب الشكر لوليّ النعماء والأمر، على جليل نعمائه، وجزيل آلائه، وأُصلّي على المبعوث للأُمّة رأفةً ورحمةً، وآله الأعلين، وسلالته المصطفين، وأُعزّي حامل لواء الفخر والعزّ، بما لديَّ جلَّ وعليّ عزّ، وأُهنّيه بما عاد له فخراً وذخراً، وعزّاً ونصراً. وأحمَد لَه ما عمّ الأُمّة فخره، وسرّ الجمع ذكره، وضاع في القطر طيب نشره، ووجب على الكلّ تأدية شكره.

لا زال كما هو شرف الدين والإسلام، وعزّ الحقّ والإيمان، وإمام الرشد والهدى، وعلم العلم والتقى، مبدأ كلّ محمدة، ومنتهى كلّ مكرمة، مفتاح الخير والنجاح، ومهبّ الفيض، ومعراج الفوز، ومطلع السرور، وطالع البشر، بيُمن فضله الأمن والمنّ، وبحسن مساعيه الرّوح والراحة، وبقارح إقدامه استئصال شأفة القرحة، وبعلوّ همّته إعلاء الكلمة، وبسداد رأيه سعادة الأُمّة، ولمّ الشعث، ورتق الفتق، والعزّة بعد الذلّة، والنهضة بعد الخمول، واليقظة من سنة الكرى، والإفاقة من سبات العقول، والهدي بعد الضلال، وإنارة الحقّ، وخمود نيران الجور، ونشر العلم والأحكام، والبقاء على دين الملك الديّان، دام ظلّه وعلا محلّه، آمين.

ولا يقال: «لا عطر بعد عروس» فإنّ العذر لعلّه لا يخفى، ولولا المرض[(١)] لكنت أوّل الوفد، وطلّاع أنجاد الجند، ومقدّمة سرايا الشكر والحمد، مظهر حنان[١] المعزّين[(٢)]، وبسّامة ثغور المهنّئين[(٣)]، ولكنّ الله غالب على أمره، والمحبّ لا يتّهم في عذره إن شاء الله تعالى والسلام.

---

(١) استمرّ به ذلك المرض حتّى قضى عليه أعلى الله مقامه.

(٢) أي بالمقدّسة.

(٣) بالنصر في تلك المحنة على أُولئك المستعمرين.

---

١. في «خ»: «جنان».

مـصعّد حـقد الغـيّ للـرشد صـوّبا رمى الدين سهماً قوّض الصون والخبا[١](١)
رمىٰ شرف الإسلام عـمداً فأخـطأت مـراميه لكن أقصدت شرف الإبا
رمىٰ من وراء الخدر شمس هدايةٍ تـسحجّبُ بـالنور الإلهـي لا الظُّبا
أصـاب العـفاف الضافيات سُتُوره ولم يـسعدُ عـنوان الكـمال المـنقّبا
فـلا عـاش راميه وشلّت يـمينُه أشلّ يـد المعروف والمجد أرهبا
أصـاب ولكـن أمّـه أشـركت بـه فأخـطت فأخـطا عـادياً ومـصوّبا
أراع ابـنة الهـادي فـريع حشـا الهدى لهـا وغـريبُ المـجد دمـعاً تـصبّبا
لِـمّا قـد أجـنّت مـن حـنان ورقّـة بـها مكّـن التـخويف نـاباً ومخلبا
فأوهـمها أنّ ابـنها فـخر هـاشم يـقاد وحـاشا أن يـقاد ملبّبا
فـلبّى لداعـي المـوت منها عـواطفٌ أُهـيجت بـها عـن حرّ وجـدٍ تلهّبا
قـضت بـين بـردي عـفّة ونـزاهـة وبـرديْ جـلال حَـوْكَ مـا نسج الإبا
فـيا رمسـها حـزت النزاهـة والتقى وحـجّبْتَ يُـوحى والعـفاف المـحجّبا
لَـطِبتَ وطـابت مـن ثـراك صـفائح حوت من صفايا شيبة الحمد ما احتبى[٢]
ثـوت فـيك مـن عـليا لُـؤيّ كـريمةٌ هـجانٌ عـلى دوح العُـلى فـرُعها ربـا
وفـيك تـوارت للـفواطـم حُـرّةٌ إيـاها أبـىٰ إلاك خـدراً مـثوّبا(٢)
تـضمّنها[٣] مـن آل طـه بـقيّةٌ بـها بـقي المـعروف حتّى نبت نـبا

(١) المراد بـ«المصعّد» و«المصوّب» هنا إنّما هو ذلك المهاجم، والمراد بـ«الدين» مَنْ صُوّب عليه المسدّس. والمراد من قوله: «قوّض الصون والخبا» إنّما هي ذات الصون والخبا المقدّسة، إذ بلغ الشيخ أنّها ماتت رعباً.

(٢) مأخوذ من قولهم: «ثوّبه من كذا» أي عوّضه. والمراد أنّها جعلت القبر عوضاً عن الخدر.

١. في «خ»: «الحيا».
٢. في «خ»: «اجتبى».
٣. في «خ»: «تضمّنتها».

تـضمّنها[1] للـفاطميّات قـدوةً وفـخراً بـه فـخر الحـرائـر لُـقّبا
مـن الخـفرات الطـيّبات سما بها وشيج نـجار فـي ذرى المـجد طـنّبا
بـطيب الحـجور الطـاهرات ترعرعت وقـد شـرُفت أمّـاً كـما شرُفت أبا
تـحيط بـها مـجدولةً يـعربيّةً عن الشرف الأعلى بها المـجد أعـربا
أبـوها أخـوها جـدّها بعلها ابنها هـم السـادة الأعـلون قـدراً ومـنصبا
حوت شرف الأحساب والنسب الذي بـه ورثت فـي السـاجدين التـقلّبا
سـلام عـلى المـعروف بعد اغترابها ويـا ضـيعة العـافي إذا العـام قـطّبا
إلى الروح والريحان طـوبى لها نجت وبشـراً لهـا[2] رضـوان فـي الخـلد رحّـبا
أُعـزّيك يـا عـزّ الفـضائل والنهى وأدعـوك للسـلوان مـع مـن تـقرّبا
وُقيت الردى فاسلم ويـا أحسن العزا لك اللّـه عـنها والجـزاء المـرغّبا
وخفّض على علياك ما الغيّ قاده(١) لرشـدك مـن يـبغي بـه قـد تـوثّبا
متى كـان نـبح الكـلب للـبدر ضائراً إذا مـا بـدا يـجلو عـن الأفـق غـيهبا
وهـل يُـرهب الضـرغام كـيدُ أمّ عـامرٍ ويخشى السـبنتى الدهـر سِمعاً وثـعلبا(٢)
بلى عجبٌ يستطرق الغِيل هـوذلٌ(٣) ويأوى ابـن آوى زبـية اللـيث مُـرهبا
ويسطو على حامي الحما وهو في الحما سـفيه بـني الحـلّاج(٤) مـع مـن تـحزّبا

(١) الضمير في «قاده» راجع إلى ذلك المتهجّم، ويعرف بابن الحلّاج.

(٢) الضرغام: الأسد، وأمّ عامر: الضبع، والسبنتى: النمر، والسِمع: حيوان مركّب من ذئب وضبعة، والثعلب: معروف، والدهر منصوب على الظرفيّة أي مدّة الدهر.

(٣) الغيل: موضع الأسد، والهوذل: ولد القرد.

(٤) واسمه جبران[3] الحلّاج كان مدير الأمن، وهو الذي هجم على الدار بنفرٍ كان معه من الدرك، وصوّب مسدّسه.

١. في «خ»: «تضمّنتها».

٢. في «خ»: «بها».

٣. في «خ»: «جورج».

ولكــن رمــى واللّـه رام ومـن له ... قِـبالة مـرمى اللّـه مـرميّ تـخيّبا
ورام مــحالاً مــن سـفاهة رأيـه ... ليــطفئ نـور اللّـه واللّـه قـد أبـى
وردّ الذيــن اســتنجدوه بـغيظهم ... فلم يبلغوا مـمّا ابـتغوا قـطّ مأربـا
وزاد الإلّـــه المــؤمنين بـنورهم ... هدىً منه فـازدادوا هـدى وتـقرّبا
وعــزّاً وإجــلالاً حـباهم ورفـعةً ... ومجداً ومجد اللّه من أفضل الحُـبا
وأعــلى أمـين اللّـه وابـن أمـينه ... مــقاماً كـما أولاه جـاهاً ومـنصباً
مدارَ النهى عبدالحسين فتى العُـلى ... أجــلّ ســراة الطــالبيّين مــطلبا
فــعزّ بــه الإســلام وهــو مـعزّه ... كـما نكّب الإلحـاد رأسـاً ومـنكبا
أبا الفضل ما أزرى بـنعلك حـاسدٌ ... لئـيمٌ عـلى مـغناك جـهلاً تـعصّبا
فــراح بــلا إذن يـجوس خـلاله ... وفي صـونه نُـور الجـلال تـحجّبا
كــبيرة جـرمٍ أصـغر الوغـدُ قـصدها ... وقــد جـلّ عـند اللّـه جُـرماً ومـعتبا
لذاك اتــيحت للشــقيّ نــوائبٌ ... دعــته طــريداً خــائفاً مـترقّبا
وولّـــى أعــزّاء الضــلال أذلّــةً ... بهم قد أحاط الخزي والعـار طـنّبا
وأمسى الشريف العدلُ والأمر أمره ... شــريفاً بـأكـليل الفـخار مُـعصّبا
فــتى يسـتفزّ الديـنٌ غـيرةً بأسـه ... ويأبــى له إلّا تــرفّعه الإبــا
فــتى الحـزم أمّـا فـي العُـلى فـجذيـ ... ـلُها المحكّك يدعى والعذيق المرجّـبا
وأمّـا إذا مـا اسـتصرخ الفـضلُ أهـلَه ... لمــعقودةٍ فــي حــلّها حُـلّت الحـبا
فـطلّاع أنـجاد عـلى غـور فـضله ... يروض شماس الخطب مهما تذبذبا
إن احتكّت الآراء فابن جـلا العـلى ... وإن أحجموا عن مفجم الأمر أعربا
وإن رام أمــــراً مــــرّ لامــتلكنّاً ... بــصارم عــزم غـربه قـطّ مـا نـبا
له فــي انـتهاز الحـزم هـبّةُ حـازمٍ ... إذا صلصلت بين الظبا قصّت الظـبا
فــتىً عـرّقت مـن آل فـهرٍ بـنبعه ... بــهاليل مــجدٍ أغــلبٌ أمّ أغـلبا
وأنــجبه للـعرف والجـود والتـقى ... مناجيب فـضل مـنجبٌ دلّ مـنجبا
تلوذ به الحاجات ذيدت على ظما ... فتصدر ريّا قد حـلت مـنه مشـربا

وتـضوي إلى مغناه وُفّادُ جوده | على ضوء نورٍ من مُحياه ما خبا
ولو ضلّ قصد الوافدين لدلّهم | شذى ذكره الفيّاح شرقاً ومغربا
بـه يأرج النادي كأن لطيمةً | بأنفاس ريّاها تضمّخت الرُبا
إذا أجدب العافون أو أمحل الندى | يؤمّون ربعاً من مجانيه مخصبا
يـؤمّون وهّاب المئين وربّما | بما بين جنبيه أحبّ التقرّبا
يـؤمّون لا سمجاً ولا متبرّماً | على الربع سعّالاً وإن سيل وزّبا؟؟
ويدعون بسّاماً كأنّ جبينه | به خطّ، وخطُّ البشر أهلاً ومرحبا
فيمنٌ بيمناه ويسرٌ يساره[1] | ومن فيه لحن القول ذُقتَ المذوبا
رزينٌ إذا استدعي خفيف إذا دعي | فإن ضاف لم يشره وإن ضيف رحّبا
هجودٌ إذا الليل اسبكرّت هجودُه | نؤوم إذا ما استهدف السُهد ملعبا
وفيٌّ له حفظ المودّة شيمةٌ | ورعيُ الإخا طبع على حبّه ربا
ولم يك نقّاضاً عهود صديقه | ولا الصدُّ يصبيه إذا خلّه صبا
ألا يا اسلمي[2] يا صور من حادث الردى | ولا مكّنت منك النوائب مخلبا
وجرّي ذيول العزّ والأمن والمنى | على عقدات الرمل واستنسمي الصبا
لدينك أرخصت الغوالي فأرخصت | فرنسا لكِ الغالي، ويأبى لك الإبا![3]
ومن يك داعي الحقّ داعيه لم يكن | لخالقه[4] إلّا العزيز المقرّبا[5]

١. في «خ»: «بيساره».
٢. في «خ»: «سلمي».
٣. كذا في هامش «أ»، وفي متن «أ» و «خ»: «واعلتك منصبا».
٤. كذا في هامش «أ» و في متنه: «لحاكمه بالحق»، وفي «خ»: «لحاكمه».
٥. في «أ» و «خ»: «مقرّباً» بدل «العزيز المقرّبا».

أخي السيّد شريف

الثاني ـ من أبناء والدي بعدي ـ أخي السيّد شريف.

أُمّه كريمة ـ العلّامة المقدّس ـ الشيخ محمّد بن سليمان بن عليّ بن الحاجّ بن زين خليل من الأُسرة الكريمة المعروفة ببيت الزين، وهي من أُسر المجد قديماً وحديثاً، وفيها الفضلاء والأتقياء والكتبة والوجوه والأغنياء.

مكانته العلميّة

كان ـ أعلى اللّه مقامه ـ من جهابذة أولي النظر، والراسخين في العلم، طويل الباع، غزير المادّة، واسع الاطّلاع، قد أصبح ممّن تثنى به الأصابع، وتعقد عليه الخناصر، ويرجع إلى رأيه في الأحكام الشرعيّة، ويستصبح بهديه في المعضلات الدينيّة.

مكانته الأدبية إجمالاً

كان رحمه الله له اليد الطولى في صناعتي النظم والنثر، والقدح المعلّى في كلّ ما يكون به الإنسان كاملاً في الأدب، وكان ـ على قلّة كلامه وحرصه على السكوت ـ دريّ اللفظ، عسجدي المعنى، قد برئ عن معرّة اللغو، وتجافى عن مضاجع الخطإ.

قلّ ما أعرف من هو أبصر منه بمواقع الكلام أو مواضع النقد.

أخلاقه الشريفة

كان كريم الأخلاق، طيّب العنصر، طلق الوجه، حلو المعاشرة، ظريف المحاضرة، أبيّاً للضيم، حميّ الأنف، طيّب السريرة، حسن السيرة، بطيء الرجل عن المنكر، قصير اليد عن السوء.

فسبحان من جبله من طينة المكارم، وصاغه من معدن المراحم.

وتبارك الذي زانه بحلم لا تصدع صفاته، ولا تستثار قطاته، وجعله ممّن لا يزدهف عن وقاره، ولا يحفز عن رزانته، على رقّة فيه تمزجه بالأرواح، وعذوبة مذاق له تشربه في القلوب.

ما وقفت له منذ نعومة أظفاره إلّا على المفاخر والمآثر، وأقوال الصدّيقين، وأفعال المهذّبين، وسمت المخلصين، وهدي آبائه المعصومين صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين [1].

---

١. من أوصافه الحميدة ما ذكره عنه العلّامة الشيخ محمّدجواد مغنية رحمه الله في كتابه تجارب محمّدجواد مغنية ص ٧١ وهو ما يلي:

حدّثني المقدّس السيّد حسن محمود الأمين، قال: كنت والمرحوم السيّد شريف شرف‌الدين أخوين متصافيين فأصابتي داء الحمى، ففقدت معه الشعور والإدراك، ونسيت كلّ شيء حتّى الصلاة وأفعالها وأقوالها، فكان يأتيني السيّد شريف في أوقات الصلاة، ويجلس إلى جانبي ويقول لي: قل وافعل كما أقول وأفعل، فيشرع بالصلاة وأنا أتابعه.

إنّ في هذا المثال صورة بارزة عن قداسة أُولئك الصفوة الهداة، وعن شعورهم بالواجب تجاه خالقهم وإخوانهم، إنّ مرض السيّد حسن أسقط عنه الفرض، وإنّ السيّد الشريف قد أبى عليه دينه أن لا يذكر أخوه الحسن الله سبحانه في الأوقات التي كان يذكره فيها، فكان له عوناً على البرّ والتقى في هذه الحال؛ ليكون اللّه في عونهما في جميع الأحوال.

لقد كان من تأثير هذه العوامل الدينيّة أن أنجبت النجف أقطاباً تمحّضت أقوالهم وأفعالهم للّه وحده، فإن نطقوا ففي نطقهم الصدق والهداية، وإن سكتوا ففي سكوتهم التفكير والطاعة، وإن فعلوا ففي فعلهم الخير والصلاح، وإن آخوا آخوا في اللّه، وفي اللّه وحده. «ع»

مولده وتحصيله

ولد ليلة الجمعة مستهلّ شهر رمضان سنة ١٢٩٨ في قرية شحور، وحفظ القرآن الكريم، وتعلّم منّي الخطّ والرقم الهندي، وحفظ الأجرومية والبناء وأدّاهما عن ظهر قلبه. وأفهمته معناهما تفصيلاً، ولم يتجاوز العشر من عمره الشريف، ثمّ ألقيت عليه مباحث شرح القطر، وكنت ألزمه كلّ يوم بتركيب العبارة بعد قراءتها وضبطها على العربيّة مادّةً وهيئةً، فلمّا توسّط القطر ألزمته مضافاً إلى ذلك بتفسير العبارة أمام الدرس في كلّ يوم، وتقرير الدرس بعده عن ظهر الغيب، وأخذ عنّي مع القطر شرح التصريف للتفتازاني بطريقة مستقيمة متقنة، فما أكمل الكتابين إلّا وهو ماهر في قواعد النحو والصرف.

وفي سنة ١٣١٠ غرّة ربيع الأوّل المبارك خرجنا لطلب العلوم وتحصيلها في العراق، ولأخي يومئذٍ اثنا عشر عاماً ولم يكن قد أكمل الكتابين فأتمّهما في سامرّاء المقدّسة حيث لبثنا فيها سنةً وشهرين، أواخر أيّام آيةالله وسفير خلفائه الإمام الحجّة الحسيني الشيرازي أعلى اللّه مقامه، وكان العلم فيها ضارباً بجرانه، وسوقه ممّا لا نظير له لكثرة من كان ثَمّة من أعلام العلماء.

ولم نزل هناك حتّى كانت الفتنة بين السامريّين ـ أهل البلد ـ والمؤمنين من المجاورين، فرحلنا إلى النجف الأشرف، وكان أخي قد ابتدأ عندي بشرح الألفية لابن الناظم، فأكملتها له نحواً وصرفاً، وحمل النظم على ظهر قلبه، وانطبعت قواعد العِلمين على لوح حافظته، وانتقشت في صفحة ذهنه، وكانت تدور على لسانه.

ورغب فيه طلّاب العربيّة، فعكفوا عليه يأخذون عنه دروسها، فألقى عليهم مباحث القطر والألفيّة والمغني و[شرح] التفتازاني وشرح الشافية مراراً. وقرأ عليّ في المنطق حاشية الملا عبدالله وشرح الشمسية فما أتمّهما حتّى تربع على منصّة التدريس فيهما، وقرأ عليّ من المعاني والبيان كتاب المطوّل للمحقّق التفتازاني بتمام التدقيق والضبط.

وفي خلال ذلك قرأ عليّ تبصرة العلّامة، وشرائع المحقّق، ثمّ قرأ عليّ من سطوح الأُصول والفقه المعالم والقوانين وشرح اللمعة وكتاب الطهارة من الرياض، وكان ملتزماً بتحرير دروسه غالباً، فله تعليقات على كلّ ما وقف به عليّ من النحو والمنطق والمعاني والبيان، وأُصول الفقه.

وقرأ رسائل الشيخ على أُستاذه العلّامة المحقّق الشيخ أحمد كاشف الغطاء[1] قرأها عليه مرّتين بتمام التدقيق والاتقان، وقرأ عليه جملةً من المباحث الفقهيّة، ولازمه مدّة إقامته في النجف الأشرف واستفاد منه فوائد عظيمةً.

ثمّ عكف معي على منبر أُستاذنا إمام الكلّ في الكلّ الحجّة الخراساني، وكان يومئذٍ ـ رفع اللّه درجته ـ يؤلّف كتاب الأصول فأخذ منه جملةً من مباحثها، وحضر معي درس أُستاذنا إمام الفقهاء الشيخ محمّد طه نجف ﷺ فسمع منه بعض المباحث الفقهيّة.

وفي سنة ١٣٢٢ رجعنا جميعاً إلى عاملة، وكان قد جمع على قواعد الأُصول وعاء قلبه، وأشربها بأسرها حفظه، وألقاها على تلامذته، وكان يحسُّ أنّه كرع من سائغ الفقه حتّى ارتوى، ومع ذلك لم يلبث في عاملة إلّا ريث ما تأهّل بأُمّ أولاده كريمة عمّ والدته الحاجّ عليّ أفندي الزين[2]، ثمّ كرّ راجعاً إلى النجف الأشرف ـ وله إذ ذاك ستّ وعشرون سنةً ـ فوقف على أئمّة الفقه والأُصول، وأوغل في البحث، وأمعن في التنقيب، وأخلى للعلمين ذرعه، وقصر عليهما نفسه، وأنفق عليهما أوقاته، واستنزف في معاناتهما أيّامه، حتّى استبطن دخائلهما، واستجلى غوامضهما، واستخرج مخبآتهما، وغاص على

---

١. هو الشيخ أحمد بن الشيخ عليّ بن الشيخ محمّدرضا بن الشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ولد سنة ١٢٩٢، وبلغ بجدّه واجتهاده أرقى مراتب الاجتهاد، وحاز من العلوم الدينيّة أسمى الدرجات، رجع إليه بالتقليد بعد وفاة أُستاذه اليزدي بعض عشائر العراق، وبعض البلدان الإيرانيّة وأفغانستان، وكانت له حوزة علميّة حافلة، وله سعة صدر، وسداد عقل، ونباهة تخوّله للقيام بأعباء المرجعيّة العامّة، لكن القدر لم يسمح له، فتوفّي سنة ١٣٤٤. انتهى ملخّصاً عن ماضي النجف وحاضرها ج٣ ص١٢٧. «ع»

٢. كان من أعيان وسراة جبل عامل المعروفين، ذا سطوة ونفوذ عند الحكومة والشعب، ولد سنة ١٢٧٠، وكان يقيم في قرية شحور، وقد عرف بحنكته وسخائه وجرأته، توفّي سنة ١٣٤٩. «ع»

المكنون من دقائقهما، فعرج بذلك إلى أوج الاجتهاد، وتمّت للّه به الحجّة على العباد.

وقد منّ اللّه عليه بعلم العلماء، وقدوة المقدّسين من الفضلاء، الشيخ عبدالكريم بقيّة الإمام الكبير والعلم الخطير الشيخ موسى شرارة العاملي[١]، وكانا يجريان في عنان، كأنّهما فرسا رهان، فترافقا في الدرس والبحث وسائر الأوقات، وكلّ منهما يتحرّى لرفيقه وجوه النصح، ويتوخّى مناهج الرشد، فاستفادا بذلك فوائد جزيلةً، وعادت عليهما ـ في هذه الصحبة ـ بمنافع جليلة، وارتقيا بهما إلى أوج الكمال، وكان أبواهما المقدّسان على مثل ما كانا عليه من الوئام الخالص، والإخاء الصادق، وكان بعض الأعلام من أساتذة أخي وتربه المقدّسين يشبههما في سمتهما وهديهما وسائر شؤونهما العلميّة والعمليّة بالإمامين المحقّقين صاحبي المعالم والمدارك، وقد أجاد في التشبيه، حتّى أنّ موتهما ليشبه موت ذينك العلمين رضوان اللّه عليهم أجمعين.

وقد وفّقني اللّه ـ تعالى ـ بفضله وكرمه للاستقلال بخدمة أخي في كلّ شؤونه، ورتّبت له في كلّ شهر ما يكفيه، ولمّا تأهّل فزت بخدمته في الكلّي من لوازم تزويجه والجزئي، وحين التمسنا منه تشريف البلاد بأوبته قدّمت له زيادةً على ما تقدّمه الناس لأمثاله من الأعلام ممّا يكفيه لاقتناء مكتبة نفيسة، وإصلاح شؤونه، ونفقة الطريق حسب ما يليق بأمثاله من الأجلّاء.

فزمّت ركابه إلينا سنة ١٣٣١، وأقام في شحور ينفق أوقاته على العلم والعمل، ويخلي ذرعه على التبحّر في الفقه والأُصول، وكان يكره الشهرة والظهور، كما أشار إليه بعض الأفاضل في رثائه حيث يقول:

ولديك أسرار كتمت بيانها وهي الحقيقة لو أذاع الكاتمُ
وعلاك لو رمت الظهور بها اختفت تحت الشعاع من الرجال عمائمُ

ولم يتصدّ للرئاسة مع استسلامها إليه، تأدّباً مع سيّدنا الوالد المقدّس ـ أعلى اللّه

---

١. راجع ترجمته في ماضي النجف وحاضرها ٢: ٣٨٨، الرقم ٦.

مقامه ـ وكان السيّد يأمر بذلك ويرجع إليه في المرافقة وغيرها، فلا يجيب إلّا إذا ألجأته الضرورات فيقدّرها بقدرها.

ولمّا لحق السيّد بربّه واختاره إليه، وذلك في ٢٤ ذي الحجّة سنة ١٣٣٤ نهض المقدّس أخي بأعبائها، فرأى الناس من حسن سيرته، وجميل عشرته، ومحمود ملابسته، وشهيّ مجاملته ما جعلهم أرقّاء برّه، ونصب نهيه وأمره، لكنّه لم يلبث واأسفاه إلّا ثمانية أشهر وسبعة أيّام حتّى لحق بأبيه، فانكسر بذلك ظهر أخيه، وتساقطت نفسه غمّاً وأسفاً، وتقطّعت أحشاؤه حزناً ولهفاً، ولا غرو أن ارفضّ بذلك صبره، وضاق ذرعه، وهفا فؤاده جزعاً، وطار قلبه شعاعاً، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه العليّ العظيم.



أساتيذه

تخرّج على جماعة من العلماء والأعلام، واقتبس من أنوارهم جلّ فنون الإسلام، وقد عرفت أنّ أوّل أساتيذه هذا العاجز الضعيف، أخذ عنّي النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان، وسطوح الفقه، والمعالم والقوانين من سطوح الأُصول.

ومن أساتيذه: الشريف الفاضل والعالم الأديب الكامل السيّد رضا الموسوي النقوي الهندي قرأ عليه علم العروض[1].

ومنهم: العلم المحقّق الشيخ عبداللّه الكلبايكاني[2] قرأ عليه شرح المنظومة في الحكمة.

---

١. ذكره صاحب الحصون في ج٩ ص٢٠٧ فقال: شاعر بارع، وناثر ماهر، له إلمام بجملة من العلوم، ولسانه فاتح كلّ رمز مكتوم، ومعرفته بالفقه والأُصول لا تنكر، وفضائله لا تكاد تحصر، رقيق الشعر بديعه، خفيف الروح، حسن الأخلاق، ظريف المعاشرة، جيّد الكتابة، وأفكاره لا تخطئ الإصابة، ولد سنة ١٢٩٠، وتوفّي سنة ١٣٦٢، انتهى ملخّصاً عن شعراء الغريّ ج ٤ ص ٨١ ـ ٨٢.«ع»

٢. عالم جليل، وفقيه متبحّر، ومحقّق فاضل، ولد سنة ١٢٨٥، واختصّ بالشيخ ملّا كاظم الخراساني حتّى صار من أكابر تلامذته وأخصّهم به، كما كان له بحث مخصوص يحضره عدد من الأفاضل، توفّي سنة ١٣٢٧، انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج١٣ ص١١٨٧.«ع»

ومنهم: علم المحقّقين الشيخ أحمد بن الشيخ عليّ[١] من أحفاد الشيخ الأكبر قرأ عليه رسائل الشيخ مرّتين بتمام الإتقان، وأخذ منه جملةً من مباحث الفقه.

ومنهم: إمام الكلّ في الكلّ آيةالله والنائب عن خلفائه أستاذنا الحجّة الخراساني تلقّى منه مباحث الأُصول خارجاً، وحضر درسه الفقهي مدّةً من الزمان.

ومنهم: خاتمة الفقهاء والمجتهدين وإمام الخلف والسلف من أعلام الدين سيّدنا ومولانا السيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي، قرأ عليه جملة من مباحث العروة الوثقى خارجاً.

ومنهم: شيخنا وأُستاذنا إمام الفقهاء وقدوة البررة الأتقياء الشيخ محمّد طه النجفي[٢] سمع منه مباحث الفقه.

ومنهم: الفقيه الكامل الشيخ عليّ الخاقاني[٣] أخذ منه علمي الدراية والرجال، وربما قرأ على جماعة آخرين لا أعرف أسماءهم.



مشايخه في الإجازة

أعلاهم سنداً حجّة الإسلام ومرجع الخاصّ والعامّ الإمام الجليل الشيخ ميرزا حسين بن الميرزا خليل[٤]، أجازني وإيّاه في الحرم الشريف الحيدري سنة ١٣٢١ يوم

---

١. راجع ترجمته في نقباء البشر ١: ١١٢، الرقم ٢٥٢؛ أعيان الشيعة ٣: ٤٩؛ معارف الرجال ١: ٨٨، الرقم ٣٧.

٢. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ٩: ٣٧٥، ومعارف الرجال ٢: ٣٠٠، الرقم ٣٥٩.

٣. الشيخ عليّ بن الشيخ حسين بن الشيخ عبّاس الخاقاني كان من أجلّاء الفقهاء، ولد سنة ١٢٥٥ في النجف الأشرف، وقد بلغ في الفقه والأُصول والحديث والرجال وغيرها من العلوم الإسلاميّة منزلةً رفيعةً، وأصبح في مصاف أعلام عصره، وقد تميّز بورعه وتقواه وزهد في حطام الدنيا. توفّي سنة ١٣٣٤. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٤ ص ١٤٠٥. «ع» [وأيضاً راجع أعيان الشيعة ٨: ١٩١].

٤. كان من كبار المدرّسين في النجف على جانب عظيم من التقوى والورع وكثرة الصلاة والعبادة، حسن الأخلاق، حلو الشمائل، عذب الكلام، أديباً لبيباً ذا مطايبات وظرائف، برّاً رحيماً بخلق اللّه كثير الخيرات والمبرّات، والبذل في سبيل اللّه ولد سنة ١٢٣٠ في طهران، وكان ركن النهضة الإيرانيّة وزعيمها الكبير، وله آثار خيريّة كثيرة، توفّي سنة ١٣٢٦. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٢ ص ٥٧٣. «ع» [وأيضاً راجع معارف الرجال ١: ٢٧٦، الرقم ١٣٦].

الغدير، عن شيخه الفقيه الزاهد العابد شيخ مشايخ الإجازة الشيخ عبدالعليّ الرشتي‌رحمه‌الله[1] عن وجه الطائفة وحجّتها صاحب الكرامات الظاهرة، والآيات الباهرة بحر العلوم والمحيط بها، السيّد مهديّ الطباطبائي ـ أعلى اللّه مقامه ـ بسنده الميمون المتّصل بمهبط الوحي، ومختلف الملائكة.

ومن مشايخه شيخنا الإمام الشيخ فتح اللّه الأصفهاني ـ المعروف بشيخ الشريعة ـ أجازني وإيّاه أيضاً في النجف الأشرف سنة ١٣٢٢، عن السيّد السند والعلّامة المعتمد، السيّد مهديّ القزويني الحلّي الحسيني[2]، عن عمّه العلم العلّامة صاحب المقامات والكرامات، عن السيّد بحر العلوم بأسانيده المعلومة.

ومنهم: سيّدنا ومولانا الإمام المتتبّع السيّد حسن الصدر بأسانيده المذكورة في كتابه الموسوم بغية الدعاة في طبقات مشايخ الإجازات.

ولي مشايخ آخرون من علماء الخاصّة والعامّة ذكرتهم في رسالة ثبت الأثبات المطبوعة.

وقد أجزته أن يروي عنهم بواسطتي كلّ ما أجازوني بروايته من مؤلّفات الطائفتين في جميع الفنون الإسلاميّة.

شهادة العلماء وأقوالهم فيه

كان لأعلام العلماء فيه الثقة الكاملة، وله في نفوسهم المنزلة السامية، يدلّك على ذلك ما شهد به أُستاذه إمام المتأخّرين، وخاتمة المتبحّرين سيّدنا ومولانا الحجّة السيّد

---

١. هو الشيخ عبدعليّ بن أُميدعليّ الرشتي من الفقهاء الأكابر، كان من تلاميذ السيّد بحر العلوم والسيّد عليّ صاحب الرياض، له منهاج الكلام في شرح شرائع الإسلام، بقي حيّاً إلى عصر صاحب الجواهر، المتوفّى سنة ١٢٦٦. انتهى ملخّصاً عن الكرام البررة ج٢ ص٧٤٥. «ع» [وأيضاً راجع أعيان الشيعة ٨: ٣٠].

٢. كان من كبار أعلام عصره ومشاهير نوابغ زمانه، ولد في الحلّة سنة ١٢٢٢، وأقام في النجف الأشرف معدوداً من مبرّزي أعلامها ومدرّسيها، كما عرف بكثرة التأليف والتحقيق والتدقيق، توفّي سنة ١٣٠٠. «ع» [راجع معارف الرجال ٣: ١١٠، الرقم ٤٧٢].

محمّدكاظم الطباطبائي. وإليك عين لفظه الشريف: قال ـ بعد البسملة والحمد له والصلاة على النبيّ وآله ـ:

أمّا بعد، فإنّ جناب العالم المحقّق والعلّامة المدقّق الثقة المعتمد والمجتهد المسدّد، والورع الأجلّ السيّد سيّد محمّد شريف آل شرف‌الدين الموسوي شيّد اللّه به أركان الدين، وشدّ قلوب المؤمنين، ممّن بذل وسعه، وأسهر جفنه، واستفرغ جهده في استنتاج مطالب العلم حتّى أبان مشكلها وحلّ مقفلها، وزاول كلمات العلماء فأزال حجابها، وذلّل صعابها، وراجع الأخبار فعرف معانيها، وأحكم مبانيها، وخرج من حضيض التقليد إلى أوج الاجتهاد، وصار من أهل الذكر الذين يرجع إليهم العباد، فهو ـ بحمد اللّه تعالى ـ مجتهد عدل يجب عليه العمل برأيه، ويجب على المؤمنين امتثال أمره ونهيه، ويحرم الردُّ عليه؛ فإنّ الرادّ عليه رادٌّ على اللّه، والمأمول منه أن يسلك جادّة الاحتياط فإنّها سبيل النجاة.

حرّر يوم الخميس ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٣١.

الأحقر محمّدكاظم الطباطبائي

تأليفه

عرفت أنّه كان ﷺ قد علّق على كلّ من القطر وشرح الألفية وحاشية المنطق ومطوّل التفتازاني والمعالم والقوانين تعليقات حين قرأ عليّ هذه الكتب تقريراً لما تلقّاه يومئذٍ منّي، وكان يعرض عليّ ما يكتبه في كلّ يوم فأصلح له ما يحتاج إلى الإصلاح من لفظٍ أو معنى، تثقيفاً له في التقرير، وتهذيباً في التحرير حتّى مهر فيهما.

وله تعليقة شريفة على كفاية الأصول، تدرك بسببها فوائد الكفاية على غير مؤونة، ولا كدّ ذهن، ولا جهد فكر، ولا إرهاق خاطر، ومنها يعلم مقامه في علم الأُصول، ومكانه في المعقول والمنقول.

وله كتابة في مسائل فقهيّة متفرّقة تدلّ على فضل كبير وعلم غزير.

شعره

كان رصين الشعر على قلّة مبالاته فيه، جيّد النظم على ندرة استعماله له، حسن الحبك، صحيح السبك، منضّد اللفظ، مرصف المعاني، منسجم الكلام، رائق الأُسلوب، فممّا أحفظه له قوله مراسلاً:

أنـا لا أحـول عـن الودادِ   فـي حـال قـرب أو بـعادِ
ولقــد يـعزّ عـليك لو   عـاينتني قـلق الوسـادِ
ما اعتضت عن طعم الكرى   غـير المـدامع والسـهادِ
وإذا دعـا داعـي الجـوى   لبّـيته سـلس القـيادِ
إن قـلّ عـنك تـصبّري   فإليك شـوقي فـي ازديـادِ
أو تـنأ عـن عـيني فـلا   ينأى مثالك عـن فـؤادي

وقوله أيضاً:

يـا نـازل البـطحاء مـن نـجدِ   أنـتم مـناي ومـنتهى قـصدي
مـا لاح بـرق مـن ديـاركم   إلّا وهـيّج فـيكم وجـدي
كـتم اللسـان حـديث حـبّكم   لكن مسـلسل أدمـعي يـبدي
أعـدَتْ صبابتي العـذول ألا   إنّ الصـبابة داؤهـا يـعدي
مـا لذّ لي مـن بـعد بـينهم   عـيش ولا يـوماً صـفا وردي
يـا لائـمي فـي فـرط حـبّهم   دعني أقـاسي حـبّهم وحـدي

وقوله جواباً عن قصيدة غرّاء جاءته من مليك وداده، وشقيق فؤاده سيّدنا الشريف العلّامة السيّد صدرالدين نجل سيّدنا ومولانا حجّة الإسلام وآيةاللّه في الأنام السيّد إسماعيل الصدر ﷺ مستهلّها قوله:

أحبّاي في أرض الطفوف لكم صبٌّ   بأيدي بنات الشوق أحشـاؤه نـهبُ
أسـير ولا فـادٍ وصبّ ولا لِـقا   وجسم ولا روح وشخص ولا قلبُ

فأجابه المقدّس أخي بقوله:

أحبّاي هل بعد النوى يرجع القربُ ... فيشفى عليل شفّه الهمُّ والكربُ
ويرتاح صبٌ ملء أحشائه جوىً ... إذا خفقت ريح الصبا خفق القلبُ
حليف جوى لا يألف الغضّ طرفه ... كأنْ بين عينيه وبين الكرى حربُ
لئن غبتم عنّي وشطّ مزاركم ... فمن كبدي الحرّى وقلبي لكم قربُ

ومنها:

ولله دهرٌ قد تقضّى بقربكم ... به عيشنا غضٌّ ومنهلنا عذبُ
وأيّامه تندى علينا نضارة ... وغصن الصبا رطبٌ ومرتعه رحبُ

ومنها:

وطوّقت جيدي بالقريض وإنّما ... هو الدُرُّ منظوماً أو اللؤلؤ الرطبُ
أتيت بنظم من سلالة لفظه ... تخيّل سهلاً وهو ممتنع صعبُ

ومنها:

نمتك إلى المجد المؤثل عصبة ... بهم تدفع الجُلى وتستمطر السحبُ
وما منهم إلّا كميٌّ مولَع ... بحزّ الطلى عضب بصاحبه عضبُ
إذا شبّ نار الحرب واشتبك القنا ... مشوا للوغى أسداً تخبّ بهم قُبُّ
كأنّ جياد الخيل تحتهم قطاً ... ونقع الوغى ليلٌ وأسيافهم شهبُ

وأرسل إليه سيّدنا الأوحد السيّد الشريف محمّد نجل مولانا الإمام الخال الأعظم متمثّلاً بهذين البيتين:

لمع البرق اليماني ... فشجاني ما شجاني
ذكر دهر وزمان ... بالحمى أيّ زمان

فشطّرهما ـ المقدّس ـ أخي بقوله:

لمع البرق اليماني ... والدجى مُلقى الجرانِ
وهزار الأيك غنّى ... فشجاني ما شجاني

ذكــر دهـرٍ وزمـان بـين غـيد وغـوانـي
لهـف نـفسي لزمـان بـالحمى أيُّ زمـانِ

وذيّلهما بقوله:

قــد تـقاسمنا المـعالي ورضـعنا مـن لبـانِ
وكـلانا قـد جـرينا للـعلى طـرفي رهـانِ
أنت بـحر مـنه تسـ ـتخرج أبكـار المعاني
ووحـيدٌ فـي المـعا لي لا يُـرى مثلك ثـاني
كَلّ عـن وصـفك فكـري مـثل مـا كَـلّ لسـاني
إن تكـن عـن نـاظري نـا ءٍ فـمن قـلبي دانـي
فـدموعي وسـقامي بـغرامـي شـاهدانِ
دُمْ مـدى الدهـر معافىً بسـرورٍ وأمـانِ

وله من كتابة أرسلها إلى سيادته:

عـليك سـلام اللّـه مـا ذرّ شـارق وغـرّد قـمري وأومـض بـارقُ
ويـا حـيّ أيّـاماً تـقضّت بقربكم سقاها من السحب الرواجس وادقُ
خـليليّ هـل ذاك الزمـان بـراجـع وهل يلتقي يوماً مشوقٌ وشـائقُ؟؟
ترحّل صبري واستهلّت مـدامـعي غداة نأى عنّي الخـليط المـفارقُ
هـمام تـحلّى بـالمفاخر واكـتسى ملابس فضل ما اكتستها الخـلائقُ
جواد جرى طلق العنان إلى العـلى فليس له في حـلبة المـجد لاحـقُ

وله من قصيدة يرثي بها سيّدنا الوالد العلّامة أعلى اللّه مقامه:

صـباح الورى ليـلٌ بـفقدك مظلم وفـقدك أدهـى النـائبات وأعـظمُ
فـقدناك بـدراً يسـتضاء بـنوره وحـبراً بـه أنـف الضـلالة يـرغمُ
فـقدناك مشـحوذ الغـرار مـهنّداً صـقيلاً بـه بـيض الظـبا تـتثلّمُ
تهون الرزايـا كـلّما طـال عـهدها ورزؤك مـا كـرّ الجـديدان يـعظمُ

وهي طويلة تخلّص فيها إلى عزاء هذا العاجز الضعيف والفاقد اللهيف ومدحه.

من المديح قوله:

هو ابن جلا تجلى الخطوب بوجهه ... إلى المجد طلّاع الثنايا غشمشمُ
جوادٌ سباقٍ إن جرى يوم مفخر ... فما لسواه في الفخار التقدّمُ
متيمة غرّ المعالي بحبّه ... كما هو صبٌّ في هواها متيّمُ
ففي كفّه بحر من الجود مترع ... وفي صدره بحر من العلم مفعمُ
إذا دار ذكر الفضل في الناس نازعوا ... سواه وأمّا فضله فمسلّمُ
وإن تُليت ما بينهم آي مدحه ... فكلّ امرئ منهم بها يترنّمُ
له بيت مال يجمع الحمد والثنا ... وأمّا الذي يجبى له فمقسّمُ
وكم لك في نصر الهدى من مواقف ... إذا ما تجلّت للورى فهي أنجمُ
وكم نثرت أقلامه من صحائف ... تنظّم من شمل الهدى ما تنظّمُ
فهذا سبيل المؤمنين وإنّه ... لعمرك يهدي للتي هي أقومُ

وله من قصيدة يرثي بها قرينه في المفاخر، وحليفه في المآثر، علم العلم ومناره، الشيخ عبدالكريم شرارة[١]، وكانا كأنّهما قد اشتقّا من نبعة واحدة وأديم واحد:

من صاح في شمل العلى فتبدّدا ... وأحال صبح المجد ليلاً أسودا
من دقّ صعدتها ودكّ هضابها ... وحسامها الماضي الشبا من أغمدا
من راع قلب الدين عدواً والتقى ... ورمى الهدى فأصاب شاكلة الهدى
أبكي الذين نأوا وأبقوا بعدهم ... عيناً مسهّدةً وقلباً مكمدا
وترحّلوا ما زوّدونا نظرةً ... منهم ولا لوداعنا مدوا يدا
ساروا على عجل وما جعلوا إلى ... لقياهم يوم التفرّق موعدا
ورجعت للصبر الجميل فلم أجد ... يوم الرحيل تصبّراً وتجلّدا
دفنوك وانصرفوا بأعظم حيرةٍ ... فكأنّما دفنوا النبيّ محمّدا
قد كنت لي يوم الكريهة منجداً ... فغدوت بعدك لا أرى لي منجدا

١. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ٨: ٤٣؛ نقباء البشر ٣: ١١٨٢، الرقم ١٧٠٢.

أيـلذّ عـيشي أو تـطيب مشـاربي وأراك مـعفور الجـبين مـوسّدا

وله متغزّلاً:

عاطنيها من عذب فيك عـقارا شـبه خـدّيك رقّـةً واحـمرارا
يـتمنّى الهـلال لو كـان طـوقاً لك والشمس أن تكـون سـوارا
رشأ عـلّم الغـصون التـثنّي مـثلما عـلّم الظـباء النـفارا
جال ماء الجمال فـي وجـنتيه وبـخدّيه أوقـد الحسـن نـارا
إن تكـن زيـنة المـلاح نـضاراً فأراك الذي تـزين النـضارا
لك مـن ثـغره ومـن وجـنتيه ما حكى الأقـحوان والجـلنارا

وله أيضاً:

بين المحصب فـاللوى فـزرود ظبي لوى دَيْني وخان عهودي
نشوان من خمر الصبا وقوامه يزري بـخوط البـانة الأمـلودِ
يفترّ عن حَببٍ وعن طلعٍ وعن نـور الأقـاح ولؤلؤ مـنضودِ
يعييه حمل وشاحه في خصره نفسي الفداء لخصره المـجهودِ
عـجباً وأنت أمـلُّ آرام النـقا لِمَ لا تملُّ قـطيعتي وصـدودي

وله مؤرّخاً مولد محمّد أديب نجل الشيخ عارف الزين[1]:

مـحمّد يـخجل بـدر السـما في الحسن والحسن إليه انتمى
قـد عـلّم البـان بأن يـنثني وعـلّم الظـبي بأن يـبغما
شـمائل يـعجز مـن حسـنها ولطـفها النـاظم أن يـنظما
نـماه للـعزّ أبٌ عـارف يجلو دجى الخطب إذا أظـلما
يـصعد فـي المـجد إلى غـاية وراءهـا قـد خـلّف الأنـجما

١. هو صاحب مجلّة العرفان الشهيرة، ولد سنة ١٣٠١ وأنشأ مجلّته في صيداء سنة ١٣٢٧، وظلّ يـصدرها حـتّى وفاته، قضى طيلة عمره مجاهداً ومناضلاً في سبيل العروبة والإسلام وجـيل عـامل بكـلّ إخـلاص وشـرف وتضحية، توفّي سنة ١٣٨٠.«ع»

ويـعشق الفـضل إذا غـيره تـعشّق الديـنار والدرهـما
بشـرى بـبدرٍ جـاء تأريـخه في نوره أخـجل بـدر السـما

وفاته

توفّي في شحور عشاء الليلة الثانية من شهر رمضان سنة ١٣٣٥، وكانت ليلة الجمعة أيضاً، فمجموع عمره الشريف سبع وثلاثون سنة ويوم واحد صرفه في العلم والعمل كما سمعت.[١]

مرضه ووصيّته وفرحته عند لقاء اللّه تعالى

ابتدأت به الحمّى النمشيّة في ٢٠ شعبان، وكنت إذ ذاك في صور فكتب إليّ وقد أوجس منها خيفة أخي:

أخاك أخاك إنّ من لا أخاً له كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ

أدركني بالطبيب، فأسرعت به إليه فوجدناه وقد أثّرت الحمّى فيه أثرها، وبعد يوم وليلة زال ذلك الأثر، وارتفع ما كنّا نتخوّفه من الخطر، ثمّ خامره الداء فاستدعيت له الطبيب ثانيةً، فلا طبيب نافع، ولا دواء ناجع.

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفيت كـلّ تـميمة لا تـنفعُ

وفدحه المرض ونعيت إليه نفسه، فتلقّى ذلك برحب صدره، وسعة ذرعه، وأعاره أُذناً صاغيةً، وأقبل على الموت بانبساطه، واسترسل إليه بأُنسه، وتلقّاه بنفس طيّبة، ووجه متهلّل، وأخذته لذلك أريحيةٌ وهزّةٌ، وظهر عليه الأُنس والسرور، كما أشار إليه بعض الأعلام في رثائه:

رمـــته المـــنيّة لا جـــازعاً ولا طائش اللبّ حيث اخترمْ
ولكـــن أتـــته مـــنه بسّـامة يـسـرّ بـفضل عـليه قـدمْ

---

١. للمزيد راجع ص ٧٧٩ ـ ٧٩١، الذيل ١٩.

وأوصاني وأُسرته ونحن به محدقون بتقوى اللّه تعالى، وأبان لأُسرته مقامي فيهم، وأمرهم بما يلزمهم بالنسبة إليّ، وأوصاني بهم وبآخرين من أهل وداده، وعهد إليّ بوفاء دينه، وإنفاق ثلثه، وأُمور أُخر، وعزّاني متمثّلاً بقوله:

تعزّ فلا شيء على الأرض باقيا ولا وزر ممّا قضى اللّه واقيا

وقال: يا أخي لا يصعبنّ عليك فراقي

فكلّ أخٍ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلّا الفرقدانِ

يكرّر ذلك مراراً، وعانقني وهو يجود بنفسه وبكى، ثمّ شمّ يديّ مراراً، وودّع عياله وأطفاله قائلاً لهم: اللّه خليفتي عليكم وهو أرحم الراحمين.

واستقبل القبلة بنفسه وقرأ دعاء العديلة وكلمات الفرج وكلّ ما يستحبّ أن يقرأ للمحتضر، وتوسّل بالنبيّ والأئمّة وتبرّأ من أعدائهم، وصلّى العصر وقد بلغت روحه التراقي، وافتخر بذلك فقال: هكذا أموت وهكذا تموت العلماء، وإلى ذلك أشار القائل في رثائه:

لكن نفسك وهي أنفس نسمة عزفت تقيٌّ وكذا النزيه العالمُ

ولم يزل ذاكراً للّه عزّوجلّ ويده في يدي إلى أن فاضت نفسه الزكيّة، ودلّهني بهذه الرزيّة، ولمّا طار نعيه في الأنحاء، وانتشر صوت بريده في الآفاق، هرع العالمون إليه من كلّ فجّ، وقد قامت عندهم قيامة الأحزان، واحتفل حشدهم، والتأمت جموعهم، وهم بين ناكس البصر، ومطأطئ الهامة، انهلّت عيونهم، وانهمرت شؤونهم.

وعزم عليّ من حضر يومئذ من الأعلام أن أتقدّمهم في الصلاة عليه، فوقفت للصلاة على نعشه الشريف، فأدّينا فريضة الصلاة عليه، وقد دلّهنا الحزن، وولّهنا الشجن، ثمّ واريناه إلى جنب أبيه المقدّس ـ أعلى اللّه مقامهما ـ ووقفنا على ضريحه نعالج برحاء الهموم، ونتجرّع غصص الكروب، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه العليّ العظيم.

مآتمه ومراثيه

كان لمأتمه يوم الوفاة ويومي الأُسبوع والأربعين رنّة هائلة، وعويل طبّق عاملة، وقد هرع الناس إلينا للعزاء من بشارتها وشقيفها، واحتفل حشدهم، والتأم حفلهم، واحتشدت جموعهم، وفي مقدّمتهم العلماء والفضلاء والأُدباء والخطباء، جاؤوا حافلين حاشدين متأهّبين مستعدّين، قد شحذوا لتأبينه مواضي ألسنتهم وأرهفوا لرثائه قرائحهم، وهيّؤوا الأسباب، وأرصدوا الأهب، فجاؤوا ـ ولله آباؤهم ـ بما يقرّط الأذان، ويشنّف الأسماع، وإليك من فرائدهم ما هو حريّ بأن يسطر في جبهة الدهر، ويعلّق في كعبة الفخر.

قال سيّدنا ومولانا الإمام الثبت الحجّة الشريف المنيف السيّد عبدالحسين نورالدين الموسوي النباطي:

دع القلب بين الأسى والأسف ... دماً يستهلّ إذا الدمع جفْ
وخلّ حشاك لخفّاقة الـ ... ـجوى وفؤادك نهب اللهفْ
ولا تنهَ عينك عن شأنها ... فإنسانها في الثرى منخسفْ
وكفّي أميمة عنّي ملا ... مك أن ذاب قلبي ودمعاً وكفْ
ألم تعلمي أنّ قطب العلا ... ء وركن الهدى وعماد الشرفْ
وغرّة جبهة هام الفخا ... ر به سحراً سائق الحتف خفْ
أمستّخذاً صهوات المنا ... يا مطايا به معجّلات تدفْ
نشدتك قف لي ريث الودا ... ع هل ناقع غلّتي قول قفْ
أُناديه وهو الأبرّ العطو ... ف لعطفٍ عليّ فلا ينعطفْ
أمانٍ أعلل نفسي بها ... وهيهات يسلو معنّىً دنفْ
عزيز عليّ بأنّي أرا ... ك وأنت بثوب الردى ملتحفْ
فلهفي على ورد روض العلى ... كيف بكفّ الردى ينقطفْ

وويـلي عـلى صـبح ذاك الجبـ يـن تـرخـي عـليه المـنايا سـدفْ
لئـن عـاد فـي التـرب آهٍ دَفِـيـ نـاً فـمن شيم البـدر أن يـنخسفْ
بـنفسي مسـتهدفاً للـمنو ن ونفس الهـدى كـان ذاك الهـدفْ
رمـته وكـم سـدّدته يـداه وبـالفضل كـانت له تـعترفْ
ولو أنـصفتك كـما أقـصد تك لو أنّ المـنيّة تـعطي النـصفْ
أيـا صـعدة لم تـنلك الخـطو ب أتـمسي لغـمز الردى منقصفْ؟
فـقدناك عـرنين أنـف الفـخا ر وبـعدك كـم أُرْغِـمَت مـن أنـفْ؟
فـقدناك نـهج الهـدى والمـنا ر وليـل الجـهالة مـرخـي السـجفْ
فـقدناك بـحراً وحـبراً عـليـ مـاً حـليماً حكـيماً أبـرّاً أعـفْ
بكـيتك للـفضل هـذي بـنو بـعد الشـريف لمـن تـختلفْ
حـيارى يـحومون حـول الضريـ ح بـطرفٍ قـريح وقـلب يـجفّْ
فـهذا يكـفكف مـن دمـعه وهـذاك يـصفق كـفّاً بكـفّْ
كأنّ سـريرك تـابوت مـو سـى سـرى والمـلائك فـيه تـحفّْ
بـه طـود عـلم فـيا مـن رأى يـلملم يـحمل فـوق الأكـفّْ
سـرينا بـه وهـو سـرّ الإلـ ه وأصـلابنا تـحته تـنقصفْ
وكـلّ حشـاشته طـائرٌ مـن الوجـد فـوق السرير يـرفّْ
أمـا وعـلائك لولا الأسـى بـ«عـبدالحسـين» لمـتنا أسـفْ
فـعمّن فـقدناه فـيه العـزا ء وفـيه السـلوّ وفـيه الخـلفْ
أُعـزّيك والرزء مـهما ارجـحنّ وقـيس بـصبرك إلّا وخـفّْ
يـد الحكـم ألقت إليك الزمـا م دون الأنـام حـذار الجـنفْ
فـمر وانـه واحكـم فأنت المطا ع بـتقديم قـولك لا يُـختلفْ
ضـربت بـمفرق هـام الأثـيـ ر من الشرف المحض أسمى غرفْ
تـمنّى لهـا القـمر المسـتنيـ ر لو كان من بعض تلك الشرفْ

بـرزت إلى المـجد سبق الجوا د بـنهج الهـدىٰ وكـبا المعتسفْ
فـحزت الرهـان ونـلت المـرا د وجـاء مجاريك يمشي الرسفْ
يـجيد لك الحـمد نسـج الإزا ر وتـختار مـنه الأشفّ الأشفُّ
بـهامك تـعصب تـاج الفـخا ر ومـن فـوقه عـلم العـلم رفُّ
طـلعت بـمدرجـة المعضلات بـعزم حشـا الدهـر منه يجفُّ
ورأي كشـعشعة النـيّرات بـه الخـطب مهما دجـا يـنكشفْ
إذا مـا تسـامت لنـيل العـلى بنو الفضل في حلبات الشرفْ
وطـارت لهـا كـنت فـيها العقاب ومـن دونـهم للـعلى مـختطفْ
وإن قـعدت بـالرجـال الخـطوب نـهضت بأعـبائها مسـتخفُّ
مـناقب كـالشهب ودت لهـا تكـون الثـواقب مـنها شـنفْ
تـلألأ مـبسم ثـغر الزمـان كـالدرّ مـيّزت عـنه الصـدفْ
يـراع كـما انـتُضي المشـرفيُّ يـريع الكـمي ويـوهي الزغـفْ
إذا هـزّه أرعش السـمهريُّ فـلا يـتّقي طـعنه بـالجحفْ
تـقلّب مـنه نـحيف القـوا م بـوجه الأمـور الجسـام يـقفْ
يـمجّ بـفيه النـدى والردى فـفيه الحـياة وفـيه التـلفْ
يـريك الحـقيقة عـين اليـقيـ ن كأنّ الغـطاء له مـنكشفْ
إذا الأنـمل الخـمس حـفّت بـه فـقل مـلك بـجنود يـحفُّ
وإمّـا جـرى بسـطور الطـرو س أراك الأمـير بـجيش زحـفْ
بـراه حـمي‌الديـن بـاري الأنـام وأحكـم جـوهره بـالرهفْ
أمـبتغياً شأو عـبدالحسـيـ ن حسبت ثمار المعالي حشفْ
فـرحت تـروم رقـيّ السـما ء وهـل يـرتقى للسما بـالحرفْ
وهـل ثـمر المـجد إلّا لمـن يـخوض إليـه غـمار التـلفْ
فـلست له مـن نـظير وهـل يكـون النـضار نـظير الخـزفْ؟

فكم موقف رحت ثبت الجنا ... ن به لو رسا الطود فيه رجفْ
وهول تحاماه غلب الرجا ... ل مشيت له الأسد المزدلفْ
تجلّى يباريك بدر السما ... ء ويمنعه ما به من كلفْ
يفيض نوالك بحر الندى ... بمدٍّ ولولاك غيض وجفّْ
لئن أخلف الغيث جون الربا ... ب وكفّ فكفّك عنه خلفْ
وكفّك لو عارضت عارضاً ... بيوم الندى وهو يهمي لكفّْ
ندىً لو يشاهده حاتم ... لقال: لعمرك هذا السرفْ
لساني يقصر وهو البليـ ... غ بحدّ صفاتك مهما وصفْ
شأى طائراً نحو معنى علا ... ك ولمّا رأى العجز عنه أسفّْ
وهبه أساء بما رامه ... فغير مسيء إذا ما اعترفْ
أقم من صدور بنات الجديـ ... ل كلّ زفوف أمون دلفْ
خوانف تفري بأخفافها ... أديم الفلا عنقاً إذ تدفّْ
تعاف وتأنف مرعى سوا ... ها فمربعها كلّ روض أنفْ
تنصُّ إذا أنِسَتْ نبأةً ... نفاراً كما رعت أمّ الخشفْ
يعلّلها في السرى بالسرا ... ب ورداً ولفح الهجير علفْ
إذا نشرت قادمات النسو ... ع طويت بها الأرض طيّ الصحفْ
تلفُّ اليفاع بغيطانها ... ألا إنّما هي نشر ولفّْ
إذا بلغت بك أقصى المرا ... م فهبها الزمام فهذي النجفْ
فثم معاقل آل الرسول ... ومهبط جبريل والمختلفْ
أقم منهم حيث لاح الهدى ... وحلّ الندى واطمأنّ الشرفْ
ونادِيهم هاتفاً تلفهم ... غياث الصريخ إذا ما هتفْ
أفي كلّ يوم لكم كوكب ... يغيب وشمس هدىً تنكسفْ
وأنتم مصابيح نور الإلـ ... ـه تجلّى ولولاكم ما عُرفْ

بحور من العلم والعالمون ... من فيض تيّارها تغترفْ
تَسَنَّمتمو ذروةً لو رقى ... لها الوهم دون مداها وقفْ
فيا روّع اللّه صرف المنو ... ن لأبياتكم كم يرى منصرفْ
يحوم عليها كأنّ الحما ... م بأرواحكم مستهام كلفْ
وأبياتكم كعبة العارفيـ ... ن سواء بها من بدا واعتكفْ
رزايا توارثتموها قديـ ... ماً وخصّت بكم خلفاً عن سلفْ
وحيّا ضريحاً يسامي الضرا ... ح سحابٌ عزاليه عفواً تكفْ

وقال شيخنا ومولانا العلّامة الثبت الحجّة الشيخ علي مُروّة الحدائي ﷺ:

وقوفاً على الربع والركب زمْ ... وحلّ الحُبا منه شدّ الإزمْ
أفي عقوتيه تُسرّي شجاك ... ومنه شجاك عليك هجمْ
تسرّي الكروب مرامي الكروب ... ويطرد همّاً طريدة همْ
وتستنطق العجم عنهم وهل ... سمعت بناطقة في العجمْ
تُشِتُّ به شمل حمر الدموع ... وتنثر من درّها ما انتظمْ
ترى السفر يوقف إدلاجه ... وقوفك وهو بعيد الأُممْ
أو الدمع يطفئ جمر الحشا ... وجمرُ الحشا بالشجى يضطرمْ
ودمعك صوب مذاب حشاك ... تصعّده نار وجدٍ ألمْ
أُعزّيك يا قلب فالمدلجون ... مُعرّسهم تحت طيّ الرُجمْ
وسفر المنيّة لا غائب ... فيرجى له أوبة ما عزمْ
فوجدك كابد وإلّا فمت ... بدائك عيش الشجيّ هرمْ
أتخفي عن الشامتين الشجى ... ودمعك واش عليك ينمْ
وترجو اصطباراً وأنت الجزوع ... تنوح فتمزج دمعاً بدمْ
أطعت أساك وتُعطي أساك ... ومن يطع الوجد يُعطِ السأمْ
وكيف يطيعك قلب عصاك ... فدلّاك في لهواتٍ ضرمْ

أتستطيع صبراً ورزء الشريف ... له الصبر عزّ وفيه يذمّْ
لقد جلّ رزء ورزءُ الجليل ... جليل وعمّ إذ الفضل عمّْ
فتى العلم والحلم من هاشم ... بأعلى ذرى المجد حيث الكرمْ
فتى كان أمّا إذا الدهر جار ... فجارٌ وللآئذين حرمْ
وأمّا إذا أمّه الوافدون ... لعلم وجودٍ فبحر خضمّْ
نعاه فأصمى فؤاد العُلى ... وسمع الهدى والندى قد أصمّْ
نعيٌ أتيح له مثلما ... أتاح لجسم العلاء السقمْ
أرجّ وأرجف أرض الغريّ ... وطيبة شجواً وأرض الحرمْ
فمضّ بلُبّ إمام الهدى ... وكضّ فؤاد شفيع الأُممْ
فجيعاً به خير من يرتجى ... لعلمٍ وحلمٍ وتفريج همّْ
مصاب به الشرع والمسلمو ... ن أُصيبا وفي الدين ثلماً ثلمْ
مصاب الأخصّ أعمّ الأسى ... ورُبّ أخصّ بحكم الأعمّْ
فجعنا به وهو غضّ الشباب ... تحامى به العزُّ عيش الهرمْ
فجعنا بعرّافة يستبين ... به غامض الأمر مهما أنبهمْ
ببدر هدىً وبحر ندىً ... وبغيض عدىً وبليثٍ أحمْ
إمام هدىً يقتدي المتّقون ... به وهو في المهتدين علمْ
بدحض المزالق للسالكين ... له وله الفخر أرسى قدمْ
إليه تشير أكفّ الهدى ... بليل الضلال إذا ما ادلهمّْ
وفي راحتيه بيوم الندى ... جداول تمتاح منها الديمْ
فيمناه يمن كغرّته ... ويسراه يسرٌ إذا العسر عمّْ
رمته المنيّة لا جازعاً ... ولا طائش اللبّ حيث اخترمْ
ولكن أتت منه بسّامةً ... يُسرُّ بفضلٍ عليه قدمْ
رمته أبيّاً يرفعه ... عن الذلّ عزّ عليه فطمْ

وعــفَّاً شــريف مَـزَرِّ البـرو د يــمجّ الدنـيّة منه شممْ
رمـته سـديد مـرامـي العـلا ء يـخيط الرمـيّة لُـبّاً لقـمْ
لبـاب المـعارف أهـدافـه ومسـتهدف العـارفين الأدمْ
يقرطس ما عـنه يـخطي المصيب بـفكرٍ يـصيب الأهـمّ الأهـمْ
وفـهمٍ له فـي جـليل الأمـور دقـائق فـضلٍ تـجلّي البُـهمْ
رمت مـنه أنـصع أمـلس قـد تـنزّه عـنصره عـن وضـمْ
حـيي المعاطف وقحُ العـواطـف جـمّ المـعارف والفـضل جـمّْ
سـميع لداعـيه حـتّى إذا دعـاه لعـوراء فـهو أصـمّْ
صـفوحٌ طـليق الصـفيح وإن يُـهيجُ فـهو ذاك العبوس السدمْ
بـنفسي حـلو الشـمائل مـن ذوائب غـالب حـيث الشـممْ
تـفدّيه فـهر وعـمرو العـلى بـبيض الوجـوه وحُـمر النـعمْ
ولكـن دعـاه لدار النـعيم هـداه فـفاز بـدرّ النـعمْ
وقـدّم أعـماله الصـالحا ت فـغلّس يسـعى بأرقـى قدمْ
مـضى طـاهر البـرد لا وازراً ولا دنّسـته صـغار اللّـممْ
يـلفُّ بـبرديه شـخص الهـدى وروح النـدى وخـيار الشـيمْ
فـيا راحـلاً والثـنا خـلفه كـعرف الخزامى ومن شاء شمّْ
لئن متّ حـرّاً ومن عاش مـات بـحكم القـضاء وخـطّ القـلمْ
فكـالطيب ذكـرك حـيّ يـضوع شـذاً وثـناك عـبير يشـمّْ
وعشت شـريفاً ومت شـريفاً وبـالحمد تـطرى وحـاشاك ذمّْ
عـليك التـحيّة مـن ذاهب بسـرّ السكـينة والمـلتزمْ
ونـاءٍ دعـا الوجـد مـلء الضلو ع نأى بـالسرور وبـالصبر زمّْ
خـلائفك الفـضل والمأثـرات وخـلف لغـيرك كـفّ النـدمْ
ليـبك لك المـجد والمكـرمات بـدمعٍ وتـبكي العـفاة بـدمْ

لأنّك كنت حليف المكا رم والمجد والجود منذ القدمْ
ويروي ثراك كريم السحاب لأنّك كنت سحاب الكرمْ
أهمُّ لإنشد صبر الثكول وصبري قبل الظعون عزمْ
على أنّ شتّان نار الخليل ونار الثكول بحرّ الضرمْ
فأحجم والوهم يعطفني كأنّي ما بين وهمٍ وهمْ
ولكن أرى لو تخفّ الجبا ل فعبدِ الحسين كطودٍ أشمْ
كبير الرزايا لدى حلمه صغير، كذاك الخطير المهمْ
يهون بجنب العظيم العظيم ويجلو الهمومَ كبيرُ الهممْ
كبيرٌ تضاءل منه العصور ويُصغر في عينه ما عظمْ
تُخاف وتُرجى يراعته لريقتها ذوق شهدٍ وسمْ
وتطغى بجاشٍ أفاويقها فتفرق منها الجيوش اللهمْ
مضاء ولا كمضاء السيوف وهل يَفتِكُ السيفُ فتك القلمْ؟
أخو العزم أمضى من المرهفات وذو الحزم ما همّ إلّا عزمْ
حكيمٌ فأمّا إذا قرطست سهام مراميه أمراً حزمْ
وأمّا إذا همّ في مطلبٍ وآنس منه الأناة وجمْ
فلا غرو أن ساد حتّى شأى كرام الأساود بين الأُممْ
فكان إماماً إليه يشار بأمر ونهي قضى أو حكمْ
وقدّمه الفضل علّامة له في حديث العلاء قدمْ
فتىً حلمه روّع الحادثات وكم جهدت أن يراع قلمْ
ولا بدع فهو ابن من دوّخت حلومهم عَزمَات الإزمْ
وراضوا الرزايا بأخلاق لم تُرض عن شماسٍ بها كان همْ
ولكن براها فأربى بها معنصِرها عن مُراض الشيمْ
تروض من الدهر كلّ شموس وتجلو دجى الخطب مهما ادلهمْ

وأحـــلام غـــالى بـسجوهرها تشـــعشعه عــن صــفايا القــدمْ
رواسـي تـنسف هـضب الخـطوب بـــعزم يـصيب بـها كـلّ يـمّْ
فـيا عـصمة الخـائف المستجير عـــلى حــين لا وَزَرٌ ذو عــقمْ
وســـلوة كـــلّ مـصاب أسـىً له أسـلس الخـطب ثـمّ خـزمْ
ونـــقّاض مـــبرمة المـعضلات إذا السـدم الجـلدُ فـيها وَجَـمْ
وكشّـــاف داجـــية المشكـلات ودفّـــاع كـــلّ عـــظيم ألمّْ
عـرفنا بك ابـن جـلا الحـادثات وطـــلّاع نــجد ثـنايا الغُـممْ
فـلا نـنشد الصبر فـي حيك الشـ ريـــف وفـيه جـلا كـلّ هـمّْ
ولكـــن تـــعزّيك لي مـــهجة لهـــا الصـبر عـزّ وبـزّ السأمْ
أعـــــزّيك فـــيهم وليـــتهمُ أقـــاموا وكـنت أنـا المـخترمْ
فـــللموت خـــير لصبٍّ نـــجا أحـــبّاؤه وهـــو نِـضو سـقمْ
ومـا العـيش فـي زمـنٍ ينقضي بـحزنٍ وهـمّ وكـربٍ وغـمّْ
سـلام عـلى السـلف الدارجين بـعصرٍ صـفا العـيش فـيه لهـمْ
وآهٍ عـــلى الأعـصر السـالفات مـع السـلف الغـرّ فـخر الأُمـمْ
تـحيّة مـن مـجّ طـعم الحـياة بـعصر بـه أكـؤس العيش سُـمّْ
لديـغ أفـاعي الأسـى والكـروب صـريع الهـموم وديـع الغـممْ
تأسّ أبـــا الفـضل والمكـرمات بأجـــدادك الغـرّ فـي مـا ألمّْ
فـهم يـا بـنفسي هـم أسـوة لكـــلّ مـــصاب رجـــيع ألمّْ
وحسب الوجـود وجـودك غـو ثـاً وجـودك غـيثاً ويـمناك يـمّْ
سـلمت ولا روّعـتك الخـطوب وكـان لك الدهـر خـير سـلمْ
وفـقت فـقم فـي الورى عـلماً يـظلّل مـنشور كـلّ عـلمْ
ودمت ولا مـدّت الحـادثات إليك يـداً بـرديً أو عـسمْ
ولا طـف دلّاح رَوح الرضـى ثـرىً ضـمّ حـيّ الهـدى والكـرمْ

وقال شيخ الأدباء وعميد الشعراء الشيخ محمّد حسين شمس الدين[١]:

فقدت يتيمة عصرها بك هاشمُ   فدموعها أبداً عليك سواجمُ
والمجد بعدك أقفرت عرصاته   وعفت من الدين القويم معالمُ
وأسَلْتَ أنفسنا عليك فهذه   عبراتنا وغليل حزنك دائمُ
وعليك عين المجد يا إنسانها   قذيت وأنف الصبر بعدك راغمُ
وقلوبنا ذابت أسىً وتصعّدت   لنواك أنفاساً فهنّ سمائمُ
فقدتك هاشم صعدة الشرف التي   لولا الحمام لما ألانك عاجمُ
فأجدّ رزؤك حزنها وتجاوبت   في كلّ ناحية عليك مآتمُ
نَكَأَتْ رزيّتك القروح دوامياً   أيرمّها آسٍ وخطبك ثالمُ
قصمت مصيبتك الظهور وأقلعت   عنها بطون الدهر وهي عقائمُ
ما أقصدتك يد النوائب مفرداً   لكن بفقدك قد أُصيب عوالمُ
أشريف أهل البيت بعدك من ومن   للمعضلات إذا ادلّهم عظائمُ؟
ضاقت بك الدنيا وأنت وحيدها   فرحلت للأخرى وثغرك باسمُ
وملأتها رعباً فما من وجهة   إلّا وأوجهها عليك سواهمُ
وبكلّ ناحية تركت نوائحاً   ظلّت تطارحها الهدير حمائمُ
تنعاك للدين القويم وللهدى   ولشرعة الهادي، وأين الراحمُ؟
من مبلغٍ كبش العراق وآله   إنّ الشريف به استقلّ الهادمُ؟
من ذا يعزّيهم وأيّ رزيّة   لك يا شريف بها تخفّ قوادمُ؟
يا ثلمة في الدين ليس يسدّها   أحدٌ مكانك أو يقومَ القائمُ!..
أزعيم أهل الفضل بعدك أصبحت   أبناؤه تنعاك وهي سوائمُ
والعلم صوّح بعد فقدك نبتُه   وانجاب عنه العارض المتراكمُ

---

١. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ٩: ٢٢٤؛ نقباء البشر ٢: ٦٣٩، الرقم ١٠٧٠.

أسفاً على أخلاقك الغرّ التي ... لطفت فهنّ مع النسيم نسائمُ
وعلاك ما لصفات ذاتك وهي في ... غرر المحامد يا فديت يتائمُ
ولديك أسرار كتمت بيانها ... وهي في الحقيقة لو أذاع الكاتمُ
وعلاك لو رمت الظهور بها لاختفت ... تحت الشعاع من الرجال عمائمُ
لكن نفسك وهي أنفس نسمة ... عزفت تقيٌّ وكذا النزيه العالمُ
قوّضت يا عمد الشريعة راحلاً ... فَوَهَتْ ببينك للرشاد دعائمُ
للّه يومك ما أمضّ وإنّه ... يوم به كلّ لفقدك واجمُ
يوم به حملوا سريرك ولّها ... وقلوبهم فوق السرير حوائمُ
كلّ يراوح باليدين فؤاده ... من حرّه وغليله يتعاظمُ
واروك في جدث فكنت به كما ... في الجفن أغمد يا شريف الصارمُ
أو مثل بدر التمّ يا قمر العلى ... واراه في كبد السماء غمائمُ
ولئن قضيت فنشر ذكرك في الورى ... باقٍ على مرّ الزمان لطائمُ
أمّا ومجدك وهي أعظم حلفة ... لولا أخوك لما استقام العالمُ
هو قطب دائرة العلى ولكم علا ... علم به دانت لديه أعاظمُ
لو لم يكن للدين والدنيا لما ... كانت على أبوابه تتزاحمُ
في صدره بحر الفضائل زاخر ... وبكفّه بحر الندى متلاطمُ
فوجوده عين الوجود وجوده ... للمعتفين على السنين مغانمُ
كم بيّضت أقلامه للدين من ... صحف لأسرار العوالم عالمُ
آيات فضلٍ في بحور نجومها ... غرقت نجوم الأفق فهي عوائمُ
فـ«فصوله» تنبيك وهي «مهمّة» ... بـ«أدلّة» هي للضلال حواسمُ
وسبيله للمؤمنين معبّد ... ونواله للمجتدين مواسمُ
وسهام مرماه لآناف العدى ... أبداً على رغم الأنوف مياسمُ
من مثله جلّى بمضار العلى ... وسمت به فوق السماك عزائمُ

أنّى يشقّ غباره في حلبة		وهو ابن من بسناه كرّم آدمُ
قل للذي جهلاً يخال لحوقه		أربع على ضلع فإنّك حالمُ
من هاشم وبه تناضل هاشم		فتسود كلّ بني الفضائل هاشمُ
من جدّه وأبوه كان وأمّه		طه وحيدرة الوصيّ وفاطمُ
فهو الخليق بأن يكون زعيمها		بين الورى والمستريب الزاعمُ
وتراه في نادي الندى متهلّلاً		يهب الجزيل ومن حيا يتكاتمُ
لو كان حاتم شاهداً بنديّه		يوماً لذاب من الخجالة حاتمُ
وإذا رمى نظراً بلبّة مشكل		هتك السريرة واستراح الراجمُ
كثرت مكارمه فلست أطيقها		عدّاً فها هو في النديّ مكارمُ
ما أوهنت منه الشريعة كاهلاً		حملاً ولا آدت قواه مغارمُ
ورث الإمامة كابراً عن كابر		فهم كعقد الدرّ جلّ الناظمُ
نسبٌ كمنبلج الصباح يمتُّ في		حسب له زهر النجوم تمائمُ
يحكي أنابيب الرماح فما به		إلّا أكارم سادة وكرائمُ
صبراً لها «عبدالحسين» وإن تكن		جلّت رزاياكم فأنت الكاظمُ
ولأنت نعم الذخر يا علم الهدى		بك ـ يا وقت ـ منكم تهوّن عظائمُ
وسقاك يا قبر الشريف من الرضى		ديم الحيا وهنا النعيم الدائمُ

وقال زعيم أهل الأدب الشيخ عليّ شمس الدين ﷺ[1]:

كلّما رمت أن أكفكف منّي		عبرة حادث الردى أجراها
قل رويداً لحادثات الليالي		قد كفاها ما قد جنت كفّاها
نقّبت عن بني الفضائل حتّى		نشرت حزنها ولفّت لواها
وعلى غابة الشريف أناخت		بزك حتف أودى بليث شراها

---

١. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ٨: ٣٤٩.

قل لأبناء هاشم والمعالي طأطئيها هاماً وصكّي الجباها
واجعلي الحزن ما حييت شعاراً وعلى النوح طارحي وَرْقاها
أفبعد الشريف يدخر رمح لخطوب ورزؤه أدهاها
هذه يا زمان أنكى رزايا لم تدع للنفوس إلّا ذماها
غادرت حوزة الشريعة نهباً وأباحت بعد الشريف حماها
يا رياض العلوم صوّح منها نبتها حيث جفّ صوب حماها
فاض دمع العفاة يوم تولّى مرتجاها وغاض بحر نداها
وتداعت من الجوى تتشاكى وعلى اليأس عرّست عن سراها
فهي من بعده روازح حزن شُرْبُها الدمع والزفير قِراها
والمعالي من بعده ثاكلات لا تراها مجيبة من دعاها
كنت نعمى بني الزمان ولمّا غالك الدهر عانقت بؤساها
كنت للدين والشريعة ركناً وملاذاً تقيلها من عناها
كنت بدراً إلى الرشاد ولمّا غِبت ضلّت من حيرة مسعاها
كيف تبقى نفوسها بعد ما قد كنت حيّاً حياتها وشفاها
كيف يحلو عيش وتنعم عين كنت إنسانها ونور ضياها
ما إخال الحياة بعدك إلّا سؤرَ سمّ تمجّه أفعاها
ما أظنّ الحياة بعدك إلاّ لبني الدهر غصّة في لهاها
أيّها الراحل المجدّ ترفق بنفوس منك الرحيل براها
غادرتها نواك صرعى الشجون يستفزّ القلوب حرّ جواها
غادرتها نواك حسرى حيارى فهي لا تهتدي سبيل هداها
إنّما أنت شمس رشدٍ توارت في الثرى ليت كلّ نفس فداها
إن فقدناك فالمعالي بواق كنجوم السماء لا تتناهى
وبـ«عبدالحسين» صنوك أضحت شرعة المصطفى علاءً تباهي

كدت أقضي لولا تمسّك قلبي		بـولا أعلم الورى أقضاها
مقتدى الخلق مظهر الفضل شمس الر		شد كهف الأنام بل مرتجاها
لا تقسه بغيره من بني الدهـ		ـر فقد عزّ في الورى أشباها
كم فتى حاول الوصول لعليـ		ـاه فولّى عن الطريق وتاها
لو درى حقّ نفسه ما تخطّى		طرقاً قلّ من يطيق اقتفاها
لك من صعدة العلى منتهاها		يا وحيداً له الفخّار تناهى
أنت لا غيرك المرجّى إذا ما		حادثات الردى ادلهمّ دجاها
وبآرائك الثواقب في الخطـ		ـب تجلّى عن الأنام عناها
لك قيدت رئاسة الأمر والنـ		ـهي وألقت براحتيك عصاها
لم تجد كُفأها سواك فبشراً		لك فيها وفيك يا بشراها
أتراها لغير ذاتك دانت		لا ومن فيك خصّها وحباها
إن تكن رمتها ففيك استهامت		وهي تهواك فوق ما تهواها
وإليك الزمان ألقى المقا		ليد وطلت الأنام عزّاً وجاها
أنت في العلم أوحد الناس طرّاً		ولعلياك أذعنت علماها
أنت من سراةٍ كرامٍ هداةٍ		فاز في العالمين من والاها
بك تُجلَى عنّا صروف الليالي		وتزول الخطوب يا ابن جلاها

وقال الأديب الكبير الأُستاذ محمّدعليّ الحومانيﷺ[1]:

أيّ يوم عرش الهدى فيه ثلّا		وبه مرهف الحقائق فلّا
يوم حلّ الردى محلّ بني ها		شم والرزء في البريّة جلّا
بات مستجدياً بباب شريف النـ		ـفس منهم ومدّ باعاً أشلّا
فحباه بنفسه وحريّ		أن يجود الكريم بالنفس بذلا

---

١. راجع ترجمته في مستدركات أعيان الشيعة ١: ١٨٥.

يــا بـنفسي والأهــل فـرع حـنوّ طـالما مـدّ للـمساكـين ظـلّا
أســلمته للـقصف نـفحة جـود ســالمت نـفسه الزكـيّة طـفلا
وهـــلالاً بـدا بـأفق سـماء المـ ـجد يـجلو الردى ويـهدي المضلّا
رشــقته أيـدي المـقادير سـهـ ـم الغدر فانجاب عن عليّ واضمحلّا
قل لريب الزمان أصبحت بعد اليـ ـوم حـرّاً إن شـئت أن تسـتقلّا
مات من إن أسأت جازاك أو إن رُمت وثـباً عـليه وافـاك صـلّا
يـا عـفاة الأنـام دونك فـاروي عـطش الأرض مـن عـيونك وبـلا
أفـلم تـعلمي بمن كـنت تستقيـ ـن مـن راحـتيه عـلّا ونـهلا؟
سـاجلي بـعده الغـمام بكـاءً والبسـي السـؤّال طـمراً وسُمْلا
إنّ يـوماً قُـوّضت فـيه ليـوم ألبس العـالمين ثكـلا وذلّا
هـذه زمـرة اليـتامى لدى الأ يـتام غـادرتها لفـقدك ثكـلى
ليت شـعري استطاعوا بـما ألقـ ـت يـد الحـزم فـوق نـعشك نـقلا
حـملوه فكـنت فـيه كـما كـنـ ـت بـدار الحـياة فـينا المـعلّى
كيف تسلى وكفّ جـودك خـطت لك وسط القلوب «أن لست تسلى»
مـا عـرفنا السـلوّ بـعدك لولا بـدر رشـدٍ عـلى الأنـام أطـلّا
مـا رأتـه الشـموس إلّا تـوارت حـياء والبـدر إلّا اضـمحلّا
قـل لوفـد الطـلّاب دونك فـابغي عـند «عـبدالحسين» كـهفاً وظـلّا
ذاك مـلجا الأنـام إن عـمّ جـدبٌ قـام يـدعو إلى القِـرى حـيّ هـلّا
سـيّد قـد أقـام للـفخر فـخراً سـامياً ركـنه وللـفضل فـضلا
قـمر قـد أنـار أُفـق المـعالي بسـناً عـزّ عـن نـظير وجـلّا
أطـلعته العـلوم مـن خـير آبـا ء كـرام وسـادة هـم أجـلّا
آل بـيت أقـامه اللّـه للإسـلا م عـزّاً بـهم وللشـرك ذلّا
سـادة مـا تـقلّدوا الحكـم إلّا مـلأوا الأرض فـيه قسـطاً وعـدلا

لا تـــراهــم إلّا المــوالي كــما لم | تــــر فــيهم إلّا الأعــزّ الأجــلّا
مــن جــوادٍ مــا زال للجود خــدناً | وزعـــيم مــا زال للــفضل خــلّا
حـطموا مــفرق الضــلال بـصمصا | م رشــاد مــاضي الشــبا لن يـفلّا
وثـــنوا للــعلوم عــزماً فشــادوا | مــنه بـيتاً عــلى السماك تـجلّى
لا رأوا بـــعد ذا مـــصاباً ولا حـ | ـلّ لهــم طــارق المــنون مــحلّا
وســـقى تــربة الفــقيد ســحابٌ | مــن رضـى اللّـه لم يـزل مسـتهلّا

وقال الحوماني أيضاً:

هـــذي المــعالي مــذ تــركتها فــما | تـــنفكّ تـــبكيك عـــيونها دمــا
وهـــذه عـــين العــلى قــد اكــتست | بـــعدك يــا إنســانها ثــوب العــمى
مــن لظــوامئ النــدى بــعدك يــا | مـنعشها إن كـضّ أحشـاءها الظّـما
قُــوّضت عــنها حــيث لا ذو رحـمة | يــحنو عــليها ويـــقيها العــدما
هـــيهات أن تـــهنأ بــعدك العــلى | وشـــملها هـــيهات أن يـــلتئما
أحــرى بــها بــعدك أن تكــتسي الـ | ـحــزن وأن تــجرع كأســاً عــلقما
رزؤك يـــا ابـــن يــوسف أرجّ أر | جـــاء الغــريّ والمــقام الأعــظما
صـــاعقة مـــبيدة أمـــادت الـ | ـبســيط فــينا وأمـــادت الســما
مـــن مـــبلغ حـيدرة الكــرّار ليـ | ـث هـــاشم وكـــبشها المـــقدّما
إنّ المـــنايا ولجت عـــرينه | واخـــتلست بــالرغم مــنه الضــيغما
تـــبّا لأيـــدي الحـــادثات إنّــها | أمـــاتت المـــجد بـــه والكــرما
ألست يـــا «شـريف» هـاشم ويـا | زعـــيمها وحـــبرها المـــعظّما
غـــيث الورى وغــوثها فـــي حــربها | وجـــديها وربّـــها المـــحكّما
فكـــيف غـــالك الردى وأنت يـا | مـــردي الردى أمـنع هـاشم حمى؟
عـــهدي بك العـضب الذليـق قـد أبى | حســامك المــاضي الشــبا أن يـثلما
فكـــيف أمّك الردى ولم يـــذب | حشـــاه رعـــباً مـــنك إذ تـــقدّما

بتّ له مســـــالماً وطـــــالما بـــات لديك خــاضعاً مستسلما
هـــلّا درى نـــعشك أنّ فـــوقه قـــلوبنا عـــليك أضـحت حـوّما
أم هـل درى مـثوى دفـنت فـيه أن قـد دفـنوا فـيه الصـراط الأقـوما؟
أبكـــيك للإســـلام مـن يـجبره بـعدك يـا جـابره إن فـصما
حـقٌ لدمـعي إن يُـذيب مـهجتي وللـحشا بـعدك أن يـضطرما
وقـائل مـا لي أراك بـاكـياً تسـجم دمـعاً لم يكـن مـنسجما
أجـبته ودمـع عـيني نـاطق لسـانه عـن دم قـلبي عـندما
مـاترى ويـحك أيّ ثـلمة فـيالديـن قـد أحـالت الدمـع دمـا
يـا ثـلمة رجّت لهـا الأرض بـما فـيها لدى ضـجّة أمـلاك السـما
أرجـفت الكـون ولم تـبق عـلى عـالمه لولا عـميد العـلما
«عبدالحسين» المصطفى من «شرف الديـن» لنـا فـينا عـميداً حكـما
ذاك الذي عـلا عـلى منبره يـنثر فـينا درّه المـنظّما
صـارم حـقٍّ صـاغه الرحـمن من جـوهر قـدس وبـراه حكـما
أسـمع صـمّ السـمع فـي خـطابه وأبـصرت آدابـه عـين العـمى
إن ذكـر الحـلم فـقد طـودٌ رَسَـا أو ذكـر العـلم فـقل بـحر طـما
يـراعـه أشـغل بـالشكر له الأنـام طـرّاً عـربه والعـجما
لدى «فـصول» صـاغها «مـهمّة» يـدعو بـها للائـتلاف الأُمـما
مـاذا أقـول فـي إمـام ألبس الـ خـائف أمـناً والمـقلّ نـعما
ذو شـيم قـد مـلأت بـردته يـد التـقى مـروءة وشـيما
يـودّ إذ يسأله سـائله مـن لطـفه بأن يـذوب كـرما
كـم مـن يـد أطـلقها تـدعو إلى ورود سـيبها الفـقير المـعدما
أفـرط فـي إطـلاقها حـتّى لقـد أخـجل وَكْـفُها الغـمامَ المـرزما
ليس عـجيباً مـا بـه فـإنّه فـرع عـلم يـنمى لخـير مـنتمى

مــن «آل بـيت» نـظم الفـخر بـه — عــقداً وعــقد المـجد فــيه انـتظما
أكـــابر قـــد عـظموا قــدراً فـلن — تـــرى بـــهم إلّا الفـتى المـعظّما
مـــنهم قــوام البـغي راح يشـتكي — كســـراً ومـــعوّج الصـلاح قُــوّما
سـراة فـضل ضـربوا فـوق السـها — بـيت فـخار فـيه فـاقوا الأنـجما
أبـــاة ضـــيم قـــد أبت نـفوسهم — مـــواطـناً إلّا عـلى هـام السـما
ســل عـن عـلاهم ذروة العـليا وعـن — فـــضلهم ســل الكـتاب المـحكما
يـــنبيك أنّ الحـــقّ مـــا أثـبت لو — لا فـــضلهم لوحـــاً وأجـرى قـلما
صـــبراً أبـــاة الضـيم إن رزءكـم — وإن تكـــن بكت له الســما دمـا
فأنـــتم يـــا ســادتي أولي عُــلى — مـــصابكم بـــالصبر مـهما عـظما
لا راعكـــم مـــن بـعده خـطب ولا — عـــقدتم عـــلى شـريف مأتـما
وجـــادَ مـــثوى حـــلّه فـقيدكم — وكّـــافُ عـــفو لم يـزل منسجما

وقال عميد الفضلاء ومحطّ رحال الأدباء الشيخ سليمان ظاهر ﷺ:

حـــياتك يـــومان: بـــؤس ونُـعمى — ودهـــرك مـــا انـفكّ حـرباً وسـلما
إذا راش ســـــهماً فـــما ذاك إلّا — ليـــغتال فـــي ذلك الســهم شـهما
وإن أســلف الصـفو فـي ساعة — فكـــم أعـــقب الصفو هـمّاً وغـمّا
ولم يَـنشطُ عـن سـفه إن سـطا — ولا كـــفّ إن كــفّ رفــقاً وحـلما
وليس بـــصيراً بـــغدر الكــــر — يم ولا عن لئام الورى كـان أعـمى
ولود لـيـــاليه للـــــمزعجا — ت كأنّ لهـــا مـــن لـيـاليه أمـا
جـرى فـي القـضاء عـلى سُنّة — فـــما جـــار فـيها ولا سنّ ظـلما
ومـــا هـــو إلّا كـــصوب الأتـ — يّ إذا ســـال ســـدّ شـعاباً وأكـما
وإنّ الرزايـــا كـــقطر الغـــما — م ولم تَـــهْمِ إلّا مـــنوناً وهـــمّا
فـــمن أخـــطأته المـــقادير حـتفاً — فـــما أخـــطأته المـــقادير سـقما
وحـسب الفـــتى أن يكـــون الردى — عـــــدوّاً له وله الداء خــصما

هـو المرء نـهب عـوادي الخـطو ... ب فمن ظـفر هـمّ إلى نـاب حـمّى
وإن أمـضّ الرزايـا أسـىً ... واقـتلها لأخـي الصـبر عـمّا
مـصاب إذا خـصّ فـي وقـعه ... عـظيماً فشـجواً بـني الدهـر غـمّا
كـرزء الشـريف أجـلّ الورى ... وأنفذهم فـي مـدى السـبق سـهما
قضى ولكم من جـوى فـي الضـلو ... ع ومن جرح حزنٍ ومـا كـان رمّـا
فـيا قـرحـة أعـقبت قـرحـة ... وكـلم أسـى أعـقب القـلب كَـلما
وكـم مـقلة قـد مـراهـا الدمـو ... ع ومن مهجة بمدى الوجـد تـدمى
أصـات النـعيّ فـقال الشـر ... يف قـضى بـعدما بـدر عـلياه تـمّا
فـقل يـا عـفاة أشـتكي بـعده ... مـدى مـا عشت ضـيماً وعـدما
وقـل للـيتامي وكـان الكـفـ ... ل لهـا كـابدي بـعده الدهـر يـتما
فـقدنا بـه النسب الفـاطمي ... ومن لم يكن لسوىٰ المـجد يـنمىٰ
فـقدنا بـه الشـرف المـوسوي ... وأكـرم فـي النـاس خـالاً وعـمّا
فـقدنا أدقّ الورى فـطنة ... وأمضى بـني الدهـر حـزماً وعـزما
فـقدنا ابـن يـوسف فـقد الربـيع ... نـطاف السـحائب سكـباً وسـجما
فـللّه مـن فـقده مـا أخـ ... صّ وللّـه مـن رزئـه مـا أعـمّا
فـيا صـارماً سـامه الدهـر ثـلماً ... ويـا صـعدة سـامها الدهـر حَـطْما
ويـا ثـلمة تـركت فـي الشـريـ ... عـة مـا لا يسـدّ إلى الحشـر ثـلما
فـقل للـردى وهـو ليث الشـرى ... فكـيف له اسـطعت تـطرق أجـما
مشـيت له تـحت ظـلّ الخـفا ... ء مشـي الضـراء احـتقاراً وغـمّا
وهـل رحت مسـتجدياً نـفسه ... عـلى سـغب لا النـدى المسـتجمّا
فـجاد بـها والكـريم الجـوا ... د مـن راح يـبذل نـفساً وجـسما
طـوى أضـلع النـاس طـيّ السـ ... جلّ جوىً ولكم بات يـعرق عـظما
وكـم راح يـنظم نـثر الأسـى ... وكـم للأسـى راح يـنثر نـظما

فهل غسّلوه بفيض الدمو ع وكانت من المزن أندىٰ وأهمىٰ
وهل في نسيم الصبا حنّطو ه وهو أطيب نسما
وهل حملوا منه فوق الرقا ب وما خفّ في الحمل طوداً أشمّا
وهل دفنوه بغير الضلو ع وهل في سوى أضلع الناس ضُمّا
فيا خيرَ من بات رهن الثرى ولم يقترف قطُّ في الدهر إثما
فهل موضعاً للأسى والسلوّ تركت وأبقيت للصبر رسما
لقد كنت فرداً بهذا الزما ن وواحد أهليه حلماً وعلما
بلغت من الفضل أقصى مدا ه وركبك زمّ وما الركب زمّا
وفارقت عيشك وهو القصـ ـير وعهد شبابك ما سيم ذمّا
وضمّ ضريحك منك الضرا ح وفيك من الشهب قد بات أسمى
ولولا أخو الفضل «عبدالحسـ ـين» شكا الدهر بعدك للحشر عقما
ففي صبره لأفاعي الخطو ب رقى يوم تنفث في الناس سمّا
يريك إذا خفّ فيها الحليـ ـم أثبت من رجّح الهضب حلما
تُصرّف يمناه في المشكلا ت يراعاً يروقك رقشاً ورقما
وإن رقّ أو خفّ في كفّه فقد وازن الشهب وزناً وحجما
وإن صغرت نفسه هيبة له فلقد زاحم الدهر عظما
وما كلّ مستصغر في العيو ن صغير وهل صغّر النجمُ جرما
ألا استعرض الناس شهماً فشهما وجُل فيهم الفكر قرما فقرما
فهل ترى من منهم في الزما ن يدانيه علماً ونبلاً وفهما
وهل كان يشبه نجم الثرى وإن راق حسناً من الأُفق نجما
لقد عجمت عوده الحادثا ت فزاد على العَجم عزماً وحزما
ترى منه إن شئت خلقاً عظيـ ـماً وإن شئت علماًترى البحر جمّا
ولم يجترح قطّ للسيّئا ت ولا قطّ في لمم قد ألمّا

تـفرّع مـن هـاشم الأكـرمين ... فـفاق البـريّة عـرباً وعـجما
فـيا راقـياً مـرتقى لا يُـنا ... لُ وقد ظلّ من بـات يـرميه رجـما
سـبقت عـلى خـطرات الظـنو ... ن وقد فتّ في السبق ظنّاً ووهـما
إذا مـا أهـمّ الورى فـادح ... فـإنّ له دافـعاً إن تـهمّا
وإمّـا ادلهـمّ بـهم حـادث ... كـفيتهم الحـادث المـدلهمّا
ولو عُـدّ دهـرك فـي المنصفين ... لألقـى إليك زمـاماً وحكـما
أأطـلب مـنك انـتهاج السـلوّ ... إذا مـا قـضاء المـهيمن حُـمّا
وأنت الجـدير بـردّ الأمـو ... ر إلى اللّه أن تـوهيَ النـاسَ عـزما
فـلا ضـقت ذرعـاً بـخطب ولا ... رأيت بـربعك خـطباً مـلمّا
وحـيّ الرضـى مـرقداً للشـر ... يف طووا فـيه للعلم بـحر خـضمّا

وقال الأديب الكامل الشيخ إبراهيم حمام رحمه الله [١]:

عـجباً لطـارقة الحـتوفِ ... ولريب غـائلة الصـروفِ
فـلقد فـرَتْ قـلب الهـدى ... وحشـاشةالديـن الحـنيفِ
هـذي الرزيّـة لم تـدع ... بـين الأنـام سـوى اللـهيفِ
قـد جـدّدت لبـني الوصـيّ ... الطـهر فـاجعة الطـفوفِ
ردّت مـصارع فـتية ... ذهـبوا بـمعترك الصـفوفِ
من حـيّ عـدنان الذيـن لفيـ ... فـهم خـير اللـفيفِ
مـن يـعرب الأسـد الذيـن ... عـرينهم بـيض السـيوفِ
مـن غـالب الصـيد الكـما ... ة وهـاشم شـمّ الأنـوفِ
هـي عـادة الدهـر الخـؤ ... ون وشـيمة الزمـن العـنيفِ

---

١. كان أديباً شاعراً مجيداً، خفيف الروح، من ألطف الناس معشراً، وأعذبهم مجلساً، وأظرفهم نكتةً، مع تـقوى وصلاح، وحسن سيرة، وطيب سريرة، توفّي في سنّ الشيخوخة، أواخر الحرب الأولى. وقد فـهمت ذلك ممّن شاهده وعرفه كوالدي عليه الرحمة وغيره. «ع» [راجع أعيان الشيعة ٢: ٢٠٧].

لم يــــــــفض إلّا بــــاللبا	ب المحض والنـدب الشـريفِ
أودى الشـــــريف فـصوّحي	يـــا دوحــة الشـرف المـنيفِ
وكـــــبا جـــواد المــــجتد	يـــن وبـلغة العـافي المسـيفِ
وخـــــبا مـــنار المـــدلـ	جين بـغاسق اللـيل المـخوفِ
يـــا فــجعة المــجد التـليـ	ـد ولوعــة الحسب الطـريفِ
بــفراق مــنتجع المــقلّ الســ	ـمــح والبـــرّ العـــطوفِ
والمســـــتقلّ لدى النـــدى	للـــمجتدي بـــذل الأُلوفِ
والمســــــتجار بـــركنه	من صـرف داهـية الصـروفِ
تـــجلى بـضوء جـبينه الـ	ـوضّـــاح داجــية السـدوفِ
بـــــعفافه عــــرف الورى	مـا الزهـد، لا بـلباس صـوفِ
ولديـــــه خُـــلُقٌ زاهــــرٌ	أبـــداً عـلى الأزهـار موفِ
خـــــلق كـــمعتلّ النســ	ـيم بـبرد أبّــاءٍ عــيوفِ
روت النســـــائم لطــــفها	عــن طـبعه الزاكـي اللـطيفِ
صـــبراً بـني الشـرف الأصيـ	ـل لهــول طـارقة الحــتوفِ
عُـــوِّدتم وِردَ الــــردى	وفــوادح الخـطب المـخوفِ
فـــي كــلّ عــام مــنكم	شـمس تـبرقع بـالكسوفِ
وضـــياء بـــدر بـــعدها	غـــالته غــائلة الخســوفِ
ونــجوم مــجد فـي الثـرى	حــطّت مــن الأُفـق المـنيفِ
فـــلكم فـــقدت أخـــا فـــخا	ر للـــعلى أوفـــى حـــليفِ
ودفــنت فـــي بـــطن الصـفيـ	ـح مــهذّب الرأي الحــصيفِ
لهــفي وهـل يـجدي التـلهّف	بـــعدهم قـــلبَ اللــهيفِ؟
فـــاستمسكي بـــعد الشــر	يـف بـحبل مـعتصم شـريفِ
«عـــبدالحسين» هـــو الزعيـ	ـم لحـــوزةالديــن الحــنيفِ

مـــولى يـنادي فـضله الطـ ... لّاب دائــــمة العكـــوفِ
وإلىٰ مـواهب جـوده السؤّ ... ال رافــــعة الكـــفوفِ
هــذي الوفــود بـــبابه ... وحـــماه دائـــبة الوقـوفِ
فهو الجواد المستطيل الفضـ ... ـل مـــطعامُ المســـيفِ
خَـفِّض عـليك أبـا محمّد ... فـــالأسى خـير الأليـفِ
أيــــخيف قـــلبك حـادثٌ ... وبك الأمـان مـن المـخيفِ
ويــخفّ مـنك لدى الردى ... حـلم عـلى الأطـواد موفِ
وتُـفَلُّ مـنك عـزيمة ... أمـضى مـن العضب الرهـيفِ
وتسـام ضـعفاً بـالخطو ... ب وأنت ركـن للـضعيفِ
بك يـا أبـيّ الضـيم أمسى ... المـجد مـمنوع الكـهوفِ
وبك المـعارف أسـفرت ... عن وجـهها الزاهـي المشـوفِ
قـد صـنت شـرعة جـدّك ... المختار من بـدع العسوفِ
وجـلوت مـنها غـامضاً ... لسـواك مسـدول السجوفِ
وبـنيت جـمّ مـفاخر ... بـتليد مـجدك والطـريفِ
صـبراً عـلى دهـياء قـد ... جـاءت بـمرغمة الأنـوفِ
حـيّتك أمـلاك السـما ... بـالبشر يـا قـبر الشـريفِ
وسـقيت مـن عـفو الإلـٰه ... بكـلّ سـحّاح ذروفِ

وقال الفاضل الكامل العلّامة، والأديب الأريب الفهّامة الشيخ حبيب إبراهيم ﷺ[١]:

رويداً فقد أسرعت في أخذك الهدى ... وغـادرت شـمل المكـرمات مبدّدا

---

١. كان من أفاضل العلماء، وأجلّائهم خطيباً واعظاً متكلّماً، ولد في حنويه سنة ١٢٩٥، وقد أقام مدّةً في العمارة في العراق، مكافحاً للتبشير البروتستانتي هناك، وحصل على وجاهة ومكانة هناك، ثمّ عاد إلى لبنان وعيّن مفتياً لبعلبك، وأقام فيها متفرّغاً للتوجيه والارشاد والتأليف إلى أن توفّي سنة ١٣٨٤.«ع» [راجع نقباء البشر ١: ٣٥١، الرقم ٧٠٧].

رميت بسهم الحتف ناظرَ هاشم		وأجمعها علماً وفضلاً وسؤددا
وأعظمها حلماً وأكبرها حجئً		وأكرمها نفساً وأجودها يدا
فلو أنّه يفدى من الموت سيّد		لكنت له إذ غاله حتفه الفدى
مضى بالهدى والعلم والفضل والتقى		وبالمجد والمعروف والحلم والندى
أبى الدهر إلّا سيّداً يستفزّه		لنيل العلى والمجد ما فيه من هدى
كأن لم يجد إلّا ذوي الفضل مضرباً		لأسيافه دون البرايا مغمدا
أمتّخذاً أعلى المنازل منزلاً		ومبتغياً أعلى المقاصد مقصدا
هنيئاً لك الأُخرى فما كلّ سيّد		تخيّر منها مثل ما اخترت مقعدا
تفرّدت بالأُولى بكلّ فضيلة		وأمسيت بالأُخرى بما نلت مفردا
حبست قلوصي حيث كنتم مسائلاً		ربوعكم عنكم زماناً ومنشدا
ولو كنت أسطيع اللحاق لحقتكم		وقلت رِدِي يا نفس ما اختار موردا
فما أنا بالمرء الذي لو سلكتم		طريق الردى لم يرتضِ مسلك الردى
ولكنّني لو أتهموا كنت مُتْهِماً		ولو أنجدوا يوماً به كنت منجدا
أرى صفو عيشي حيث أمسي بقربه		وما أن أرى صفواً إذا هو أبعدا
قضى وبودّي لو تأخّر ساعة		لأشفي من نفسي به غُلّةَ الصدى
أرى الناس إذ طافوا به بين والهٍ		عليه ومحروق الحشى فاقد الهدى
ترى كلّ طرفٍ في تَهامي دموعه		كأنّ به بحراً من الدمع مزبدا
يقولون: لا تبعد، وفي كلّ مهجة		سعير جوىً ملء الحشى قد توقّدا
أبا كاظم ما كنت أحسب أنّه		يمدّ الردى باعاً إليك ولا يدا
أتاك شباباً لم تذق طعم عذبه		ولا شمت من تلك الموارد موردا
رمى بك قلب الدين رمية صائب		فأثكل من فيها مسودا وسيّدا
لعمرك ما أبقيت إلّا حشاشةً		تلظى وإلّا ناظراً متسهّدا

أرى كلّما قد رمت أطفي بدمعتي فؤادي ما يزداد إلّا توقّدا
تعوّد طرفي بعد فقدكم البكا وهيهات أن يسلو امرؤ ما تعوّدا
فقدناه ندباً بالفضائل والتقى تردّى ألا يا نعم ما قد به ارتدى
ألا ليقل من شاء فيه فإنّه لأعظم من أن يدركوا فيه ما بدا
ولو لم يكن فيها أخوه وصنوه لقلت هو الفرد الذي قد توحّدا
إمام الورى كنز التقى علم الهدى ملاذ الملا كهف الحجى عيلم الندى
إذا ما استظلّ الخائفون بظلّه رأوا لهم منه منيعاً مشيّدا
[....... ....][1] سوى حيث لا يأتيه آتٍ فينفدا
ترى الناس في أعتابه بين لائذ وآخر راج حيثما سار أو غدا
فملتقط درّاً ومستمطر ندى ومقتبس خيراً ومقتبس هدى
أتى بك هذا العصر حجّاً لأهله وللعائف الراجي ملاذاً ومقصدا
سبقت ذوي العرفان في كلّ غامض وكنت لهم في ظلمة الأمر مرشدا
فحقّ بأن تمسي لمن بات فوقها من العالم الأعلى إماماً وسيّدا
ولو أنصفتك الناس باتت سراتها تجوب الفيافي فدفداً ثمّ فدفدا
تزفّ بمسراها إليك نجائبا تعوّدن إدمان السُرى والتجلّدا
فإن تكتحل أبصارها باطّلاعة على صبحِ وجه منك أشرق بالهدى
فقد وفّق الباري وأرشد للتي بها الفوز في الدارين طرّاً وأسعدا
ألا اسلم لدين المصطفى أبداً أبا محمّد فالإسلام فيك تأيّدا
يعزّ على آبائك الصيد أن تُرى لدى الناس مشجيّاً وقلبك مكمدا
فصبراً فما الأولى لمثلك أن يرى لدى الكرب إلّا صابراً متجلّدا
لكلّ أناسٍ سيّد يُقتدى به وأنت لأرباب الفضائل مقتدى

(١) بياض في الأصل.

وقال السيّد أمين عليّ أحمد الحسنيّ[١]:

مـــن دكّ هـــضبة يـعرب ونـزارِ   وأبـــاح حـــوزة شـرعة المـختارِ
مـن غـال كـوكب هـاشم حـتماً لقد   أخـــذت عـليها الأرض بـالأقطارِ
خـطبٌ رمـى قـلب الهـداية سـهمه   قســـراً فـــغادره بـــغير قـــرارِ
يـا كـوكباً مـن بـعد مـا كـمل السنا   غـــالتك نـــائبة القـضاء الجـاري
ما كنت أحسب قـبل حـطّك فـي الثرى   أنّ القـــبور مـــنازل الأقـــمارِ
مـا للـخطوب تـبزّني ثـوب الهنا   وتشـوب صـفو العـيش بـالأكـدارِ
ولكـــم رجـوت لك البـقاء وإنّـما   أمـــل الرجـاء عـلى شـفير هـارِ
ولقـد حـللت مـن الفـؤاد مـحلّةً   في حيث مـالك فـي الورى مـن جارِ
ولقـد عـهدتك يـا عـميد بـني الورى   أنـدى الورى كـرماً «شـريف» نـجارِ
مـــاذا الجـفاء وأنت أوفـى ذمّـة   عـندي وحـبّك مـذهبي وشـعاري
تـغدو وحـيداً يـا وحـيد بـني الورى   وأظـــلّ بـــعدك عـرضة الأخـطارِ
فأنـــا الأحـقّ بأن أعـضّ أنـاملي   أســـفاً وأصـفق بـاليمين يسـاري
خـــذني إليك فـــما الحـياة بـبلغة   والعـــمر مـــهما طـــال لوث إزارِ
مـــا كـنت أحسب أنّ أيّـام اللـقا   فـــيكم لديّ قـــصيرة الأعـــمارِ
هـتف النـعيّ وجـرح قـلبي فـيكم   لم يـــندمل ....(١)
«يـا كـوكباً مـا كـان أقـصر عـمره   وكـذاك عـمر كـواكب الأسـحارِ»
«جـاورت أعـدائـي وجـاور ربّـه   شـــتّان بـــين جـواره وجـواري»

(١) هكذا بالأصل.

١. كان من أجلاء أهل العلم والفضل، طيّب الذات، طاهر الذيل، ولد في طورة سنة ١٢٨٨، وكانت له مشاركة حسنة في الشعر والأدب، أقام مدّةً في الهرمل عالماً وموجّهاً هناك، وقد توفّي بجناتا سنة ١٢٨٢.«ع» [راجع أعيان الشيعة ٣: ٤٩٥].

فلأبكينّك ما حييت على النوى عمر الزمان بمدمع مدرارِ
فجعت ديارك مذ رحلت مقوّضاً وتغيّرت فالدار غير الدارِ
كانت لدين الله مهبط وحيه ومدارس الآيات والأذكارِ
وقفت عليها المسنتون رواكداً سغباً على بعد من الأسفارِ
فتنكّرت منهم معارف ربعها لتغيّر الأيتام والآثارِ
رجعوا ولكن ناكسين رؤوسهم ميل الرقاب خواشع الأبصارِ
يبكون إذ فقدوك غاية مجدهم عزّ الذليل وذلّة الجبّارِ
كم نكبة لك يا زمان فظيعة «أذكت بقلبالدين حرّ أوارِ»
ورزيّة أخلت لهاشم منكبا قصمت أسىً ظهر الفتى المغوارِ
«عبدالحسين» ومن لأكرم أسرة ينمى وأشرف محتد ونجارِ
من هاشم الخير الذي ضربت به أعراقه لمحمّد المختارِ
يا ابن النبيّ المصطفى وحشاشة الز هرا وروح المرتضى الكرّارِ
صبراً فحسبك ما حييت تصبّراً وتأسّياً بالسادة الأطهارِ
خفض فكلّ واردٌ أو صادر والموت بين الورد والإصدارِ
إنّا بمنزلة سواء عندها طعن الجبان وطعنة المغوارِ
حيّا الإله ثرى الشريف سحائب الرضوان من غادٍ عليه وسارِ

وقال الشيخ حسين الحوماني[1]:

كلّ يوم تروعنا الحادثاتُ هكذا عيشنا وهذي الحياةُ
لم نذق في الزمان ساعة صفو لم تكدّر صفاءها الآفاتُ
إنّما هذه الحياة شقاء عن قليل أوقاتها زائلاتُ
غاية المرء للفناء وتبقى في البرايا أعماله الصالحاتُ

١. شاعر مجيد وأديب كامل، توفّي في حاروف ـ قرب النبطيّة ـ سنة ١٣٧٠هـ «ع»

واللـيالي أمست يـلدن رزايـا هـنّ فـي جبهة الزمـان عـظاتُ
زاحـفتنا صـروفها بـزحـوف ألهـا عـندنا الصـروف تـراتُ؟
طـرقت ربـع هـاشم بـعظيم صـغرت دون هـوله النـائباتُ
هـل درت، لا درت، بـمن فـجعتنا وأصـابت سـهامها الصـائباتُ؟
فـجعتنا بـخير مـولى كـريم أنـجبته الآبـاء والأُمّـهاتُ
وشـريف تـنحطّ دون عـلاه سـاميات الأفـلاك والنـيّراتُ
غـيّبت شـخصه المنايا فـغاب الـ ـعلم والفـضل والتـقى والهـباتُ
يـا فـقيد العـلوم رفـقاً بأحشـا ءٍ مـن البـين مـلؤها حسـراتُ
إنّ يـوماً قـوّضت عـنا ليـوم فـيه كـلّ القـلوب مـنكسراتُ
قد بكتك العـلوم مـذ غـبت عـنها: بـعيون آمـاقها دامـياتُ
فـلو أنّ الفـدا مـن المـوت يـجدي لفـدتك الأرواح والمـهجاتُ
لكـن المـوت فـي البـريّة حكـم مـبرم ليس مـنه قـطّ انـفلاتُ
مُـذ أبت نـفسك الزكـيّة سكـنى دار غـدر وعـودها كـاذباتُ
خـصّك اللّـه خـير دار أعـيدت لك فـيها بـقربه الجـنّاتُ
وحـبانا مـن بـعد فـقدك سـلوى مـن بـرؤياه تكشـف الكـرباتُ
ذاك «عبدالحسين» عـلّامة العـصـ ـر ومـن فـيه تـوضح المشكـلاتُ
خـير مـولى بـه العـلوم استقلّت لم تـجئنا بـمثله الوالداتُ
إن رقـى مـنبر الفـصل قـضاء وقـضى فـيه زالت الشـبهاتُ
أو رقـى مـنبراً لفـصل خـطاب فـهو سـفر آيـاته مـحكماتُ
ذو يراع مـا جـال فـي الطـرس إلّا ظـهرت مـنه للـورى المـعجزاتُ
كـم له فـي مـجاله مـن فـصول عـجزت أن تـحيط فـيها الرواةُ
وله فـي العـرفان أسـفار عـرف مـحكمات آيـاتها بـيّناتُ
ذاك كـنز التـقى ومـن فـيه نسـتـ ـسقي غـماماً إن ضـنّت السنواتُ

وهـو للـمـلتجين مأوىً وللـرا جـين ذخـر وللأنـام النـجاةُ
طـود حـلم ما زلزلته خطوب عـلّم الراسيات كـيف الثباتُ؟
كيف لا نرتجيه وهو ابن موسى كـاظم الغيظ للورى المشكاةُ؟
أطلعته من شيبة الحمد آباء كـرام أعـزّة سـاداتُ
آل بيت قد أذهب الرجس عنهم ربّـهم، لم تـحط بـهم سيّئاتُ
مـعدن الوحي والرسالة سرّ اللـ ـه بـل هـم لآدم الكـلماتُ
منبع الفضل مصدر العلم عنهم هـم أُنـاس أعـراقـهم طـاهراتُ
أيّـها النـدب لا عـدمناك صـبراً لعـظيم دكّت له الهـضباتُ
عـهدنا فـيك للـحوادث أرسى مـن ثـبير لم تـلُوكَ الحـادثاتُ
لك فـي جـدّك الكـريم تأسّ فـي الرزايـا إن نـابت النـائباتُ
كـلّنا يـا وقـيت، رهـن المنايا وعـلى الخـلق لاتـدوم الحـياةُ
إنّـما المـوت سـنّة في البرايا وعـلى العـالمين خـطّ المماتُ
فـعزاء رزء الشـريعة فـي رزءٍ بـه أعـين الورى دامـياتُ
لا أرتك الأيّـام رزءاً ولا را عـتك مـن بـعد هـذه رائـعاتُ

[الخاتمة: السيرة الذاتيّة]

مولدي ونشأتي

ولدت مستهلّ جمادى الثانية لسنة ألف ومائتين وتسعين في المشهد المقدّس الكاظمي أثناء رحلة والدي لطلب العلم.

وحين رجع ـ أعلى الله مقامه ـ إلى جبل عامل واستوطن قريته شحور ـ وهي من أعمال صور ـ كنت في الثامنة من عمري، محبوراً بحضانة والديّ المبرورين، أنزلُ من حنانهما إلى جناب مريع، وألوذُ من حنوّهما إلى كهف منيع، وقد ألقيا عليّ رخمتهما[1]، وبسطا لي جناح رحمتهما، وألانا لي أعطاف عطفهما، وأوسعا لي أكناف لطفهما، وأحنيا عليّ بالتربية، كما تحدّبا عليّ بالتغذية، فطبعاني ـ والحمد لله ـ على غرار[2] الدين القويم، وضرباني على قالب منهجه المستقيم.

لا عذّب الله أمّي أنّها شربت ... حبَّ الوصيّ وغذتنيه في اللبنِ

أخذت عنهما أصول الدين وعقائده القيّمة، وطبعاني وأنا طفل على إقامة الصلاة بشروط صحّتها، فجرى ذلك منّي مجرى الروح في الجسد، ورسخ في نفسي رسوخ الجبال الراسية، وتلك نعمة لا يؤدّى حقّها ولا يستوفى شكرها، والفضل لله تعالى إذ خلقني من

---

١. رخمتهما: أي حضانتهما. المعجم الوسيط: ٣٣٦، «ر. خ. م».

٢. كذا في «أ» و«خ»، وفي المطبوعة «غرر».

والدَّيْنِ مخلصين له الدين، داعيين للّه بالحكمة والأساليب المألوفة، بعيدي الغور، حصيفي العقدة(١)، وله النعمة والآلاء بما بذلاه لي من النصح، وتحرّياه من الرشد، فلم يطويا عنّي نصحاً، ولم يدّخرا في دلالتي على اللّه ـ تعالى ـ وكتابه ورسوله وأوليائه واليوم الآخر وسعاً، وهو القادر على جزائهما بالإحسان إحساناً وبالسيّئات عفواً وغفراناً.

قرأت القرآن الكريم على كتّاب معلّم من الصالحين في النجف الأشرف، وجوّدته في شحور على عمّي المبرور السيّد محمود شرف الدين[١]، وكان من الحفّاظ والقرّاء والبررة الأتقياء، رحلة في علم التجويد.

ثمّ أقبل المقدّس والدي على تعليمي بنفسه، واسترسل إلى تلقيني الدروس بأُنسه، فألقيت إليه سمعي، وأصغيت إليه بلبّي، حتّى أخذت عنه العلوم العربيّة ـ الصرف، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، والأدب العربي ـ وعلم المنطق بكلّ ضبط واتقان، وأخذت عنه نجاة العباد للعمل على مقتضاها(٢)، وقرأت عليه كتابي فقه الإماميّة، وشرائع الإسلام، وكان يأمرني بكتابة دروسي وعرضها عليه، فما فاتني كتابة شيء ممّا قرأته عليه من الدروس العربيّة والمنطقيّة إلّا القليل والحمد للّه.

وحين قرأت عليه كتب النحو كان يفرض عليّ قراءة العبارة على العربيّة، ثمّ إعرابها، ثمّ تفسيرها قبل الدرس في كلّ يوم، وكنت أحفظ في كلّ يوم بيتين من ديوان الحماسة أو غيره من شعر العرب فأتلوهما وأُفسّرهما بين يديه بعد مراجعة القاموس في حلّ الغريب من مفرداتهما، ولم يجعل لي مندوحةً عن ذلك أبداً، وألزمني بحفظ ألفية ابن مالك حين قرأت عليه شرحها، وكان في شهر رمضان يلزمني بمتابعته

(١) أي محكمي التدبير[٢].

(٢) إذ كانت مع حواشيها يومئذٍ مرجع المقلّدين.

١. تقدّم ترجمته في ص ٣٩٥.

٢. المعجم الوسيط: ١٧٩، «ح. ص. ف» قال: «حَصُفَ الشيء: كان محكماً لا خلل فيه».

في قراءة القرآن ـ وكان من القرّاء ـ وهناك أجزل الفوائد وأرجى المنافع بخشوع الأبصار وسكون الجوارح خشيةً وفرقاً.

ما رأيت كوالدي أباً رحيماً حكيماً يُعني بأمر ولده، ويهتمّ بشأنه، فلا يَنِي[١] في شيء من مبلغات نجحه أبداً، وما رأيت مثله أُستاذاً يغدو على التدريس بسعة ذرعه، ويروح على البحث مع تلميذه بشهامة طبعه، يعيره ـ إذا تكلّم ـ أُذناً صاغيةً، ويتلقّاه ـ وإن أخطأ ـ بوجه متهلّل، وصدر منشرح، فكنّا في كلّ ما نسمعه منه أو ترفعه إليه على جمام من أنفسنا، ونشاطٍ من عزائمنا، وكان يرهف طباعنا بتشجيعه، ويجلو عنّا صدأ الفتور بما يذلّله من العقاب، ويروضه من الصعاب، ويخوض بنا عباب العلوم، ويغرينا بالغوص إلى أسرارها، وينضي بنا ركائب الطلب في جمع أشتاتها، ويحملنا في ذلك على كلّ صعب وذلول، فيضطرّنا إلى تمحيص حقائقها، والتنقيب عن دقائقها، وكان في سلخ كلّ شهر يبلو ما عندنا، فيختبر كنهه، ويسبر غوره، فإذا وجد نقصاً أكمله، أو ضعفاً تداركه، يرهف بهذا طباعنا، ويستأنف به نشاطنا.

وحين لمعت منّي بوارق النجح، وبدت تباشير الصبح، أجمع على إرسالي ـ حاضناً لأخي الشريف ـ إلى جامعات الدين في العراق، وكان ـ أعلى الله مقامه ـ ذا زماعٍ في الأمور، ماضي العزيمة فيها، إذا قال فعل.

فحمدت الله جلّت آلاؤه على أن بلّغني ما في نفسي، ووصل يدي بما كنت أتمنّاه.

ومقدّمةً لتلك الرحلة أهّلني بكريمة صنوه الأكبر عمّي المبرور السيّد محمود أمّ أفلاذي الكبار الستّة، كانت من خيرة الفاطميّات في كلّ أمر يعلو به شأن الخفرات، من حيث الدين، ومن حيث الدنيا، ومن كلّ جِهة، وقد ختم الله حياتها عن نحو السبعين من عمرها في حرم جدّها أميرالمؤمنين عائذةً به، منقطعةً إلى عبادة ربّها عن كلّ شيء ـ فطيّب الله رمسها في مثواه الأقدس مثوى الرحمة، ومعقل الهدى والعصمة ـ مساء

١. وَنى في الأمر: فتر وضعف. راجع المعجم الوسيط: ١٠٥٨، «و. ن. ى».

السبت ۳۰ جمادى الثانية[1] سنة ۱۳۵۹ رحمها اللّٰه تعالى.

رحلتي العلميّة

إنّ لوالدي في رحلتي إلى معاهد العلم والدين نعمة تجدّد قديم نعمائه، وتضاعف سوالف إيلائه، أرهف لها هممه، وقصر عليها عزائمه، وأرصد لها ما يضمن لنا الراحة في التفرّغ للعلم، حتّى نعود إليه بما ناطه بنا من الثقة، وعلّقه علينا من الأمل، وهذا ما اضطرّني وأخي إلى إرهاف العزم، وانفاذ الهمّة، وبسط العنان في إيقاظ الجنان، فلم نأل جهداً، ولم ندّخر وسعاً، وكان قد شرط علينا ذلك قبل زمّ الركائب وأمرنا عند الوداع بتقوى اللّٰه عزّ وجلّ والإخلاص له ـ تبارك وتعالى ـ في العلم والعمل وعلى هذا فارقناه.

وزمّت عنه ركائبنا يوم التاسع من ربيع الأوّل سنة ۱۳۱۰، كنت في هذه الرحلة الميمونة بخدمة المقدّسة والدتي ـ وكنت وحيدها فلن تستطيع عنّي صبراً ـ محبوراً بحضانة أخي الشريف، وله يومئذٍ اثنا عشر عاماً، ومعي كريمة عمّي تحضن بكرنا طفلةً مفطومةً، ومعنا وصيفة لنا كانت صالحةً ناصحةً سعيدةً كاسمها ـ رحمها اللّٰه ـ تعرف وجوه الخدمة، فكنّا ـ وللّٰه الحمد ـ في الطريق كلّه في أنعم بال، وأحسن حال، حتّى وردنا المشهد الكاظمي أعزّه اللّٰه تعالى(۱).

فألقينا العصا بفناء الرأفة والحنان، وموضع الحكمة والإيمان، فناء آية اللّٰه البالغة، ونعمته السابغة، جدّي لأمّي ـ المقدّس ـ السيّد محمّد هادي[2]، فآوانا ـ أعلى اللّٰه مقامه ـ

(۱) قبيل الفجر يوم الثاني من جمادى الأولى من تلك السنة، أبحرنا من بيروت إلى اسكندرونة، ومنها مع القافلة إلى حلب، فدير الزور، فالكاظميّة استغرقنا في الطريق اثنين وخمسين يوماً.

۱. في «غ»: «سلخ جمادى الأولى».

۲. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ۱۰: ۲۳٤؛ معارف الرجال ۲: ۲۲٤، الرقم ٥١٤.

إلى ظلال رحمته، وأوسع لنا أكناف نعمته، وحنت تلك الطاهرة جدّتي الجليلة علينا حنوّ الوالدات على الفطيم، وتحرّكت حُدبَتُها(١) على كريمتها والدتي ـ وكانت بكرها ـ وقد مُنيت بفراقها ثلاث عشرة سنة، تجرّعنا فيها الغصص.

أمّا العلويّات شقيقاتها الأربع فقد عطفتهنّ أواصر الأخوات، وأخذتهنّ سورة الفرح، فبكين سروراً، وأبكيننا حبوراً، وكان خالي العلّامة السيّد محمّدحسين ـ أعلى اللّه مقامه ـ يبكي متمثّلاً:

هجم السرور عليّ حتّى أنّه … من فرط ما قد سرّني أبكاني

وكانت ساعة رَوح ومسرّة، وجدنا بها قرّة عيوننا، وبرد السرور في قلوبنا.

في سامرّاء

لمّا تشرّفنا بأعتاب الكاظمين عليهما السلام كان خالي الإمام أبو محمّد، وابن عمّه الإمام الجليل السيّد إسماعيل [1] في مهجرهما سامرّاء، فآثراها لنا على النجف الأشرف، وما إن صدر الأمر منهما بذلك وأمضاه سيّدنا الجدّ حتّى انتجعنا فضلهما، ووردنا شرعتهما، فأوينا منهما إلى وارف حنان، ونزلنا منهما إلى سوابغ نعمة وإحسان. وكانت سامرّاء يومئذ آهلةً بأعلام الهدى، زاهرةً بمصابيح الدجى. كما أشرنا إليه فيما سبق من هذا الإملاء(٢).

(١) الحُدبة: رقّة الأمّ خاصّةً [2].

(٢) راجع من ترجمة خالي الشريف أبو محمّد الحسن الصدر ما ذكرناه في فصل هجرته إلى سامرّاء، والفصل الذي بعده ذا الكلمة الموجزة [3].

١. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ٣: ٤٠٢؛ معارف الرجال ١: ١١٥، الرقم ٥٠؛ تكملة أمل الآمل: ١٠٤، الرقم ٤٢.

٢. راجع المعجم الوسيط: ١٥٩، «ح. د. ب».

٣. تقدّم في ص ٢٨٠ و مابعدها.

أقمنا بين ظهرانَيْهم سنةً واحدةً، فكانت أجزل أيّامنا فائدةً، وأتمّها عائدةً، وأرجاها منفعةً، قرأت فيها شرح اللمعة في الفقه، ومباحث الألفاظ من فصول الأصول(١).

أمّا شرح اللمعة فقرأته على شيخنا المقدّس الشيخ باقر حيدر(٢)، وكان من ذوي البسطة في الفقه والأُصول، إماماً في العلوم العربيّة، وعلى غاية من الاعتدال في مفاد الأدلّة ومجاري الأُصول، معدوداً في المبرّزين، انطلق ﷺ يطوي بي في اليوم الواحد من شرح اللمعة ما لا يُطوى في الأُسبوع، واندفع يعدو بي حثيث السير في ذلك الكتاب المستطاب، على ما كان ملتزماً به من إعمال الرويّة الثاقبة، والنظر الدقيق، والغور البعيد، راعى في عمله هذا مطابقته لمقتضى الحال؛ إذ لم يرني ـ والحمد للّه ـ بمحتاج في اللمعة إلى أُستاذ، فكان يُغِذُّ بي السير فيها، وربما حضّني فقال: لا تُوْنِ فرصتك(٣)، ولا تكن عُوَّقاً(٤)، فما عتّم أن ختم الكتاب، والحمد للّه على الهداية إلى الصواب.

وأمّا درس الفصول فقرأته على شيخنا المقدّس الشيخ حسن الكربلائي(٥)، وكان من

(١) لم أقرأ المعالم على أُستاذ؛ إذ رأى السادة كلّهم أنّي لست في حاجة إلى ذلك، وقد استغنيت بالفصول عنها وعن القوانين والحمد للّه.

(٢) المتوفّى في المحرّم الحرام سنة ١٣٣٣ في الشعيبة، وحمل إلى النجف الأشرف فدفن فيها[1].

(٣) أي: لا تؤخّرها مأخوذةٌ من آناه إيناءً إذا أخّره وأبطأه. والاسم منه الأناء بوزن سلام[2].

(٤) العوق الذي يعتاقه التسويف عن مهمّته[3].

(٥) المتوفّى سنة ١٣٢٠ في الكاظميّة، وكان هو والإمام النائيني كفرسي رهان، كأنّهما فرقدان قد اشتقّا من نبعة واحدة، غير أنّ الحسن كان أوسع صدراً من الحسين، وأربط في المناظرات والمحاضرات جأشاً[4].

١. راجع أعيان الشيعة ٣: ٥٣٦؛ نقباء البشر ١: ٢١٥، الرقم ٤٦٧.

٢. راجع المعجم الوسيط: ٣١، «أ. ن. ي».

٣. راجع لسان العرب ١٠: ٢٧٩، «ع. و. ق».

٤. راجع: أعيان الشيعة ٥: ٢١٢؛ نقباء البشر ١: ٤٢١، الرقم ٨٣٧.

أعلام الفقه، وأطواد الأُصول، وأبطال البحث والتنقيب، ربيط الجأش فيهما، مشيّع القلب في الجدال والمناظرة، صادق البأس في معترك الآراء، قد مَلَك فصل الخطاب، ومفصل الصواب.

عُني بي ـ قدّس اللّه نفسه ـ فتعمّق في درسي، يتقصّى في التحقيق والتدقيق، فيُعلّمني كيف تمحّص الحقائق، وكيف تُستجلى الغوامض، وكان يغريني بمناقشته، ويحدوني على نقض ما يبرمه، وإبرام ما ينقضه، ويرهف عزمي لمناظرة العلماء والأفاضل، ويشحذ رأيي لدفع الحجج المزيفة، وقرعها بالحقّ، ويحملني على الإمعان والاستقصاء في البحث مع أترابي، ومع من هو أفضل منّي، ومع من هو دوني.

وكنت صبح كلّ جمعة من كلّ أُسبوع أغدو بخدمة سيّدنا الخال ـ أعلى اللّه مقامه ـ إلى مجلس مولانا القدوة الشيخ ملّا فتح عليّ السلطان آبادي(١)، وكان أعلام الدين(٢) ينتدون يوم الجمعة مجلسه لينتجعوا حكمته، ويردوا شرعته، وكان ممّن ترمقه أبصار الصدّيقين، وتُمدُّ إليه أعناق المقدّسين ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[1]، وكان ـ أعلى اللّه مقامه ـ ممّن ﴿تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾[2]، و﴿والَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ في خَلْقِ السَّمواتِ وَالأَرْضِ﴾[3]، رقيباً على نفسه في كلّ حركة وسكون يحاسبها على كلّ منهما، زاهداً في الدنيا، راغباً

(١) المتوفّى رابع ربيع الأوّل سنة ١٣١٨ في الحائر الحسيني، ونقل إلى النجف فدفن ثَمّ. وقبره ظاهر يزار[4].

(٢) كالسيّد إسماعيل الصدر، والشيخ ميرزا حسين النوري، والشيخ محمّدتقيّ الشيرازي، والسيّد محمّد الأصفهاني، والشيخ حسن عليّ الطهراني، والسيّد إبراهيم الخراساني، والشيخ حسن الكربلائي، والميرزا حسين النائيني.

١. الزمر (٣٩): ١٨.

٢. السجدة (٣٢): ١٦.

٣. آل عمران (٣): ١٩١.

٤. راجع أعيان الشيعة ٨: ٣٩٢.

في ما عند الله، ضعيفاً في بدنه، قوياً في ذات الله.

كأنّ أمير المؤمنين عليه السلام إنّما عناه إذ وصف بعض إخوانه فقال: «يعظّم في عيني صغر الدنيا في عينيه»[١] إلى آخره.

فإذا أفاض في الحكمة تفجّرت ينابيعها على لسانه، فملك أعنّة القلوب، وردّ شوارد الأهواء، وقاد حرون الشهوات، وقوّم زيغ النفوس، فخفقت الأفئدة خيفةً، وخشعت الجوارح خشيةً، فكان لغدوّي إلى خدمته، واستماعي لحكمته أثر هو أرجى ما أرجوه(١).

---

(١) فاتني ذكر رفيقي في درس الفصول وهو السيّد الشريف مهديّ بن الشريف الإمام السيّد محمّد بحر العلوم الحسني الطباطبائي النجفي، وكان هاشمي النفس، فاطمي الحسب، علوي الأعراق، أحمدي الأخلاق، غزير المادّة، سديد المناهج، سمح القريحة، رائق المنطق، فائقاً في الدقّة والاعتدال وسرعة الانتقال، كنّا كلّما قرأنا فصلاً من كتاب الفصول نراجع قانونه من كتاب القوانين حتّى فرغنا من مباحث الألفاظ على هذه الكيفيّة، وسبرنا[٢] في الأثناء شرح التلخيص ـ المطوّل ـ للتفتازاني. فكنّا كما قيل:

متوازرين على العلى ... متقارب شكلي وشكلُهْ
لا يعتريني مشكل ... إلّا وكان لديه حلُّهْ

وقد توفّي في ريعان شبابه سنة ١٣١٤، فكان الأسف عليه عامّاً[٣].

وفاتني ذكر أخي المقدّس الشريف[٤] وأنّه أخذ عنّي دروس النحو والصرف في شرح ألفية ابن مالك فمحّص حقائقها، ووقف على أغراض الناظم وابنه بكلّ ضبط واتقان، وكان في عاملة قرأ عليّ شرح القطر لابن هشام، وشرح التصريف للتفتازاني بكلّ إمعان.

وفاتني أيضاً ذكر الشريف الفاضل السيّد موسى، بقيّة الشريف الطبيب السيّد رضا عليّ الحسيني الهندي المدراسي الكاظمي؛ فإنّه قرأ عليّ الباب الأوّل من مغني اللبيب بكلّ جدٍّ ونشاط.

---

١. نهج البلاغة: ٧١٦، الحكمة ٢٨٩.

٢. سبرنا: تأمّلنا واحداً بعد واحد. راجع مجمع البحرين ٣: ٣٢٢، «س. ب. ر».

٣. راجع أعيان الشيعة ١٠: ١٦٦، ولكن ذكر فيه وفاته سنة ١٣١٣.

٤. راجع ترجمته في ص ٤٤٨ ومابعدها؛ أعيان الشيعة ٧: ٣٤٣؛ نقباء البشر ٢: ٨٣٧، الرقم ١٣٤٨.

خروجنا من سامرّاء

بينا نحن مقبلون على التحصيل أشدّ إقبال نمضي إليه أنشط ما نكون، ونعود منه أنشط ممّا كنّا، نبذل الجهد فيه عنايةً واهتماماً، ونستفرغ الوسع في أن نلتهمه التهاماً.

بينا نحن في هذا المضاء والعزيمة إذا بوادر الفتنة ـ السامريّة ـ تهبّ عـنيفةً، وإذا سحبها تنتشر سوداء منذرة بالعاصفة، وإذا شذّاذ العشائر في سامرّاء يتألّبون على إمام الأُمّة في دنيا الحنيفيّة السمحاء، وشيخ الإسلام الشريف الحسيني الشيرازي[1] ـ رفع اللّه درجته ـ وإذا بهم يتسوّرون على حرمه المنيع أوباشاً طغاماً في غير وسيلةٍ من وسائل عليائه، ولا سببٍ من أسباب العروج إلى سمائه، وإنّما هي نزوة السفه، وأماني الغرور دفعتهم إلى اعتراض سبيله، فكانوا كما تكون الرذيلة في مقابل الفضيلة، أو كما تكون الحصى في مجاري السيول المنحدرة، وكانت فتنة فقماء أوجبت خروجنا من سامرّاء.

وقد أقامت تلك الفتنة وأقعدت العراق وإيران والعالم الإسلامي، ثمّ تطوّرت فخلقت في السياسة جوّاً هشّ الآمال في ناحية، عابس الرجاء في أُخرى، وذلك أنّ صـدى الفتنة تجاوب في آفاق العراق وإيران، وجلجل في العالم الإسـلامي الإمـامي غـضباً جامحاً على وجهٍ أثار نَهَم الطامعين في العراق من دول الاستعمار، وأخاف المستولين عليه يومئذ.

فلم يكن من الغريب أن تبعث تلك الفتنة في بريطانيا أملاً يُرجى، وليس غريباً أن تكون في سياسة العثمانيّين صدمة تخشى؛ فإنّ لذلك الإمـام الشـريف مـوضعاً مـن الزعامة مرجوّ الرضى، مخشيّ الغضب.

ومن هنا أسرع سفير بريطانيا إلى سامرّاء يطرق أبواب الشريف الإمام بكلّ خشوع، حاملاً إليه من دولته رسالة التطوّع لأوامره على أيّ وجه يشاء.

---

١. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ٥: ٣٠٤؛ نقباء البشر ١: ٤٣٦، الرقم ٨٦٥.

لكن غور الإمام الشيرازي البعيد، وفكره الثاقب، ورأيه السديد، كلّ ذلك وقف بـه على كُنهِ الرسالة وسرّها، وانتهى به إلى ما يجب من الحيطة على الإسلام، والإخلاص للأمّة، والذود عن حياضها، والاحتفاظ بثغورها، فردّ ـ أعلى اللّه مقامه ـ سفير بريطانيا ردّ الأبيّ الحميّ، وأنكر أن يكون قد وقع شيء من أهل سامرّاء يُنافي الكرامة، وإنّما هو جموح الولد المدلّ على والده العطوف، فسرعان ما يروض، وعجلان ما يتمكّن، هو كأب قويّ يروض أبناءه على ما يريد، ويأخذهم بما يجب.

وكان الأمر الذي أطمع بريطانيا هو الذي أقلق السلطان عبدالحميد فأصدر أوامره لعامله ببغداد أن ينزل على أمر السيّد الإمام، وأن يوكّل أمر تأمين سـامرّاء، وتأديب أُولئك المعتدين الأشقياء إلى السفير الإيراني ـ صدر السلطنة ـ وأن يوسّع له الصلاحيّة بكلّ عقوبة ينزلها بهم، أو قصاص يأخذهم به، وكان هذا هو الحلّ في إرجاع الأمـن والراحة في الحياة القلقة في الأوساط الشيعيّة كلّها.

فكانت أحكام وكانت عقوبات تناسب إجرام أُولئك المجرمين من ضرب وتنكيل، وحبس وإجلاء. لكن حكمة الإمام الشيرازي وعلمه بـما يـجب لـلحياة أوضـحا له الطريق في إصلاح الوضع، ومعالجة الداء.

وكان ـ أعلى اللّه مقامه ـ أمضى في سياسة تلك الظروف، وأقضى بها من سـفير إيران ووالي بغداد ـ حسن باشا ـ.

وليس أدلَّ على هذا من عدوله عن إمضاء السلطة بالعقاب، وارتفاعه عـن إقـرار إقصائهم، فأطلق المعتقلين، وأرجع المنفيّين إلّا نفراً لا يبلغون العشرة، كانوا جراثيم تلك الفتنة، وحاملي أتباعهم عليها؛ لذلك أرجأ العفو عنهم حتّى فاؤوا إلى الرشد، وأحـرز منهم صدق التوبة.

وفي أثناء هذه الفتنة عند استفحالها خرجنا من سامرّاء بقصد النـجف الأشـرف، ولم يكن بدٌّ من المرور بالكاظميّة تشرّفاً بأعتاب الإمامين الكاظمين الجواديـن عليهما السلام،

وتزوّداً من عطف سيّدنا الجدّ السيّد هادي[١] وبركاته وتفيّؤاً بظلال حنانه، وبلّاً للجوانح من برحاء الشوق إلى خدمة جدّتنا وخالاتنا وكرائم أهلينا في حمى ذلك الجدّ الرحيم.

وكم كنّا نحظى بخدمته في حلقة من أولاده وأحفاده وأسباطه، نستقي من بحر قراته ما نشاء من علم ودين وأدب وأخلاق وطهارة، فيروينا من كلّ ذلك بكأسه الأوفى، ويفيض علينا ما يشاء من حكمة المربّي وتربية الحكيم.

في النجف الأشرف

وخفّينا إلى النجف الأشرف متوكّلين على الله عزّ وجلّ، فأنخنا حاجاتنا بفناء الوصيّ، وباب مدينة علم النبيّ؛ إذ لا مذهب للآمال عن ذلك الباب، ولا مَرادَ(١) للنجح عن تلك الرحاب.

ووجدت أُستاذي الشيخ باقر حيدر قد سبقني إليها، فانتجعته بدرس الفقه، ووردتُ شرعة السيّد محمّد صادق الأصفهاني[٢] في درس الأُصول، فطفق الباقر يسير بي في مكاسب الشيخ الأنصاري ـ أعلى الله مقامه ـ سيرته الأُولى معي في شرح اللمعة، غوصاً على الحقائق، وكشفاً عن الغوامض، شأن أُولي الرويّة الثاقبة، والغور البعيد من محقّقي العلماء، وكان يستفزّني إلى إعمال النظر في معضلات المسائل حيث تختلف أنظار العلماء، ويدفعني إلى مناقشته ومعارضة حجّته، يتقلّب معي بين أحناء الحقّ، طويل النفس في ذلك، وكان يسعفني بما ينصفني، هذا كلّه مع اندفاعه بالسير الحثيث

(١) مَراد: اسم مكان من راد الأرض يرودها إذا طاف ليختار مكاناً بها للنزول.

١. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ١٠: ٢٣٤؛ معارف الرجال ٢: ٢٢٤، الرقم ٥١٤.

٢. كان من مراجع الدنيا والدين في أصفهان، وله في الفقه والأُصول قدم راسخة وباع طويل؛ رأس في أصفهان، وطار صيته، وولي التدريس، فتخرّج عليه جمع من خيرة أهل العلم، إلى أن توفّي سنة ١٣٤٨. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٢ ص ٨٥١ ـ ٨٥٢، الرقم ١٣٦٨. وفيه سنة ١٣٦٨ بدل ١٣٤٨. «ع»

بي في ذلك الكتاب المستطاب، حتّى أتينا عليه إلّا يسيراً من أبوابه.

ووقفت فيها على الفقيه العلّامة الشيخ علي باقر[١]، وكنت قبلُ قرأت عليه العبادات من كتاب الرياض، فأمكنني من بغيتي إيغالاً في التنقيب، وإمعاناً في التدقيق، جزاه اللّه عنّي خير جزاء المحسنين.

وما أسبغ نعم اللّه عليّ؛ إذ هداني ـ في أخذ فرائد الأصول ـ إلى السيّد محمّد صادق؛ إذ كان من المعروفين في سبر غورها، وكشف سرّها، وكان ممّن جمع أشتات العلوم والفنون أُصولها وفروعها، وقام في تدريسها على ساق، معتدل الطريقة، حسن الأُسلوب إلى الغاية، تدور على لسانه مطالب المحقّقين من أعلام المتقدّمين والمتأخّرين، ولاسيّما الشيخ مرتضى الأنصاري، ومن جاء بعده من أُولي الأنظار الثاقبة، وله بين دلائهم دلوٌ قد ملأه إلى عقد الكرب.

أغرق بي في البحث عن كنوز الفرائد، يصوّب نظره ويصعّده في أثنائها وأحنائها، فيقلّبها لي ظهراً لبطن، مُهيباً بي إلى سبر غورها، واختبار كنهها، وكان يربع حجري[٢] في غوامضها، ويبلو ما عندي في أسرارها، فيعود قرير العين، مغتبطاً محبوراً بعواقب جهوده في تخريجي، وآثار ما أرهفه من عزائمه في تدريسي والحمد للّه.

---

(١) هو الشيخ عليّ بن الشيخ باقر ابن صاحب الجواهر، توفّي ـ أعلى اللّه مقامه ـ في النجف الأشرف سنة ١٣٤٠[١] وكان من أعلامها[٢].

(٢) يقال ربع الحجر إذا رفعه بيده ليختبر قوّته[٣].

---

١. في «خ»: «١٣٤١».

٢. راجع معارف الرجال ٢: ١٢٩ ـ ١٣٠، الرقم ٢٦٥؛ نقباء البشر ٤: ١٣٤٩، الرقم ١٨٨١.

٣. راجع المعجم الوسيط: ٣٢٤، «ر. ب. ع».

وما إن انتهينا إلى منتهى الكتاب حتّى أنضويت معه إلى منبر أُستاذه آية الله الشيخ محمّدكاظم الخراساني(١)، وكان ـ أعلى الله مقامه ـ شارعاً في تأليف «الكفاية»، فكان كلّما دوّن درساً منها ألقاه على منبره الشريف، وحوزته يومئذٍ تربو على الثلاثمائة من أهل الفضل والتحقيق، وكان السيّد محمّد صادق من المبرّزين فيها(٢).

أمّا الإمام الخراساني فإنّي لم أجد أدقّ منه نظراً، ولا أعدل فهماً، ولا أحضر ذهناً، ولا ألحَنَ منه بحجّة، يثبت رأيه بالبيّنات القاطعة، والحجج الملزمة، مستظهراً بدليل العقل والنقل (وقد سار بأبطال العلم في عصره سيراً سجحاً(٣)، لا يكْلِمُ خِشاشُه(٤)، ولا يتتعتع راكبه(٥)، فأوردهم مناهل من العلوم العقليّة والنقليّة

(١) المتوفّى في النجف الأشرف صبح الثلاثاء في ٢١ ذي الحجّة سنة ١٣٢٩. وأمره في العلوم العقليّة والنقليّة والأعمال الصالحة غنيّ عن البيان[1].

(٢) كان نظير حجّة الإسلام السيّد أبوالحسن الأصفهاني ـ أعلى الله مقامه ـ وربما كان مقدّماً عليه. تركته في النجف الأشرف يدرّس في مدرسة القوام، وله حوزة تقدّمه وتؤهّله للزعامة العظمى، ثمّ بلغني ذهابه إلى أصفهان وانقطعت عنّا أخباره.

(٣) هذه الكلمات الموضوعة بين هلالين مأخوذة من خطبة لسيّدة النساء، وصفت بها سيّد الأوصياء ـ صلوات الله عليهما[2] ـ رأيتها تنطبق على أُستاذنا الإمام الخراساني فأوردتها مع تغيير ما عمّا قالته عليها السلام، وما أحقّ هذا المحقّق بهذه الصفات؛ فإنّ كلّ عالم من الإماميّة في هذا العصر إنّما عنه أخذ، ومن حوزته تخرّج.

(٤) الخشاش: عود في أنف البعير يشدّ به الزمام[3]. والمعنى أنّ هذا العود لا يجرح أنف البعير.

(٥) أي لا يصيبه أذى.

١. راجع: أعيان الشيعة ٩: ٥ ـ ٦؛ معارف الرجال ٢: ٣٢٢، الرقم ٣٧٣.

٢. معاني الأخبار: ٣٥٥، باب معاني قول فاطمة عليها السلام لنساء المهاجرين والأنصار في علّتها، ح١، وعنه في بحار الأنوار ٤٣: ١٥٨، ح٨.

٣. راجع المعجم الوسيط: ٢٣٥، «خ. ش. ش».

رويّة فضفاضة(١)، تطفح ضففها، ولا تترنّق جوانبها، فيصدرهم بطاناً(٢)، وينصح لهم سرّاً وإعلاناً) وقد انتشروا في الأرض انتشار الكواكب في السماء.

عـــلماءٌ أئــمّةٌ حكــماءُ يهتدي النجم باتّباع هداها

ما فاتني من محاضراته أُصولاً وفقهاً منذ انضويت إليه حتّى أتيت عاملة، وكنت فيما استشكل به من مطالبه أرجع إلى أُستاذي السيّد محمّد صادق(٣) فيوقفني على أغراضه، وربما راجعت الإمام الخراساني نفسه فيلمسني مفصل الصواب، وفصل الخطاب.

وعكفت في الفقه أيضاً على عَلَمَيه اللذين ينحدر عنهما السيل، ولا يرقى إليهما الطير: الشيخ محمّد طَه نجف(٤)، والشيخ آغا رضا الهمداني(٥)، وكان الإمام الرضا هذا يؤلّف سفره الجليل مصباح الفقيه، وهو أعدل المؤلّفات في موضوعه، وأفضلها دقّةً وحسن أُسلوب، فكان ما يكتبه في الليل يلقيه علينا صبحاً، وكانت حوزته كلّها من

---

(١) أي يفيض منها الماء[١].

(٢) أي ممتلئين ما بهم إلى الأكل من حاجة[٢]. وهذه كناية عن امتلائهم علماً وحكمةً.

(٣) وكنت أرجع إلى السيّد أيضاً في ما استشكل فيه من دروسي التي أُلقيها على تلامذتي فقهاً وأُصولاً، وكنت موفّقاً في ذلك والحمد للّه.

(٤) المتوفّى في النجف الأشرف في ١٣ شوّال سنة ١٣٢٣، وكان مرجع العرب في العراق وسائر الآفاق، على غاية من الزهد والورع والفضيلة، بكلّ معانيها، من فقهاء الأُمّة، وممثّلي هدي الأئمّة عليهم السلام[٣].

(٥) المتوفّى في سامرّاء سنة ١٣٢٢[٤].

---

١. راجع المعجم الوسيط: ٦٩٣، «ف. ض. ض».

٢. راجع المعجم الوسيط: ٦٢، «ب. ط. ن».

٣. راجع: أعيان الشيعة ٩: ٣٧٥؛ معارف الرجال ٢: ٣٠٠، الرقم ٣٥٩.

٤. راجع: أعيان الشيعة ٧: ١٩ ـ ٢٠؛ معارف الرجال ١: ٣٢٣، الرقم ١٥٨.

خاصّة الفحول في علمي الفقه والأُصول كأُستاذي الشيخ باقر حيدر، والشيخ علي باقر وطبقتهما، فكان يحتدم الجدال فيها بحثاً عن الحقائق؛ لذلك كان درسه من أنفع الدروس للمتوسّطين وللمنتهين من الفقهاء والأُصوليّين.

وكنت في جيرته وجيرة مسجده الذي كان يقيم فيه الفرائض الخمس في جماعة المقدّسين من العلماء العاملين، والأبرار من عامّة المؤمنين المقدّسين، فكان لي الفوز والتوفيق بالائتمام به في أكثر الفرائض، وكان يعطف عليّ لسابقة بينه وبين المقدّس والدي؛ إذ كان الوالد من تلامذته، ومتخرّجي حوزته، فكنت بهذه الدالّة أجرأ عليه في معضلات المسائل، ومشكلات الدلائل، فيعيرني أُذناً واعيةً، وصدراً رحباً، ولطفاً في الجواب، وطول نفس معي في البحث.

وكنت مع ذلك كثير البحث مع أُستاذي الشيخ عليّ باقر عمّا لا أصل إليه من غوامض مطالبه، وكان الشيخ عليّ بحّاثة قليل النظير في فضلاء العرب دقّةً واعتدال سليقة.

أمّا شيخنا الشيخ محمّد طه فقد كان ممّن تشدّ إليه الرحال، وتضرب إليه أكباد الإبل، وممّن عندهم مفصل الصواب، وفصل الخطاب، وكان في فقه أهل البيت موسوعةً جامعةً، وعيلماً محيطاً، تدور الأحكام الشرعيّة الفرعيّة بأدلّتها التفصيليّة على لسانه، فالفقه بجميع أبوابه في يده؛ ولعلّه يمتاز بهذه الخصيصة عن غيره، أوَيْنا منه إلى إمام مبين، وابتغينا حاجتنا إذ عكفنا عليه من مبتغاها والحمد للّه على التوفيق.

ووقفت في الفقه أيضاً على شيخنا الشيخ فتح اللّه(١) ـ ابن الشيخ محمّد جواد ـ

---

(١) المتوفّى في النجف الأشرف سنة ١٣٣٩، عن ثلاث وسبعين من عمره الشريف[١].

---

١. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ٨: ٣٩١ ـ ٣٩٢؛ معارف الرجال ٢: ١٥٤، الرقم ٢٨١.

ويكنى «شريعةمدار» ويدعى «شيخ الشريعة الأصفهاني» وكان ـ أعلى الله مقامه ـ من أعلام الفقه والأُصول، فسيح الخطوة في المعقول والمنقول، غزير المادّة في ما يؤثر عن أهل بيت العصمة، واسع الرواية في ذلك، طويل الباع في أخبار الماضين، وحوادث السنين، عذب المنطق، أنيق اللهجة، حسن الترسّل متصرّفاً في ضروب الكلام، بكلّ من فمه وقلمه، لطيف الكنايات، بديع[1] الاستعارات، حلو المجاز، حسن الخطّ، سريع الخاطر، حاضر الذهن، بديهي الجواب، على جانب من الورع والعبادة، ركناً من أشدّ أركان المؤمنين، ومنهلاً من أصفى مناهل العلم والدين.

كانت له حوزة تربو على المائتين من كلّ مرهف للعلم طبعه، باذل فيه وسعه، وكنت واحداً منهم أُعيره أُذناً واعيةً على نشاط من عزمي، وارتياح من طبعي، وكانت لي به حظوة خاصّة يؤثرني بها غالباً، وقد عادت عليّ بنفع جزيل، ورجع كثير، ولي معه خلوات في بعض الأوقات، كانت من أجزل أوقاتي فائدةً، وأتمّها منفعةً، وقد اختصّني ببعض المسائل المشكلة، فكلّفني باستنباط حكمها، وتمحيص الحقّ فيها، فامتثلت أمره، وحين وقف على ما كتبته في استجلاء غوامضها، واستقراء دقائقها، تقبّله منّي بقبول حسن، وكان معجباً بها إلى الغاية(١)، وذلك من عطفه ولطفه ﷺ.

ووقفت في الفقه أواخر أيّامي ثَمّة على شيخنا المقدّس الشيخ عبدالله المازندراني(٢)

---

(١) فوقف عليها ابن العمّ السيّد علي، فدوّنها مع بعض ما وقف عليه من الأسئلة والأجوبة التي دوّنها في مجموعة خاصّة.

(٢) المتوفّى في النجف الأشرف سنة ١٣٣٠[2].

---

١. في «خ»: «بعيد».

٢. راجع: أعيان الشيعة ٨: ٦٩؛ معارف الرجال ٢: ١٨، الرقم ٢٠٥.

أيضاً، وكان أحد الأعلام من شيوخ الإسلام في تلك الأيّام، بحراً لا يسبر غوره، ولا ينال دركه، وكانت حوزته تربو على المائتين من أهل الفضل، فيهم الجادُّ في طلب العلم، النافذ الهمّة في أن يلتهمه التهاماً، الموقظ جنانه في البحث عن غوامضه ودقائقه، لا يسأم ولا يفتر، وما إن نظّمني التوفيق في سلكهم حتّى أفاضوا عليّ سجال عُرفهم، فغمرني فضلهم بما كان من تشجيعهم إيّاي بإصغائهم إليّ إذا تكلّمت، وآدابهم معي في المناظرة، وإنصافهم إيّاي فيها معجبين مكبرين إلى الغاية، وهذا من فضلهم وفضل أُستاذهم ومربّيهم الإمام المازندراني، الذي لا أفتأ أذكره فأشكره، وكان ـ أعلى اللّه مقامه ـ قد علم أنّي مشغول في شرح التبصرة فأحبّ أن أرفع إليه ما أخرجته من ذلك، وعيّن لي وقتاً من كلّ يوم لأقوم فيه بخدمته مع نفر من أفاضل حوزته، فكنت حين أغدو إليه أقرأ شيئاً من الشرح بين يديه، فيسألني عن دقائقه، ويبحث معي في تمحيص حقائقه، يُنعم نظره في ما أقول، فيقلّبه بطناً لظهر، يعجم بذلك عودي، ويسبر به غوري، فكان إذا تكلّمت لاحت عليه أريحيّة السرور، وربما غلبت عليه نشوة الطرب، قائلاً: ما كَذَبتني واللّه فيك الظنون. وربما استفزّته الأريحيّة إلى التصريح والنصّ الجليّ، وهكذا كان حتّى انقلبتُ عنه ـ كما انثنيت عن غيره من أساتذتي ـ أجمل منقلب والحمد للّه.

ووقفت فيما يرجع إلى السنن وأسانيدها من العلوم[1] على شيخنا المقدّس الشيخ حسين النوري[١] صاحب مستدرك الوسائل، وكان ـ أعلى اللّه مقامه ـ وجهة الأعلام من حملة السنن النبويّة، وحفظة الآثار المقدّسة، قبلة روّادها، وقدوة الباحثين عن مفادها،

(١) كعلم الدراية وغيره.

١. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ٦: ١٤٣؛ معارف الرجال ١: ٢٧١، الرقم ١٣٤؛ نقباء البشر ٢: ٥٤٣ ـ ٥٤٤، الرقم ٩٧٤.

غير مدافع ولا معارض، وكان في الإيمان بالله عزّ وجلّ والثقة به، والتوكّل عليه، والتسليم إليه، والرضي بقضائه وقدره، والنصح له ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين ولعامّتهم، والورع عن محارمه، والاجتهاد في عبادته تعالى، في غاية لا ترام، وشأوٍ لا يدرك، وكان بحيث لا تدرك آثاره في مكارم الأخلاق، ومحامد الصفات، وعزّة النفس وتأنّقها، والترفّع بها، مع التواضع للمؤمنين، والعطف على اليتامى والأيامى والفقراء والمساكين، لا يجارى في شرفه، ولا يبارى في علوّ قدره، وكان من علمي الفقه والأُصول في ذروة سامية، ذا ملكة قدسيّة راسخة، تبوأ فيها منازل الفقهاء المسلمين.

عرفت منه الإخلاص لوجه الله عزّ وجلّ في كلّ ما يصدر عنه من قول أو فعل. فأخذ بمجامع قلبي، وملك حُبُّه عناني، فكنت أتّبع أثره اتّباع الفصيل أثر أُمّه، وكان يبسط لي أعطافه، ويوسّع لي أكنافه، لم يألُ في تربيتي جهداً، ولم يدّخر عنّي وسعاً، وأجازني إجازةً مفصلةً(١)، فكنت مغتبطاً بحسن ظنّه، محبوّاً بثنائه، محبوراً بدعائه، حتّى قضى نحبه مبروراً مشكوراً(٢)، أعلى الله مقامه وأجزل إكرامه.

لم أزل في النجف الأشرف ضارباً ـ بتوفيق الله تعالى ـ أطنابي على الاشتغال ملقياً جراني[١] على أخذ العلوم من أفواه الرجال، طاوياً فؤادي ـ على الإفادة والاستفادة ـ

(١) تأريخها سنة ١٣١٩ مستهلّ شهر رمضان.

(٢) في النجف الأشرف ليلة الأربعاء السابع عشر من جمادى الأُولى سنة ١٣٢٠ عن ستٍّ وستّين من عمره الشريف.

١. جِرَانَ: تعوّد أمراً ومَرَن عليه. راجع المعجم الوسيط: ١١٩، «ج. ر. ن».

على صريمة حذّاء، قائماً فيهما على ساق، محاضراً ومناظراً، ومدرّساً ومؤلّفاً، لا ألوي على شيء، حتّى قفلت راجعاً بنجح حاجتي إلى عاملة، منقلباً إليها أجمل منقلب، والحمد للّه الذي وصل يديّ بملتمسي، وملأهما ممّا أقلّت، وله النعمة والآلاء عدد كلماته التي لا تنفد.

ما عُنيت مدّة إقامتي في العراق ـ وكانت اثنتي عشرة سنةً تقريباً ـ بغير ما هاجرت إليه، حتّى أنّي لم أتّصل بغير أهل العلم، ولم أتعرّف بأحدٍ سواهم من سائر أهل العراق، بل لم أر من حواضرها وبواديها غير المشاهد الأربعة والكوفة وبغداد، وما كان في طريقي إلى هذه البلاد؛ إذ كنت رائد حاجة ماضي العزيمة فيها، وحيث إنّها تستفرغ وسعي، وتستغرق أوقاتي لم يكن لي عنها مذهب، سنّة الشيوخ الأعلام من أقطاب أرحية العلم والعمل في تلك الأيّام رضي اللّه تعالى عنهم ورضوا عنه.

ووقفت على الأئمّة الأعلام: جدّي الشريف أبي الحسن الهادي[1]، وخالي الشريف أبي محمّد الحسن، وسيّدنا المولى السيّد إسماعيل الصدر، وهم حامّتي وسادتي حضرت دروسهم الفقهيّة والأُصوليّة في الكاظميّة والحائر، وكان لي بهم حظوة خاصّة، ولي عليهم دالّةٌ عزيزة، ولهم عليّ عطف شديد، فإذا أنا محاط بجميل رعايتهم، وجليل عنايتهم أينما كنت وأينما كانوا، وكنت أُراجعهم في المعضلات أستجلي بهم غوامضها، وأُمحّص حقائقها، ولهم في تربيتي والهيمنة عليّ ـ فيما آتاهم اللّه من علم وحلم وحكمة ـ أساليب حملوني بها على طريقتهم المثلى، فَطُبعت على غرارهم وضربت على قالبهم، واستفدت من جلواتهم وخلواتهم، ومن مظانّ الفراغ من أوقاتهم أضعاف ما استفدته من سائر دروسي،، فجزاهم اللّه عنّي خير جزاء المحسنين.

---

١. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ١٠: ٢٣٤؛ معارف الرجال ٢: ٢٢٤، الرقم ٥١٤.

كلمة في الحياة العلميّة مستطردةً(١)

لقد كان ـ في ذلك العهد وما قبله ـ للعلوم الإسلاميّة وما إليها من المعارف والفنون سلطان مشيّد الأركان، رفيع البنيان، وكانت له دولة بعيدة الأثر في الحياة العامّة يرجو بها الناس خير الدنيا والآخرة، ويتوسّلون بأسبابها إلى كلّ فوزٍ وفلاح، فيلوذون إلى ذراها، ويعتصمون بعراها، ويتولّون أولياءها، منصرفين إليهم عمّن سواهم، غير آبهين في المهمّات كلّها بمن عداها، مسوقين إلى طاعتهم بدافع من العقيدة، وحافز من الثقة والاطمئنان، فإذا خضعت الأمم للدول السياسيّة، ونجعت لأحكامها خشية البطش وحذر القوّة، فإنّ الأمّة الإسلاميّة كانت يومئذٍ خاشعةً لدولة العلم والدين، نزولاً على حكم الإيمان؛ إذ أنّ دولة العلم بالأحكام الإلهيّة ليست غير دولة الله ـ تعالى سلطانه ـ تصدع بأحكامه، وتشرح قواعده التي عليها المدار في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

فمن هنا كانت الدولة العلميّة يومئذ بمثابة تعنو لها الجباه، وتملأ الصدور هيبةً وإجلالاً، وارفة الظلال، مبسوطة الأفناء.

ومن هنا كانت عواصمها مثابةً للناس وأمناً، ينفر إليها من كلّ فرقة طائفة ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُم إذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[١]، ﴿يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلَى كُلِّ ضامرٍ يَأتينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَميقٍ لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُم﴾[٢].

---

(١) لمّا انتهى بنا الكلام إلى الحياة العلميّة رأينا من المناسب أن نلمّ بها على سبيل الاختصار كما هو الشأن في كلّ ما يذكر مستطرداً.

---

١. التوبة (٩): ١٢٢.
٢. الحجّ (٢٢): ٢٧ ـ ٢٨.

ومن هنا كانت العلوم الدينيّة وما إليها من المقدّمات والمبادئ غايةً من أسمى الغايات، يعتزّ بها الطالب في ذاته، ويعتزّ به أهله وسائر من إليه، وفي ذلك من التشجيع ما يشتدّ به الإقبال، وتشدّ به الرحال.

وبهذا احتشدت الجامعات العلميّة، وغصّت معاهدها بأُمم من الطلّاب، تختلف أشكالهم ولغاتهم وألوانهم، لكن مبادؤهم وأغراضهم متّحدة في التوفّر على تلك الثقافة العالية التي رفعت دنيانا، وأخلصت نوايانا، فوجدنا على نورها سبل الحياة واضحةً، مأمونة العثار دهراً ليس بالقصير.

وأيُّ إرهاف في العلم وحضّ عليه أعظم من هذه العناية، تستأثر بمظاهر الثقة، وتستقلّ بنواحي الرضى، وتملك هوى الأُمّة الإسلاميّة كلّها، فيتشوّف الناس دائماً إلى الحوزة العلميّة، ويشغلهم دائماً حديث زعمائها وطلّابها، وتسكرهم دائماً سلافة فضلها وآدابها، فيتواصون بهم متنافسين في ولائهم والانقياد إليهم، متحاضّين على ذلك.

فكان لهذا أثره في تدافع الطلّاب إلى خوض عباب العلم، والغوص على أسراره، وكانت له لوازمه من استخراج مخبّآت العلوم، وتمحيص حقائقها.

وإنّ من الحقّ أن نسجّل الواقع في هذه المظاهر، ونذيع السرّ في هذه الظواهر، فإنّا إذا رأينا إقبالاً من طلبة العلم على استساغته والتهامه، ورأينا إقبالاً من الناس عليهم بكلّ ما يمدّهم في علومهم، ورأينا ظاهراً من التساند بين هاتين الظاهرتين، فإنّا نرى إلى ذلك سرّاً أكبر من هذا السرّ، قد ابتنى عليه البحث العلمي، وتمّ به الأمر لهم، ألا وهو الإخلاص الذي كان يحدُو طرفي الإقبال المشترك بين أهل العلم وبيئآتهم المؤمنة، فقد كانوا متوازرين في سبيل هذه العاقبة المباركة التي أخصب فيها العلم، وأثرى وأصدر من خصبه وثرائه للديار الإسلاميّة من العلماء الأعلام، ومن الآثار الخالدة والجهود المباركة، ومن الأفكار والابتكار ما لا يدرك شأوه، ولا تلحق آثاره.

ولعلّ هذا الانتاج الفوّار الغزير يصلح شاهداً على الاخلاص في ما يطلبه ذوو العلم،

وفي ما يرهفه فيه الوسط المؤمن، فإنّ هذه البركة في الانتاج وحسن العاقبة لا تصدر إلّا عن الإخلاص وحسن النيّة.

وممّا يدلّ على هذا أنّ وفرةً في العلماء الأعلام ـ كهذه الوفرة في طبقة واحدة وفي مرفق واحد من مرافق الحياة ـ تدعو إلى التزاحم على الزعامة والتدافع والخصام؛ إذ ليس من المعقول أن تظفر هذه الكثرة بمركز الزعامة في آن واحد، بل لابدّ من انتخاب فرد من ذلك الجمع الغفير ليقوم بأعبائها، فلولا الإخلاص لكانت ثمّة معارك يُستشرى فيها النزاع، ويستكلب[1] في معمعانها[2] الصراع، كما هو الشأن في ما نشاهده في ميادين الحياة.

ولكنّ الوسط الروحي المهيمن على الأبصار والبصائر وعلى الألسنة والأيدي، وعلى القلوب والألباب كان يرتفع بذويه عن هذه المهاوي الماديّة السحيقة، ويتعالى بهم عن هذه المآسي الشهويّة الموبوءة، وليس شيء أدلّ من هذا على كون الانتخاب طبيعياً يختار من كان أقوى على المصلحة، وأنهض بالعبء، وأدنى إلى الكفاية الجامعة لشروط الفضل والبرّ والتقوى وصدق النظر؛ لأنّ الغرض المهمّ أن تسير السفينة، وأن تحكم الدفّة يدُ صنّاع، ونظر صحيح قمين بمعرفة المصالح الاجتماعيّة على ضوء الحقائق الدينيّة.

فإذا اختار هذا الانتخاب العادل فرداً من ذلك المجموع الصالح كلّه للقيادة أذعن الجميع راضين محبورين، لا تجد في نفس واحد منهم حسداً ولا حرجاً، وإنّما تجد اغتباطاً وسروراً، والتفافاً حوله بالتأييد والتسديد، ومؤازرته بالرأي والنصح.

ولعلّك لا تجد في نفس المختار إقبالاً أو رضىً بما صار إليه، بل لعلّك تجد في

---

١. استكلب الرجل: نبح لتسمعه الكلاب فتنبح، فيستدلّ بها على مكان أهلها. راجع: لسان العرب ١: ٧٢٣؛ المعجم الوسيط: ٧٩٤، «ك. ل. ب».

٢. معمع فلان: لم يثبت على رأي كأنّه يقول لكلّ: أنا معك. المعجم الوسيط: ٨٧٨، «م.ع.م.ع».

نفسه انقباضاً أوّل الأمر إيثاراً للعزلة؛ ولأن يتقدّمه أخ من إخوانه يضطلع بالمسؤوليّة التي يخشاها ويخاف تبعاتها، ويشفق أن لا يكون قويّاً في أداء بلاغ مركزها المرجوّ لحياة أُمّة تلتمس جمال الحياة في أفواه علمائها وصدورهم وآثارهم.

هذا شاهد لا أصدَقَ منه، على أنّ القوم مؤمنون حقّاً يتغلغل الإخلاص في أعماق نفوسهم فيبلغ إلى قرارتها، فيتجافى بهم عن الشره والاستكلاب، ويتناءى عن الشكّ والارتياب، ويعرج بهم إلى سماوات الواقع والصدق والفضيلة، فيستشرفون من الزعامة مركز المصلحة لا مصلحةَ المركز، ويستقبلون قيادة الكرسي لا كرسي القيادة.

وهذا هو السرّ الذي ادّعيناه للنهضة العلميّة، وبنينا عليه تلك الوثبات إلى الخير والصلاح، ولا ننكر أنّ روحيّة الوسط ساعدت هذا السرّ مساعدةً كبرى، وأنّ مظاهر التشجيع والطاعة والانقياد أسهمت في كلّ ذلك بحظّ غير يسير، فكان من مجموع ذلك ما قلناه من إخصاب التربة، وسداد الوثبة، ونماء الغرس.

وإنّه ليؤسفني أمضّ الأسف أن يتراءى لي ـ وأنا أدوّن هذه الذكريات ـ شبح كريه مهول يقبض على تلك الأحلام الذهبيّة بكفّ مخيفة الأظفار، خبيثة المخالب، ثمّ يقف بها في مهبّ الرياح، ومختلف العواصف؛ ليلقي بها في أعصار فيه نار يلتهم زهو أشكالها، ويبتلع جهد أبطالها، ويشوّه رونق جمالها.

واحسرتاه!... وهل لنا يدان بإرجاع من نَسَلَ من الصفوف العلميّة فانسلّ منها متقهقراً؛ خوفاً ممّا في يد هذا الشبح، أو طمعاً بما في يده الأُخرى من بهارج وتزاويق لا تروي ظمأه، ولا تسدّ جوعه؟

ويضاعف الأسف في نفسي أنّي شاهدت تلك الدولة العتيدة في أبّان عظمتها، وريعان أيّامها تتعالى في بناء شامخ مشيّد يطاول السماء علوّاً وارتفاعاً، ثمّ إنّي أُشاهد هذا البناء الرفيع يتضاءل، لولا بقيّة من الماضي، وميضٌ يكشف ما استطاع من تكاثف الظلمات حوله، ويجاهد بعزمة من الماضي القريب، وإنّي خشيتُ اندراس أخبار هذه

الحياة الهنيئة رأيت أن ألمح إلى شعاع من قبساتها الوضّاءة.

وكان علينا تفصيل ذلك، لولا أنّه يخرجنا عن موضوع الكتاب ـ وعسى أن نوفّق لذلك في كتاب نفرده لتلك الحياة السعيدة، باجتماع القلوب، وترادف الأفئدة، واتّحاد العزائم ـ نفصّل فيه الثروة الطائلة في تلك الأيّام؛ بتفصيل القول في علمائها الأعلام، وحسن بلائهم، وعظيم عنائهم في تلك الحياة من جميع نواحيها، وانتشارهم في الأرض كأنّهم الكواكب في السماء، وقد طبّقوها نوراً وهدىً لقوم يؤمنون.

وإنّا لنذكر ذلك والأسى يحزُّ في نفوسنا حزّاً، والحسرة تمضُّ بنا فتقضُّ بنا المضجع، وتقلق الوسادة، وما يجدي البكاء طائلةً في أمرٍ فات.

ولكنّا نرجو من اللّه أن يعوّض على الأُمّة بمن بقي من أعلامها ما قد خسرته، ويعيد لها من تلك الحياة ذلك الانسجام الجزل المحبوك الذي أخرجنا الألمُ له عمّا نحن في سبيله، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

مشايخي والآخذون عنّي

ذكرت فيما سبق[1] مشايخي الذين وقفت على ساحل عيالمهم الزاخرة، فأخذت عنهم بطريق السماع والقراءة.

أمّا مشايخي الذين أروي عنهم بطريق الإجازة العامّة فكثيرون، وفيهم أعلام الإماميّة في ذلك العهد، وآخرون من شيوخ مشايخ أهل السنّة والجماعة، وبعض الأثبات من علماء الزيديّة، ذكرناهم على سبيل التفصيل في كتاب أفردناه لهم ـ أسميناه طبقات الرواة ـ فصّلنا فيه أسانيدهم بطرقها إلى جميع الكتب والمؤلّفات، من جميع الفنون والعلوم عقليّةً ونقليّةً. وأوردناهم في رسالة مطبوعة منتشرة أسميناها ثبت الأثبات في سلسلة الرواة.

الآخذون عنّي

هؤلاء نوعان: منهم من أخذ عنّي على سبيل القراءة، ومنهم من أخذ عنّي على سبيل الإجازة العامّة.

فأمّا من قرأ عليّ دروس العربيّة والمنطق وسطوح الفقه والأُصول فكثيرون. وأكثرهم ملازمةً لدروسي أخي المقدّس الشريف فإنّه أخذ عنّي النحو والصرف

١. تقدّم في ص ٤٩٨ ومابعدها.

والمعاني والبيان والمنطق وسطوح الفقه ومباحث المعالم والقوانين، مستغنياً بـدرسي ـ في كلّ ما ذكرناه ـ عمّا سواه، كما ستسمعه في أحواله إن شاء اللّه تعالى[١].

وأمّا من أخذ عنّي على سبيل الإجازة فثلّة من سدنة الدين وأثباته، وحملة العلم وثقاته، لا تحيط بهم ذاكرتي، وإنّما أتبرّك بذكر من تحضرني أسماؤهم الكريمة، وهم الأعلام الهداة: السيّد صدرالدين الصدر وولده السيّد رضا، والسيّد حيدر الصدر وولده السيّد إسماعيل، والسيّد الشريف أخي، والسيّد عليّ الصدر وولده السيّد مهديّ، والشيخ مرتضى آل ياسين، وصنوه الشيخ راضي، والشيخ عبدالكريم بقيّة الشيخ موسى شرارة[٢]، والشيخ محمّد تقيّ بقيّة الشيخ عبدالحسين صادق[٣]، والسيّد محمّد هادي الميلاني[٤]، وولده السيّد نورالدين[٥]، والشيخ الميرزا محمّد الطهراني نزيل سامرّاء[٦]، والسيّد أحمد الشبيري الزنجاني[٧]، وولده

---

١. هكذا في الأصل، ولعلّه سهو من قلمه الشريف؛ لأنّه تقدّم ترجمته في ص ٤٥١ ومابعدها، وأشار إلى تلمّذه عنده في ص ٤٥٤ فراجع.

٢. كان من العلماء الأعلام الأجلّاء، ذا نفس قدسيّة وأخلاق رضيّة، ولد في بنت جبيل سنة ١٢٩٧، وتوفّي فيها سنة ١٣٣٢ [راجع: أعيان الشيعة ٨: ٤٣؛ نقباء البشر ٣: ١١٨٢، الرقم ١٧٠٢]. «ع»

٣. كان من أعيان العلماء، وأعلامهم يمتاز بحسن الخلق وطيب المعاشرة، والالتزام بالسنن والآداب الشرعيّة، ولد سنة ١٣١٣، وله قلم جرى في عدّة مواضيع، وشعر كثير من الشعر الجيّد. توفّي في النبطيّة سنة ١٣٨٥. انتهى ملخّصاً عن ماضي النجف وحاضرها ج ٣ ص ٥٥٨ وغيره [راجع معجم المؤلّفين العراقيّين ٢: ٢٣٠]. «ع»

٤. هو أحد كبار علماء العصر الحاضر، يمتاز بالورع والتقوى والأخلاق الفاضلة، ولد سنة ١٣١٣، وقد سكن مشهد الرضا عليه السلام، وثنيت له الوسادة هناك، وأصبح من مراجع التقليد، وله حوزة حافلة بأهل العلم والفضل توفّي سنة ١٣٩٥ [راجع: معجم رجال الفكر والأدب في النجف: ٤٣٢، الرقم ١٨٥٠؛ معارف الرجال ٢: ٢٦٥ في التعليقة]. «ع»

٥. كان أوّلاً في كربلاء من علمائها المعروفين وأئمّة الجماعة فيها، ثمّ انتقل إلى الريّ مستأنفاً نشاطه الروحي فيها. «ع»

٦. علّامة فقيه محدّث ومتتبّع ماهر، ولد سنة ١٢٨١، وقد سكن سامرّاء، فكان أبرز علمائها ورئيس الحوزة فيها، وله عدّة مؤلّفات توفّي سنة ١٣٧١ [راجع هديّة الرازي: ١٥٢ ـ ١٥٤]. «ع»

٧. هو السيّد أحمد بن عنايةاللّه الحسيني الزنجاني من العلماء الأعلام المبرّزين في قم، ولد سنة ١٣٠٨، وقد عرف بالورع والقدسيّة والفضائل النفسيّة، وبهذا صار له أعظم منزلة ووثوق عند الخاصّة والعامّة، وجماعته من أعظم الجماعات هناك، توفّي سنة ١٣٩٣ [راجع: آثار الحجّة ٢: ٣٩ ـ ٤٠؛ نقباء البشر ١: ١١٦، الرقم ٢٥٩]. «ع»

السيّد موسى[١]، والشيخ محمّد عليّ الأوردبادي[٢]، والميرزا عليّ الزنجاني[٣]، والشيخ محمّدحسين المظفّر، والشيخ نورالدين الرشتي ـ شريعتمدار[٤] ـ والسيّد محمّد سعيد[٥] آل صاحب العبقات، والسيّد محسن النوّاب الهندي[٦]، والسيّد عليّ آل السيّد محمّدباقر الهندي، والسيّد محمد حسين الرضوي اللكنهوئي، والسيّد الشريف الميرأحمد الروضاتي حفيد صاحب روضات الجنّات، والشيخ سعادة حسين الهندي[٧]، والشيخ عبداللّه السبيتي[٨]، والسيّد نورالدين[٩] بقيّة المقدّس أخي، والسيد محمّدصادق بحرالعلوم، والشيخ محمّدرضا الطبسي[١٠]، والسيّد الشريف النسّابة آقانجفي شهاب الدين[١١] نزيل قمّ، والسيّد عليّ نقيّ النقوي اللكنهوئي، والشيخ عبّاس قلي الچرندابي الواعظ التبريزي،

---

١. من العلماء المبرّزين في قمّ، يمتاز بتحقيقه وتدقيقه، جهبذ نقّاد في الرواية والرجال والرواة، وذو ذكاء وقّاد، وحافظة قويّة، مضافاً إلى ورعه وصلاحه وأخلاقه الفاضلة، كانت ولادته سنة ١٣٤٦.«ع»

٢. تقدّمت ترجمته .«ع»

٣. كان من أعلام الكاظميّة الأوّل، ولد في حدود سنة ١٣٠٧، وكانت تنعقد خلفه جماعة كبرى في الصحن الكاظمي تدلّ على ورعه ووثوق الناس به، كما كان يدرّس عدّة من أهل الفضل، توفّي سنة ١٣٩٠.«ع»

٤. هو أحد أعيان علماء طهران، ذو صلاح وأخلاق طيّبة، ولد سنة ١٣١٨، وكان من كبار الملّاكين والمثرين، كما كان ذا احترام وكلمة مسموعة لدى الدولة، توفّي سنة ١٣٨٦.«ع»

٥. هو السيّد محمّد سعيد بن السيّد ناصر حسين بن السيّد حامد حسين الهندي صاحب العبقات، كان عالماً فاضلاً بارعاً متكلّماً محقّقاً واسع الاطّلاع، ولد في لكنهو سنة ١٣٣٣ وقد ألّف عدّة كتب متنوّعة، منها ما أضافه إلى كتاب جدّه عبقات الأنوار، توفّي سنة ١٣٨٧.«ع»

٦. هذا والثلاثة الذين من بعده لا أعرف عنهم سوى أنّهم في لكنهو من أفاضل علمائها وأجلّائهم.«ع»

٧. راجع ترجمته في معجم رجال الفكر والأدب في النجف: ٤٢٩، الرقم ٢٠٧٢ الطبع القديم.

٨. تقدّمت ترجمته .«ع»

٩. راجع ترجمته في معجم رجال الفكر والأدب في النجف: ٢٤٧ ـ ٢٤٨، الرقم ٩٨٣، الطبع القديم.

١٠. من العلماء الفضلاء الأجلّاء له عدّة مؤلّفات، ولد سنة ١٣٢٢ قضى أكثر عمره في النجف الأشرف، وانتقل قبل مدّة قليلة إلى إيران وتوفّي سنة ١٤٠٥ [راجع مستدركات أعيان الشيعة ٣: ٢٣٠].«ع»

١١. هو من أجلّاء علماء قمّ، وأعيان أئمّة الجماعة فيها، ولد سنة ١٣١٥، وقد اشتهر بالأنساب والتأريخ والرجال [نقباء البشر ٢: ٨٤٧، الرقم ١٣٦٢].«ع»

والسيّد محمّدعليّ القاضي الطباطبائي[١]، والشيخ محي‌الدين[٢] بقيّة المقدّس الشيخ عبدالله المامقاني[٣]، والسيّد محمّد عليّ الروضاتي[٤] حفيد صاحب روضات الجنّات، والشيخ حسين آل‌الواعظ الخراساني[٥]، والسيّد مصطفى الصفائي الخوانساري[٦]، والسيّد عبّاس الميلاني[٧]، والسيّد أبوالحسن الشهير بمولانا التبريزي، والشيخ جعفر الإشراقي التبريزي، والسيّد الشريف أحمد بن السيّد المقدّس السيّد الرضا النقوي الهندي.

ومن أهل السنّة: أبوالفيض أحمد بن محمّد الصدّيق الغماري الحسني الإدريسي، وأخواه أبوالمجد عبدالله، وأبو اليسر عبدالعزيز، في الجزء الشمالي من قطر مراكش والآن هم في الجامع الأزهر بمصر، والشيخ محمّد سعيد دحدوح الحلبي.

ومن العلويّين: الشيخ سليمان أحمد اللاذقي[٨]، والشيخ عبداللطيف إبراهيم مرهج الصافيتي.

---

١. هو أحد أعيان علماء تبريز، وكاتب مؤلّف وخطيب قدير، اشتهر بجهاده ومبارزته [راجع آثار الحجّة ٢: ٢٣٤].«ع»

٢. هو من أهل العلم والفضل، يمتاز بسيرته الحسنة وهديه الجيّد مع وقار ورزانة حلم، ولد في النجف سنة ١٣٤٠، وله تعاليق وشروح. انتهى ملخّصاً عن ماضي النجف وحاضرها ج٣ ص ٢٥٩، الرقم ٥.«ع»

٣. كان أحد العلماء الأجلّاء والفقهاء الأفاضل، ولد سنة ١٢٩٠، جمع إلى غزارة الفضل ورعاً وزهداً وتواضعاً جمّاً وحسن أخلاق، أصدر مجموعة من الكتب في مختلف الفنون تدلّ على براعته وجامعيّته. توفّي سنة ١٣٥١. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ٣: ١١٩٦، الرقم ١٧٢٣.«ع»

٤. هو أحد أجلّاء أهل العلم في أصفهان في غاية من حسن الأخلاق واللطف والتواضع، ولد سنة ١٣٤٧، وقد عرف بالإحاطة وسعة الاطّلاع في الرجال والأنساب، وله في ذلك عدّة مؤلّفات تدلّ على رسوخه فيها.«ع»

٥. هو من أفاضل أهل العلم مؤلّف باحث وكاتب جيّد القلم، له عدّة مؤلّفات، وهو من أساتذة جامعة المعقول والمنقول في طهران.«ع»

٦. أحد رجال العلم في قمّ وأئمّة الجماعة فيها، عرف بالحافظة وسعة الاطّلاع [راجع ترجمته في آثار الحجّة ٢: ٧٦، الرقم ٢٩١].«ع»

٧. هو أحد الأفاضل المعروفين في حوزة النجف الأشرف ولا أعرف عنه غير ذلك.«ع»

٨. وهو من العلماء الأجلّاء والأُدباء وأولي الأقلام الممتازة، ومن المؤمنين المستبصرين وذوي الأخلاق الفاضلة.

نصوص مشائخي في إجازاتهم

اقتصر الآن على ستّة من أعلام الأعلام، دوّنوا ـ رضي اللّه عنهم ورضوا عنه ـ نصوصهم بتلك الأقلام المباركة، وذلك المداد الجاري بفضله مجرى دماء الشهداء.

أوّلهم: شيخنا ـ المقدّس كبير الفقهاء وشيخ الطائفة في عصره ـ الشيخ محمّد طَه نجف[1]؛ إذ جاء في إجازته العامّة(١) ما يلي:

وبعد، فقد روي عن رسول اللّه ﷺ أنّه قال: «يَحمِل هذا العلمَ من كلِّ خلفٍ عدولُه، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[2]. وهو قويٌّ على ذلك بعلمه وفهمه وحكمته.. لوَلدنا البرّ الثقة العدل الورع الهمام المقدام الفقيه الأُصولي، المحقّق المدقّق البحّاثة القويّ في حجّته، الصدوق في لهجته، المعتدل في أُسلوبه وطريقته، المتفاني في النصح للّه ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين ولعامّتهم، الباذل نفسه في خدمة الشريعة المقدّسة، شريعة جدّه سيّد المرسلين، والمجاهد في سبيل إحياء أمر العترة الطاهرة آبائه الميامين، السيّد عبدالحسين شرف‌الدين الموسوي العاملي ـ أعزّ اللّه به الإسلام وأهله ـ فإنّه من أعلام الهدى، ومصابيح التقى.

(١) المؤرّخة مستهلّ المحرّم الحرام سنة ١٣٢٢.

١. راجع: ترجمته في أعيان الشيعة ٩: ٣٧٥؛ نقباء البشر ٣: ٩٦١، الرقم ١٤٥٣.

٢. اختيار معرفة الرجال: ٤، ح٥؛ وسائل الشيعة ٢٧: ١٥٠ ـ ١٥١، الباب ١١ من أبواب صفات القاضي، ح٤٣. ولفظ الحديث في المصدرين هكذا: «يحمل هذا الدين في كلّ قرن عدول، ينفون عنه تأويل المبطلين، وتحريف الغالين، وانتحال الجاهلين».

بلوته فوجدته ذا ملكة قدسيّة في استنباط الأحكام الشرعيّة الفرعيّة عن أدلّتها التفصيليّة، فإذا هو مصداق الرجل الذي عناه الإمام أبوعبدالله الصادق عليه السلام بقوله: «انظروا إلى رجلٍ منكم قد روى حديثنا، وعرف أحكامنا، فاجعلوه قاضياً، فإنّي قد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه»[1].

وفي حديث آخر عنه عليه السلام: «فارضوا به حاكماً، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يُقبل منه فإنّما بحكم الله استُخِفّ، وعلينا رُدّ، والرادّ علينا رادّ على الله، وهو على حدّ الشرك بالله عزّ وجلّ»[2].

فعلى المؤمنين أن يرجعوا إليه في الفتوى وفصل القضاء؛ فإنّ حُكمَهُ الفصلُ وقضاءه العدلُ، لا يسعُ المؤمنَ إلّا إنفاذُه، والبخوعُ له، وليهتدِ المؤمنون بهديه، وليكونوا عند أمره ونهيه، والمرجوُّ منه أن لا يترك الاحتياط، ولا ينسانا من الدعاء، ولا سيّما في مظانّ الإجابة، أيّد الله به الدين، وجمع به على الحقّ كلمة المسلمين، إنّه أرحم الراحمين.

ثانيهم: شيخنا الإمام المقدّس الشيخ محمّدكاظم الخراساني[3]؛ إذ جاء في إجازته العامّة(١) ما يلي:

أمّا بعد، فإنّ الله سبحانه كرّم بني آدم، وفضّلهم على كافّة العالَم، ومنّ عليهم بالتكليف، وأسعدهم بخطابه الشريف، وبعث فيهم النبيّين مبشّرين ومنذرين، وآثرنا بأفضل أنبيائه، والوسيلة لأهل أرضه وسمائه، فشرع لنا الدين القويم، وهدانا إلى الصراط المستقيم.

---

(١) المؤرّخة يوم التاسع من ربيع الأوّل سنة ١٣٢١.

---

١. الكافي ٧: ٤١٢، باب كراهيّة الارتفاع إلى قضاة الجور، ح ٤؛ الفقيه ٣: ٢، ح ١؛ تهذيب الأحكام ٦: ٢١٩، ح ٥١٦؛ وسائل الشيعة ٢٧: ١٣، الباب ١، من أبواب صفات القاضي، ح ٥.

٢. الكافي ١: ٦٧، باب اختلاف الحديث، ح ١٠، و٧: ٤١٢، باب كراهيّة الارتفاع إلى قضاة الجور، ح ٥؛ تهذيب الأحكام ٦: ٢١٨، ح ٥١٤، و٣٠١، ح ٨٤٥؛ وسائل الشيعة ٢٧: ١٣٦، الباب ١١، من أبواب صفات القاضي، ح ١.

٣. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ٩: ٥ ـ ٦؛ معارف الرجال ٢: ٣٢٣، الرقم ٣٧٣.

ثمّ اختاره اللّه إليه بعد أن نصب لأُمّته علماً تعتمد عليه، أقامه مقامه، ونصّ عليه مراراً بالخلافة والإمامة، وفرض طاعته، وأبان عصمته، وجعل له في العالمين منزلته، فالحمد للّه على إكمال الدين بذلك، وإتمام النعمة بما هنالك.

ثمّ لم تزل الإمامةُ من بعده في المعصومين، الذين نصّ عليهم رسول اللّه صلى الله عليه وآله من ولده، حتى انتهت إلى خاتم الأوصياء ومن بوجوده ثبتت الأرض والسماء، فاختار له الغيبة لِحِكَمٍ تطمئنّ إليها قلوب المؤمنين فالحمد للّه ربّ العالمين؛ إذ لم نكن من أهل الريب، وكنّا من يؤمن بالغيب.

وقد أوجب علينا أنْ نرجع أيّام غيبته في الأحكام إلى رأي العلماء الأعلام؛ فإنّهم نوّابه وسفراؤه، وحججه وأُمناؤه، وإنّ سيادة السيّد السند والثقة الفقيه المجتهد المنزّه من كلّ شين، السيّد عبدالحسين شرف‌الدين الموسوي ـ شدّ اللّه أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه ـ مجتهد مطلق، وعدل موفّق، قد أصبح من أهل الذكر الذين ترجع إليهم العباد، وترقّى من حضيض التقليد إلى أوج الاجتهاد، فخفقت ألوية النيابة عليه، وألقت بأزمّتها إليه، وحرُم عليه التقليد، ووجب عليه العمل برأيه السديد، فليمتثل المؤمنون أمره ونهيه وليرجعوا إليه؛ فإنّه حجّةٌ عليهم، ماضيةٌ فيهم حكومته، ونافذٌ قضاؤه، ويحرم الردّ عليه، فإنّ الرادّ عليه رادٌّ على اللّه تعالى وهو على حدّ الشرك باللّه عزّ وجلّ والمأمول منه أن يسلك جادّة الاحتياط، فإنّها سبيل النجاة، واللّه الموفّق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ثالثهم: شيخنا ـ المقدّس ـ الإمام الشيخ آقارضا الهمداني[1]؛ إذ جاء في إجازته العامّة(١) ما يلي:

وبعد، فإنّ الواجب على عامّة المؤمنين والمؤمنات في هذه الفترة ـ زمن الغيبة ـ أن يرجعوا في الأحكام الشرعيّة إلى رأي الأحياء من أعلام الإماميّة،

(١) المؤرّخة يوم الثامن عشر من ذي الحجّة سنة ١٣٢٠.

١. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ٧: ١٩ ـ ٢٠؛ نقباء البشر ٢: ٧٧٦، الرقم ١٢٦٠؛ معارف الرجال ١: ٣٢٣، الرقم ١٥٨.

الجامعين للشرائط المعتبرة في الإفتاء والقضاء عندهم من الاجتهاد والعدالة وغيرهما.

وإنّ من هذه الطبقة العُليا ولدنا الأبرّ، التقيّ النقيّ، الثقة العدل، الأمين على شؤون الدنيا والدين، السيّد عبدالحسين شرف‌الدين الموسوي العاملي ـ جمع اللّٰه به الكلمة، ورفع بجهوده شأن الأمّة ـ فقد اشتهر في فضله، وبهر في نبله، وعَلَتْ منزلته في الدين والعلم فقهاً وأُصولاً، وما إلى ذلك من علوم وفنون، فهو ذو ملكة راسخة قدسيّة في استنباط الأحكام الشرعيّة الفرعيّة عن أدلّتها التفصيليّة، يباح بها للعوام أن يرجعوا إليه في تلك الأحكام، ويجب عليهم تنفيذ حكمه في المرافعات وفصل الخصام، فإنّه من العلماء المحقّقين، والفقهاء المجتهدين الذين أشار إليهم الإمام الصادق عليه السلام في حديثه، عن عمر بن حنظلة وقد سأله عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دَيْن أو ميراث كيف يصنعان؟ قال عليه السلام: «انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فارضوا به حكماً؛ فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه، فإنّما بحكم اللّٰه استُخفّ وعلينا رُدّ، والرادُّ علينا رادٌّ على اللّٰه، وهو على حدّ الشرك باللّٰه عزّ وجلّ»[١].

ونحوه حديثه عليه السلام مع أبي خديجة المأثور المشهور[٢].

وأُوصي السيّد السند بلزوم جادّة التقوى، والإعراض عن زخارف الدنيا، والعمل للأُخرى، فإنّ الدنيا فانية فانٍ من عليها، لا خير فيها ولا في شيء من أزوادها إلّا التقوى، واللّٰه تعالى هو الموفّق فإيّاه نعبد وإيّاه نستعين.

---

١. الكافي ١: ٦٧، باب اختلاف الحديث، ح ١٠، و٧: ٤١٢، باب كراهيّة الارتفاع إلى قضاة الجور، ح ٥؛ تهذيب الأحكام ٦: ٢١٨، ح ٥١٤، و٣٠١، ح ٨٤٥؛ وسائل الشيعة ٢٧: ١٣٦، الباب ١١، من أبواب صفات القاضي، ح ١.

٢. الكافي ٧: ٤١٢، باب كراهيّة الارتفاع إلى قضاة الجور، ح ٤؛ الفقيه ٣: ٢، ح ١؛ تهذيب الأحكام ٦: ٢١٩، ٥١٦؛ وسائل الشيعة ٢٧: ١٣، الباب ١، من أبواب صفات القاضي، ح ٥.

رابعهم: شيخنا الفقيه العلّامة الشيخ عبدالله المازندراني[١]، إذ جاء في إجازته العامّة(١) ما يلي:

أمّا بعد، فإنّ جناب السيّد السند، والكهف المعتمد، عماد الملّة والدين، ثقة الإسلام والمسلمين السيّد عبدالحسين، نجل السيّد الأجلّ السيّد يوسف شرف‌الدين العاملي مجتهد مطلق في الأحكام الشرعيّة، جامع لشرائط الإفتاء والقضاء من الاجتهاد والعدالة وغيرها، يجب عليه أن يعمل بما يراه، ويحرم عليه أن يرجع في أحكام‌الدين إلى مجتهد سواه، ويجوز للعوام أن يقلّدوه في المسألة التي لا يُعلم أنّه مخالف فيها لمن هو أعلم منه، ولهم أن يترافعوا إليه، فإنّه نافذ الحكم، مُمضى القضاء، والرادُّ عليه رادٌّ على الله ـ تعالى ـ وفّقنا الله وإيّاه لخدمة الدين، وسلوك جادّة العلماء العاملين إنّه أرحم الراحمين.

خامسهم: شيخنا المقدّس الفقيه ـ البارع في سائر العلوم والفنون ـ الشيخ فتح‌الله الشيرازي، المعروف بشيخ الشريعة الأصفهاني[٢]، إذ جاء في إجازته العامّة(٢) ما يلي:

وقد أيّد الله هذاالدين المتين بالعلماء، وجعلهم ورثة الأنبياء، وفضّل نومهم على عمل الصلحاء.

ـ إلى أن قال: ـ وإنّ من هذه الروضة المرضيّة المخضرّة الأطراف، والدوحة البهيّة الزاهرة الأكناف، وغصن شجرة السيادة، ونور حدقة السعادة، صاحب الذهن الوقّاد، والطبع النقّاد، والقريحة القويمة، والسليقة المستقيمة، السالك أوضح المسالك، في استنباط الفروع من المدارك، العالم العامل النّهيّ[٣]، التقيّ، النقيّ، المبرّأ من كلّ شين،

(١) المؤرّخة سلخ صفر سنة ١٣٢٠[٤].

(٢) المؤرّخة رابع شهر المحرّم الحرام سنة ١٣٢١.

١. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ٨: ٦٩؛ معارف الرجال ٢: ١٨، الرقم ٢٠٥؛ نقباء البشر ٣: ١٢١٩ ـ ١٢٢٠، الرقم ١٧٤٨.

٢. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ٨: ٣٩١ ـ ٣٩٢؛ معارف الرجال ٢: ١٥٤، الرقم ٢٨١.

٣. في «خ»: «البهي».

٤. في «خ»: «١٣٢٢».

السيّد عبدالحسين الموسوي العاملي ـ أيّده اللّه بلطفه الخفيّ والجليّ ـ ابن علم الأعلام، وملاذ الأنام، ومرجع الخواصّ والعوام، سيّدنا السيّد يوسف شرف‌الدين، صانه اللّه تعالى عمّا يوجب التأسّف والتلهّف؛ فإنّه هاجر عن وطنه، ونفر عن مسكنه، وبعُدَ عن الأتراب والأقران، وشطّت به الديار والسكّان، فحضر على ثلّة من العلماء الأعيان، وعلى هذا الضعيف مدّةً من الزمان، فلم يقنع من السماع إلّا إلى التحقيق، ومن النظر إلّا إلى التحديق، وجدَّ واجتهد في طلب المعالي، ووصل يقظة الأيّام بإحياء الليالي، وناظر ونوظر، وراجع وروجع حتّى فاق الأمثال والأقران، وصار مشاراً إليه بالبنان، بصيراً بمعضلات المسائل الفقهيّة، ومشكلات المطالب الأصليّة والفرعيّة، وتكلّم معي مراراً، بما كشف عن كون نظيره نزيراً، واختبرته ببعض مقفلات المسائل، فوجدته بطرق فتحها وحلّها خبيراً، فحقّ لي أن أقول: إنّه قد ترقّى من حضيض التقليد إلى أوج الاجتهاد، وصار من أهل الذكر الذين يرجع إليهم العباد فيما يتعلّق بالمعاش والمعاد، فليحمد اللّه تعالى على ما آتاه من النعم الجليلة، والآلاء الجميلة.

سادسهم: سيّدنا ومولانا الإمام الجليل السيّد إسماعيل الصدر؛ إذ كتب إلى أهل صور بعد أن استوطنّاها كتاباً(١) هذه صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام التامّ على كافّة المؤمنين من إخواننا الكرام، ولاسيّما أهل السداد والإيمان من أهل صور وفّقهم اللّه تعالى لنصرة الحقّ وإعزازه، وإنقاض[١] الباطل وإذلاله، واستعمال الخير، وهجران الشرّ، وإحياء السنن، وإماتة البدع، والاقتداء بأبرار العلماء، الذين فضّل اللّه مدادهم على دماء الشهداء[٢] إنّه أرحم الراحمين.

(١) تأريخه ١٦ ذي الحجّة سنة ١٣٢٦.

١. في «خ»: «انتقاص».

٢. كما ورد في الحديث: «إذا كان يوم القيامة وزّن مداد العلماء بدماء الشهداء، فيرجّح مداد العلماء على دماء الشهداء» راجع: أمالي الطوسي: ٥٢١، ح١١٤٩؛ بحار الأنوار ٢: ١٤، ح٢٦ و١٦، ح٣٥.

أمّا بعد، فقد سرّنا قيامكم بواجب الوظائف في خدمة السيّد السند، والثقة الفقيه المعتمد، قدوة العلماء الفاضلين، وأُسوة الفقهاء المبرّزين، الأوثق لَدَيْنا، والأعزّ علينا، السيّد عبدالحسين شرف‌الدين ـ رفع اللّه مناره ـ فذكرناكم وشكرناكم، وحمدنا اللّه تعالى على ما أولاكم من الأخذ بحظّكم من خدمته، والفوز بنصيبكم من رشده وهدايته، هداكم اللّه به إلى سواء السبيل، ودحض بشريف وجوده عنكم الأباطيل، ومنحكم به الهنا والسرور، والسعادة والغبطة والحبور.

فاهتدوا بهديه، واعتمدوا على رأيه، واعرفوا عظيم قدره، وكونوا نصب أمره ونهيه؛ فإنّه لا يأمركم إلّا بمعروف؛ ولا ينهاكم إلّا عن منكر، وارجعوا إليه في أحكام الدين، واتّخذوه واسطةً بينكم وبين ربّ العالمين؛ فإنّه الحجّة عليكم، والنعمة لديكم، واجعلوا قوله فصلاً؛ فإنّكم لا ترون منه إلّا عدلاً، امضوا حيث يُمضي، واذعنوا حيث يقضي، وتعبّدوا بأقواله، واقتدوا بأفعاله، واستضيئوا بنور علمه؛ فإنّه من زيتونة نبويّة لا شرقيّة ولا غربيّة، مرجع عامّ، ومفزع في فتاوى الأحكام، وقد سرّنا مكانه في صور؛ لأنّا لا نعلم مَن يصلح أن يكون لدى الأجانب عنواناً لعلماء الإماميّة مثله في علمه وفضله وعقله وعدله، وسعة باعه، ووفور اطّلاعه، وجودة ذهنه، وحسن استحضاره، وشدّة حذقه، وبراهينه القاطعة، وحججه الساطعة، وأجوبته المسكتة، وخطابته البليغة، وتقواه وسداده، وهداه ورشاده، وعفّته وإبائه، وكرم أخلاقه وسياسته، وتوكّله على اللّه عزّ وجلّ وخبرته بنهج الأئمّة عليهم السلام.

وإنّا لنغبطكم عليه، ونتمنّى دوام القرب إليه، فاسمعوا له وأطيعوا، وارجعوا إليه في أحكام اللّه عزّ وجلّ والرادُّ عليه كالرادّ عليه عزّ سلطانه، فاعرفوا قدره، واستعظموا أمره، وأُوصيه ونفسي وإيّاكم بتقوى اللّه تعالى، وسلوك جادّة الاحتياط؛ فإنّها طريق النجاة، ولا تنسونا من دعائكم ـ وفّقكم اللّه ورعاكم ـ والسلام على جنابه أيّده اللّه تعالى وعليكم، وفّقكم اللّه تعالى، ورحمة اللّه وبركاته.

مؤلّفاتي

[١]: شرح التبصرة، مزجاً على سبيل الاستدلال، خرج منه كتاب الطهارة، وكتاب القضاء والشهادات، وكتاب المواريث في ثلاث مجلّدات، وفيه من تمحيص الحقائق، واستقراء الدقائق، واستخراج المخبّآت ما يروق كلّ معتدل في مفاد الأدلّة ومجاري الأُصول، جانبت فيه الإيجاز المخلّ، والإطناب المملّ، مقتصراً على اللباب في أحسن أُسلوب، وأنصع بيان.

[٢]: تعليقة على استصحاب رسائل الشيخ، تكفّلت بالكشف عن دقائق أغراضه، وخفيّ مقاصده، ولطيف إشاراته، ومكنون أسراره، ومقفل مسائله أعلى اللّه مقامه.

[٣]: رسالة في منجّزات المريض، استدلاليّة، هي الغاية في موضوعها.

[٤]: كتاب الفوائد والفرائد، يعرف موضوعه من اسمه، وهو مجلّد واحد يشتمل على مسائل، بعضها من مشكلات الفقه، وبعضها من مشكلات الأُصول، وبعضها من متشابه الكتاب والسنّة، وفيه ما شئت من رفع إشكال، ودفع شبهة، وإماطة حجاب، وإيضاح معمّى، وإفصاح عن مضمون، وإظهار لمكنون، وإبداء سرّ، وإبراز دخلة.

[٥]: تحفة الأصحاب في حكم أهل الكتاب.

[٦]: سبيل المؤمنين ـ ثلاثة مجلّدات ـ في الإمامة العامّة بعد رسول اللّه ﷺ، وقصرها على الأئمّة الاثني عشر ـ أئمّة العترة الطاهرة ـ بحكم الأدلّة القاطعة، والنصوص التي لا يجحد الجمهور صحّة أسانيدها، أثبتنا فيه عصمتهم بالعقل والنقل، وتوسّعنا في الكلام على هديهم، فإذا سيرتهم بمجرّدها تستوجب العصمة، وتقتضي

النيابة عن رسول الله ﷺ؛ إذ هي على منهاج سيرته حذو القذّة بالقذّة.

[٧]: النصوص الجليّة في إمامة العترة الزكيّة، كتاب يشتمل على ثمانين نصّاً: أربعين منها ممّا جاء من طريق الجمهور، وأربعين ممّا انفردت به الإماميّة، توسّعنا فيه بحثاً عمّا حول كلّ نصّ، فلم ندع آبدةً ولا شاردةً، بسهولة أُسلوب، وعذوبة مورد.

[٨]: تنزيل الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة. مجلّد واحد يشتمل على مائة آية من آياتهم ﷺ، تكلّمنا في كلّ آية منها بما يقتضيه التحقيق والاعتدال والانصاف، فأثبتنا أوّلاً نزولها فيهم من طريق الجمهور، ثمّ أوضحنا معناها ومرماها، وما جاء في تفسيرها وتأويلها، وما إلى ذلك من أسرار ودقائق ومخبّآت من الحقائق، مع التجافي عن كلّ حشو ولغو، فلم نأل في سطوع البرهان، ونصوع البيان، حتّى تجلّت تلك الحقائق، على وجه تلمسها الخلائق. وهذا الكتاب والذي قبله مقتبسان من سبيل المؤمنين(١).

[٩]: المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، أربعة مجلّدات أفردنا الأوّل منها للسيرة النبويّة، فكانت بمجرّدها من الأدلّة على نبوّته ﷺ.

توسّعنا في بيان حكمته في هديه بما لا مزيد عليه، فإذا آيات الحكمة وبيّنات النبوّة تتجلّى في كلّ من أنظمته وقوانينه، وسائر شؤونه، في سياسته وأخلاقه، وأقواله وأفعاله، وحركاته وسكناته، ونطقه وصمته، ويقظته ونومه، وأكله وشربه، ولبسه وتنعُّله، ومشيه وجلوسه، وحربه وسلمه وهدنته، وصحّته ومرضه، وعبادته للّه عزّوجلّ ومعاملته للناس من أوليائه وأعدائه، على اختلاف طبقاتهم وتباين شؤونهم، وضع كلّاً من أُموره موضعه على ما تقتضيه الحكمة، فصّلنا ذلك كلّه في سيرته من مبدإ أمره إلى منتهى عمره، وبه عرفنا الكنه من قوله تعالى ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿وإنّكَ لَعلى خُلُقٍ عظيمٍ﴾[1].

المجلّد الثاني في هدي كلّ من أمير المؤمنين، وسيّدة نساء العالمين، وولدهما الحسن السبط المجتبى إمام الأُمّة، وسيّد شباب أهل الجنّة.

---

(١) وكذلك المجلّد الثاني والثالث والرابع من الكتاب التالي المجالس الفاخرة.

---

١. القلم (٦٨): ٤.

المجلّد الثالث خاصّ بسيّد الشهداء، وخامس أصحاب الكساء(١).

والرابع في هدي التسعة المعصومين، نسجنا في المجلّدات الثلاثة المختصّة بالأوصياء على منوال المجلّد الأوّل المختصّ بسيّد الأنبياء، فتوسّعنا فيها بما توسّعنا فيه، من بيان الحكمة الدالّة بمجرّدها على العصمة، فلا غرو إن كانت سيرتهم بمجرّدها دالّةً على إمامتهم عليهم السلام. وقد طبعت مقدّمة هذا الكتاب(٢)، فكانت رسالةً لها السبق في رجحان مآتم العترة الطاهرة شرعاً وعقلاً[١].

---

(١) بسطنا فيه جميل بلائه وجليل عنائه في النصح للّه تعالى ولعباده، ومثّلنا اندفاعه عليه السلام في سبيل الحقّ إلى تلك التضحية العظيمة، بكلّ معاني العظمة التي ما سبقه إليها سابق، ولن يلحقه فيها لاحق، وشرحنا أسرار شهادته، والأغراض التي كان يرمي إليها في نهضته، وفصّلنا أسرار مآتمه الشريفة، وآثارها في الإسلام.

(٢) كنّا شرعنا في طبعه سنة ١٣٣٢هـ الموافقة لسنة ١٩١٤م، فما فرغنا من طبع مقدّمته حتّى نشبت الحرب العالميّة، فاشتغل الناس يومئذٍ بفجائعها عن كلّ شيء، ثمّ نكبنا بعدها فكان كتاب المجالس وسائر مؤلّفاتنا وكتبنا ممّا انتهب في تلك النكبة.

---

١. وقد طبعت المقدّمة مرّةً ثانيةً في كربلاء سنة ١٣٧٨، وهي من منشورات مكتبة سيّد الشهداء عليه السلام العامّة، وطبع معها مقدّمة إضافيّة بقلم العلّامة السيّد نور الدين الميلاني (دام ظلّه).

وقد وجد بعد ذلك شذرات من هذا الكتاب، ورتّبها المرحوم السيّد عليّ شرف الدين، وطبعت في النجف الأشرف في جزء واحد يقع في ١٨٤ صفحة، وطبعت معها مقدّمة بقلم فضيلة السيّد محمّد بحر العلوم ـ حفظه اللّه ـ فقد ذكر عن إحراق الكتاب مع غيره من المؤلّفات وقال:

وبعد هذه الكارثة بزمن طويل، يحاول أحد أولاد عمّ المؤلّف ـ وهو السيّد الجليل السيّد عليّ بن إسماعيل ـ أن يجمع من أفواه قرّاء المآتم بعض المجالس المحفوظة وهي غير مرتّبة، ولا واقعة في مواقعها التي أوقعها فيها المؤلّف أعلى اللّه مقامه.

وتهيّأ لديه مجموعة من تلك الموسوعة، فيعرضها على سماحة السيّد ويقرأها من أوّلها حتّى نهايتها، فأقرّها وحبّذا هذا العمل.

كما ألقى نظرة على المقدّمة، ورتّبها بعض الترتيب وحوّرها، وبعدها أتحف المكتبة الإسلاميّة، فشكر اللّه مسعاه، وجزاه عن أهل بيت نبيّه خير جزاء المحسنين.«ع»

[١٠]: الذريعة في نقض البديعة، بديعة الشيخ يوسف النبهاني البيروتي المعاصر[١]، لفّقها ردّاً على الشيعة، أو إقناعاً لهم برأيه في معاوية وفئته الباغية. وقد أوضحنا سفه رأيه بما لا مزيد عليه، فإذا هو هباء، وإذا بديعته ـ أو بدعته ـ ثأطة مدّت بماء(١) ﴿وَقُل جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقاً﴾[٢].

[١١]: تحفة المحدّثين فيمن أخرج عنه الستّة من المضعّفين، مجلّد واحد هو الأوّل في بابه، رتّبناه ترتيب الحروف كسائر معاجم الرجال.

[١٢]: مختصر الكلام في مؤلّفي الشيعة من صدر الإسلام، كتاب رتّبناه على الطبقات، خرج منه مجلّد واحد، نشرت عنه مجلّة العرفان تراجم عدّة من التابعين وتابعيهم، في مجلّديها الأوّل والثاني[٣].

[١٣]: بغية الفائز في جواز نقل الجنائز، رسالة حافلة في الردّ على من شنّع علينا

(١) الثأطة هي الحمأة فإذا مدّت بماء لا تتماسك، وهذا مثل يضرب للفاسد إذا مدّ بما يزيده فساداً[٤].

١. هو الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، نسبته إلى بني نبهان من عرب البادية بفلسطين، ولد في قرية أجزم التابعة لحيفا سنة ١٢٦٥، تنقّل في أعمال القضاء إلى أن كان رئيساً لمحكمة الحقوق في بيروت، وله كتب كثيرة، توفّي في قريته سنة ١٣٥٠. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج ٨ ص ٢١٨. «ع»

٢. الإسراء (١٧): ٨١.

٣. وقد استخرج ما نشر في هذين المجلّدين الفاضل المتتبّع السيّد أحمد الحسيني الأشكوري، وطبعه في كتاب مستقلّ باسم مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام، وقد قال عنه في مقدّمته ص ٩ ما خلاصته:

وهذا الكتاب الذي نقدّمه اليوم، ونزيد به درّة يتيمة في عقد مؤلّفات سماحة السيّد عبدالحسين شرف‌الدين ـ رضي الله تعالى عنه ـ كان قد طبع لأوّل مرّة على صفحات مجلّة العرفان الغرّاء من سنتها الأولى والثانية قبل نصف قرن.

وهو عرض ممتاز للمؤلّفين الشيعة في عصر النبوّة ثمّ ما يليه من العصور، إلى عصر الإمام عليّ الهادي عليه السلام.

وأكثر المعلومات المستقاة في هذا الكتاب هو من المصادر السنّيّة، وهو ردّ ضمني على الذين أحبّوا إشاعة القول بأنّ التشيّع وجد في عصور متأخّرة، ولم يكن له أثر في عصر النبيّ صلى الله عليه وآله وكان انتشاره من عهد الصفويّة فما بعد. «ع»

٤. راجع لسان العرب ٧: ٢٦٦، «ث. أ. ط».

بجواز نقلها إلىٰ المشاهد المشرّفة، وقد نشرتها مجلّة العرفان جلّها في أواخر الثالث، وأوائل الرابع من مجلّداتها.

[١٤]: بغية السائل عن تقبيل الأيدي ولثم[١] الأنامل، رسالة أنيقة ألّفناها ردّاً على من زعم ـ بجهله ـ تحريم ذلك، فشنّع به على العلماء الأعلام. ما اكتفينا فيها بأصالة الإباحة حتّى أوردنا ثمانين حديثاً: أربعين من طريقنا، وأربعين من طريق الجمهور أدلّةً قاطعةً، وبحثنا فيها عمّا حول كلّ من تلك الأحاديث بما يقتضيه التمحيص، وتكلّمنا فيها بهذه المناسبة في أنواع التقبيل، فكانت رسالة فقهيّة أخلاقيّة أدبيّة فكاهيّة.

[١٥]: زكاة الأخلاق، رسالة شريفة يعرف موضوعها من اسمها، نشرت مجلّة العرفان في مجلّديها الأوّل والثاني لُمعاً منها[٢].

[١٦]: تعليقة على صحيح البخاري مجلّد واحد.

[١٧]: تعليقة على صحيح مسلم مجلّد واحد.

وهاتان التعليقتان من أنفس ما أخرجه قلمي، بحثاً فيهما عن أسانيد الكتابين ومتنيهما، وهناك الفوائد والعوائد.

[١٨]: كتاب الأساليب البديعة في رجحان مآتم الشيعة، قد لا تغني عنه مقدّمة المجالس الفاخرة.

[١٩]: كتاب المراجعات ـ أو المناظرات الأزهريّة والمباحثات المصريّة ـ مجلّد واحد، يُثبت رأي الإماميّة في الإمامة والخلافة بعد رسول الله ﷺ، ألّفناه في مصر؛ إذ أتيناها سنة ١٣٢٩ فجمعنا الحظّ السعيد بإمامها الوحيد الشيخ سليم البشري المالكي[٣]، شيخ الجامع الأزهر في ذلك العهد، حضرت درسه، وأخذت عنه علماً جمّاً، وكان عيلم علم،

١. اللثم: القُبلة. لسان العرب ١٢: ٥٣٤، «ل. ث. م».

٢. ستصدر عن الدار الإسلاميّة قريباً إن شاء الله. «ع»

٣. هو الشيخ سليم بن أبي فراج بن سليم البشري، من فقهاء المالكيّة، ولد في محلّة بشر ـ من أعمال شبرخيت بمصر ـ سنة ١٢٤٨، وتولّى نقابة المالكيّة، ثمّ مشيخة الأزهر مرّتين، وتوفّي بالقاهرة سنة ١٣٣٥. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج ٣ ص ١١٩. «ع»

وعلَم حلم، وكنت أختلف إلى منزله، أخلو به في البحث عمّا لا يسعنا البحث عنه إلّا في الخلوات، وكان جلّ بحثنا هذا في الإمامة، التي ما سُلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينيّة مثل ما سُلّ عليها، وقد فرضنا على أنفسنا أن نمعن النظر في البحث عن أدلّتها، متجرّدين عن كلّ عاطفة سوى انتجاع الحقيقة، والوصول إليها من طريقها المجمع على صحّته.

وعلى هذا جرت مناظراتنا ومراجعاتنا، وكانت خطّيّةً تبادلنا بها المراسلة إبراماً ونقضاً، فجئته بالحجج الساطعة لا تترك خليجةً، ولا تدع وليجةً، فقابلها بالذود عن حياضه، لا يألو في ذلك جهداً، ولا يدّخر وسعاً، لكنّ اللّه ـ عزّ وجلّ ـ بهدايته وتوفيقه يسّر لي وله الحمد درء كلّ شبهة، ودحض كلّ إشكال، حتّى ظهر الصبح لذي عينين.

وكنت أردت يومئذٍ طبع تلك المراجعات، وهي ١١٢ مراجعة، لكنّ الأقدار الغالبة أرجأت ذلك، فلمّا نكبنا في حوادث سنة ١٣٣٨ ـ كما سنفصّله في محلّه[1] ـ انتهبت مع سائر مؤلّفاتي(١) يوم صيح نهباً في دورنا.

وما إن فرّج اللّه تعالى عنّا بفضله وكرمه حتّى استأنفتُ مضامينها بجميع مباحثاتها التي دارت بيننا فإذا هي بحذافيرها مدوّنة بين دفتي الكتاب مع زيادات لا تخلّ بما كان بيننا من المحاكمات على ما أوضحناه في مقدّمة الكتاب. والحمد للّه باعث من في القبور على بعث هذا السفر النافع ونشره(٢).

---

(١) فعظمت الرزيّة، وجلّت بها المصيبة؛ إذ لم يكن شيء منها مطبوعاً وإنّما كانت مخرّجة إلى التبييض بذلك الخطّ الجميل، واللّه حسبنا ونعم الوكيل.

(٢) باسم المراجعات وقد طبع بمطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٥٥ [وقد طبع بعد ذلك إلى الآن ما يقرب من خمسين طبعة][2].

---

١. سيأتي في ص ٥٩٥ ومابعدها.

٢. وقد ترجم كتاب المراجعات إلى الفارسيّة وطبع، ترجمه العلّامة الكبير سردار كابلي. هو الشيخ حيدر قلي خان الشهير بسردار كابلي، عالم جامع، وفيلسوف فاضل، من أكبر علماء الشيعة في هذا القرن، ولد في كابل سنة ١٢٩٣، ←

[٢٠]: الفصول المهمة في تأليف الأمّة، طبعت سنة ١٣٣٠، ثمّ طبعت سنة ١٣٤٧ مع زيادة فصلين فيها كاملين، وهما الفصل ٧ والفصل ١١، وزدنا في غضون بقيّة الفصول مطالب جمّةً وفوائد مهمّةً، ولا سيّما في فصل المتأوّلين، وقد طبعت الطبعة الثالثة في النجف الأشرف سنة ١٣٧٥.

[٢١]: الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام، طبعت ملحقةً بالفصول المهمة، ونشرتها العرفان في مجلّدها السابع عشر.

[٢٢]: أجوبة مسائل موسى جار الله[1]، وهي عشرون مسألة رفعها إلى علماء الإماميّة

← وهاجر إلى النجف الأشرف، فقرأ الفقه والأصول والفلسفة على كبار الأساتذة حتّى بلغ في ذلك كلّه مبلغاً عظيماً، وحاز قسطاً وافراً من مختلف العلوم، ثمّ هبط كرمنشاه وعكف على التصنيف والتأليف، فأنتج آثاراً جليلةً، وأسفاراً مهمّةً، ولمع نجمه في الأوساط العلميّة، توفّي سنة ١٣٧٢. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٢ ص ٦٩٣. «ع»

وترجم ثانياً إلى الفارسيّة وطبع أيضاً، ولا أتذكّر اسم مترجمه. وترجم إلى اللغة الإنكليزيّة وطبع، ترجمه مهراج كمار، هو شقيق راجه محمودآباد من مقاطعات الهند، ومن الأعيان الأجلّاء، والشخصيّات البارزة، وكاتب متضلّع في العربيّة والإنكليزيّة والأورديّة، يقيم في مدينة لكنهوء مظهراً للفضل والأدب والأخلاق العالية وفّقه الله. «ع»

١. هو موسى جارالله ابن فاطمة التركستاني القازاني التتري شيخ إسلام روسيا قبل الثورة البلشفيّة وفي إبّانها، ولد في «روستوف دون» بروسيا سنة ١٢٩٥، وتفقّه بالعربيّة، وتبحّر في علوم الإسلام، ثمّ كان إمام الجامع الكبير في «لنينغراد» وحجّ وجاور بمكّة ثلاث سنين، وعاد إلى بلاده فأنشأ مطبعةً في «لنينغراد» خدم بها اللغات العربيّة والفارسيّة والتتريّة والتركيّة والروسيّة خدمةً مفيدةً، وكان يحسن هذه اللغات ونشر كتاباً بالتركيّة عن علاقة المسلمين بالثورة الروسيّة أغضب حكومتها، فانتزعت منه المطبعة وقبض عليه وسجن. وفي مقدّمة أحد كتبه «الوشيعة» وصف لرحلته بعد ذلك هذا موجزه: «هاجرت بيتي ووطني سنة ١٩٣٠ هجرة اضطراريّة، وقد سدّت عليّ طرق النجاة فساقتني الأقدار من طريق التركستان الغربي إلى التركستان الشرقي الصيني فالبامير فأفغانستان، وانتهزت الفرصة للسياحة في البلاد الإسلاميّة، وكنت قد سحت من قبل في الهند وجزيرة العرب ومصر وكلّ بلاد تركيا وكلّ التركستان الغربي إذ أنا طالب صغير، ودامت سياحتي في تلك المرّة ستّة أعوام، وعدت في سياحتي الأخيرة هذه فمررت بتلك الأقطار وزدت عليها إيران والعراق». انتهى. واعتقله الإنكليز في الهند مدّةً في خلال الحرب العالميّة الثانية.

واضطربت عقيدته في أعوامه الأخيرة، ومرض في مصر فدخل ملجأ العجزة في القاهرة. وتوفّي فيه سنة ١٣٦٨. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج ٧ ص ٣٢٠. «ع»

في الهند، ثمّ في إيران، ثمّ في العراق، فلم يأبهوا به، فظنّ أنّه أحرجهم، ولا سيّما بعد أن ألحّ بطلب الجواب، فطرق كلّ باب، وعندها شمخ بأنفه يرعف لؤماً، ونظر إلى عطفه وعصارة الحمق تفور في دماغه، فقال فيهم ما قال، ونال منهم ما نال.

وقد تجلّى في أجوبتنا شططه في مسائله، وأنّها ليست إلّا ضرباً من التخرّص، ونوعاً من الخبط والخلط، أراد بها شَعَثَ الأُمّة، وشقّ عصاها، فخصمناه وخطمناه، وردّه اللّه بغيظه صاغراً قميئاً(١).

[٢٣]: فلسفة الميثاق والولاية(٢)، رسالة صغيرة نزلنا في تأليفها على رغبة الأخ الأغرّ الأبرّ الشيخ الجليل الحاجّ عبّاس قلي الواعظ التبريزي الجرندابي[١]؛ إذ كلّفنا بثلاثة مطالب:

أوّلها: توجيه الاستدلال على الوحدانيّة والنبوّة والإمامة بآية أخذ الميثاق، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[٢]. الآية.

ثانيها: توجيه الاستدلال على إمامة أمير المؤمنين بقوله ـ عزّ من قائل ـ: ﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[٣] مع منافاة أوّل الآية وآخرها لذلك؛ لأنّ أوّلها وآخرها مسوقان لتحريم الخبائث.

---

(١) وقد انتشرت أجوبته بطبعها سنة ١٣٥٥ في صيدا[٤].

(٢) طبعت سنة ١٣٦٠ [في صيدا][٥].

---

١. هو أحد أفاضل أهل العلم في تبريز، ومن كبار وعّاظها وخطبائها، توفّي سنة ١٣٨٧.«ع»

٢. الأعراف (٧): ١٧٢.

٣. المائدة (٥): ٣.

٤. وطبعت أيضاً في صيدا سنة ١٣٧٣، وترجمت إلى اللغة الفارسيّة وطبعت في طهران سنة ١٣٥٣ وفي إصفهان ١٣٧٣.

٥. وطبعت أيضاً ملحقة بكتاب حول الرؤية سنة ١٣٧١.

ثالثها: بيان السبب في عدم تصريح القرآن العظيم بإمامة أمير المؤمنين مع كونها من أُصول الدين كالتوحيد والعدل والنبوّة والمعاد التي نصّ القرآن عليها في آياته المحكمة.

وقد نزلنا على مقترح الشيخ فأوضحنا الأمور الثلاثة بأساليب تألفها شبيبتنا العصريّة أُلفةً لا تخالطهم معها شبهة، ولا تلابسهم غمّة، والحمد للّه على التوفيق.

[٢٤]: أبو هريرة، كتاب يصوّر هذا الصحابي المشهور من جميع نواحيه بأجلى مظاهر التمثيل [١].

[٢٥]: الفضائل الملفّقة وأحاديثها المختلقة، رسالة يعرف موضوعها من اسمها، وهي الوحيدة في بابها.

[٢٦]: نوادر الخليفة الثاني [٢]، كتاب غزير المادّة، جمّ الفوائد، سديد المنهج، لا نظير له في بابه.

[٢٧]: إمارة الحجّ أو نبذ العهد سنة تسع، رسالة تثبت إسناد الأمرين كليهما إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، وأنّ أبا بكر لم يحضر الموسم في تلك السنة، أقمنا على ذلك الأدلّة الناطقة، والشواهد الصادقة، فأسفر [٣] وجه الحقّ، وأشرق نور اليقين.

[٢٨]: خرافة الغرانقة أو سخافة الزنادقة، رسالة شريفة لم يصنّف مثلها في بابها، تثبت أنّ حديث: «تلك الغرانيق العلى، وأنّ شفاعتهنّ لترجى» من أباطيل الزنادقة،

---

١. مطبوع مراراً. وقد ترجم كتاب أبو هريرة وطبع باللغة الأورديّة، ترجمه السيّد محمّدباقر النقوي الفاضل المولوي، الملقّب بصدر الأفاضل، وهو من أفاضل علماء الهند وأعلامهم. «ع»

٢. مأخوذ من «خ».

٣. أسفر: وضح وانكشف. المعجم الوسيط: ٤٣٢، «س. ف. ر».

كمحمّد بن كعب القرظي(١) وأمثاله ﴿وَقَد مَكَرُوا مَكرَهُم﴾[١] بـافترائـهم عـلى رسـول اللّه ﷺ ﴿وَعِندَ اللّهِ مَكرُهُم وَإِن كانَ مَكرُهُم لِتَزُولَ مِنهُ الجِبالُ * فَلا تَحسَبَنَّ اللّهَ مُخلِفَ وَعدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقامٍ﴾[٢].

---

(١) هو محمّد بن كعب بن سليم أو سليمان القرظي، بقيّة أُولئك اليهود المفسدين من بني قريظة، وبني النضير الذين استأصل رسول الله ﷺ شأفة خطرهم، وقطع دابر عيثهم فلم يسعه غير ذلك، على أنّه كان يمثّل رحمة اللّه الواسعة، أمّا بنو قريظة فقد قتل رجالهم فلم يُبق منهم محتلماً ولا ذا نبت في عانته، وقسّم أموالهم واسترقّ ذراريهم ونساءهم، كما يعلمه كلّ من ألمّ بحوادث السنة الخامسة للهجرة، وكان كعب بن سليم والد محمّد القرظي من جملة ذراريهم فأصابه السبي فلم يشمله الحكم بالقتل، كما نصّ عليه ابن عبدالبرّ في ترجمته من الاستيعاب[٣].
وأمّا بنو النضير فقد نفاهم النبيّ ﷺ عن عقر ديارهم، فكانت ديارهم وأموالهم ممّا أفاء اللّه عليه ﷺ، وكان نفيهم من نعم اللّه تعالى التي امتنّ بها على عباده فقال عزّ اسمه: ﴿هُوَ الَّذِي أَخرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهلِ الكِتابِ مِن دِيارِهِم لِأَوَّلِ الحَشرِ ما ظَنَنتُم أَن يَخرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مانِعَتُهُم حُصُونُهُم مِنَ اللّهِ فَأَتاهُمُ اللّهُ مِن حَيثُ لَم يَحتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعبَ يُخرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيدِيهِم وَأَيدِي المُؤمِنِينَ﴾[٤] إلى آخر ما نزل فيهم بما شاقّوا اللّه ورسوله وبما كانوا يمكرون.
وقد اجتمع في محمّد بن كعب من فساد الضمير وخبث الطويّة ومكر اليهود ما هو موزّع في القبيلتين؛ إذ كان يرى له ذحولاً عند رسول اللّه ﷺ، وأنّه وتره بما استأصله من شأفة طرفيه، أعمامه وأخواله ـ كما نصّ عليه العسقلاني في ترجمته في القسم الرابع من الإصابة[٥] ـ ←

---

١. الحشر (٥٩): ٢.
٢. إبراهيم (١٤): ٤٦ ـ ٤٧.
٣. الاستيعاب ٣: ١٣١٧، الرقم ٢١٩٤.
٤. الحشر (٥٩): ٢.
٥. الإصابة ٦: ٢٧٣، الرقم ٨٥٥٧.

[٢٩]: طبقات الرواة أو مشايخ الإجازات، رسالة فصّلنا فيها طرقنا في أسانيدها المتّصلة بالنبيّ ﷺ وبأوصيائه، وبالمؤلّفين في الإسلام ومؤلّفاتهم في العلوم العقليّة والنقليّة، وهو أوسع ممّا يليه.

← إذ كان أبوه من بني قريظة، وأمّه من بني النضير، فكان له قلب ينغل بالعداوة لرسول الله ﷺ، وله صدر يجيش بالغلّ على الإسلام، وإنّما اعتنقه هو وأبوه ليذيقا فيه سُمّ الأساود بلباقة، وليوبنا ضمائر المسلمين من حيث لا يشعرون.

فكان من مكر كعب أن رمى بابنه في أحضان الفقهاء والمحدّثين، يأخذ عنهم علوم الإسلام لتستتبّ به الداهية التي يضمرها لهذه الأمّة، وكان من مكر ابنه محمّد عكوفه على المعاهد والمساجد، مكبّاً على العلم والعبادة يتنصّح للإسلام وفي نصحه حُمَةُ العقارب، ويتظاهر بالإخلاص للأمّة، وإنّما هو كمين سوء، حتّى أنس الجميع بناحيته، وأخلدوا إليه بكلّ ثقة، فبثّ حينئذٍ فيهم خبر الغرانيق اغتيالاً للنبوّة، واجتياحاً للإسلام، وأخذاً بثأر أعمامه وأخواله اللئام.

والعجب من أولي الألباب يغترّون بهذا الموتور، فيلقون السمع إلى كلّ ما يلقيه إليهم عن رسول الله، وهم يعلمون أنّ رسول الله ﷺ وتره واجتاح قومه.

وقد رأوا بني أميّة ـ وهم عصبته ﷺ ـ ما هدروا له دماء محاربيه من سلفهم كعتبة وشيبة والوليد وحنظلة، ولا أنساهم إسلامهم مصيبة بدر، ولا اكتفوا عنها بقتل حمزة في سبعين بطلاً من شهداء أُحد، ولا ألهاهم عن أخذ ثأرهم من رسول الله ﷺ تبوؤهم عرش الخلافة عنه، ولا قنعوا بملكه ديةً عن أشياخهم حتّى شفوا أضغانهم يوم الطفّ ويوم الحرّة، وقال قائلهم: فلقد قضيت من النبيّ ديوني، وتمثّل:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا... الأبيات[١].

والعرب بعد رسول الله ﷺ عصبت بأمثل أهل بيته عليّ كلّ دمٍ أراقه الإسلام في عهد النبوّة، فتربّصوا ـ وهم مسلمون ـ بعليّ كلّ دائرة، وأضمروا له ولذرّيّته كلّ حسيكة، ووثبوا عليهم كلّ وثبة، وكان ما كان ممّا استطار في الأجواء وطبّق الأرض والسماء، فهل كانت وطأة الإسلام على بني أميّة أشدّ من وطأته على بني قريظة والنضير؟! ←

---

١. راجع: الاحتجاج: ٣٠٧؛ بحار الأنوار ٤٥: ١٣٣، ١٥٦، ١٥٧.

[٣٠]: ثبت الأثبات في سلسلة الرواة، أو ثبت الموسوي في إجازة النقوي(١)، مطبوع.

[٣١]: بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، وهو هذا الكتاب.

[٣٢]: إلى المجمع العلمي العربي، رسالة في الردّ على محمّد كرد عليّ[1]، وما افتراه على الشيعة في مجلّة المجمع المذكور، وهي مطبوعة.

[٣٣]: النصّ والاجتهاد، في موضوع اجتهاد الخلفاء مقابل النصّ، وقد طبع مراراً[2].

[٣٤]: حول الرؤية، رسالة تدور حول البحث في إمكان رؤية الله ـ عزّ وجلّ ـ يوم القيامة أو امتناعها، فتثبت امتناعها خلافاً لرأي الأشاعرة في ذلك، وهي مطبوعة.

← وهل كان النكال في وقعة بدر على الأمويّين أعظم من الوبال يوم ثبور اليهود؟

وهل كان محمّد بن كعب أقلّ حنقاً من يزيد وأبيه؟

كلّا. وهو من علمت أصلاً وفرعاً وحملاً ورضعاً، انحدر من أصلاب اللؤم، وغذي لبان الغدر والمكر، وشبّ ودبّ على ذلك شنشنةً عرفناها من آبائه وأُمّهاته، ولا يعجز مَسْكُ السوء عن عَرْفِ السُّوء.

وعلى كلٍّ فقد استحوذ بريائه في علمه وعمله على قلوب الجمهور، فارهفوا لحديثه آذانهم، وألقوا على أقواله جرانهم، فاحتجّ به أصحاب الصحاح بكلّ ارتياح، وحينئذٍ دسّ خرافة الغرانيق، وتابعه فيها كلّ زنديق، كما فصّلناه وفصّلنا كلّ ما حول هذه السخافة تفصيلاً لم يسبق إليه على التحقيق والحمد لله على التوفيق.

(١) إجازة منّا للشريف العلّامة السيّد علي النقي النقوي الهندي اللكنهوئي، طبعت سنة ١٣٥٥[3].

---

١. محمّد بن عبدالرزّاق بن محمّد كرد عليّ، رئيس المجمع العلمي العربي ومؤسّسه، وصاحب المؤلّفات الكثيرة، وأحد كبار الكتّاب، أصله من أكراد السليمانيّة، ولد في دمشق سنة ١٢٩٣، أصدر مجلّة المقتبس، وأضاف إليها باسمها جريدةً يوميّةً كانت قبل الحرب الأولى مسرحاً لأقلام كبار الكتّاب، وحاربت جمعيّة الاتّحاد والترقّي التي كان يستتر وراءها حزب تركيا الفتاة، وولّي وزارة المعارف مرّتين، من مؤلّفاته: خطط الشام، ستّة مجلّدات، وغرائب الغرب، توفّي سنة ١٣٧٢. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج ٦ ص ٢٠٢. «ع»

٢. ترجم وطبع باللغة الأورديّة ولا أتذكّر اسم مترجمه. «ع»

٣. إضافة من «خ».

رجوعنا إلى عاملة

لما أسفرت للمقدّس والدي تباشير ظفره بما يبتغيه من هجرتي العلميّة، وأشرقت لديه دلائل فوزه ونجحه بذلك، واطمأنّ به كلّ الاطمئنان، أجمع على إرجاعنا إلى عاملة، وكان إذا أزمع أمراً لا ينثني عنه إلّا أن يشاء اللّه تعالى، ولم يكن لنا بدّ من البخوع لأمره، والنزول على حكمه؛ إذ لم نجعل لأنفسنا مصرفاً ولا مَحرفاً ولا مُراغاً عن ذلك، فاستسلمنا للأمر المطاع ـ وإن أرهقنا فراق تلك المشاهد الشريفة والأندية العلميّة أمراً صعباً وبلغ بنا الجهد ـ متوكّلين على اللّه عزّ وجلّ، مبتهلين إليه في طلب الخيرة من عواقبنا، فإنّ الخير كلّه بيده، وهو على كلّ شيء قدير.

زمّت ركائبنا من النجف الأشرف تاسع ربيع الأوّل[1] سنة ١٣٢٢، وكنت إذ ذاك

---

(١) كان ابتداء حركتنا في هجرتنا العلميّة من جبل عامل يوم التاسع من ربيع الأوّل ـ كما بيّنّاه في محلّه[1] ـ وحيث رأينا اليمن والتوفيق وحسن العاقبة بتلك الحركة والحمد للّه آثرنا أن يكون الابتداء في حركتنا هذه يوم التاسع من ربيع الأوّل أيضاً؛ رجاء أن يسعدنا التوفيق ثانياً كما أسعدنا أوّلاً، والأمور بيد اللّه وحده وهو حسبنا.

---

١. تقدّم في ص ٤٩٦.

محبوّاً بخدمة والدتي، محبوراً بالمقدّس أخي وسائر من إليّ[(١)].

وما إن قاربنا دمشق حتّى وجدنا وليّ النعمة قد استقبلنا ـ أعلى الله مقامه ـ في ثلّة من المؤمنين من أهل دمشق وعاملة، فيهم صنواه عمّاي الكريمان[(٢)]، والعلّامتان السيّد محسن الأمين[١]، والشيخ محمود مغنية[٢]، ولله ما مثّله من الحنان والحنو حين ضمّنا إليه ﷺ بجناحي رحمته، وحنا علينا بعطفه ولطفه ورأفته، ورقّت لنا كبده، ولان فؤاده، فأرخت عيناه القريرتان أرواقهما اغتباطاً وبهجةً وحبوراً.

أنزلنا السيّد المحسن رحابه فإذا هي رحاب الندى، ونجعة المكارم، ومثّل أرحامنا الأشراف المرتضويّون من آل نورالدين عواطف الرحم وأواصرها بأجلى المظاهر[(٣)]، واحتفل بنا إخواننا المؤمنون ثمّة بوجوه منطلقة وصدور رحبة، وأسرّة تهلّل فتبرق برق العارض المتهلّل.

ثمّ تواترت علينا زرافات المستقبلين من أهل شحور وناحيتها فكرّوا بنا راجعين إليها[(٤)]، وكنّا في الطريق نلتقي بالمستقبلين زُمراً زُمراً حتّى أتينا بانياس، فوجدنا ثمّة من المستقبلين جموعاً كثيرةً قد حشدهم الشهم ابن العرقاوي[٣] رئيس البلد في أندية

---

(١) من أولاد أبي عبدالرؤوف وشقيقتيه ووالدتهم، وقد جدّدنا بهم العهد في هذه الحركة بالمشاهد المشرّفة. كما أدّينا الواجب من وداع أهلنا في الحائر والكاظميّة.

(٢) المقدّسان السيّد إسماعيل ومعه ولده السيّد عبدالله، والسيّد حسين ومعه ولده السيّد محمّد.

(٣) زاروا بنا مشهد السيّدة أمّ كلثوم عقيلة الوحي، وخفرة أهل بيت النبوّة، وتشرّفنا معهم بسائر المشاهد في دمشق المنسوبة إلى أهل البيت ﷺ.

(٤) وقد شيّعنا السيّد المحسن هو ووجوه المؤمنين إلى خارج دمشق.

---

١. راجع ترجمته في تكملة أمل الآمل: ٣٢٨، الرقم ٣١١؛ معارف الرجال ٢: ١٨٤، الرقم ٣٠١.

٢. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ١٠: ١١٠؛ تكملة أمل الآمل: ٣٩٦، الرقم ٣٨٤.

٣. في «خ»: «العرقوبي».

ضيافته، وكان من أجواد العرب يخفّ للقِرى ويرتاح للندى، ولا ننسى ما رأينا من شهامة طبعه وسعة ذرعه.

سار معنا في ذلك الجمع المحتشد حتّى أتينا عديسة، فوجدنا ثمّة أعلام البلاد السيّد عليّ محمود الأمين[١] والسيّد نجيب فضل الله[٢]، والسيّد حيدر مرتضى[٣]، وصنوه السيّد جواد[٤] والشيخ حسين مغنية[٥]، فمن دونهم، وفي خدمتهم زعيم عاملة السياسي كامل بك[٦] بن خليل بك الأسعد[٧]، ووجوه العشائر وأعيان البلاد.

فتابعوا بنا السير ـ بعد تبادل التحيّة بيننا وبينهم بآدابها الشرعيّة ـ حتّى نزلنا بتلك الجماهير في رحاب الكامل ـ الطيّبة ـ فأخذته أريحيّة الكرم ومدّت باعه يباري الغيث



١. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ١٠: ١٠٧.

٢. كان من الأعلام الكبار والمبرّزين الأوّل بين علماء عصره، ولد في عيناثا سنة ١٢٨٠، وقد ثنيت له الوسادة، فكان رئيساً جليلاً مهيباً، تزيّنه قوّة في الجنان، وبلاغة في البيان، وذلاقة في اللسان، مع تمكّن قويّ من الشعر والأدب، مضافاً إلى أخلاقه الهاشميّة العالية، توفّي سنة ١٣٣٥ عليه الرحمة والرضوان [راجع أعيان الشيعة ١٠: ٢٠٦]. «ع»

٣. من أجلّاء علماء جبل عامل، كان معروفاً بالعلم والفضيلة، كريم الأخلاق، طيّب الذات، افتتح مدرسةً في بلده عيثا، ورأس في تلك الأطراف، ودرس عنده جمع وافر من أهل العلم والفضل، توفّي سنة ١٣٣٨ عن نيّف وسبعين سنة [راجع: أعيان الشيعة ٦: ٢٦٦؛ تكملة أمل الآمل: ١٩٣، الرقم ١٦٠]. «ع»

٤. نقباء البشر ١: ٣٢٧، الرقم ٦٦٧؛ تكملة أمل الآمل: ١٢٥، الرقم ٧٧.

٥. تكملة أمل الآمل: ١٨٩، الرقم ١٥١؛ نقباء البشر ٢: ٦٠١، الرقم ١٠٣٢.

٦. كتب عنه الأمير شكيب أرسلان مقالةً مفصّلةً نقتطف منها ما يلي:

كان مفرداً في سجايا كثيرة: من كرم يهزّ، ورقّة طبع، وعلوّ جناب، وتوقّد حميّة، وسعة صدر، وغزارة حلم، ورجاحة عقل، حتّى كأنّه خلق ليكون رئيساً، وليكون سيّداً، بل ليكون سيّد السادات، ورئيس الرؤساء، اجتمع فيه من خلال الرئاسة والزعامة، ما قلّما رأيته اجتمع في مخلوق، وكانت ولادته سنة ١٢٨٥، ووفاته سنة ١٣٤٢ [راجع أعيان الشيعة ٢: ٢٢]. «ع»

٧. كان زعيم جبل عامل في عصره، وعلى وتيرة نجله كامل بك ـ عليهما الرحمة ـ في مآثره ومزاياه، وله هيبة واحترام زائد لدى الدولة العثمانيّة، توفّي سنة ١٣١٥ [راجع أعيان الشيعة ٦: ٣٤٦]. «ع»

جوداً، فما كعب بن مامة[1] وابن اروى ولا معن بن زائدة[2] إلّا دونه.

وبعد تناول ذلك الطّعام الهنيء المريء تابعنا السير فكنّا نلتقي بالناس أفواجاً أفواجاً مشاةً وركباناً حتّى أتينا قريتنا شحور(١)، فوجدناها مكتظّة بمن أقعدتهم الشيخوخة أو الضعف، أو غير ذلك من الموانع، لم أرَ في تلك الجموع كلّها إلّا ذا مسرّة وحبرة قد وجد قرّة عينه وبرد السرور في فؤاده، فجزاهم اللّه عنّا خير جزاء المحسنين.

وعزم عليَّ أُولئك العلماء الأعلام أن يصلّوا المغرب والعشاء في المسجد بصلاتي ولم يتركوا لي مندوحةً عن ذلك، فنزلت على حكمهم عملاً بمقتضيات الآداب.

وكانت ليلة اغتباط وبلج بخدمة أُولئك الحجج، وحين انفردوا بنا عمّن سواهم وأخذ المجلس زخرفه منهم ترامى الحديث بنا إلى بعض الفروع المشكلة، فأفضنا وأفاضوا في البحث عنه، وتجاذبنا أطراف الكلام فيه، فأفضى بنا الأمر إلى بعض الأُصول العلميّة[3]، فخضنا معهم في البحث عنه، وأخذنا في المراجعة والمناظرة، واحتدم النزاع تلك الليلة وغدوتها احتداماً عاد بنفع جزيل وفوائد جمّة.

(١) مستهلّ جمادى الثانية سنة ١٣٢٢.

١. كعب بن مامة الإيادي أبو دؤاد: كريم جاهلي، يضرب به المثل في حسن الجوار، فيقال: «أجود من كعب بن مامة، وجار كجار أبي دؤاد»، وهو صاحب القصّة المشهورة في الإيثار. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج ٥ ص ٢٢٩. «ع»

٢. معن بن زائدة الشيباني: أبو الوليد من أشهر أجواد العرب، وأحد الشجعان الفصحاء، أدرك العصرين ـ الأموي والعبّاسي ـ وكان في الأوّل ينتقل في الولايات، وولي سجستان من قبل المنصور، فأقام فيها مدّةً، فدخل عليه أُناس في زي العمّال، فقتلوه غيلةً سنة ١٥١، أخباره كثيرة معجبة، وللشعراء فيه أماديح ومراث من عيون الشعراء. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج ٧ ص ٢٧٣. «ع»

٣. في «خ»: «العمليّة».

فللّه تلك الخُلسَةُ[١] من الدهر ما أجزل فوائدها، وما أفضل عوائدها، وهكذا كانت سيرة علمائنا كلّما اجتمعوا وأينما انتدوا.

ثمّ توالت الوفود ـ وفود الزيارة والتهنئة ـ من أنحاء البلاد العامليّة مدّةً ليست بالقصيرة، كان العلماء والفضلاء والأدباء والشعراء لا يبارحون الحشد، وكم قرطوا الآذان بفرائدهم، وشنّفوا الاسماع بالدرر من خطبهم وقصائدهم.

وإليك من ذلك عبقريّة ابن العمّ السيّد الشريف هاشم بن السيّد محمّد هاشم الموسوي[٢]:

بمثل عيونك يحلو الغزلْ ... وإن كُنَّ يدنين مرّ الأجلْ
ويستعذب الصبُّ ورد الردى ... بمستملحٍ من سهام المقلْ
فكم من فتون لأهل الهوى ... أتى من فتور العيون النجلْ
وكم من حشاً لأخي صبوةٍ ... بها دمه صُبَّ هدراً وطلّْ
على وجنتيك زهت روضة ... يفتّح منها الورود الخجلْ
وفي الثغر منك حلت ريقة ... هي الشهد في ذوقها لا العسلْ
بكوثرها العذب برء الضنى ... وريُّ الأوام وبرد الغللْ
فيا جنَّة الحسن بي جِنَّة ... لما كان حبّك بي قد فعلْ
يَسرّك أنّي أشكو الضنى ... وفي شفتيك شفاء العللْ
أجَوْراً عليَّ بحكم الهوى ... وماذا على جائر لو عدلْ
وهجراً طويلاً ولا ذنب لي ... وما الهجر إلّا لذنب حصلْ
هنيئاً لك اليوم ما شفّني ... لهجرك حتّى عدمت الحيلْ
سفكت دماً لي يوم اللّوى ... حراماً فكيف لعينيك حلّْ
فأصبح هدراً ولا عاقل ... وقد طلّ عمداً بذاك الطللْ

١. الخُلسَةُ: الفُرصة. راجع لسان العرب ٦: ٦٥، «خ.ل.س».
٢. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ١٠: ٢٥٢؛ تكملة أمل الآمل: ٤٢٩، الرقم ٤١٨.

إلى أن قال:

فدع عنك وصف ذوات الجما ... ل وتذكار ظلّ الصبا المنتقلْ
وقم واقتبل دهر أُنس أتا ... ك بما عنه كفّر ماضي الزللْ
وقل منشداً بارتجالٍ فقد ... غدا الأُنس في قطرنا مرتجلْ
ألا غنّ يا عندليب السرو ... ر وهبّي لنا يا رياح الجذلْ
ويا ساقي الخمرة أصرف لنا ... فراحك ما رحت منه ثملْ
فشمل السرور غدا شاملاً ... وفصل الهناء غدا متّصلْ
وذا الكون أضحى بعبد الحسـ ... ـين منيراً يتيه بأسنى الحللْ
وهذي البلاد غدا أفقها ... وبدر علاه به مكتملْ
ثنت عطفها بالهنا عامل ... به وتبسّم ثغر الجبلْ
وقرّت عيون المعالي به ... ومائل ركن الرشاد اعتدلْ
هو العلم المفرد الجامع الفضا ... ئل ممّا[1] دقّ معنىً وجلّْ
إمام الهدى وحمام العدى ... وربُّ الندى مزنه المستهلّْ
فتىً قد تربّى بحجر العُلى ... فشبَّ على حبّها واكتهلْ
وأصبح روحاً لجسم الكما ... ل وبدراً بأوج الهدى مكتملْ
عليم على عمل زانه ... وما زينة العلم إلّا العملْ
حليم يوازن شمّ الجبا ... ل حجىً راسخاً طوده لم يزلْ
سخيّ الأنامل إمّا انتدى ... يباري السحاب إذا ما هطلْ
عديم المثيل على شامخٍ ... من الفضل يضرب به[2] المثلْ
له فكرة كم تجلّى بها ... من المشكلات دجىً منسدلْ
وخُلق لطيف يحاكي الصَّبا ... برقّة طبع عليها جُبلْ

---

١. في «خ»: «من».
٢. في «خ»: «فيه».

بـــه الديـــن أصـــبح مســـتبشراً	يـــجرُّ بـــرود الطَـــروب الجـــذلْ
وألقت إليـــــــه مـــــقاليدها	شـــريعة أحـــمد خـــير الرســـلْ
فـــبعزّت بـــــه جـــانباً مـــثلما	بـــــها عـــــزَّ جـــانبه أن يـــذلّْ
فأهـــلاً بـــه اليـــوم مـــن قـــادمٍ	بـــــه نـــقعت زفـــرات الغُـــللْ
أتـــــى والقـــــرين له صـــــنوه	ونـــــعم القـــرين الذي لايـــملّْ
مَـــن ابـــتسم العـــصر أُنســـاً بـــه	ووجـــه المســـرَّة فـــيه اســـتهلّْ
وعـــمَّ الهـــنا عـــاملاً مـــنذ حـــلّ	بـــها والعـــنا فـــيه عـــنها ارتـــحلْ
هـــو الكـــامل الفـــذّ أعـــني الشـ	ـريف ومن حلّ في المجد أسمى محلّْ
ومـــن ألفت مـــنه بكـــر العُـــلى	فـــتى لم تـــرد عـــن عـــلاه بـــدلْ
حـــــليف الكـــمال وربّ المـــعا	لي وغـــمر النـــوال وإن لم يُســـلْ
عـــطير الثـــناء ومـــهوى الرجـــا	ء وزاكـــي الســـناء وزاد المُـــقِلّْ
بـــه الفـــضل يـــزهو لنـــا زاهـــراً	ونـــور الهـــداية فـــيه اكـــتملْ
له هـــــمّة هـــمّها فـــي العُـــلى	عـــلى عـــزمة مـــا ثـــناها كســـلْ
وحـــلمٌ رزيـــن الحـــجى راســـخ	وفـــــضل بـــفضل رداه اشـــتملْ
تشـــــاغل إلّا عـــــن المكـــرما	ت وكسب المـــحامد لم يشـــتغلْ
له اللّـــه مـــن قـــادم أثـــلج الصـ	ـدور هـــــناً وأقـــــرّ المـــقلّْ

إلى أن قال:

فـــقل لأكـــفّ الهـــنا صـــافحي	أكـــفّاً تَـــزاحَـــمُ فـــيها القُـــبلْ
مـــن المســـتطيل عـــلى النـــيّرا	ت عُليّ حظّ دون مداه زحـــلْ
زعيم الهـــدى والنـــدى يـــوسف	ومهوى ركاب الرجـــا والأمـــلْ
عـــماد الشـــريعة ذخـــر الهـــدى	وعـــزُّ الشـــريعة[1] أمْـــنُ الوجـــلْ
فـــيا خـــلف الغـــرّ مـــن هـــاشمٍ	ومن هـــو فـــيها الأعـــزّ الأجـــلّْ

١. في «خ»: «العشيرة».

إليك التهاني تهادى وفي ... فِنائك ذا وفدُها قد نزلْ
فقم واقتبل سعد هذا الزما ... ن فسعد الزمان عليك اقتبلْ
تهنّ بشبليك عمر المدى ... فإنّ الهنا بهما قد شملْ
بفضلهما شهدت للورى ... أُولو الفضل من هم مدار العملْ
فكونوا جميعاً ملاذ الورى ... وربع علاكم خصيب خضلْ

وهاك شذرة من قصيدة الشريف الجليل السيّد أحمد بن السيّد محسن قنديل الموسوي[1]:

أوَجهك وضّاح أم البدر كاملُ ... وقدّك ميّاس أم الغصن مائلُ
وثغرك[2] أم ليل الدجنة فاحم ... وتلك لحاظ أم سهام قواتلُ

إلى أن يقول متخلّصاً:

إليك اغتدى يعزى الجمال جميعه ... إذا ما جرى بين الحسان التفاضلُ
كما أصبحت تعزى لخير بني الورى ... إمام الهدى عبدالحسين الفضائلُ
فتى المجد يزهو[3] به المجد والعُلى ... ومن باسمه تسري وتحدو القوافلُ
منار هدىً يهدي المضلّين نوره ... وبحر له المعروف والبحر[4] ساحلُ
سما للعُلى شأواً فحلّق رفعةً ... ونال مقاماً شامخاً لا يطاولُ
وأجهد في كسب المفاخر نفسه ... إلى أن صفا[5] منها لديه المناهلُ
وأحرز منها غاية السبق وانثنى ... تشير إلى علياه منّا الأناملُ
أُقيمت له فوق السماك مراتب ... وشيدت له فوق الضُراح منازلُ

---

١. كان من أهل الفضيلة والتحصيل، كاملاً أديباً شاعراً. ولد سنة ١٢٩٠ وتخرّج من مدرسة شقراء على رئيسها العلّامة الفقيه الحجّة السيّد عليّ محمود ﷺ وكان من أخصّائه ومقرّبيه، توفّي في بلده برج قلوية سنة ١٣٢٥. «ع»

٢. في «خ»: «وشعرك».

٣. في «خ»: «من يزهو».

٤. في «خ»: «الفضل».

٥. في «خ»: «صفت».

بدا بسماء الفضل بدر هداية ... وأشرق في أُفق العلى وهو كاملُ
أطلَّ على أُفق الشآم بطلعة ... هي الشمس لكنّ الشموس أوافلُ
به نَعم القطر العراقي وازدهى ... ألا فانعمي عيناً به اليوم عاملُ
لقد حلَّ فيها للشريعة كافلاً ... ومن ذا سواه للشريعة كافلُ؟

إلى أن قال:

وإن حارت الآراء يوماً بمشكل ... وطال بها بين الأنام التناضلُ
رماه بفكر عن سنا الحقّ سافر ... ورأي سديد لا يدانيه باطلُ
لقد فاق بالفضل الأواخر كلّهم ... وجاء بما لم تستطعه الأوائلُ
له خلق يحكي الرياض وراحةٌ ... بها يخصب العافون إن عمّ ماحلُ
جرى سالكاً منهاجه[1] خير ماجدٍ ... لكسب العلى الغرّاء[2] ندب حلاحلُ[3]
أخو المجد مصباح الهدى صنوه الذي ... له أذعنت أهل النهى والأفاضلُ
لقد أحرز الفضل المؤثل يافعاً ... وزفّت من العليا إليه العقائلُ
وللّه خلق كالرياض لطافةً ... وطبع يحاكيه الصبا والشمائلُ
وحلم يطيش الراسيات رزانة ... وكفّ حكت غيث السما وهو هاطلُ
وهديٌ جلا ليل الضلال بنوره ... وثاقب فكرٍ فيه تُجلى المشاكلُ
به أضحت العليا ترنخ[4] عطفها ... سروراً وفيه الدهر والمجد جاذلُ
فيا ألسن البشرى انشري صحف الهنا ... بمن فيهما الأيّام فخراً تباهلُ
وهنّي إمام الناس طرّاً أباهما ... أبا الفضل من تعزّى إليه الفضائلُ
زعيم بني فهرٍ وخير بني الورى ... إذا عدّدت يوماً بنيها القبائلُ

---

١. في مصححة «أ»: «مناهجه».
٢. في «أ» و«خ»: «المعالي الغرّ».
٣. في «أ»: «حلائل».
٤. في «خ»: «ترنح».

فــتىً عــرقت فــيه نــزار وهــاشم — وقــد أنــجبته للــمعالي عــقائلُ
يــحدّث عــن أخـلاقه الروض زاهـياً — كما عن ندى كـفّيه تـحكي الهـواطـلُ
فــيا مـن له فـي النـاس مـجد مـؤثل — ويــا مــن له زجّــى المــقاصد آمـلُ
ليــهنك فــي فـرعيك حـازاً مـن العُـلى — مــقاماً له انـحطّ الأعــالي الأطــاولُ
وتــهنا[١] بــني الدنــيا جـميعاً وتـزدهي — ربــوع المــعالي فــيهما والمــنازلُ
فــدوموا مــدى الأيّـام للـناس مـلجأً — فأنــتم مــلاذ للــورى ومــعاقلُ
ولا زلتــموا غــوث الأنــام وكــهفها — بــبابكم للــوفد تـلقى الرواحــلُ

في شحور

أرادني وليّ النعمة أن أتصدّى ـ وأنا في خدمته ـ للأمور الحسبيّة وسائر الشؤون العامّة، لكن حقّه العظيم فرض عليّ شرعاً وعقلاً أن أكون في خدمته كما كنت في حضنه وأنا طفل لا أمرّ ولا أحلّ، أسوة بكلّ مبذول المقادة له من سواد العامّة.

فكان كلّما حملني على ما أراد أضرع له جنبي استعناءً[٢]، وأتضاءل بين يديه استحياءً، فيرفق بي حناناً منه ورحمةً، وما كنت لأعتاص(١) عليه، ولا لِأتأرّب بين يديه، وإنّما عنت له جبهتي وتصاغرت عنده همّتي، عملاً بما أدّب الله به عباده على لسان عبده ورسوله محمّد بن عبدالله ﷺ، وعلى هذا جرى الأمر بيننا إلى منتهاه، والحمد لله.

زارنا المؤمنون من أهل صور، وكان لهم من قبل اتّصال بوليّ النعمة، فرغبوا إليه في أن أكون بين ظهرانيهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورعاية الدين ونشر أحكامه.

---

(١) يقال: اعتاص عليّ في هذا الأمر إذا تشدّد عليك في ماتريده منه[٣].

---

١. في «خ»: «وتهني».
٢. في «خ»: «استعفاءً».
٣. راجع لسان العرب ٧: ٥٩، «ع. و. ص».

ركبوا في ذلك إليه ظهور آمالهم، يزفّون إليه حاجتهم هذه، متوسّلين بما أوجب اللّه تعالى على كلّ من نفر للتفقّه في الدين من انذار قومه إذا رجع إليهم لعلّهم يحذرون.

فعُني ـ أعلى اللّه مقامه ـ بأمرهم، واهتمّ بشأنهم، وأمكنهم من بغيتهم. فرجعوا عنه بنجح الحاجة، يعطّرون المجالس بذكره، ويخطبون في المحافل بشكره.

في صور

أتيناها منتصف ذي الحجّة سنة ١٣٢٥، وألقينا فيها العصا متوكّلين على اللّه عزّ وجلّ، وقد أنزلنا بعض المؤمنين المخلصين(١) داره، وكان قد أخلاها لنا. فإذا هي وادي الندى، ونجعة المكارم، ثمّ تحوّلنا بعدها إلى الدار التي لا تزال في أيدينا(٢).

أثر مجيئنا

وبحلولنا انتظمت أُلفة المؤمنين، فإذا هم كأنجم الثريّا[١]، وكانوا قبل كبنات نعش[٢] قد سعى بينهم متزعموهم عملاً بالقاعدة الاقطاعيّة «فرّق تسد» لكنّ اللّه ـ سبحانه ـ لمّ

(١) هو العبد الصالح الحاجّ محمّد بن العبد الصالح الحاج حسين بحسون رحمه الله.

(٢) وذلك يوم الغدير سنة ١٣٣٢، فإذا هي دار واسعة الأرجاء، محكمة البناء، مرتّبة في وضعها ومحاسنها على أكمل هندسة، تحوطها جنينة من جميع نواحيها، تجري المياه في خلالها، استقلّ بهذه الحسنة نفر يسير من مخلصي المؤمنين، اشتركوا بها متنافسين فيها ـ من غير أن يشعر بهم أحد ـ حتّى تحوّلنا إليها على بركة اللّه تعالى فجزاهم اللّه عنّا خير جزاء المحسنين.

١. أي مجتمعون. راجع لسان العرب ١٤: ١١٢، «ث. ر. ا».

٢. أي متفرّقون. راجع لسان العرب ٦: ٣٥٥، «ن. ع. ش».

شعثهم ملتفّين بي إخواناً، يتعاونون على البرّ والتقوى وطاعة اللّه ـ سبحانه ـ في مـا أمرهم به ونهاهم عنه.

لم يكن في صور مسجد يخوّلهم عقد الجماعة فيه(١)، ولا محلّ معدّ لاجتماعهم عند الاقتضاء، فكنّا نعقد الجماعة في الفرائض اليوميّة، ونلقي الدروس الدينيّة وما إليها في الباحات من بيوت بعض المؤمنين.

وكان أُولو الباحات يتنافسون في دعوتنا، ويتشاحّون حتّى تشادّوا، فكان الفصل بينهم أن نستقصيهم مبتدئين بالأقرب منهم فالأقرب، فعلنا ذلك في دورات عـديدة، فاشتدّ الوئام، وكثر الازدحام، حتّى اكتظّت الأندية بالمحتشدين، فلا تندوهم النوادي.

ابتداء النهضة

وحينئذٍ دعوت وجوههم فاستصرختهم برفق، وشكوت إليهم بثّي وحزني ومصيبتي بما أنّا لا جامعة لنا، ولا مجمع، ولا جماعة، ولا جمعيّة، ولا جمعة، ولا عيد، ولا أذان، ولا عنوان، ولا مدرسة، ولا، ولا. يدخل الأجنبي صور وهي عنوان الإماميّة في البلاد العامليّة فلا يحسُّ منهم بأحد، ولا يسمع لهم ركزاً، يراهم ـ وهم الأكثريّة ـ في معزل عن المسجد الحافل بغيرهم من المسلمين، ويجدهم نائين عن منارته الآهلة بغيرهم تكبيراً للّه، وتوحيداً له، ودعوةً إلى عبادته عزّوجلّ، حتّى كأنّهم ـ والعياذ باللّه ـ ليسوا من هذه الأُمّة، ولا هم من مشاعرها في شيء، ويرى النصارى على اختـلافهم فـي

(١) لم يكن في صور من قبل سوى مسجد واحد من آثار الوائليّين ـ زعماء الشيعة في عاملة ـ كانوا أنشؤوه، وأنشؤوا له أوقافاً تقوم بمهمّاته ولوازمه، لكنّ الحكومة العثمانيّة ضمّته بـعد ذلك بأوقافه إلى إدارة الأوقاف، وعيّنت له من غير الشيعة إماماً وخطيباً ومؤذّناً وخادماً، وأقصت عنه الشيعة فكانوا مسلوبي الحرّيّة المذهبيّة فيه إن صلّوا أو توضّؤوا، وكثيراً ما كانوا يؤذون ويطردون.

المذاهب المسيحيّة ـ من كثالكة وموارنة وأرثوذكس وبروتستانت ـ متنافسين في إشادة معابدهم وزخرفتها أدياراً ممرّدةً، وكنائس فخمةً، ترنُّ نواقيسها، فتملأ الأُفق برجع صداها، ونحن ـ من دون الأُمم ـ صمّ بكم لا منائر ولا شعائر ولا منابر، كأنّنا ـ لا سمح اللّه ـ لا دين، ولا مذهب، ولا حميّة، ولا نفسيّة، ولا دم ولا عرق ينبض.

أُطلت القول في ذلك، وامتدّ بي نفس الكلام عملاً بمقتضى تلك الأحوال، راغباً إليهم في اتّخاذ مسجد يجمعهم على عبادة اللّه تعالى، ويطلق عنهم ربقة هذا الخمول، فإذا المتنفّذون يستخفّونني عن رأيي(١)، ويستفزّونني عن عزمي، فنفضت يدي منهم، وعلمت أنّي إنّما أستصرخ منهم غير مصرخ، وأشتكي منهم إلى غير مُشكي، لكن عزيمتي لم تفشل، ومريرتي لم تُسحل، وكأنّ أُولئك المترعّمين قد صقلوا ـ بصدودهم عنّا ـ أذهان المخلصين، فجلوا عنها صدى الفتور، فما خنست بعدها لهم همّة، ولا انقبض لهم ذرع.



الحسينيّة

حتّى تبرّع أحدهم(٢) بداره مجمعاً للطائفة، ومثابةً لها أوقات الفرائض الخمس وعند كلّ اقتضاء، فتقبّلتها منه بثمنها ـ مائتي ليرة عثمانيّة ذهباً ـ ألزمته بقبضها، رفقاً بحاله وعياله.

ووقفت الدار في سبيل ما يرجى عوده بالروح على روح سيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء عليه السلام : ﴿ثَواباً مِنْ عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسنُ الثَّوابِ﴾[1]، ونسبتها إليه ـ صلوات اللّه وسلامه عليه ـ فدعوناها الحسينيّة، وشرعنا بعبادة اللّه ـ تعالى ـ فيها

(١) أي يلزمونني عمّا كنت عليه من الصواب، ومعنى يستخفّونني: يحملونني على الخفّة وترك الأناة والتثبّت.

(٢) هو الحاجّ سليمان الرز رحمه الله.

١. آل عمران (٣): ١٩٥.

يوم الغدير سنة ١٣٢٦، فكانت مثابة الوفاد، ونجعة الروّاد، إحدى وعشرين سنة(١).

وكنّا طيلة هذه المدّة نتيمّمها بدلاً عن المسجد في كلّ ما يشغله من أنواع العبادة(٢).

ونتيمّمها بدلاً عن دار الندوة في كلّ ما يعقد وينقض من أُمورنا العامّة، ونتيمّمها بدلاً عن محكمة تُصدر الحكم بما أنزل الله ـ تعالى ـ في كلّ مرافعة بين المؤمنين.

ونتيمّمها بدلاً عن مدرسة حافلة بالعوام يتلقّون فيها ما هو محلّ ابتلائهم من أُصول الدين وفروعه، وما إليه من آيةٍ وسنّة وحكمة وموعظة.

ونتيمّمها أيّام المواسم لأداء المراسم ولاسيّما يوم عاشوراء وسائر أيّام المحرّم الحرام ولياليه، وخصوصاً العشر الأُوَل منه، ويوم المولد النبوي، ويوم الغدير العلوي؛ إذ يهرع إلينا المؤمنون من نواحي الجبل العاملي.



المسجد

بلغنا بالحسينيّة بلغتنا من هذه المهمّات كلّها(٣)، غير أنّا لم نحرز بها فضل المسجد، فإنّ ثوابه يعدل مائةً من ثوابها، على أنّها لم تنعشنا من خمول، ولم تربأ بنجمنا عن أُفول، وما كنت لأجتزئ بها، لولا أنّي كنت مع أُولئك المتزعّمين: «كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم»[1]، وقد مُنينا منهم بخبط وشماس، وتلوّن واعتراض، فصبرت على طول المدّة، وشدّة المحنة، أتربّص سانحة الفرصة، وأتتبّع رائد النجح، حتّى شممت مخائل الرجاء، بسخط الوالي العثماني عليهم، واشتغالهم عنّا

(١) حتّى استغنينا عنها بالمسجد الجامع سنة ١٣٤٧.

(٢) ما عدا الاعتكاف فإنّه لا يصحّ فيها.

(٣) وبذلك قال الناس في تأريخها: جاءت بروح شعائر الإيمان. سنة ١٣٢٦.

١. نهج البلاغة: ٢٧، الخطبة ٣.

بأنفسهم، منصرفين إلى تدارك أمرهم معه في بيروت، فانتهزنا تغيّبهم فرصةً لإشادة الجامع، فاخترنا له قطعةً واسعةً من خراب صور تربو على ثلاثة عشر دونماً، من الأرض التي كانت في قبضة الملوك العثمانيّين.

فأبرقت للسلطان محمّد رشاد[1] أستميحها منه للطائفة وقفاً في سبيل البرّ. وما إن أبرق منعماً بالإجابة حتّى أسّسنا الجامع في وسطها على هندسة جامع الجزّار في عكّا.

وما إن فرغنا من قواعده الراسخة من تخوم الأرض إلى سطحها، حتّى مُني العالم بقارعة الحرب العالميّة(١) فاشتغلنا بويلاتها عن كلّ شيء.

ولمّا وضعت الحرب أوزارها(٢) وثاب إلى الناس رشدهم، ثبنا إلى الجامع لنكمّله، فكان أُولئك المتزعّمون لنا بالمرصاد حتّى أغروا الحكومة الإفرنسيّة بنا، فصادرتنا بها متشبّثةً بأنّ تلك القطعة حكمها حكم غيرها من خراب صور ورأس العين وسائر ما كان في أيدي الحكومة العثمانيّة ممّا قد انتقل بانجلائها إلى خلفها المحتلّ بلادها عنوةً، وجحدت كون السلطان محمّد رشاد أقطعنا إيّاها ولم تأبه ببرقيّته الصريحة بذلك، ولا بتصرّفنا بالقطعة على عهده، ولا بما بذلناه في تأسيس الجامع من نقود وجهود.

وركبت ـ في منعها إيّانا عن القطعة ـ متن غرورها، فألجأتنا إلى كفّ أيدينا عنها موقّتاً، فرددنا أنفسنا عن مكروهها، لكنّها استقرّت مطويّةً على إنقاذ القطعة منهم

(١) سنة ١٣٣٢هـ الموافقة لسنة ١٩١٤م.

(٢) سنة ١٣٣٦هـ الموافقة لسنة ١٩١٨م.

١. هو الخامس والثلاثون من سلاطين آل عثمان، ولد سنة ١٢٦٠، وبويع بالسلطنة بعد خلع أخيه عبدالحميد سنة ١٣٢٧، وقد وصفه أكثر المؤرّخين بأنّه كان ضعيف الإرادة، فاتر الهمّة طيّب القلب إلى حدّ البلاهة، فكان سلطاناً بالاسم، ولم يكن له من الأمر شيء، ولا عمل له إلّا توقيع الأوراق التي تعرض عليه طوعاً أو كرهاً، توفّي سنة ١٣٣٦. انتهى ملخّصاً عن تأريخ جبل عامل ص١٨١. «ع»

بالحقّ عند أوّل فرصة، وقد استتبّ لنا ذلك بعد لأي(١) والحمد للّه.

وحين صُدِدنا عن القطعة صِفر الأيدي، صُفر الوجوه، عصفت نخوة الإيمان برؤوس المخلصين، فتبرّع أحدهم(٢) بدار له في الصدر من ساحة البلد، فوقفها مسجداً بمياهها الغزيرة الجارية في خلالها ومرافقها، وشرينا داراً أُخرى إلى جنبها فهدمنا الدارين وأشدنا المسجد هناك على ما هو عليه، وكان الفراغ منه سنة ١٣٤٧، فإذا هو جامع واسع قد ارتفع عن البلد بارتفاع أرضه، وعلا عليه بعلوّ سمائه، رحب الفناء، محكم البناء، يقوم على عشر قواعد أساسيّة محيطة بحرمه، وعمودين أساسيّين في وسط الحرم عاليين أثريّين، انتزعناهما من آثار الجبابرة الغابرة الفينيقيّين، تعلوهما قبّتان رائعتان، يكتنفهما من حرم المسجد عقدان غربيّان، وعقدان شرقيّان في أتقن صنع وأحسنها.

والجامع يقع بين رواقين ـ إيوانين ـ عاليين سمكاً، رحبين طولاً وعرضاً، رواق إلى الجنوب، ورواق إلى الشمال يروقان الناظرين، ينظر الناظر إليهما فيظنّ أنّهما من أجزاء الحرم نفسه، ترسو في الشمال منهما المنارة طامحة الرأس، شامخة العرنين، تكبّر اللّه بكمال صنعها، وتوحّده بجمال وضعها، وتنادي ﴿لِدُلُوكِ الشَّمسِ إلى غَسَقِ الَّليلِ وَقُرآنَ الفَجرِ﴾[1]. بأعلى صوتها: حيَّ على خير العمل، حيَّ على خير العمل. وقد استقلّ بنفقات بنائها بعض الشباب الغُيُر(٣) مندفعاً إلى ذلك بسعة ذرعه، وشهامة طبعه.

---

(١) أي شدّة[2].

(٢) هو الحاجّ حسين بن جعفر وحيد ﷺ.

(٣) هو الشابّ المهذّب عليّ أفندي فرحات أسّسها من تخوم الماء بأحكم البنيان المرصوص فإذا هي قليلة النظير في صنعها، متوحّدة في كثير من خواصّها، أنفق في سبيلها ما يربو على الثلاثمائة ليرة عثمانيّة ذهباً. بناها في شهر رمضان سنة ١٣٤٩ بعد بناء المسجد بسنتين.

---

١. الإسراء (١٧): ٧٨.

٢. راجع المعجم الوسيط: ٨١١، «ل. أ. ي».

فحيّا اللّه المخلصين من إخواني في اللّه ـ تعالى ـ تعاونوا على بنائه، ثمّ عمروه بفرائض اللّه ـ عزّ وجلّ ـ ونوافله، وتلاوة كتابه، ﴿يَدعُون رَبَّهُم بِالغَداةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجهَهُ﴾[١] بيّض اللّه وجوههم.

أثر المسجد ومنبره

أنعش اللّه مؤمني صور بهذا المسجد، ورفع به صوتهم يدوّي في أوساط عاملة، وفاح عرفهم يتضوّع في طول البلاد وعرضها، فتتابع إليهم فيكلّ جمعة إخوانهم من أهل القرى العامليّة، ﴿وَهُم مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾[٢] يهرعون للعبادة وللاستفادة، ولتعظيم الشعائر، مبتهجين بمظاهرهم في شعائرهم، وبما يصدع به منبرهم من حقائق ودقائق، لا تأخذ المنبر فيها سطوة ولا يهاب فيها قوّة.

فإذا آيات الحقّ محكمة، وإذا صحاحه مسلّمة، وإذا دلائله ـ من العقل والنقل ومن الطبع والوضع ـ ناطقة، وإذا شواهده ـ من الدين والايمان ومن الحسّ والوجدان ومن السنّة والقرآن ـ صادقة. وإذا وجه اليقين يجلو بنوره كلّ ظلمة، فلا شكّ هناك ولا شبهة، ولا مرية والحمد للّه ولا امتراء، ﴿وَقُل جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقاً﴾[٣]؛ وذلك من أثر المسجد ومنبره، الذي فرض للحقّ وذويه مهابةً، وقرت في صدور مخالفيه.

وكم للمنبر من أثر ذي خطر، عظم وقعه، وعمّ نفعه!

وحسبك من آثاره المدرسة والنادي الجعفريّان، ومسجدهما المعمور، ومعاهد ومعابد أُخر، وصدقات جارية، ووجوه من البرّ والاصلاح مختلفة.

---

١. الأنعام (٦): ٥٢.
٢. الأنبياء (٢١): ٩٦.
٣. الإسراء (١٧): ٨١.

المعهد العلمي وشرف العلم والحضّ عليه

كنت من بعيد أُفكّر في إنشاء معهد علمي يضمن تربية أبنائنا تربيةً مستقلّةً بأخلاقها الإسلاميّة، وأهدافها الإماميّة، ومُثُلِها العُليا تحمل من المعارف ما تفرضه المعاهد العصريّة، وتمتاز بالروح المقدّسة المحمّديّة، والحفيظة العربيّة الهاشميّة المستقلّة، وتلك هي القوّة المعنويّة المرجوّة للفتح المبين، والبعث الجديد.

فإنّ للعلم سلطاناً امتدّت دولته على طول الزمان، محكمة الأُصول، نافذة القول، تشرق على الأرض متلألئة الأضواء، مضمخة الأرجاء بعصارات العقول، وخلاصات القلوب، فتضيء بسناها النفوس، وتضوع بشذاها الرؤوس، ويذكو برهافتها الحسّ، ويتخرّج من معاقلها أبطال الفضيلة ورجال الإصلاح من حملة الألوية الخفّاقة، وقادة الرأي الحصيف، يريشون الجناح المهيض، ويرفعون المستوى الخفيض، قُدماً في مدارج الكمال، وتوقّلاً في معارج الرقي إلى حياة منعّمة ﴿لا لَغوٌ فيها وَلا تَأثيمٌ﴾[1].

فالعلم نواة الحضارات، وهو حظّها في القوّة والظفر والحياة، وهو نفسه قياسها في التقدّم والتأخّر، والحكم والسيطرة، والسعادة والبؤس.

ولئن اختلفت مظاهر الحياة، وظواهر الاجتماعات باختلاف العصور وتباين البيئآت، فإنّ العلم بجوهره واحد في وجوبه وضرورته، يسعى إليه أُولو الألباب، ويؤثرونه في كلّ عصر، وتحت كلّ أُفق.

وأنتم لن تجدوا ديناً يفهم من أسرار العلم ما يفهمه الإسلام الحنيف، ولا تعاليم تأخذ

---

١. الطور (٥٢): ٢٣.

بالأعناق إليه كتعاليم الكتاب والسنّة ﴿هَل يَستَوي الأعمى وَالبَصير أم هَل تَستَوي الظُّلُماتُ وَالنُّورُ﴾[١]، ﴿هَل يَستَوي الَّذينَ يَعلَمُونَ وَالَّذينَ لا يَعلَمُونَ إنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُو الألباب﴾[٢]، ﴿مَثَلُ الفَريقَينِ كَالأعمى وَالأصَمِّ وَالبَصيرِ وَالسَّميعِ هَل يَستَويانِ مَثَلاً﴾[٣]، ﴿أفَمَن يَمشي مُكِبّاً عَلى وَجهِهِ أهدى أمَّنْ يَمشي سَوِيّاً عَلى صِراطٍ مُستَقيمٍ﴾[٤]، ﴿إنَّما يَخشَى اللّهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ﴾[٥]، ﴿وَتِلكَ الأمثالُ نَضرِبُها لِلنّاسِ وَما يَعقِلُها إلّا العالِمُونَ﴾[٦]، إلى كثير من أمثال هذه الآيات البيّنات.

وحسبنا من السنّة قوله ﷺ : «تعلّموا العلم فإنّ تعلُّمَهُ للّه خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو المونس[٧] في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدّث في الخلوة، والدليل على السرّاء والضرّاء، والسلاح على الأعداء، يرفع اللّه به أقواماً فيجعلهم في الخير قادةً، تقتبس[٨] آثارهم، ويقتدىٰ بفعالهم، وينتهى إلى رأيهم»[٩]. الحديث(١).

(١) تجده بإسناده في كتاب المعالم لمؤلّفه الإمام المحقّق الشيخ حسن، خلف الشهيد الثاني أعلى اللّه مقامهما[١٠].

١. الرعد (١٣): ١٦.
٢. الزمر (٣٩): ٩.
٣. هود (١١): ٢٤.
٤. الملك (٦٧): ٢٢.
٥. فاطر (٣٥): ٢٨.
٦. العنكبوت (٢٩): ٤٣.
٧. في «أ»: «الآنس».
٨. ما أثبتناه من الأمالي والبحار، ولكن في الأصل و«أ» و«خ»: «تُقتصّ» بدل «تقتبس».
٩. الأمالي للطوسي: ٤٨٧، ح٦٩ ـ ١٠٦٩/٣٨، و٥٦٩ ح١١٧٦/٢؛ بحار الأنوار: ١: ١٧١، ح٢٤؛ الترغيب والترهيب ١: ٩٤ ـ ٩٥، ح٨ مع تفاوت يسير.
١٠. معالم الأصول: ١٢؛ معالم الفقه ١: ٦٩؛ منية المريد: ١٠٨ ـ ١٠٩.

وفيه ما يأخذ بالنفس شوقاً وانقياداً إلى ارتياد المناهل العلميّة.

وعنه ﷺ: «اطلب العلم ولو بالصين»[١] والصين هنا كناية عن كلّ مكان بعيد تُزَمُّ إليه الركائب بين شدائد الترحال، ومكاره الأسفار.

وعنه ﷺ: «اطلب العلم من المهد إلى اللحد»[٢] وهذا كناية عن قصر العمر عليه، واستفراغه فيه.

وعنه ﷺ: «طلب العلم فريضة»[٣]، «وبين العالم والعابد مائة درجة، بين كلّ درجتين حُضْر(١) الجواد المضمر سبعين سنة»[٤] و«ما تصدّق الناس بصدقة مثل علم ينشر»[٥] و«خيركم من تعلّم العلم وعلّم الناس»[٦].

إلى غير ذلك ممّا هو مأثور عنه ﷺ من هذه الأوامر السامية التي بلغ المسلمون على ضوئها أبعد أشواط الحضارة والرقي والسياسة، فملكوا أزمّة الدنيا العلميّة، وعمروا حتّى مجاهل الأرض بملكهم السياسي العتيد، وكذلك العلم يفعل.

---

(١) الحضر ارتفاع الفرس في عدوه[٧].

---

١. منية المريد: ١٠٣؛ بحار الأنوار ١: ١٧٧، ح ٥٥؛ كنز العمّال ١٠: ١٣٨، ح ٢٨٦٩٧ـ٢٨٦٩٨.

٢. نهج الفصاحة: ٦٤، ح ٣٢٧.

٣. الكافي ١: ٣٠، باب فرض العلم ووجوب...، ح ٢؛ منية المريد: ٩٩؛ بحار الأنوار ١: ١٧٢، ح ٢٥ ـ ٢٩؛ الترغيب والترهيب ١: ٩٦، ح ١٠.

٤. منية المريد: ١٠٠؛ الترغيب والترهيب ١: ١٠٢، ح ٣٦؛ بحار الأنوار ٢: ٢٤، ح ٧٢، و ٢٣: ٢٦١، ح ٨؛ في المصادر: «فضل العالم على العابد سبعين درجة».

٥. منية المريد: ١٠٥؛ الترغيب والترهيب ١: ١١٩، ح ٣.

٦. لم نعثر عليه بهذه العبارة، ولكن وجدنا بهذا اللفظ: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه» راجع الترغيب والترهيب ٢: ٣٤٢، ح ١. ورواه عن البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة فراجع.

٧. راجع المعجم الوسيط: ١٨١، «ح. ض. ر».

خطر المعاهد المسمومة

ولمّا هدأت تلك الفورة الراغية المزبدة، وانكدرت سماء المسلمين والعرب وغيّروا ما بأنفسهم غيّر اللّه بهم، فعاث الغاشمون بكتبهم ومكتباتهم المؤثّلة بأنفس الأسرار، وراحت الأمم المغيرة تتصرّف بمقدّراتهم ومقدّساتهم.

ودهمنا الغرب بخيله ورجله، وأناخ بكلكله، وضرب بجرانه، فاستحوذ علينا دخولاً في مدارسه، وإصغاءً إلى وساوسه.

فاندفعنا نزجّ بأفلاذ أكبادنا إلى أحضانه، تحوطهم طوائف منه، أو من حملة مبادئه بالحضانة واللقانة، حتّى إذا خرج الفوج الأوّل من شبّان الجيل المأمول، علمنا أنّ الخسارة أكبر من الربح، والإثم أكبر من المنفعة، ولو فرضنا أنّ أولادنا قد غنموا بعض الثروة من قيمة الحياة الحاضرة، فإنّا قد خسرنا فيهم الروح الشريفة، والمبدأ الحقّ، والأخلاق الإسلاميّة، والإخلاص الواجب، وجهّزنا منهم سلاحاً يصيب نحورنا، ويفري غلاصمنا، فكنّا فيتعليمهم هذه المعارف المسمومة كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه بكفّه، فالجهل أقلّ ضرراً من هذه المعارف الموبوءة.

وفي الحقّ لقد خُدعت أُمّتنا بأوهام من الغرور باطلةً، حيث أرادت استرجاع مجدها بتعليم ناشئتها فدفعتهم إلى أحضان هذه المدارس التي لم تتأسّس في الشرق إلّا للاستيلاء عليه بجميع ما فيه من دنيا أو دين فأخّرتهم ضرراً لا يتدارك، وأضاعت مجدها على وجه آخر، هو أتقن وأبرع وأشدّ وأفضع؛ إذ تخرّجوا جنوداً علينا وعلى مقدّسات مبادئنا، وتلك مصيبة ما مُني الإسلام والشرق بمثلها، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون!

المدرسة الجعفريّة وترويض الصعاب[١] في سبيلها

كنّا نشهد المتخرّجين من تلك المعاهد المسمومة فنضيق ذرعاً، وينزل بنا منهم همّ مُقِضّ، وألم مسهِّد، فنأرق على مضض السليم ـ كليلة ذي العائر الأرمد ـ ومن الطبيعي أن ينتج الفكر لنا راحةً تضمن ما نصبوا إليه من متاع في علم يُرجعُ لنا اليقظة التي بُني عليها تأريخنا المجيد. وفي مصارعة هذا التيار أوحى إلينا الواجب الديني أن نقوم بتأسيس المدرسة الجعفريّة على الشرط الذي كنّا نفكّر فيه من بعيد، فأمضيت نيّتي على ذلك متوكّلاً على اللّه ـ عزّ وجلّ ـ فإيّاه نعبد وإيّاه نستعين.

ثمّ صمدت بهذه المهمّة إلى نفر من أهل الإخلاص والحفيظة من إخواني في صور، ففزعت فيها إليهم بكلّ رجاء، فخفّوا إلى مبتغاي، وصَدَقوني السعي وراء المهمّة.

وكان الفرنسيّون يومئذٍ يخطبون ودّنا بواسطة ممثّلهم في الجنوب وكان ممثّلهم يعمل على ذلك لينسينا سيّئآتهم معنا، وكنّا نحن إذ ذاك نلقاهم على حرف[٢]، فأوعزوا إلينا أن نؤسّس المعهد في القطعة الرشاديّة التي كانوا كفّوا أيدينا عنها، فأسرعنا فوراً بكلّ همّة وكلّ نشاط إلى عقد ستّة مخازن بطرفها الشمالي[٣] صفّاً واحداً جاءت من

(١) الصعاب: جمع الصعب من الدواب[1]، وراض الدابّة يروضها روضاً إذا ذلّلها وعلّمها السير[2].

(٢) أي نلقاهم في السرّاء دون الضرّاء.

(٣) وكانت كثبان الرمال هناك ممتدّةً متعاليةً في طول الأرض وعرضها، فلاقينا في إزالتها جهداً شديداً، اشترك فيه معنا أهل القرى المجاورة لصور كلّها متنافسين تنافساً برهنوا به على أنّ همم الرجال تزيل الجبال، فجزاهم اللّه خير الجزاء.

١. راجع المعجم الوسيط: ٥١٤ «ص. ع. ب».

٢. راجع لسان العرب ٧: ١٦٤، «ر. و. ض».

أضخم المخازن التجاريّة، طولاً وعرضاً وعلوّاً، أمامها إيوان يسامتها طولاً وسمكاً.

وما كدنا نفرغ من بنائها كي يعلوها المعهد حتّى لجأ المعارضون إلى المستشار الفرنسي في الجنوب، وهو واسع البلعوم، شَرِه بالرشا، فغلّ أيدينا عن القطعة، وسعى إلى المفوّضيّة الإفرنسيّة سعايته التي حمله المعارضون عليها، فوقانا اللّه شرّها ـ والحمد للّه ـ وصبرنا على المحنة حتّى ذهب إلى حيث ألقت رحلها[١].

فراجعت بعده السلطة المستعمرة، وراودتها بالأمر مراراً، فكانت النتيجة ـ بعد اللُّتيّا والتي ـ تخييري بين هدم ما بنيناه من المخازن وغيرها، أو دفع خمسين ليرةً عثمانيّةً ذهباً ثمن أرضه، البالغة تسعمائة وثمانية وأربعين متراً مربّعاً فقط[٢]، وأعلنوا إنذاري بذلك، فاضطررت إلى دفع المبلغ لخزينة الدولة في بيروت، وأخذت به وصلاً رسميّاً[٣]، واستلمت سند التمليك[٤] لتلك الأرض بما فيها، وتشدّدوا يومئذٍ بمنعنا عمّا زاد على ذلك المقدار من القطعة[٥]، فامتنعنا مضمرين إنقاذها منهم بعون اللّه ـ تعالى ـ

(١) يقولون: إلى حيث ألقت رحلها أمّ قشعم فيريدون المنيّة[١]، وقيل إنّ أمّ قشعم كنية ناقة نفرت فرّت على نار عظيمة فأجفلت فألقت رحلها في النار واستمرّت في عدوها، فصار ذلك مثلاً للذاهب الذي يُدعى عليه بالسوء، كناية عن ذهابه إلى النار وحيث إنّ الرجل مات وذهب إلى النار فلا جرم كان محلاً لهذا المثل بعنييه.

(٢) دون ماسواها من القطعة الرشاديّة.

(٣) موقعاً عليه من أمين الخزينة وأمين الصندوق كليهما، تأريخه ١٢ فبراير سنة ١٩٣٥م، ورقم تسلسله ٢٢٤١٤، ورقم إيصاله ١٣/١٤.

(٤) ورقمه ١٢١ حيث كان قبل المساحة، أمّا بعدها فقد مسحناه وقفاً على الطائفة، وأخذنا سنداً بوقفيّته من الدوائر العقاريّة رقم ٩٤٢.

(٥) أي قطعة الوقف الرشاديّة التي كنّا أسّسنا فيها الجامع على هندسة جامع الجزّار في عكّا.

١. راجع لسان العرب ١٢: ٤٨٥، «ق. ش. ع. م».

ولو بعد حين(١). وحينئذٍ سجّلت المخازن الستّة وإيوانها، وسائر ما إليها من أرض وهواء وماء وقفاً على الطائفة، كما هو في المحضر رقم ٩٤٢ من عقارات صور، وبنينا الطابق العُلوي، فجعلنا فيه المدرسة والنادي الجعفريّين. وهنا قامت قيامة أولئك المعارضين ﴿وَهَمُّوا بِما لَم يَنالُوا﴾[١]، وكانت محاكمات أظهر اللّه بها الحقّ في المحكمة العقاريّة في صور(٢)، ثمّ في محكمة بداية الجنوب في صيدا(٣)، وكتب اللّه لنا النصر عليهم في المحكمتين ـ والحقّ يعلو ـ وتسجّل العقار محكوماً بوقفيّته في كلّ منهما، كما تسجّل وقفاً على الطائفة في محكمة شرعيّة صور(٤).

أمّا بقيّة القطعة فقد تيسّر بعون اللّه ـ تعالى ـ لنا إنقاذها في يوم ٢٤ تشرين الأوّل سنة ١٩٣٥م؛ إذ جرت المساحة العقاريّة فسجّلتها لجنة المساحة بحدودها وقفاً على الطائفة الشيعيّة تحت توليتي ـ كما تراه في محضرها رقم ٩٤٣ ـ وهذا ما أقام المعارضين وأقعدهم، يجلبون علينا بخيلهم ورجلهم(٥)، فإذا أنا وهم على حدّ قول القائل:

أُريد حياته[٢] ويريد قتلي　　　عذيرك من خليلك من مُرادِ[٣]

---

(١) وقد يسّر اللّه لنا ذلك فيما بعد كما ستسمعه قريباً.

(٢) وقد انتهت المحاكمة فيها بالحكم لنا يوم الجمعة ٢٦ حزيران سنة ١٩٣٦م.

(٣) وقد انتهت المحاكمة فيها بالحكم لنا أيضاً يوم ٢٦ نيسان سنة ١٩٣٩م.

(٤) وذلك يوم ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٣٢م، فليراجع عند الاقتضاء سجل الأوقاف لا سجل المحاكمات.

(٥) لكن رئيس لجنة المساحة وهو الخواجة جورج شمعون كان من أُولي القوّة والبأس الشديد، وكان له مع الحكومة مكانة الصديق الصدّيق الناصح، فكانت لا تنقض ما يبرم، ولا تبرم ما ينقض.

---

١. التوبة (٩): ٧٤.

٢. في المصدرين: «حِباءه» بدل «حياته». والحِباء: ما يحبو به الرجل صاحبه ويُكرمه به. راجع المعجم الوسيط: ١٥٤، «ح. ب. ى».

٣. إرشاد المفيد ١: ١٣، وعنه في بحار الأنوار ٤٢: ١٩٣.

وكانت محاكمات استمرّت أكثر من سنتين. وبعدها جاء الحقّ وزهق الباطل والحمد للّه الذي أظفرنا عزّ سلطانه على كلّ مانع، وكسر بين أيدينا كلّ حاجز، وروّض لنا الصعاب، وذلّل العقاب، فوضعنا النواة، ونبتت على بركة اللّه باسقةً نضرةً، ولئن نبت النبات الطيّب في الربيع، فإنّ اللّه ـ تعالى ـ أنبت نواتنا ـ العبّاقة المضواعة ـ آية في الخريف، فإذا هي تتأرّج بالأزهار النفّاحة العطرة في أوّل تشرين الأوّل سنة ١٩٣٨م(١).

وفتحنا أبوابها معهداً علميّاً أسميناه «المدرسة الجعفريّة»، رمزاً للعلم والدين ووسام شرف خالد، فجاءت كما نحبّ ممّا كنّا نأمل من خدمة العلم، وترسيخ المبادئ الإسلاميّة الإماميّة، والحمد للّه وليّ التوفيق.

تبرّعت يومئذ هذه المدرسة بالتربية والتعليم مجّاناً لكلّ من خضع لقانونها من فقير أو غنيّ، وساعدت الفقير بلوازمه المدرسيّة قربة إلى اللّه تعالى: ﴿وَما عِندَ اللّـهِ خَيرٌ لِلأبرارِ﴾[١]، يهيمن عليها مدير قدير معه ثلّة من الأساتذة المهرة، يسلكون في تربية الناشئة أسهل الطرق الحديثة، فإذا التلامذة ـ وهم على الدوام يربون على الثلاث مائة ـ يرتشفون معسول المعارف والأخلاق، ناهلين من نمير الدين والآداب، وهذا ما كنت من أمد بعيد أتوخّاه!

الوفاء لهذه المدرسة

إنّ من الوفاء لهذه المؤسّسة العزيزة ـ المدرسة الجعفريّة ـ أن تنشر من جهادها الصامت صفحةً تدلّ على معناها الذي أقامها على عنت الدهر في سنيها المعصوبة[٢]،

(١) الموافقة لسنة ١٣٥٧هـ.

١. آل عمران (٣): ١٩٨.

٢. المعصوبة: المجتمعة. راجع المعجم الوسيط: ٦٠٣، «ع. ص. ب».

وأمضاها على تكهّم[١] الأيّام، وركزها على تقلقل الناس من حولها، بين جاحدين ومتقلّبين ومحاربين.

ونحن إنّما نريد بهذا الوفاء أن نحكي الواقع من شؤونها الحقّة، ونقرّها من هذا الواقع في مقرّها الحقّ؛ ليعلم ناس أنّ الإيمان وحده ـ وهو سلاحها العتيد ـ عدّة المؤمنين، فلا معوّل إلا عليه، ولا نجاح إلّا به.

وكلّ سلاح بعد الإيمان بالله تعالى سلاح مفلول، وحجّة عوراء، لا يبلغان مأمناً، ولا يصمدان لوثبة، ولينفخ المادّيون في أبواقهم ـ بعدئذٍ ـ ما نفخوا، فهم من مغزى المدرسة الجعفريّة في سبيل يناقضها، يذهبون منه إلى شرفاتها الشامخة معانيَ من صفير الرياح الدارجة، وترسو هي في معاني الخلود الباقية، تمرُّ بها الأعاصير والعواصف، ثمّ تتلاشى مرّةً بعد أُخرى، وهي هي الثابتة ثبوت الحقائق لا تتبدّل.

تجتاز أشواطها والحياة ممتحنة بأشدّ المكاره(١)، وأعوص عقد التأريخ، فتنتهي إلى كمالها الرائع، ولكأنّها تصدر.

وكلّ صعب من هذه الصعاب جند مجنّد لشدّ أزرها.

فلو أنّ جهد المال والناصر، وجهد الزمان والمكان تظافرت على صنع نهايتها المصنوعة لما جاءت بأحسن منها، ولا أتمَّ غايةً؛ لأنّها لم تدّخر لنجاحها جهداً من تلك الجهود، وإنّما اعتمدت على جهد الصدق والإخلاص للّه وحده لتنشئ جيلها المرموق من الصدق والإخلاص للّه وحده.

فإذا أنشأته على شرطها ـ وقد حشدت فيه موادّ الإنشاء ـ فإنّها يومئذٍ غنيّة بفتحها عن كلّ جهد من هذه الجهود المادّيّة التي يلحظها الناس، ويقيسون بها مبادئ الأعمال

(١) بسبب الحروب العالميّة.

١. التكهّم: الشدائد. راجع المعجم الوسيط: ٨٠٣، «ك. هـ. م».

ومعانيها ومدى آثارها، وكأنّ «المدرسة الجعفريّة» حين عارضها المترفون ـ وهي في المهد ـ أرادت أن تكون الدليل على بطلان هذه المقاييس، وأن تنشئ ـ فيما تنشئ ـ مقياساً أدلّ على الفضل وأولى بالاتّباع، وهذا هو القياس المنتزع من الإيمان بـالله، والإخلاص لوجهه ـ تعالى ـ مع قوّة النفس، وصالح العمل.

كذلك شاء الله أن تكون فكانت واحةً لا يضرّها ما يحدق بها ـ في صحرائها ـ من الأجادب والسباخ ولا يعديها.

بل كانت واحةً فيها من كلّ حسن معنى، ومن كلّ عطر شذى، ومن كلّ قوّة مظهر، لم تكتف بسلامتها من محيطها الوبئ حتّى خلعت عليه مطارف الحياة والصحّة.

فجرت في المناقع سلساً دافقاً، وفي الأجادب نماءً وارقاً. وفي السباخ خِصباً خَصباً.

يقول للعين: امتلئي وانعمي.

وللنفس: تزوّدي واغنمي.

وللروح: تسامي وتسنّمي.

ولو لم تكن هكذا لم تكن شيئاً؛ لأنّ معنى وجودها أن تكون كذلك، فإذا لم تكن كذلك تساوى إذاً وجودها وعدمها، لكنّها ـ والحمد لله ـ وازنت بين وجودها وبين مهمّتها التي هي معنى كونها الصحيح، فكانت منسجمةً متوائمةً، وكان أبناؤها في دوراتها المختلفة يبرزون في ميادين الامتحانات العامّة، ويسجّلون لمدرستهم أعلى نسب النجاح، على نحو يلفت إليهم النظر، ويثير فضول الممتحنين وأشباههم، فيسألونهم عن مدرستهم المجلّية السبّاقة.

ولا نحيل ذلك على غيب، فمن شاء فليرجع إلى السجلّات الرسميّة في مظانّها من وزارة المعارف؛ ليضع عينه ويده على حسّ مشهود ولا يدفع فيرى ويلمس أنّها كانت في كلّ خطاها تطّرد في النجاح بكلّ من تقدّمهم للامتحان على نحو منقطع النظير.

غرست هذه المدرسة في نفوس طلّابها المبادئ اللازمة للمسلم الإمامي العربي الذي يبني حياته العامّة على حياته الفرديّة الخاصّة، ويكون من أفراده الصلحاء

مجتمعاً صالحاً. فإذا هم في قابليّة لفهم الحياة على أقوم قواعدها، تربية ذوق، وتهذيب سليقة، وترهيف حسّ، وجلو نظر، وسلامة عقيدة، بطرق قويمة ينتهون منها إلى اختيار حسن، وتفكير مستقيم، وشعور حيّ، وعين يقظى، وإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر متين.

طلّاب المدرسة الجعفريّة معدّون لأن يكونوا بتوفيق الله ـ تعالى ـ رجالاً على هذا الشرط، وفيهم الآن من ذلك بذور نسأل الله ـ تعالى ـ أن تنمو وتُستثمر.

ويومئذ يتوسّطون إن شاء الله تعالى في جيل له رأيه، وله شخصيّته، واستقلاله بنظره.

تلك هي الفكرة المختمرة التي أسّست المدرسة الجعفريّة. ورفعت سمكها، وجهّزتها بأكمل الوسائل الحديثة، فنيّةً وعمرانيّةً وصحيّةً؛ ليتأتّى لنا غرضنا كما نريده صحيحاً لا مغمز فيه بعون الله تعالى.



ناحيتها العمرانيّة

على قارعة طريق الداخل إلى صور والخارج منها تجثم المدرسة الجعفريّة في أجمل المواقع المرتفعة[1]، جثوم المعقل المنيع في بناء منيع محكم كبناء الحصون قوّةً، وجمال كجمال القصور نضارةً.

تقوم هناك رفيعة الهامّ، شامخة العرنين، بعيدة النظر، واسعة الأجواء، تتمتّع بهذا الانطلاق الساحر، في منظر سابح فوق الخضمّ من جنوبها وشمالها، سارح بين قمم الجبال العامليّة، وبطون أوديتها، وفوق أديم السهول الساحليّة الجميلة.

هناك تقوم مدرسة الإمام جعفر الصادق عليه السلام، على أحدث طرز من الهندسة، مؤلّفة ـ في الوقت الحاضر ـ من إحدى عشرة غرفة صحيّة واسعة، وفسحة بينها تزيدها فراهةً ونضارةً، ولابدّ لنا من إنشاء غرف أُخر بمعونة الله تعالى تسع المزدحمين على أبوابها، وما توفيقي إلّا بالله وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

(١) فوق المخازن الستّة وأيوانها الآنفة الذكر.

مسجدها

أنشأنا في الجناح الشرقي من المخازن الستّة وايوانها مسجداً للمدرسة على قارعة الطريق للداخل إلى صور والخارج منها، واسع الفناء، غزير الماء، محكم البناء، تامّ الأدواتِ والمرافق، ينادي التلامذة والأساتذة والمارّة وأهل الحارة: حيَّ على الصلاة حيَّ على الفلاح، حيَّ على خير العمل[١]. وجعلنا سطحه مُعدّاً لبناء سبع غرف للمدرسة في جناحها الشرقي، ترضي رغبتنا في راحة الطلّاب، وتقدّم المشروع إلى أوج الكمال المدرسي بمعونة اللّه ـ تعالى ـ ونحن نأمل بتوفيق اللّه ـ عزّ وجلّ ـ أن تظلَّ سائرةً على سنن النجاح المطّرد إلى جامعة لأنواع الثقافات العالية من العلوم الإسلاميّة وغيرها، على نحو تشدّ إليه الرحال؛ لذلك نحرص أن تكون أرحب المدارس صدراً.

ولا يزال عندنا متّسع من الأرض للبناء والعمران جنوبي هذه المؤسّسة وقفاً للطائفة المسلمة الإماميّة تحت توليتنا، استخلصناها بعد تلك المحاكمات الطويلة الوبيلة التي أشرنا فيما سبق إليها، والحمد للّه الذي نصر عبده، وأنجز وعده[٢]، ولا يزال عندنا متّسع من الطموح إلى التشييد والتعمير سعياً وراء غايتنا المثلى في خدمة يتامى آل محمّد ﷺ، وما توفيقي إلّا باللّه عليه توكّلت وإليه أُنيب.

---

(١) تبرّع بنفقاته معموراً منجوراً مقصوراً الحاجّ أسعد موسى[١] أسعد أجزل اللّه ثوابه.

(٢) إذ قال في محكم كتابه: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنا نَصرُ المُؤمِنِينَ﴾[٢]. ﴿إنّا لَنَنصُرُ رُسُلَنا وَالّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدُّنيا وَيَومَ يَقُومُ الأشهادُ﴾[٣]. ﴿إن تَنصُرُوا اللّهَ يَنصُركُم وَيُثَبِّت أقدامَكُم﴾[٤].

---

١. في «خ»: «مصطفى».

٢. الروم (٣٠): ٤٧.

٣. غافر (٤٠): ٥١.

٤. محمّد ﷺ (٤٧): ٧.

ناديها الجعفري

أنشأنا في الطبقة العُليا من المؤسّسة غربي المدرسة صرحاً فخماً في طول اثـنين وعشرين متراً ونصف المتر، وعرض خمسة عشر متراً ونصف المتر، ذا نوافذ على البرّ والبحر على أحدث طرز، عددها إحدى وعشرون نافذة أسميناه نادي الإمام جعفر الصادق عليه السلام(١).

فكان مثابةً لأهل عاملة عند اجتماعهم أيّام المواسم الدينيّة لأداء المراسم الشرعيّة، وأيّام أفراحهم وأتراحهم، وعند إقامة حفلاتهم لمهمّاتهم وسائر شؤونهم ولا سيّما يوم عاشوراء، ويوم مولد سيّد الأنبياء، ويوم الغدير حيث تحتشد الجماهير، وقد عاد على الطائفة بنفع جزيل، ورجع كثير، والحمد للّه.



مدرسة الزهراء عليها السلام

في الظرف العصيب أسدينا إلى البلاد «مدرسة الزهراء» مؤسّسة على هدىً من اللّه عزّوجلّ خوفاً على أُمّتنا أن تتيه بناتها في صحراء العمه والضلال(٢)، وتطغى عليهنّ موجة الجهل المرير، فيغرقن في تلك اللجّة، ولا منقذ ولا متأثّر.

ودع عنك عصراً يقحمهنّ في مزالق الهاوية بخدعه وأمانيه، وهنّ ـ عافاهنّ اللّه ـ على شفا جرف منها، يتكيّفن بالتربية المعسولة المسمومة كيف شاءت.

---

(١) تبرّع بنفقاته معموراً مقصوراً منجوراً الحاج حسن محمود الرز شكر الله سعيه.

(٢) كنّا نرى إخواننا المؤمنين في صور يزجّون بكرائمهم إلى أحضان مـدارس البروتسـتانت يحوطهنّ المبشّرون والمبشّرات بالحضانة المسمومة، واللقانة الموبوءة، ويفرض عليهنّ عبادة غير اللّه ـ تعالى ـ في كلّ يوم مرّتين، فيتخرّجن خوارج على مقدّسات مبادئنا، وأقلّ ما نصاب بهنّ خلع جلباب الحياء، وإماطة قناع الخفارة، وإلقاء شعار الحشمة، وإبراز صفحة الوقاحة، ونضب ماء الوجه، وماوراء هذه الصفات.

أردنا ـ بمعونة اللّه تعالى ـ أن نغزو تلك العقبات بعزم ثابت يؤيّده اللّه تعالى بندائنا هذا المدوّي عند افتتاح مدرسة الزهراء لنورد بناتنا المورد الهنيء الذي أوردناه بنينا؛ لنخرج الفتاة معدّةً لتربية مستقبل، وبناء جيل، كما يخرج الفتى من المدرسة الجعفريّة أهلاً لمثل ذلك.

وهنيئاً لهذه الغاية الشريفة كؤوساً مترعةً تكرع من نميرها فتاتنا جرعات تعود عليها بالنفع المأمول.

وحين عزَّ على «الزهراء» وبناتها المكان، وتكاءدها[1] الجور فأخرجهنّ من معهدهنّ، وضاقت عنهنّ النفوس فسحنا لهنّ دارنا، وآثرناهنّ على أهلينا وبنينا فنزحنا عنها ونحن أهنأ ما كنّا تطوّعاً للغاية المثلى، ولم يدُر الحول إلّا كانت تلك المدرسة مثالاً لظرف البلاد القاهر، وصورةً من حظّها العاثر، ويكتب عليها أن تطرق باب المعارف مجهّزةً بالأسباب، فلا تعطى الجواب، فتضطرّ أن تدخل غير مأذونة في سلك المدارس.

وحاق بها جوٌّ عاتم، ثمّ نودي بإقفالها وخنقها في مهدها، ولكن ربّك كتب لها الحياة تلك السنة، فاقتحمت العقبات، وسارت حثيثاً تزخر بأسمى معاني الحياة، لا تعبأ بمحاربيها الأشدّاء، ولا بما يُفرش تحت أقدامها من المزالق، كأنّها مؤسّسة قديمة تعتمد على جهاد أُمّة ومسعى بلاد.

وأخيراً أما آنَ لهذه المعجزة أن تتلاشى! نعم انطفأت مدرسة الزهراء بعد أن فازت في الشوط الأوّل، انطفأت تنعى على الحكومة حرمانها، وعلى الشعب خذلانها، انطفأت وشيّعت باحتفال رائع، لكن من أفئدة القوّامين عليها ومن أسماعهم وأبصارهم، والناس من حولها وحولهم في سُبات عميق.

كيف تختنق المشاريع

خنقت مدرسة الزهراء، ولكن ذلك لم يكن بتأثير الأزمة العالميّة الحاضرة التي تأخذ برقاب الضعفاء، وأنفاس المساكين، وإنّما كان بجهل محيط، وجحود بيئة

---

١. تكاءده الأمر: شقّ عليه وصعب. راجع المعجم الوسيط: ٧٧٦، «ك. ء. د».

لمعروف رجل يريد لهم الخير، ويحملهم عليه ما استطاع.

لمعروف رجل جاءهم صفر اليدين غنيّ الروح، وسيخرج صفر اليدين من صفراء وبيضاء، لكنّه طائل الثروة بما أغنى هذه الحياة من آثاره في الدين والقوميّة والأخلاق والثقافة والبركة بما في أيدي قومه من نعم العيش.

وقصارى الرجل النازه أن يدخل إلى قوم مُقلّاً ويخرج منهم مُقلّاً، ولكنّه يخرج ـ حين يخرج ـ وقد أغنى وأقنى، وشاد وبنى، وعظّم الشعائر، ورفع المنائر والمنابر.

لمعروف رجل ما استكفّ ولكنّه وكف فأثلج القلوب، وندّى الأيدي، ونضّر الوجوه، ورفع الرؤوس بفمه وقلمه، وقضى عمراً طويلاً بكمّه وكيفه، حافلاً بالإصلاح والتجديد والجهاد، حفيّاً بالمآتي الجسام.

ينظر الناظر إلى ما قبله فلا يجد شيئاً، وينظر إلى ما بعده فيجد كلّ شيء صرح من المجد لا يطاول بفخر.

وجود شعب بين الشعوب عرف كيف يأنف الهضيمة، ويحسّ بالمهانة فيأباها وينكرها.

يقظة عركت العيون فعرّفت هؤلاء الناس أنّ لهم حقّ الحياة، ثقافةً عامّةً يبتلّ بها اللسان، ويستضيء بها الجنان، مؤسّسات بعد ذلك تبعث العزّة، وتثبت الحيويّة.

هذه مآتي الرجل الذي أراد أن يبعث من المدرسة «الزهراويّة» مأتيّ من سنخ مآتيه.

ولكن افرغوا كنانة جهدهم في صدّ «الزهراء» وابتزازها نحلتها وحقّها، فتسنّى لهم ذلك لظروف وظروف.

فانظر إلى حظّ هذا الاسم كيف لقي   من الأواخر ما لاقى من [الأوَلِ][1]

ما كان بعد خنق المشروع

إنّما خنق المشروع بقوّة الوزارة اللبنانيّة الصلحيّة الجائرة، وكان أُولئك المتزعّمون المعارضون ـ وهم من صنائعها ـ قد اتّفقوا من قبل معها على إقفال المؤسّسة في وجوه

---

١. منّا، إذ لم ترد في الأصل.

بنات الزهراء[١]، واشغالها بأبناء مدرستهم الرسميّة بعوض يدفع من الحكومة لهم قدره ألفا ليرة لبنانيّة في كلّ سنة، على أنّهم لا ولاية لهم على المؤسّسة في شرع أو قانون، وإنّما هو الاستبداد القبيح منهم ومن حكومتهم؛ وقد أنذرنا محتجّين بأشدّ لهجة فلم تغن النذر.

ونادينا بأعلى صرخة ـ ولكن لا حياة لمن تنادي ـ.

وتلك من سوآت الحكومة الشنعاء، ومعرّاتها الدهماء، لا ترحضها عنها السنون، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون.[٢]

---

(١) كان إقفالها ثاني شوّال سنة ١٣٦١هـ الموافق ١٢ تشرين الأوّل سنة ١٩٤٢م، بأمر رئيس الوزارة اللبنانيّة سامي الصلح، وقد احتججنا عليه احتجاجات برقيّة، وكتبنا له في ذلك كتاباً أثبتناه في الشذرات فليراجع. أمّا إشغالهم إيّاها بأبناء مدرستهم الرسميّة فقد كان في تشرين الأوّل سنة ١٩٤٣ بأمر رئيس الوزارة رياض الصلح.

(٢) قد يعجب من هذا العمل من لم يقف على تصرّفات هذه الحكومة الفوضويّة وأعوانها المنهومين بأكل أموال الأمّة، ولاسيّما هؤلاء المتزعّمون ـ من صنائعها ـ في صور، لكنّ الخبير بها وبهم يعلم أنّ هذا الاستبداد من أقلّ منديّاتهم، وأصغر موبقاتهم، وبالأمس استبدّوا بخمسة عشر ألف ليرة لبنانيّة في حقّ الفقراء في خزانة الحكومة، دفعت إلى أحد هؤلاء المتزعّمين بصفته ممثّلاً للشعب في المجلس النيابي فأنفقها كلّها في المهرجانات والخمور وما إلى ذلك في سبيل استقبال رئيس الجمهوريّة اللبنانيّة ـ بشارة الخوري ـ إذ زار صور يوم السبت ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٦٤هـ الموافق ٢٧ تشرين الأوّل سنة ١٩٤٥م، إلى كثير من أعمالهم الدالّة على أنّهم لا يأبهون بالمخازي، نعوذ باللّه ممّن نضب ماء الحياء من وجوههم، ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه العليّ العظيم[١].

---

١. وقد أمكن بعد ذلك رفع أيدي هؤلاء المتزعّمين عن هذه المؤسّسة، وذلك في أحداث سنة ١٩٥٨ عند قيام الثورة الوطنيّة ضدّ رئاسة كميل شمعون، وكان هؤلاء المتزعّمون من صنائعه، وقد وضع قيادة جيشه في محاصرة صور تحت إرادتهم وتصرّفهم، فضيّقوا الخناق على الأحياء المسلمة دون المسيحيّة، فانتهز رجال المقاومة الوطنيّة الفرصة ودمّروا مؤسّستهم وطهّروا أرض الوقف منها.«ع»

في الحرب العالميّة سنة ١٩١٤[١]

وقع العالم بأسره ـ من هذه الحرب ـ في كَبَدٍ[٢]، واختصّت سوريا ولبنان وفلسطين بويلات جمال باشا ـ قائد الجيش الرابع الشاهاني ـ إذ استشعر منها ميلاً إلى الحرّيّة والاستقلال، فعمّه في انتقامه متجاوزاً في ذلك كلّ حدّ.

وقد أمعن في تجنيد الرجال، وسوقهم إلى ميادين القتال، حتّى لم يبق إلّا المرأة والصبيّ والشيخ الهمّ والضرير والزَمِنُ ومن هو في حكمهم.

وقام في ذلك على ساق يسوق الناس جميعاً على اختلاف طبقاتهم بعصاً واحدةً، فكانت الروعة شديدةً، والهول هائلاً.

وركب رأسه في جباية الأموال باسم الضرائب والإعانات والتبرّعات سلباً ونهباً بأفظع صور النهب والسلب.

ونصب المشانق، وصوّب البنادق لإعدام من يفرُّ من التجنيد.

فكان الأُونباشي[٣] من الدرك يملك قتل من يشاء ممّن يزعم فرارهم، لا يسأل عن ذلك أبداً.

ورمى البلاد بالمجاعة المدقعة[٤]؛ إذ قطع الميرة عنها، فقلّت الأقوات، وغلت

---

(١) أُعلنت تلك الحرب سنة ١٩١٤م الموافقة سنة ١٣٣٢هـ.

(٢) أي مشقّة[١].

(٣) الأُونباشي يرأس عشرة أشخاص من العسكر.

(٤) أي الملصقة بالأرض ذلاً وفقراً، ومنه قولهم: إذا جُعتُنَّ دَقَعتُنَّ[٢].

---

١. راجع المعجم الوسيط: ٧٧٢، «ك. ب. د».

٢. المصدر: ٢٩٠، «د. ق. ع».

الأسعار غلاءً عظيماً، فكان الفقراء يطوون(١) اليوم تلو اليوم، فتراهم خاوين مرسبين(٢) حتّى ماتوا جوعاً، وكانت الموتى مطروحةً في البيوت وفي الشوارع العامّة وفي البراري لا يؤبه بها.

وأرصد المجلس العرفي في عاليه، وما أدراك ما فعل ذلك المجلس، ونبرأ إلى الله تعالى ممّا ارتكب.

وعلّق بمشانقه في دمشق وبيروت أربعين زعيماً من زعماء الأحرار في البلدين، وجاء بكلّ سوءة شنعاء، ومعرّة دهماء، ملء الأرض والسماء. فأرسل اللّه عليهم الجراد(٣) والقُمّل آيات مفصّلات، تكاد تشبه ما أرسله اللّه تعالى منهما على فرعون[1]. فجرد الجراد زرع البلاد وأشجارها، ولحس أرضها، فلم يبق رطباً ولا يابساً، ولابس القمّل جيشه فانساب فيه ينقل إليه الحمّى النمشية، ثمّ انتشرت هذه الحمّى وسرى داؤها في عرض البلاد وطولها ـ والبلاء إذا نزل عمّ ـ فكانت تلك الحمّى جارفة(٤)، وتلاها الوباء فكان أدهى وأمرّ(٥)، وأذاق اللّه الناس ـ بذنوبهم ـ لباس الخوف

(١) أي لا يأكلون ولا يشربون[2].

(٢) الخاوي: الذي تتابع عليه الجوع[3]. والمرسب: الذي ذهبت عيناه في رأسه من الجوع[4].

(٣) سنة ١٣٣٣هـ وهي سنة ١٩١٥م.

(٤) فجعنا بها بوفاة المقدّس أخي السيّد الشريف بعد أن ابتليت بها فعافاني اللّه، وكفى بالأجل حارساً.

(٥) وقد قضى على كثير ممّن يختصّ بنا ويعزّ علينا، ومنهم السيّد عبداللّه، وصنوه السيّد محمّد ولدي عمّي السيّد إسماعيل.

١. كما أنزل اللّه فيهم: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾ الأعراف (٧): ١٣٣.

٢. راجع: المعجم الوسيط: ٥٧٢؛ لسان العرب ١٥: ٢٠، «ط. و. ي».

٣. راجع لسان العرب ١٤: ٢٤٥، «خ. و. ا».

٤. راجع القاموس المحيط ١: ٧٦، «ر. س. ب».

والجوع، فربَّ عرض مصون كان يومئذ يبذل بأكلة، وربَّ مكتبة حافلة بنفائس الكتب بيعت بمدّ من طعام، وكم أرض واسعة شُريت بتافه من الدقيق، وكم، وكم، إلى ما لا يسع هذا الإملاء بيانه من الحوادث والكوارث التي لسنا في سبيل تفصيلها. وإنّما مررنا بها تبياناً لألطاف اللّه سبحانه بنا؛ إذ لم نكن في غَمار المسوقين ببُرَة[(١)] الهوان إلى المعارك والمهالك من سواد الناس، ولكنّا ممّن دهمتهم الويلات يومئذٍ من دهماء الجمهور، بل كنّا بفضل اللّه تعالى ولطفه ممّن تداركهم برحمته، فأشبعهم من جوع، وآمنهم من خوف، وعافاهم ممّا ابتلى به غيرهم، ولو شاء لفعل، فله الحمد زنة عرشه، ومداد كلماته.

وحسبي ما أولاني بلطفه وكرمه من إيقاظي وإنهاضي إلى تدارك أمر العلماء في محنتهم يومئذٍ، وعلاج ما يتسنّى علاجه من بلايا الجمهور حولي، وقد صبَّ الغاشمون عليهم سوط عذاب، فاستحرّ بهم القتل صبراً، والموت جوعاً، والاضطهاد حبساً وتنكيلاً.

محنة العلماء

ولمّا صدر الأمر بسوق الرجال إلى ميادين القتال هبّت السلطة الغاشمة إلى تنفيذه بكلّ ما لديها من شدّة وغلظة واعتساف، فساقت الناس على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم بعصاً واحدةٍ كما سمعت، ولم تكن أنظمة السوق تعفي من التجنيد سوى أئمّة المساجد والقوّامين على الطقوس[(٢)] الدينيّة في كنائس أهل الكتاب.

---

(١) البُرة: حلقة توضع في أنف الناقة الصعبة تقاد بها قسراً[١]، وهي هنا كناية عن العنف والشدّة.
(٢) الطقوس: كلمة نصرانيّة دخيلة يريدون بها الطريقة، وقد غلبت على الطريقة الدينيّة[٢].

---

١. راجع لسان العرب ١٣: ٤٧٦ ـ ٤٧٧، «ب. ر. هـ»؛ و١٤: ٧١، «ب. ر. ي».
٢. راجع المعجم الوسيط: ٥٦١، «ط. ق. س».

لكن لسوء الحظّ لم تكن لأئمّة مساجد الشيعة أسماء في دوائر الحكومة ولا في غيرها؛ إذ لم تكن إمامتهم بتوظيف من الحكومة أو من طائفتهم، وإنّما هي بمجرّد أهليّتهم وعدالتهم المحرزة في نفوس شعبهم، بخلاف أئمّة المساجد من أهل المذاهب الأربعة الإسلاميّة، فإنّهم كانوا من قبل موظّفين من الحكومة برواتب معيّنة لهم في سجلّاتها الرسميّة، يتقاضونها كلّ شهر كسائر الموظّفين، وكذلك القوّامون على كنائس أهل الكتاب ـ من أحبار اليهود وأساقفة النصارى ـ كانوا موظّفين من رؤساء كهنتهم برواتب مسجّلة لهم يتقاضونها من أوقافهم.

فالسلطة العسكريّة كانت يومئذٍ على يقين من إعفاء هؤلاء وأولئك جميعاً؛ ولذلك أعطتهم وثائق الإعفاء عملاً بقانونها العسكري في ذلك العهد، فأمنوا واطمأنّوا مرتاحين.

أمّا أئمّة مساجد الشيعة ـ وهم علماء البلاد وأبرارها ـ فلم تعترف سلطات السَوْق بإمامتهم؛ إذ لم يكن ثَمّة ما يثبتها رسميّاً؛ وبذلك أجمعت على سوقهم مع سواد الناس بكلّ شدّة، وأمعنت في طغيانها تتعقّبهم لا تدخّر في ذلك وسعاً، فذُعروا وتواروا مدلّهين، وهال الطائفة أمرهم وسقط في يدها، على أنّها كانت في غمّاء[1] لا ترى لها مُطّلَعاً.

وفي إبّان هذه الحيرة ألقى اللّه سبحانه في روعنا أن نطرق الأبواب العالية؛ نلفتها إلى حرماننا وحرمان مساجدنا وأئمّتنا من هذاالحقّ القانوني، صاخبين إليها من اختصاصنا نحن الشيعة بهذا الحرمان، محتجّين عليها بذلك.

تواترت على العاصمة ـ القسطنطينيّة ـ بذلك برقيّاتنا لكلّ من السدّة السلطانيّة،

---

١. الغمّاء: الشديد من شدائد الدهر. المعجم الوسيط: ٦٦٣، «غ. م. م».

ورئاسة الوزارة، ووزير الحربيّة أنور باشا¹. وانثالت العرائض بهذا على القائد جمال باشا²، فمن دونه ـ ممّن لهم حقّ النظر في ظلامتنا ـ نستصرخهم ونستفزّهم ونحتجّ عليهم(١).

ولعلّي فزت ـ والحمد لله على التوفيق ـ بنصيبي من العزيمة على النهضة حين لم يكن للناس حولي أمنية ولا أمل إلّا بالله عزّوجلّ ولعلّي أخذت ـ والفضل للّه وحده ـ بحظّي من القيام بمهمّاتها من أكثر جهاتها.

صمدت لها ـ بعون اللّه سبحانه ولم يكن لها من دون اللّه كاشفة ـ بكلّ يقظة ونشاط أستفزّ الشعب إلى حقّه القانوني، واستفزّه إلى الحكمة والأسلوب

(١) بالاتّفاق والتعاون مع أعلام الطائفة وهداتها كالسيّد نجيب فضل اللّه، والشيخ حسين مغنية، والشيخ محمود مغنية، وغيرهم.

١. ولد في أبانا على البحر الأسود سنة ١٢٩٩، وكان عضواً بارزاً في حزب تركيا الفتاة، اشترك في الانقلاب العثماني عام ١٣٢٦، وعند نشوب الحرب التركيّة الإيطاليّة عيّن قائداً في ليبيا، واشترك في حرب البلقان واستردّ أدرنه من بلغاريا، وتولّى وزارة الحربيّة إبّان الحرب العظمى، وقاد الجيش التركي في جبهة القفقاس، وبعد الهدنة مع الحلفاء انتقل إلى موسكو وناصر الحكومة البلشفيّة، واشترك في مؤتمر باكو، وطالب باستقلال الولايات الإسلاميّة الروسيّة، فلمّا نكث الروس بوعدهم ارتحل سرّاً إلى تركستان، وقاد ثورةً نظاميّةً مسلّحةً ضدّ حكومة موسكو، واستولى على كثير من مقاطعات تركستان، وجعل بخارى عاصمةً لدولته الإسلاميّة إلى أن قتل في حربه مع البلشفيك سنة ١٣٤١. انتهى ملخّصاً عن القاموس الإسلامي ج ١ ص ٢٠٥. «ع»

٢. هو أحد أركان جمعيّة الاتّحاد والترقّي التي قامت بالانقلاب العثماني. ولد سنة ١٢٧٨ وقد عيّن والياً على بغداد، ثمّ حاكماً عسكريّاً لإستانبول، وعند نشوب الحرب الأولى صار وزيراً للبحريّة، ثمّ قائداً للجيش الرابع في سوريا وفلسطين الذي زحف على قناة السويس، وقد لقّب بالسفّاح؛ لقيامه بأعمال العنف والقسوة على العرب، فاوض الحلفاء سرّاً بالقيام بانقلاب على الدولة العثمانيّة على أن يعترفوا به ملكاً على البلاد العربيّة وخاب أمله، وفي أثناء الثورة العربيّة جرّد من منصبه فرجع إلى استانبول، وقد اغتاله أرمني في تفليس سنة ١٣٤١. «ع» [راجع القاموس الإسلامي ١: ٦٣٠].

الحسن في المطالبة به، لا أدّخر وسعاً من قول، ولا جهداً في عمل، فإذا الشعب العاملي قائم على ساق يحتجّ على الحكومة بحرمانه وامتهانه دون إخوانه ودون جيرانه، لا يستوطئ في ذلك راحةً، ولا يعرف دعةً، وما زال مثابراً على ذلك حتّى كشف اللّه عنه هذه الغمّة ببرقيّة من وزارة الحربيّة توجب الاجتزاء في إعفاء أئمّة مساجد الشيعة من التجنيد بمجرّد قرار إداري في تصديق إمامتهم، وإن كان متأخّراً عن إعلان الحرب، فثابت بهذا إلى العلماء نفوسهم، واطمأنّ الناس على كرامتهم فالحمد للّه على ذلك.

بلايا المؤمنين حولي

وكان المؤمنون حولي قد فوجئوا بأنواع من البلايا لا يرون إلى التخلّص منها سبيلاً؛ إذ كان الحكم فيها خاضعاً لشهوات الاستبداد الفردي.

ولعلّ ضعف الشيخوخة الذي منيت به الدولة العثمانيّة في ذلك العهد كان من أسباب ذلك العنف والاستبداد، وقد استطار الشرّ، وأخذت حلقاته بخناق من حولي من عباد اللّه وإمائه، فإذا الحياة منكرة، والعيش وبيل، فرأيتُني غير معذور إلّا ببذل الوسع في الإعذار، وما كان لذي عاطفة إنسانيّة أن يمرّ على جثث الهلكى من جوعى تلك المحنة، ثمّ يطمئنّ قبل أن يجاهد في سبيلها، فلعلّه يفتدي الرمق المتلاشي من أُولئك الفقراء ببعض ما لهم من الحقّ في ذمم الأغنياء، ولعلّه يمسك الأنفاس الزاهقة بشيء ممّا للضعفاء قِبَل الأقوياء.

فطفقت يومئذ أستنجد الكرام الموسرين، وأستجدي ضمائرهم لأُولئك الهلكى بمرأى منهم ومسمع، أتلو عليهم من محكمات الذكر الحكيم، وصحاح السنّة الرحيمة، ما تأخذهم به أريحيّة السخاء، وتملكهم به الخفّة للمعروف.

رفعت صوتي بذلك أستخرج به من أعماق الناس معانيهم الإنسانيّة، ولعلّي أبليت في ذلك بلاءً حسناً، فيسّر اللّه لي بفضله وكرمه ما كنت ألتمسه لأُولئك الجوعى العراة.

وبرزت الأخماس تقفوها الزكوات وتتلوها أثلاث الموتى إلى رصيد معلوم يوزع على الجوعى بنسب متكافئة.

وقد جعلت لكلّ مخرج حقٍّ من هذه الحقوق أن يشرف بنفسه أو بنائب عنه على توزيعه في ذوي قرباه مع مندوب اعتمدته في تقدير نسب التوزيع العادلة من معرفة أهل الخبرة المحكّمين في تقدير هذه الحاجات.

وبهذا أنعش اللّه نفوساً، وبرّد أكباداً، ونفّس كرباً، وبدأت الحياة تدبّ في كثير من المحتضرين.

ومن الحقّ أن نشكر أُولئك المحسنين[1] في تلك اللأواء، وهم نفر مؤمن حقّاً، انتفع بروح الموعظة نفعاً مثّل الإيمان بأجلى مظاهره.

وربما كان للموت الزؤام المنتشر في تلك الأيّام أثر في إخراج تلك الحقوق؛ ذلك أنّ الموسرين خافوا أن تكون أسماؤهم في سجلّ المخترمين، فتداركوا أنفسهم بوفاء ذممهم المشغولة بحقوق أُولئك الصرعى جوعاً وعرياً، وقد كان لذلك تأثيره في وصيّاتهم بالأثلاث أن تصرف إلى أهل المخمصة من أرحامهم وجيرانهم بإشرافٍ منّا، وكان لي بتوفيق اللّه ـ تعالى ـ خدمات أُخر رفع اللّه بها عن بعض الأبرياء ما كان

---

(١) كالمرحوم الحاجّ خليل بن الحاجّ محمّد حلاوي؛ إذ أوصى ولده ـ المرحوم ـ محمّد توفيق بإخراج خمس أمواله وإنفاق ثلث الباقي في سبيل اللّه. فأنفق ذلك كلّه ولده في سدّ رمق الجوعى وكسوة العراة بإشراف منّا. وكذلك فعل المرحوم الحاجّ أمين كنج، والحاجّ محمّد أيّوب عسّاف وغيرهم.

يلمّ به من كوارث ذلك العهد، وأنقذ اللّه ـ بفضله ـ من أشداق الموت نفراً[(١)] وأخذ بأيدي آخرين فأخرجهم من ظلمات السجون[(٢)].

---

(١) منهم الشيخ عبدالله بن المرحوم الشيخ جواد مروّة[١].

(٢) هؤلاء كثيرون منهم نيّف وثلاثون شخصاً كانوا معتقلين في بيت‌الدين بأحكام مختلفة ـ نصبت المشانق لإعدامهم، فانقذهم الله تعالى بعد جهد وعناء ـ أقلّها حبس عشرين سنة، فأطلق سراحهم بشفاعة نحمد اللّه تعالى على قبولها.

---

١. ومنهم المرحوم الشيخ عبداللّه مروّة من حاريص، وفيّاض حسن طالب من كفرى، وعليّ ماضي من الرمادية وغيرهم ممّن نصبت المشانق لإعدامهم من قبل رئيس مصلحة التجنيد في صور زكي جماعة، ورجل آخر اسمه محمّد شاويش من أدرنة في تركيا فأنقذهم اللّه ـ تعالى ـ بعد جهد وعناء.

وزكي المذكور هو من أهل بيت المقدس كان ظالماً سفّاحاً في منتهى العسف والطغيان والتجبّر، هادراً لكرامات الكبير والصغير، طالما كان يعرّي الرجال ويدميهم بجلد السياط، ويردي آخرين بركلهم من أعالي الدرج، ويتفنّن في إهانة الذوات والشخصيّات، ولا يزال معروفاً عند أكثر أهل جبل عامل، ويذكر بينهم باللعن والخزي، فكانت النتيجة أن سعي الوالد ﷺ بعزله؛ وذلك بأن شجّع عدّةً ممّن جلد أبناءهم على الشكاية عليه، بأن صار يكتب لكلّ واحد منهم برقيّة تصوّر ظلمه وأعماله، فانهالت البرقيّات ضدّه إلى السلطات العليا في بيروت، حتّى أرسل بيكباشي تركي إلى صور للتحقيق حوله، واسمه كامل بك، فالتقى به والدي وشرح له بوائقه وأوغر صدره عليه حتّى عزله وأخرجه طرداً وأراح اللّه الناس من شرّه.

وبهذه المناسبة نذكر من أعماله المهمّة في الحرب العالميّة الثانية: وذلك حين احتلال الجيوش الانكليزيّة للبنان وسوريا سنة ١٣٦٠، فجاء عدّة كثيرة من قرى جبل عامل، وأخذوا جميع ما يوجد في ثكنات الجيش الفرنسي من ذخائر ومخلّفات وأسلحة ففرضت القيادة الإنكليزيّة غرامةً باهظةً على أهل جبل عامل بسبب ذلك، فأوعز إلى جميع زعماء وأعيان جبل عامل بأن يوافوه إلى صيدا، وذهب بهم إلى مركز القيادة الانكليزيّة في الميّة، وميّة من ضواحي صيداء، وتفاوض مع القادة الإنكليز حتّى أقنعهم بالإعفاء من الغرامة.

ومن ذلك أنّ فرنسا أرادت أن تجنّد جميع أبناء المهاجرين من العرب في مستعمراتها، وهذا ما يوجب ـ فضلاً عن الخطر عليهم ـ الخطر على جميع ثرواتهم وتجارتهم، فأبرق ﷺ إلى الجنرال كاترو ـ وكان حاكماً في الجزائر ـ وأكّد عليه بالتوسّط لدى السلطات الفرنسيّة بأن تعدل عن هذا الأمر، ففعل وتمّ ذلك والحمد للّه.«ع»

في فترة الاحتلال

في أعقاب تلك الحرب والجيوش تلقي أوزارها، انتهت فلسطين إلى الاحتلال الإنكليزي، وانتهت دمشق إلى الإمارة الهاشميّة برئاسة فاتحها الأمير فيصل[1].

وكان نصيبنا من التقسيم يومئذ نصيباً لم تجر فيه الرياح، كما كنّا نشتهي، وكما كنّا نقدّر. ولكن ابتدأ نشاطنا على كلّ حال وفق آمالنا التي كنّا نعلّقها على ما بعد الحرب.

وبدأالعمل في هذه البلاد بإنشاء حكومات موقّتة تحفظ الأمن باسم الملك حسين(١)، فكان الحاكم في بيروت شكري الأيّوبي[2]، وفي صيدا رياض الصلح[3] وأنشأنا في

(١) وكان هذا باتّفاق مع الأمير الفاتح فيصل[4].

١. راجع ترجمته في الأعلام للزركلي ٢: ٢٤٩، و٥: ١٦٥؛ الموسوعة العراقيّة ٢: ١٨٠.

٢. من رجال الوطنيّة في سوريا، ولد بدمشق سنة ١٢٦٧، سجن في الحرب الأولى وعذّب من قبل جمال باشا، عيّن بعد حاكميته في بيروت حاكماً عسكرياً على حلب. توفّي سنة ١٣٤٠. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج٣ ص١٧١. «ع»

٣. هو رياض بن رضا بن أحمد باشا الصلح زعيم شعبي، كان له أثر كبير في بناء لبنان السياسي والقومي الحديث، ولد سنة ١٣١٠، وتولّى رئاسة الوزارة اللبنانيّة سنة ١٣٦٢، فاقترح تعديل موادّ في الدستور، كان الفرنسيّون قد وضعوها لأغراضهم الاستعماريّة، وأقرّ مجلس النوّاب التعديل فسخط الفرنسيّون، واعتقلوه مع رئيس الجمهوريّة بشارة الخوري وأكثر الوزراء، وبعض النوّاب، وأرسلوهم إلى قلعة راشيا، فثار لبنان، وهاج العالم العربي، واضطرّ الفرنسيّون إلى الإفراج عنهم، فعادوا بعد أحد عشر يوماً من اعتقالهم، وجلا الفرنسيّون عن لبنان سنة ١٣٦٥، وظلّ رياض بين رئاسة الوزارة والتخلّي عنها، والعودة إليها، حركة لبنان الدائمة يخطط الخطة، ولا تضيق حيلته عن تنفيذها، ومن ورائه مسلمو لبنان ونصاراه، وفي عهد وزارته الأخيرة أعدم أنطون سعادة، وفي فترة اعتزاله الوزارة دعاه الملك عبدالله إلى زيارة عمّان، فأجاب الدعوة، وبينما هو ذاهب إلى مطار عمّان، فاجأه أشخاص أطلقوا عليه الرصاص، فقتل في السيّارة سنة ١٣٧٠، وقتل قاتلوه. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج٣ ص٣٧ـ٣٨. «ع»

٤. راجع ترجمته في الأعلام للزركلي ٢: ٢٤٩.

صور يومئذٍ حكومةٌ على هذا الغرار تحتفظ بالزمام، لتلقيه بعدئذ إلى الأمير فيصل حين تتوّج مساعيه بالنجح.

ولكن الإنكليز أبطلت هذا التدبير الذي رجوناه لمستقبل عربي مستقلّ؛ إذ اجتاحت في مرورها ما بنيناه من هذا الكيان الناشئ، ولم تعترف بشيء من هذا الجهد المؤمّل.

وبذلك شطب على الخطوة الأُولى، ومهّد لفرنسا أن تسيطر وتحتلّ باتّفاق مع «عصبة الأُمم» التي كانت توجّه السياسة العالميّة يومئذ.

ولكن ما كان لنا ولسائر المخلصين للدين والقوميّة والوطنيّة أن نستكين للقوّة مستخْذين.



موقفنا مع فرنسا

فكان استقبالنا للاحتلال الفرنسي من أجل ذلك استقبالاً صاخباً محتجّاً، يواجهها بالرفض والمصارحة والميل عنها ميلاً لا هوادة فيه ولا لين.

وأُوكل إلينا أن نمثّل الأُمّة العامليّة في جماعة ممّن يلابسون السياسة ويعملون في حقولها، واجتمعت إلينا أختام العلماء والوجوه والمختارين من مختلف البلاد العامليّة، ثقةً منهم بكلّ ما نقوله باسمهم، واعترافاً بصحّة ما نعمله في سبيل مصلحتهم.

وطيّرنا يومئذ برقيّات، وأرسلنا عرائض عبّرت عن آمال البلاد وأمانيّها في جلاء فرنسا عنّا، واعتزالها الحكم فينا.

وكان الأمير فيصل يومئذ في جنيف وباريس يسعى سعيه الجميل، ويتّصل بذوي الأمر في شأن الحكومة العربيّة المستقلّة التي كنّا نظاهره على إنشائها.

ولم نقتصر من السعي على العرائض والبرقيّات في جهادنا السلمي يومئذ، بل

كانت لنا أصوات عريضةٌ أذاعتها عنّا صحف بيروت أوّلاً، ثمّ تولّت إذاعتها صحف دمشق بعد أن كمّها الاستعمار الفرنسي في بيروت، ثمّ كانت لنا مواجهات مع المسيطرين من الفرنسيّين، كبيكو، وغورو، وشربنتيه، ودلبستر، ونيجر، وقد حضر بعض هؤلاء إلى صور وفاوضنا ـ دون خجل ـ في أن تكون لنا الإرادة المطلقة في التعيينات وأُسس الحكم المحلّي وما إلى ذلك، ولكنّا رفضنا هذه المساومة ورددناها.

وقد شهد الكثير من هؤلاء وغيرهم في صور وشحور(١) احتشادات الجماهير الهابطة من الجبل بأعلامها الخافقة الوطنيّة، وهتافاتها الصاخبة، فكان لذلك وقعه في نفوسهم، وعلموا أنّ الشكيمة التي يحاولونها شكيمة شديدة لا تروض.



استفتاء اللجنة الأميركيّة

وازداد موقفنا تعقّداً من فرنسا بنتيجة استفتاء اللجنة الأميركيّة التي طافت في أنحاء سوريا ولبنان، تستطلع الآراء، وتختبر الميول نحو الحكم في البلاد.

وزارت صور في هذا السبيل فيما زارت من أُمّهات البلاد، وكانت الأُمّة العامليّة أجمعت على أن يكون الممثّل لها يومئذ أنا والعلّامة ـ المقدّس ـ الشيخ حسين مغنية[1].

فلمّا جاءت اللجنة كنّا معاً في جلسة الاستفتاء، وكان الشيخ أسبق منّي إلى الحديث بكلمة فوّضني فيها بالمحادثة، وأكّد للّجنة أنّ ما أراه هو رأيه ورأي الجماعة أُولي الشأن من ورائنا.

---

(١) حيث كان مشتانا في مدينة صور ومصيفنا في شحور.

---

١. راجع ترجمته في نقباء البشر ٢: ٦٠١، الرقم ١٠٣٢؛ تكملة أمل الآمل: ١٨٩، الرقم ١٥١.

ثمّ تولّيت أنا إدارة الحديث في حوار طويل كان بمحضر الشيخ، أفضيت خلاله بتصوير رغبات الأُمّة وأمانيها، في الوحدة السوريّة المستقلّة بحكومتها الدستوريّة اللامركزيّة، وأن يكون على رأسها الأمير فيصل ملكاً.

ورفضت أن يكون لأيّة دولة أجنبيّة يدٌ في حكم، أو دخل في انتداب، ولا سيّما الحكم الفرنسي.

وطلبتُ مساعدة أميركا؛ لكونها دولةً غنيّةً قويّةً بعيدةً عن مطامع الاستعمار وبذلك ازداد الطين بلّةً بيننا وبين الفرنسيّين.

سعايات من صفوفنا

والمؤسف أشدّ الأسف أنّ داءنا القديم داء الانقسام والحسد والنفاق، بدت أعراضه من تلك الفترة الحسّاسة، وظهر في الميدان نفر من هؤلاء المترعّمين الذين أشهدناهم مجالسنا، وأطلعناهم على خطتنا الصريحة، وأشركناهم في عملنا، ظهر هذا النفر في الميدان مذبذباً، ينقلب إلينا علناً، وينقلب عنّا سرّاً.

وليته كان يحمل إلى الفرنسيّين حقائق ما نقوله وننويه ليكون صادقاً في تجسّسه، بل ربما كان نافعاً في ذلك، ولكنّه كان كذُوباً يختلق الفِرية، ويحرّف الكلم، ويشوّه النيّة، ويوقظ الفتنة.

حادثة ابن الحلّاج

وكان من ذلك أن عزم الفرنسيّون، وعزمت ذيولهم أن يتخلّصوا منّي عن طريق الاغتيال؛ لتنهار هذه الجبهة إذا خلوت من الميدان.

وفي ضحى يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧هـ الموافق ١٤ كانون الثاني سنة ١٩١٩م والدار خالية من الرجال، أقبل فتىً من رجال «الأمن العام» الذين أملى لهم الفرنسيّون أن يشتطّوا على المسلمين والأحرار من أهل الدين، وأقبل معه رجلان من

الجند الفرنسي، وكانوا جميعاً مسلّحين فاقتحموا الباب، ثمّ أحكموا إرتاجها، ودنا الفتى العربي ابن الحلّاج[١] شاهراً مسدّسه، وهو يطلب أن أعطيه التفويض الذي كنّا أخذناه من وجوه البلاد وثائق تخوّل الملك فيصل أن يتكلّم باسمنا في عصبة الأمم.

وحين أصبح على خطوة منّي ركلته في صدره ركلةً ألقته على ظهره فسقط المسدّس من يده، وأتبعت الركلة بضربات عنيفة بالحذاء على رأسه ووجهه، وعلت صيحة نسائنا في الدار، فملئت الطريق خلف الباب، فإذا الرهبة تتولّى هزيمة الجنديّين وصاحبهما مخفقين، وقد كادت الأيدي والأرجل أن تقضي عليهم.

ويسري النبأ في البلد فتتحرّك الحماسة ويجتمع الناس، ثمّ يتّصل النبأ في الخارج، فتتوافد الرايات تخفق فوق الألوف الكثيرة من وفود الساحل والجبل في مظاهرات وطنيّة تأريخيّة رائعة.

وجاء حاكم صور الفرنسي دلبستر متنصّلاً ممّا حدث، ودارنا تغصّ بالجماهير حتّى تضيق رحابها، ويضيق الفضاء من خلفها. وبعد انصرافه مدحوراً أشرفتُ على الجماهير وشكرت مسعاهم وحميّتهم، وصرفتهم إلى أماكنهم مُدَّخراً تجمّعهم إلى أن يحين الوقت.

أسباب الثورة

وعلى هذا الأثر أُشيع أنّ أولياء الفرنسيّين يتجاوزون الحدود الإسلاميّة المقدّسة، وربّما تناولت أيديهم بعض الأعراض المصونة.

وما أدري أكان ذلك واقعاً أم كان زوراً؟

١. اسمه جبران وهو من أهل صور، وقد فرّ بعد ذلك إلى أفريقيا، وأقام في جمهوريّة شاطئ العاج في بلدة في أواخر حدودها تسمّى «بندكو» وقد تعاطى التجارة أوّلاً فلم يفلح، وساءت أحواله بعد ذلك فاضطرّ إلى السكنى في بعض أكواخ الزنوج، وامتهن رعي الخنازير، وبقي على هذه الحال، إلى أن توفّي سنة ١٣٧٩. وقد فهمت ذلك من بعض مهاجري صور هناك.«ع»

ولكنّ الذي كان من أثر تلك الإشاعات أن فارت العصبيّة الدينيّة، واستيقظت النخوة العربيّة، فاضطرب حبل الأمن، وانتشرت الفوضى في البلاد.

ووجدت سياسة الاستعمار ـ في هذه الشقّة التي غذّتها فكريّاً ـ طريقها المؤدّي إلى مأربها من التفريق في هذه الفترة العصيبة؛ ذلك أنّها قصدت إلى أن تجلو نقطة الضعف في هذا الشعب الناشط لكرامته واستقلاله وتدفعه إلى أن يعلن عن نفسه عدم الكفاية لما ينشده من التحرّر والانعتاق، فجهّزت المسيحيّين بالأسلحة بدعوى تمكينهم من حماية حوزتهم، ثمّ تغافلت عن الثوّار تغافلاً اضطرّ المصلحين من هذه الأُمّة أن يطالبوا الحكومة بإيقاف الثوّار عند حدّ.

فماذا فعلت الحكومة؟

إنّها بذلت السلاح للمسلمين أيضاً بحجّة أنّها تدع لهم تأديب العصاة ومطاردتهم، ولكن الحقيقة التي رمت إليها من وراء ذلك أن يثوروا بالنصارى ليتّسع الفتق، ويثبت ما قصدت إليه من التدليل على عدم كفايتنا للاستقلال، فتقيم عندئذٍ حكمها على قاعدة من هذا التدليل، كما أقام أمثالها حكمهم على قاعدة مثله.

وكان النمّامون النفعيّون من أذناب الفرنسيّين ـ أثناء ذلك ـ يثيرون حماسة الفتيان العرب من جهة أُخرى ويطمعونهم ويغرونهم بمواطنيهم ليتلاقى طرفا الحيلة الاستعماريّة، ويبرم أمر التدبير.

وكان لهؤلاء الإقطاعيّين المذبذبين شأن في هذا العصيان، كما كان لهم شأن في السعاية بالمخلصين، يلبسون منها وجوهاً صفيقةً عديدةً، فهم معنا بوجه ولسان، ومع الفرنسيّين بوجه ولسان آخرين، ومع الأمير فيصل بوجه ولسان غير هذين.

وبهذا الدسّ الذي طبعوا عليه أذكوا حماسة المتحمّسين، واستغلّوا بساطتهم فانقاد من انقاد للغرور، ومضوا يؤذون المواطنين نهباً وقتلاً وتجريحاً.

وكنّا ممّن أعذر وأبلى بلاء حسناً في النصح للثائرين بالتزام السكينة وإيثار الهدوء؛ لنعمل في جوّ صالح للعمل.

غير أنّ الفتنة قد استجمعت عناصرها، وهبّت ريحها تنذر بالخطر، وتنفخ بوادرها في أطراف البلاد. فكان ما كان من نزوات شوّشت الأمن، وأشغلت الأفكار بأخبار الغزوات والوقائع التي كانت تقع من ناس موقع البشرى والإيناس، وتقع من آخرين موقع الهمّ والبؤس.

رغبة عشائر المنطقة الشرقيّة

وكنّا أثناء ذلك بمعزل عن هذا منصرفين إلى جهادنا بناءً على الخطّة السلمية التي رأيناها لنجاح قضيّتنا، وفي هذه الفترة وقد غلت مراجل الغيظ، واضطربت الأحوال، جاءت رسل الرؤساء من عشائر الفضل في المنطقة الشرقيّة يحملون لكامل بك الأسعد رسائل الثورة، ويدعونه إلى خوض المعركة، ويخيّرونه بين اثنتين: إمّا أن ينضمّ إليهم بجبل عامل فيكون معهم حرباً على فرنسا، وإمّا أن يعتزل فيكون غرضاً لحربهم قبل فرنسا.

ولم يجد هذا البلاغ استعداداً من كامل بك؛ لأنّه لم يكن متهيّئاً، فاستمهل الرسل وحمّلهم إلى أصحابهم رسالته: أنّه ليس المنفرد بالرأي في عاملة دون العلماء من أُولي الشأن، ودون الزعماء الذين لهم كلمتهم ولهم أتباعهم، فلا بدّ له من أجل يضربه لميعاد يجتمع فيه العلماء والزعماء، ويبحثون هذه القضيّة على ضوء التفكير والتأمّل وهكذا كان.

مؤتمر الحجير[١]

وكان هذا الطلب من الأمور المهمّة ذوات البال التي دعت إلى عقد مؤتمر الحجير التأريخي.

فإنّ المفكّرين في عاملة أخذوا هذا الطلب على أنّه جدّ شاقّ من طرفيه، فهم إن أجابوه ففرنسا دولة قويّة غنيّة مجهّزة لا قبل لهم بها، وإن امتنعوا عنه فهذه جبهة وطنيّة تدعوهم إلى جهاد وطني، وذلك ما لا قبل لهم بالامتناع عنه أيضاً.

أضف إلى هذه الحيرة أنّ سياسة البلاد المضطربة كانت تدعوهم للاجتماع، وللنظر في تقرير مصيرهم على نحو تطمئنّ إليه الجماعة القلقة.

وفي اليوم الموعود كان وادي الحجير[(١)] يستقبل ضيوفه، وكان ضيوفه الأكثريّة من صفوة علماء الجبل وأسوده، ووجهائه وأعيانه، وكان يضيق بالرايات، ويضجّ بالهتافات، ويدوي بالمفرقعات والصهيل، وكأنّ عاملة نشرت فيه ببعث جديد.

وأقبلنا والجمع كامل مستتبّ، فما أشرفنا على الجمع حتّى جلجل الوادي،

(١) إنّما اختاروا وادي الحجير؛ لتوسّطه بين البلاد العامليّة بشارتها وشقيفها، ولوجود الماء ثمّة والكلأ.

١. وكان يوم السبت ٥ شعبان سنة ١٣٣٨ الموافق ٢٤ نيسان سنة ١٩٢٠.

وقد كتب مفصّلاً عن مؤتمر وادي الحجير القاضل الأديب المؤرّخ السيّد حسن الأمين عليه الرحمة في (حرف) م ٢٤ من دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعيّة من ص ٢٩٠ إلى ص ٤٥٠، وقد قال في مقدّمتها:

كان للسيّد الإمام عبدالحسين شرف الدين الدور المهمّ في ذلك المؤتمر سنذكر حياة هذا الإمام الفذ وعن يوم الحجير. «ع»

وجرجر صداه[١]. وانطلقت الحناجر، والأكفّ والبنادق تمدّ الصدى بموجات إثر موجات تتجلجل في عنق الجبل، ثمّ تنطلق في الفضاء.

وانحزنا بعد تحيّة الجماهير إلى صفّ العلماء والزعماء نداولهم الرأي ونبادلهم

(١) للأديب الحوماني في مجلّته العروبة المحتجبة رسالة منه وجّهها إلينا عرض فيها لموقفنا في الحجير فوصفه كما شهده، وساقه مع وصف كثير من مواقفنا التي شهدها كان في ذلك محتجّاً علينا بأنّ الأمّة أنزلتنا منها أكرم منزل؛ فلماذا لم تكن منفعتنا لها على قدر هذه المنزلة؟ ولم يسق هذا الاحتجاج، وهو خلوّ من عتب أو صخب على أمر لا يعرف كنه توقّفنا فيه، وعلى كلّ فنحن نسوق وصفه أمانةً على التأريخ، قال في العدد ٢٠ من السنة الأُولى ص٢٦: أتذكّر يوم اجتماعكم لمؤتمر الحجير ولقد شهدته بنفسي ورأيت كلّ عالم وزعيم ورده دون أن يحسّ الحضور بوروده؛ لكثرة ما ازدحم فيه من الخلق، حتّى إذا أوشكت ركابك أن تحلّ به حسبنا أنّ الأرض قد تزلزلت، والسماء أطبقت فوقنا، والجبال تقصّفت، لما يصكّ الأسماع من رعود، ويخطف الأبصار من بروق.

وذهل الناس من هول ما رأوا وما سمعوا حتّى حسبتهم سكارى وما هم بسكارى.

ولمّا تكشّف هذا الرهج المعقود فوق الوادي برزت من تحته كالبدر ينشقّ عنه الغمام ليلة تمّه، وإذا بالقسطل المعقود فوقك تثيره سنابك الخيل المحدقة بك، وإذا بالرعود القاصفة، والبروق الخاطفة ممّا تبعثه البنادق والحراب المشرعة حولك لم يبق في الوادي وهو يضمّ الألوف فرد واحد لم يهرع إلى استقبالك، ويتشوّف إلى ركبك.

حتّى إذا التقيت بزملائك العلماء وصدى البنادق لا يزال يدوّي في سماء الوادي أراد العلّامة الحاريصي أن يخفّف من هوس الفرسان فعارضته بقولك: دعهم في حماستهم، ولمّا جلست في خيمة العلماء المضروبة في قلب الوادي حفّ بك هؤلاء وتهافت الحفل المحشود عليك، وفيهم الشيخ والشابّ والجاهل والعالم كلّهم يحدق بك يستمع إليك، وأنت مندفع تخطب فيهم كالسيل تبعث في نفوسهم الحميّة، فتثور النخوة في رؤوسهم حتّى تكاد الحماسة تتطاير من أعينهم شرراً، وأنت دائب فيهم تحرّضهم على الجهاد في سبيل الحقّ.

فهل أحسست من هذه الألوف آنذاك من يردّ لك كلمةً أو يعصي لك أمراً؟ ←

المشورة، فتمخّض الاجتماع عن تفويضي والأخوين العلّامتين السيّد محسن الأمين[١]، والسيّد عبدالحسين نورالدين[٢] بالبحث في مصير الجبل مع جلالة الملك فيصل في الشام[٣].

وكُتبت في هذا وثيقة ممضاة من العلماء والزعماء والوجوه وممثّلي القرى جميعاً.

ثمّ وقفتُ في ذلك الجمع المشهود، وتكلّمتُ في الأزمة ووسائل تفريجها، ووقفتُ وقفةً خاصّةً عند هذه الفوضى التي تهدّد الأمن، وأثبت أنّ الفوضى لن تكون إلّا من العراقيل التي تخذل قضيّتنا، وتدلّ على عدم كفايتنا لما نطلبه.

ثمّ أقسمت اليمين وأخذتها على العلماء والزعماء والوجوه أن نتضامن على حفظ الأمن، وإقرار الهدوء، والحرص على سلامة النصارى بوجه خاصّ.

وأحضرت بعدئذٍ رؤوس الثوّار كصادق حمزة، وأدهم خنجر[٤]، ومحمود الأحمد[٥]، ونصحت لهم وأمرتهم أن يكفّوا عمّا هم فيه، بل هدّدتهم إن لم يكفّوا بالعقوبة والمصادرة والمطاردة.

ثمّ انفضّ الجميع على يمن هذه النيّة، ورجعنا نتأهّب للسفر إلى دمشق.

← كلّهم ـ مذعناً لك، خاضعاً بين يديك ـ يتّخذ قولك الحدّ الفاصل بين الحقّ والباطل.

ولو شئت أن ترمي بهم يومئذ في البحر لَما عصوا لك أمراً.

فهل كانوا مقصّرين في السمع والطاعة لك، والخضوع والإذعان بين يديك؟

وهل لك بعد هذا أن تعتذر بأنّ القوم لم يطيعوا أو لم يسمعوا؟

هذا مشهد شهدته بنفسي، ووعيته بقلبي، وتدبّرته بسمعي وبصري، أتذكر ذلك يا سيّدي؟

إلى آخر كلامه الذي قد نعرض لبعضه عند الاقتضاء.

---

١. راجع ترجمته في تكملة أمل الآمل: ٣٢٨، الرقم ٣١١؛ معارف الرجال ٢: ١٨٤، الرقم ٣٠١.

٢. راجع ترجمته في نقباء البشر ٣: ١٠٧٥، الرقم ١٥٨٠؛ أعيان الشيعة ٧: ٢٤٥؛ تكملة أمل الآمل: ٢٥٦، الرقم ٢٢٢.

٣. راجع ترجمته في الأعلام للزركلي ٢: ٢٤٩؛ و٥: ١٦٥؛ الموسوعة العراقيّة ٢: ١٨٠.

٤. هو أدهم بن خنجر بك الصعبي، عرف بالشجاعة والشهامة والنخوة، وقد وقع بأيدي الأفرنسيّين فأعدموه سنة ١٣٤١. «ع»

٥. هو محمود بن أحمد بزي ابن أخي الحاجّ محمّد سعيد بزي من كبار أعيان جبل عامل، وهو الذي قاد معركة عين إبل الشهيرة، وقد فرّ بعد ذلك إلى أفريقيا، وأقام في سيراليون إلى أن توفّي سنة ١٣٦٤. «ع»

[إلى دمشق]

في واسط

ركبنا طريق «القنيطرة» إلى دمشق، ودون «واسط» استقبلنا أميرها المحمود الفاعور[1]، جمع له رؤساء العشائر وأعلام النهضة العربيّة، وكانت داره مثابةً لهؤلاء الأفذاذ وواسطة عقدهم المنظوم.

وكان لابدّ من المذاكرة والبحث في هذه الشؤون التي كانت تشغلنا جميعاً، وتستأثر بأفكارنا وجهودنا دون غيرها من مهمّات الحياة، وحين خلونا للبحث والمذاكرة كان من رأيهم الوثبة، وكانت الحماسة فيهم بالغةً أقصاها وقصاراها، ولكنّي كفكفت من لجامهم، وكان لي في التريّث رأي أوضحت لهم وجهته وأحلتهم في كثير من نواحيه على خطّة فيصل الحكيمة، المعتمدة على المفاهمة قبل المبادرة إلى العنف.

ولابدّ لنا من اعتماد المفاهمة؛ لأنّ للعنف مغبّة نخشاها، ولا سيّما ونحن إزاء دولة موصولة بالعواصم والمعامل والجيوش، فإذا لم نجد مندوحةً فدماؤنا للتضحية، وسواعدنا للصراع، ولا شكّ في ذلك ولا حيدة عنه.

فترك حديثنا في نفوسهم أثراً علّقوا فيه خطّتهم على مصير مقابلتنا للملك فيصل.

في دمشق

لنا في دمشق ذكريات زهر، لو كان غيري رجلها لنشرتُ صحفها، وفصّلت مواقفها

---

١. هو الأمير محمود بن الأمير محمّد الفاعور أمير عرب الفضل، وهم ينتسبون إلى الفضل بن العبّاس بن عبدالمطّلب، كما ذكر هو للمرحوم والدي كان أميراً جليلاً متّصفاً بتمام صفات معاني الإمارة، حارب الفرنسيّين في تلك الفترة، وشرّد في هذا السبيل، توفّي سنة ١٣٤٦. «ع»

في تأريخ مذهّب مجنّح، ولكنّي أعرض عن التفاصيل، وأطويها في جمل تنسجم، وهذا النسق المتواضع.

اجتمعنا في دمشق بجلالة الملك فيصل، وقد استقبل وفادتنا إليه، وفي نفسه ووجهه بشاشة تهزّ نفسه ووجهه بالمؤنسات، وتمهّد لنا من دنيا الكرامة.

وأقبلنا عليه ملكاً يتناسى ملكه، ويصغي لمطالبنا إصغاء من به حاجة إلى الإصغاء.

واستهلّينا الحديث معه بالتهنئة التي حملناها من وادي الحجير بملكه الجديد.

وكانت لنا معه بعدئذ جلسات متعدّدة، انفردت به في بعضها، وكان معي العلّامتان السيّد محسن [الأمين]، والسيّد عبدالحسين [نور الدين] في بعضها، وكان موضوع هذه الجلسات النظر في مصير جبل عامل خاصّةً، وفي القضيّة السوريّة عامّةً، وكنّا نبحث جهات ذلك كلّه باستقصاء وتفصيل للمراجعات والمحاذير.

وكان لي في بعض الجلسات مواقف خطابيّة كان لها وقع حسن في نفسه، وتأثير في نضج بعض الفكر المتّصلة بمهمّتنا جميعاً.

وأخيراً بذل لنا ما نحتاج إليه في الوثوب من عتاد وجند وأطبّاء.

ولكنّ الظروف كانت تقضي بالأناة والتريّث، فاتّفقنا على أن يكون ذلك جاهزاً إذا اشتدّ الأمر، وأمكنت الفرصة.

ولعلّ الذاكرين من شهود هذا العهد يعرفون أنّ لجلالته ثقة بنا، كانت لا تعدلها ثقة، وأنّ دمشق يومئذ عقدت لنا حفلات جامعة أهلّتْ فيها المنابر بالخطباء والشعراء من أعلام الفكر والبيان، وأُتيح في زيارتنا لدمشق موسم من مواسم الأدب والسياسة المذكورة في تأريخ هذا العهد، وكانت لنا في تلك المنتديات والمؤسّسات الكريمة مواقف لا تنسى.

ومهما يكن من أمر فإنّنا ما نزال نذكر دمشق ونذكر ملكها ملك العرب الراحل بالحنين والشوق، وتذمّ الزمان الذي حال دون تلك الأماني الطيّبات، تلك الأماني التي

كان من شهدائها بطل ميسلون الخالد، هذا الرجل الذي كان يشرق في سماء العروبة والسياسة العربيّة إشراق البدر، ويجول في ميادينها جولة الفارس المعلّم.[١]

لهب الثورة

وقد تطوّرت في غيابنا الأحداث في جبل عامل، وساءت الأحوال، فذرّ الأفرنسيّون على الجرح ملحاً بأن حرّكوا النعرة الطائفيّة، وزوّدوها بالسلاح من جِهة وسلّموا أهل عين إبل[٢]، وأظهروا عجزهم إزاء العصيان المدني الشامل الذي تحصّن به العامليّون من جِهة أُخرى، وكان غرضهم من ذلك ما كنّا نخشاه من سوء المنقلب، وإظهارنا أمام الدول مظهر من لا يستطيع إدارة نفسه إدارةً مستقلّةً.

وقد اغترّ أهل عين إبل بحصانة موقعهم، وبقوّة أسلحتهم فابتدروا من مكامنهم منصلتين بالعداوة والمجاهرة بالاعتداء، وكانت هذه حركةً استفزازيّةً. قابلها الفتيان العامليّون بالاستياء والحفيظة، ثمّ كان لذيول الإفرنسيّين مسعى خبيث في إثارة الفتنة والنعرة الطائفيّة، فحدث بسبب ذلك فتنة في عين إبل[٣] فنهد إلى عين إبل ثلّة من الأشدّاء واقتحموها قادرين وانجلت المعركة عن مائة قتيل ونيّف من أهل تلك البلدة وصيح نهباً في حجراتها(١).

وقد كان استياؤنا بهذه الكارثة عظيماً، أزعجنا مظهرها الفوضوي البربري بقسوته

(١) وكان ذلك يوم السبت ١٩ شعبان سنة ١٣٣٨، الموافق ٨ أيار سنة ١٩٢٠.

١. للمزيد راجع ص ٧٩١ ـ ٧٩٣، الذيل ٢٠.

٢ و٣. في هذين الموردين جمعنا بين الموجود في المطبوعة وبدله الوارد في «خ» لوجود الفائدة في ذلك.

التي لا تبيحها شريعة[١]، وأزعجنا بأنّها أساءت إلى خطّتنا التي أعلنّاها في الحجير من المحافظة على الأمن، والمبالغة في تأمين النصارى وسائر الأقليّات. وهذه هي خطّة فيصل.

وقد كانت هذه الكارثة من العراقيل التي عاقتنا عن الوصول إلى غايتنا من الاستقلال والتحرّر، فالأسف يتأوّبنا في خواطرنا.

وشاء ذيول الفرنسيّين من منافقي الأفنديّة والمتزّعمين أن يستغلّوا هذا الحدث أسوأ استغلال، فنسبوا إلينا فتوى بجهاد النصارى، وقالوا: إنّها كانت في مؤتمر الحجير.

وكانت دعواهم هذه تحريفاً سيّئاً لموقفنا المشهود في الحجير، وذهبوا بهذا التحريف المزوّر يزجّونه في آذان الحاكمين المستولين في غير ذمّة ولا دين.



تطوّر الأحداث

وحين رجعنا من دمشق رأينا الأحداث متطوّرةً تطوّراً تعسر ملافاته[٢]. فقد كانت الحكومة المسيطرة مغلولة اليد لا يمتدّ سلطانها متراً واحداً وراء المدن الساحليّة، والبلاد مضربة ثائرة لا تقرّ معاملةً ولا ترجع إلى الدوائر الرسميّة في أمر من أُمورها.

وكنتُ على علم بالخطر المحدق بمقامنا في صور ـ وهي مقرّ للحكم الفرنسي المستأثر ـ لذلك ألقيت إلى أهلي أن يتركوا صور ـ قبل ذهابي إلى دمشق ـ وينتقلوا إلى دارنا في شحور؛ فإنّها آمن لهم وأبعد عن متناول الفرنسيّين.

وقد علمت بعد رجوعي من دمشق أنّ تقديري كان على صواب.

وكان القوم ينتظرون أوبتي التي جعلوها موعداً للضربة فما كدت أرجع حتّى جهّزوا

١. في «خ»: «شريعتنا المقدّسة».

٢. تلافي الشيء: تداركه. المعجم الوسيط: ٨٣٢، «ل. ف. ي».

جيوشهم ـ ولمّا أرتجل عن مركبي ـ وفرّقوها في أطراف الجبل موقرةً بالأسلحة الثقيلة والعتاد، وأوعزوا لها بالإمعان في القسوة والإرهاب والإهانة، فمضت على غلوائها تخيف القرى الآمنة، وتزعج الأسراب البريئة، وتنهك المعايش بما تستنزف من ماشيتها وبيضها ودجاجها وألبانها وضروريّاتها الزهيدة، حتّى وهن الكاهل تحت الثقل، ولكن لا حيلة في ذلك ولا منجى، وباللّه المستعان.

وكان الملك فيصل وفى بوعده، وجهّز إلى الجبل قوافل من العتاد والأسلحة والأطبّاء، ولكن الزعيم كاملاً أرجع ذلك كلّه؛ تعويلاً على الحلول السلمية، وأخذاً بالأناة والتساهل.

ومهما يكن فقد كان نصيبنا من هذه الجيوش حملة جرّارة قدّرت بألف فارس مجهّزين بالمدافع الثقيلة والدبّابات والمدرّعات، زحفت بقيادة الكولونيل «نيجر» إلى شحور، وما كاد الفجر يتضوّأ بأضوائه النديّة حتّى كانت المدافع الثقيلة منصوبة على جبلي «الطور» و«سلطان» المشرفين على القرية، وهبط الجيش يتدفّق بين كروم التين ويلتفّ حول القرية في رهبة أوحشت سكينة الفجر المستيقظ لذكر اللّه تعالى في مستهلّ شهر رمضان المبارك سنة ١٣٣٨[١]، وكنت أهوّم بعد صلاة الفجر بنعاس بعد تعب السفر وتعب السهر، وكانت وصيفتنا الصالحة «السعيدة» تتهيّأ لصلاتها فأشرفت على مدخل القرية ـ وهي تتبيّن الصبح ـ فراعها أن ترى أنّ آذان الخيل تنتشر بين أشجار التين في مثل هذا البكور فأجفلت مذعورةً، ورجعت توقظني من نومي.

نهضت مسرعاً إلى أرديتي وانسللت أتخطّى الأزقّة والمضايق، ثمّ خرجت من بين العسكر وهم لي منكرون، وتركتهم يتظنّنون، وانسحبت أهبط الوادي إلى غار على

(١) يوافق ٥ حزيران سنة ١٩٢٠.

شاطئ الليطاني، كان لجأ إليه جدّنا السيّد صالح[١] في محنة الجزّار.

أمّا الجند فطفق يسأل عنّي واستوقف الصغار من أفراخي مع عمّهم السيّد محمّد وخالهم السيّد حسن[٢] يستنطقهم والسيف مُصلِت فوق رؤوسهم، ولكنّهم أجمعوا على أنّي في دمشق.

ولمّا استيأسوا من العثور عليّ تفرّقوا في القرية يأكلون ويشربون ويحطمون، ولم يغادروا شحوراً قبل أن يحرقوا الدار ويأسروا أخي السيّد وآخر أحمد من أشراف بني زهرة اسمه السيّد أحمد ويسوقوهما مع عدّة من وجوه البلد إلى السجن والتنكيل.

وكان قد أنسلّ من شحور ومن القرى المجاورة نفر من فتياننا عرفوا مكاني على الشاطئ فالتحقوا بي، وأمضيت في الغار ليلةً استعدت فيها بعض الراحة والنشاط، ثمّ أخذت طريقي إلى الشام، والتحق بي من التحق ممّن حكم عليهم بالنفي أو الإعدام.

وكنّا في دمشق موضع الحفاوة والنفوذ والاحترام، وفي القمّة من العزّ ومنعة الجانب. وعاملة ـ ويحي لها ـ تنوء تحت ضربة بكر، وتلفظ أبناءها هنا وهناك من الخشية والذعر.

أعلنت فيها الأحكام العرفيّة، فحكم عليّ بالنفي المؤبّد مع مصادرة ما أملك(١)،

---

(١) وقد احتلّوا دارنا في صور بعد أن صبح نهباً في حجراتها، فعظمت المصيبة وجلّت الرزيّة بنهب المكتبة الحافلة بكتبها القيّمة، وفيها من نفائس الكتب المخطوطة ما لا يكاد يوجد في غيرها، وكان لي فيها كتب استفرغت في تأليفها زهرة حياتي وأشرف أوقاتي فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون.

---

١. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ٧: ٣٧٧؛ نقباء البشر ٢: ٦٦١ ـ ٦٦٢، الرقم ١٢٠٠؛ تكملة أمل الآمل: ٢٣٣، الرقم ٢٠٢.

٢. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ٥: ٣٢٥؛ معارف الرجال ١: ٢٤٩، الرقم ١٢٢؛ تكملة أمل الآمل: ١٦٠، الرقم ١١٨.

وبهذا حكم على العلّامة السيّد عبدالحسين نورالدين، وعلى الأحرار من زعماء البلاد وفي مقدّمتهم كبيرهم كامل بك الأسعد.

أمّا فتيان الثورة فقد حكموا بالإعدام، وأنفذ هذا الحكم الغاشم في كلّ من ظفرت به منهم.

ثمّ فرضت على الجبل غرامة فادحة لا تتحمّلها ثروة البلاد، وقدرها مائتا ألف ليرة ذهبيّة[1]، دفعتها البلاد من دمها وأملاكها خمسمائة ألف كان الزائد عن الغرامة نصيب السماسرة الماديّين من باعة الضمائر والأوطان.

وهكذا قدّر لهذا الجبل أن يخفق، فكان إخفاقه سبباً في إخفاق القضيّة السوريّة؛ لأنّه كان المرحلة التجريبيّة التي جرّأت فرنسا بعدئذ على سورية.

ولو أنّ النفر الخوّان في عاملة استقام للأمر وظاهر المخلصين من الناهضين لثبت شيئاً من الثبات، ولكان درساً لأمثاله في سوريا الذين كانوا وبالاً على قضيّتنا المشتركة.

ولكنّ الأمّة العربيّة ممتحنة بهؤلاء في تأريخها الحافل بالنهضات والكبوات جميعاً.

---

(١) وقال الريحاني في ص ٣١٨ من الجزء الثاني من كتابه ملوك العرب ما هذا نصّه: فـفرض «نيجر» على أهل جبل عامل مائة وخمسين ألف ليرةً ذهباً، وفوّض إلى حاكم صيدا العسكري ورجاله، وفيهم ثلاثة من السوريّين لجمعها، فجمعوا أضعاف[1] المائة والخمسين ألف ليرة بطرائق لا حاجة لذكرها [قال:] وقال العارفون المدقّقون: إنّ الجباة الماهرين جمعوا أربعمائة وخمسة وثمانين ألف ليرة. انتهى. أقول والصحيح ما قلناه في أصل الضريبة وفي ما جمعه الجباة[2].

---

١. في «أ» و«خ»: «ضعف».

٢. لم نعثر عليه في طبعه الخامس والثامن الموجودين، وكأنّه حذف منه من الطبعة الرابعة ومابعدها. ويؤيّده ما قاله السيّد عبدالله ابن المؤلّف. راجع قوله في ص ٣١٦.

في المنفى

لا أقصد بهذا العنوان غير مدلوله الحرفي؛ لأدلّ به على هذا الجزء من هذه السلسلة، ودمشق ـ بعد ـ منتزه لم أشعر فيه إلّا كما يشعر ذو الوطن بنعمة وطنه العزيز، وكنت أحسُّ مضافاً إلى ذلك بلذّة الجهاد الذي صيّرني في نعمة أُخرى من ضميري، وما عليَّ إذا تظافرت الأسباب أن لا تنصاع لنا الأُمنية ويطيع الأمل؟

وفي كلّ حال فقد قضيناها شهوراً في دمشق اجتمع إلينا فيها من عوائلي ما ملأ دوراً ثلاثاً كبيرةً، وكان خلال هذه الشهور يعتاد مجلسنا الوزراء والعلماء والرؤساء، وفي مقدّمتهم بطل الجهاد في هذه الفترة يوسف بك العظمة[1]،

---

١. ولد في دمشق سنة ١٣٠١، وأكمل دروسه في المدرسة الحربيّة بالآستانة سنة ١٩٠٦ ـ ١٣٢٤ ـ وخرج برتبة «يوزباشي» أركان حرب، وأُرسل إلى ألمانيا للتمرّن عمليّاً على الفنون العسكريّة، فمكث سنتين وعاد إلى الآستانة، ونشبت الحرب العامّة، وعيّن رئيساً لأركان حرب الفرقة العشرين، ثمّ الخامسة والعشرين وكان مقرّ هذه في بلغاريّة ثمّ في غاليسيّا النمسويّة، ثمّ في رومانيّة، وعاد إلى الآستانة فرافق أنورباشا، ناظر الحربيّة العثمانيّة في رحلاته إلى الأناضول وسوريّة والعراق، ثمّ عيّن رئيساً لأركان حرب الجيش العثماني المرابط في قفقاسيّة، فرئيساً لأركان حرب الجيش الأوّل بالآستانة، ولمّا وضعت الحرب أوزارها عاد إلى دمشق فاختاره الأمير فيصل مرافقاً له، ثمّ عيّنه معتمداً عربيّاً في بيروت، فرئيساً لأركان الحرب برتبة قائم مقام في سوريّة، ثمّ ولّي وزارة الحربيّة سنة ١٩٢٠ بعد إعلان تمليك الأمير فيصل بدمشق، فنظّم جيشاً وطنيّاً يناهز عدده عشرة آلاف جندي، واستمرّ إلى أن تلقّى الملك فيصل إنذار الجنرال غورو بوجوب فضّ الجيش العربي، وتسليم السلطة الإفرنسيّة السكك الحديديّة، وقبول تداول ورق النقد الفرنسي ←

وكانت وسائل الراحة مهيّأةً طيّعةً، سواء ما كان منها من وسائط النقل أو وسائل الصحّة أو أسلاك التلفون والبرق، وكنّا نسهم خلال هذه المدّة بحظّ غير يسير في مشاورات القضيّة العربيّة العامّة، وفي محادثات المناهضة العربيّة السوريّة، حتّى إذا حمَّ القضاء وأُديل لفرنسا من العرب وتدفّقت جيوشها تحتلّ دمشق(١)، خرج الملك فيصل إلى فلسطين، وخرجنا بأثقالنا نحن أيضاً إلى حيفا عن طريق درعا.

(١) كان احتلالها يوم ٢٦ تموز سنة ١٩٢٠، وكان قد غادرها الملك فيصل ومعه حاشيته.



← السوري، وغير ذلك ممّا فيه القضاء على استقلال البلاد. فتردّد الملك فيصل ووزارته بين الرضى والإباء، ثمّ اتّفق أكثرهم على التسليم، فأبرقوا إلى الجنرال غورو، وأوعز فيصل بفضّ الجيش، ولكن بينما كان الجيش العربي المرابط على الحدود يتراجع منفضّاً كان الجيش الإفرنسي يتقدّم بأمر الجنرال غورو، ولمّا سئل عن هذا الأمر أجاب بأنّ برقيّة فيصل بالموافقة على بنود الإنذار، وصلت إليه بعد أن كانت المدّة المضروبة «٢٤ ساعة» قد انتهت، وعاد فيصل يستنجد بالوطنيّين السوريّين لتأليف جيش أهلي يقوم مقام الجيش المنفضّ في الدفاع عن البلاد، وتسارع شباب دمشق وشيوخها إلى ساحة القتال في ميسلون، وتقدّم صاحب الترجمة يقود جمهور المتطوّعين على غير نظام، وإلى جانبهم عدد يسير من الضبّاط والجنود، وكان قد جعل على رأس وادي القرن في طريق المهاجمين «ألغاماً» خفيّةً، فلمّا بلغ ميسلون ورأى العدوّ مقبلاً أمر بإطلاقها، فلم تنفجر، فأسرع إليها يبحث، فإذا بأسلاكها قد قطعت فعلم أنّ القضاء نفذ، فلم يسعه إلّا أن ارتقى ذروة ينظر منها إلى دبّابات الفرنسيّين زاحفةً نحوه، وجماهير الوطنيّين من أبناء البلاد بين قتيل وشريد، فعمد إلى بندقيّته ـ وهي آخر ما بقي لديه من قوّة ـ فلم يزل يطلق نيرانها على العدوّ حتّى أصابته قنبلة تلقّاها بصدر رحب، وكأنّه كان ينتظرها ففاضت روحه في أشرف موقف، ودفن بعد ذلك في المكان الذي استشهد فيه، وقبره إلى اليوم رمز التضحية الوطنيّة الخالد، تحمل إليه الأكاليل كلّ عام من مختلف البلاد السوريّة، كان يجيد اللغات العربيّة والتركيّة والفرنسيّة والألمانيّة وبعض الإنكليزيّة، وكان يوم ميسلون في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٣٨. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج ٨ ص ٢١٣.«ع»

في حيفا

ولبثنا في حيفا أيّاماً زارنا خلالها الأمير ناصر[1]، وزرنا جلالة الملك، فرغب إلينا أن نكون في جوار بيت اللّه الحرام إلى أن تنكشف هذه الأزمة.

وكتب إلى والده المغفور له الملك حسين في ذلك، ثمّ أوعز بإعداد الأسباب اللازمة لهذه الرحلة، غير أنّ وعكة[2] لحقت بابني محمّد جواد صرفتني عن الحجاز إلى مصر وعلى هذا عقدت نيّتي.

فوزعت أهلي بين البلاد فأرسلت جماعة منهم إلى جبل عامل تجعجع بهم الطريق، وتُسدّ في وجوههم الأبواب، وجماعة منهم إلى دمشق ينسلون متنكّرين، وأخذت وجهي إلى مصر ومعي ولدي محمّد جواد.

في مصر

لم يخفَ أمرنا في مصر، على أنّي كنت متنكّراً.

فما بلغت مصر حتّى تقاطر نحوي ذوو الفضل من أعلام الفكر والسياسة، وعقدت لنا حفلات صعدت فيها المنبر.

وكان لبعض الأعلام معي أحاديث تتعلّق بهذه النهضة، وطلب منّي أن أذهب

١. هو الشريف ناصر بن عليّ الحسيني: قائد شجاع من أشراف المدينة المنوّرة، ولد بها سنة ١٣٠٨، وقامت ثورة الملك حسين على الترك بمكّة، فكان ناصر أوّل من نادى بها في المدينة، ثمّ لحق بفيصل، وتولّى القيادة بين يديه في زحفه إلى الشمال، فخاض المعارك في قتال العثمانيّين، ودخل دمشق قبل فيصل، وسبقه في مطاردة فلول العثمانيّين إلى حلب، فكان يقال له: فاتح حلب، وأقام في دمشق، وغادرها بعد احتلال الفرنسيّين لها، فقصد بغداد إلى أن توفّي سنة ١٣٥٣، وكان هادئ الطبع، رضيّ الخلق. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج ٧ ص ٣٤٩. «ع»

٢. الوعكة: الوعك: الألم يجده الإنسان من شدّة التعب. راجع لسان العرب ١٠: ٥١٤، «و. ع. ك».

إلى الولايات المتّحدة في هذا السبيل.

وعلم بوجودنا في مصر القائد العام اللورد المرشال اللنبي فزوّدنا بما يسهل لنا طروق الحدود، ولكن ظروفاً سياسيّةً وأُخرى شخصيّةً قعدت بنا عن الإبحار إلى واشنطن وأمضينا في مصر قرابة الشهرين.

في علما الجيرة

وبما أنّنا في مصر بعيدون عن الإشراف على جبل عامل وأخباره وآثرنا أن نقترب إليه لنكون أقرب إلى نفعه، فعدنا إلى فلسطين، واخترنا قرية علما؛ لموقعها القريب من الحدود؛ ولأنّها محاطة بقرى المشرّدين من أبطال الحركة العامليّة، فكان كامل بك في الجاعونة، والسيّد عبدالحسين نورالدين[1] في الريحانة، وآل البزي في الريحانة ورأس الأحمر، وهكذا.

وفي علما[2] كنّا على اتّصال دائم بجبل عامل وبأعلام فلسطين وبإخواننا المشرّدين، وكنّا نعمل على إنقاذ الجبل ممّا حلّ به من كوارث فرنسا، عملاً كان من نتائجه أن أُفرِج عن كامل بك وبقيّة الوجوه.

وعزمت بعد ذلك على مغادرة هذه البلاد إلى العراق، وشاع ذلك عنّا حتّى بلغ الجنرال غورو، فرأى في إعراضي عن دخول الجبل غلطةً تنسب إلى عهده فما أحبّها لحكمه، ولا سيّما وهو لا يأمن من بُعدي سياسيّاً، فأرسل مندوباً خاصّاً يحمل إليّ منه رسالةً بالأمان، ويطلب منّي دخول البلاد على ما أُحبّ.

---

١. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ٧: ٢٤٥؛ تكملة أمل الآمل: ٢٥٦، الرقم ٢٢٢؛ نقباء البشر ٣: ١٠٧٥، الرقم ١٥٨٠.

٢. أي قرية علما.

العودة[1]

هبطت بيروت أوّل ما هبطت من ثغور الوطن، ولقيت فيها الجنرال غورو المندوب السامي، والمسيو ترابو حاكم لبنان الإداري العامّ، وكان لي معهما حديث لم ينكرا فيه شيئاً من صلابة العود، ولا قوّة الشكيمة، بل جريت فيه على أساس نهضتنا في صراحة ووضوح وإصرار، وقد أبنت لهما خطأهما فيما ارتكباه من تشريد المخلصين من أحرار هذا البلد، واضطررتهما إلى الاعتذار والتواضع، وختمت حديثي معهما بطلب العفو العامّ عن معتقلي هذه الفتنة فأجابا وأمرا بإخراج المسجونين جميعاً، وفيهم أخي والسيّد أحمد الزهراوي وكانا وعداني بالعفو عن صادق الحمزة وإخوانه الثائرين[1]، ولكنّهما لم يفيا بما وعدا.

مناظر العودة

ماذا أُسجّل لهذا الجبل من عواطف لا يفيها القلم حقّها من الشكر، وماذا أصف من مظاهر هذه العواطف، وأنا أتخفّف بالقول، ولكن لهذه العواطف

---

(١) كانت عودتنا يوم الجمعة ثامن عشر شوّال سنة ١٣٣٩هـ، وكانت مدّة تشريدنا ثلاثة عشر شهراً وثمانية عشر يوماً؛ إذ كان مبدؤها مستهلّ شهر رمضان المبارك سنة ١٣٣٨ .

---

١. هو صادق بن عليّ الحمزة الفاعور، ولد في قرية ديعال سنة ١٣٠٣، كان قائد الثوّار في جبل عامل في تلك المدّة معروفاً بالنبل والشهامة والنخوة، وله وقائع مع الفرنسيّين أبانت عن فروسيّته وشجاعته، وقد فرّ بعد ذلك إلى شرق الأُردن مع بعض رفقائه وبقي هناك إلى أن اغتيل من بعض البيروتيّين سنة ١٣٤٧.«ع»

حقّاً لا مندوحةً عن التعرّض له في هذا السياق لأُقابل بعض ما أحاطني به من الجميل بالوفاء.

في صيداء

اجتمع في صيداء أعيان البلاد ووجوههم في مظهر من مظاهر الودّ والحبّ، وكان هذا الاجتماع إعلاناً لتقدير البلاد قدر الجهاد، وشَهِدَتْ يومئذ دار الزعيم يوسف بك الزين لوناً من الألوان القوميّة التي تعوّدتها.

وكان آل الزين وآل عسيران وآل حلاوي وآل عزّالدين ذوي مشاعر فيّاضة مشكورة، وكان مع هؤلاء الأحرار دَخَل من الاخلاط الذين كان لهم من الوشاية بنا حصّة الأسد.

وكانوا أكثر المصفّقين تصفيقاً، وأعلاهم هتافاً غفر الله لهم وعفا عنهم.

في صور

وكان موعد وصولنا إلى صور موعداً لحشر عظيم، وحين أقبلنا على أبي الأسود والقاسميّة كانت غمائم الوفود تملأ الأرض وتسدّ الطريق، وكانت راياتها الملوّنة تنتشر في الأفق كأجنحة النسور.

واطّرد في صور موسم للأدب وللحفلات والوفود إمتدّ أمَدُه حاشداً نحو شهرين[1].

---

(١) عرض الأديب الحوماني لهذا في ص٢٧ من العدد عشرين من السنة الأولى من مجلّته العروبة، فقال: أتذكّر أيضاً يوم عدت من مهجرك في سبيل الجهاد، وهبطت أرض صور، وانكفأ الجيل بأسره عليك مرحّباً بقدومك.

إلى أن قال ـ بعد أن عرض لمدح الشعراء وإغراقه معهم في الثناء ـ: لقد شهدت هذا بنفسي، ولم أحرم فيه من عطفك وإحسانك، وشهدت أيضاً بعده بأيّام يوم أعلنت صعودك إلى ←

وكنتُ أُؤثر أن أتجاوز هذا كلّه لو لا أن يفرض ذكره للوفاء لتلك العواطف والمكافأة عليها بتخليده إرثاً أتركه لا أترك سواه لعقبي وبلدي؛ فإنّ فيه من تأريخ هذه المرحلة من مراحل الجيل[١] صفحة جهاد غرّاء تنضمّ إلى صفحات هذا الجبل الجياد، وتثبت استمراره حرّاً، تتحرّك في صدور أبنائه عوامل الخير طامحةً إلى وجود أفضل، ومع ذلك فقد آثرت اختزاله واختصاره، وسأترك التفاصيل لقرائح الشعراء الفحول، فإنّ في آثارهم ما يفصّل ما أجملت.

وإليك ما جادت به قريحة الفاضل الفذّ أديب عاملة في عصره المرحوم الشيخ محمّد حسين شمس الدين(١).

← قريتك شحور وبات يعلم كلّ فرد في الساحل والجبل أنّك ستغادر صور إلى شحور، فتنادى أفراد الشعب وتنافروا، وهاج بعضهم بعضاً للصعود بركابك من الساحل والهبوط لاستقبالك من الجبل، وكان يوم عروجك مشهوداً، فكانت الخيّالة تحفّك محيطة بك إحاطة حُمَيْر في تُبّع، ثمّ صعدت والخيل بركابك تمتدّ أميالاً حتّى إذا وطأت سنابك الخيل أرض شحور، وقد ملأت الوفود ضواحي البلدة، وغصّت الحقول بالمستقبلين حتّى لم يبق شجرة تتدلّى فروعها على غير محبّيك وزائريك، ولبثت بعد ذلك تتلقّى الوفود إثر الوفود، وفيهم العلماء والأدباء والشعراء ـ إلى أن قال ـ: أمّا الموائد التي أدبتها، والسمط التي مددتها، وأمّا الجفان التي كانت تختلف إلى قاعات الطعام، وأمّا الضحايا التي كانت تملأها من الضأن والماعز، أمّا ذلك كلّه فقد كنت فيه سيّد العرب، وأعدت لنا به عهد حاتم طيّ. إلى آخر كلامه الذي ربما نعرض لشيء منه في محلّه.

(١) هو الشيخ محمّد حسين بن الشيخ محسن بن الشيخ علي شمس الدين، كان من أعلام الأدب وفي طليعة الفحول من شعراء عاملة في هذا العصر. وُلد في حدود سنة ١٢٨٠ في قريته «مجدل سلم» وتوفّي فيها ٩ شوال سنة ١٣٤٢هـ وكان في الفضل والعلم على جانب ألحقه الله بمنازل الأبرار. تليت هذه القصيدة في الاحتفال المنعقد في صيدا[٢].

---

١. في «أ» و«خ»: «الجبل».

٢. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ٩: ٢٢٤ ـ ٢٢٥؛ نقباء البشر ٢: ٦٣٩، الرقم ١٠٧٠.

ســـمعاً فـعامل خـطبه جـللُ ... يكـفيك عـن تـفصيله الجُـملُ
لاتسأل الأطـــلال عــن أحـد ... خسفَّ القــطين وأوحش الطــللُ
ناخت على الجبل الخطوب ردىً ... فـقل: الســلام عـليك يـا جـبلُ
جــاست خــلال ربـوعه فـتنٌ ... خــرقاءُ فـيها يـضرب المـثلُ
صـبّت عــليه مـصائباً فـعلى ... أمـــثالها لاتـــبرك الإبــلُ
طـلعت عــليه طـلائع مـلأت ... أرجـــاءَه وأُخـــيفت الســبلُ
وتــدافـعت تـرمي مـدافـعها ... كِـــللاً تـطاير تـحتها القُـللُ
فكأنّــــما أبـــناء عـــاملة ... غـــنم مـن الذؤبـان تـنجفلُ
وكأنّ يـــوم الحشــر فــاجأه ... كــلٌّ له فـــي نـفسه شـغلُ
ودويُّ أصوات المدافع في السـ ... ـتَ الجـــهات لوقـعها زجـلُ
ولو أنّــــها تــرمي إلى حـمل ... لانـقضّ مـن أحـيازه حـملُ
والطــيرُ طـير الحـتف فـوقهمُ ... يـرمي القـنابل حـيث يـنتقلُ
فــالجوّ يـمطر فـوقهم شـرراً ... والأرض بـــالنيران تشـــتعلُ
ونـجا أبـو الأشـبال مـعتصماً ... بـــالله وهـــو عـليه مـتّكلُ
عـــلم الإلـــه بأنّ نـــهضته ... للـــدين وهـــو لديـنه البـطلُ
لو لم يكـــن هـو روح عــاملة ... مـــا هـيّجت سـرباً له الدولُ
ولحــفظه الوطـن اسـتتاب إلى ... عـــزمٍ تـقصّف دونـه الأسـلُ
يــرمي إلى اســتقلاله شـغفاً ... بســـهام رأي مـا بـه خـطلُ
فــإذا رمـى عـن قـوس حـجّته ... قـــالت له العـــلياء: لا شـللُ
لو كـــان يـقبل مـنهمُ مِـنناً ... لأتـــاه مـا لاتـحمل البـزلُ
لكـــن أبـــى إلّا الإبـا وكـذا ... مـــن قـبله آبـــاؤه الأُوَلُ
فـــرمت مـــعاقله بـذي لجب ... عـنه يـضيق السـهل والجـبلُ
ونــجوت يـا عـبدالحسين بـما ... حــفظت بـه مـن قـبلك الرسـلُ

أبت الحميّة أن تقرّ على ... ضيم ودونك في العلى زحلُ
ما ضرّ تشريدٌ به شرفٌ ... لبناء مجد ما به خللُ
فالحمد دون المال مكتسبٌ ... والمال دون العرض مبتذلُ
وتنقّلت بك في العلى هممٌ ... وكذلك الأقمار تنتقلُ
فرموا إليك بكلّ رائعة ... يهوي على فوهاتها الأجلُ
فكأنّما الدنيا بأجمعها ... رجلٌ وشخصك ذلك الرجلُ
وطلعت من بعد الغياب على ... آفاق عامل وهي تبتهلُ
عودٌ أعاد لها الحياة كما ... يحيي الربيعَ العارضُ الهطلُ
وأشقّ ما لاقوه من وجل ... أنْ حلّ حول جنابك الوجلُ
ما أنت إلّا السيف جرّده ... للخطب عزمك حيث لا رجلُ
وأعاده للغمد شائمه ... والعود أحمد إذ به الجذلُ
يا أيّها العلم الرفيع علىً ... بك لا بغيرك يصلح الخللُ
أنت الإمام وأنت طاعته ... فرض فَمُرْ فالكلّ ممتثلُ
إنّ الرجال معادن فتىً ... منهم يُعدُّ ومنهم الهملُ
من كابن يوسف في الورى شرفاً ... وله العُلى الأنصار والخولُ
هيهات لا يعطي القياد على ... ضيم وهاشم كلّهم بُسلُ
أيخفُّ وهو ثبيرها شمماً ... وله المحامد كلّها ثقلُ
أعلى الصغار تلين صعدته ... وله المعالي كلّها ذللُ
ما كان يصعب أن يفارقنا ... لو كان في الدنيا له بدلُ
بهرت مظاهره بكلّ عُلىً ... كالشمس حيث تقشّع الطفلُ
ما زال يصعد في العُلى شرفاً ... حتّى غدا في النجم ينتعلُ
شدخت بوجه الفخر غرّته ... فبدا بوجه الشانئ الخجلُ
يجري على نهجي عُلىً وندىً ... لا الجبن يقعده ولا البخلُ

هـو بـحر فـضل مـا له أمدُ وخـضمٌ جـود مـا بـه وشلُ
فـبجنب بـحريه البـحور إذا مـا قستهنّ فـإنّها بـللُ
وإذا رمـى فـي حـلّ مشكـلة نـظراً تـقطّع حـوله الجـدلُ
تـوحي إليـه الغـيب فـطنته فكأنّـما أفكـاره رسُـلُ
ويُـبرمُ أحكـام القـضاء فـلا نـقضٌ لمـبرمها ولا حـولُ
ويـبثّها بـين الورى حكـماً هي فـي الحـقيقة للـهدى السّبلُ
لا يـخدش الواشـون أدمـته المـلـا «وأوهـى قـرنه الوعـلُ»
فـالمرجـفون سـعوا سـعايتهم ثـمّ انـثنوا وعـليهم الفشـلُ
وتـقوّل(١) الواشـي عـليّ ومـا لي نـاقة فـيها ولا جـملُ
وغـدا يـذوق وبـال أمـرهم كـلّ امـرئ منهم متى سُئلوا
من أيـن تـخجل أوجـه صـلفت لؤمـاً وصـفو حـياتها ثـفلُ
هو في حلوق الحـاسدين شـجىً وثـناؤه لقـلوبهم غـللُ
وله اليـراعـة طَـلُّ ريـقتها طـوراً زعـاف وتـارةً عسـلُ
وإذا جرت فـي الطـرس تـحسبها صِـلّاً يـنضنض وهـو مـنجدلُ
فـبكلّ نـاد حـمد مـفخره ذكـر بـه الأحـياء تـحتفلُ
فـلبطن راحـته النـدى خـلق بـين الورى ولـظهرها القُـبَلُ
فـترى النـديّ بـضوء غـرّته مـتبلّجاً يـهتزّه الجـذلُ
وعـلى العـفاة سـحاب راحـته مـا انـفكّ بـالإحسان يـنهملُ
فـترى الوفـود عـلى الوفـود إلى مـعروفه يـقتادها الأمـلُ
حـتّى إذا نـزلت بسـاحته فـعلى النـدى تـتراوح النـزلُ

(١) نسب إلى الناظم أُمور اعتقل بها مدّةً، وكاد أن يقتل لولا ثبوت براءته منها، وإنّه كما قال: لا ناقة له فيها ولا جمل.

سل مصر عنه والعراق ففي الـ ـمصرين فيه يضرب المثلُ
حيٌّ العراق ومن لنهضته دان الصوارم والقنا الذبلُ
حيٌّ ابن صدرالدين[1] من كَثَب وقل السلام عليك يا بطلُ
ولآل صدرالدين تهنئةٌ فالعزّ بالعودين مقتبلُ
فإليكم البشرى ومن طربٍ قولوا لنا: بشراك يا جبلُ
رجع الإمام عقيب غيبته شكراً له قد أثمر الأملُ
وإلى فسيح جنابه زمراً أفواجها حلٌّ ومرتحلُ
فلبيته جاءت تحجّ على أقدامها ومسيرها رَمَلُ
يحدو بها جذلان قائدها[1] اليوم راق العلّ والنهلُ
وشعارها بشراك تهنئةٌ رجع الإمام وقرّت المقلُ



وله أيضاً[2]:

عودٌ لعامل ردّ روح حياتِها ومسرّةٌ ملأت جميع جهاتِها
بشرى بمقدمك الشريف ويا لها بشرى سرور الخلق من حسناتِها
هي رجعةٌ لك يا إمام بني الورى وطلوع شمس علاك من آياتِها
بسناك أشرقت البلاد مسرّةً وسرى السرور إلى عظام رفاتِها
فالأُنس بالأُنس العظيم ومثلها وحش الفلا والطير في وكناتِها
فترى البلاد كأنّما هي روضة غنّاء تبسّم عن ثغور نباتِها

(١) هو سماحة الزعيم السيّد محمّد الصدر؛ إذ مُني في سبيل العراق بمثل ما منينابه في سبيل عاملة، كما فصّلنا ذلك في أحواله.

(٢) تليت في الاحتفال المنعقد في صور.

١. في «أ» و«خ»: «فارطها».

وكأنّ عاملَ يوم اُبتَ لعامل ... عذراء زيّنها بديع صفاتِها
تهتزّ من طرب وتصدح فوقها ... طير السرور على اختلاف لغاتِها
تتلو لنا صحف الهنا فقلوبنا ... كادت تطير هناً على نغماتِها
وكؤوس راح الأُنس بين بني[1] الورى ... ظلّت تعاطيها أكفّ سقاتِها
ياابن الأئمّة من ذؤابة هاشم ... أحييت أنفسنا عقيب مماتِها
كم مهجة لنواك يا علم الهدى ... كادت تذوب أسىً على زفراتِها
هي أوبة ميمونة كانت لنا ... عين الرجاء تشفّ عن لذّاتِها
لا ضير أن شرّدت مصطحب العُلى ... ورجعت مقتعداً على صهواتِها
أنتم حماة بني الزمان وإنّما ... تقع الخطوب على رؤوس حماتِها
ولربّما طرق الضراغم مزعجٌ ... في غيلها فتخفّ خوف عداتِها
لا شيء من كدر الحوادث سالم ... حتّى البدور تُساء في هالاتِها
لو لم تكن لك في القلوب مهابةٌ ... ما أقصدتك بها سهام رماتِها
لا بدع أن روّعت غير مذمّم ... هي سنّة لكم لدى لزباتِها
حفظاً على الوطن العزيز وأهله ... ألقيت نفسك في مضيق لهاتِها
لك أُسوة بالرسل قبلك شرّدت ... أوَلَست أنت النور من مشكاتِها؟
يأبى الإلـه بأن تكون شريعة الهـ ... ـادي مروّعة بغمز قناتِها
وإمامها عبدالحسين وإنّه ... لَلنيّر الوهّاج في سمواتِها
هو حجّة الباري وموضع سرّه ... ولسان حكمته وعين حياتِها
موليً به لاذت شريعة جدّه ... من أن تدنّسها ظنون دعاتِها
هو عليم العلم الذي في مدّه ... ملأ البسيطة من جميع جهاتِها
بهرت معاجز فضله فلو أنّها ... وحيٌ لكان الذكر من آياتِها
ولو انّها تليت على حسّاده ... خرّت لها عظماً على جبهاتِها

١. في «خ»: «مابين» بدل «بين بني».

وكأنّما من خلقه وطباعه سرق الصبا لطفاً إلى نسماتِها
أنّى يكون له المثيل وقد محت آيات حكمته دجى شبهاتِها
توحي علوم الغيب فطنته له فكأنّ ما في اللوح في مرآتِها
وإذا رمى نظراً بلبّة مشكل هتك السرائر عن حقيقة ذاتِها
قل للذي هو بالفضيلة يدّعي إن كان صدقاً ما تقول فهاتِها
ما كلّ سيف للضريبة قاطع وكذا الرجال على اختلاف ذواتِها
ولو أنّها صيغت عقود لآلئ كان اليتيمة لا إلى جنباتِها
من هاشم وبه تُفاخِرُ هاشم والفخر كلّ الفخر في حجراتِها
لا تحسبنّ الغيث يشبه كفّه هيهات إنّ الغيث رشح هباتِها
عزفت عن الدنيا الدنيّة نفسه ما أومأت يوماً إلى تبعاتِها
قل للبلاد وأهلها بشراكم وافى مقيل الناس من عثراتِها
فبظلّ عيش غافلاً نَمْ لا تخف عادت ليالينا إلى غفلاتِها
فجروحنا اندملت بعودته أسىً هل للجروح ـ وُقِيتَ ـ غير أُساتِها
الآن رقّ وراق شعري مدحةً ما أحسن الأشعار في أوقاتِها
يا قطب دائرة المعارف والهدى ومجمّع العلياء بعد شتاتِها
لا زلت للشرع الشريف وللعُلى كهفاً وللأحياء غيث عفاتِها
وإليكها غرّاء تبسم بهجةً وهي البديعة في بديع صفاتِها

وله أيضاً[1]:

حياةُ الخليقة بعد العدمْ لعمر أبيك أجلُّ النعمْ
ورجعة عبدالحسين الإما م حياة الهدى وحياة الأُممْ

---

(١) تليت في الاحتفال المنعقد في شحور.

فأكــــرم بــها رجــعة فــالمنى بــها وهــي غــاية مــا نـحتكمْ
فــبشرى لعــامل بشــرى لهــا فــبدر الهــدى قــد أزاح الظـلمْ
فــذا عــلم المـجد مـن فـوقه تـــرفّ المــعالي عــليه عــلمْ
دعـــته لتـــحريرها عــاملٌ فـهبّ هـبوب الحسـام الخـذمْ
وكـــان لنـــهضته نـــبأة أصــاخت إليــها جــميع الأُمـمْ
أقــام وأقــعد عــزم المـلو ك عـلىٰ خـطة يـرتضيها الحكـمْ
وقـد أعـلنوا أن تـقوم الشعو ب لتـحريرها والنـظام انـتظمْ
فــقام يـدافـع عـن عـامل قــريع الحــقيقة والمــعتصمْ
وأشـبع فـي الطـلب الاحـتجاج وأثــبت عــند الدفــاع القـدمْ
وتأبّــى حــفيظته أن يـضا م بـها وهـو طـود الإبـاء الأشـمّْ
ولمّــا رأتــه جـموح القـياد ويأبــى الإبــاءُ له والشـممْ
رمـــته عـــلى غـرّة غـدوة بـجيش لهـام كسـيل العـرمْ
وخـوفاً عـلى نـفسه أن يـضا م وصــارم عــامل أن يـنثلمْ
فــفرّ كــموسى لدى خـوفه وبــقياً عــلى الديـن أن يـنهدمْ
فــغاب كـغيبة مـولى الأنـام أجــل وهـو نـائبه والحكـمْ
وطــال انـتظارك يـاابـن النـبيّ وكادت عـرى الصـبر أن تـنفصمْ
ولمّــا رجــعت إلى عــامل تـنفّس صـبح الهـدى وابـتسمْ
ونــادى الســرور بأحـيائها فــزمّت إليك هــنأً تـزدحمْ
ومن حـول بـيت عـلاك اغـتدت تـطوف طـواف حـجيج الحـرمْ
فـــهذا يـــقبّل أعـــتابه وذاك عـــلى ركـــنه مسـتلمْ
ومَـن مـثل عـبدالحسين عُـلىً وفـي صـدره بـحر عـلم خـضمّْ
هـو اللـطف أفـرغ فـي هـيكل فـروح الكـمال بشـخص الكـرمْ
لقــد جـمع اللّـه فـي بُـرده جـميع خـلال العُـلى والشـيمْ

وقد أكبرته نفوس الملو ... ك ويكبر فيها كبير الهممْ
وسورة حمد ثنى ذكره ... على الناس تتلى بحرف العظمْ
فسل مصر عنه ففيها له ... مآثر يعلمها من علمْ
وكم معجزات له في الورى ... بها راح يوحي لسان القلمْ
وكم أرّج الذكر منه العرا ... ق بنشر فعبّق أرض الحرمْ
وهيهات يُجهل مَن فَضله ... كنار تشبّ برأس العلمْ[1]
ومَن خُلقه وندى كفّه ... كلطف الصبا وغزير الديمْ
فجود يديه حياة النفو ... س إذا الجدب عمّ وموت العدمْ
بغير التشهّد ما قال لا ... ولولا التشهّد كانت نعمْ
فأقسمت لو عاد أن أنظم التهـ ... ـاني سروراً وبرّ القسمْ
على أنّني لست أحصي ثنا ... ه ولو كلّ جارحة ليَ فمْ
ولكن على قدر ما أستطيع ... ابتهاجاً به صُغت دُرّ الكلمْ
فبشرى فبشرى لأهل العرا ... ق فقد أزمع الهمّ والأنس عمّْ
بعود الإمام إلى عامل ... وعود ابن خال الإمام الأشمّْ(١)
هما نهضا لابتناء العلا ... ء وحفظاً على الوطن المنهضمْ
وأثبت كلّ على مزلق الدفا ... ع بيوم النضال القدمْ
على أنّها نهضة سُطّرت ... على جبهة الدهر لا تنحسمْ
فقد رسمتها بنان الزما ... ن بحدّ الصوارم لا بالقلمْ
ولا بدع من هاشمي إذا ... انتضاه الحفاظ لدفع الأزمْ

(١) هو سماحة السيّد محمّد الصدر.

١. في «خ»: «علم».

فكــــم نـهضـة لبـنـي هـاشـــم لقــد خضبـوا الأرض منهـا بـدمْ
إذا مـــــا تـــــضاعفت الحـــادثا ت تـــضاعف مـنهم لديـها الهـممْ
فــيا عــلم الفــضل لا زعـــزعتـ ـك الريـــاح ولا بك خـــطب ألمّْ
ودمت بـــــعزّ ودمت المــــعزّ لشـــرعة جــدّك خـــير الأُمـــمْ

وقال أيضاً[(١)]:

سري بـي الشـوق يـجري لا[١] إلى أمـدِ ومــثل شــوقي لم يــجرِ عـلى خـلدِ
نضوتُ ليـل شبابي فـي الهـوى وأتت أيّــام شـــيبي فـــما قـــالت ليَ اتـــئدِ
وقـــفتُ بـــالربع أُرمـــى مـن جـوانـبه بأسهم الشـوق حـتّى أوهـنت جـلدي
لا تـــــعذلنّ أخــــا وجــدٍ يكــابده فــإنّما خـــلق الإنســـان مـــن كـــبدِ
شتّان ما بـين سـار فـي ضـلال هـوىً وبـــين ســـار عـــلى مـلحوبة الجُـددِ
فــمذهبي حبُّ أهـــل البـــيت مُـتَّرثاً عـــن والديَّ وقـــد أورثـــته ولدي
مـــن لم يكـــن بـرسول اللّـه مـعتصماً وآله مـــا اهـــتدى يـــوماً إلى رشـــدِ
ســـل عـــنهم الذكـــر هـــل إلّا مـودّتهم فرض وهل غيرهم في الذكر مـن أحـدِ
هـــمُ الهـــداة فـــمن يـــستنّ نـــهجهمُ إلى ســـواء الصـــراط المستقيم هُـدي
هـــم مـظهر المـصدر الأعـلى فكـلُّهمُ في الخـلق عـيبة سرّ الواحـد الصـمدِ
لا يســـــتطيع امـــرؤ تـــعداد فـــضلهمُ كـــــلٌّ فـــضائله تـــربو عـــلى العـــددِ

---

(١) تليت هذه القصيدة والتي بعدها في صور يوم الأضحى سنة ١٣٣٩ بعد عـودتنا بـاثنين وخمسين يوماً. كان حفلات التهنئة فيها متواصلة وكانت وفود المهنئين من أطراف البلاد العاملية متوالية.

---

١. في «خ»: «لا يجري» بدل: «يجري لا».

وإنَّ «عبدالحسين» المجتبى خلفٌ ... لهم فعن نهجهم في الرشد لم يَحُدِ
فإن سبرت بني الأيّام مختبراً ... فمثله في بني الأيّام لا تجدِ
بالأمر يصدع بين الناس مؤتمراً ... عن «صاحب الأمر» لم ينقص ولم يزدِ
لا يطعم العين غمضاً من حفيظته ... على الشريعة إلّا غمض ذي لُبدِ
يهبّ للروع كالسيف المهنّد عن ... إطراقة الصل أو عن ربضة الأسدِ
به الشريعة قد عزّت جوانبها ... وقصّرت عن مدى علياه كلّ يَدِ
وقام بالأمر رحب الصدر مضطلعاً ... به يثقّف منه كلّ ذي أودِ
يا خير من ساد أبناء الورى شرفاً ... بالعلم والحلم والإحسان والرشدِ
لولاك عامل يا إنسان ناظرها ... (أخنى عليها الذي أخنى على لُبدِ)
لا بدع أن رحت تحمي سور حوزتها ... أَلَست أشفق من أُمّ على ولدِ
كم موقف حرج تهفو القلوبُ به ... فرّجته بجنان غير مرتعدِ
أما وعلياك حلفاً غير كاذبة ... لأنت في عامل كالروح في الجسدِ
ما أنكروا منك إلّا أن سبقتهمُ ... بكلّ فضل وهذي آية الحسدِ
قل للأولي حسدوا موتوا بغيظكم ... لا تُنكرُ الشمس إلّا عينُ ذي رمدِ
فجدّ شانيك لا ينفكّ عن صببٍ ... يهوي وجدُّك لا ينفكّ في صعدِ
لو لم تكن أوحديَّ الذات متّصفاً ... بكلّ مكرمة في الناس لم تسُدِ
فأنت في النسب السامي وفي الحسـ ... ـب الوضّاح أنوط من كفّ إلى عَضدِ
من مثل آبائك الغرّ الأُولى بهمُ السـ ... ـبع السمواتُ قد قامت بلا عمدِ
فلا أقيس بكفّيك السحاب ندى ... فإنّ ذاك قياس غير مطّردِ
شتّان بين التي تهمي النضار ندىً ... وبين سفّاحة بالماء والبردِ
فأنت والغير يا روح الكمال إذا ... قاسوك فيه كمثل الماء والزبدِ
إليك يا خير من طارت به هممٌ ... إلى العُلى صَعَداً في جدّ مجتهدِ
غرّاء زيّنها عقد الثناء وقد ... داست بأخمصها «نفّاثة العقدِ»

جاءت علي العيد عيد النحر ناحرةً نحور أعداك في مشحوذة الكمدِ
فالعيد عودُك بالإقبال مقترناً وأن تدوم على الأيّام في رغدِ

وقال رحمه الله تعالى:

اليوم راق الورد والصدرُ نلنا الأماني وانقضى الوطرُ
بشرىً وأيّ نعمة عظمت شكراً فليس لقدرها قدرُ
عودٌ أعاد به الحياة إلى أبناء عامل فهي تنتشرُ[1]
وتلا السُرور لنا به صُحفاً فكأنّها في ذكره سورُ
والبشر أعلن منشداً طرباً فليهنأن البدوُ والحضرُ
آب ابن أحمد بعد غيبته وهو الذي للدين منتظرُ
وافيت يا عبدالحسين كما وافى لعاطش بقعة مطرُ
فجلى العنا عنّا الإياب كما يجلو دياجي الظلمة القمرُ
وإليك جاء الدهر معتذراً مُره فديتك فهو مؤتمرُ
ولئن أساء فأنت ذو خلق في جنبه الزلّات تغتفرُ
فإذا عفوت فأنت ذو كرم أو لا فأنت عليه مقتدرُ
لو لم تكن في الناس ذا خطر ما كان أحدق حولك الخطرُ
إن روّعتك الحادثات فقد روّعتها ولك انثنى الظفرُ
والهمّة الشمّاء قد قذفت بك حيث لا إلّا الإبا وزرُ
وأبيك لولا أنت تكلؤنا فالدين لا عين ولا أثرُ
هي سنّة لكمُ بني مُضر أن لا تقرّ على الأذى مُضرُ
وتهون أنفسكم إذا تركت ذكراً به الأحياء تفتخرُ

---

١. في «خ»: «تنشر».

إنّ البــلاء مــوكّلٌ بكــمُ أبـداً وأنـتم فـي البلا صُبرُ
وكـذا العـواصـف لا يـخفّ بـها نـجم وفـيها يـعضد الشـجرُ
وإذا الخـصوم رمت إلى غـرض فـإلى الزعـيم يـصوّب النـظرُ
أوَلَست نـخبة هـاشم ولكـم دون الأنـام الورد والصـدرُ
مـا ضـرّ أن شـرّدت مـضطهدا ولك المسـاعي كـلّها غـررُ
فـرجـعت مـنصوراً عـلى قـدر وكـذا يُسـيء ويـحسن القـدرُ
وغـدت بـعودك عـاملٌ طـرباً تـهتزّ والأرجـاء تـبتشرُ
يـا قـطب دائـرة الكـمال ويـا مَـن فـي هـداه يـهتدي البشـرُ
أنت ابـن بَـجْدتها وأنت إذا حَـميَ الوطـيس الصـارم الذكـرُ
ما كلّ ذي فـضل يـطيب جـنىً ولَـربّما شـجر ولا ثـمرُ
لا يـغررنّك ومـض بـارقةٍ مـا كـلّ بـرق خـلفه مـطرُ
تـلك النـوائب زنـد مـقتدح مـا أصـلدت زنـد بـها شـررُ
مـا غـبت عـن آفـاق عـاملة إلّا لأمـر مـنك يـنتظرُ
غـادرتها كـي لا تُسـامَ بـها ضـيماً وأنـت السـمع والبـصرُ
ولك الحِـفاظ المرّ عـن شـمم قـوداً تـقطّع دونـه المِـررُ
فـاسلم لحـفظ الديـن مـحتقباً ذكـراً يـعبق نشـرُه العَـطِرُ
فـإذا بـقيت لنـا فكـلّ أذىً في جـنب عـودك فـهو مـحتقرُ
يـا كـعبة الفـضل الذي وفـدت زمَـرٌ إليـها خـلفها زمـرُ
تـهوي إليك قـلوبها شـغفاً فـتحجّ بـيتك ثـمّ تـعتمرُ
وعـلى نـداك ورود هِـيمهُمُ فـذاك صـفو مـا بـه كـدرُ
ولفـترة لك يـا فـديت بـنا كـادت قـلوب النـاس تـنفطرُ
لك فـي العُـلى بـاع ومـنتسبٌ هـذا بـه طِـولٌ وذا قِـصرُ

وبمصر كم غادرت مأثرة   هي في سماها الأنجم الزهرُ
ولقد سبرت الناس مختبراً   فالروح أنت وكلّهم صورُ
بك جسّم اللّه الكمال وعن   مغناك شفّ الخُبرُ والخَبَرُ
وحباك من ألطافه خُلقاً   منه استعار الرقّة السحرُ
وإذا رنا ذو الفكر معتبراً   وجد الليالي كلّها عبرُ
يا خير أبناء الورى شرفاً   وأجلّهم قدراً إذا ذُكِروا
خذها بعيد العود تهنئةً   غرّاء لكن عِقدها دررُ
جعلت برود الحِبر حلّتها   والحِبر في أمثالها حِبَرُ

وقال الشيخ عليّ مهديّ شمس‌الدين(١):

أرى الكون برد السرور التحفْ   وداعي التهاني به قد هتفْ
وأصبح يبسّم عن ثغره   تياهاً ويسحب ذيل الشرفْ
ويهتزّ من طرب عطفه   كغصن ثناه الصبا فانعطفْ
وباتت ترجّع ألحانها   طيور المسرّة فوق الغرفْ
تزجّ التهاني بأنواعها   بلاد الشآم لأرض النجفْ
وأكبر نعمى يراها البصير   رجوع الحياة عقيب التلفْ
فكم شاهد الناس من مزعج   يذيب الحشا ويشقّ الشغفْ

(١) هو الشيخ عليّ بن الشيخ مهديّ بن الشيخ عليّ شمس‌الدين، تخرّج في علمه وأدبه على العلّامة أبيه، فكان من شيوخ الأُدباء في عصرنا، وله في البديهة قريحة ممتازة، ولد في مجدل سلم سنة ١٢٩٤، وتوفّي فيها سنة ١٣٧٣ وقد تليت هذه القصيدة في صور، أمّا المُوَشَّحة التي بعدها فتليت في شحور.[1]

١. راجع أعيان الشيعة ٨: ٣٤٩.

وكـــم أنَّـــة بـــعدها زفـــرة وكـم لبُّ ذي نـجدة قـد خـطفْ
بـــراكـــين نـار تشـقّ الثـرى كـــزمجرة الراعـــد المـنقصفْ
وصـــوت البـــنادق مـن حـولنا تـــطير له مـــهجة المـــرتجفْ
يـــطارد جـــيش الهـموم النـفو س مـطاردة الشـمس ظِـلَّ الشـرفْ
تـرى الخـلق مـا بـين بـاكٍ أسيً وآخـــر يـــمشي ذليـلاً أسـفْ
يـصرُّ عـلى النـاب مـن رعـبه ويـــصفق للـــهول كـــفّاً بكـفٌ
فـــلا طـود إلّا مـن الرعب طـار ولا قـــلب إلّا لخـــوف أســـفٌ
فكـــم ربـــوة أصـبحت وهـدة وكـم جـبل شـاهق قـد نُسـفْ
وكـم مـن كـريم كـرضوى[1] ثـبا تاً من الرعب خوفاً على النفس خفّْ
فـــفي البـرّ نشـر كـيوم النشـو ر وفـي البـحر أفـعى حـتوف تـلفْ
إذا ابـــتسمت فـي ثـغور البـحو ر تـرى البـرّ مـن رعـبه يـرتجفْ
وفـي الجـوّ ظـلّت مـناطيدهم لإتـــلافنا كـــتفاً فـــي كـتفْ
وفـوق الثـرى جـيش حـتفٍ يسـ يـر يـحاكـي الجـراد إذا مـا زحـفْ
وكـــم مـــن فـؤادٍ لسـهم الردى غـــدا، وأبـــيك، مكـان الهـدفْ
وكـــم مـــن هـمام كـريم النـجا ر غـدا لعـوادي الضـواري عـلفْ
فـــلا بـــدع أن فـرّ ذو عـزمةٍ بـه فـي الوجـود حـياة السـلفْ
فـــموسى لقـد فـرّ وهـو النـب يّ أخـو العـزم خـيفة أن يـختطفْ
وخـــير الورى المـصطفى ذو البـرا ق لقـد جـعل الغـار مـنه كـنفْ
وقـــائمنا وهـــو ذو المـــعجزا ت عن الخلق خوف الأعادي انحرفْ
وعـبدالحسـين ابـن بـنت النـب يّ له فـــي البـريّة نـعم الخـلفْ
إبـــاءً كآبـــائه الأكـــرمـ ين تجافى عن الضيم حتّى انكشفْ

---

١. في «خ»: «الرضوى».

وإنّ المــــعالي لزوم الإبـــا ومــن ذاق طـعم المـعالي عــرفْ
وعـــاد ومـــن فـــوقه رايـــة مــن النـصر أنّـى تـولّى تـرفْ
فـما ثـلمة المـال تـزري الفـتى ومـا المـال إلّا فـداء الشـرفْ
فـما فـرّ إذ فـرّ خـوفاً أجـل لأمــر تــدبره مــن عـرفْ
بـــقاء الشـريعة مكـلوءةً إذا خـيف يـوماً عـليها الحَـيَفْ
ولا بـــدع فـهولها كـافلٌ ومِـن يُـمنه أصـبحت فـي كـنفْ
أبـى اللّـه إلّا بـقاء الهـدى بـبقياك أنـدى بـني الدهـر كـفُّ
وأعـلاهمُ رتـبة فـي الفـخا ر ومن خفّ من في عـلاه استخفُّ
فـيا مـفرداً فـي حـميد الصـفا ت إليك رجـاء الأنـام اعـتكفْ
بكـفّك فـي الجـدب وكّـافةٌ تـفوق السـحاب إذا مـا وكـفْ
وفـي الصـدر تـيّار عـلم يـفيـ ـض يـفوز بـجوهره المـغترفْ
وفـي نـور وجـهك يـهدى المضـ ـلّ ويـنقاد عـنفاً له المـنحرفْ
فـيا خـير مـوليّ له فـي العـلا ء مـقام بـه الجـود والفـضل حـفُّ
إليك أزفّ عـروس القـريـ ـض وليست لغـيرك مـنّي تـزفُّ
فـخذها بـمدحك مـزدانـةً يـفوق سـناها دراري الصـدفْ
وإنّـي وإن كـنت ذاك البـليـ ـغ ومـن بـبديع القـريض اتّـصفْ
فـنورك غـطّى عـلى نـاظري لذلك طـرفي عـجزاً وقـفْ
فـعذراً إذا شـمت مـنّي القـصو ر ويـعذر مـن بـالقصور اعـترفْ

ولـه أيضاً(١):

عاطني يا سعد أكواب الهنا وامزج الجام رضاباً واسقني

(١) تليت هذه المُوَشَّحة في حفلات شحور.

فلقد نلت من الدهر المنى وأمان هي خير المننِ

* * *

يا لها من نعم أيّ نعمْ يجب الشكر عليها كلّ آنْ
طوّق الدهر بها جيد الأُممْ لا بأطواق نضار أو جمانْ
فعلى من طار بشراً لا تلمْ فالهنا قد حلّ في كلّ جنانْ

والعنا أقلع والسعد دنا ومشى بالسلم عادي الزمنِ
فأنا أنت فكن أنت أنا نتّبع السير معاً في سننِ

* * *

نتولّى نشر أعلام الفرحْ في ربى الشام وأرض النجفِ
حيث طير السعد بالبشر صدحْ وبدا بدر العلاء المحتفي
فاطرح الهمّ ودع عنك الترحْ واجتلِ الأُنس وبالبشر اهتفِ

فلقد أشرق وضّاح السنا كعبة الفضل أخو المجد السني
من دراري العلم بالمجد اقتنى وسواه ما اقتنى، لم يقتنِ

* * *

علمٌ لا ترتقي الطير ذراهْ طاهر الجيب أشمّ المعطسِ
وإذا ما جئته يوماً تراهْ هو من يُعنى بروح القدسِ
قل لمن يسأل يوماً عن علاهْ هذه آثاره فاقتبسِ

فعلى إثر أبيه قد بنى هكذا فليبتنِ من يبتني
وبه أحيا الإله السُننا سنن الآباء خير السننِ

* * *

بك يا عبدالحسين ابتهجتْ | عامل بعد الذي قاست أسى
وعلى هام الثريّا قد علتْ | مذ بها طود معاليك رسا
فهي من[1] عليا معاليك حلتْ[2] | يعرف الخمرة من منها احتسى

يا إمام العصر يا غوث الدنا | يا فتى العصر وروح الزمنِ
يا منى النفس ويا نفس المنى | يا ربيع المجتدي والمجتني

* * *

أنت يا غرّة هذا العالمِ | لسما الدين[3] مساك وقوامْ
نبعة قد سلسلت عن آدمِ | وأبى اللّه علاها أن يضامْ
عالم عن عالم عن عالمِ | وإمام عن إمام عن إمامْ

نسب مثل أنابيب القناطيب | الخُبر عن العدّ غَني
وإذا ما دهم الخلق الفنا | فلكم ذكر جميل ما فني

* * *

يابن بنت المصطفى خذها إليكْ | غادة تهزأ بالدرّ صفا
عكفت من شدّة الشوق عليكْ | ترتجي عفوك عمّا سلفا
إنّها أغلى من الدر لديكْ | وبك ازدادت لعمري شرفا

دمت فينا بدر تمّ ولنا | معقلاً يُنئي عوادي الزمنِ
وكفى فيك لعمري مأمناً | للورى أنعم به من مأمنِ

---

١. في «خ»: «في».
٢. في «خ»: «جلت».
٣. في «خ»: «الدنيا».

وقال الشيخ محمّدرضا الزين[١]:

حنانيكَ نَهنِهْ عن عتابك يا دهرُ فما العتب يجديني إذا عظم الأمرُ
ثبتُّ ولم أحفل بعادية الردى ولم أحتمل ضيماً ومن شيمتي الصبرُ
أأحمل ذلّ الضيم هيهات إنّني أنا الأفعوان الصلُّ والماجد الحرُّ
ويطربني نوش الأسنّة والظبا ويعجبني طيُّ المهالك والنشرُ
أسير فإمّا للمعالي أو الردى طعامان في الدنيا وأحلاهما المرُّ
فإن نلت ما أبغي فحظّي أسعد وإن متّ فالذكر الجميل هو الذخرُ
خليلي هذا الدهر أعظم حاسد فلا تحفلا فيه فشيمته الغدرُ
ألم ترَ يا عبدالحسين فإنّه هو الحجّة الكبرى به يكشف الضرُّ
تفرّق عنه الناس حين دهاهم من الدهر ذاك الخطب والفتكة البكرُ
أقام على حفظ الحقيقة ثابتاً لدى الروع منه الروع يذعرُ والذعرُ
ولا عجب ياابن الحسين[٢] فإنّهم كرهط أبيك السبط أكثرهم فرّوا
تراهم بيوم الحرب فتخاء صافراً وفي السلم آساداً لها الزهو والكبرُ
ولم تبق إلّا عصبة مضرية يكلّل عند الزحف أوجهها البشرُ

---

(١) هو بقيّة العلّامة ـ المقدّس ـ الشيخ محمّد بن الحاجّ سليمان بن الشيخ عليّ بن الحاجّ زين، المولود سنة ١٢٩٧، أخذ العلوم العربيّة والفنون الأدبيّة في عاملة، وهاجر إلى العراق لتحصيل العلوم، وفاز منها بحظّه الوافر، وله في الأدب مكانته المعروفة[١]، توفّي سنة ١٩٦٦[٢] وقد تليت هذه القصيدة في الاحتفال الذي قام به ابن عمّه الزعيم يوسف بك في صيداء.

(٢) المراد بالحسين: سيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء عليه السلام، وهو المراد بقول الناظم هنا: أبيك السبط؛ لأنّه الأب الأعلى للمخاطب، وصدق الناظم في قوله: ولا عجب... البيت.

---

١. راجع أعيان الشيعة ٩: ٣٣١.

٢. في «أ»: «١٣٦٦».

نــهضت بأمــر اللّــه تـنصر ديـنه … يــوازرك الفــتحُ الإلّــهي والنـصرُ

تخوض المنايا باسم الثغر ضـاحكاً … سميراك فيها العزم والأرنُ(١) المـهرُ

ولولا القـضا المـحتوم واللّـه قـادر … لزعزع مـلكَ الغـرب رأيك والفكـرُ

صبرت على حكم المقادير سـالكاً … سبيل جدود طاب من فرعها النجرُ

كتمتُ ولم أُظـهر مـن الأمـر غـيبه … وربّ أُمــور بـات يكـتمها الصـدرُ

طويت خـفاياها عـن النـاس إنّـني … خـبير ومـثلي لايـذاع له سـرُّ

سأصبر محنيّ الضلوع على الأسى … أراقب دهـراً مــن خـلائقه المكـرُ

فإن عشت أبديت الدفـين وإن أمت … فكم حسرات ضـمّها اللـحد والقـبرُ

أُعيذك أن تصغي إلى الدهـر سـاعةً … فـذا صـدقه مَيْن وذا خـيره شـرُّ

طلعت على القصر الشآمـي ظـاهراً … ظـهور عـظيم فـيه يـفتخر القـطرُ

وألبست أرجــاء العــراق مـهابةً … وحسبك في القطرين نهيك والأمـرُ

وها نحن فيك اليوم نفخر في الورى … وتحسد قطر الشام من حَنق مـصرُ

أحــجّة ربّ العــالمين وبــابه … بجدّك فاسمع لي فـقد فـني الصبرُ

أراك بـعين الحـقّ وارث أحـمد … فأنت لهذا الخـلق مـن بـعده ذخـرُ

وأنت الإمـام الحـقّ والنـائب الذي … تنال به الأُخـرى ويـنكشف السـترُ

تـفيض عـلى الأيّـام مـنك سـحابة … تــعمُّ بــها الدنــيا أنـاملك العشـرُ

وما أنا بالمحصي وإن كـنت شـاعراً … خـلال إمـام غـيث راحـته بـحرُ

إذا لمست كــفّاه صــخراً رأيــته … تـفجّر مـنه المـاء وانـبجس القـطرُ

هو الفرد فرد العلم والحـلم والنـهى … تجمّعن فيه وهـي فـي غـيره نكـرُ

إذا مـرّ بـالوادي وقـد مـرّ حـلوه … وحــلّ بــقوم مــلء أبـياتهم فـقرُ

تــرحّـل والمـاء الأُجـاجي سـائغ … ويــطرد فــقر القــوم نـائله الغـمرُ

---

(١) الأرن ككتف: فرس عمير بن جبل البجلي استعاره لمهر المخاطب.

إمــام يــفوت العــدّ حــصر صــفاته ... فلا الكتب تحويها ولا الشـعر والنـثرُ
فيا مـفرداً فـي العـلم مـعناك جـوهر ... وألفــاظنا الأعــراض فـهي إذاً كـثرُ
لَتَقْصُرُ عـن تكـييف مـعناك فكـرتي ... فهيهات أن يحظى بـتكييفه الشـعرُ!..
وأنّــى يــجيء الشعر منّي بطائل ... وفي مـدحكم جـاء النـبيّون والذكـرُ
محالٌ على الأوطـان أن تـنتج امـرءاً ... كـذاتك أو يأتــي بأمــثالك الدهـرُ
فأوجــز مــنّي القــول أنّك واحــد ... وُجُوداً وَجُوداً في الورى ولك الشكرُ[١]
أديــنُ إلــهي بــالمحبّة والولا ... فــحبّكم ديــن وبــغضكم كـفرُ
[جــعلت هــواي الفــاطميّين زلفــةً ... إلى خالقي مـا دمت أو دام لي عـمرُ]
[وكــوّفني ديـني عـلى أنّ مـنصبي ... شآم ونـجري أيّـةٌ ذكـر النـجرُ]
أتــيتك فــي وفـد المسـرّات نـاشراً ... لواء هـــناء دام يـــعضده النشــرُ
أتـيناك كـي تـمحو عـن الدهـر زلّـةً ... ومـثلك مـن يـعفو وإن عـظم الوزرُ
نـظمت القـوافـي وهـي غـانية بكـر ... تــجود بــها منّي القـريحة والفكـرُ
مــجسّمة حســناً ولطــفاً ورقّــةً ... تسـيل كـما سـالت لرقّتها الخـمرُ
كأنّ عـليها مـن بـها الروض مسـحةً ... يكــلّله طــلّ السـحائب والقــطرُ
تــجنّبت وعــر اللــفظ فـيها وإنّـني ... نـهجت جـديداً ليس يـعرفه الوعـرُ
فــجاءت عـروساً أنـتجتها قـريحتي ... تــزفّ ولكــنّ القــبول لهــا مـهرُ
ولولا الوِلا مـا كـنت أُجـهد فكـرتي ... بــنظم قـصيد كـلُّ أبـياتها غـرُّ
لقــد عــزّ أن تـهدى لغـيرك خـاطباً ... فــليس لهـا كُـفْءٌ سـواك ولا ذخـرُ
تفوق عـلى العـصرين عـصر مـهلهل ... وعصر حـبيب ذلك الزمـن النـضرُ(١)

---

(١) النضر خبر المبتدأ وهو ذلك، ولولا أن القافية مرفوعة لكان الخفض أولى؛ لأنّ الأولى أن تكون ذلك في محلّ الخفض على التبعيّة لعصر حبيب أو للعصرين.

---

١. في الأصل: «ولا الشكر» ولعلّ الصحيح ما أثبتناه.

تفنّنت في شعري وما الفكر جامد ... وإن جاد جاد الشعر وانتظم النثرُ
بدأتُ بِنَهْنِهْ[١] عن عتابك يا دهرُ ... وهاك ختاماً دام يخدمك الدهرُ

وله أيضاً(١):

خليليَّ هذا الربع مُرّا نُسائلُهْ ... وذا ناظري طلقٌ من القلب سائلُهْ
[أمحَّ به رسمٌ لترحال أهله ... وأنهج منه النهج إلّا قلائلُهْ
وعوجا بنا للربع نبكي صبابةً ... فقد خفّ من ربع المحبّين آهلُهْ
وميلا بنا نستنزف القلب لوعةً ... من العين إنّ البين لا شكّ قاتلُهْ
ترحّل عنه النازلون وأزمعوا ... فأزمع صبري واستقلّت رواحلُهْ
ولم يبق منّي الشوق إلّا بقيّةً ... فما حيلتي والقلب تغلي مراجلُهْ
سَرَوْا تخبط البيداء أيدي مطيّهم ... يؤمون ربعاً مترعات مناهلُهْ
وفي الظُعُنِ الغادين جؤذر رملة ... يغازلني فرط الأسى وأُغازلُهْ
وما جلب الدّاء الدفين لمهجتي ... سوى نظري، للّه ما هو فاعلُهْ!
غزالٌ بهاءُ الحسن فوق جبينه ... وماءُ جمالٍ سال في الخدّ سائلُهْ
نظرت إليه نظرة عرضيّة ... فكانت قضاء باغتتني نوازلُهْ
ومن عجب أنّ الجمال بوجهه ... يسيلُ وذاك النور أُلهب شاعلُهْ
أمَا تنظر الخال الذي هو عاكف ... يسبّحه جلّ الجمال وجاعلُهْ
له مبسم فيه اللآلي تنظّمت ... كعقد جمان ما اللآلي تماثلُهْ
وأريُ الجنى فيه وما هو خمرة ... ويفعل في الألباب ما السكر فاعلُهْ

---

(١) تليت في إحدى حفلات صور.

---

١. نَهنَهَ فلاناً عن الشيء: كفّه عنه وزجره. المعجم الوسيط: ٩٦٠، «ن. هـ. ن. هـ».

وغرّة وجهٍ كالصباح منيرة ... تغيب بجعد مرسلات سلاسلُهْ

يدلُّ عليه الناس وسواس حليه ... ومن عجب يهدي المضلّين باطلُهْ

وينطق منه القرط وهو مذبذب ... وتخرسُ منه قُلبُه وخلاخلُهْ

يجول وشاحاه على الصدر والحشا ... كمذعور قلب الصبّ هاجت بلابلُهْ][1]

وتزدان أطواق بأتلع جيده ... كما ازدان في سبط النبيّ محافلُهْ

هو السبط سبط المصطفى وابن حيدر ... يشابهه في سمته ويشاكلُهْ

أطلّ على الدنيا بواكف كفّه ... فعمّت جميع الخلق طرّاً أناملُهْ

يدلُّ عليه الطارقين سنا الندى ... وترشد ضُلّال الطريق دلائلُهْ

ويهتزّ إن سيلَ العطاء كأنّما ... سؤال ذوي الحاجات لحن يمايلُهْ

إذا حلّ في النادي تحلّ مكارم ... وإن سار سارت في الركاب فضائلُهْ

سرى ذكره في كلّ شرق ومغرب ... كما طبّقت كلّ البلاد فواضلُهْ

فيا سائلي عنه هديت فإنّه ... هو البحر لكن ليس يدرك ساحلُهْ

تحير بمعنى ذاته كلّ فكرة ... كذا الجوهر الأعلى محال تناولُهْ

يريك القضا المحتوم فصل خطابه ... فمن ذا يباريه ومن ذا يساجلُهْ

فقل لضباع حاولت شأو ضيغم ... ألا فاربعي فالليث للضبع آكلُهْ

تغيّب عن أرجاء عامل فترةً ... فدكّت رواسيه وهدّت معاقلُهْ

ومذ عاد عادت هضبةٌ مستقرّةً ... وفاضت ينابيع الندى وجداولُهْ

لقد كثرت أوصافه ونعوته ... فكان محالاً أن تعدّ فضائلُهْ

أقرّ بعجزي لا أُحيط بكنهه ... فيسكت حيراناً عن الشعر قائلُهْ

سوى أنّني أتلو التهاني لعامل ... فقد أخصبت يابن النبيّ منازلُهْ

---

١. مابين المعقوفتين لم يأت في «خ».

ليــهنك يـــا صــورُ فــإنّك هــالة إلى البــدر بــدر التــمّ عــزّ مــماثلُهْ
ودمـــتم ودام الأنس فــي عــرصاتكم بــيمن أبــي الأشـبال واللّــه كـافلُهْ

وقال الأستاذ محمّد عليّ الحوماني(١)[1]:

خــدٌّ لــك فــيــه أرى عجبــاً ضـــدّان بــوجنــتــه التهبــا[2]
لَـــنَبيّاً جــئت وكــيف وقــد آلـــفت مـــع المـــاء اللـــهبا
وعـــلى عشّـــاقك إن كـــفروا بك أو تـــركوا لك مـــا وجـــبا
تســـطو مـــن قـــدّك والألحـا ظ بســـمر قـــناً وبــبيض[3] ظــبا
يـــا مـــن أنـا عــبدٌ يـملكني ولي الســـلطان عُـــليٌّ وإبـــا
رفـــقاً بـــفؤاد مـــا خـــطرت ذكـــــراك بـــه إلّا وجـــبا
حكّمـــتك بــي فــاعــدِل حكمـاً أوجــــزه فـعذابـك لي عـــذُبا
ومـــهفهفة تــــرنو وتــــميـ ـس بــــغصن نــــقا ولحــاظ ظــبا

(١) الحوماني من الأدباء المفوّهين ذوي الملكات المطبوعة وأهل الأقلام. صدر عنه عدّة دواوين كان أحسنها: ديوان «فلان المحجوب»، وعدّة مؤلّفات مطبوعة ومخطوطة، كان فيها ممّن غلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً عسى الله أن يتوب عليهم. والرجل موهوب لكنّه قليل الدراسة على نحو يبدو ذلك في أثره وقصيدته هذه تليت في صور والتي بعدها تليت في شحور.

١. أديب كبير وشاعر شهير، ولد سنة ١٣١٥ في حاروف قرب النبطيّة، وكان واسع الاطّلاع، لطيف المعشر، ذا لسان طلق، ومحضر عذب، لمع اسمه وذاع صيته في البلاد العربيّة، وقد طبع له ما يقرب من ثلاثين مؤلّفاً أكثرها شعري، توفّي سنة ١٣٨٤ [راجع الأعلام للزركلي ٦: ٣٠٨]. «ع»
٢. في «خ»: «اصطحبا».
٣. في «أ»: «وبيض».

عانقتُ البدر بطلعتها ولثمتُ بمبسمها الشهبا
تختال بنا وغدائرها بالعنبر ضمّخت التربا
مسكٌ «دارينُ» به أرجت وتضوّع عنه نشر «كبا»
وتميل عليّ مداعبة كالغصن بكفّ نسيم صبا
كم رحتُ أُقبّل مبسمها كأساً وثناياها حببا
ورشفت لُماها فلا أدري أرضاباً أرشف أم ضَرَبا
قالت وموشّحها خفق بيديّ أمّا تخشى الرُقبا
أخشيتِ وأنتِ لدى بطل تتجته يدًا «مَعدِي كرِبا»
ما للغبراء وقد همدت زمناً تختال بنا طَربا
أتراك بزغت بظلمتها فكشفت بها عنّا الكربا
بك روح الإسلام انتعشت ومن الأفراحِ قضت إربا
شرفاً للدين بعثت وللأحكام به عَضْباً ذَرِبا
وكما أُرسلت فكنت وزد ت عليه للأيتام أبا
إن تنهض إحياء للدين بعزم رُعت به الرعبا
فأبوك[1] وأنت العبد له بسوى الدم فيه ما خضبا
عزم لو رُعت الأرض به في الروع لزايلت الهضبا
لك فكر لو صوّبت به في الغيب لخرّقت الحجبا
ويراع لو يرمي بشبا ه حدّ القاضب لانقضبا
طوراً عَسَلاً يسقي المشتا ر وطوراً نقّاثاً عطبا
وعلى هام الجوزاء سمت همم بك جاوَزتِ الشهبا

(١) أراد به الأعلى وهو سيّد الشهداء أبو عبدالله الحسين سيّد أُباة الضيم عليه السلام.

وبـــــرزت فكـنت أبـــاك بنا وعــليـــك له بُــــردٌ وقبـــا
تـــلقي مـــن فـــيه لنـــا حكـماً وتـــبتّ بـــمقوله الخُـــطبا
لا زلـت وفـي مـغناك رحـى الـ ـــعلياء تـــدور لهـــا قـــطبا

ولـه أيضاً:

صـــعدتَ السـماء بـلا سُـلّمِ ورحتَ تـــدوس عـلى الأنـجمِ
بـــنفسٍ أبـــيٍّ أبـى أن يـضا م وهـــمّة ذي لبـــد ضـــيغمِ
نـهضت عـلى سـنّة المـصطفى تســـير وفـــرقانِه المـــحكمِ
فـــرحت بـــعزمك وهـــو الأشـ ـدّ تـدافـع عـن مـجدك الاقـدَمِ
رمـيت فأصـميت قـلب العدى بســـهم له الشـرك كـان الرمـي
ومســـتنكرين عـليك النـهوض بـــما كـان مـن رأيك الأحـزمِ
رمـــوك بـــما أنت مـــنه البرئ بـــبغيٍ فـــلا سـلموا واشـلمِ
وصـــالوا عـــليك بأقـوالهم هـــرير الكـلاب عـلى الضـيغمِ
بـــذلت لكسب العـلاء الصـريح نـــفيس حـــياتِك والمـــغنمِ
وخُـــضت غـمار الردى لاقـطاً دراريـــه مـــن بـــحرها المـفعمِ
لئـن غـبت عـن أفـقنا والعـيو ن عـليك جـرى دمـعها مـن دمِ
فـقد عُـدت بـدراً جـلا ضـوؤه دجـــى كـــلّ ليـل بـنا مـظلمِ
وكـــم غـــمّة بـــمحيّاك قـد كشـــفت دجـى ليـلها المـبهمِ
نُـمـيت إلى دوحـــة المكــرُما ت ومـــا إن ســواك لهــا يـنتمي
وغـــيرك مـــا إن لهـــا مـنتمي[١] إذا قـــيل يـــا مكـرمات انـتمي[٢]

---

١. في «خ»: «منتميّ».
٢. في «أ»: «إنتمِ».

فكم من مُجارٍ سرى يقتفيـ لك وانحطّ عن قدرك الأعظمِ
لك الأمر والنهي في العالمـ ين وقولك أمضى من المخذمِ
أجل كيف لا وزمام القضا ء بكفّيك والقدر المبرمِ
خطبت فنلت العُلى وسوا ك يرنو إليها بطرف عمي
وكنت لها درّة التاج بل دَارةَ الجيد بل حُلية المعصمِ
وعيلم جود بكفّيك تيـ ط من علم صدرك في عيلمِ
يشيب ويهرم فينا الزما ن وجود أياديك لم يهرمِ
تبارك معطيك عفواً عن الـ مسيء وصفحاً عن المجرمِ
وأولاك عطفاً على البائـ سين بلى وحنوّاً على المُعدمِ
خلال تفرّدت في كسبها فكنت أباك فلم تظلمِ
إليك أبا هاشم غادة تفرّد بالنظم فيها فمي
تجرّ الذيول على «جرول» وتصرع حسناً حجى «مسلمِ»
ولو عنّ «مسكين» يوماً لها لنادته: «مسكين يا دارمي»
ولا مهرَ تبغيه غير القبول تعالت صداقاً عن الدرهمِ

وله[١] أيضاً هذا الموشّح[٢]:

ما الفلكْ إلّا قباء أنت فيـ ـه مَلَكْ
إنّ لكْ فيه مثالاً جلّ من مثّلكْ

❊ ❊ ❊

١. هذا الموشّح إلى الأخير لم يرد في «خ».
٢. المُوَشَّح = التوشيح. والتوشيح: اسم لنوع من الشعر، استحدثه الأندلسيّون، وله أسماط وأغصان وأعاريض مختلفةٌ، وأكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أبيات. راجع المعجم الوسيط: ١٠٣٣، «و. ش. ح».

القمرْ	فيه محيّاك وسلسـ	ـل الدررْ
من أغرّْ	ثغرك لما افترّ فيـ	ـه انتثرْ
كم سحرْ	هاروت جفنيك عقو	ل البشرْ
قاد لكْ	قسراً ملوك الأرض حتـ	ـى ملكْ
إذ ملكْ	أعناقها سبحان من	خوّلكْ

❊ ❊ ❊

أنا مَنْ	تيّمَهُ الوجد بريـ	ـمٍ أغنّْ
فافتتنْ	منه بقرصين[1] هما	لي وثنْ
آنَ أنْ	تعطف يا ريم فرفـ	ـقاً بِمَنْ
قد سلكْ	فيك سبيل الغيّ فيـ	ـمن سلكْ
إن هلكْ	يوماً فظام لم يرد	منهلكْ

❊ ❊ ❊

ما يريبْ	ريماً له بين ضلو	عي كثيبْ
من رقيبْ	غاب وبدرٌ موشكٌ	أن يغيبْ
إن أُصيبْ	في خاطر الظلمات منـ	ـه نصيبْ
هيتَ لكْ	فم[2] فاجل بالأكوس عنـ	ـا الحلكْ
فالفلكْ	كلّله اللّه بما	كلّلكْ

❊ ❊ ❊

من غرسْ	ورداً بخدّيك رما	ني قَبَسْ
واحتبسْ	عقرب صدغيك علـ	ـيه حرسْ

١. في «أ»: بقرطين «ظ».
٢. في «أ»: «قم».

بي هَوَسْ ممّا به من ناظريَّ انعكسْ
قد فَتَكْ بي منك لحظٌ وسقي وجنتكْ
ما سفكْ منّي فاستشهد به أنملكْ

❊ ❊ ❊

أنا شا مي على أنّي أهـ وى رشا
قد نشا في النجف الأشرف حتّـ ى انتشى
إذ مشى من خمر لحظيه فهزّ الحشا
ما تركْ قلباً معنىً فيه إلّا وشكْ
كم هتكْ ستر امرئ أوقعه في شركْ

❊ ❊ ❊

ما انتضدْ في فيك قل لي، قال: هـ ذا بَرَدْ
ما جَمَدْ في فيّ إلّا لتذو بوا كمدْ
قد نفدْ صبري فكم في غير هجـ ر وصدُّ
لم أركْ مفترشاً ليلي فيـ لكَ الحسَكْ
لي معكْ سرّ قديم قال: ما أجهلكْ

❊ ❊ ❊

هَل رَشَدْ متيّم هام بريم شَرَدْ
أو وردْ إلّا على حوض البكا والسهدْ
كيف ودُّ رشف لميَ يحمي بلحظ وقدُّ
والدرَكْ من عقرب الصدغ على الخدّ لكْ
ليس لكْ في الحبّ منّي غير سفـ كي دمكْ

❊ ❊ ❊

ثمّ صدْ	مبتسماً يمزج هز	لاً بجدْ
قلت: قدْ	يصدق حرّ منجزاً	ما وعدْ
فاطّردْ	في خدّه ماء الحيا	ثمّ مدْ
لي شَرَكْ	من لحظه وقال: ما	أقدمكْ
جرّأكْ	نِبالُ لحظ لم يصب	مقتلكْ

❊ ❊ ❊

لم أزلْ	مستعطفاً أثنيه حتّ	ى انختلْ
واشتعلْ	منّي محيّاه بنا	ر الخجلْ
قلت: علّ	يا ريم أن تشفى بنـ	هل وَعَلْ
مغرمَكْ	من لوعة الوجد بأن	يلثمكْ
فارتبكْ	قلت: سلاماً قال: فا	لأمر لكْ

❊ ❊ ❊

وانفتلْ	نحوي فعمّا قد جرى	لا تسلْ
من قُبلْ	وليّ أعطاف وغمـ	ز كَفَلْ
لم أزلْ	أشمُّ ورد الخدّ حتـ	ى ذبلْ
قال: يكـ	فيك اشتباكاً فالظلا	م اشتبكْ
قد تحكْ	مت فسبحان الذي	حكّمكْ

❊ ❊ ❊

لم أقفْ	لولا سنا مجدي وأ	نّي أعفْ
أن ألفْ	غصناً بكفّي كاد أن	ينقصفْ
أرتشفْ	من ريقه الشهدي حتـ	ى يجفْ

ما تمكْـ	ـنت وأنّى والعفا	ف ملكْ
والفلكْ	عيناً علينا بالشهو	د احتبكْ

❊ ❊ ❊

لا يملْ	سامع شعري أن يطل	فالغزلْ
لا يَملْ	إن كان بدءاً لختا	م حملْ
للقللْ[1]	من نشر عرس ابن إما	م الجبلْ
من سلكْ	للرشد نهجاً آخذاً	فيه صكْ
من مزكْـ	ـيه الذي حرّر صكّي	فدكْ

❊ ❊ ❊

لا ألمْ	في ربع مغناك طرو	ق الإزَمْ
فالأُممْ	لائذة منك بأر	سى علمْ
إنّ تُضمْ	من عضّة الجدبِ فبحـ	ـر خِضَمّْ
فَيَضكْ	غوث[2] لها من بالهدى	سدّدَكْ
إذ سبكْ	من جوهرِ القدسِ لنا	جوهرَكْ

❊ ❊ ❊

والقلمْ	خطّ اسمك السامي	بلوحِ القِدمْ
لا حكَمْ	إلّاك فاحكم وأذع	من حِكَمْ
قد عَصَمْ	فاك بِها ـ لا زلت[3] ـ با	ري النسمْ
إنّ لكْ	مجداً بقرنيه السمّا	كين حَكْ

---

١ ـ في «أ»: «للعَلل».
٢ ـ في «أ»: «غوثاً».
٣ ـ في «أ»: «لازن».

قد سَمَكْ	فوق السما علياه من	كرَمكْ

❊ ❊ ❊

لم يَبِرْ	لولاك أُفقُ المجدِ	حتّى ظَهَرْ
كالقمرْ	فيه محياك وسيـ	مُ أغرْ
فانحسرْ	عن طلعةِ الحقّ لثا	مُ الكدَرْ
الفِكَرْ	حَيّرتَها ما أنت فيـ	نا بشرٌ!
بل ملكْ	من تحت أقدامك يجر	ي الفلكْ
لم يُحَكْ	من غير آلائك بر	د الحلكْ

❊ ❊ ❊

بالدرَرْ	مرصّعاً كالروض غـ	بّ المطرْ
قد نثرْ	فيه الحيا لؤلؤهُ	فانتثرْ
مِن فخَرْ	علياكَ ينقصُ غير ذي	مفتخَرْ
إنّ لكْ	ناهيك عن علم مقا	ماً فدكْ
قلبَ مكـ	نون[1] صدورٍ إن رأوا	مطلعكْ

❊ ❊ ❊

ما اعتصمْ	في غيركَ الدين غدا	ة أدلهمْ
بالظلمْ	حتّى إذا أشرقت بد	راً أتمّْ
وابتسمْ	صبح الهدى أحييت بعـ	د العدَمْ
من هلكْ	من أُمّة أضحت لدى	معتركْ
كالسمكْ	أوردته بعد الظما	مَنهلكْ

❊ ❊ ❊

---

١. في «أ»: «قلب مكنو   ني ...».

قد شَغَفْ مولاي حبُّ العلم قلبي وشفٌّ
بالتلفْ لاعجه جسمي فهلّا أسَفٌ
للنجفْ لي منك طير بجنا حيه رفٌّ
إن تمكْ ني فمولى شاكر أنعُمَكْ
أو أرَكْ تقضي فدعني أتصف ح يدكْ

وقال العلّامة السيد محمّد حسن فضل‌الله[١]:

بشــراك فــي عــقباك يــا إسـلامُ آب الزعــــــيم وراقت الأيّـــامُ
لا تَخْشَ خـاطفة الذئـاب فـقد أتـى يـــحمي عــرينك ذلك الضــرغامُ
فليسمُ منك سماك مجدك فـي فتى هــو فــي العلى للحاسدين سمامُ
بشــرى البـلاد فـقد أتـى مـفضالها فـــليهنها الإفــضال والإنـــعامُ
بشـــرى إليك بـــنو العــلوم فـإنما قـد جـاء غـاية قـصدك العـلّامُ
هــو للــهدى مسبار كـلّ جراحـة وعــلى رؤوس المشـركين حسـامُ
بــطل بـه الإسـلام يـزحـف سـطوة ويــصدّ جـيش الشـرك مـنه صدامُ
واســتلّه الديــن الحــنيف مـهنّداً مــاضي المـضارب مـا اعـتراه كـهامُ
وعــليه أمســى المـجد يـعقد تـاجه ويــروق فــيه مــن العــلاء نـظامُ
بــالعدل يــحكم فـي الأنـام وإنّـما ظــفرت بــحاكم عـدلها الأحكـامُ
ولربّ مشكـــلة تـــبرقع وجــهها ويـــنى عـــليه حـجبه الإيــهامُ

١. هو السيّد محمّد حسن بن عليّ بن هادي آل فضل الله الحسني، عالم جليل، وأديب معروف، ولد في عيناثا سنة ١٣١٠، وهو أديب من الطراز الفاخر، واسع الخيال، معتدل الذوق، طلب منه أن يحلّ بيروت، فلبّى الطلب، وصار مرموقاً من الكبير والصغير، توفّي سنة ١٣٩٢. انتهى عن شعراء الغريّ ج٧ ص٥٣٩ وغيره [راجع نقباء البشر ١: ٤٢٣، الرقم ٨٣٩]. «ع»

تــدع الفـقيه يـجول[1] حــول خـبائها وبـــه يـــجول الـنـقض والإبــرامُ
وافــى لهــا عــبدالحســين بـفكرة لم تــسدرِ مــا الإغــلاق والإبــهامُ
وجــرى بــها حـول البيان بـمقول هـو فـوق أفـواه الخـصوم خـتامُ
فــإذا بــها أبــدت مــحيّاً واضـحاً فكأنّــــه لا بـــرقع ولثـــامُ
يــا أيّــها النــدب المـحلّق سـمكه لك فـوق هــامات النـجوم مـقامُ
ضع أخمصاً حـيث الكـواكب دونـها وتـــقدّمنّ بـــحيث ليس إمـــامُ
هــذي العــلى حكـمت بأنك نـخـ ـبـة الدنـيا وأحكـام العـلى إلزامُ
إن قيل: مشكلة خـفت أو قـيل مـعـ ـضــلة عــرت فــازتلّت الأقــدامُ
فــلأنت حـــلّال لكــلّ بـديهة ولهـــذه الخـــوّاض والمـــقدامُ
عــذراً إليك فــإنّ دهــري لم يـدع فكـــراً يــروق بــه إليك نــظامُ

وأرسل الشريف العلّامة أبوالهادي السيّد علي الصدر إلينا من العراق هذه العصماء، مهنّئاً ولنا وللأُمّة ألهناء بوارف وجوده الشريف وهذه القصيدة هي للدكتور الكبير محمّد مهديّ البصير[2]:

إذا ما صحا شعب وصحّت عزائمُهْ فأقــلامه مــرهوبة وصــوارمُهْ
وإن تــلتئم آراؤه حــول غــاية فــخدّامــها قــوّاده وأعــاظمُهْ

---

١. في «خ»: «يحول».
٢. شاعر مطبوع، وخطيب جريء، وكاتب مبدع، ولد في الحلّة عام ١٣١٣، واختلف إلى أعلام الحلّة فسمع منهم الكثير من الأدب ووعاه، وما آن عهد الثورة العراقيّة عام ١٩٢٠ حتّى قصد بغداد؛ لإلقاء الخطب الحماسيّة والوطنيّة، وإلقاء قصائده الاستنهاضيّة التي كان لها مفعولها في نفس الشعب، ومن جرّاء ذلك، فقد سجنه الإنكليز ببغداد مرّةً، ونفي إلى هنجام مرّةً ثانية؛ لإشتراكه في [النضال] والتدابير السياسيّة، توفّي سنة ١٣٩٤. انتهى ملخّصاً عن شعراء الحلّة ج ٥ ص ٤٧٤ وغيره [راجع مستدركات أعيان الشيعة ١: ٢١٤]. «ع»

وإن عـــركته النـــائبات فـــإنّما يـــدافعها بـــالحقّ حـين تـهاجمُهْ
وإن صـــدمته الحـــادثات فـــإنّه لَـــيثأر كـــالبركان حـين تـصادمُهْ
تـــقاذفه الأفكـــار حـــتّى كأنّـها غـــوّار تـــيّار طـــغى مـــتلاطمُهْ
تـــعمّ بـــذاك اليـــمّ سفن رجـائه فيرسي على وادي السلامة عائمُهْ
تـــقلّب لمّـا أعـمل الظـلم سـوطه بكـــاهله حـــتّى تـــنبّه نـــائمُهْ
ومـــزّق فـجر العـزّ ليـل خـموله فـــطار ولكـنّ السيوف قـوادمُـهْ
يـــجدّ ولو أنّ الصـــعاب أمـــامه ويـرقى ولو أنّ الحـراب سلالمُهْ
مـــنضمّة أحكـــامه وجـــنوده مـــمنّعة أقـــطاره وعـــواصـــمُهْ
ومن عاث بالأحكام ظـلماً فـإنّما تـــهدّده بـــالجائحات مـــظالمُهْ
يؤمّلُ أن يبني على الجور عـرشه ألا إنّ بـاني ذلك العـرش هـادمُهْ
على الدمع يبني أو على الدم سائلاً فقل لي: على ماذا تـقرّ دعـائمُهْ؟
وإن كتمت عـنه الرعـيّة سـخطها فلابدّ مـن أن يـعلن السـرّ كـاتمُهْ
ومن خاصم الشـعب القـويّ فـإنّه إلى شفرة العضب الجُرازِ يحاكـمُهْ
وهل يصلح الأوطـان إلّا رجـالها وينهض دون الغـيل إلّا ضـراغـمُهْ
ويـــعلي مـــقام الحـــرّ إلّا فـــعاله كما رفعت عبدالحسين مكـارمُهْ
نـــماه إلى فـــضل النـــبوّة أحـمد وقـــدماً نـــماه للـــفتوّة هـــاشمُهْ
مـــطهّرة أخـــلاقه عـــربيّة مـــخا ئـــله مســـتصوب الرأي حـــازمُهْ
أغـار عـلى العـلياء مـلتمساً لهـا فكانت من الذكر الجـميل مـغانمُهْ
ولبّى نداء المـجد حـين دعـا بـه وهبّ فألغـــى مـــا تـقوّل لائـمُهْ
لقد عـرفته عـامل وهـو حـصنها بكـــلّ مـــلمّ هـــالها مـــتفاقمُهْ
ودافـع عـنها كـلّ خـطب وإنّـها بـــلادٌ بـــها نـيطت عـليه تـمائمُهْ

فـما ارتـعشت بـالمشرفي بـنانه ... ولا اضطربت بالسمهري مـعاصمُهْ
كـتائبه عـنها تـذبّ وكـتبه ... وأقـلامه مـن دونـها ولهـاذمُهْ
وكـم أتـبعته أنّـةً بـعد أنّـة ... غداة غدت فـيه تـخبّ[1] رواسـمُهْ
فـودّعها والخـوف يـملأ قـلبها ... وللعين دمع خضّل الترب ساجمُهْ
وغادرها والصـدق مـلء ضـميره ... وآثـاره تـزهو بـها ومـعالمُهْ
وبـاتت وإن شـطّ المـزار كأنّـما ... يـنادمها تـحت الدجـى وتـنادمُهْ
تـحنّ إليـه وهـو يـهفو لذكـرها ... وللكلّ قلب طـار بـالحبّ هـائمُهْ
ولمّـا أعـاد اللّـه للـغاب ليـثه ... ونظّم شمل المجد بـاليمن نـاظمُهْ
تهلّل وجـه الدهـر واهـتزّ عـطفه ... وأشرق ثغر المـجد وافـترّ بـاسمُهْ
ولاح بـأُفق الشـام بـرقُ سـعادة ... يميل ارتـياحاً بـالعراقين شـائمُهْ

في المدينة الطيّبة

تشرّفنا بأعتاب النبيّ وآله في دار هجرته ومـحلّ نـصرته صلى الله عليه وآله وسلم. وكـنت بـخدمة سيّدتي الوالدة ـ قدّس اللّه نفسها وطهّر رمسها ـ في جماعة من أعيان بلادنا العامليّة، فصمنا ثمّة معظم شهر رمضان المبارك سنة ١٣٢٨.

وكـان السـلطان عـبدالحـميد العـثماني[2] وصـل بـين الشـام والمـدينة بـالخطّ

---

١. في «أ» و«خ»: «تجب».

٢. ولد سنة ١٢٥٨، وتولّى السلطة سنة ١٢٩٣، والدولة العثمانيّة في حالة الضـعف والانـحلال، وتـمكّن مـع ذلك بعظيم دهائه وقوّة حنكته من حفظ هيبتها أمام دول أُروبا إلى أن خلع سنة ١٣٢٧، وتوفّي ١٣٣٧ [راجع القاموس الإسلامي ٥: ١٠٨ وما بعدها]. «ع»

الحديدي، فأقلّنا قطاره فأوردنا المدينة الطيّبة بعد خروجنا من الشام بليلتين وثلاثة أيّام.

فنزلنا داراً رحبةً من دور إخواننا المؤمنين ـ النخاولة ـ واجتمعوا إلينا فرحين مبتهجين بنا، وكنّا سعداء بخدمتهم فيما يعود عليهم بالنفع والحمد للّه على التوفيق لذلك.

وزارنا الأميران الشريفان شحاذ وناصر الحسينيّان[1] في جماعة من مؤمني العوالي، ولم يدّخرا وسعاً في العناية بكلّ ما يعود إلى راحتنا واحترامنا، وكان الأميران يومئذ من أهل النفوذ والزعامة، ثمّ كانا فيما بعد من مقوّية سلطان الملك حسين وقوّاد الثورة العربيّة على عهده، وقد ألقى الحسين إلى شحاذ حكم المدينة، ولناصر جهاد وجهود مشكوران مأثوران.

وكنّا عزمنا على الاعتكاف في المسجد ـ المقدّس ـ النبوي، لكن الأميرين صرفانا عن ذلك احتياطاً علينا.

وكان السيّد عمران الحسني الحبّوبي النجفي الشهم الكريم ممّن أبلى في أسباب راحتنا، ونعم الهاشمي هو، كان ذا مكانة مرموقة بأخلاقه الحسنى، وله مواقف في قضاء الحاجات والسعي في مهمّات الحجّاج والزوّار محمودةٌ.

وكان رجوعنا من هذه الزيارة قبيل عيد الفطر من تلك السنة. واللّه المسؤول أن يوفّقنا في كلّ عام لحجّ بيته الحرام، والتشرّف بأعتاب نبيّه وآل نبيّه عليه وعليهم الصلاة والسلام.

---

١. راجع ترجمته في الأعلام للزركلي ٧: ٣٤٩.

في مصر

كانت مصر وما تزال منارةً من منارات العلم في الشرق العربي والدنيا الإسلاميّة. يؤمّها روّاد المعرفة، ومنتجعو الثقافة من مختلف الأقطار، وقد كانت تكافئ النجف الأشرف بأزهرها الشريف، وتُجاريه في خدماته للثقافة الإسلاميّة، وحراسته للعلوم العربيّة، وقد أمّ الأزهر ـ فيما أعلم ـ كثير من أعلامنا توسّعاً في العرفان والإحاطة، وتزيّداً في المعلومات والاطّلاع، وقد كنت أُحبُّ فيما أحبّ أن أزور مصر وأقف على أعلامها لأخذ العلم عنهم، ولأبلو ما يبلغني عن الجامع الأزهر ذلك المعهد الجليل.

وظلّت هذه الأُمنية كامنةً في نفسي حتّى حفزها خالي المرحوم السيّد محمّد حسين في أواخر سنة ١٣٢٩ حين زارنا في عاملة، فوجدتني وإيّاه ـ كما ذكرناه في ترجمته[1] ـ نمخر عباب البحر في باخرة ألقت مراسيها في بور سعيد، ثمّ حملنا القطار منها إلى القاهرة.

وكان لهذه الزيارة أثر محمود في نفسي وفي حياتي، ذلك أنّي توخّيت أن أتغلغل في الحياة العلميّة، واستبطن دخائل المجتمعات الأدبيّة بالتحدّث إلى العلماء، والسماع منهم، وتبادل الزيارات بيني وبينهم، وبالمناظرة في أهمّ المسائل العلميّة التي كانت مدار البحث، ومحكّ الفضيلة.

وقد بدأت هذه الجولة بالحضور في دورة الشيخ سليم البشري المالكي رحمه الله تعالى[2] شيخ الأزهر يومئذ، وكان يشرف على طلّابه من منبره، وهو منطلق في درسه انطلاقاً يُلحظ فيه توقّره وضلاعته فيما هو فيه، وكان يلقي درساً في مسند الإمام الشافعي، فكان يعرض أوّل ما يعرض للسند، فيترجم رجال سلسلته باختصار، فإذا

١. تقدّم في ص ٢٧٧.

٢. تقدّمت ترجمته في ص ٥٣٢.

انتهى إلى الحديث نفسه فصّل الكلام حوله بإفاضة، فوقف إلى لغته وقفةً أدبيّةً، ثمّ خطا إلى مورده ومفاده فإن كان في سبيل حكم من الأحكام ذكر ذلك، ولا يفوته ذكر الأُصول العمليّة والقواعد العلميّة عند الاقتضاء، كما لم يكن يفوته التعرّض لأقوال الأئمّة في المسائل الخلافيّة، ولا تفوته مدارك الخلاف، فإذا كان الحديث معارضاً جمع بينهما فيما يمكن فيه ذلك أو رجّح أحدهما صادعاً بوجه الترجيح.

حضرت درسه لأوّل مرّة وهو يسترسل فيه على هذا النحو، وعرض لي أثناء الدرس ما يوجب المناقشة فناقشته، ثمّ علمت بعدئذ أنّ المناقشة وقت المحاضرة ليست من الدراسة الأزهريّة، فكنت بعدها أُفضي إليه بعد الدرس بما عندي من المسائل الجديرة بالبحث والمذاكرة.

وقد كانت مناقشتي الأُولى ـ في كلّ حال ـ سبباً في اتّصال المودّة بيني وبينه، وسبيلاً إلى الاحترام المتبادل، ثمّ طالت الاجتماعات بيننا، وتشاجنت الأحاديث وتشعّب البحث بما سجّلناه في كتابنا المراجعات.

ولو لم يكن من آثار هذه الزيارة إلّا هذا الكتاب لكانت جديرةً بأن تكون خالدة الأثر في حياتي على الأقلّ.

ولعلّ الكتاب يصوّر بعض الأجواء العلميّة التي تفيّأناها يومئذ منطلقين في آفاقها، منطلقين من القيود الكثيرة التي كانت توثق الأفكار آنذاك برجعيّات يضيق صدرها حتّى بالمناقشة البريئة والتفكير الصحيح.

ومهما يكن من أمر فقد نعمنا بمصر في خدمة هذا الشيخ، واتّصلنا بغيره من أعلام مصر والمبرّزين؛ إذ زارونا وزرناهم، أخصّ منهم العلّامتين الشيخ محمّد السملوطي والشيخ محمّد بخيت، وقد نجمت هذه الاجتماعات الكريمة عن فوائد جمّة أقلّها الاتّصال الفكري بين مدرستي النجف والأزهر، والتعارف بين خرّيجي هذه وخرّيجي تلك على مدى ما في كلّ منهما من أسباب التفكير وطرق الدراسة ووفرة المحصول، ودع عنك ما لهذا الاتّصال من النتائج الحسنة التي تعود على الوحدة الإسلاميّة بأعمّ الفوائد وأجداها.

❊ ❊ ❊

ولكن زيارتي كانت زيارة فرديّة، ثمّ هي منقطعة الأوّل والآخر، وكذلك زيارات من زار مصر غيري؛ لذلك كانت فوائدها وقتيّةً، ولو أنّ الزيارات تستمرّ متبادلةً بين أعلام البلدين لكان لها أحسن الأثر في رفع كثير من غشاوات البعد، ولاتّصلت إذاً حلقات الأمّة متفاهمةً متحابّةً تساقى كؤوس الصفاء والولاء.

ولعلّ الوعي الاجتماعي الجديد يقرّب خطوات هذه الاجتماعات بشكل من الأشكال الرسميّة لندنو بها من الواقع الحبيب.

وعلى كلّ فقد غادرت مصر وأنا أحنّ إليها، وأتزيّد من اللبث فيها، ولم أُغادرها قبل أن يتحفني أعلامها الثلاثة ـ البشري وبخيت والسملوطي ـ بإجازات مفصّلة عامّة عن مشايخهم أجمع بطرقهم كلّها المتّصلة بجميع أرباب الكتب والمصنّفات من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم في جميع العلوم عقليّةً ونقليّةً، ولا سيّما الصحاح الستّة وموطّأ مالك ومسند أحمد ومستدرك الحاكم وسائر المسانيد وكتب التفسير والكلام والفقه وبقيّة العلوم الإسلاميّة مطلقاً.

وممّن نعمنا بخدمته في مصر وتبادلنا معه الزيارات، وكانت بيننا وبينه محاضرات ومناظرات في مسائل فقهيّة وأُصوليّة وكلاميّة، دلّت على غزارة فضله ورسوخ قدمه في العلم والفضيلة لشيخنا الشيخ محمّد عبدالحيّ بن الشيخ عبدالكريم الكتّاني الإدريسي الفاسي[1]، وقد أجازني أيضاً إجازةً عامّةً وسّعت طرقي في الرواية والحديث.

واطّردت المراسلة بعد العودة إلى البلاد بيني وبين شيخنا البشري زمناً، ثمّ طغت عليها الشواغل وكوارث الحرب العامّة الأُولى.

وكان رجوعنا من مصر في جمادى الأُولى سنة ١٣٣٠(١)، وقد حملني الحنين إلى مصر على زيارتها مرّةً أُخرى عرضنا[2] لها فيما تحدّثنا به عن نهضتنا سنة ١٣٣٨(٢).

---

(١) الموافق شهر أيار سنة ١٩١٢.

(٢) الموافقة لسنة ١٩٢٠.

---

١. راجع ترجمته في الأعلام للزركلي ٦: ١٨٧ ـ ١٨٨.

٢. كذا، والصحيح: تعرّضنا.

في بيت الله الحرام

كنّا إذ تشرّفنا بالمدينة الطيّبة سنة ١٣٢٨هـ نظنّ أن نوفّق في سنتها للحجّ. لكن الأحداث المختبئة في ضمير الغيب أخّرت ذلك إلى سنة ١٣٤٠هـ، وفيها سهّل الله لنا أسبابه والحمد لله على ذلك.

وحين أزمعنا وافتنا الباخرة «باركشير» إلى مرفإ صور جاء بها مستأجرها راشد بك عسيران، وقد أعدّ لنا المحلّ الأوّل منها ذهاباً وإياباً مجّاناً. فكنت فيه ومعي ابن عمّي السيّد عليّ، وقد أقلع بها ربّانها يوم السبت الثاني عشر من ذي القعدة سنة ١٣٤٠هـ ثامن تموز سنة ١٩٢٢م، وفيها من حجّاج العامليّين عدّة تربو على الثلاثمائة، وآخرون من غيرهم، وقد أحرمنا بالنذر بعد السويس، وجدّدنا نيّة الإحرام عند محاذاة الجحفة، وجدّدناها من كلّ من جدّة وحدّة احتياطاً.

وكنّا في تلك الباخرة كما نكون ونحن حاضرون نقيم الفرائض الخمس جماعةً على ظهرها، فإذا فرغنا من ذلك فرغنا للحجّاج نتفقّدهم فأجول بين أماكنهم المختلفة من الباخرة بإسعافات صحيّة لمن يحتاج إليها ممّن أخذهم دوار البحر أو أضرّهم اختلاط الأنفاس وتكأدهم ضيق المكان، وكنّا نرفع من هؤلاء إلى السطح من يحتاج منهم إلى الهواء الطلق حتّى امتلأت باحة الدرجة الأُولى أمام غرفتنا، وضاق بهم الربّان ذرعاً، غير أنّه لم يكن في وسعه المعارضة. وكنّا نلقي على الحجّاج دروساً في مناسك الحجّ وما إليها من حكم وأسرار.

في جدّة

كنّا كذلك حتّى انتهينا إلى جدّة، وما إن نزلنا منها منزلنا الرحب حتّى زارنا رئيس حكومتها ـ القائمقام ـ الشيخ عبدالله زينل في ثلّة من الأجلّاء فيهم رئيس البلديّة وناظر الجمرك فرحّبوا بنا، واختلف إلينا كلٌّ من الشريف طه، ومحمّد ناصيف ـ وكيل الإمارة في جدّة ـ والأديب قسطنطين يني اللبناني يلتمسون أن نكلّفهم بخدمة فقابلنا التماسهم بالشكر.

وفي اليوم الثاني عاد إلينا القائمقام زائراً ومرحّباً ومهنّئاً باسم الملك، وقد حمل إلينا عنه من العواطف ما كنّا نحرزه بشيخ الأبطح ومليك الهاشميّين في هذا العصر.

ثمّ جاءنا أحد قوّاد الجيش موفداً من الملك ليكون في ركابنا إلى أُمّ القرى، فكان معنا في جدّة إلى حدّة، ومنها إلى مكّة أعزّها الله تعالى، وأنزلنا بستاناً للملك في حدّة ملتفّ الأشجار وقانا بوارف ظلاله وسمين أفيائه وتسلسل مائه المنساب في جداوله ما كنّا نحذره من ذلك الجوّ القائظ العنيف بسمومه، ونزل الحجّاج يومئذ في البحرة أو البحيرة، وهي رملة واسعة غربي جدّه فيها أكواخ قش جعلت محطّةً بين جدّة ومكّة، يمكث الحجّاج فيها سحابة النهار تصهرهم الشمس على غير ماء إلّا الآجن، وقد مات فيها من شدّة الحرّ والعطش نساء ورجال كثيرون، وكان العنت فيها عامّاً. فالحمد للّه الذي عافانا ممّا ابتلى به غيرنا ولو شاء لفعل.

في مكّة

أقبلنا على مهبط الوحي فأقبلت علينا منه معالم التأريخ تتواكب في ذلك الأُفق الكريم، وتنبعث فيه أرواح السماء التي كانت تتنزّل على سيّد البشر في تلك الشعاب الرفيعة من مهد الرسالة الغرّاء، ومصدر النبوّة الناهد بها محمّدﷺ إلى الدنيا في زحف كزحف النور على تجاليد الظلام وقطعه الدوامس.

ما أكرم تلك الذكريات المتألّقة في مدارج سيّد النبيّين من ثرى مكّة، وكلّ شيء في مكّة عليه من سيّد النبيّين وخاتم المرسلين آثار تفتح للذهن وجوهاً للتفكير وترسم صوراً للادّكار تشرئبُّ من هالاتها النورانيّة رؤوس، وتتلألأ ثغور تأخذ بالأبصار والأعنّة، وتنقل النفوس من دنيانا الهيّنة هذه إلى دنيوات الفتح والجلال والقدس.

يوم كانت مكّة تتدفّق برباها وشعابها في أطراف الجزيرة، ثمّ تتّسع وتمتدّ فإذا هي نطاق يتجاوز هذه الرقعة من الصحراء إلى عالم رحب أرحب من الفكر بعيد أبعد من متناول الطموح، وإذا هذا النطاق يخرج مكّة من معناها الجغرافي المحدود إلى معناها العُلوي الذي لا يحدّ، ولا تجد الدنيا البعيدة مهرباً منها، وهي تمتدّ سريعةً خفيفةً؛ لتعقد طرفيها المنطلقين وراء الآهل المسكون من هذه الكرة.

هذه مكّة تنشئ الشرائع والحضارات، وتظفر بالنقطة الوسطى من عالم التمدّن فتمتدّ منها طرق، وتبتدئ منها الخطوط إلى حيث تشاء من أجزاء هذا العالم وعواصمه، وتكون نقطة المبدإ في مقايس القرب والبعد بعد أن كانت تتنكّب الطريق عن المناهل والحضارات نائيةً في تلك الشعاب القاحلة الضامئة لا يمرّ بها القياس العالمي، ولا هي منه في شيء.

هذه مكّة يتموّج في جوّها صوت الرسالة فتسبح هي منه في لجّة طهّرت طبيعتها من أوضارها الطارئة، وجلّت جوهرها المذّخر من صداه المركوم، ثمّ تسبح معها يثرب، ثمّ يتجرّد الحجاز فينضو عنه ثيابه الخلقة المرذولة بين يدي هذه اللجّة الهاجمة، ثمّ تتلاصق المدن والأقطار، فلا تظلّ مدينة مشت حول أسوارها خيول الإسلام إلّا عادت جزءاً من أجزاء مكّة تخوض معها في هذه اللجّة المشعشعة المباركة، رعى اللّه مكّة وحماها.

لقد استأثر بي تأريخها ساعات هنيئة فحملني على أجنحته، ومضى يخفق بي في أجواء وددت أنّي لم أعد منها إلى هذا الجوّ، وتمنّيت أن أظلّ على تلك الأجنحة أطوف بها في مهابط الوحي على مهل، وأسعى في طلول الأمجاد على آثار محمّد وعليّ

والميامين من آل النبيّ وأصحابه، وأحيا منهم حياة روح لا تفاجئُها هذه المنغّصات من أحداث الزمن التي عادت بمكّة إلى عهد تقلّص فيه نطاقها.

وها أنا أنزل عن أجنحة التأريخ في خشوع يشترك بإنشائه في نفسي جلال الذكرى وقدس المكان، فأهبط في دار من شعب عامر، لا تبعد بنا عن أطياف المجادة، ولا تتوارى عن كبرياء التأريخ.

ولا بدّ لنا ونحن من أبناء الحياة الحاضرة أن نتجرّد من التأريخ لنعود تأريخاً حين تستقبل منّا الأجيال القادمة ما استقبلناه من الأجيال الماضية.

وها نحن في مرحلة تتوثّب إلى أن يكون لها شأن نستوحيه من شأن مكّة.

وللعرب في كلّ مكان ولاسيّما في مكّة نزوع إن اختلفت تفاصيله، فإنّ مجمله متّفق على الوثوب إلى التأريخ من حاضرهم الهيّن.

وكان للملك حسين[1] قبل هذه السنة وبعدها مساعٍ خالدة عرفها له التأريخ وسجّلها نواةً لنهضته، فإن أصاب العرب بعدها حظٌّ من الحظوظ فإنّما يكون ذلك ثمرة لجهاده وصدىً لصوته.

وقد كان لموقفنا في النهضة العربيّة العامليّة أثر في نفسه دعاه إلى أن يحيط حجّنا بكثير من أسباب الرعاية، وحسن الوفادة.

وكان احترامه لنا ذا مظاهر مختلفة بعضها شخصي وبعضها نوعي.

فمن الشخصي أنّه‌ﷺ أمر بوضع «بروتوكول» لاستقبالنا منذ دخلنا الحجاز حتّى خرجنا منها، فكان الاستقبال لنا من القائمقام والقائد في جدّة مستهلّ هذا المنهج الملكي الكريم.

ثمّ تشرّفنا بمكّة المعظّمة فزارنا باسم جلالته وزير الخارجيّة وقاضي القضاة في جماعة من الحاشية الملكيّة.

---

١. راجع ترجمته في الأعلام للزركلي ٢: ٢٤٩.

ثمّ اطّردت زيارات وزير الخارجيّة الشيخ فؤاد الخطيب[١] بأمر جلالته في كلّ غدوّ ورواح، عنايةً منه بنا ما دمنا نتفيأ ظلال ملكه الذي كنّا، وكان المخلصون من أحرار العرب، نتمنّى ويتمنّون أن يمتدّ فيشمل الجزيرة كلّها.

ثمّ كان من الخطّة التي أمر بوضعها أن يلازمنا رئيس الشرطة فيكون في حاجاتنا عند اللزوم، كما أنّ الخطة شملت سدنة البيت وخدّام الحرم، فكنّا حين نقبل يجتمع منهم نفر بين أيدينا يمهّدون الطّريق ويفرّقون الزحام ليسهّلوا علينا الطواف والقيام بأعمالنا العباديّة من واجبات ومستحبّات.

ووراء هذا المنهج الرتيب وجّه إلينا دعوات عديدة، وكانت لنا مع جلالته اجتماعات خاصّة في بيته، وأخرى عامّة حمدنا له فيها خُلقه الرفيع، وحفاوته البالغة.

وكان من عادته أن يغسل البيت الحرام بنفسه في الموسم من كلّ سنة، وقد آثر في موسمنا أن نشاركه في هذا الشرف الرفيع ففعلنا ذلك.

ودلّني على كلّ من الملتزم ومحلّ ولادة أميرالمؤمنين، وصلّى في كلّ منهما ركعتين، وصلّينا في كلّ منهما ركعتين مبتهلين ثَمّة إلى اللّه ـ تعالى ـ بما تيسّر من الدعاء والحمد للّه على التوفيق.

واحتفل بنا في مأدبة عامّة أقامها على شرفنا في الثكنة العسكريّة، ودعا إليها وجوه

---

١. شاعر كبير وأديب معروف، ولد في شحيم ـ لبنان ـ سنة ١٣٠٢، وكان من أعظم أركان الحركة التحرريّة المناهضة للحكم التركي؛ ولمّا أعلن الملك حسين الثورة على الأتراك التحق به، وأصبح شاعر الثورة العربيّة، ثمّ صار بعد ذلك مرافق الملك فيصل [راجع ترجمته في الأعلام للزركلي ٥: ١٦٠. و٥: ١٦٥؛ الموسوعة العراقيّة ٢: ١٨٠] في دمشق، ووزير خارجيّه، ولمّا أخرج الفرنسيّون فيصلاً من دمشق عاد إلى الحجاز حيث الملك حسين، ولمّا خرج الحسين من الحجاز التحق بالملك عبداللّه [راجع ترجمته في الأعلام للزركلي ٥: ١٦٥] في الأردن، ثمّ غادرها ولزم بيته في لبنان بضع سنين.

ثمّ استدعاه الملك عبدالعزيز آل سعود [راجع ترجمته في الأعلام للزركلي ٤: ٨٢.] ولازمه مدّةً، ثمّ عيّنه سفيراً في كابل عاصمة الأفغان إلى أن توفّي سنة ١٣٧٦ وله يد بيضاء إذ ذاك إذ توتّرت العلائق بين الأفغان والباكستان، وكادت الحرب تنشب بينهما فاستخدم لباقته السياسيّة، وأحلّ الوئام والسلام. انتهى ملخّصاً عن مجلّة العرفان وغيرها [أيضاً راجع الأعلام للزركلي ٤: ١٩.]. «ع»

الحجّاج من سائر الأقطار الإسلاميّة، وكان قد دعانا قبل ذلك مرّتين إلى مأدبة خاصّة بنا في بيته.

وأمر أن يعرض الجيش عرضاً عامّاً تكريماً لنا، فعرض في صحراء جرول أمام الثكنة العسكريّة، وكنت إلى جنب جلالته خلال الاستعراض أتشوّف إلى المعدّات والأسلحةوراء ذلك الجيش الجرّار الذي لم تجر الأقدار حسبما أراد وأراد له ملكه المنقذ.

ألا فلْيخزِ اللّه وجوه السوء من ذوي الخيانة والخداع، وليخز اللّه سياسة لا يسرّها الصدق والاخلاص والصلابة في الحقّ.

وعلى كلّ حال فهذه خلاصة سريعة للحفاوة الشخصيّة التي لقيناها من جلالة الحسين بن عليّ في حجّنا.

وأمّا المظهر النوعي في حفاوته فيعرف وصفه من كان في الموسم تلك السنة من سائر الحجّاج، وقد كان الشيعة كلّهم ذوي احترام ملحوظ على نحو لم يعهدوه قبل تلك السنة ولا بعدها، وكان من هذا الاحترام أنّه لم يعلن ثبوت الهلال حتّى ثبت لدينا بشهادة التواتر من أصحابنا.

ومنه أنّنا كنّا نصلّي الفرائض الخمس جماعةً في المسجد الحرام وفي مسجد الخيف وفي مسجد جدّة في جماعة لم يعهد ثَمّة نظيرها للشيعة في تأريخهم.

وكنّا نعمل في مواقفنا كلّها عمرةً وحجّاً حسبما يقتضيه مذهب أهل البيت في غير حرج ولا ضيق.

وكان منزلنا في شعب عامر وبيتنا المطنب المضروب على عرفات ومنى مأوى لهذه الجموع الغفيرة يختلفون إليه ويريحون به، يأخذون منه ما هو محلّ ابتلائهم من الأحكام الشرعيّة، ويستمعون إلى قراءة التعزية وأحاديث الوعظ والإرشاد كأنّهم في حواضرهم من عاملة والعراق وإيران وأفغان والهند وزنجبار.

وإنّي لأحمد اللّه ـ تعالى ـ على ما هيّأ لنا في تلك المواقف المحمودة التي سجّلت

للأمّة مظهراً من مظاهرها الكريمة في حديث تحفظه الجماهير الغفيرة من حجّاج ذلك العام وتتناقله حتّى الآن.

ولنا من الذكريات العلميّة في ذلك الموسم ثلاث مناظرات جديرة بالتسجيل على التفصيل لولا ضيق المجال.

أُولاها في الثكنة العسكريّة ليلة الدعوة العامّة الآنفة الذكر كانت بعد الصلاة وتناول العشاء، وقد انتظم سامرٌ حافل بالخاصّة، فذهبنا ندير الأحاديث ونتناول[1] الكلام حتّى انتهى المطاف إلى إسلام أبي طالب، فكنّا في هذا الموضوع في معسكرين، كنت أنا في أحدهما، وكان مفتي برصة والشيخ عبدالقادر مظفّر المقدّسي ـ رئيس الوفد الفلسطيني يومئذ ـ في ثانيهما، وكانت لي أدلّة على إسلام «شيخ الأبطح» و«بيضة البلد» واضحة مجدولة ما أنسى أنّ الملك حسين كان يتهلّل لها أُنساً وطرباً.

وثانيتها في مسجد الخيف من منى كانت بيني وبين أحد شيوخ النواصب؛ إذ أنكر عليّ الإمامة وأنا شيعي في مسجد الخيف، فأجبته أوّلاً في هوادة ولين إيثاراً للحكمة وعملاً بآداب المناظرة النزيهة، لكنّه اضطرّني بجهله وشراسته إلى ردّه منكمشاً على نفسه مذموماً مدحوراً.

وثالثتها في مسجد جدّة ونحن عائدون إذ صلّى بصلاتي في المسجد الجامع أحد الفضلاء المصريّين فأخذ عليّ أُموراً في الصلاة لا يعرفها، كالتكبير عند التحليل من الصلاة، وكالقنوت في غير صلاة الصبح، وكوقوع القنوت قبل الركوع لا بعده، وكالصلاة على محمّد وآل محمّد بعد الذكر في كلّ ركوع وسجود فأجبته عن مداركها المأثورة في صحاحهم، فكان أدنى إلى الذوق العلمي، وأقرب إلى الحقّ من سابقه في مسجد الخيف.

وإن دلّت هذه المفاجآت على شيء فإنّما تدلّ على جهلهم بتفاصيل مذهبنا في ما يخالفوننا به من هذه الفروع.

---

١. في «خ»: «نتداول».

وإذا كنّا على عذرنا في عدم النشاط والنشر في زمن من الأزمان فإنّنا اليوم مقصّرون في الخلود إلى الراحة، وهو تقصير يعين القوم على الجهل، ويساعدهم على استمرار هذا الشقّة التي لا يليق استمرارها بين الإخوان.

في العودة

ودّعنا مكّة المعظّمة قبيل المغرب من يوم السابع عشر من ذي‌الحجّة والقلب يهفو إليها، منوطاً بشعائرها ومشاعرها، ولوعاً بمليكها، مكبراً لأياديه، نابضاً بشكرها، فكان منزلنا في مرحلتنا الأُولى بستان جلالته في حدّة ـ حيث أقمنا سحابة ذلك النهار ـ وظلاله الوارفة ومياهه العذبة تقينا شرّ آب اللّهاب، وتعيننا على أعمال ذلك اليوم ـ يوم الغدير ـ صلاةً وأدعيةً وزيارةً والحمد للّه على التوفيق.

تابعنا السير في المساء فأصبحنا في منزلنا من جدّة، ومكثنا ثمّة إلى يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذي الحجّة، وفيه أبحرنا قافلين فكنّا على حالنا في الذهاب من إقامة الفرائض الخمس جماعةً، وتفقّد إخواننا في الباخرة وما إلى ذلك من إسعافهم، حتّى رست بنا الباخرة في مرفأ الطور يوم الأربعاء التاسع والعشرين من ذي الحجّة. فوافانا الطبيب النطاسي سليم زيدان في ثلّة من أطبّاء الصحّة يحتفون بنا، ويهنّئوننا بالسلامة، ثمّ جاءت القوارب البخاريّة، فنقلت الحجّاج إلى محلّ الحجر الصحّي من البرّ، لكنّني آثرت البقاء في الباخرة مدّة الحجر ومعي ابن عمّي ومن يختصّ بي، فكان الطبيب سليم زيدان[1] يختلف إلينا في كلّ يوم بعلاجاته وهداياه التي كانت تلطّف علينا الجوّ القائض، ولم يأل جهداً فيما هو أهله من الأخلاق واللطف.

ويوم السبت ثاني المحرّم الحرام سنة ١٣٤١ كان منتهى الحجر، فمخرت بنا الباخرة تطوي الخضمّ في سيرها تجاه بيروت حتّى رست في مرفئها صباح الثلاثاء

١. أصله من النفاخيّة في قضاء صور، كان أديباً كاملاً، ذا أخلاق حسنة، طيّب المعشر، توفّي في الإسكندريّة سنة ١٣٧١هـ. «ع»

خامس المحرّم، وقضت المراسيم الصحّيّة أن ندخل الحجر الصحّي ـ الكرنتينا ـ ثلاثة أيّام، لكنّا لم نفقد في الحجر شيئاً نحتاجه من أسباب الراحة، كما أنّا لم ندخل إلى المبخرة التي كانت محتومةً على كلّ هابط من البحر إلى البرّ.

ولم يضق الحجر الحرج عن أن يتّسع لمراسم المحرّم الحرام التي أقمناها فيه كما نقيمها في صور احتفالاً بكلّ شعائرها.

وقد رأينا بفضل الله ـ تعالى ـ في الحجر وفي طريقنا إلى صور من كرم هذه الأُمّة ما عوّدتنا عليه في كلّ مناسبة من مناسباتنا الكثيرة.

وكان استقبال، ثمّ كانت حفلات غروة جمّة المشاعر والأحاسيس.

ولنترك حديث ذلك إلى ما جاء منه في كتاب كتبه لنا الأُستاذ الحوماني، نشره في العدد ٢٢ من عروبته فقال في ص١١٧ وهو صاخب يتجنّى علينا:

وشهدت بنفسي يوم حجّك الأكبر إذ عدت منه، وتهافتت الطائفة على مرفإ الحجّاج ـ الكرنتينا ـ تستقبلك بوجوهها الباسمة، وكان السعيد الأكبر من يفوز منك بنظرة، وأسعد منه من يلثم أناملك من وراء الحديد، وأسعد من هذا وذاك من بلغ بواسطة الدخول إليك وإدخال الفراش لك، وكان أسعد من أُولئك جميعاً من فاز بدعوتك إلى منزله يوم تخرج من الحجر؛ كان ذلك على أثر شيوع خبرك في الحجاز، واحتفاء السلطان حسين بك احتفاءً لم يجره للملوك، وقد كان معك آنئذٍ العلّامة الأمين[1]، وكثير من العلماء غيره(١)، ولكنّهم لم يشعر بهم أحد من حكومة الحجاز، وكان الاحتفاء كلّه خالصاً لك... إلى آخر كلامه.

---

(١) وهم السيّد عبدالحسين نورالدين الموسوي، والسيّد محمّد بن السيّد حسن إبراهيم الحسيني، والشيخ عبدالكريم الزين، والشيخ عبدالله بن الشيخ عبدالسلام الحرّ، والشيخ إبراهيم التقيّ من آل شمس‌الدين الفوعاني.

---

١. راجع ترجمته في تكملة أمل الآمل: ٣٢٨، الرقم ٣١١؛ معارف الرجال ٢: ١٨٤، الرقم ٣٠١.

وكانت خطب وأشعار يحضرنا منها قصيدة للأديب الفاضل الشيخ عليّ مهديّ شمس‌الدين[١] مستهلّها:

حيًا فأحيا مهجتي بعد العدمْ	طيفٌ لسُعدى آخر الليل ألمْ
ثمّ انبرى ينحو كِناس رامة	من الظباء حيث ملتفّ السلمْ
فيا لها إلمامة قد أضعفت	صبري وضاعفت بأحشائي الألمْ
أصبحتُ لكنّ صبوحي زفرتي	ومشربي دمعيَ ممزوجاً بدمْ

إلى أن يقول:

أقسمت بالمولى الذي بيمنه	نستدفع الخطب ونستسقي الديمْ
وبالسنا الساطع من جبينه	وذاك عندي من أبرّها قسمْ
وأُمّه فاطمة وجدّه	خير الورى من عرب ومن عجمْ
لولا هداه وهدى آبائه	لم يرتفع للدين في الأرض علمْ
عبدالحسين المعتلى هام السُهى	والمطعم الزاد إذا ما الجدب عمْ
والثابت الأقدام في مزالق	ما ثبتت بها لأعصم قدمْ
والوارث العلاء عن أكارم	إليهمُ نسبتها منذ القدمْ
حمّال أعباء العلى ومن به	يستدفع الخطب إذا الخطب هجمْ
محطّ آمال الورى موئلها	مفزعها في كلّ خطب مدلهمْ
ذو القلم الأعلى الذي شَبَاتُه	ما تركت من مشكل إلّا فُصمْ

إلى أن يقول:

سعيت لبّيت فكنت عنده	أشهر من نار على رأس علمْ
لئن تكن أقمت فيه للهدى	مشاعراً تهدى بهديها الأُممْ
فكم أبوك الطهر أبكى أعيناً	من العدى فيه وكم داس صنمْ
يوم علا كتفَ النبيّ راقياً	يهدر في الكعبة كالفحل السدمْ
فما انثنى حتّى انثنوا بخزيهم	والرعب قد أشاب منهم اللممْ

---

١. راجع ترجمته في أعيان الشيعة ٨: ٣٤٩.

لا غـرو أن أخـلفته بـطبعه ... فعن سوى الصقر أُمُّ صقر لم تقمْ
فأنت مـنه مـنعةً وهـيبةً ... وجـانباً فـي اللّه صعباً وشممْ
فـبورك الحـجّ الذي بـيمنه ... شـمل الهـدى بـعد شتاته التأمْ
كم رحت والناس بشغل شاغل ... وطـالع النـهار بـالليل التـثمْ
تُسولي الهـدى طـالِبَهُ بـحكمة ... مـا تـركت لحـاسد أنـفاً أشمْ
أظـهرت هـدي جـعفر فـي بـقعة ... قد طـالما فـيها سنا الحقّ اكـتتمْ
أيّـدته بـعزمك المـاضي الشـبا ... وشـدّ مـا قـد كـان قـبلك اهـتضمْ
جدّدت فيه مـا مـحت أيـدي العدى ... وقـد أقـمت فـيه مـا كـان هـدمْ
ما خفت بالخيف العدى ولا اعترى ... جـنابك الشـامخ جـبن أو سأمْ
كأنّـما جـدّك أعـطاك يـداً ... هـي الأمـان مـن عداء وعـدمْ
كـنت كـزين العـابدين هـيبةً ... حين مضى فرداً وللـركن استلمْ
أشـبهته بكـلّ مـا كـان بـه ... ومـن يشـابه أبـه فـما ظـلمْ
تـركت مـا لو هـوت الأفـلاك من ... جـوانب الجـوّ عـليه مـا عُـدمْ
صـنيع خـير، تـرك الخـلق له ... صـنائعاً من حسن سعي وكـرمْ
وفي أخـيك البـحر كـم مـن نـعمة ... أوليـتها يـا حـبّذا تـلك النـعمْ
سـاجلته فكـنت أنـدى راحـةً ... منه وأوفـى مـن بـني الدهـر ذممْ
أنّـى يـضاهيك نـدىً وشأنـه ... مـدٌّ وجـزرٌ وهـبوطٌ وشـممْ
وأنت فـيّاض النـدى أقـلّه ... يزري لدى الجدب بـوكّاف الديـمْ
مـا حـاتم الطـائي إلّا مـادرٌ ... لدى يـد مـن دونـها سيل العـرمْ
ولم تـزل تسـمو إلى أن وطأت ... أخـمصك النـجم بـمنطاد الهـممْ
والبـحر مـخزون بـه الدرّ ولا ... يـلمسُه إلّا الذي قـاسى الأهـمّْ
وأنـت بـحرقدطما زاخـره ... مـن شأنـه القـذف بـدريّ الحكـمْ
شـتّان مـابين أُجـاج مـالح ... وبـين عـذب سـائغ بكـلّ فـمْ

إلى آخر القصيدة.

في سبيل زيارة الأئمّة في العراق وخراسان

كنت منذ غادرت العراق في شوق وحنين وهيام إليه أهفو نزوعاً على الدوام إلى مشاهده القدسيّة ومعاهده العلميّة، وأصبو إلى التشرّف بأعتاب تلك البيوت التي ﴿أَذِنَ اللَّهُ أن تُرفَعَ ويُذْكَرَ فيها اسمُهُ﴾[1] لآخذ بحظّي من ذكر اللّه تعالى وأفوز بنصيبي من تسبيحه فيها بالغدوّ والآصال.

لكن صوارف الحياة ومشاغلها الثقيلة كانت تحول دون الأُمنيّة، فكنت أترصّد سوانح الفرص، مترقّباً بريد الظفر في كلّ آن، حتّى مَنّ اللّه عليّ بذلك سنة ١٣٥٥هـ.

وما إن بلغ أهلنا في العراق خبر عزمنا حتّى استخفّتهم العواطف الشريفة، فبلغوا بها من اللطف ما هم أهله، واستفزّت الأريحيّة سماحة الزعيم السيّد محمّد الصدر[2] ـ ابن خالنا، وكان رئيس مجلس الأعيان ونشط متألّق الغرّة ـ فأبرق يستحثّنا مرحّباً بقدومنا في أُسلوب غلبت عليه نشوة الحبور، وأوعز إلى جرائد بغداد فأخبرت بعزمنا على الزيارة مرحّبةً بنا، وملمّةً بتأريخ حياتنا، ومواقفنا في سبيل مجد العرب أيّام الملك فيصل[3]. وكان للصحف يومئذ أصوات بهذا جلجلت في أجواء العراق(1).

---

(١) وقد أبلت في ذلك جريدة العالم العربي في ص٣، من العدد ٣٨١٣، الصادر ٧ شباط سنة ١٩٣٧، تحت عنوان قدوم مجتهد كبير. وكذلك جريدة البلاد في ص٤، العدد ٧٩٢، الصادر ٧ شباط سنة ١٩٣٧، تحت عنوان قدوم عالم كبير.

---

١. النور (٢٤): ٣٦.

٢. راجع ترجمته في موسوعة أعلام العراق ١: ١٩٢.

٣. راجع ترجمته في الأعلام للزركلي ٢: ٢٤٩، و٥: ١٦٥؛ موسوعة أعلام العراق ٢: ١٨٠.

وكان خروجنا من صور على اسم الله تعالى يوم السبت ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٥٥، الموافق ٦ شباط سنة ١٩٣٧. وأبرق ولدنا الجواد إلى سماحة السيّد ـ امتثالاً لأمره[١] ـ برقية كانت صورتها: «والدي الأربعاء عندكم».

وزار معي ابن أخي العلّامة السيّد نورالدين وابن عمّي أبو هاشم السيّد عليّ، وجماعة من خاصّة المؤمنين.

وبلغنا دمشق مساء ذلك النهار؛ إذ لم نعرّج على بيروت إلّا قليلاً.

ولم نلبث في دمشق إلّا ريثما[١] زرنا السيّدة زينب عقيلة أميرالمؤمنين في الراوية، والسيّدة رقيّة في دمشق، ومشاهد أهل البيت في مقبرة باب الصغير من الشام، والمقام الحسيني قرب الجامع الأموي.

وصباح الثلاثاء سرنا على اسم الله تعالى وقد شاءت عواطف الزعيم الكريم ابن خالنا وسائر الأعلام من أرحامنا آل الصدر وآل ياسين أن يحيطوا سفرنا هذا بأخلاق الوفادة العربيّة، فكان السيّد الزعيم مثلاً رفيعاً في الأريحيّة الهاشميّة يصعب احتذاؤه، وبهذا كان لنا استقبال يناسب أخلاقه التي امتاز بها، فما وردنا الرطبة ـ وهي أوّل دار عراقيّة على الحدود ـ حتّى وجدناها تنتظر قدومنا؛ إذ كان متصرّف الرمادي أوعز إلى مدير الحدود بالاستعداد لمرورنا والحفاوة بنا، وهناك استرحنا نحواً من ساعتين، أديرت علينا خلالها أكؤس الشاي، ومدّت بين أيدينا مائدة العشاء أنيقةً، وأنسنا بأخلاق القائمين بالأمر على الحدود وشيمهم العربيّة[٢].

---

(١) إذ كان قد أمر بتعيين اليوم الذي تصل فيه إلى العراق.

(٢) وهم مدير الحدود أحمد الخماسي البصري، ورئيس الشرطة محمّد الياسين من أهل سامرّاء، وموظّف الصحّة إبراهيم بن مراد الشيخلي ونفر معهم.

---

١. الريث: المقدار، فيقال: ما قعد إلّا ريثما فعل كذا. المعجم الوسيط: ٣٨٥، «ر. ي. ث».

في الرمادي وفلوجة وبغداد والكاظميّة

ثمّ تابعنا السير حتّى أتينا الرمادي ففلوجة فبغداد فالكاظميّة، وكان الاستقبال رائعاً إلى الغاية، وإليك منه ما نشرته يومئذ جريدة البلاد البغداديّة(١) على سبيل الاختصار، تحت عنوان وصول العلّامة شرف‌الدين واستقباله، قالت:

عندما وصل العلّامة السيّد عبدالحسين شرف‌الدين إلى الرطبة كان في انتظار قدومه مفوّض الشرطة؛ حيث أعدّ أسباب الراحة التامّة له، ثمّ رغب إليه المفوّض بالاستراحة وتناول الشاي أوّلاً، ثمّ طعام العشاء المهيّأ له، فأجاب سماحته وبعد تناول الطعام وما إلى ذلك واصل سيره إلى الرمادي.

وكان ينتظره فيها سعادة السيّد المتصرّف محمود السنوي، ومدير شرطة اللواء، وجماعة آخرون، فيهم الشيخ عبدالرزّاق نجل الشيخ عليّ السليمان رئيس عشائر الدليم، وقد جاء نيابةً عن أبيه؛ لأنّه كان منحرف الصحّة، وبينهم وفد من بغداد خفّ لاستقبال السيّد، ذُكِرَ منهم الفاضل الشيخ محمّد حسن حيدر نائب المنتفك ١، والعلّامة السيّد محمّد صادق الصدر عضو التمييز الشرعي، والأُستاذ السيّد محمّد هادي الصدر، ونجلا سماحة السيّد القادم الأُستاذان السيّد محمّد رضا والسيّد صدرالدين. وكان هؤلاء ضيوفاً على الزعيم الشيخ عليّ السليمان.

(١) ص٥ من العدد ٧٩٧، الصادر يوم الجمعة ١٢ شباط ١٩٣٧. ونقلته جريدة البيرق البيروتيّة في ص٢ من عددها ٢٠٢٩، الصادر يوم الثلاثا ٢٣ شباط سنة ١٩٣٧، وغير واحدة من صحف سوريّا ولبنان.

١. الشيخ محمّد حسن بن الشيخ باقر حيدر، أديب شهير، وشاعر معروف، ولد في سوق الشيوخ عام ١٣٠٥، ومواقفه في الثورة العراقيّة مشهورة ومعروفة، فقد أصبح الترس الذي يتحصّن به إخوانه من النجفيّين في سوق الشيوخ، عندما كانوا يفرّون من وجه السلطة المحتلّة. انتخب أكثر حياته نائباً عن سوق الشيوخ، توفّي عام ١٣٦٣. انتهى ملخّصاً عن شعراء الغريّ ج٧ ص٥١٤ ـ ٥١٦. «ع»

وعند وصول سماحة السيّد خفّ الجميع للسلام عليه يتقدّمهم المتصرّف، وبعد الترحيب طلب المتصرّف من السيّد الاستراحة وتناول طعام الصباح والشاي في داره فأجابه، وبعد ذلك واصل سيره مشيّعاً كما استقبل، وبرفقته نجل الزعيم المذكور الشيخ عبدالرزّاق، والوفد البغدادي الكاظمي.

فقد خرجنا من بغداد لاستقبال سماحة السيّد الساعة الثامنة قبل الظهر إلى الفلوجة في رتل من السيّارات تنوف على الأربعين، يتقدّم الجميع سماحة السيّد الصدر رئيس مجلس الأعيان.

وكان هذا الرتل يقلّ عدداً كبيراً من العلماء والزعماء والأعيان والوجهاء.

عرفت من العلماء حجّة الإسلام السيّد محمّد مهديّ الصدر، والسيّد محمّد جواد الصدر، والسيّد عليّ الصدر، والشيخ راضي آل ياسين. ومن شيوخ العشائر الشيخ خوّام[١]، والحاجّ شعلان العطيّة[٢]، والشيخ رابح العطيّة[٣]، والسيّد محسن أبو طبيخ[٤]، وأخاه السيّد جعفر، والشيخ حسن السهيل وإخوته[٥]، والحاجّ علوان السعدون، وداخل الشعلان، ومن الأعيان الحاجّ ياسين باشا الخضيري[٦]، والسيّد أحمد عثمان، والسيّد طه الراوي[٧]

---

١. كان من الشيوخ الكبار في العراق، وهو رئيس بني زريج من بني مالك من الخزرج، في الرميثة، ومن رجال الثورة العراقيّة، وأعضاء المجلس النيابي.«ع»

٢. من مشايخ الديوانيّة، ورئيس قبيلة الأكرع من الدغارة، له مواقف مشرّفة في الثورة على الإنكليز، وكان من أعضاء المجلس النيابي.«ع»

٣. من مشايخ الحميدات في الشاميّة بالديوانيّة، ولد سنة ١٣١٥، وكان ذا كفاءة وثقافة، عيّن في مجلس الأعيان واستوزر مرّتين، توفّي سنة ١٣٨٩.«ع»

٤. من مشايخ الديوانيّة في ناحية الغماس، ومن رجال الثورة العراقيّة، وأعضاء مجلس الأعيان، وله مواقف وطنيّة مقدّرة.«ع»

٥. كان شيخ بني تميم في الكاظميّة، ومن أزكى شيوخ العراق وأجوادهم، ولد سنة ١٣٠٧، انتخب نائباً في عدّة دورات، توفّي سنة ١٣٧٧.«ع»

٦. كان من الشخصيّات البارزة، ومن كبار المثرين، محبوباً من جميع عارفيه، عيّن مراراً عضواً في الأعيان، توفّي سنة ١٣٦٥.«ع»

٧. كان من الأدباء الأفاضل وكاتباً بحّاثة، ولد في عانة سنة ١٣٠٨، وقد عيّن مديراً للمعارف، وله كتب ومقالات، توفّي سنة ١٣٦٥.«ع»

سكرتير المجلس، ومعالي الحاجّ عبدالحسين الجلبي [١]، ومعالي رؤوف البحراني [٢]، والحاجّ حسن شبوط [٣]، والحاجّ محمود الأسترآبادي [٤]، والحاجّ عبدالهادي الجلبي [٥]، والسيّد حسين النقيب [٦]، وجمع كبير لم نحص أسماءهم.

توجّه هذ الرتل من السيّارات يقلُّ هذا الجمع من الذوات إلى الفلوجة فبلغها حوالي الساعة التاسعة. وبعد برهة قصيرة من الزمن أشرقت من الغرب طلعة سماحة السيّد فاستقبله خير استقبال.

ورجع هذا الركب متّجهاً نحو بغداد، ثمّ فيها إلى دار صاحب السماحة الصدر، وهناك نزل السيّد والمستقبلون فاستراحوا قليلاً، ثمّ تفرّقوا إلى منازلهم، وكان السيّد يشكرهم بعبارات بليغة، وبقي السيّد في دار الصدر مع جماعة من العلماء ريثما استراح وتناولوا طعام الغداء.

ثمّ توجّهوا جميعاً إلى الكاظميّة لزيارة الإمامين عليهما السلام، وكانت الكاظميّة تنتظر سماحته بجماعتها عند جسر الأعظميّة.

وما أطلّ عليهم حتّى علا الهتاف وتزاحموا للسلام عليه، ثمّ سار وساروا ووصل سماحته بعد مدّة غير قصيرة إلى الصحن الشريف تحفّه هذه الجماهير فدخل الحرم فزار وصلّى، ثمّ خرج منه إلى مقبرة المرحوم ـ المقدّس ـ الإمام السيّد حسن الصدر لقراءة

---

١. كان من وجهاء الكاظميّة، ومن أُسرة معروفة بالثراء والمجد، وهو من مؤسّسي الحكم الوطني، تقلّد الوزارة والنيابة وعضويّة الأعيان عدّة مرّات، توفّي سنة ١٣٥٨.«ع»

٢. هو أحد مجاهدي العراق المعروفين، ولد في بغداد سنة ١٣١٥، وقد تقلّد وزارة الماليّة والنيابة عدّة مرّات، وعرف بالاستقامة والكفاءة والخصال الحميدة.«ع»

٣. من زعماء البصرة، عرف بقوّة الجنان وذلاقة اللسان، وله مواقف تشهد له بذلك.«ع»

٤. كان من وجهاء الكاظميّة ذا دين وخلق قويم، ولد سنة ١٣٠٨، وقد عيّن عضواً في الأعيان، توفّي سنة ١٣٨٧.«ع»

٥. هو أحد أعيان العراق وكبار أثريائه، ولد سنة ١٣١٦، تقلّد النيابة والوزارة مراراً، أقام بعد الانقلاب في بيروت إلى أن توفّي.«ع»

٦. هو من أُسرة الرفيعي التي في يدها تولية حرم أميرالمؤمنين عليه السلام ولد في النجف سنة ١٣٢٦، تلوح على محياه علائم الذكاء والنجابة والصلاح، ذو صفات حميدة، وأخلاق فاضلة تتدفّق حياته همّةً ونشاطاً، ويضمّ بين جوانحه الوطنيّة الصادقة.«ع»

الفاتحة، وكان ينتظره هناك جماعة العلماء والوجهاء، وفيهم سعادة القائمقام، وبعد أن مكث هناك مدّةً غير قصيرة يستقبل الزوّار والمسلّمين، رجع إلى بغداد في مقرّه دار سماحة الصدر، ولا تزال وفود الناس من علية القوم وكبار العاصمة تتوارد للسلام عليه والترحيب به.

في رحاب سماحة الصدر ببغداد

احتفل السيّد بنا في مآدب أقامها في رحابه على شرفنا، دعا إليها العلماء في يوم، والوزراء في آخر، والأعيان والنوّاب في ثالث، وشيوخ العشائر العراقيّة في رابع، والأهل والأرحام من آل الصدر وآل ياسين في أيّام متعدّدة.

وزارنا في تلك الرحاب باسم صاحب الجلالة الملك غازي[1] مؤتمن بلاطه السيّد الشريف باقر؛ يحمل في ترحيبه عواطف جلالته الموروثة عن أبيه وجدّه، وحين زرته صدّق الخُبْرُ فيه الخَبَر.

وزارنا أيضاً وفد من النجف الأشرف باسم آية اللّه الإمام السيّد أبوالحسن الموسوي الأصفهاني[2] برئاسة ولده السيّد حسين، فشكرنا لسيّدنا جميل هذه العناية، وشكرنا السيّد ولده ومن معه وقدّرنا هذه العناية.

واختلف إلينا علماء بغداد والكاظميّة ووجوه البلدين من مختلف الطبقات، وفاضت الصحف بذلك، كما عمرت الحفلات بقرائح الخطباء والشعراء، ولنجتزئ منها بالكلمة الفذّة(١)

---

(١) نشرتها جريدة البلاد البغدادية تحت عنوان «صورة قلميّة» في عدد ٨٠٢، من أعداد سنتها الثامنة، الصادرة يوم الخميس ١٨ شباط سنة ١٩٣٧، و٧ ذي الحجّة سنة ١٣٥٥.

---

١. راجع ترجمة الملك غازي في الأعلام للزركلي ٥: ١١٢؛ موسوعة أعلام العراق ٢: ١٦٩ ـ ١٧٠.
٢. راجع ترجمته في نقباء البشر ١: ٤١، الرقم ٩٢.

للعبقري الفذّ الدكتور[1] عزّالدين آل ياسين[2]، قال ولله أبوه:

ـ ١ ـ

لأمرٍ ما اصطفى الله آل إبراهيم، وختم النبوّة بمحمّد ﷺ، وجعل منه شجرةً ممتدّة الأغصان، وارفة الأفياء، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

ولأمرٍ ما أراد الله أن تطّرد رسالة هذه الشجرة المباركة الخالدة، فنفخ من روحه في بعض أغصانها ـ من سلالة عليّ وفاطمة ـ بإنشائهم خلقاً آخر يضطربون بأجسامهم في نطاق محدود من هذه الدنيا المحدودة، ولكنّهم يسبحون في دنياً عريضةً من عالم الفكر والروح لا تعرف سدوداً ولا حدوداً.

أُولئك نفر آثرهم الله بنوره، وحاطهم بلطفه، وأسبغ عليهم من فضله، واختصّهم بمواهب وخِلالٍ وكفايات جعلهم بها صدى للنبوّة، واستمراراً لها، وامتداداً لرسالتها، وجعل منهم حفظة الحقّ، ومصابيح الهدى، وأئمّة الناس، وناط بهم راية الدين يحملونها إلى مشارق الأرض ومغاربها، يجادلون الناس فيها بالحكمة والموعظة الحسنة.

والله أرأف بهذه الأُمّة ـ التي ربّبها(١) على يد نبيّه، وهذّبها على هدي آله وخلفائه ـ أن يلقي حبلها على غاربها، دون أن يلقي الحجّة عليها بالنفر الغرّ الميامين، من جنده المصطفين، الذين يوضح الله بهم طريق الإنسانيّة من قرن إلى قرن، يقفون للدين حين يستهدف للأزمات، وينفحون عنه حين تتهدّده الغارات.

هؤلاء العلماء وهؤلاء هم الذين يقودون سفينةالدين إذا ارتطم الموج وعزّ السفين، فيشقّون بها عباب اليمّ، يلطمون وجه الحباب بخدّيها، ويصارعون أواذيّ الموج

(١) من قولهم: ربّب الصبيّ تربيباً وتربّةً، بمعنى ربّاه حتّى أدرك[3].

١. في «خ»: «الأُستاذ الكبير الشيخ».

٢. هو أحد عباقرة العراق وكبار أُدبائه، ولد في الكاظميّة سنة ١٣٣١، مجاز من الجامعة المصريّة في الأدب العربي، ونال أيضاً من جامعة برنستون في أمريكا شهادة الدكتوراه في اللغات السامية، توفّي سنة ١٣٧٣. «ع»

٣. راجع المعجم الوسيط: ٣٢١، «ر. ب. ب».

بمجذافيها، حتّى يفلتوا بها من مظانّ الخطر، ويأووا بها إلى ركن وثيق، فيظفرون من الضمير بالرضى والطمأنينة، ومن الناس بالزعامة والإمامة، ومن اللّه بالهدى والتوفيق.

ولا يكاد يعدم عصر من عَلَم من هؤلاء الأعلام يمتاز عن سواه بمتانة الخلق وصلابة الرجولة، وشدّة الأسر، وقوّة الحيويّة، وصفاء الذهن، ورسوخ اليقين، فيقيمه اللّه بين الناس حجّةً عليهم إذا ضلّوا، ونوراً لهم إذا أدلجوا.

ـ ٢ ـ

ونحن نريد أن نتحدّث اليوم عن أحد أعلام هذا العصر ـ الذين طبّقوا العالَم الإسلامي كلّه شذىً وعبيراً، وأتعبوا ألسنة المسلمين تهليلاً وتكبيراً ـ ذلك هو سماحة السيّد عبدالحسين شرف‌الدين كبير علماء سوريا، وأحد أقطاب الزعامة الدينيّة القويمة في العالم الإسلامي؛ ولعلّك تقرأ من ملامح رسمه آيات فضله وعلمه، وأنت إذا عددت قادة العلم والدين والقلم في العصر الحاضر فأنت مضطرٌ أن تعدّه في رأس القائمة منهم.

والسيّد من نبت وادي الرافدين، فقد ولد في الكاظميّة سنة تسعين ومائتين وألف من الهجرة، ونهل وعلّ من دجلة، ودرج في مسقط رأسه حتّى أيفع.

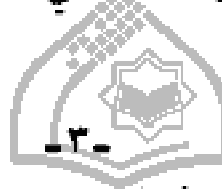
فرجع به أبوه العلّامة الكبير السيّد يوسف إلى بلاده عاملة وهو في الثامنة من عمره، وكان والده من علماء سوريا، فعني بتربيته وتهذيبه منذ نعومة أظفاره، فأدّبه بأدبه وطبعه على غراره، حتّى إذا أجنى وآتى أُكله واستوى على ساقه تمثّل لعينيه مثله، واستعلنت في ذهنه رسالته، رأى ديناً أفتأت عليه الباطل، وتأريخاً نال من صفائه ونقائه الجهل والعيث، وتراثاً تخطّفه الغزاة، وحقّاً سلّط عليه سيف البغي، فاستشرفت نفسه إلى استحياء الثقافة الداثرة، ونشر العلوم والمعارف المقتسمة، وتسقّط[(١)] الحكم والحقائق الضائعة، فرجع إلى العراق مهاجراً، وجرّد لاستقراء الدقائق، واستجلاء

(١) مأخوذ من تسقّط الخبر أي أخذه شيئاً بعد شيء[١].

١. راجع المعجم الوسيط: ٤٣٥، «س. ق. ط».

الحقائق نشاط الصبا، وعزم الشبيبة، وصبر الرجولة، حتى استكمل دراسته، ونسج شخصيّته بين سرّ من رأى والنجف وكربلاء، يحضر على جهابذة العلماء هنا وهناك، أمثال السيّد إسماعيل الصدر، والشيخ محمّد طه نجف، والخراساني، والهمداني، وهناك، وشيخ الشريعة.

وما هي إلّا سنوات معدودات حتّى برز على أترابه وزملائه، وبرع كثرة فضلاء النجف وعلمائها بالذهن الغوّاص، والدرس العميق، والتوجّه الخالص، والاستدلال الصحيح، والاستنباط الموفّق، فكان بشخصيّته الخلّابة، وحججه الصارمة، وبديهته الحاسمة، ومواقفه الحازمة، مثال العالم الصابر الواثق المتفائل المتكامل، الذي يزداد على الأيّام همّةً في عزمه، ونشاطاً في تفكيره، وسداداً في تحصيله، واتّساعاً في كفايته، وغزارة في معارفه.



-٣-

حتّى إذا أبلى في دراسته بلاءً حسناً، وأنفق في سبيلها اثنتي عشرة سنةً متواصلة السهر والدأب والاجتهاد، قفل إلى أهله مجازاً بشهادة الاجتهاد، وفي نفسه آمال المصلح المتحفّز، وفي قلبه همّة الهاشمي الطامح، وفي صدره خزانةٌ حافلةٌ من العلم والعرفان.

واستقبلته بلاده استقبالاً رائعاً، وشاهدت فيه زعيمها الذي تنشد، وإمامها الذي به تقتدي، ونورها الذي تقتبس.

ثمّ ما لبث صوته أن دوّى في أرجاء سوريا، وما لبثت مكانته أن أخذت تسمو وتسمو حتّى أصبح مختلف المسلمين هناك على اختلاف إحساسهم ومشاربهم يلجؤون إليه، ويأخذون عنه، ويستفيدون منه، ويقتدون به، وتزعّم الركب الديني بمحرابه ومنبره وقلمه، متأثراً في خططه الاصلاحيّة آثار السلف الصالح، مستشعراً بمسؤوليّته الكبيرة إزاء العصر الجديد وتطوّراته، والجيل الجديد واتّجاهاته، فتجهّز لكلّ ذلك بسلاح من علمه وخلقه وأدبه وهديه وحنكته وحكمته ونشاطه، فارتفع بمستوى الحياة الدينيّة ارتفاعاً لامعاً، وخلق من الشباب المنوّر مدرسةً تفهم الدين وترفع شأنه، وتقدّر وزنه.

ـ ٤ ـ

ثمّ حُبّب إليه أن يزور مصر، ويتّصل بقادتها، فيعمل على توحيد المجهود المبعثر، والتئام الشمل الشتيت، فحظي هناك بحفاوة كثيرة من زعماء العلم والدين، وفي طليعتهم شيخ الجامع الأزهر سماحة الشيخ سليم البشري[1]، ودارت بينه وبين سماحته مناقشات ومراجعات جريئة بريئة تناولت جميع وجوه الخلاف بين المذهب الإمامي وبقيّة المذاهب الإسلاميّة، وسجّل كلّ ذلك في كتاب أسماه المراجعات، وقد يسرُّنا أن نهنّئ المكتبة العربيّة بهذا الكتاب الجليل، الذي هو بحقّ نموذج عال من نماذج البيان العربي الفصيح الصريح إلى أنّه مزدحم بالمادّة الغزيرة التي تنمّ عن سعة صدر، وطول باع، قد لا نعرف في العصر الحاضر نِدّاً للسيّد في كلّ منهما.

ـ ٥ ـ

وكانت القضيّة السوريّة سنة ١٩٢٠، فدوّى في سمعه صوت الحقّ الصريح، وعصفت في رأسه نخوة الشعب المستذلّ، فشمّر عن عزم ألهبته هاشميّة صريحة، وأسهم في الجهاد الوطني بحظّه المقدور، واستقبل الأمير فيصل في بيروت، فرحّب به ورحّب به في الشام ـ أيضاً ـ على رأس وفد فيه من العلماء والزعماء، وله في استقباله وترحيبه خطبتان قويّتان تناقلتهما الألسنة إلى الآن.

وله في سبيل اللّه جهاد أبلى فيه، حتّى انجلى عن وطنه محكوماً عليه بالنفي المؤبّد، فكان أوّلاً في دمشق أمنع من جبهة الأسد، ثمّ انجلى عنها إلى فلسطين ومصر فكان فيهما محلّ التقدير والإكبار.

واجتمع بالملك فيصل في حيفا، وخطب هناك خطبته الداوية التي تركت في نفس الملك الراحل أثراً بالغاً لم ينسه طول إقامته في العراق.

وأُذِنَ للسيّد بالعودة إلى وطنه، فعاد هذه المرّة زعيماً سياسيّاً ودينيّاً في وقت واحد.

---

١. تقدّمت الإشارة إلى ترجمته في ص ٥٣٢.

ـ ٦ ـ

اصطلحت على تكوين شخصيّة السيّد عناصر قويّة، من أمّه وأبيه، فهو من طرف الأمّ صدري ـ من أسرة آل صدرالدين[١] الشهيرة في العراق ـ، ومن طرف الأب شرفي ـ من آل شرفالدين الشهيرين في عاملة ـ فهو من كلا الطرفين متّصل بالإمام موسى الكاظم في نسب متلألئ، في سلسلة من ذهب لا يخلو أحد من رجالها من علم أو فضل أو أدب.

فورث من أعمامه وأخواله وآبائه وأجداده تراثاً ضخماً من الفضائل والاستعدادات والاتّجاهات، وظلّ سرّ الوراثة يجريه في الاعتقاد على الإخلاص، وفي العزم على المضاء، وفي القول على الصراحة، وفي العمل على الجرأة، وفي الحياة على الهدى ـ هدى اللّه ورسوله وآله ـ حتّى كوّن شخصيّته النادرة التي تضيف إلى الرجولة المحنّكة، والفصاحة الساحرة، واللباقة الأخّاذة، واللياقة الممتازة، خلقاً عظيماً، وإيماناً قويماً، وروحاً زاهدةً في الدنيا، راغبةً عن متاعها، منصرفةً عن لذاذاتها، متّجهةً بكلّها إلى التفقّه بالدين، والاستزادة من معينه، والذبّ عن بيضته، والوقوف لمناوئيه، وهكذا أدّى الأمانة، واجتنب الخيانة، ونصح للّه ولرسوله ولدينه ولكتابه ولسنّته ولبقيّته.

ـ ٧ ـ

وهو اليوم يستقبل عهد الشيخوخة، ولكنّه لم يستسلم بعد لسلطانها، فإذا أنت رأيته رأيت شيخاً في إهاب شابّ، قويّ الهمّة، ماضي العزيمة، خشن في ذات اللّه في غير فظاظة ولا جفاء، لا تأخذه في اللّه لومة لائم، صريح في قوله وعمله، متساوق في ظاهره وباطنه، لا يستحبّ في واحد منهما رئاءً ولا نفاقاً ولا تلبيساً ولا تدليساً، هشّ واسع الصدر، يسع كلّ جليس خُلقه وفضله وكرمه، مهيب هيبةً متواضعةً رقيقةً حبيبةً إلى النفس، مفوّه وُهب لسانه وبيانه ذرابةً قويّةً محكمةً، يمدّها تفكير جبّار وقريحة ملهمة.

(١) آل صدرالدين فرع من آل شرفالدين، وإذاً فالمترجم شرفي من الطرفين، لكنّه ازداد بخؤولته الشرفيّة الصدريّة شرفاً وفخراً.

تقرؤه في أيّ كتاب من بنات يراعته فتستلهم وحي البلاغة، وروعة الحقّ، وتسمعه يتحدّث إلى مستمعيه، فتراه يفرض عليهم الإصغاء بحلاوة منطقه، ورصانة أدائه، فهم لا يملكون معه إلّا أن يعوا فينتفعوا.

ملكة وهبها سيّدنا ـ أدام اللّه ظلّه ـ فجعلته في مقدّمة القافلة من العلماء الأعلام، وجعلته واحد الناس ذرابة لسان، وقوّة بيان، ومتانة أُسلوب، وبُعد غور، يخرج إلى الناس غير مبيّت للقول، ولا مقيّد للرأي، فما هي إلّا أن يستقلّ صهوة المنبر حتّى تشرئبّ الأعناق إليه، وتتّجه الآذان صوبه، مقبلةً عليه، مصغيةً إليه، منتظرةً كلمته، فما هي إلّا أن يداعب خاتمه حتّى تنثال عليه الألفاظ انثيالاً، وتتوارد المعاني وحداناً، وإرسالاً، فإذا جلجل صوته في الحاضرين ملأ أسماعهم وعقولهم وقلوبهم بما ينتظمه بيانه من سحر وفتنة، وقوّة وصرامة وجمال وجلال، ومتاع وإبداع.

تنشقُ من بيانه نفحة من نفحات جدّه المرتضى، ولا غرو؛ فإنّما هو غصن من غصون سرحته، وفرع من فروع دوحته، وإنّما براهين قضاياه من قواعده، وبيّنات دعاواه من شواهده، ومضامين عبقريّاته من هديه، وأفانين بلاغاته من وحيه.

ـ ٨ ـ

وقد عرف القارئ أنّ حظّ العراق من سماحة السيّد مثل حظّ سوريا منه إن لم يزد عليها أنّه مسقط رأسه، ومدرج صباه، وإذا أنت تحدّثت إليه شعرت لأوّل وهلة أنّه لا يحمل لسوريا أكثر ممّا يحمله للعراق من الحبّ والإخلاص، ولا غرو فقد اختلط بدمه ماء بردى، والعاصي، ودجلة، والفرات، فكان من مزاج هذا وذاك كوثر سائغ هنيئ فرات. انتهى.

في الكاظميّة

ما لاح لي أُفق الكاظميّة يتلألأ بأشعّة منائره وقببه الذهبيّة حتّى تلألأت أحلام صِباي وشبابي البعيدة ريّقةً تسعى إليّ على مهل، وتتهادى في بشر وإيناس، فإذا أنا منها في مهرجان ضجّت أجراسه في نفسي أعياداً وأعراساً، وطبّق عَرفه تلك الآفاق

طيباً وعطراً، والتقى عمري بطرفيه، فاغرورقت عيناي بعبرة، وافترّ ثغري بابتسامة، ومشت في جسمي عواطف متناقضةٌ، حيث أسمع صِباي ينادي مشيبي، يتعرّفان ويتعفّران بالعنبر الداري من ثرى تلك الأرض التي نما في أعماقها غرسي، وأفرع على أديمها غصني.

بلادٌ بها نيطت عليّ تمائمي وأوّل أرض مسّ جسمي ترابُها

أولتني الكاظميّة بعواطفها الشريفة نِعماً لا ينقضي شكرها، ولا يستوفى ثناؤها، كان استقبالها حافلاً بأعلامها وأعيانها فمن دونهم من سائر الطبقات، وعقدت حفلات غبطة وحبور أنستني هموم الدهر وفواقره، وألقيت فيها الزمام إلى القادة الأعلام ـ آل الصدر وآل ياسين ـ الذين تكشف بهم الغمّاء، ويستدفع بهم البلاء، ولو أقسم واحدٌ بهم على اللّه تعالى لأبرّ قسمه، فكان لهم نعم ليس في وسعي أداء حقّها، وأنّى لي بالقيام ببعض ما يجب من شكرها.

أمّا آل الصدر فأرومتهم الكريمة موضوع هذا الكتاب، وبه يتمثّل كرم أعراقها وأوراقها.

[إشارة إلى آل ياسين]

وأمّا آل ياسين في الكاظميّة فهم ينابيع فضل ومصادر خير عظيم، يطبعون الحياة على غرارهم وينشئون الجيل على مثالهم، أقوياء في نشر الفضيلة في حماسة هي جماع ماتمتاز به روح الخير التي تُحمد آثارها، وهم من عهد جدّهم الشيخ محمّد حسن الكبير حتّى اليوم يملؤون العالم الإسلامي عبقاً من ذلك الشذى الاضوع، فيتعاقبون في سلسلة نور وهاج اكتمالاً في الهبات، وقدساً في الذات والصفات وتأثيراً في المحيط.

فجدّهم الإمام مبدأ ضخم كان لابدّ أن تجيء آثاره على مثل هذه الضخامة في

خلقه الكريم؛ إذ هو صوت الحقّ وهم صداه، وقد كان خلفه الباقر وارث علمه وحكمه، وجارياً مجراه في سمته وهَدْيه، وهكذا كان خلف الباقر، أعني: الفقيه العلّامة الورع المقدّس الشيخ عبدالحسين؛ إذ كان أعلى الله مقامه على منهاج أبيه وجدّه علماً وعملاً لا يجاري في أخلاقه ولا يباري في قدس ذاته[1].

وها نحن الآن نرى منه ثلاثة كواكب يسطعون في الليل الدليل بشعاعات من النفس والعلم والدين والأخلاق بعيدان في انتشار الضوء وهم أصناء توائم في معنى الإشراق كما هم إخوة في مادة النسب.

فالشيخ محمّدرضا امام تقدّمت به نفسه إلى الصف الأوّل من أعلام المسلمين ومراجع الدين بسيرةٍ مشتقّة من سيرة الأنبياء في كثير ممّا تمتاز به هذه السيرة المثلى فتجعله الأوّل علماً وعملاً.

ويليه أخوه «المرتضى» صفاءً في النفس وقوّة في العقل وغزارة في العلم، واستقامة على المُثُل العُليا، وإيثاراً للجهاد الصامت، لا أعرف املك منه لعنات الفكر في بعد شديد عن الضجيج ووسائل الشهرة. فتبارك الله أحسن الخالقين.

وينهض بعدهما شقيقهما العلاّمة الراضي وفيه منهما مشابهة رائعة وإنْ اختلف عنهما بعض الاختلاف بهبة ممتازة في سياسة الناس أخذ بها خدمةً للدين، وهو الآن شيخ الكاظمية وعالمها وبيضة البلد فيها، وحسبه دليلاً على مدرسته في الأخلاق والتربية عبقرية ولده الفاضل الدكتور عزّ الدين، هذا الشاب السبّاق في ميادين العلم والثقافة والفكر والأخلاق، ولن يكون صنوه الفاضل المهذّب محمّدعلي أقلّ منه دلالةً على فضل هذه المدرسة في آدابها وأخلاقها.

(١) وكان له أخوان عالمان فاضلان ورعان، من أبر أهل العلم وأحسنهم سيرة وأطيبهم سريرة، وهما الشيخ محمّد تقي والشيخ موسى ولدا الشيخ باقر قدّس الله أرواحهم.

في كربلاء

وكان موسم عرفة ـ في مشهد سيّد الشهداء ـ يتأذّن موعده، ويدنو وقته، وهو كما علمت من أعظم المواسم المشهودة في كلّ عام، تحتشد فيه مئات الألوف من الألوية العراقيّة والأقطار الإسلاميّة الإماميّة، فكنت في زمرة المحتشدين يومئذ، والحمد للّه على التوفيق.

ورأيت من كرم الأمّة في ذلك اليوم ما جرت عادتها عليه في كلّ مناسبة، وإليك منه ما نشرته جريدة البلاد البغدادية؛ إذ قالت(١):

وأبت كربلاء إلّا أن تسهم بحظٍّ من تقدير سماحة العلّامة شرف الدين، فتبرز أفذاذها، وتخرج كبارها من الأعلام والأعيان سَفَرةً إلى أبوابها، تستهلّ مطلع البدر في غرّة «شرف الدين» ذلك أنّها تسامعت بمقدمه إلى العراق، وعلمت أنّه زائرها، وهي مصهورة بشخصيّته الإسلاميّة العظيمة، فكان عليها أن تبرهن على إخلاصها وإعجابها به، فاحتشد رجالاتها وفداً كبيراً ضخماً تشرق فيه البشاشة، ويضيء له الاستبشار، وفي مقدّمة علمائها الحجّة الطباطبائي[1]، والسيّد حسن الحجّة(٢)، والشيخ محمّد رضا نجل آية اللّه الشيرازي[2]. وفي مقدّمة أعيانها الشيخ محمّد عليّ كمونة[3]، وكليدار

---

(١) في ص ٥ من عددها ٨٠٧، الصادر ٢ آذار سنة ١٩٣٧.

(٢) من أعلام الأسرة الطباطبائيّة مشهور بالفضل والورع كانت له جماعة كبيرة تأتمّ به في الصلاة.

---

١. هو السيّد عبدالحسين بن السيّد عليّ آل صاحب الرياض المعروف بالحجّة، ولد سنة ١٣٠٥، وقد انتهت إليه الرئاسة في كربلاء بعد أن بلغ درجةً ساميةً في العلم والفضل، وكان جريئاً في مقابلة الملوك والكبراء، يدعوهم إلى تطبيق تعاليم الإسلام دون خوف أو مجاملة، وكانت داره محكمة لحلّ الخصومات، ومدرسةً لطلّاب العلم، ومأوى للضيوف والضعفاء، توفّي سنة ١٣٦٣. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٣ ص ١٠٥١، الرقم ١٦٥٣ وغيره. «ع»

٢. هو من أعلام المجاهدين المشهورين كان معروفاً بالجرأة والنخوة، اعتقل من قبل الإنكليز في أيّام الثورة العراقيّة، ولد سنة ١٢٨٧، وتوفّي في طهران سنة ١٣٧٧. «ع»

٣. كان من زعماء كربلاء المعروفين، ومن رجال السياسة في العهد العثماني وعهد الاحتلال الإنكليزي، وكانت داره مفتوحة للضيوف والوافدين، توفّي سنة ١٣٧٠. «ع»

المشهد الحسيني[١]، والسيّد محمّد حسن الكليدار[٢] وآلهما الكرام، وظلّ هذا الحشد ينتظره خارج البلد حتّى إذا أقبل السيّد استقبله الناس بالترحيب، فترجّل بين التهليل والتكبير، ومشى يأتمّ به الجمع الوقور إلى مشهد العبّاس لقربه من باب البلد، ثمّ إلى مشهد الحسين عليه السلام.

وبعد الزيارة ذهب إلى دار الشيخ محمّد عليّ كمونة؛ حيث إنّه سبق أن دعاه للنزول فيها أكرم ضيف، وما استقرّ به المجلس حتّى غصّ المكان على سعته بالمسلّمين المرحّبين، يحمدون إليه زيارته لمسقط رأسه ـ العراق ـ وكان من الأعلام الزائرين الإمام الأكبر السيّد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني، والحجّة الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء وغيرهما من أعلام النجف وكربلاء.

وقد تلا الأُستاذ الشاعر الكبير الشيخ عبدالحسين الحويزي قصيدةً عصماء يرحبّ فيها بمقدم السيّد، ويذكر بعض خدماته الجليلة المشهورة المذكورة، فصادفت استحساناً وإقبالاً، وأُعيدت كلّ أبياتها مراراً عديدةً. إلى آخر ما نشرته.

وإليك قصيدة الفاضل الحويزي[٣]:

المجدَ طبعك في عهد الصبا أَلِفَهْ ... رسمت بالخطّ من أسطاره أَلِفَهْ

شغاف قلبك ما أبدا له شغفاً ... حتّى لك المجد أبدى مولَعاً شغفَهْ

---

١. هو السيّد عبدالحسين بن السيّد عليّ بن السيّد جواد آل طعمة الموسوي، كان مثال الإنسان الوديع المتواضع الذي تداخل الزهد معه على جانب من الذكاء الحاد والحسّ المرهف، ولد سنة ١٢٩٩، وكان باحثاً محقّقاً يميل بطبعه إلى التتبّع في بطون الكتب التأريخيّة والفلسفيّة، وله عدّة آثار علميّة، وقد اشترك في كثير من المؤتمرات والحركات إبّان الثورة العراقيّة، توفّي سنة ١٣٨٠. انتهى ملخّصاً عن تراث كربلاء ص ٣٠٢. «ع»

٢. هو السيّد محمّد حسن بن السيّد مرتضى آل ضياءالدين الموسوي سادن حرم العبّاس عليه السلام، كان من أعيان كربلاء وأثريائها، معروفاً بالكرم والشهامة وحسن الأخلاق، توفّي سنة ١٣٧٢. «ع»

٣. شاعر شهير وأديب واسع الاطّلاع، وهو شيخ أُدباء العصر، ولد سنة ١٢٨٧، وكان من الشخصيّات الحرّة، ومثال الأديب الجريء، وقصّاصاً من الطراز الأوّل، حسن السيرة، تقيّاً وَرِعاً، توفّي سنة ١٣٧٧. انتهى ملخّصاً عن شعراء الغري ج ٥ ص ٢٣٦ ومجلّة العرفان. «ع»

حللت من عِقدِهِ المنظوم واسطةً — وقد ملكت لمجرى حبله طرفَهْ
أتحفته بهدايا منك مثمنة — لا بدع أن لك أهدى بالوفا تحفَهْ
والشمس بالفلك الدوّار حيث جرت — مقرّةً بذرى علياك معترفَهْ
ودّت على ما بها في الأُفق من شرف — تكون في ذات قدس فيك متّصفَهْ
بحرٍّ وجهك لو قابلت مطلعها — رَأدُ الضحى كوّرت في الجوّ منكسفَهْ
والبدر يخجل من نور كسيت به — وأن تكلّف ليلاً نازعاً كلفَهْ
فلو رأى مجدك الوضّاح مبتهجاً — في الليل غاب وأرخى فوقه سُدَفَهْ
دعتك أُمُّ العلى باسم يتوق له — قلب الوجود وعنه الهمّ قد كشفَهْ
عبدالحسين الذي في شأنه اجتمعت — مناقب بصنوف العلم مختلفَهْ
قدمت في يوم يُمن أنت تعرفه — والدهر قبلك في أيّامه «عرفَهْ»
وأنت من دوحة العلياء نبعتها — على جميع الورى بالفضل منعطفَهْ
قد أثمرت بجنى المعروف يانعةً — عوداً بنان الرجا نوّارها اقتطفَهْ
لو شمّ رَوحَ قميص منك ضاع شذىً — يعقوبُ لم يبدِ حزناً لابنه أسفَهْ
يا عيلم العلم والأفكار غائصةً — لسوم لؤلؤة قد أحرزت صدفَهْ
وعارضاً بالحيا جادت مرازمه — من لمح بارقه الأبصار مختطفَهْ
أسياف عزمته خَيطُ الصباح لها — حمائل زيّنتْ في طرزها كتفَهْ
حازت نفائس مجد نفسه فغدت — بأبْرُدِ العدل والإحسان ملتحفَهْ
كم صعدة لك بالإسلام مُشرَعة — بها ظهور العدى بالطعن منقصفَهْ
ونجدة لك لو أرهفت مضربها — ردّت صروف الليالي السود منصرفَهْ
لو في مناط الثريّا المجد مرتفعٌ — أصاب مهما رمى في سهمه هدفَهْ
له «الفصول» لشرع[1] الحقّ محكمةٌ — «مهمّة» ليتيم الدهر «مؤتلفَهْ»
انظر تجد في معانيه «مراجعة» — تهدي أُناساً عن الإرشاد منحرفَهْ

---

١ ـ في «خ»: «بشرع».

فاسلك بنهج «سبيل المؤمنين» تجد شكل الهدى قد تجلّى[١] لابساً شنفَهْ
ظِل وابن عمّك صدرالدين شوط عليّ ومن مقام العُلى قوما اسكنا غُرَفَهْ
محمّد من أبوه المجتبى حسن من بحر معروفه الآمال مغترفَهْ
رئيس مجلس أعيان تخالُهمُ آساد غاب لنصر الشعب مزدلفَهْ
عدلاً قناة العُلى بالعدل ثقّفها وعزمها بقيون العزم قد رهفَهْ
والشعب يشكر من ألطاف نائله ولم يكن يشتكي إلّا له جنفَهْ
وصنوه من علا هام الضراح عُليّ عليُّ المرتقي للمجد مرتدفَهْ
يا ابن الذين سما البيت العتيق بهم والدين أظهر فيهم للورى «شرفَهْ»
أسلافكم للعلى حلُّوا سوالفها فجئتم اليوم من نسل العُلى خَلَفَهْ
في الذكر ﴿قل لا﴾ أتتنا في مودّتكم أجراً إذا نتلُ من وحي الهدى صحفَهْ
مساجداً أربعاً(١) كانت بيوتكمُ بطيب بقعتها الأملاك معتكفَهْ
من لم يفضّل على الكونين قدركم فذاك أعظم ذنب في الملا اقترفَهْ
يا سيدّ الناس من عرب ومن عجم والمسجد من بُرده مستبطن ترفَهْ
دمتم بني الوحي في عيش الهنا رغداً يبدي الزمان لنادي مجدكم لُطفَهْ

[استدراك]:

فات جريدة البلاد ذكر الإمام آية اللّه الشيخ محمّدرضا آل ياسين[٢] وصنوه حجّة الإسلام الشيخ مرتضى[٣] دام ظلّهما، وقد أولياني من كرم أخلاقهما ما هو جدير بهما،

(١) أراد الناظم بها: المسجد الحرام، والمسجد النبوي وهما بيتا رسول اللّه ﷺ، ومسجد الكوفة وهو بيت أميرالمؤمنين عليه السلام، والحائر الحسيني وهو مشهد سيّد الشهداء عليه السلام.

١. في «خ»: «تحلّى».
٢. راجع ترجمته في نقباء البشر ٢: ٧٥٧، الرقم ١٢٣٥.
٣. راجع ترجمته في ماضي النجف وحاضرها ٢: ٥٣٤، الرقم ٧.

وهما به أجدر؛ إذ استقبلاني بعطفهما ولطفهما إلى كربلاء المقدّسة، ورجعا بي إلى النجف الأشرف محبورين بي وأنا محبورٌ مغتبط بهما.

وفات الجريدة أيضاً ذكر الإمام الحاجّ السيّد حسين الطباطبائي القمّي[١]. ونحن نؤثر ذكره ـ لنجد بذلك مناسبةً لوضعه في مكانه من هذه الرحلة، وقد كان ـ أعلى اللّه مقامه ـ في الطليعة من أعلام العصر، يتقدّم علماء إيران قاطبةً، ويدنو إلى معنى من معاني تِربِه الإمام السيّد أبو الحسن في مرجعيّته، وكاد بعد وفاته أن يخلفه لولا أن عوجل بأجله.

ترك إيران مهاجراً إلى الحائر ـ المقدّس ـ في عهد رضاشاه بهلوي على أثر فرضه السفور على كرائم المؤمنين في إيران، وما إن تشرّف السيّد بفناء سيّد الشهداء حتّى اتّسع له مكان رحب، وأقبل عليه روّاد العلم، فتكوّنت له منهم حوزة فاضلة كان ينفق عليها ممّا يرد إليه من أموال المؤمنين وحقوق اللّه تعالى في خزائن الأغنياء من عباده.

وكانت له منّا ـ حين وفدنا إلى كربلاء ـ وقفةٌ كريمةٌ زارنا أكثر من مرّة، وأدّب لنا مأدبةً جمعت المنظورين من فحول العلم وذوي الفضل من طلّاب النجف وكربلاء، ورأينا به في الجلسات التي جمعتنا عالماً مفكّراً يمتاز بخصائص القدّيسين.

في النجف الأشرف

ولمّا انقضى الموسم في كربلاء أممنا النجف وهي أكرم مدينة عليّ، ولا غرو من ذلك فإنّ النجف عاصمة العلم والدين، شمخت بهما على هامة المجد شموخاً انحنت له المدارس والمدن والعواصم باخعةً مذعنةً، وحملت طوال الفترة مشعال النهضة، فكانت وحدها الصِلة التي تسلسلت بها حلقات الدين من جِهة، وحلقات العلم والآداب واللغة من جِهة أُخرى، فكان لها الفضل في ما نجده اليوم من ازدهار الآداب، وحياة العلوم

١. راجع ترجمته في نقباء البشر ٢: ٦٥٣، الرقم ١٠٨٩.

الإسلاميّة التي حَفِظَت ذَماء[(١)] الفكر على نحو لو لم تكن النجف الأشرف لتغلّبت هذه الرطانة الغاشية، فطمست على العقول والألسنة، وقطعت تلك السلسلة المباركة.

وكنت أودّ أنْ أرى أنّ النجف وقد دخل عليها من التطوّر في أساليب التربية ما يقف أمام التيّارات الحديثة؛ ليستطيع خرّيجها أن يجاري خرّيجي الجامعات المتطوّرة.

وكنت أتمنّى أن يكون للنجف مناهج رتيبةٌ تقوم على موادّ مفروضة وراء هذه الدروس التي يتلقّاها طالب النجف بغير نظام رتيب.

وكنت آمل أن أجد في النجف مثل هذا الاصلاح من غير أن يؤثّر ذلك على جوهرها، ولكنّي ما وجدت منه شيئاً.

بل وجدت الحماسة والتطوّع للعلم باردين فاترين على وجه ينذر بسوء العاقبة.

ومهما يكن من أسباب ذلك؛ فإنّ النجف التي طاولت الأيّام بشموخها وجلالتها ما كان لها أن تشيخ، وتبلغ حدّ البرودة والفتور، بل كان عليها أن تأخذ بالحزم والحكمة في تجدّد نهضتها بما يعيد إليها نشاط الشباب وفتوّته بما ترى ويرى لها أعلامها من وسائل ذلك وأسبابه.

وقد هجس في نفسي أن أدعو إلى ذلك وأنادي إليه، لولا أنّي وجدت هذه المرحلة معقّدةً شديدةَ التعقيد، ومع ذلك فقد دعوت في بعض المجالس الخاصّة إلى معالجة ما يهول من مستقبل هذا المعهد العزيز وقد أصبح تقريباً منقطع الآخر؛ إذ لا تجد فيه طبقة من طبقات المبتدئين، وإذا وجدوا فهم أقلّاء وهم على قلّتهم ـ حين يوجدون ـ غير محصّلين. وقد كانت النجف الأشرف ـ حين تركناها ـ تمتلئ بطلّاب محصّلين من مختلف الصفوف والدراسات، ذوي حيويّة وحرارة يندفعون للعلم وللفهم اندفاعاً تسمع له هديراً يعلو في الصحن الحيدري الشريف والمساجد والمدارس حتّى يبلغ السماء.

(١) الذماء يرادف الرمق[١].

١. راجع المعجم الوسيط: ٣١٦، «د. م. ي».

[الأقطاب يومئذٍ في النجف]

وما أرى أنّ الحياة العلميّة كانت حميدةً في هذه الآونة، لولا أن يمسك رمقها قوّامها وإمامها في هذا العصر آية الله السيّد أبوالحسن الموسوي الأصفهاني في أعلام يمثّلونها بحكم الاستمرار.

أمّا السيّد أبوالحسن فله في حفظها بلاء مشكور وجهد كان مركز الثقل في حياتها، وكان عليه المعوّل في اطّرادها واستمرارها، ذلك أنّها موصولة منه بسببين وثيقين هما الناحية العلميّة، والناحية الماديّة المنظّمة.

فهو من الناحية العلميّة مشرف على روّاد العلم يمدّهم بروافد من ضلاعته وتبحّره، ويلقّنهم من علمه الواسع الدُفاق[1] ما يجعلهم في مصافّ الأعلام المحقّقين من السلف الصالح، فيكونون منه حيث يجب أن يكونوا من مقرّ القيادة الروحيّة والفتيا، والقيام بالأُمور العامّة.

وهو من الناحية الاقتصاديّة يجري على طلّاب العلم على اختلاف طبقاتهم رواتب تضمن لهم معايشهم، وتكفيهم مؤونة التفكير بهموم العيش الضيّق الذي لا يدرّ عليهم من الرزق ـ لولا جَرَايته السخيّة ـ إلّا بالنزر القليل ممّا لا يسدُّ مسغبة، ولا يطعم من جوع.

وله في ذلك نظام مطّرد يشبه الأنظمة الدوليّة في إحكامها ودقّتها وسعة صادراتها وارداتها.

وقد عمّت أياديه في ضائقة الحرب فتجاوزت النجف إلى كربلاء والكاظميّة وسامرّاء ومشهد خراسان وقمّ. ثمّ تجاوزت هذه المدن المقدّسة إلى كثير من البلاد العراقيّة، وكثير من بلاد إيران الجديرة بعنايته. ثمّ تجاوزت الطلّاب وأهل العلم إلى طبقات من العفاة والمكروبين واليتامى والأيامى وأبناء السبيل من المؤمنين.

وبحكم هذه الأعمال الواسعة العظيمة كان وقته موزّعاً على النظر في هذه المهامّ الثقيلة، فكان له في نهاره وليلته، وقت للدرس والمحاضرة، وأوقات لأداء الفرائض

---

١. الدُفاق: الملىء، وسيل دُفاق: يملأ جنبتي الوادي. لسان العرب ١٠: ٩٩، «د. ف. ق».

جماعةً، ووقت للنظر في الأُمور العامّة وحاجات الناس المجتمعين في فنائه سحابة النهار وجانباً من الليل، ووقت لردّ الأجوبة على الرسائل الواردة إليه بعد أن يقرأها بنفسه، فيجيب عليها بخطّه أجوبةً من أدب التوقيع مضطرّاً إلى الاختصار بطبيعة كثرة ما يرد عليه من هذه الرسائل من سائر الأقطار الإسلاميّة بمختلف الأغراض والحاجات.

وقد علمتُ أنّ للنار نصيباً من هذه الرسائل؛ لأنّ فيها كثيراً من الأسرار التي لا يأمن عليها السيّد ببقائها في الأضابير والحقائب، ومن هذه الأسرار حاجات كرام يؤثر السيّد أن لا يطّلع عليها أحد فيستأصلها بالنار.

وهو على الإجمال إمام النجف الأشرف في هذه المرحلة، ونظام الحياة العلميّة، وسيّد حوزاتها القائم بمهمّاتها أحوط ما يكون على مجدها، وبهذا كان إمام الكلّ في الكلّ، يحمل على كاهله أثقال النجف الأشرف، وإن شئت فقل أثقال الأُمّة[1].

وثمّة أعلام ترجح النجف بهم في موازين العلم والهدى، وتكون نقطة الامتداد بالحياة العلميّة المزهوّة.

ومن هؤلاء الأقطاب فقيه الإماميّة في هذا العصر الإمام الهمام الشيخ محمّدرضا آل ياسين، فأكرم به راعي رعيّة، وإمام حقّ وجبت للّه به الحجّة، وتمّت به النعمة، له حوزة من أعلام العلماء يطبعهم على فقاهته الصافية، وذوقه الممتاز، ودقّته واعتداله، فيصدرون عنه فضلاء بعلم سهل ممتنع ـ كما يقول الأُدباء ـ أمّا السهولة فمن الأُسلوب، وأمّا الامتناع فمن التبحّر والعمق[2].

ومنهم: فقيه أهل البيت في هذه الفترة السيّد الشريف المحسن الحسني الطباطبائي الحكيم؛ فإنّه الإمام يضرب مثلاً عالياً في حسن السمت والاتّزان، والسكينة والهدي إلى علم راسخ، وأمانة على الدين والأُمّة والثقافة الهادية إلى سواء السبيل، وبهذا نهد إلى

١. ولد سنة ١٢٧١، وتوفّي سنة ١٣٦٥ «ع» [راجع نقباء البشر ١: ٤١، الرقم ٩٢].

٢. ولد سنة ١٢٩٧، وتوفّي سنة ١٣٧٠ «ع» [راجع نقباء البشر ٢: ٧٥٧، الرقم ١٢٣٥؛ ماضي النجف وحاضرها ٣: ٥٣٢ ـ ٥٣٤، الرقم ٦].

الطليعة من أعلام النجف وأبرارها[١].

ومنهم: خاتمة المحقّقين المدقّقين، وبقيّة الفقهاء والأصوليّين الشيخ ضياء الدين العراقي[(١)][٢] كان ـ أعلى الله مقامه ـ قدوة كلّ ممعن في التنقيب، ومتقصّ من روّاد العلم في التدقيق، يخوض بهم عباب العلوم فيجلو لهم غوامضها؛ وبهذا كانت حوزته أوسع الحوزات العلميّة، وفيها ممّن يُؤثر التوسّع الفكري والتعمّق من لا نظير لهم في بقيّة الحوزات.

ومنهم: حجّة الإسلام وعلم الأعلام الشيخ محمّد حسين بقيّة آل كاشف الغطاء[٣]، وهو الغنيّ بما انتهى إليه من شهرة عن أن يُعرّف. ويمتاز هذا العَلَم المفرد بالموهبة الأدبيّة النادرة إلى ملكته العلميّة الراسخة، وقد كان في مطلع النهضة العراقيّة في الأدب وما إليه، وهو اليوم من أئمّة النجف الأشرف جماعةً ودرساً، ومن أصحاب الرأي والفتيا، والحكم بما أنزل الله عزّ وجلّ.

أنشأ مدرسةً باسمه وأوقف على طلبتها مكتبته الكبرى المعدودة في طليعة المكتبات الحافلة في الشرق[(٢)].

(١) المتوفّى في النجف الأشرف سنة ١٣٦١هـ، فكانت الرزيّة بفقده جليلة ألحقه الله بمنازل الصديقين من أعلام سلفه.

(٢) مكتبة آل كاشف الغطاء أهمّ مكتبات النجف، وقد ذكرها جرجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية، وتليها مكتبة الشيخ محمّد السماوي، وربما امتازت عليها ببعض الكتب الخطّيّة النادرة، وتلي هاتين مكتبة الحسينيّة الشستريّة، وفي النجف بعد هذه المكتبات الثلاث مكتبات كثيرة لا توازنها شمولاً وفائدةً، وقد أسّست وزارة المعارف مكتبةً منظّمةً، وعيّنت أوقاتاً رتيبةً للمطالعة فيها.

---

١. ولد سنة ١٣٠٦، وتوفّي سنة ١٣٩٠ «ع» [راجع أعيان الشيعة ٩: ٥٦].

٢. ولد سنة ١٢٧٨، وتوفّي سنة ١٣٦١ «ع» [راجع: نقباء البشر ٣: ٩٥٦، الرقم ١٤٤٩؛ أعيان الشيعة ٧: ٣٩٢].

٣. ولد سنة ١٢٩٤، وتوفّي سنة ١٣٧٣ «ع» [راجع: نقباء البشر ٢: ٦١٢، الرقم ١٠٤٤؛ ماضي النجف وحاضرها ٣: ١٨٢ـ١٨٩، الرقم ٢٦].

وكان بالأمس من ألسنة الأُمّة وأدمغتها، وله مواقف في مصر وفلسطين وسوريا ولبنان خالدةٌ تقدّرها له هذه الأمصار العربيّة الإسلاميّة.

وتربطنا به في يوميه أواصر صداقة متينة تأسّست في النجف الأشرف، وتغذّت في زيارته عاملة سنة ١٣٣٠هـ والتي بعدها؛ إذ تبادلنا الوفاء والصفاء وصدق الإخاء. ونحبّ أن نحفظ له هذا العهد فنسجّل بعض مراسلاته الشريفة الدالّة على ما قلناه.

فمنها كتاب أرسله إلينا من صيداء خامس جمادي الثانية سنة ١٣٣٠.

وهو ما يلي:

بودّي لو أكونُك يا كتابي ... فتحملني مُغذّاتُ الركابِ
بودّي لو أكونُك يوم تحظى ... بطلعة غرّة الحسب اللبابِ
بودّي لو تصيبك من لقاه ... يعودُ بعيد وصلهم نصابي
يعزّ عليّ سبقك لي إليهم ... وما بك يا كتابي مثل ما بي
بي الشوق الذي أصبحت فيه ... كذي ظما إلى برد الشرابِ
كموقوذ ظما والماء منه ... قريبُ الورد زخّار العبابِ
فلا تربت سطورك فوق طرس ... سيلثم راحة ابن أبي ترابِ
ستروىٰ من أنامله بسحب ... تُروّقك الشراب عن السرابِ
أنامل في هدىً وندى أرتنا ... بدور التمّ تسبح في السحابِ
سحائب للمُوالي والمُعادي ... تَصبّبُ بين عذب أو عذابِ
بها «شرف» الهدى و«الدين» أمست ... تُصان عيابه عن كلّ عابِ
فكم سدّدت عنه نافذات ... أصبت بهنّ شاكلة الصوابِ
فيا ابن السابقين بكلّ فضل ... تُدكدكُ دونه شمّ الهضابِ
أبوك من المدينة باب علم ... وأنت لعلمه مفتاح بابِ
أبى الباري قياسكمُ بخلق ... وأنتم منه شأناً قوس قابِ
بمدحكم تقاصرت الخُطا بي ... وكيف وعندكم فصل الخطابِ

أبـا المـجد المـؤمّل والمـزايـا الـ   تـي مـنها استضاء سنا الشهابِ
إذا اغـتربت لغـربتها أنـاسٌ   فـعندك رغـبتي ولك اغـترابـي
عـلى العـهد القـديم حـديث ودّي   وفـي نسب الولاء لك انـتسابي
شـخصت إليك مـن بـلد بـعيد   وحـظّي حـال عـنك عـلى اقترابـي
أعـلل كـلّ يـوم فـيك نـفسي   عـلى طـول التـقاضي والطّـلابِ
فأصـبح مـثل مـا أُمسي بـيأس   يُـطيل لكـم نـزوعي واكـتئآبي
وقـد عـوّلت مـذ نـفذ اصـطباري   عـلى قـطع المـهامه والروابـي
ليُكـحلَ مـن سـنا مـرآك طـرفي   ويـضحك بـالمسرّة فـيك نـابي
وقـد قـدّمت قـبلي فـي ألوكـي   سـلاماً لا يـحيد عـن الجـوابِ
فـدم واسـلم لجسم الديـن صـدراً   رحيب البـاع فـي الخـطط الرحـابِ
قُـباب مـعالم أنـستم سـلام   عـلى تـلك المـعالم والقـبابِ

سلام على نيّر تلك القباب والمعالم سيّدنا الشريف العلّامة أدام اللّه لأيامى المشكلات من الشرع أيّامه

زكا لك صـالح وخـلاك ذمّ   وصبّحك الأيامن والسعودُ

مولاي نشرتي إليك ـ نشر اللّه أعلام علوم جـدّك فـي يـديك ـ تـتضمّن بـعد عـرض الإخلاص والشوق لدى محضرك السامي: إنّ الشائق بينا كنت في غرض يتعلّق بخدمة الإسلام، وكانت الشؤون منتظمة والحال ملائمة؛ إذ بلغني تشرّف صيداء بنزول سيّدي فيها، وتوقّفه زماناً بها، فآثرت الرحلة والنقلة عن الشام على ملاءمتها رغبةً في ملازمة تلك السعادة وأمل الحظوة بها، فما حللت بالحاضرة إلّا حـيث وجـدتها فـاقدةً لذلك النور، عادمةً لذيّالك الشرف، فبقيت ولا عناية لي إلّا بإحفاء السؤال عن رجاء رجعته، واخضرار عود الأمل بعودته، حتّى برّح بنا الانتظار، ونفد التصبّر، والشوق يحفزنا، وأمل العود يثبّطنا، وكان شاعر الضمير يوعز إليّ أن أنشدك:

أنا القادم المُلقي بأرضك رحله   فإن زرته بـذّلت بـالخاء قـافَهُ
فتىً شفّه شوق إليك فإن يـذب   أخو كمد شوقاً إلى الملتقى فهو

ولكن قلت: إنّ الكعبة لا تزور بل تزار، وإنّ الصادي[1] هو يتطلّب مساقط الغيث ومهابط الأمطار، فصمّمت العزيمة بعون اللّه ـ تعالى ـ على الرحلة إليكم، والتشرّف في أُخريات هذا الأُسبوع مؤدّياً فرض زيارتكم ليلةً واحدةً وعائد من غدها إن شاء اللّه، وإنّما تجاسرت أمام ذلك بهذه العريضة لسيادة مولاي مع وضوح عدم الحاجة لذلك، ولكن ما الغرض يشهد اللّه سوى إعلام سيّدي بقصدي حذراً من التعاقب في الطريق، فيذهب عنائي باطلاً، ورجائي ماحِلاً، لا سمح اللّه.

أمّا ما وقع في صدر الكتاب من الأبيات فسيّدي يعلم أنّي لست من الشعر والشعراء، ولا قلامة ظفر، ولكن:

ليهنك يا من قد تملّك أوّلاً　　فؤادي فعنه اليوم ماليَ ثاني
فؤاداً طمى تيار حبّك وسطه　　فأجريت منه جدولاً بلساني

على أنّي أجد الثناء عليكم، والولاء لكم من إحدى القرب إلى اللّه ـ تعالى ـ بل من أعظم الزلف إليه.

فأصبح شعري منكم في مكانه　　وفي عنق الحسناء يستحسن العقدُ

فدم يا مولايَ كلّ يوم في سعودِ جدودٍ، وجديد سعودٍ، وهلك عدوّ وحسود، كهفاً للشريعة كآبائك، وحصناً وحرماً آمناً، والسلام عليك وعليهم وعلى سائر أهل البيت ورحمة اللّه وبركاته.

وله في صدر رسالة أُخرى من رسائله العالية:

فديتك إنّي لم أجد عنك أعواضاً　　فما بال ذاك اللطف بُدِّل إعراضا
تبدّلت بالأعراض عنّي ولم تزل　　أصحّ البرايا جوهراً بل وأعراضا
ولا عجب أن فاض قلبي بحبّكم　　ففضلك بحر بالمكارم قد فاضا

---

١. الصادي: العطشان. معجم الوسيط: ٥١١، «ص. د. ي».

شطّ بنا القلم، فلنرجع إلى ما كنّا فيه من ذكر الأقطاب الذين كان المدار في النجف يومئذ عليهم:

فمنهم: المحقّق المدقّق الشيخ محمّد حسين الأصفهاني شارح «الكفاية»[1] كان من العلماء المؤمّلين للمرجعيّة العامّة بعد الطبقة الأُولى في ذلك العهد، وكان ذا مدرسة خاصّة في علم الأُصول، وقد توسّع فيه فلحقه بأُصول الفلسفة، وأخضع الفكر للمنطق ـ في درسه ـ إلى أبعد حدّ، فكانت مدرسته تسيطر على حلقة ذات شأن في النجف، وكان هو قائماً على أساسها، وله في نفوسهم مقام شامخ يتطوّعون له ويدعون إليه، ويفضّلون أُسلوبه نقضاً وإبراماً على سائر الأساليب العلميّة المعروفة يومئذٍ في تربية ذوي الملكات العلميّة، وتخريج أولي الفكر في الفقه والأُصول، وكان من المنتظر أنْ يرقى إلى قمّة الزعامة الكبرى لو امتدّت به الحياة، ولكن فاجأته المنيّة أيّام الإمام السيّد أبوالحسن الذي كان يمتدّ ظلّه في العالم الإسلامي امتداداً لا يترك لشاخص ظلّاً.

وهناك حلقات أُخر تنتشر في أنحاء النجف انتثار الكواكب، وتتفرّع تفرّع الجداول، وعلى كلّ حلقة بطل من أبطال العلم يأخذها بأُسلوبه وطابعه في التربية.

فمنهم: السيّد عبدالهادي الشيرازي[2]، والسيّد حسين الحمّامي النجفي[3]،

---

١. ولد سنة ١٢٩٦، وتوفّي سنة ١٣٦٢ [راجع نقباء البشر ٢: ٥٦٠، الرقم ٩٨٢]. «ع»

٢. هو السيّد عبدالهادي بن السيّد إسماعيل الشيرازي الحسيني، والده ابن عمّ زعيم الشيعة المجدّد الشيرازي، ولد في سامرّاء سنة ١٣٠٥، وقد بلغ في الفقه والأُصول درجةً قصوى، واشتهر بين العلماء والطلّاب بالتحقيق والتدقيق، وتخرّج عليه جمع من الأفاضل والفطاحل، وكان من الأتقياء الذين يضرب المثل بروحانيّتهم ونزاهتهم وتواضعهم، وقد قرن العلم بالعمل وصار مثلاً أعلى في الأخلاق وتهذيب النفس، وأجمعت كلمة الخواصّ على ترشيحه للزعامة العامّة، ورجع إليه كثير من المؤمنين في التقليد في العراق وإيران وغيرهما، توفّي سنة ١٣٨٢. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج٣ ص ١٢٥٠. «ع»

٣. هو السيّد حسين بن السيّد عليّ بن السيّد هاشم الموسوي المعروف بالحمّامي، كان من مراجع هذا العصر، وشيوخ الحوزة العلميّة، ولد سنة ١٢٩٨، وقد كتب عنه تلميذه العلّامة الشيخ محمّد جواد مغنية في مذكراته، ونقتطف منها ما يلي:

←

والسيّد آغا جمال الكلبايكاني[١]، والسيّد أبوالقاسم الخوئي[٢]، والسيّد هادي الميلاني[٣]، والسيّد محمود الشاهرودي[٤]، والشيخ محمّد عليّ الجمّال الكاظمي الخرساني[٥]، والشيخ حسين الحلّي[٦]، والشيخ عبدالرسول الجواهري[٧].

← كان الأستاذ يبذل جهدين: جهداً لشرح المسائل العلميّة والقواعد الكلّيّة، وجهداً لبيان طريقة المؤلّفين واصطلاح العلماء، وأسلوبهم في بيان ما يقصدون ويهدفون، وهو الخبير العليم بمقاصدهم وعباراتهم وأساليبهم، ويجمع إلى العلم الجمّ محضراً حلواً، وحديثاً عذباً، وبياناً خلّاباً، وسجيّةً صافيةً لا يدنّسها العجب والرياء، لقد أحاطت الخطوب بهذا السيّد، فصبر عليها مجاهداً في سبيل العلم والدين، وكان من نتيجة هذا الصبر الطويل، أن ابتسمت له الأيّام بعد العبوس فأصبح عالماً كبيراً، وأستاذاً ناجحاً، ومرجعاً للطائفة. انتهى. توفّي سنة ١٣٧٩ [راجع نقباء البشر ٢: ٦٢٠ ـ ٦٢١، الرقم ١٠٤٦].«ع»

١. هو السيّد جمال‌الدين بن السيّد حسين الموسوي الكلبايكاني من أعلام المراجع والمقلّدين، وكبار المدرّسين، عرف بتقواه وكرم أخلاقه، ولد سنة ١٢٩٥، وتوفّي سنة ١٣٧٧ [راجع نقباء البشر ١: ٣٠٩، الرقم ٦٣٩].«ع»

٢. هو السيّد أبوالقاسم بن السيّد عليّ‌أكبر بن المير هاشم الموسوي الخوئي، ولد في خوي من أعمال آذربايجان سنة ١٣١٧، وأصبح سيّد الطائفة، ومرجع الأمّة عرف بين الخواصّ من الفضلاء بسعة علمه، وعظم تحقيقه وتبحّره، فأصبح قطب رحى الحوزة، وعليه المعوّل والمدار فيها، إلى أن توفّي سنة ١٤١٢. [راجع نقباء البشر ١: ٧١، الرقم ١٦٤؛ مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٢٨؛ معارف الرجال ١: ٢٨٥ في التعليقة].«ع»

٣. راجع ترجمته في معجم رجال الفكر والأدب في النجف: ٤٣٢، الرقم ١٨٥٠؛ معارف الرجال ٢: ٢٦٥ في التعليقة.

٤. ولد سنة ١٣٠٥، وهو أحد كبار المراجع ورؤساء الحوزة، توفّي سنة ١٣٩٤.«ع»

٥. ولد سنة ١٣٠٩ وقد لازم درس الإمام الميرزا حسين النائيني، وسطع نجمه بين تلامذته ونبغ وتفوّق، وعرف بالتحقيق وعمق الفكر، ودقّة النظر وحسن البيان والتحرير، وصار مدرّساً مشهوراً على عهد أستاذه وعالماً مبرّزاً له في الأوساط العلميّة مكانه الرفيع، واحترامه اللائق، وبعد وفاة أستاذه اتّجهت إليه أنظار الطلّاب والمحصّلين، فكان مجلس درسه من أكبر مجالس الدرس في النجف وأميزها كمّيّةً وكيفيّةً. توفّي سنة ١٣٦٥. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٤، ص١٣٨٦.«ع»

٦. هو الشيخ حسين بن الشيخ عليّ بن حسين بن حمود الحلّي، ولد في حدود سنة ١٣٠٩، وكانت عمدة تخرّجه على الإمام الميرزا حسين النائيني، وقد نبغ نبوغاً باهراً، وبرز بين أقرانه، وعرف بالتحقيق والتبحّر والتقى وشرف النفس كما أنّه من الذين يخدمون العلم للعلم، لم يتطلّب الرئاسة، ولم يتهالك في سبيل الدنيا، وهو من أجل هذه محبوب من كلّ الطبقات، مقدّر بين الجميع، مجالسه مدرسة سيارة تخرّج عليه كثير من الأفاضل، توفّي سنة ١٣٩٤. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٢ ص ٦٠٣، الرقم ١٠٣٥ وغيره.«ع»

٧. هو الشيخ عبدالرسول بن الشيخ شريف بن الشيخ عبدالحسين بن صاحب الجواهر، ولد سنة ١٣٠١، وما إن شبّ حتّى بدت عليه سيماء الرشد وملامح الأبرار، وأهّله جدّه واجتهاده؛ لأن يعدّ في مصافّ العلماء المجتهدين، ←

إلى غير هؤلاء الأقطاب من طبقات الفضلاء الذين حفظوا النجف في هذه الأزمة المشتدّة على طلّاب العلم الديني، وقد عرفت لهم جميعاً جهداً في حفظ هذه الحوزة، لو لم يجهدوه لكانت الحياة العلميّة مدعاةً للرثاء؛ لأنّها تتعرّض لموجة من أقوى موجات التحوّل، ومن أعنف الجهاد وأشقّه أن تتعرّض الحياة لمثل هذه الموجة، ثمّ تحفظ توازنها من غير أن تتسلّح لمواجهتها بوسائلها الكافية، والسلاح الذي نعنيه هو هذا التطوّر المنظور الذي عرضنا له في أوّل هذا الفصل، وهو تطوّر لا يمسّ جوهر المدرسة فيما أنشئت من أجله، بل يساعد على اشتداده وتوهّجه بروح تقضي على القالة والشغب والإشاعات.

ومهما يكن من أمر فقد أحسّ بهذا نفر من الفضلاء، وكانت عندهم محاولة ظهرت في منتدى النشر، فأسّسوا مدرسةً ذات برامج مقرّرةً في دراسات فنيّة، لعلّها تكون نواة لما ندعو إليه، فتكون بعدئذ الجامعة الحافلة العاملة المؤمّلة.

وهي ـ على كلّ حال ـ أكرم مدينة عليّ؛ لأنّها المدينة التي نَموتُ فيها جسماً وفكراً، فتكوّنت فيها شخصيّتي وروحي منطبعتين بمائها وهوائها وثقافتها يوم كان يقبل عليها المقبل فيقبل على هدير كهدير البحر، يعلو فيها من كلّ جزءٍ من أقطارها المرتفعة بالبحث والمدارسة والمناظرة، نضّر اللّه ذلك المعهد المخضر.

ها هي النجف متّكئة على عاتق جبلها الحبيب، وها هي القبّة العالية تطلّ من الجوّ على الصحراء كما تطلّ المنارة الهادية، وتدعو إلى الخصب والريّ، وتدعو إلى الهدى والعلم، فتحوّل الصحراء إلى جنان تترقرق فيها الأضواء، وتتلألأ المياه، ويخضر اليبس من تلك الرمال الظامئة.

← وأهل الفتيا، وقدّمه ورعه وصلاحه ليكون إمام المحراب، تخرّج عليه كثير من أهل العلم المحصّلين، توفّي سنة ١٣٨٧. انتهى ملخّصاً عن ماضي النجف وحاضرها ج ٢ ص ١١٦، الرقم ١٤ وغيره. [راجع مستدركات أعيان الشيعة ٣: ١٣١].«ع»

ها هي النجف التي شببت في رياضها الغنّ تزحف بأهلها على الجبل، وينحدر أهلها إلى وادي السلام، ثمّ يوغل كثير من أهلها الأعلام في الصحراء في أرتال من السيّارات تحمل الكواكب والنجوم(١)، ثمّ تعود النجف رويداً رويداً، وأعود فيها كما كنت في غمرٍ من هذا الجحفل العلمي المظفّر، ثمّ نكون جميعاً في ضيافة الإمام السيّد أبو الحسن.

ثمّ انتقلنا إلى ضيافة آية الله الشيخ محمّدرضا آل ياسين السخيّة الحفيّة، فانعقدت داره العامرة على حفلاتها ثلاثة أيّام، تستقبل الوفود والزوّار، فيستقبلهم هو بأخلاقه النبويّة، وإلى جنبه أخوه علم الهدى يوطئ لنا ولزوّارنا من أكنافه أعطافاً ولا أعطاف الحرير، وأقمنا في رحابه أسبوعاً كانت آناؤه مزدانةً بالسمر والمناظرة والفائدة والامتاع.

وكان من أمتع تلك الحفلات الأدبيّة الحفلة التي أقامتها الرابطة العلميّة الأدبيّة في رحابها الفارهة ـ وذلك يوم الغدير ـ وقد حضرها النخب من حملة العلم والصفوة الممتازة من الفضلاء والأدباء، وأنشد فيها الخطيب الكبير الشيخ محمّد عليّ اليعقوبي، والأديب الفاضل الشريف العبقري السيّد محمود الحسني الحبوبي فريدتين من فرائدهما العبقريّات:

قال الشيخ اليعقوبي[١]:

أأهديك في عيد الغدير التهانيا ... وفيك نرى الأعياد أضحت زواهيا

(١) كما نشرته مجلّة الهاتف النجفيّة في ص٢، من عددها ٦٥ من سنتها الثانية. وفصّلته جريدة البلاد البغداديّة في ص٥، من عددها ٨٠٨ من سنتها الثامنة.

١. هو الشيخ محمّد عليّ بن يعقوب التبريزي النجفي، خطيب شهير، وأديب معروف، وشاعر رقيق، ولد سنة ١٣١٣، وهو إنسان مرح الروح، لطيف المعشر، رقيق الحديث، مليح النكتة، قصّاص بارع، محبوب السيرة، شارك في كثير من الحركات السياسيّة، توفّي سنة ١٣٨٥. انتهى ملخّصاً عن شعراء الغريّ ج٩ ص٥٠٥، وغيره [راجع نقباء البشر ٤: ١٥٦٠، الرقم ٢٠٧٧].«ع»

ومن وجهك العيد استعار سعوده　　فأشرق عن نور يضيء اللياليا
إذا ضلّ عن نهج الهداية معشر　　فما زلت مهديّاً إليها وهاديا
يحيّيك شعب قد نشأت بظلّه　　زماناً وما فارقت أهليه قاليا
ولكن ديناً قد نهضت بعبئه　　لنصرته جبت الفلا والمواميا
وجرّدت في القطر الشآمي دونه　　من العزم ما يفري الجزّار اليمانيا
لك اللّه كم أسعفت بالفضل راجياً　　نداك وكم أنجدت فيالخطب لاجيا
فلم نرَ في هول لعزمك ثانياً　　ولم نرَ في مجد لشخصك ثانيا
إذا ما دعا التوحيد يوماً أجبته　　لتدرأ عنه الشرك: لبّيك داعيا
فكم شبه فيالدين لفّقها العدى　　تجرّ علىالدين الحنيف الدواهيا
رمت يدك البيضا عصاً «موسويّةً»　　قد التقفت «موسى»[1] بها والأفاعيا
وألّفت فيما كنت آلّفت أمّةً　　بتفريقها نالت عداها الأمانيا
مناقبك الزهر استضاءت فأصبحت　　تفاخر في أوج السماء الدراريا
ويا طالما حنّ العراق تشوّقاً　　لطلعة وجه منك تجلو الدياجيا
وكان الحِمى يرجو لقاك على النوى　　فحقّق منه الله ما كان راجيا
«وقد يجمع اللّه الشتيتين بعدما　　يظنّان كلّ الظنّ أن لا تلاقيا»
من القوم فيهم شرّفالدين مذ غدوا　　أعزّ بني الدنيا نفوساً زواكيا
جمعتَ معانيَ الحمد جمعاً فلم أكن　　لِأُحصيَ بالألفاظ تلك المعانيا

---

(١) أراد بموسى: موسى جار الله ذلك الناصب الكاذب، صاحب الوشيعة في تزييف الشيعة.
وأراد بالعصى الموسويّة ردّنا على ما لفّقه ذلك المعتدي[1].

---

١. راجع الجزء الرابع من الموسوعة، أجوبة مسائل موسى جار الله.

وقال السيّد الحبوبي[1]:

السعْدُ أطلع من جبينك كوكباً ... لمّا طلعت على «الغريّ» فلا خبا
وغدا لسان الحال يهتف قائلاً ... أهلاً بمطلعك الكريم ومرحبا
وافيتَ والعيدَ السعيدَ فكنتما ... أدعى لأفراح النفوس وأجلبا
عيدُ كسا الأعياد فخراً أنّه ... منها وكان أجلّ منها منصبا
طافٍ بأنوار الإمامة طافحٌ ... يجلو سناه من الضلال الغيهبا
أضفى عليه اليمن جدّك فاعتلى ... مجد الزمان غداة صار له أبا
فيه الهنا والبشريات نزفّها ... لك موكباً منها يقفّي موكبا
ملأ النفوس مسرّة ومَلأتها ... بشراً ونشراً ـ مثل خلقك ـ طيّبا
وأبى الزمان بأن يجيء بمثله ... وبأن يجيء بمثل ذاتك قد أبى
من كان أوجب في الأنام ولاءه ... حتماً ولاءك فيهمُ قد أوجبا
كم صنت شرع «محمّد» عن أذؤب ... ثارت عليه فثرت ليثاً مغضبا
وكلأته عن أن تعيث بسرحه ... حتّى رددت ورُعت تلك الأذؤبا
فتقهقرت ورأتك أفتك سطوة ... وأحدَّ ناباً في اللّقاء ومخلبا
وبك استجارالدين حين حميته ... بشبا اليراع الحُرّ لا بشبا الظُبا
قلمٌ على القرطاس يوماً إن جرى ... عادت به أعمالُ أقوام هبا
فيه يُراع ذوو الشقاق كأنّما ... قلم القضاء لهم بشقّيه اختبا

---

١. هو السيّد محمود بن السيّد حسين الحبوبي الحسني، أديب كبير و شاعر معروف، ولد في النجف سنة ١٣٢٢، وقد عرفته أندية النجف أديباً سبّاقاً في مختلف الميادين، وامتاز على معظم أخدانه وزملائه بكونه سريع البديهة ينظم القصيدة بأقصر زمن، وهو رفيع الروح، كريم النفس، نبيل الشعور، يحبّب لنفسه القيام بتقديم اللطف لكلّ وافد عليه، توفّي سنة ١٣٨٩. انتهى عن شعراء الغريّ ج ١١ ص ٢٠٠ وغيره. [راجع الأعلام للزركلي ٧: ١٦٠]. «ع»

ويـــرونه فـــي طــرسه مــتحرّكــاً   صــــلّاً عـــلى كـــثبانه مـــتقلّبا
وإذا اســـتغاث الحـــقّ فـــيه أغــاثه   وأبــــى لغـــير الحـــقّ أن يـتعصّبا
أو بـات يـرشح بـالمداد شـفى الحشـا   كـــالغيث بـــلَّ أوام أكـباد الربـى
فـــليبق دون الحـــقّ خـــير مـناضل   عـــنه يـــردّ المـــارق المـتريّبا

❊ ❊ ❊

يـا ابـن النبيّ وتـلك أشرف نسـبة   مـــن للـــنجوم لمـــثلها أن تـنسبا
قـــد جـــلّلتك من النبـوّة هـيبةٌ   تُـغضي الأنـامُ لهـا العـيونَ تـهيّبا
أنا إن حبست عـن الإطـالة مـدحتي   وقصدتُ فـي مـا قـلتُ أن لا أطـنبا
فـلقد يـجلُّ عـن الثـنا من فـضله   غـمر الفـضاء بـنشره واسـتوعبا

وممّا تلي في دار الشيخ آل ياسين قصيدة الشريف العلّامة السيّد محمّد جمال الگلپايگاني:

لمـــثال الشـــمائل الفـــاطميّة   ولرمـــز الثـــقافة الديـــنيّة
ولعـــنوان أُمّـــة العـلم والفـضل   وفـــخر النـــبوغ والعـــبقريّة
بلسان التبجيل عن قطري المخلص   أهـــدي أزكـــى الثـنا والتـحيّة
طـائر القـدس مـذ هـبطت علينا   شـــرّفتنا أنـــفاسك القـــدسيّة
رفــرفت حـولك الجـماهير لمّـا   مـــلكتهم أخـــلاقك الهـــاشميّة
واسـتطارت منها القـلوب شـعاعاً   مـــذ تـجلّت أنـوارك النـبويّة
طـور سـيناء خـرّ منك جـلالاً   واحـــتراماً لنـــفسك المـوسويّة
عـجب النـاس مـذ تـجلّى عليهم   قـمر العـلم مـن سـما سـوريّة
غـــير بـدع فـليس عـامل إلّا   مـــخزن للـــنفائس العـــلميّة
ذاك تـــاريخه المـــخلّد يـبدو   مشـــرقاً فـــي صـحائف نـوريّة

❊ ❊ ❊

كم فصول مهمة قد قرأنا   لك تحكي السلاسل الذهبيّة
علّمتنا سحر الكلام وحلّت   مشكلات العقول خفيّة
ذو معانٍ من جوهر الفكر صيغت   جلّلتها ألفاظك الدرّيّة
فعلت في النفوس ما يفعل الخمر   وفعل الجمال فعل الحميّة
أخرست منطق المخاصم لمّا   أثبتت عجزه بكلّ قضيّة
ولكم من مراجعات رأتها   لك فخراً أعلامنا النجفيّة
فغدت ألسناً من الشكر تروي   عنك فضلاً للأُمّة الشيعيّة
حيث فيها أثبتّ حقّاً جليّاً   ضيّعته عصابة أُمويّة
يشكر الله منك سعياً عظيماً   في سبيل الشريعة الأحمديّة



ظنّ مذ جاء بالمسائل جار الله   مستفتياً بها «الجمعيّة»[1]
إنّها طلسم سيبقى نفيّاً   سرّه عن خواطر البشريّة
خدع الغِرد نفسه بأُمور   زوّقتها مظاهر زبرجيّة
ولكم هيّم القلوب قبيح   زوّقته المحاسن المطليّة
فتلقّيتها بصدر رحيب   وبعلمٍ وحكمةٍ ورويّة
وأمطت الحجاب عنها فلاحت   حين لاحت إلى الورى سخريّة
دمت ظلّاً للمسلمين ظليلاً   وملاذاً للشيعة المرضيّة

وللأديب الفاضل الشريف السيّد محمّد[2] نجل العلّامة الجليل السيّد رضا الهندي:

بك أم بالعلم هذا الاحتفاءُ   وعلى من قام يثني الخطباءُ

---

١. أراد بالجمعيّة جمعيّة الرابطة العلميّة النجفيّة، إذ استفتاها بمسائله فأوكلت إلينا الجواب عنها كما أشرناه في مقدّمة الأجوبة.

٢. فاضل أديب وشاعر رقيق ولد سنة ١٣٣٦. انتهى ملخّصاً عن شعراء الغريّ ج ١١ ص ١٣٣. «ع»

لك يا عمّ على العلم يدٌ　　بـخع العـلم لها والعلماءُ
شكر الدين مساعيك التي　　أبطلت ما يدّعيه الأشقياءُ
خـدمات جـمّة مشكـورة　　وأيادٍ[١] للـهدى فيها ازدهاءُ
يا عـميد الديـن لولاك لَمَا　　قام للـدين دعـام وبـناءُ
أنت في أُفق المعالي كوكب　　شـعّ منه للمضلّين ضياءُ
عـمٌّ لولاك ولولا قـلم　　فيه للإسلام والدين ارتقاءُ
لمـحا الأعـداء آثـاراً لنا　　شغلوا في درس معناها وشاؤا
لم نطق شكرك حقّاً إنّما　　لك عند اللّه شكر وجزاءُ
أنجح الرحمن مسعاك ولا　　زلت حرزاً لك يرنو الأتقياءُ
ولتعش يا شرف الديـن ففيـ　　ـك عن الديـن يردّ الافتراءُ
ولتدم بدراً على أُفق الهدى　　يا أميناً حيث عزّ الأُمناءُ
أنـا لا أبـغي ثناءً لك يـا　　سيّد الأبرار إذ أنت الثناءُ
ساقني عفوك للنظم وهـل　　لك في العفو المرجّى نظراءُ
خذ قصيدي عمّ في عين «الرضا»　　فلك الرفعة، فاسلم، والبقاءُ
ولتدم للـدين عضواً عـاملاً　　فـلقد أثّـر فـيه الأدعياءُ
قد تَردُّوا في رداء العلم كـي　　يسحقوا الدين وهم منه براءُ
يشتكي الدين جموداً ظـاهراً　　لم يجد عوناً فأين الصلحاءُ؟
أيّـها السـيّد والحبر الذي　　هـو بـدر وله العلم سماءُ
يصرخ العلم بكم إذ لا يـرى　　غيركم مـن فـيه للـداء دواءُ
وإذا أهـملتمُ إصـلاحه　　فـعليه وعـلى الديـن عـفاءُ

---

١. في «أ» و«خ»: «وأيادي».

في سبيل الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام

نحو «خانقين»[١]

عشيّة السبت ٢١ المحرّم سنة ١٣٥٦[(١)] حملتنا نحو المشهد الرضوي سيّارة خاصّة، ومعي ولداي أبو عليّ الرضا، وأبو الشريف النور، وأبو هاشم ابن عمّي.

فانطلقت بنا نحو خانقين تشقّ سهولاً خيّرةً كريمة الطبيعة، ولكن أمراً ملحوظاً فيها كان يحدُّ من خيرها وكرمها، وهو الإهمال البيّن في بقاء الطرق على سجيّتها الصحراويّة، وترك تلك المروج على سذاجتها الفطريّة دون أن تمسّها يد الحياة الحديثة بعناية، وإنّه لممّا يروع حقّاً في تلك الفجاج الواسعة ما يجده الإنسان بين أحضانها من الانطلاق، وما يراه فيها من الرحابة والصفاء، ولولا ما تثيره السيّارة ذاهبةً وآيبةً من العثير الأهوج الكثيف، وما أدري كم امتدّ الطريق بنا إلى خانقين، فقد كانت نشوة الحديث تارةً، واستجلاء الطبيعة تارةً أُخرى مغنماً يسمو عن تحديد زمنه.

وهذه حلوان «قزلرباط» تسنح لنا في عرض الطريق سفوح[٢] الجنان المجهولة في الصحراوات المسحورة، فهذه واحة ترتفع هاماتها بالأشجار الفارعة، والنخيل السامق، تخبئ أفنانها قريةً من القرى العراقيّة المتواضعة، ولكنّها ما تلبث أن تغيب وراءنا في خضم الصحراء وتنحدر إلى منخفض.

---

(١) الموافق ٣ نيسان سنة ١٩٣٧.

---

١. خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همدان من بغداد، بينها وبين قصر شيرين ستّة فراسخ لمن يريد الجبال. معجم البلدان ٢: ٣٤٠.

٢. في «خ»: «سنوح».

تجاوزناه على عجل إلى «خانقين» وكانت خانقين في منهجنا محطّة للمبيت، وهي مدينة تقع على الحدود العراقيّة الإيرانيّة، ولها أهميّة تجاريّة، وفيها مستودع النفط تتوزّع منه أنابيبه، وبهذه امتازت بحيويّة خاصّة، ولن ننسى لخانقين تلك السماء السمحة التي أمدّتنا في الصباح بنشوة روحيّة ونشاط نفسي، يعرفهما المصبح المبكّر في خانقين.

نحو «كرمنشاه»

غادرنا خانقين صباح الأحد منطلقين نحو كرمنشاه، وحين أتينا قصر شيرين[1] أشعرنا بالانتقال من حكم إلى حكم، وخضعت حقائبنا للتفتيش ـ وكان سهلاً يسيراً ـ فاندفعنا ـ بعد أن أمضي مرورنا ـ نحو كرند نمرّ بين هضاب بعضها فوق بعض، نهبط مرّةً ونعلو أُخرى في طريق جبليّة أعادت إلينا ذكريات من عاملة، وكان لهذا الشبه أثر في تكشّف جمال هذه الطبيعة لمشاعرنا، وللجبال خصائص من الجمال لا يحسّها غير الناشئ بين القمم والقنن والسفوح والأودية.

فإذا كرند تختبئ تحت جناح هضبة خضراء تحنو عليها بظلالها وأندائها، وتحبوها بأعطارها وأشذائها، وتحتضنها احتضان الأمّ الرؤوم لطفل يحسّ دفء الأُمومة، «وكرند» قرية رخيّة الحياة سهلة العيش، أرحنا فيها ريثما أدّينا فريضتي الظهر والعصر، وتناولنا الغذاء هنيئاً مريئاً في نزل أنيق رحب.

ثمّ أزمعنا نطوي الطريق سراعاً إلى كرمنشاه، فأتيناها مدينةً جميلة المباني، عريضة الشوارع، طلقة المحيا.

ساءنا مظاهر السفور فيها بغير احتشام، وكان ذلك أوّل ما أزعجنا من بدع رضاشاه التي تقمها عليه أُولو العلم والحفائظ والدين، فكنّا بسبب ذلك في شرّ ليلة.

---

١. قصر شيرين: موضع قريب من قرميسين بين همذان وحلوان في طريق بغداد إلى همدان. معجم البلدان ٤: ٣٥٨.

نحو «سلطان آباد» وهي «أراك»

ثمّ تجاوزناها مصبحين نحو سلطان آباد، فقطعنا مفاوز وقفاراً تنعى على بهلوي إيران عنايته المنصرفة إلى السفور، وأمثاله من الشرور أو القشور، وترك تلك المروج موماة مجدبة لو أطلق فيها أيدي العمّال لأغنت جيوش الفقراء والجوعى المكدّسين في إيران عن الإلحاف في المسألة والايغال في الكدية، ولعاد عليه وعليهم بإحياء هذه الفلوات الغنيّة بالمعادن والثروات كلّ خير تعمل له الدولة الحكيمة خدمةً لأنفسها ولشعبها.

هذا ما خطر لنا ونحن نقطع الطريق إلى سلطان آباد، وقد بلغناها مساءً، فإذا هي مدينة شرقيّة جميلة لا تخلو شوارعها من روعة الطرز الحديث، مشجّرة الضفتين، رويّة بماء غزير يصبّ فيها من أنهارها، تمتاز هذه المدينة بقوّة العقيدة، ورسوخ مبادئ الحقّ، وصلابة العود في الدين الإسلامي والمذهب الإمامي، ولها في ذلك مواقف يتحدّث بها الرواة، وقد أبلت في الإنكار على خلاعة رضاشاه وبدعه.

نعرف من قدّيسيها شيخنا الشيخ فتح عليّ ـ أبا ذر الثاني ـ أعلى الله مقامه بتنا فيها ليلةً متنكّرين ؛ إيثاراً للعزلة في تلك الظروف الحرجة.

نحو «قمّ»[1]

واستأنفنا صبح الثلاثاء سيرنا نحو قمّ للتشرّف بزيارة ما فيها من الضرائح المقدّسة، وأشهرها ضريح السيّدة فاطمة بضعة الإمام الكاظم عليه السلام(١)، وكنت دائم الشوق

(١) توفّيت الصدّيقة فاطمة هذه سنة إحدى ومائتين للهجرة في قمّ، في طريقها إلى خراسان وافدةً على أخيها الرضا، وذلك قبل وفاته بسنتين تقريباً، ومات عدّة من أهل البيت ←

١. بالضمّ وتشديد الميم، وهي كلمة فارسيّة ـ: مدينة تذكر مع قاشان، وهي مدينة مستحدثة إسلامية. معجم البلدان ٤: ٣٩٧.

والحنين إلى أخي العلّامة السيّد صدرالدين الصدر ـ وكان في قمّ ـ فأردت علاج لواعجي بنظرة إلى وجهه المبارك، ووجوه شبوله الميامين الثلاثة وكان بي إليهم طرب نازع.

ولقمّ ـ مضافاً إلى هذا كلّه ـ في نفسي صورة قديمة كريمة يعود عهدها إلى أيّام الصادقﷺ، وهي صورة يجتمع لها الإيمان والوفاء والإخلاص للّه في الدين اجتماعاً لم يتوفّر لقوم قطّ إلّا صعد بهم في مرتقى رفيع كريم، ولم ينضمّ عليه جناحا مدينة قطّ إلّا كانت فاضلةً مقدّسةً.

وحسبها المأثور عن الصادقﷺ: «تربة قمّ مقدّسة، وأهلها منّا ونحن منهم، قمّ بلدنا وبلد شيعتنا، مطهّرة مقدّسة، قبلت ولايتنا أهل البيت، اللهمّ اعصمهم من كلّ فتنة، ونجّهم من كلّ هلكة»[1]. إلى غير ذلك من النصوص الصريحة بفضلها وفضل أهلها[2].

هذه صورة تأريخيّة تضاف إليها في ذهني صورة أخرى حديثة صحيحة النسب إلى ذلك التأريخ الضخم، إذ هي مدينة العلم الثانية[3] في وجودنا الإسلامي الحاضر.

← بعدها في قمّ، كموسى المبرقع ابن الإمام محمّد الجواد وقبره فيها ظاهر يزار، وكذا أخواته زينب وأمّ محمّد وميمونة بنات الجواد، وهنّ تحت قبّة عمّتهنّ فاطمة بنت الإمام الكاظم. وفي قمّ قبور لكثير من أولاد محمّد بن جعفر الصادق وأحفاد أخيه عليّ بن جعفر، وقبور كثيرة من السادة الرضويّة والسادة الحسينيّة، وقبور كثير من شيوخ الإسلام رضوان الله عليهم أجمعين[4].

ولفاطمة مشهد في قمّ عظيم الشعائر، عالي المنائر، ذو قبّة ذهبيّة فخمة، وأروقة وأفنية واسعة.

---

١. بحار الأنوار ٥٧: ٢١٨ ـ ٢١٩، ح ٤٩.
٢. أيضاً راجع بحار الأنوار ٥٧: ٢١١ ـ ٢١٨، ح ١٨ ـ ٤٨.
٣. كان أوّلها النجف الأشرف على مشرّفها السلام.
٤. راجع بحار الأنوار ٣: ٢١٩ ـ ٢٢٠.

وهي بهذا تسلسل خطاها من ذلك العهد في سداد وحكمة برعاية إمام كالشيخ عبدالكريم اليزدي المقدّس حامي تراثها، ومنشئها غضّة زاهية الأعطاف بأعلام هدىً كالسيّد صدرالدين الصدر وأنداده في العلم والإخلاص واليقظة والزهد.

بهذه الذهنيّة وفدت على قمّ، وهاتان الصورتان تتغازلان في مخيّلتي، فتبسم إحداهما للأُخرى عن مفلّج كوثري الريق، وتكشف إحداهما للأُخرى عن صدر مشرق النحر ـ كأنْ ثدياه حقّان ـ.

وكانت تتخاطف بين هاتين الصورتين كرائم الصور، يعرضها ماضي شبابنا الممتلئ بذكر أخي وابن خالتي السيّد صدرالدين، هذا الذي سنفد عليه خلال ساعات قصيرات بعد سنوات طوال أوقدت في النفس للشوق ناراً متسعّرة اللهيب.

وها نحن نشرف على مدينة ضاربة في هيكلها العمراني القديم لم يمسسها الفنّ الحديث إلّا بمعول الشاه البهلوي الذي كان يخطّ آنئذٍ الخطط الهندسيّة لشوارعها الجديدة.

ولكن روح المدينة متأثّرة بروحانيّة الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام يمثّلها صدوقهم الثاني الشيخ عبدالكريم اليزدي بسمته وهديه، وبمدرسته الجامعة التي تعوّض بمعناها السمين عمّا هزل من هيكل المدينة العمراني.

تضمّ مدرسته نحو ألف من طلّاب العلوم كانوا بأجمعهم عيالاً عليه، ينفق عليهم من صندوق المال المجتمع من أنحاء المملكة المودوع لهذه الغاية لدى جمعيّة من عدول التجّار، يقتفون في إنفاقه خطط الشيخ الخاضعة لسجلّات اقتصاديّة دقيقة، جرت على وفق الأُصول الماليّة المعروفة في المؤسّسات المنظّمة.

ولهذا الشيخ في هديه سيرة مشتقّة من سيرة أميرالمؤمنين ـ ولا سيّما في الأموال ـ استمرّ عليها منذ ولي الزعامة حتّى لحق بربّه مبروراً مشكوراً، وذلك سنة ١٣٥٥.

كان يرشّح السيّد صدرالدين الصدر للقيام بالأمر من بعده، ولهذه الغاية استدعاه من خراسان وعزم عليه أن يتوطّن قمّاً واجتمع الناس بعد الشيخ حوله متّفقين على اختياره، لكنّه أبى عليهم، وبالرغم عن إبائه تقدّمت به مكانته في النفوس حتّى أوقفه

الناس إزاء أمر واقع فلم يجد بدّاً من إجابتهم إلى بعض ما أرادوه، فتولّاها حينئذٍ زعامة تدريس وقيام بغير القضاء والإفتاء من الأمور العامّة، على أنّه كان على بيّنة من كفايته للقيام بهما، لكنّ الورع والاحتياط يمنعانه ما دام الأمر غير محصور به.

نزلنا ضيوفاً عليه فإذا هو كما عهدناه نجعة المكارم، يرتاح للقرى، ويخفّ للندى، فيّاحاً نفّاحاً، ملكته بنا هزّة الأريحيّة، فمدّت باعه في حسن الضيافة إلى أبعد الغايات، لكن الشاه البهلوي بتنمّره وتنكّره وشدّة وطأته على أهل العلم ـ كما ستسمعه[1] ـ أحال السيّد إلى رجل هيّابة ترعابة منقبض على نفسه موحش البسمات، كما أحال غيره من رجال العلم والدين في إيران، ولكنّه على الظاهر كان أشدّ خوفاً من غيره، ولا غرو فإنّ جوّ إيران يومئذٍ كان جوّاً عبوساً قمطريراً، وكان جوّ قمّ يمتاز في ذلك على غيره؛ لامتيازها بكثرة العلماء وأهل الدين؛ وهذا ما دعانا إلى الإسراع في المسير وإن عزّ ذلك عليهم وعلينا.

نحو «الشاه عبدالعظيم»

غادرنا قمّ بعد خمسة أيّام من دخولنا إليها قاصدين مشهد أبي القاسم عبدالعظيم(١) ابن عبدالله بن عليّ بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومشهده في ضاحية من ضواحي طهران، جميلة غنّاء، تدعى «الشاه عبدالعظيم»؛ لدفنه فيها، وهو من علماء أهل البيت الذين تصرّفت بمصايرهم الأقدار القاسية في عهد الإرهاب العبّاسي.

---

(١) كان رضي الله عنه ذا ورع ودين عابداً زاهداً معروفاً بالأمانة وصدق اللهجة، ممتازاً في رجال أهل البيت بعلمه وعمله، كثير الحديث والرواية، يروي عن الإمام أبي جعفر محمّد بن عليّ بن موسى، وعن ابنه الإمام أبي الحسن الهادي وقد عرض عليه دينه، ولكلّ من الإمامين ←

---

[1] ستسمعه في ص ٧٠١ وما بعدها.

وله في ضاحيته هذه مقام فخم، ترتفع فوق ضريحه قبّة ذهبيّة وهّاجة فوق قفص فضّي بين منارتين عاليتين، ويجاور هذا المشهد ضريحان قدسيّان: أحدهما: للحمزة بن الإمام الكاظم كان عبدالعظيم يختلف إليه زائراً، وثانيهما: للطاهر بن الإمام زين العابدين. والحمد للّه ما وفّقنا للتشرّف بهذه المقامات الكريمة والمشاهد العظيمة.

← رسائل إليه، يروي عن جماعة من أصحاب الإمامين موسى بن جعفر وعليّ بن موسى، له كتاب خطب أمير المؤمنين، وكتاب أسماه كتاب يوم وليلة، وكتب تدعى روايات عبدالعظيم، وربما روى عن أبيه عبداللّه، وقد روى عنه من رجالات الشيعة: أحمد بن عبداللّه البرقي، وأبوتراب الروياني وغيرهما.

أخافه السلطان العبّاسي ـ وهو المتوكّل على الظاهر ـ فشرّده يتلدّد في البلاد متنكّراً حتّى أتى الريّ فسكن بسارباتان ـ وهي البلد التي فيها ضريحه الشريف ـ أنزله رجل من الشيعة في داره من سكّة الموالي، فكان يعبد اللّه تعالى في سرداب من تلك الدار ـ يصوم النهار ويقوم الليل ـ ويخرج مستتراً فيزور القبر الذي هو الآن يقابل قبره، ويقول: هو قبر رجل من ولد موسى بن جعفر، وله كرامات باهرة يضيق المقام عن ذكرها، أفرد أبو جعفر بن بابويه لأخباره كتاباً أسماه أخبار عبدالعظيم، وأفرد الصاحب بن عبّاد رسالةً لترجمته أوردها شيخنا صاحب المستدرك في خاتمة مستدركاته، وحسبك في علوّ قدره علماً وعملاً ما قد روي عن أبي تراب الروياني قال: سمعت أبا حمّاد الرازي يقول: دخلت على عليّ بن محمّد ـ الهادي ـ بسرّ من رأى، فسألته عن أشياء من الحلال والحرام فأجابني، ولمّا ودّعته قال لي: يا حمّاد، إذا أشكل عليك شيء من أمر دينك بناحيتك فسل عنه عبدالعظيم واقرئه عنّي السلام[1].

ودخل بعض أهل الريّ على أبي الحسن الهادي فقال له: أين كنت؟ فقال: زرت الحسين صلوات اللّه عليه. فقال: أمّا إنّك لو زرت قبر عبدالعظيم عندكم لكنت كمن زار الحسين[2].

---

١. راجع رجال النجاشي: ٢٤٧، الرقم ٦٥٣.

٢. بحار الأنوار ٩٩: ٢٦٨، ح ١ ـ ٢.

وقد نزلنا من هذه الضاحية في بستان أغن ـ يدعى باغ سراج الملك ـ فبتنا فيه ليلتين مستجمّين نختلف إلى زيارة تلك المراقد والصلاة فيها ليلاً ونهاراً.

في طريق «خراسان»[1]

وفي ضحى يوم الإثنين مستهلّ صفر ودّعنا عبدالعظيم متّجهين إلى خراسان فمررنا بالعاصمة الإيرانيّة عابري سبيل لم نعرّج فيها ولم نقف أثناءها لحظةً، وراحت سيّارتنا تمعن في مقاطعة طهران، وتعرض علينا من مفاتنها ما أيقظ في أذهاننا التأريخ النائم، وكشف لنا عن مواطن الإغراء في هذا الملك الذي بعث المطامع وأزلّ الأقدام أحياناً، وعن مواطن الجمال التي أخرجت كنوز العقل تستجيب لها كنوز المال أحياناً أُخرى، فاستدرجت النفوس إلى تطاحن ماديّ أرانا كثيراً من ألوان المجازر الإنسانيّة في مدى الحكم الإسلامي تارةً، وأقامت دول العلم والأدب والعدل تارةً أُخرى.

أمِنْ أجل هذه الحقول نزا الشيطان على ابن سعد، وفتنت العقول يومئذ على حواشي مأساة الطفّ؟

أفي هذه الحقول أنشأ بنو بويه ملكهم الجبّار يرفّ بوزراء كالصاحب بن عبّاد وابن العميد؟

نعم إنّ هاهنا للفتنة الكبرى التي ستظلّ لغزاً يمتحن البشر بإنسانيّتهم، فتنة الملك، وفتنة المال، وليس لفتنة الملك والمال من نهاية ما دام الناس يعيشون من الفلسفة الاقتصاديّة في دائرة متّصلة الأوّل بالآخر، وما دامت الفلسفات الإنسانيّة المثاليّة تبني سلالمها الارتقائيّة في الأذهان، دون أن يستطيع العالم الخارجي العامل أن يتأثّر بها أو يرقاها إلّا في لحظات قصيرات جدّاً في التأريخ؛ لأنّه متأثّر بهذه الفتنة تأثّراً يضعفه عن مقاومة غرائزه المبهورة بهذا الوهج الساحر الأخّاذ.

---

١. خُراسان: بلاد واسعة... وتشتمل على أُمّهات من البلاد، منها: نيسابور وهراة ومَرو... وبلخ وطالقان ونَسا وأبيورد وسرخس... معجم البلدان ٢: ٣٥٠.

وما نحن وهذه المفاتن فحسبنا منها الآن هذه المتعة البريئة التي ترينا الله في هذا الكون الجميل، وفي هذه الطبيعة الشاعرة، وفي هذا الوجود الرائع.

وها نحن نهبط منعرجات «هزار درّه»[1] هذا الجبل العظيم، منحدرين في أكواعه، ولا نكاد ننتهي من هذا النزول الرهيب حتّى تنطلق في سهول فيحاء يمتدّ فيها البصر في غير حدّ ولا حاجز، وإن كان لابدّ من شيء نأخذه على هذه السهول الطيّبة، فتلك الجراحات الصارخة في بور هذه الأرض ومجاريها، وهي جراحات من صنع الإقطاع، وعمل الاستبداد النفعي الواضحين في كثير من مظاهر الحياة الإيرانيّة.

وإنّنا لنعيد هنا ما قلناه في سهول «سلطان آباد» فللفقر هنا بين طهران وخراسان رعيّة نامية العدد نموّاً مخيفاً قاسياً.

ومهما يكن فقد مضينا قدماً مسيرة ليلتين وثلاثة أيّام بين شكول وألوان متشابهة الجبال والسهول والخواطر، مررنا خلالها بجبال دماوند وسمنان ودامغان، واجتزنا بطبيعة الحال شاهرود، وهي أولى بلاد مقاطعة خراسان، ونحن في شاهرود ـ إذاً ـ ندخل في حمى الإمام الرضا عليه السلام؛ إذ نحن منه على مسافة مائة ميل فقط.

وبينما كان هذا الشعور يحرّك فينا شتّى نوازع الشوق والحنين، كانت الحياة تدبّ جديدة ناضرة نشيطة في هذه الأرجاء، فالأحياء في هذه السهول تدلّ عليهم مظاهر الزرع والإعمار، ومن أروع ما سنح لنا في هذه الرحلة أسراب الظباء المحتشدة في هذه المواضع، وأروع ما في ذلك أنّنا أحسسنا أنّها أليفة ألفة الحمام في الحرم، فلا تجفل ولا تخشى كأنّها في مأمن.

وبالرغم من تشوّقنا إلى ما كان يمرّ بنا أو نمرّ به من تلك المجالي الحسان، فإنّ قربنا من المشهد الأقدس كان يستأثر بأحاديث النفس ومناجاة الروح، ولاسيّما بعد هذا السفر الطويل المرهق.

---

(١) «هزار» باللغة الفارسيّة معناها ألف. و«درّه» معناها كوع.

في «خراسان»

الآن في نحو الساعة الثالثة والنصف عربيّةً من ليلة الأربعاء ٣ صفر ندخل طوس عاصمة خراسان، مملكة الإمام الثامن الضامن عليه سلام الله، ونذهب رأساً إلى مشهده الكريم نتمسّح بأعتابه في خشوع وحنين وتبتّل.

وما شاع في أوساط المدينة العلميّة نبأ ورودنا حتّى أُعدّت لنزولنا دار الإمام السيّد حسين القمّي، كبير علماء إيران يومئذ ـ وكان غائباً عن خراسان آنذاك ـ واحتفل بنا أهل العلم والوجوه من أعيان المدينة احتفالاً بالغاً بالرغم من رهبة السلطان المشتدّ، وعنفه في الأخذ بهذه الاجتماعات والزيارات أخذاً لا هوادة فيه.

وقد أُقيمت لنا مآدب عدّة، وأنسنا بكثير من أعلام المدينة ولاسيّما أفضلهم الشيخ الحاجّ الميرزا أحمد[1]، العالم المحقّق المدقّق المفوّه الذي يجمع إلى فضيلة المدرسة فضيلة المنبر، ويتمتّع في المدينة والقطر بجاه عريض.

وكان الناس ما يزالون يهمسون باسم أخيه العلّامة شهيد هذا الطاغية؛ إذ عارضه في بدعه ومنكراته[2].

أقمنا في خراسان أيّاماً كنّا جديرين أن نضاعفها زمناً وإفادةً من الاطّلاع على ما في المكتبات والآثار، ولكن شبح الشاه المسيطر الذي سنتحدّث عنه قريباً ردّنا عن ذلك دون أن نروي ظمأنا ونبرد غليلنا.

(١) ابن أستاذنا الإمام الخراساني صاحب الكفاية [توفّي سنة ١٣٩١].

(٢) هذا هو الفقيه الأصولي المدقّق المحقّق الميرزا محمّد خلف أبيه الإمام الخراساني في علمه وجاهه، أخذته حفيظة الدين والمروءة بهتك البهلوي نساء إيران وإخضاعهنّ للسفور، فعارضه بشدّة، فأخذه الظالم أخذاً وبيلاً، وأعلّه وأسقمه بنكاله حتّى لحق بربّه شهيداً سعيداً سنة ١٣٥٧.

العودة

فعدنا وفي أنفسنا نيّة الرجوع إلى هذه الربوع في فرصة أُخرى تتّسع للاستقصاء. وأنّه لممل أن نكرّر ما لاحظناه في الذهاب؛ فإنّنا أُبنا من الطريق التي جئنا منها. فلنعد بطفرة واحدة إلى باغ سراج الملك في ضاحية الشاه عبدالعظيم.

في طهران

وفي هذه الضاحية شيء جديد في عودتنا: ذلك أنّ علماء طهران أحسّوا بمرورنا في الذهاب، فحرصوا على أن لا نفلت من أيديهم في الإياب، وبحكم هذه النيّة فقد علموا بورودنا فور وصولنا إلى ضاحيتها الغنّاء، ولم يمض على ذلك غير وقت قصير حتّى زارنا ثلّة من أعيان العاصمة الإيرانيّة، وعلمائها الأعلام وفي طليعتهم العلّامة الشيخ شريعةمدار[1]، وأخوه سريّ طهران الشيخ بحرالعلوم، وحملانا إلى دارهما الكريمة، فأحاطانا بالدعة والنعيم من خلقهما النبوي ونفسيهما الكريمة، وجلسنا معهما نستقبل الزائرين من مختلف الطبقات في شيء من التحلّل من ذلك الكابوس المخيف الذي كان يرهق قمّاً وخراسان من أمرهما عسراً.

فأمضينا في طهران أيّاماً حافلةً بالطرف والأحاديث والمحاضرات، وأُقيمت لنا مآدب عدّة حضرها جمهور من أهل العلم والوجاهة في العاصمة الإيرانيّة.

ومع ذلك فقد كانت الحرّيّة محدودة بهذه المظاهر التافهة. أمّا ما وراء ذلك فإنّه لمحظور تجف منه طهران كما يجف منه غيرها؛ لذلك عدنا من طهران رأساً إلىٰ بغداد، فغادرنا طهران بوداع مذكور لأُسرة الشيخ شريعة وأعلام طهران.

---

١. اسمه الميرزا أبوالحسن، واسم أخيه الميرزا عليّ، وهما ولدا الميرزا مهديّ بن المولى رفيع الرشتي، كانا من أعيان علماء طهران، ومن ذوي الجاه العريض والثروة الطائلة، وعلى جانب كبير من الورع والتقوى ومكارم الأخلاق في منتهى اللطف والوداعة وحسن المعاشرة، ولهما احترام زائد وكلمة مسموعة لدى الدولة، توفّي شريعتمدار سنة ١٣٦٨، وتوفّي بحر العلوم سنة ١٣٦٧. «ع»

السبب في إسراعنا

كانت مدّة غيابنا عن بغداد في هذا الوجه لا تتجاوز خمسة وعشرين يوماً، على أنّا كنّا نرغب في أن نقف على ما في تلك الربوع من مظاهر الحضارة قديمها وحديثها، وأن نتشوّف ألوان حياة طالما عُني التأريخ بأخبارها الخيّرة، وقد رأينا آثارها في العلم والدين نيّرةً وهّاجةً ترفع أهلها إلى منازل الصدق والإيمان.

ولكن منعنا عن ذلك أنّ إيران في هذه الفترة كانت تنوء تحت كابوس رضاشاه بشرٍّ عظيم[1]، وترزح منه تحت حذر باهظ يجهدها بخوف يتّقي فيه كلّ امرئ نفسه، وكنّا نسمع من المتحدّثين عن عهود الظلم الفاحش أنّ «للحيطان» آذاناً، مبالغةً في الخوف

---

١. اختلفت الأقوال حول أصل رضاشاه فبعضهم قال: إنّه ورث الجنديّة بالأصالة عن آبائه وأجداده، وبعضهم قال: إنّه من أصل وضيع وكان في أوّل أمره مستخدماً في المطاعم والمقاهي، وكانت ولادته في سوادكوه من بلاد مازندران سنة ١٢٩٥، وقد انخرط في سلك الجنديّة وأبدى نشاطاً في وظيفته، رقي بسببه إلى رتبة عريف، ثمّ رئيساً للعرفاء وبرزت مواهبه، فبدأ يرتقي سلّم المناصب في الجيش حتّى صار رئيساً لإحدى الثكنات العسكريّة في طهران، فآمراً لمعسكر همدان، وكان لبريطانيا مصالح حيويّة في إيران بعد الحرب الأُولى، وهي في خطر من الزحف الشيوعي، وتفادياً لذلك قرّر الإنكليز تغيير الملك أحمدشاه القاجاري، وإناطة الأُمور بيد قويّة تقف سدّاً دون هذه الأخطار، فوقع اختيارهم على اثنين من الساسة الإيرانيّين، وهما نصرة الدولة فيروز، وسردار أسعد بختيار، فعرضوا على كلّ منهما أن يعتلي العرش وبشروط مسبقة فرفض كلّ منهما ذلك، وكانت هذه المفاوضات تجري في همدان، فعرف رضاشاه بذلك فأسرع إليهم وعرض عليهم نفسه، وضمن لهم تنفيذ شروطهم بشرط أن يعتلي العرش، فنفذوا خطّتهم معه على مراحل فنقلوه أوّلاً إلى طهران آمراً لمعسكرها، ثمّ تقلّد وزارة الحربيّة، وأصبح الرئيس الأعلى للقوات المسلحة فرئيساً للوزراء، كلّ هذا في أقلّ من سنتين فتسلّم السلطة بيد من حديد وغادر أحمد شاه بلاده إلى أوربا، فعزله بعد ذلك المجلس التشريعي، وشكّل رضاشاه مجلساً تأسيسيّاً، فنصبه ملكاً وذلك سنة ١٣٤٥، وفي أثناء الحرب الثانية طلب الحلفاء منه أن يوافق على استخدامهم السكّة الحديديّة حتّى يستطيعوا إيصال الإمدادات إلى حليفهم الاتّحاد السوفياتي، وأبدوا استعدادهم لدفع التعويضات عن الأضرار التي ستلحق بإيران، فرفض ذلك وجاء ردّ الحلفاء بعد ثلاثة أيّام، فقد دخلت جيوشهم إلى إيران، فطلب الشاه مقابلة السفير البريطاني على عجل، فقال له: أوقفوا الزحف إنّ طلباتكم كلّها مقضيّة، وخرج السفير كي يبلغ حكومته ذلك إلّا أنّه أعلم بعد سويعات أن لا مفرّ من العودة إلى البدء، فوقع وثيقة التنازل، ثمّ نفي إلى جزيرة موريس في أفريقيا الجنوبيّة، وذلك سنة ١٣٦٠، وتوفّي هناك سنة ١٣٦٣ لقاه الله عمله. انتهى عن إيران في ربع قرن وغير ذلك [راجع تاريخ رجال ايران ٢: ٢ـ ٩]. «ع»

من جواسيس الإرهاب، ولكنّا رأينا هذه الآذان حقّاً لا ريب فيه في إيران، ووجدنا الممتحنين بحكم هذا ـ الدكتاتور ـ الجبّار يقيمون على أنفسهم من هذا الحذر البالغ رقباء يحصون عليهم الأنفاس، فلا يتردّد منها في رئاتهم إلّا بمقدار.

وكان الجوّ الإيراني في هذا العهد مصاباً بهستيريا عجيبةٍ، فهي في الأهلين خوف يخرس الألسنة، ويحجّر على الأفكار، وهي في الملك ـ الدكتاتور ـ حمّى مسلّحة عنيفة صارمة توحي إليه أوهاماً ـ في الإصلاح ـ فيمضي لأمرها في غير تردّد ولا استشارة، ويقضيها فرضاً وإملاءً لا يقبلان تلكّؤاً ولا مراجعةً، وويل لمن يجعله القدر في طريقه يخبر يسيئه أو يناقشه في أمرٍ ما.

وقد بلغنا أنّ قوام السلطنة رئيس الوزراء حاول مرّة أن يعالج بعض شططه بشيء من البحث الرفيق المؤدّب المحتاط ليرد هذا الشطط إلى شيء من القصد والاعتدال نصحاً منه للملك ذاته غير أنّ هذا الهاجس لم يكد يبلغ شفتي رئيس الوزراء حتّى أدركته ركلة من ركلات الشاه الشداد أرسلته من أعلى السلّم الذي كانا واقفين على بابه وذهب الوزير الأوّل يتسابق طرفاه وما أدري أيّهما بلغ الأرض قبل صاحبه، رأسه أم قدمه؟!

وقد بلغنا أنّ وزير الماليّة استقلّ بعمل يختصّ بوزارته، فانتقم منه هذا الظالم فأمره بالموت، فبادر إلى شرب السمّ غير متلكّئ فمات.

وكان من أثر هذه الغلظة أن تحاشاه حتّى المقرّبون إليه من الساسة، واجتنبوا أن يخبروه بما يحدث من المكاره الخطرة التي كانت تمسّ سياسة البلاد العليا في الشؤون الخارجيّة والداخليّة على السواء، حتّى بات آخر أيّامه في شبه عزلة، والأُمور تمعن في الفساد دون قائد.

ومن هنا حلّت النكبة في إيران أوائل هذه الحرب؛ إذ طلبت القيادة الإنكليزيّة ـ بعد حادث رشيد عالي في العراق ـ من إيران أن تفتح لها ممرّاً في إيران، وتبيح لها بعض المواقع الحربيّة؛ ليتمّ لها ما تريد من التحصّن في الجبهة الشرقيّة ضدّ الطغيان النازي

الذي كان يتبختر في روسيا منصوراً ظافراً.

فلمّا طلبت القيادة الإنكليزيّة ذلك لم تجد وزارة الخارجيّة الإيرانيّة في نفسها الشجاعة على رفع هذا الطلب إلى الملك العصبي الجبّار، ولم تستطع في نفس الوقت أن تتصرّف بالأمر من تلقاء نفسها، ووقف الجيش الإيراني من هذه النازلة موقف وزارة الخارجيّة أيضاً، غير أنّ الأمر عند الإنكليز لا يحتمل هذا التردّد؛ لأنّها لا تقيم أيّ وزن لدلال رضاشاه في مثل تلك الشدّة، وفي مثل تلك الحاجة؛ لذلك وجّهت إنذاراً حازماً إلى الجيش الإيراني تحدّد له فيه زمناً معيّناً قصيراً؛ ليخرج خلاله من هذا التردّد وإلّا فإنّها زاحفةٌ بالقوّة والاقتدار.

وعلى هذا قضي الأمر ولم يعرف الشاه منه شيئاً قبل أن تجوس خيل الإنكليز خلال دياره، وتقتحم حماه اقتحاماً أزرى بتاجه وشعاره، وبعد فوات الفرصة أراد أن يتصلّب، ولكنّه ضعف عن المقاومة في الجولة الأولى، وكان من أسره ونفيه ما كان.

وكان هذا وما إليه عذرنا لأنفسنا في انصرافنا مسرعين عن التدسّس فيما يُعني الطُلَعَة المتشوّف الملاحظ، ولا سيّما وهذاالملك يختصّ رجال العلم بعداوة حاقدة، يصوّرها ما قد بلغنا عنه من أنّه كان يكفي في إثارة أعصابه ـ إثارةً ضاريةً مخيفةً ـ أن يرى من النافذة عمامةً تمرّ في الشارع، فإذا لمحها كان القصر ـ إذاً ـ معرضاً لشرّ عظيم، وبلاء منكر.

والذي نعلمه من أسباب هذه العداوة المتأثّرة بنار الحقد أنّ العلماء ـ وهم في إيران ذوو نفوذ كبير ـ عارضوه في كثير من تصرّفاته الخارجة على سنن الدين والعرف، وأنكروا عليه أخذه نساء إيران بالتبرّج والسفور، وإلزامهنّ بالقُبَّعَة عوضاً عن الجلباب، وعن الخمار الساتر لشعورهنّ وصدورهنّ ونحورهنّ، وحَدَّدَ مآتم ذكرى الطفّ كمّاً وكيفاً، بأن حصر زمنها في عاشوراء، وفرض لهم صوراً معيّنةً يتلوها الخطيب، كما كان أئمّة الجماعة يتلون خطب ابن نباتة في أيّام الجُمع، فقسر الخطباء على نصّ أو

نصوص متشابهة تعرض لتأريخ إيران القومي، ثمّ تتكلّف المدخل أو ـ الكوريز كما يقولون: ـ تكلّفاً إلى مصاب الحسين عليه السلام.

وهذان ـ السفور ومنع المآتم ـ أمران يضيق بهما جمهور العامّة، ويثير العلماء من الخاصّة وقادة الرأي العامّ؛ لذلك كان من المنتظر أن تَحدُث ضجّةٌ كبرى في العالم الإيراني، وكان من المنتظر أن لا يصبر الأعلام وذوو النفوذ من أهل الدين فاحتجّوا أوّلاً بشدّة، وهذا ما أذكى غضب الشاه فورم أنفه، واشتدّ على العلماء متجاوزاً بشدّته كلّ حدّ، ومدّ يده إلى العمائم ينزعها عن الرؤوس، ويربطها بنظام يفرض لكلّ عمامة وثيقة رسميّة لا يحلّ لإنسان أن يلبس العمامة بدونها.

وكان هذا العنف فوق حسبان الهيئة العلميّة، غير أنّ الأمر الهائل الذي بدا لهم أنّ الشاه كبير الاستعداد لمناهضتهم، وأنّهم ـ بناءً على ذلك ـ لا يكسبون من مناهضته غير إيغار صدره، ومعنى ذلك أنّهم سيتعرّضون منه إلى اضطهاد لا رجاء بالخير من ورائه؛ لذلك آثروا أن يتجرّعوا غصص الصبر على جفائه وخشونته هذه، فانكمشوا يمارسون حياتهم بسكينة، وفي ضمائرهم نار يطبقون على وهجها شفاههم طباقاً محكماً.

أمّا نحن فقد أحسسنا ذلك منذ وطأت أقدامنا أرض إيران، وكان واضحاً أنّ العيون والرقباء تتعقّب أثرنا في مراحل الطريق التي حملتنا إلى خراسان ذهاباً وإياباً.

ولعلّ توصية السفارة الإيرانيّة في بغداد إلى وزارة الخارجيّة في إيران، وملاحظتها حول ما يجب من احترامنا، لعلّ ذلك أغرى هذه العيون أن تستيقظ فتكرمنا بهذه الحراسة يتواصى بها الرقباء، ويلقيها بعضهم إلى بعض في مراحل الطريق التي حملتنا إلى خراسان!!

هذه صورة ملخّصة من حياة إيران في الفترة التي قدّر لنا فيها أن نزور إيران، وهي فترة ـ كما ترى ـ لم يواتنا فيها الحظّ للبث طويل يتيح لنا الإفادة في بحث أو تحقيق كما كنّا نتمنّى.

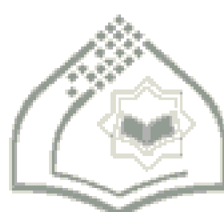
من «بغداد» إلى «صور»

أشرفنا على سواد بغداد مساء الخميس ١٨ صفر عائدين من إيران، وكان سماحة الزعيم السيّد محمّد الصدر ينتظر عودتنا في ظاهر بغداد معه نفر من أهلنا.

وقضيناها أيّاماً رتيبةً رأينا أشباهها فيما تقدّم من حديثنا عن لحظة وصولنا إلى العراق، وتزوّدنا في نحو تسعة عشر يوماً من منازل القدس في مناجع الرضوان، وأغذية الأُنس بين أجنحة الأهل والإخوان، وأقبلنا مدّة هذه الأيّام نعبُّ من ذلك عبّاً حتّى أذن السفر بأوبة المسافر بدت لنا المدّة التي قضيناها نعمةً تفرّ، ولحظة سعادة تمرّ:

ليالٍ قصيرات فيا ليت عمرها　　يمدُّ بعمري فهو غاية ما عندي

وما يغني الأسف والواقع بحكم القضاء والقدر ممّا لابدّ منه، وبرغمي أنزل على حكم هذا الواقع، فأركب السيّارة خفّاق الجوانح يوم الإثنين ٧ ربيع الأوّل وتمضي بنا، فلا تقف إلّا في دمشق لتُلقيَنا إلى جمع ممّن أخبرتهم برقيّة سماحة الزعيم الصدر بحركتنا، ثمّ لتحملنا جميعاً سيّارات كثر إلى منزلنا من هذا الشاطئ الساجي من شواطئ البحر الأبيض المتوسّط.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تذييلات*

[۱] أما السيّد حسن، فهو من السادة الأتقياء، كان يقيم في قرية صريفا، متفرّغاً فيها لمهمّات المنبر الحسيني، والأمور الشرعيّة، توفّي في ربيع الأوّل سنة ١٤٠٩، وأعقب ستّة أولاد، كلّهم من ذوي الأخلاق والنجابة والتديّن.

أوّلهم: السيّد محمّد، ولد في ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٤٠، وتوفّي في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٩٣، عن ثلاثة أولاد، وهم: عليّ، ولد في ٢٢ صفر سنة ١٣٦٠، ومصطفى، ولد في ١١ رجب سنة ١٣٧٠، وأكرم، ولد في ٢٨ رجب سنة ١٣٧٥.

ثانيهم: السيّد هاشم، ولد في ١٠ شعبان سنة ١٣٤٤، وله ثمانية أولاد وهم: حيدر ولد في ١٨ شوّال سنة ١٣٧٤، وهو مهندس معماري. وحسين ولد في ١٧ المحرّم سنة ١٣٧٧، وهو مهندس ديكور. وعليّ ولد في ٢١ المحرّم سنة ١٣٧٨، وهو مهاجر في أفريقيا في طلب الكسب الشريف. ومحمّد ولد في ٤ ذي القعدة سنة ١٣٨٠، وهو مهندس مدني. ويوسف ولد في ٢٩ رجب سنة ١٣٨٤، وهو يدرس الطبّ في إحدى جامعات اسبانيا. وعبدالله، ولد في ٥ المحرّم سنة ١٣٨٧، وهو مهاجر في أفريقيا. ونعمان، ولد في ٢٢ شوّال سنة ١٣٨٨، وهو يدرس الهندسة المدنيّة في الجامعة اللبنانيّة. وعدنان ولد في ٢٥ ذي الحجّة سنة ١٣٩٠، وهو طالب ثانوي.

---

* . هذه التذييلات كلّها من الملحقات للعلّامة السيّد عبدالله شرف الدين حفظه الله . أفرزناها من الأصل .

ثالثهم: السيّد إبراهيم، ولد في ٢٥ شعبان سنة ١٣٤٩، وهو معروف بهديه وحسن سمته وصدق تديّنه، وبهذا أصبح له عند أهل منطقته منتهى الوثاقة والتقدير، و يَنيطونَ به كثيراً من أمور دينهم؛ لما يرون من أمانته وإخلاصه في ذلك. وله أربعة أولاد: خليل، ولد في أوّل ربيع الثاني سنة ١٣٨٣، وهو يتخصّص في الإعلام في إحدى جامعات أميركا. وأحمد، ولد في ٢٠ رمضان سنة ١٣٨٦، وهو مستعدّ للتخصّص في إحدى الجامعات. ومحسن، ولد في ٥ ربيع الثاني سنة ١٣٨٨، وهو يدرس العلوم الشرعيّة في المدرسة الدينيّة في صور، وتعلوه سمات الصلاح كأبيه، وقد أعجبني سلوكه وتحصيله وجدّيته في ذلك، بلغ الله فيه منتهى الأمل، وله ولدان: إبراهيم ولد في ٧ جمادى الأُولى سنة ١٤١٥، ومحمّد عليّ ولد في ٢٨ رجب سنة ١٤٢١. وعليّ، ولد في ١٤ ربيع الأوّل سنة ١٣٩٣.

رابعهم: السيّد حسين، ولد في ٢٥ المحرّم سنة ١٣٥٦، وهو حسن الأخلاق، يفيض عاطفة وحياءً وشمماً، وهو كامل أديب شاعر جيّد النظم، له ذوق حسن في ذلك.

يؤرّخ شعراً، وله تواريخ كثيرة، في المواليد والوفيات والمناسبات الأُخرى، وله ديوان معدّ للطبع، وأكثر شعره في أهل البيت عليهم السلام ومن ذلك هذه القصيدة في رثاء الحسين عليه السلام:

بيوم الطفّ سهمك قد أصابا ... وريش بملكهم باباً فبابا
وحطّم في الشآم لهم عروشاً ... قصورهم بها أمست خرابا
فيومك يا أبا الشهداء فتح ... له تعزى البطولات انتسابا
وحربك في العراق كحرب بدرٍ ... نصرت بها الشريعة والكتابا
أجلت الطرف بين الناس حتّى ... تأثّر إذ رأى الشيء العجابا
تحكّم بالرقاب جليس خمر ... وغانية تعدّ له الشرابا
فقصر الملك مأوى للبغايا ... وفيه الفحش قد حطّ الركابا
وباسم الدين يحكم مستبدّاً ... بالطغيان ساسهم اغتصابا
فلا دين يجنّبه المعاصي ... ولا شرف يناقشه الحسابا
ابو سفيان لقّنه خطايا ... وفي أعماقه حفظ الخطايا

فللأصنام يضمر كلّ ودّ وفي الإسلام أعطانا الجوابا
فلا وحي يقرّ به يزيد ولا كتب تحذّره العقابا
وأمر الناس ملك فاز فيه بحدّ السيف من حزّ الرقابا
شكا الإسلام سقماً من يزيد وبالسبط احتمى فله استجابا
وأرسل صيحة كبرى صداها تردّد في قلوبهم اضطرابا
سأنقذ دين جدّي من عدوّ أعدّ لجسمه ظفراً ونابا
فإن لم يستقم إلّا بقتلي فيا نفس اقدمي فالموت طابا
وسار إلى العراق فتى عليّ لكي يحمي النبوّة والكتابا
مشى في ركبه سبعون شخصاً تحدّوا في مسيرهم الصعابا
أحاطوا بالحسين ليوث غابٍ وخاضوا الحرب آساداً غضابا
وفازوا بالشهادة حيث نالوا بفوزهم الأماني والرغابا
وأصبح سيّد الشهداء فرداً ونار الحرب تلتهب التهابا

وللسيّد حسين هذا ثلاثة أولاد وهم: مالك، ولد في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٨٤، وهو مهندس في البناء، حصل على ذلك من الجامعة اللبنانيّة. ورضا، ولد في ١٢جمادى الأولى سنة ١٣٨٧، وهو مهندس أليكتروني، وقد تخرّج من إحدى جامعات فرنسا.

وشريف، ولد في ١٢ المحرّم سنة ١٣٨٩، وهو يدرس العلوم الشرعيّة في المدرسة الدينيّة في صور، يمتاز بهديه وحسن سمته وصوته. وله ولدان: صادق، ولد في ١٤ المحرم سنة ١٤١٦. ومهدي، ولد في شعبان سنة ١٤٢٠.

خامسهم ـ من أولاد السيّد حسن هاشم ـ: السيّد عليّ، ولد في ٢٤ صفر سنة ١٣٥٨، وهو أديب شاعر حسن النظم، ذو أخلاق وصفات طيّبة، وهو ناظر في دار المعلّمين، ومدرّس اللغة العربيّة في الثانويّة الجعفريّة، وقد شارك في إعداد سلاسل تعليميّة مدرسيّة.

وللسيّد عليّ هذا ولدان: حسين، ولد في ٢٥ ذي القعدة ١٣٨٩. وحسن، ولد في ٢٥ رجب سنة ١٤٠١.

سادسهم: السيّد عبّاس، ولد في ٢٤ رجب سنة ١٣٦٠، وله أربعة أولاد: حسن، ولد في ١٥ شعبان سنة ١٣٨٨. وربيع ولد في ١٥ ربيع الثاني سنة ١٣٩٠. وهادي ولد في ١٨ صفر سنة ١٤٠٥. وعليّ ولد في ١٠ جمادى الثانية سنة ١٤٢٢.

وكلّ أولادهم بين تلميذ ابتدائي وطالب ثانوي.

أمّا السيّد محمّد بن السيّد هاشم، فهو من السادة النجباء، يقيم في قرية ميفذون في نواحي النبطيّة، للقيام بالمجالس الحسينيّة وغيرها، وله سبعة أولاد:

أوّلهم: السيّد نور الدين ولد سنة ١٣٥٠، وله ثلاثة أولاد: محمّد ولد في ٤ رمضان سنة ١٣٨١. وعليّ ولد في ٦ رجب سنة ١٣٨٤. وحسين ولد في ٧ ربيع الثاني سنة ١٣٨٧ وكلّ منهم حاصل على شهادة الهندسة.

ثانيهم: السيّد عبد الحسين ولد في ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥، وله ستّة أولاد: عليّ ولد في ٣٠ شعبان سنة ١٣٨٤. ومحمّد ولد في ٢٩ رمضان سنة ١٣٨٦. وأحمد ولد في ١٤ شوّال سنة ١٣٨٨. وحسن ولد في ١٧ رجب سنة ١٣٩١. وعبّاس ولد في ٢٢ المحرّم سنة ١٣٩٧. وإبراهيم ولد في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٤٠٠.

ثالثهم: السيّد بسّام ولد في ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٦١، وله ولد اسمه عليّ ولد في ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٩٢.

رابعهم: السيّد حسان ولد في ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٦٣، وله ولد اسمه سامر ولد في ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٩٧.

خامسهم: السيّد عليّ ولد في ٣ شعبان سنة ١٣٦٥، وله ولد اسمه مروان ولد في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٩٦، وله ولد آخر.

سادسهم: السيّد حسن ولد في ٩ ربيع الأوّل سنة ١٣٧٢.

سابعهم: السيّد حسين ولد في ٢١ رجب سنة ١٣٧٧.

[٢] أعقب عليه الرحمة ثمانية أولاد:

أوّلهم: السيّد فخر الدين، وهو من العلماء العاملين، والفضلاء الكاملين، وخطيب مجيد، وأديب كاتب جيّد القلم، يتّصف بالنجابة والهدى، والاستقامة وكرم الأخلاق، ولد في معركة سنة ١٣٥٣، وفي السنة نفسها أصحبه معه أبوه في هجرته إلى النجف الأشرف، ونشأ بها على أبيه يغذّيه بلبان الخلق والعلم والدين، ويعدّه للغاية التي يتوخّاها له، وهي نهج آبائه وأجداده. ولمّا عاد أبوه إلى بلاده سنة ١٣٦٩، بقي في النجف الأشرف يواصل فيها دراسته بعد أن درس النحو والعلوم العربيّة والشرائع على أبيه وعلى ثلّة ممّن عرفوا بالعلم والفضل، ودرس اللمعة وشرحها لدى من عرف بالفقاهة والورع السيّد حسن الخرسان، وأنهى دراسة الكفاية للآخوند ورسائل ومكاسب الأنصاري وقسماً من الرياض لدى نخبة من الأساتذة، كآية الله السيّد إسماعيل الصدر، وأخيه الإمام السيّد محمّد باقر الشهيد الثالث ﵀ وعلى عدّة غيرهما. وتابع دراسته في الخارج فقهاً وأُصولاً على المرجعين الكبيرين، السيّد محسن الحكيم ﵀ والسيّد أبي القاسم الخوئي ــ دام ظلّه ــ.

وفي سنة ١٣٨٣ أوفده السيّد الحكيم إلى مركز قضاء عفك[1] وتوابعها في محافظة الديوانيّة[2]، وذلك للقيام بالمهمّات الدينيّة والهداية والإرشاد، فقام بمهمّته خير قيام حيث أنشأ فيها جيلاً صالحاً من الشباب المؤمن، وأسّس هناك مكتبةً عامّةً، وقاعةً للمحاضرات، ونادياً للاجتماع وبقي عدّة سنوات يتردّد على هذه البلدة بين فترة وأُخرى، خاصّةً في أشهر المحرّم وصفر وشعبان ورمضان، دون أن يقطع المتابعة في الدراسة.

وبعد فراغه من التحصيل عاد إلى وطنه سنة ١٣٨٩، وأقام في الزراريّة[3] حوالي ثلاث

١. عِفَك: قبيلة من الأعراب بين البصرة و بغداد، واسم بلد. وهم يلفظون كافها جيماً فارسيّةً. راجع أعيان الشيعة ٦: ٣٢١.

٢. الديوانيّة: مدينة في العراق قاعدة محافظة القادسيّة، ومركز قضاء الديوانيّة. راجع الموسوعة العربيّة الميسّرة ١: ٨٤٠.

٣. الزراريّة: قرية من قرى جبل عامل، علي مايظهر من أعيان الشيعة ٩: ٢٥١.

سنين، قائماً فيها بالمهمّات الشرعيّة إلى سنة ١٣٩٢، حيث توفّي فيها والده عليه الرحمة في الغازية فانتقل إليها ليحلّ محلّه في القيام بالوظائف الشرعيّة، من إقامة الجماعة والوعظ والإرشاد، حيث قام بها على أحسن وجه من الأسلوب الجيّد، والتوجيه الصحيح، وصار يلقي المحاضرات الدينيّة، والدروس الأخلاقيّة، وأثّر تأثيراً حسناً في كثير من شباب وشابّات الجيل الطالع. كما انشغل أيضاً بالكتابة والتأليف، وقد امتدّ نشاطه إلى منطقة الغازية، وعمّ نفعه وعلمه هناك أيضاً. وبهذا نال هناك كلّ عناية واحترام وتقدير. وأسمع من أهل تلك المنطقة ثناءً كثيراً عليه وعلى نشاطه الديني، وفّقه الله.

وله من الأولاد أربعة: السيّد كمال الدين، ولد في ٢٧ رجب سنة ١٣٨٢، وقد أنهى قسماً من الدراسة الحديثة، وآثر أن ينهج منهج آبائه وينتظم في سلك الروحانيّة، فاختصّه والده بقسم وافر من وقته وجعل يدرّسه ليؤهّله للالتحاق بجامعة النجف الأشرف.

والسيّد محمّدرضا، ولد في ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٨٨. والسيّد علاء الدين ولد في ٧ ذي الحجّة سنة ١٣٩١. والسيّد عبّاس ولد في ٩ شوّال سنة ١٣٩٢.

الثاني ـ من أولاد السيّد عبّاس بن السيّد محمّد بن السيّد أبي الحسن بن السيّد مهديّ بن السيّد محمّد بن السيّد إبراهيم بن السيّد عبد السلام ـ: السيّد نور الدين ولد سنة ١٣٥٧، وله ولدان: عبّاس ولد في ١٠ شعبان سنة ١٣٩٢. وأُسامة ولد في ٣شعبان سنة ١٣٩٤.

الثالث: السيّد حسين، ولد سنة ١٣٦٠، وله ثلاثة أولاد: عليّ ولد في ٤ صفر سنة ١٣٨٨. ونضال ولد في ٢٩ ربيع الثاني سنة ١٣٨٩. وعدنان ولد في ٦ ذي الحجّة سنة ١٣٩١.

الرابع: السيّد محمّد، ولد سنة ١٣٦٤، وله ولد اسمه حسن ولد في ٢١ المحرّم سنة ١٤٠٠.

الخامس: السيّد إبراهيم ولد في ٣ شوّال سنة ١٣٧٠.

السادس: السيّد رضا ولد في ٨ رمضان سنة ١٣٧٤.

السابع: السيّد عليّ ولد في ٦ ذي القعدة سنة ١٣٧٦.

الثامن: السيّد مصطفى ولد في ٩ شعبان سنة ١٣٧٩.

[٣] أما يوسف فله ولدان: إبراهيم المولود سنة ١٣٢٠، وأحمد المولود سنة ١٣٢٥ والمتوفّى في ١١ ربيع الأوّل سنة ١٤٠٠، وهما من أهل الهدى والصلاح.

ولإبراهيم ثلاثة أبناء:

أوّلهم: خليل ولد في ٩ ذي الحجّة سنة ١٣٤٢، وله أربعة أولاد: عليّ ولد في ١٣ المحرّم سنة ١٣٦٨، وحسن ولد في ١٧ شعبان سنة ١٣٧٣، ويوسف ولد في ٧ شوّال سنة ١٣٧٥، وعبّاس ولد في ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٨٢.

ثانيهم: محمّد عليّ ولد في ٩ المحرّم سنة ١٣٥١، وله ولدان: هاني ولد في ٩ شعبان سنة ١٣٧٩، وحسن ولد في ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٨٢.

ثالثهم: أمين ولد في ٩ صفر سنة ١٣٥٧، وله ستّة أولاد: عماد ولد في ٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٧٦، ومحمّد ولد في ٢٦ ربيع الأوّل، وجمال ولد في ٨ ربيع الأوّل سنة ١٣٨٢، وناصر ولد في ١٥ المحرّم سنة ١٣٨٣، وحسن ولد في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٨٤، وإسماعيل ولد في ٢٠ المحرّم سنة ١٣٩٠.

أمّا أحمد فله ثلاثة أولاد:

أوّلهم: يوسف ولد في ٢٣ ربيع الأوّل سنة ١٣٥٧، وله ولد واحد اسمه أحمد ولد في ٢٦ رمضان سنة ١٤٠٠.

ثانيهم: فضل الله ولد في ١٣ رجب سنة ١٣٦٤، وله خمسة أولاد: باسم ولد في ٢٢ ربيع الأوّل سنة ١٣٩٥، ومحمّد ولد في ٢١ جمادى الأُولى سنة ١٣٩٧، وحسن ولد في ٢٣ شعبان سنة ١٤٠١، وإبراهيم ولد في ١٥ شوّال سنة ١٤١٠، وإسماعيل ولد في ٢٦ شوّال سنة ١٤١٦.

ثالثهم: محمود ولد في ١١ جمادى الأُولى سنة ١٣٧٠، وله ولدان: طلال ولد في ١١ ذي القعدة سنة ١٣٩٩، وعليّ ولد في ١١ صفر سنة ١٤٠١.

وكلّهم قاطبةً متّصفون بالتقوى والتديّن وفّقهم الله.

وأمّا هاشم فله ولدان: نجيب، وحبيب.

أمّا نجيب فقد ولد سنة ١٣٢١ وهو متديّن نجيب كاسمه، معروف بقوّة ساعديه وشدّة عضلاته وشجاعته وهو عقيم[1].

وولد حبيب سنة ١٣٣٦ وله ستّة أولاد:

أوّلهم: محمّد ولد في ١٥ ربيع الأوّل سنة ١٣٥٧، وله ولدان: هاشم ولد في ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٩١، وأكرم ولد سنة ١٣٩٦.

ثانيهم: عليّ ولد في ١٣ رجب سنة ١٣٦٤، وله ولد اسمه عصام ولد في ٢٣ ربيع الثاني سنة١٣٩٦.

ثالثهم: حسين ولد في ٤ ربيع الثاني سنة ١٣٦٧ وهو إلى الآن لم يعقب.

رابعهم: حسن ولد في ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢، وله ولد واحد اسمه حبيب ولد سنة ١٣٩٣.

خامسهم: أمين ولد في ١٣ ذي القعدة سنة ١٣٧٨.

سادسهم: خليل ولد في ٩ شعبان سنة ١٣٨٠.

وهم أيضاً على وتيرة أبناء عمومتهم في الاستقامة والتديّن.

[٤] وأمّا السيّد أسد الله فقد ولد سنة ١٣٠٨، وهو من وجوه السادة في أصفهان، موظّف في العدليّة برتبة عالية وله ثلاثة أولاد:

الأوّل: السيّد مرتضى ولد سنة ١٣٤٢، وهو نجيب كريم حسن الأخلاق، وقد اشتغل مدّةً في طلب العلم في أصفهان، وهو الآن فيها موظّف كاتب عدل.

الثاني: السيّد محمّد عليّ ولد سنة ١٣٤٤، وقد هاجر إلى قمّ، واشتغل بها مدّةً بالتحصيل، ثمّ انتقل إلى طهران ودخل في جامعة المعقول والمنقول، وتخرّج واشتغل

---

١. توفّي عليه الرحمة في ٥ رمضان سنة ١٤٠٣.

هناك بالوعظ والإرشاد، وله كتاب في الزهراء عليها السلام وكتاب هذا از نظر دانشمند شرق وغرب وهو فارسي.

وله ولد واحد اسمه مجتبى ولد سنة ١٣٧٤.

الثالث: السيّد جليل ولد سنة ١٣٤٨، وهو مهندس في البناء.

ثانيهم ـ من أولاد السيّد أبو الحسن ـ: الميرزا عليّ النقيّ، وهو أبو السيّد جمال الدين المعروف بصدر زاده، ولد سنة ١٣١٩، وهو من الوجوه المحترمين حسن الأخلاق، يشغل منصب الادّعاء العامّ في المجلس التأديبي، وله ولد واحد هو السيّد جلال ولد سنة ١٣٤٧، وهو دكتور في الطبّ[1].

ثالثهم ـ من أولاد السيّد أبو الحسن ـ: السيّد محمّد تقيّ[2]. وله ولدان، وهما: الآقامير والآقا جناب[3].

أمّا الآقامير، فهو كاتب عدل في أصفهان[4].

وأمّا الآقاجناب فقد ولد سنة ١٣٢١، ولم يعقب ولداً ذكراً[5].

رابعهم ـ من أولاد السيّد أبو الحسن ـ: السيّد حسين، لم يعقب ذكراً.

خامسهم: السيّد عبّاس، توفّي سنة ١٣٣٦، وله ولد واحد اسمه السيّد جواد المعروف بالربّاني. وله ولد واحد هو السيّد أحمد المعروف بصدر زاده[6] ولد في ١٨ جمادى الثانية سنة ١٣٥٧.

سادسهم: السيّد عليّ رضا، وقد انقرض رضوان الله عليه.

---

١. ولجلال هذا ولد اسمه أُميد ولد سنة ١٣٨٤.

٢. خرج في أوائل شبابه من أصفهان وانقطعت أخباره ولم يعرف عنه شيء حتّى الآن.

٣. ويعرفان بفصولي نسبة إلى صاحب الفصول من طرف الأُمّ؛ حيث إنّها من حفيدات المذكور وهو الشيخ محمّد حسين الأصفهاني، المتوفّى سنة ١٢٥٤، وكان من أعاظم علماء زمانه.

٤. توفّي سنة ١٣٨٨ عن ولدين: السيّد باقر ولد سنة ١٣٦٥، والسيّد رضا ولد سنة ١٣٦٩.

٥. كان رئيس الدوائر العقاريّة في طهران، توفّي في المحرّم سنة ١٣٩٩.

٦. وللسيّد أحمد هذا ولدان: السيّد حميد، والسيّد عليّ.

[٥] وله أربعة أولاد[1].

أوّلهم: السيّد حسين ولد سنة ١٣٤٠، وله ولدان: أحمد عليّ ولد في ١٢ ذي الحجّة سنة ١٣٦٩، وأحمد رضا ولد في ٥ صفر سنة ١٣٧٢[2].

ثانيهم: السيّد كمال الدين ولد سنة ١٣٤٣، وله ولدان: السيّد جلال الدين ولد في ١٦ جمادى الأُولى سنة ١٣٧٢، وجمال الدين ولد في ١٧ شعبان سنة ١٣٧٦.[3]

ثالثهم: السيّد رضا ولد سنة ١٣٤٦.[4]

رابعهم: السيّد محمّد عليّ ولد سنة ١٣٥٤.[5]

ثانيهما: ـ من أولاد السيّد حسين بن السيّد صدر الدين ـ السيّد سراج الدين، ولد سنة ١٢٩٠، وتوفّي سنة ١٣٥٤، وكان رئيس المحكمة العدليّة في شيراز، ولا عقب له.

[٦] السيّد حسين الخادمي الأصفهاني

وقد ترجمه في ج٢ من نقباء البشر ص٥١٨، وترجمه أيضاً الشيخ محمّد شريف الرازي[6] في موسوعته گنجينة دانشمندان ج ٣ ص ٩٠. ولنعرب ونلخّص عنه وعن نقباء البشر بما يلي:

هو أحد كبار مراجع العلماء في أصفهان، ولد في ٣ شعبان سنة ١٣١٩، واشتغل في

١. وهم يعرفون هناك بصدر عاملي.

٢. وله أيضاً ولد ثالث اسمه عليّ رضا، ولد في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٨٤.

٣. وله أيضاً ولد ثالث اسمه عليّ، ولد في ٦ رمضان سنة ١٣٩٠.

٤. للسيّد رضا هذا ولدان: مسعود، ولد في ٧ رجب سنة ١٣٨٠، ومنصور ولد في ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٨٤.

٥. تخرّج من لندن ونال شهادة الدكتوراة في طبّ وجراحة الأسنان، وهو الآن في طهران يعدّ من المتفوّقين الأوّل في هذا المضمار.

٦. هو من أفاضل أهل العلم، ولد في الري سنة ١٣٤٠، وتخرّج من حوزة قمّ وهو بحّاثة مؤرّخ ومتتبّع منقّب.

تحصيل مقدّمات العلوم على الشيخ عليّ اليزدي[١] والآقاميرزا الأردستاني[٢] والميرزا أحمد الأصفهاني[٣]، وقرأ رسائل الأنصاري على الآخوند ملا عبد الكريم الجزي[٤] والسيّد ميرزا عليّ النجف آبادي[٥]، وقرأ الكفاية على السيّد محمّد النجف آبادي[٦]. ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف للتكميل، فبقي عدّة سنين تلمّذ خلالها على الميرزا حسين النائيني، فقد كتب من تقريرات دروسه كتابي الصلاة و الصوم في الفقه، وأوائل مباحث الألفاظ إلى آخر المعنىٰ الحرفي، وخاتمة البراءة إلى آخر التراجيح في الأصول، وحضر أيضاً على السيّد أبوالحسن الأصفهاني وعلى الشيخ ضياء الدين العراقي، كما حضر في فنّ الكلام وبحث المذاهب على الشيخ جواد البلاغي[٧]، وبعدما نال مرتبةً عاليةً في العلم، عاد إلى أصفهان، واشتغل فيها بإمامة الجماعة، وترويج الدين، وتدريس الفقه والأصول خارجاً.

---

١. كان من العلماء البارعين والمدرّسين المعروفين في أصفهان، قضى عمراً شريفاً في خدمة العلم وأهله، وكان على جانب كبير من القناعة والزهد، توفّي سنة ١٣٥٣. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٤ ص ١٥١٦.

٢. كان عالماً فاضلاً كاملاً محقّقاً ومن المدرّسين المعروفين في أصفهان، وعلى جانب كبير من الزهد والتقوى، توفّي سنة ١٣٥١. انتهى ملخّصاً عن دانشمندان وبزرگان أصفهان ص ٥١٣.

٣. من العلماء الأفاضل كان مدرّساً في مدرسة نيماورد في أصفهان لجمع من الأفاضل. انتهى عن نقباء البشر ج ١ ص ٨٢.

٤. كان من الفقهاء المتبحّرين ومن أهل الورع والزهد والأخلاق الفاضلة، أصاب رئاسة كبيرة في أصفهان، استقلّ بالتدريس وحلّ الخصومات، وكان لطيف المجلس والمعشر، توفّي سنة ١٣٣٩. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٣ ص ١١٨٣.

٥. من أكابر الحكماء، وأجلّاء الفقهاء، ولد سنة ١٢٨٧ وقد بلغ في العلوم العقليّة والنقليّة درجةً عاليةً ومكانةً ساميةً، اشتغل في أصفهان بتدريس العلوم الإسلاميّة لا سيّما الحكمة والكلام، واستفاد من بركات درسه كثيرون وكان يعيش ببساطة وزهد، توفّي سنة ١٣٦٢. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٤ ص ١٣١٨.

٦. عالم فاضل محقّق مجتهد أصولي، ولد سنة ١٢٩٤، وقد اشتغل في أصفهان بالتدريس والفتوى وحلّ المشاكل، وعرف بالزهد والورع، توفّي سنة ١٣٥٨. انتهى عن دانشمندان وبزرگان أصفهان ص ٤٨١.

٧. علّامة مجاهد كبير من الأفذاذ النادرين الذين وقفوا حياتهم لخدمة الدين والحقيقة، ولد في النجف سنة ١٢٨٢، وقد أغنت آثاره العلميّة عن التنويه بعظمته وعلمه، فقد دحض بها شبه الماديّين وفتّت جيوش الإلحاد والعادين على الإسلام، وكان من خلوص النيّة وإخلاص العمل بمكان. من أشهر مؤلّفاته الهدى إلى دين المصطفى، والرحلة المدرسيّة، توفّي سنة ١٣٥٢ في النجف الأشرف. انتهى عن نقباء البشر ج ١ ص ٣٢٣ وغيره. راجع: أعيان الشيعة ٤: ٢٥٥ ـ ٢٦٢؛ ريحانة الأدب ١: ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

له عدّة مؤلّفات، منها رسالة في إرث الزوجة، و حواشٍ على كتاب الطهارة والصلاة والزكاة من كتاب مصباح الفقيه للشيخ آقا رضا الهمذاني، وحواش متفرّقة على عدّة كتب من كتب الأصول، وله رهبر سعادت أو عظمت دين محمّد ﷺ فارسي مطبوع في جزأين. انتهى.

أقول: وردت عليه في أصفهان في صفر سنة ١٣٧٤، فغمرني بلطفه، وطوّقني بمحبّته، بما يمثّل أنّه من ذلك المعدن الهاشمي الطيّب، والطينة العلويّة الطاهرة.

وقد أصبح في وقته العلم الأوّل في أصفهان ومرجع الدين والدنيا هناك. وقد أثبتت الأيّام كفاءته التامّة ولياقته للرئاسة الدينيّة، والزعامة السياسيّة، حيث كان من أكبر المساندين للإمام الأعظم آية الله الخميني ﷺ[1] في نهضته ضدّ الشاه المطرود[2]، فقد وجّه

١. هو بطل الدين وعظيم المجاهدين السيّد روح الله بن السيّد مصطفى الخميني الموسوي، ولد في خمين سنة ١٣٢٠ وهاجر إلى قمّ، وتخرّج على الإمام الشيخ عبد الكريم الحائري ﷺ وصار من العلماء الأوّل، وأركان البحث والتدريس هناك، وامتاز بالورع والتقديس والعرفان. ولمّا قام الشاه البهلوي بمشاريعه الإصلاحيّة الوهميّة، ومكّن النفوذ الأميركي والصهيوني من التغلغل في إيران نهض الإمام الخميني في وجهه مستعيناً عليه بعظيم حكمته، وقوّة جنانه، وذلاقة لسانه، لا برئاسة ولا مرجعيّة حيث لم يكن من المراجع حينذاك لكنّه أثبت بموقفه هذا أنّه فرخ محمّد بن عبدالله ﷺ، وشبل عليّ بن أبي طالب ﷺ، فنفخ في الشعب الإيراني روح النهضة والوثبة فقام معه يسانده ويعاضده، وأثبت أنّه ذلك الشعب المؤمن حقّاً. فنفاه الشاه إلى تركيا إلى أن أفرج عنه فانتقل إلى النجف الأشرف، ثمّ أُخرج من العراق فسافر إلى باريس وأقام في بعض ضواحيها مخطّطاً خططه الحكيمة للقضاء على الشاه وزبانيته، حتّى أثمرت جهوده فقام الشعب الإيراني الكريم باذلاً كلّ تضحية وفداء. فبادر الشاه العميل و[illegible] بالفرار، وتمكّن الإمام الخميني ـ حفظه الله ـ من إخراجه من صياصيه، وفتح الله عليه فتحاً عظيماً، ونصره نصراً مبيناً، فعاد إلى إيران ودخلها دخول الفاتحين، وتسجّل اسمه في الطليعة من الرجال الخالدين وبناة التأريخ، توفّي ﷺ سنة ١٤٠٩.

٢. هو الشاه محمّد رضا بن رضا شاه بهلوي ولد سنة ١٣٣٧، وتولّى السلطنة بعد طرد أبيه سنة ١٣٦٠، وقد توالت عليه ظروف وأحداث وانقلابات وفي كلّها يكون النصر له بواسطة أولياء نعمته الأميركان وعملائهم في إيران، حيث دعموا حكمه وقوّوا سلطانه فأبطرته القوّة وغرّه السلطان فقام بمشاريع خياليّة على مسلك أبيه ممّا دلّ على أنّ هذا الفرخ من تلك الحيّة، فسام شعبه بهذا السبب سوء العذاب والتنكيل، ولكن هيهات الذي أراد اجتهد ففشل وشاور فخذل، فتلا عليه الإمام الخميني بلسان الحال ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ (الفرقان (٢٥): ٢٣) بحول الله وقوته ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ (آل عمران (٣): ٥٤) فكان عاقبة أمره أن خرج مخزياً متنقّلاً إلى المغرب فجزيرة بنما فأميركا فمصر واستقرّ فيها إلى أن هلك سنة ١٤٠٠.

الشباب الواعي في أصفهان مع بقيّة الشعب بتوجيهاته الحكيمة، وجودة حنكته وآرائه، ممّا كان له أثر كبير في هذه النهضة المباركة. ولنترك الكلام للتقرير الذي أعدّه الصحفي الفرنسي الكبير دومينيك بوشين في جريدة لو موند الفرنسيّة، في العدد الصادر في ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٧٨، وهذا التقرير أُعدّ قبل نجاح الثورة، وهذا ما تعريبه:

لقد انتقلت القدرة في أصفهان ثانية المدن الإيرانيّة الكبرىٰ من يد إلى أُخرى، الحكم انتقل من يد السلطات الرسميّة إلى يد الثورة الإسلاميّة، وهناك انفصال كلّي عن الدولة في طهران، إنّ نوّاب المدينة بين فارّ أو مستسلم، ومحافظ المدينة فرّ أيضاً، وقوى الشرطة في حالة شلل من جرّاء انضمام بعضها للثورة، وكذلك الحالة في الجيش، حيث يلتحق كلّ يوم عشرات من الجنود والضبّاط إلى صفوف الشعب، إدارات الدولة والمحاكم القضائيّة في حالة اعتصاب عن العمل.

الحاكم الواقعي للمدينة هو آية الله خادمي الحكيم الذي هو في سنّ الشيخوخة، فأوامره تنفذ دون أيّ تردّد، يصدر آية الله أوامره من بيته الذي تحوّل إلى مركز أعمال الثورة في المدينة، آية الله يجلس في غرفته على الأرض المفروشة بالسجّاد، يتكلّم مع زائريه بصوت منخفض، مشاورو آية الله يقولون: إنّكم لا تستطيعون أن تلاحظوا أيّ خطإ في أعمال الزعيم وأوامره.

أحد أعضاء الجبهة الوطنيّة قال لي: إنّ آية الله خادمي هو رجل سياسي خبير، وله ماض حافل مجيد، وكان أحد مؤيّدي مصدّق[1]، وقد ازدادت شهرته ونفوذه في مدّة الثلاثين سنة الأخيرة، وهو الآن الحاكم الفعلي للمدينة، الغرف المجاورة لغرفة الإمام مليئة بالمجاهدين والمتطوّعين لتنظيم الأمور، هناك خمسة عشر طالباً من طلاب العلوم الدينيّة هم الهيئة

١. هو الدكتور محمّد مصدّق بطل إيران وسياسيّها الفذّ وعبقريّها الحكيم، ولد سنة ١٢٩٥، وبرزت بطولته من أوائل أمره حيث كان النائب الوحيد الذي عارض تسلطن رضا خان بهلوي فكان أن سجنه ونكّل بـه أشـدّ التـنكيل، وبرزت مواهبه عندما تولّى رئاسة الوزارة سنة ١٣٧٠، وعمل على تأميم النفط من يد الإنكليز يسانده على ذلك آية الله الكاشاني عليه الرحمة، وكاد ينجح في مشروعه حيث تمكّن من طرد الشاه فعاد الشاه وألقى القبض على مصدّق وحكم عليه بالسجن ثمّ بالإقامة الجبريّة في قريته أحمد آباد إلى أن توفّي سنة ١٣٨٦.

المسؤولة عن تموين الفقراء، أو عائلات الشهداء، أو سدّ أي نقص من اقتصاديّات المدينة. ومن أهمّ برامجهم تمويل عائلات الموظّفين الذين اعتصبوا وتركوا إداراتهم، وأمام هذه الهيئة خريطة المدينة، وأوراق ومستندات الطّلبات التموينيّة التي وصلت إليهم، وهناك خمسة عشر ألف طالب، وجدير بالذكر أنّ المصدر الأساسي لتمويل الثورة سهم الإمام، أو الخمس الذي يدفعه الشيعة لفقراء السادة.

وفي الطّبقة الثانية من أصفهان يتمركز البوليس الإسلامي، وقوامه اثنا عشر ألف متطوّع من المدينة الذين يتولّون حفظ الأمن في المدينة، وتقع مسؤوليّة انتخابهم على مجمع معلّمي المعارف، وقد قسمت المدينة إلى خمس وثلاثين ناحية، ومركز البوليس في كلّ ناحية، هو إمّا في المسجد أو في المدرسة، وقد أعلن رئيس البوليس الرسمي قبل أيّام تأييده لآية الله خادمي، ولكن هناك خوف من أن يكون هذا التأييد خدعة.

والمقبوض عليهم من قبل البوليس الإسلامي يحاكمون في محاكم إسلاميّة طبق الشريعة.

أحد حوادث الإخلال بالأمن الذي استطاع البوليس الإسلامي أن يعتقل فاعله، هو أنّ أحد الأميركيّين الذين كانوا يشتغلون في إحدى الشركات الصناعيّة، واسمه الفونسو دوررللو تشاجر مع أحد سائقي السيّارات حول الأجرة، فأطلق الأميركي عليه الرصاص وجرحه، فاعتقله البوليس الإسلامي بعد عدّة ساعات من الفندق الذي كان نزيله، وحاكمه طبق قوانين الإسلام.

أمّا بالنسبة للسرقة فهي على قسمين:

الأوّل: هو الذي يسرق عن حاجة إلى المال المسروق، فهذا يسترجع منه المال وتقدّم له مساعدة، ثمّ يطلق سراحه بعد تنبيهه وتهديده.

الثاني: السارق المحترف، فإنّه يجلد أوّلاً وثانياً، وفي المرّة الثالثة تقطع أصابعه.

وتوجد أيضاً القوّة الخاصّة، وهي منفصلة عن البوليس الإسلامي، وعملها تنظيم المظاهرات والمهرجانات، وهي مؤلّفة من خمس فرق:

الفرقة الأولى: تتألّف من سبعمائة شخص، مهمّتها تنظيم المظاهرات ومنع الفوضى.

الفرقة الثانية: عددها ثلاث مائة شخص، وشغلها تشخيص العناصر المشبوهة، وكشف عناصر السافاك والذين هم ضدّ الثورة.

الفرقة الثالثة: عددها ألف وأربع مائة رجل، وثماني مائة امرأة، ومهمّتها التبليغ والإرشاد والتوعية السياسيّة.

الفرقة الرابعة: عددها مائة شخص، وهم يتولّون تنظيم وكتابة الشعارات، وقد زُوّدوا بمكبّرات الصوت للهتاف في المظاهرات.

الفرقة الخامسة: عددها ثلاث مائة وخمسون رجلاً مسلّحون بمسدّسات لحفظ الأمن في المظاهرات، ولاعتقال العناصر المشبوهة.

ومع أنّ البلاد في حالة ثورة، فإنّ المدينة هادئة، وعند اشتداد ظلام الليل يتمركز أفراد البوليس الإسلامي والحرس الثوري في جميع نقاط المدينة للحراسة ومراقبة المشبوهين، وكلّ الأمور تسير بنظام وهدوء. انتهى ملخّصاً.

وكتب عنه بعض كبار أدباء أصفهان[1] تحت عنوان: من هو آية الله خادمي، ما يلي:

آية الله خادمي رجل مجاهد، جاهد سنين طويلةً ضدّ نظام الباطل، وضدّ طغيان النظام الملكي البهلوي، ولأجل إحلال النظام الإسلامي.

يبلغ من العمر ثمانين سنة، ويعدّ من المراجع الأُوَل، وهو قبل سنة من انتصار الثورة وإلى الآن يشتغل يوميّاً ثماني عشرة ساعة لأجل السهر على الثورة وإيصالها إلى النصر.

مواقفه البطوليّة ضدّ محمّد رضا بهلوي كانت قلعة من قلاع الثورة، لم يهب السافاك الذي كان يهدّده دائماً بالقتل.

في إحدى مواقفه الخطابيّة، هجم رجال الشاه المرتزقة وفتحوا نيرانهم على الجماهير المحتشدة، فأخذ الناس يهرولون لكي يجدوا لهم ملجأً يحتمون به لكن آية الله خادمي بقي صامداً في مكانه يخطب غير مكترث بما يراه من النيران وشبح الموت.

---

١. لم نتمكّن من معرفة اسمه مع الأسف.

وعندما أعلنت فرقة من القوى الجويّة انضمامها إلى صفوف الثورة، ذهب آية الله إليهم وهم معرّضون لخطر المهاجمة، وأخذ ينادي بهم: إنّنا صامدون حتّى النصر، لا نهاب الموت، ولن نفاوض أبداً.

ولمّا اعتقل الإمام الخميني في المرّة الأُولى تجمّع العلماء من جميع أنحاء إيران، وذهبوا إلى طهران يناشدون النظام الغاشم الإفراج عن الإمام، فكان آية الله خادمي من الطليعة فيهم، حيث جاء ممثّلاً عن أصفهان.

أقول: ذهبت في شعبان سنة ١٣٩٩ إلى أصفهان، حيث وردت عليه، وأراني ما هو أهله ومحلّه من الأخلاق العالية ومن اللطف والعناية، وشاهدت هناك مظاهر العظمة والإجلال التي تحيطه، حيث كانت ترد عليه الوفود تلو الوفود من جميع الطبقات رجالاً ونساءً، شيباً وشبّاناً، ورأيت أيضاً مظهر التفخيم له في خروجه إلى الصلاة وعند دخوله إلى المسجد، وحضرت بخدمته مهرجاناً فخماً أُقيم في أحد ميادين أصفهان حضره أهل المدينة بأجمعهم من رجال ونساء، وقد تجلّى في هذا الاجتماع مقامه السامي ومنزلته الرفيعة، وقد توفّي ﷺ.

له من الأولاد الذكور ستّة:

أوّلهم: السيّد محمّد ولد في ١٢ محرّم سنة ١٣٤٣ وهو فاضل كامل أديب أريب، حييّ نجيب كريم الأخلاق، له من الأولاد أربعة: محمّد باقر ولد سنة ١٣٦٨، وناصر ولد سنة ١٣٧٤، ومنصور ولد في ١٢ المحرّم سنة ١٣٨٣، ومحمود ولد في ٢٩ ربيع الثاني سنة ١٣٨٤.

ثانيهم: السيّد عليّ ولد في ٢٤ المحرّم سنة ١٣٥٦، وهو من خيرة الرجال مكارم أخلاق ونبل صفات، يحمل شهادة الدكتوراه في هندسة البناء، له ولدان: عبّاس ولد سنة ١٣٨٧، وأمير عليّ ولد سنة ١٣٨٩.

ثالثهم: السيّد محمّد رضا ولد في رجب سنة ١٣٦٥، وهو حائز على شهادة الدكتوراه في الطبّ، له ولد يدعى أمير حسين ولد في رمضان سنة ١٣٩٨.

رابعهم: السيّد محمّد تقيّ ولد في صفر سنة ١٣٦٩، وهو يدرّس في إحدى جامعات أمريكا.

خامسهم: السيّد محمّد عليّ ولد في جمادى الثانية سنة ١٣٧٥، له بنت واحدة.

سادسهم: السيّد محمّد مهديّ ولد في ١٥ شوّال سنة ١٣٨١.

وهما من أهل الهدي والاستقامة والسمت والصلاح، يشتغلان بتحصيل العلوم الدينيّة، وفّقهما الله، وأحيا بهما مجد آبائهما.

[٧] السيّد أبو الحسن الصدر

وقد ترجمه الأديب الفاضل الشيخ عليّ الخاقاني[١] في شعراء بغداد ج ١ ص ٢٠٥ وما بعدها فقال: عالم جليل، وأديب رقيق، وشاعر مجيد.

آل الصدر من الأسر العلويّة والعلميّة الشهيرة في العراق، وقد كان موطنها الأوّل في بغداد وكربلاء، وتعرف يومذاك بآل الحسين القطعي، ومن هذه الأسر العلمان الشهيران الشريفان المرتضى والرضي، ويجمعهم جدّ واحد، هو موسى أبو سبحة، وأسرة آل الصدر تنتسب إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

بقي أفراد هذه الأسرة في كربلا، وقد هاجر بعضهم إلى جبل عامل، وقد عرفوا بآل شرف الدين، نسبةً إلى العلّامة الكبير السيّد إبراهيم الملقّب بشرف الدين، ولا يزال قسم من أولاده يقيمون هناك. وقد رجع إلى العراق حفيده صالح بن محمّد على أثر اشتداد طغيان الجزّار حاكم عكّا؛ حيث عاث فساداً وطغى وبغى، فلم ير السيّد صالح بدّاً من الهجرة، فتوطّن النجف، وبقي فيها يتمتّع بالمرجعيّة، وبالحلقات التي يعقدها لطلّابه، وممّا ميّز هذه الأسرة أنّ سلسلة أجدادها لم يخل عصر منهم من مجتهد عادل.

ظهر منها أعلام شاركوا في خدمة العلم والأدب، وأضافوا إلى المكتبة العربيّة كتباً قيّمةً، كالحجّتين السيّد إسماعيل الصدر، وابن عمّه السيّد حسن الصدر المؤلّف الشهير، الذي قلّ أن يأتي الزمن بمثله عالماً عاملاً، وآثاره التي بلغت المائة في مختلف العلوم، ودلّتنا على ما بذل من جهود خالدة نافعة.

---

١. كاتب أديب وباحث مؤرّخ، ولد سنة ١٣٣٠ في النجف الأشرف، وقد أصدر فيها مجلّة البيان، وله عدّة مؤلّفات منها: شعراء الغريّ، وشعراء كربلا، وشعراء الحلّة، وغيرها من السلاسل. توفّي سنة ١٣٩٩.

ولد السيّد أبو الحسن في الكاظميّة عام ١٣١٨، وبها نشأ على والده، فعني بتربيته ولقّنه مبادئ العلوم، واختلف على أعمامه فانتهل من نميرهم، ثمّ أخذ يتنقّل بين النجف والكاظميّة، ومكث في النجف مدّةً اتّصل خلالها بحلقات أعلام العصر.

حصلت لي معه صحبة أكيدة خلال توطّني في الكاظميّة، وكان السبب فيها يرجع إلى خلقه الدمث، وعلمه وآرائه الصائبة، وكنت آنس في حديثه، وأتلذّذ بأسلوبه ولهجته، وكان مرح النفس، طيّب الروح، بهيّ الصورة، محتشم الشخصيّة، وكان في دعابته البريئة، وفي نكته المليحة، وكلمه المشبع يأنس به كلّ جليس، وكنت أجتمع معه يوميّاً عندما يفرغ من أداء صلاة العشاء، حيث كان يأتم به فريق كبير من أخيار الكاظميّة، وكان مجلسه لا يشعر الجليس بطوله إذا حلّ به، حيث يتجوّل في حديثه، ويستعرض كثيراً من الصور والخواطر، وهو على طريقة السلف عنيف في جدّه، لا يدع مجالاً للمناقشة، ولا يستفيد السامع من طريقته، لو لم يكن فصيح العبارة في نطقه، كما كنت أشاهده وأجتمع معه في كثير من أندية الكاظميّة، ومجالسها وفي بيوت آل الصدر.

وفي عام ١٩٤٧م على ما أتذكّر: قام بزيارة للإمام عليّ بن موسى عليه السلام في خراسان، وتجوّل في مختلف بلدان إيران، وكانت من بينها أصفهان، وكان له فيها أصدقاء معجبون بفضله، فالتمسوا منه البقاء فيها؛ للتزوّد من علمه وفضله، والاستئناس بحديثه، فلبّى رغبتهم، ومكث فيها إلى اليوم، يأتمّ به جمع غفير في الصلاة في أحد مساجدها، وقد التزم الوعظ عقب صلاة العشاء من كلّ ليلة، وبعده تؤلف حلقة حلقة من أفاضل البلد للبحث والمناظرة، وقد علمت أنّه لا يزال يفكّر بجدّ في العودة إلى وطنه العراق، وبلده الكاظميّة الذي يحنّ إليه في حديثه ورسائله.

وأبو الحسن قال الشعر وأجاد في أكثره وهو مقلّ، وشأن المقلّ أن يجيده ومن شعره هذه القصيدة، وقد بعث بها إلى صديقه العلّامة المجاهد الشيخ عبد الله السبيتي عام ١٣٦٤، وفيها يتشوّق إلى النجف الأشرف، بقوله:

هل لي إلى أرض الغريّ سبيلُ ... فأقيم فيها والمقام جميلُ

وأشمّ من عبقات مسك ترابها ... ماينعش الإنسان وهو عليلُ

ويكـون لي فـي ربـعها متجوّل ... وتـــجرّ لي فـيها قـنـاً وذيــولُ
هــل أوبـة لي نـحو ذيّـاك الحمى ... مســـتوطناً فـيه ولست أحـولُ
هــل يأت يـوم بـالغريّ يكـون لي ... فـــي مـنتداهــا مـوئل ومـقيلُ
قد سرت عنها يوم سرت وفي الحشا ... ضـــرم وفـي القـلب العـليل غـليلُ
والصـدر يـجهش بـالبكاء وأدمـعي ... مــــنهلّة فـوق الخــدود تسـيلُ
مــا زلت أنــظر نـحوها مـتلفّتاً ... حــتّى اختفت منها علـيّ طـلولُ
إن رحت يــوماً نــائياً عـنها فـلي ... قـلب هـناك يـقيم ليس يـزولُ
لم تـصبني عـنها الظـباء سـوانحاً ... كـــلّا ولا رشأ أغـــنّ كـحيلُ



أهـواك يـا أرض الغـريّ ولست عـن ... حــبّي لمــغناك الزكــيّ أزولُ
لو أسـتطيع سـقيت ربـعك وابـلاً ... مـن مـدمعي الجـاري وذاك قـليلُ
لو كــنت أمـلك اخـتيار إرادتـي ... مـا كـان لي عـنك الغـداة رحـيلُ
أو كـــان خـيّرني الزمــان بُـرَيهة ... مـا كـان لي غـير الغـريّ قـبولُ
قــد بتّ أشكـو للـزمان غـرامـها ... لكـــنّما ســمع الزمـــان ثـقيلُ
أتــرى يـجود الدهــر لي بـوصالها ... كـــلّا فـدهرك بـالوصال بـخيلُ
كــم رام مـنّي العـاذلون سـلوّها ... فـعصيتهم فـيها وخـاب عـذولُ
أم كـيف أسـلو حين صـار لحبّها ... بــين الضـلوع الواريـات حـلولُ



يـا صـاح هـل سـيّارة فتقلني ... نـحو الغـريّ تسـير ليس تـميلُ
وتسير بي حتّى إذا بـانت لـها الأ ... عـلام مـن قـرب وحـان وصـولُ
سـلّمت تسـليم البشـاشة معلناً ... بـالأمس إذ قـد نـجز المسؤولُ



أأبا الأمير إليك أشكو لوعةً ... في القلب لا زالت وليس تزولُ
أهواك يا ابن الأكرمين وإنّني ... عن شخصك المحبوب لست أميلُ
جبل الفؤاد على ودادك يا أخي ... أو كيف يسلو ذلك المجبولُ
ذكراك وِرد لا يفارق مقولي ... ما لي سواه في اللسان مقولُ
أنت الحبيب لقلبي المضنى بلى ... أنت الحبيب له وأنت خليلُ
إن طال ليلي في نواك فما به ... عجبٌ فليل العاشقين طويلُ
والحبّ ما بيني وبينك قسمة ... متبادل أبداً وليس يزولُ
إنّي على الودّ القديم محافظٌ ... أبداً وما أنا في الوداد ملولُ
قلبي لديكم في الغريّ وما له ... عنكم وعن ذاك الحمى تحويلُ

❊ ❊ ❊

أمجاور الذكوات أنت من الهوى ... خلو وإنّي في هواك قتيلُ
فليهن قلبك إنّه في صحّة ... لكن لقلبي الويل فهو عليلُ
أصلى جحيماً في نواك وليس لي ... نحو النجاة مساعد ودليلُ
لله قلب لي يشبّ ضرامةً ... شوقاً ودمع في الخدود همولُ
لو كان يجديني العويل لطبّق الأر ... جاء منّي رنّة وعويلُ
حدّثت نفسي بالوصال تعلّة ... هيهات ينفع في الهوى تعليلُ

❊ ❊ ❊

ما للزمان أراه يغمز صعدتي ... ويقوم في وجهي حيث أميلُ
أضحى يعاكسني ودون مطالبي ... ومآربي ومناي بات يحولُ
يجري اعوجاجاً ضدّ ما أنا آمل ... أبداً ولا يرجى له تعديلُ
الدهر في أبنائه متفاوت الأ ... طوار يعدل تارةً ويميلُ
لكن لحظّي منه وافر حيفه ... أبداً وأمّا العدل لي فقليلُ

انتهى.

[٨] السيّد محمّد بن السيّد محمّد صادق الصدر

أعقب ولداً واحداً، هو السيّد محمّد، ولد في ١٧ ربيع الأوّل سنة ١٣٦٢، وقد دخل في مسلك العلوم الدينيّة في سنّ الحادية عشرة من عمره، ودرس السطوح على جماعة من فضلاء الحوزة، ثمّ دخل كلّيّة الفقه في النجف الأشرف، وتخرّج منها سنة ١٣٨٤، وبعد ذلك حضر بحوث الخارج على أعلام الحوزة فقهاً وأُصولاً، وهم كلّ من الآيات العظام: السيّد محسن الحكيم ﷺ والسيّد أبوالقاسم الخوئي، والسيّد روح الله الخميني، والسيّد محمّد باقر الصدرﷺ وحضر بحثاً فقهيّاً استدلاليّاً على الفقيه الحجّة السيّد إسماعيل الصدر، عليه الرحمة. وقد سطع نجمه، ولمع اسمه في الأندية العلميّة، وأصبح مرموقاً في وسطه، مشاراً إليه بالفضل، مقدّراً عند أساتيذه وغيرهم، والحقّ أنّي رأيته من خيرة شباب هذا الجيل، فهو مفخرة من مفاخر السادة الذين يرفعون الرأس عالياً بنبوغهم وعلمهم، ويملؤون العين بسموّ أخلاقهم وعلوّ صفاتهم، وبهاء طلعتهم.

وقد انتدب للتدريس في مدرسة العلوم الإسلاميّة للإمام الحكيم، في النجف الأشرف، وذلك سنة ١٣٨٦، فصار يدرّس فيها، ويفيض عليها من علومه، ويغذقها من معارفه.

وعلاوةً على ذلك هو كاتب مجيد، من أهل الأقلام العالية، ذو حظّ وافر من البراعة في الإنشاء والكتابة والنظم، له عدّة مؤلّفات تدلّ على قلم سيّال، ومكانة في الفكر والبحث والتحقيق، طبع منها: ١ـ نظرات إسلامية في إعلان حقوق الإنسان. ٢ـ أشعة من عقائد الإسلام. ٣ـ القانون الإسلامي، «وجوده، صعوباته، منهجه». ٤ـ فلسفة الحجّ ومصالحه في الإسلام. ٥ـ كتاب تأريخ الغيبة الصغرى. وكتاب تأريخ الغيبة الكبرى، يزيد كلّ منهما على ٧٠٠ صفحة.

وله غير ذلك مقالات وبحوث إسلاميّة كثيرة في مختلف المجلّات.

له عدّة مشايخ لإجازة الرواية، أعلاها إجازة العلّامة الحجّة الشيخ آقا بزرك الطهرانيﷺ ومنها: إجازات كلّ من آية الله العظمى الشيخ مرتضى آل ياسين ـ دام ظلّه ـ ووالده العلّامة

السيّد محمّد صادق، والعلّامة السيّد حسن الخرسان الموسوي[1]، والعلّامة السيّد عبد الرزّاق المقرم عليهم الرحمة.

ومن شعره قوله في أبيه من قصيدة:

أبي يا عظيم المجد والمجد مقبلُ ومن هو في أُفق المكارم أوّلُ
ويا غرّة الشمس المضيئة في الضحى ويا بدر تمّ للمعلى ليس يأفلُ
بك افتخر المجد العظيم مهابةً ففضلك من جمّ الفضائلِ أفضل
وفاخر فيك العصر سابق عهده وآتيه والفخر بالحقّ يجملُ
سطعت فحوّلت الدجى بارق الضحى بأنوار قدس بين جنبيك تحملُ
وأذعنت الأيّام والدهر والورى بمجد له هام السماوات منزلُ
سموت على ما الفرقدان وما السها واخفض بها إن قارن المتأمّلُ
شأوت بقدس النفس والطهر والصفا إلى موقف يكبو به المتعجّلُ
إلى الله في نور الهداية خالد وفي ومضات السرمديّة مشعلُ
لكي تحرق النفس العظيمة بالتقى وقلباً لرفع الحقّ والخير يعملُ
فلو وزّع الخير الذي أنت أهله على الناس قد نالوا الذي هو أفضلُ
ولو قبسوا التقوى إذن لرأيتهم بمسجدهم صلّوا وصاموا وأقبلوا
ولو وزّعت آيات زهدك فيهم لمصّوا الحصى حبّاً به وتبتّلوا
فقد فزت بالقدح المعلّى مكارماً واعزز به مجداً من الله ينزلُ

له من الأولاد أربعة، وهم: مصطفى ولد في ٢٣ شعبان سنة ١٣٨٤ وله ولدان: أحمد ولد في ٦ ربيع الثاني سنة ١٤٠٠، وصادق ولد في ١ شعبان سنة ١٤١٢، ومرتضى ولد في ١٩ ذي الحجّة سنة ١٣٨٧، ومؤمّل ولد في ٢٩ ذي الحجّة سنة ١٣٩٠، وله ولد اسمه عليّ ولد في ١٧ ذي الحجّة سنة ١٤١٣، ومقتدى ولد في ١٣ رجب سنة ١٣٩٤.

---

١. ولد سنة ١٣٢٢ وهو فقيه جليل وورع تقيّ، له مؤلّفات منها: شرح مشيخة الفقيه.

وأمّا السيّد محمّد جعفر ـ ابن السيّد محمّد مهديّ ـ المدعوّ: حاجّ آغا، فقد ولد ليلة عرفة سنة ١٣٢٥.[١] وهو من السادة المحترمين، منصرف إلى الكسب، ابتغاءً للرزق الحلال.

له من الأولاد اثنان:

أوّلهما: السيّد محمّد مهديّ الذي ولد في ٢١ شوّال سنة ١٣٦١، وهو ممتاز بين أقرانه بحدّة الذكاء، وتوقّد الذهن. أنهى دراسته الجامعيّة سنة ١٣٨٧، وعيّن في العام نفسه معيداً في كلّيّة الآداب قسم الصحافة.

وهو يجيد اللغتين: الفرنسيّة والإنكليزيّة. مارس الكتابة وتحرير الأركان الأدبيّة في الصحف العراقيّة، منها جريدة الشعب، وجريدة البلاد.

وهو شاعر أديب، يمارس قرض الشعر بلونيه القديم والحديث، وينظم الشعر باللغة الفرنسيّة أيضاً، وله فيها قصائد، حيث إنّه يجيدها ويجيد اللغة الإنكليزيّة أيضاً.

وله هذه المقطوعة من الشعر العمودي ـ القديم ـ تحت عنوان: الحبّ الأفيون:

صومعتي أنت ومحرابي ... ولهاث الرغبة في غابي

ما زلت ربيعاً مؤتلقاً ... كالحلم يلوّن أهدابي

من دونك أحيا منسيّاً ... منبوذاً بين الأغرابِ

تنكرني إن غبت دروبي ... تنكرني حتّى أثوابي

الضوء مريض منتحر ... هل أبحر من غير شهابِ

قنديلي أنت فهل أخشى ... إذ أسرج في البحر ركابي

داهمني حبّك فانهمرت ... أشواق الطيب بأكوابي

قمر يرتفّ على أُفقي ... فارقص يا مرج اللبلابِ

أنا صحو الصحو أنا بحر ... أنا خفقة ضوءٍ منسابِ

أهواك وعندي من حبّي ... ما يكفي كلّ الأحبابِ

---

١. توفّي ﷺ سنة ١٤٠٦.

للشمس وهبت مسافاتي ما عادت موصدةً بابي
حبّك أفيون أدمنه أحرقني أحرق أعصابي

ثانيهما: السيّد سلام ـ بن السيّد محمّد جعفر ـ ولد ليلة ٤ ربيع الثاني سنة ١٣٧١، وهو على وتيرة أخيه في القابليّة والاستعداد، وقد أنهى دراسته الثانويّة، ودخل جامعة بغداد للتخصّص، وفّقه الله.

وممّا يناسب ذكره عنه وعن أخيه بإعجاب هو تمسّكهما التامّ بأهداب الدين، والتزامهما بتعاليمه المثلى حفظهما الله وكثّر من أمثالهما.

[٩] السيّد رضا الصدر

وقد انتقل في ليلة ١٨ ربيع سنة ١٣٨٧ إلى طهران وصار معدوداً فيها من أعلامها الكبار، وشخصيّاتها الفذّة، ذا جاه كبير، ومنزلة رفيعة عند الخاصّة والعامّة، يؤمّ الجماعة في مسجد الحسين عليه السلام وهو من أفخم مساجد طهران، وللناس به وثوق تامّ، لرسوخ علمه، ووفور تقواه، ونبل صفاته، وله قدم راسخة، ويد طولى في الخطابة والوعظ، قد استغلّ موهبته هذه للدروس الأخلاقيّة، والتوجيه الديني الصحيح، فترى تحت منبره ـ في كلّ ليلة من ليالي الخميس ـ جمعاً غفيراً من الطلبة والكسبة وسائر الطبقات، يستمعون إلى إرشاداته العالية، ونصائحه القيّمة، فيكون لها أبلغ التأثير في نفوسهم، هذا عدا ما يلقيه في أغلب الليالي بعد صلاة العشاء من الدروس الدينيّة، وعدا بحوث الدراسة التي يتلقّاها عنه جمع من طلبة العلم. وقد بقي كذلك ما يقرب من عشر سنوات، ثمّ عاد إلى قمّ ليضفي[1] على الحوزة من بركات وجوده، وفيوضات علمه.

نزلت عليه في أوّل سفري إلى إيران، فرأيت من عواطفه ولطفه ومحبّته، ما يمثّل السيادة والشرف بأسمى معانيها.

---

١. ضَفَا الحوضُ ونحوه: فاضَ. ويقال: فلانٌ ضافي الفضل ونحوه. المعجم الوسيط: ٥٤٢، «ض. ف. ا».

وله من المؤلّفات ما يلي:

١ ـ تقريرات بحث والده، وهي دورة كاملة في الأُصول.

٢ ـ رسالة في نفي الضرر والضرار.

٣ ـ رسالة في ولاية الفقيه.

٤ ـ رسالة في تقريرات بحث السيّد محمّد الحجّة في الأصول.

٥ ـ شب پنج شنبه فارسي في الأخلاق، طبع في جزأين.

٦ ـ زن وآزادي فارسي مطبوع، ومعناه المرأة والحريّة، وقد أثبت فيه عدم جواز تساوي حقوقها السياسيّة بالرجل في دين الإسلام.

٧ ـ تفسير سورة الحجرات بالفارسيّة.

٨ ـ حاشية على خلاصة الفصول.

٩ ـ حاشية على شرح منظومة السبزواري في الحكمة.

١٠ ـ ترجمة كتاب بطلة كربلاء لبنت الشاطيء بالفارسيّة، مطبوع.

١١ ـ كتاب في صاحب الزمان عليه السلام.

١٢ ـ كتاب في الخواجة نصير الدين الطوسي.

١٣ ـ الحكم والأمثال بالفارسيّة.

١٤ ـ شرح رسالة الحقوق.

١٥ ـ ملاقاة، في حكم ملاقي أحد أطراف الشبهة المحصورة.

١٦ ـ معجم مدرسي في اللغة العربيّة والفارسيّة.

وقد توفّي في ٢٨ جمادى الأُولى سنة ١٤١٥، وشيّع تشييعاً حافلاً يليق بمكانته، ودفن في إحدى حجر الصحن الشريف بقمّ، تغمّده الله برحمته.

وله ثلاثة أولاد، وهم: السيّد كاظم، والسيّد محمّد، والسيّد مهديّ.

أمّا السيّد كاظم فقد ولد في ١٣ رجب سنة ١٣٦٥، وهو من الشباب النجيب، ذو عفّة وحياء وأخلاق تخرّج من الجامعة الأميركيّة في بيروت بدرجة ماجستير في الهندسة

الزراعيّة ثمّ ذهب إلى أميركا، ونال درجة الدكتوراه من جامعة ولاية أوهايو[1] في مدينة كولومبوس[2] ثمّ عاد إلى إيران ليباشر عمله وفّقه الله. وله بنت واحدة.

أمّا السيّد محمّد فقد ولد في ١٣ ذي الحجّة سنة ١٣٧٠، وهو من الشباب الأحرار المتنوّرين، ذو شهامة وجرأة ونخوة، له مواقف مقدّرة تشهد له بذلك، فقد اشترك مع رفقائه من الشباب المتديّن الواعي ضدّ نظام الشاه العميل، ممّا أدّى إلى اعتقاله مراراً من قبل منظمة السافاك المجرمة، حيث آذوه وعذّبوه كثيراً، جزاه الله أجر الصابرين والمجاهدين.

حاز على شهادة ماجستير في الصيدليّة من جامعة طهران وهو الآن مدير عامّ وزارة الخارجيّة.

له ولدان: الأوّل اسمه عليّ، ولد في ١٥ جمادى الأُولى سنة ١٤٠٢. والثاني اسمه حسين.

أمّا السيّد مهديّ فقد ولد في ١٢ شوّال سنة ١٣٧٨، وهو من الشباب النجيب الطيّب، مجاز في الاقتصاد من جامعة طهران، وقد مال به هديه إلى درس العلوم الشرعيّة، فشرع بذلك عند الحجّة أبيه وفّقه الله.



[١٠] السيّد جمال الدين الواعظ الأصفهاني

و ترجمه الدكتور مهديّ بامداد[3] في شرح حال رجال إيران ص ٢٥٥ من ج ١ فقال ما تعريبه:

السيّد جمال الدين الواعظ الأصفهاني ابن السيّد عيسى بن السيّد محمّد علي العاملي اللبناني.

---

١. أُوهايو: ولاية أمريكيّة بالشمال الشرقي من وسط الولايات المتّحدة، وهي منطقة صناعيّة هامّة، من أغنى المناطق الصناعيّة بالولايات المتّحدة. ومن مصنوعاتها الرئيسيّة السيّارات.... راجع الموسوعة العربيّة الميسّرة ١: ٢٧٤.

٢. كولومبوس: اسم أُطلق على عدّة مدن بالولايات المتّحدة، منها: مدينة بوسط ولاية أُهايو ـ عاصمة الولاية ـ تقع عند ملتقى نهري سيوتو وأُولنتاجي، وهي مركز صناعي نشط ينتج الأسلحة الحربيّة والآلات الثقيلة وغير ذلك، كما أنّها مركز ثقافي هامّ يضمّ جامعة ولاية أُهايو. راجع الموسوعة العربيّة الميسّرة ٢: ١٥١١.

٣. صحفي فاضل قدير من رجال الوطنيّة ومؤرّخ بحّاثة واسع الإطّلاع والتتبّع. (للمزيد راجع فرهنگ رجال معاصر إيران ٢: ٢٨٧).

ولد في همدان سنة ١٢٧٩، وقد توفّي أبوه وهو رضيع، وبعد عدّة سنين جاءت بـه أُمّـه إلى طهران، فتعلّم في مدارسها إلى سنّ الثانية والعشرين من عمره، حيث ذهب إلى أصفهان وانخرط في زمرة أهل المنابر فتمرّن على الخطابة والوعظ حتّى صار يعدّ من وعّاظ أصفهان الأُول، وكـان يتعرّض أحياناً على المنبر للقدح في الحكومة، فخاف لهذا السبب أن يتعرّض له ظـلّ السـلطان [1]، فخرج في شهر المحرّم من أصفهان مع رفيقه الميرزا نصر الله البهشتي المعروف بملك المتكلّمين [2] فقد ذهب إلى تبريز، وجعل يرقى المنبر فيها في مجالس العزاء التي تعقد في شهري المحرّم وصفر، وبعد ذلك بيّن بعض الأشخاص لظلّ السلطان مواهبه وما يمكن أن يستفاد منها.

فلمّا رجع المترجم إلى أصفهان أولاه ظلّ السلطان عنايته ورعايته، فخلع عليه ومنحه لقب «صدر الواعظين».

ثمّ ذهب ثانياً إلى تبريز، ونال عنايةً خاصّةً من محمّد عليّ شاه [3] وكان وليّاً للعهد آنذاك، وأعطاه: «لقب صدر المحقّقين».

ثمّ جاء بعد ذلك إلى طهران وبقيت روابطه مع ظلّ السلطان حسنة إلى وقت انتشار كتاب رؤياي صادقة الذي اشترك في تأليفه مع الشيخ أحمد الكـرماني [4]، والمـيرزا نـصر الله مـلك

١. هو مسعود ميرزا رابع أبناء ناصر الدين شاه، ولد سنة ١٢٦٦، وقد تولّى الحكم أوّل أمره في أصفهان وشيراز ثمّ ضمّت إليها عدّة مناطق فكان مطلق النفوذ هناك، ثمّ تولّى بعد ذلك الحكم في كثير من مناطق إيران، توفّي سنة ١٣٣٦. انتهى ملخّصاً عن شرح حال رجال إيران ج ٤ ص ٧٨.

٢. كان يعدّ في الطراز الأوّل بين وعّاظ وخطباء إيران، حسن الصوت جدّاً، ولد في أصفهان سنة ١٢٧٧، وقد أدناه سالار الدولة والي لورستان في هيئة حكومته، وصار بيده الحلّ والنفوذ في كثير من الأُمور، ثمّ صار بعدها من أنصار الدستور وخطبائه، فأمر به محمّد عليّ شاه فقتل سنة ١٣٢٦. انتهى ملخّصاً عن شرح حال رجال إيران: ج ٤ ص ٣٤٦.

٣. هو ابن مظفّر الدين شاه كان ذا دهاء وذكاء، كما كان أديباً وكاتباً ذا قلم رفيع، ولد سنة ١٢٨٩ وتولّى السـلطنة بعد وفاة أبيه سنة ١٣٢٣، وفي تلك الفترة كان مشروع إدخال الدستور في الدولة فعارض ذلك، وجرى بينه وبين أنصار الدستور خلاف شديد أدّى إلى فتن ومـعارك بـينهما انـتهت بـخروجه إلى أوربـا سـنة ١٣٢٧، وتـوفّي سنة ١٣٤٣. انتهى عن شرح حال رجال إيران ج ٣ ص ٤٣٣.

٤. الشيخ أحمد بن ملّا حافظ العقيلي الكرماني كان متبحّراً في الأدب الفـارسي والعـربي نـثراً ونـظماً كـما كـان خطّاطاً ماهراً، توفّي سنة ١٣٢٩. انتهى عن الذريعة ج ٩ ص ٦٥.

المتكلّمين، فتغيّر عليه ظلّ السلطان كثيراً، وصمّم على قتله بمجرّد مجيئه إلى أصفهان. لكنّه لم يأت إلى أصفهان بل بقي في طهران. وكان يرقى المنبر في مسجد شاه ويعظ مستمعيه، فقد كان الشخص الأوّل في من طلاقة اللسان، خاصّةً في تفهيم العوام.

وفي أواخر سلطنة مظفّر الدين شاه[١] في سنة ١٣٢٣ رفع بعض تجّار طهران سعر السكّر، فأمر حاكم طهران أحمد خان علاء الدولة بإحضارهم فأُحضروا أمامه وأمر بهم فجلدوا، فأثار ذلك غضب باقي تجّار طهران فأقفلوا أسواق طهران احتجاجاً على هذا العمل، وتجمهر الناس في مسجد شاه، وقد حضر هذا الاجتماع عدّة من العلماء، كالسيّد عبد الله البهبهاني[٢] والسيّد محمّد سنكلجي الطباطبائي[٣].

وكان المترجم له من جملة الحضور، حيث صعد المنبر وجعل يندّد[٤] بالحكومة ويحرّض عليها بخطاباته المهيّجة، فعارضه السيّد أبو القاسم إمام الجمعة وكان صهراً للشاه ومناصراً للدولة، وقد جابهه المذكور بالتُهَم والشتائم وكاد أن يقبض على المترجم له، فعَلَت الضجّة

---

١. هو ابن ناصر الدين شاه ولد سنة ١٢٦٩ وكان ضعيف النفس غير حازم في الأمور، وقد أدّت هذه الحالة به إلى أن طمع فيه رجال البلاط حيث جعلوه آلةً في أيديهم، دامت سلطنته بعد أبيه أحد عشر عاماً، وتوفّي سنة ١٣٢٤. انتهى ملخّصاً عن شرح حال رجال إيران ج ٤ ص ١٢٠.

٢. هو السيّد عبد الله بن السيّد إسماعيل بن نصر الله بن محمّد شفيع بن يوسف بن حسين بن عبد الله البلادي بن علوي بن حسين بن حسن بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن خميس بن أحمد بن ناصر بن عليّ كمال الدين بن سليمان بن جعفر بن أبي العشائر موسى بن أبي الحمراء محمّد بن عليّ الطاهر بن عليّ الضخم بن الحسن بن محمّد الحائري بن إبراهيم المجاب بن محمّد العابد بن الإمام موسى الكاظم٧ عالم كبير وزعيم معروف، ولد سنة ١٢٥٦ وكان له كلمة مسموعة ونفوذ واسع في الأوساط الحكوميّة والأهليّة، ولمّا جرت حوادث الانقلاب الدستوري كان من أكبر أنصار الدستور، وقد دعا إلى تطبيقه مع الأحكام الإسلاميّة فأدّى هذا إلى أن قتل غيلةً في داره سنة ١٣٢٨. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٣ ص ١١٩٣.

٣. هو الميرزا سيّد محمّد بن السيّد صادق الطباطبائي كان رجلاً مستقيم الطريقة عالي الأخلاق صافي الباطن ذا فضائل ومحاسن، ويعدّ من حماة الدستور ممّا جعله محلّ توجّه واعتناء كلّ من المجلس والشعب، كما كان له في نفوس الأحرار والمتنوّرين كلّ احترام وتقدير، توفّي سنة ١٣٣٩. انتهى عن شرح حال رجال إيران ج ٣ ص ٣٧٩ وغيره.

٤. ندّد بفلان: صرّح بعيوبه. المعجم الوسيط: ٩١٠، «ن. د. د».

والصيحة، وكان أن أخذه بعضهم إلى دار السيّد محمّد سنكلجي، «حيث تحصّن هناك»، وبعد ذلك اشتدّت المعارضة بين أنصار الدستور وبين محمّد عليّ شاه حول إدخال الدستور.

وكان المترجم له في الطليعة منهم حيث جعل يلقي الخطب الحماسيّة في المساجد ومراكز الجمعيّات، ويلهب مشاعر الناس للمطالبة بالدستور، ممّا أدّى إلى غضب محمّد عليّ شاه عليه، فذهب متخفّياً إلى الريّ، ومنها إلى همدان، وكان حاكمها يومئذ الميرزا محسن خان مظفّر الملك[1]، وله مع المترجم له صلة ومودّة سابقتان، فأطلعه السيّد جمال الدين على حقيقة حاله.

وبعد ذلك وصل الخبر إلى محمّد عليّ شاه بذلك، وكان قد عيّن في تلك الفترة أمير أفخم الهمداني حاكماً على بروجرد، فأمره بأخذ السيّد جمال الدين إلى بروجرد وحبسه هناك ففعل. وبعد ذلك علم أنّه ميّت إمّا مسموماً أو مخنوقاً. وقد كتب عنه أدوارد براون في كتابه انقلاب إيران فقال: إنّه أُخذ بعد فراره قرب همدان، وغيّر لباسه وقتل.

والواقع أنّه أُخذ من همدان إلى بروجرد، هناك قتلوه وفيها دفن.

انتهى ملخّصاً.

[١١] السيّد محمّد علي جمال زاده

وقد ترجمه في تأريخ برگزيدگان الفارسي ص ٣٨١ فقال ما تعريبه:

السيّد محمّد عليّ جمال زاده ابن السيّد جمال الدين الواعظ الأصفهاني، ولد في حدود سنة ١٣٠٩، ودرس مقدّمات العلوم أوّلاً في أصفهان، ثمّ أكمل الباقي في بيروت وفرنسا حيث نال شهادة الانتهاء هناك.

وكان في خلال الحرب العالميّة الأُولى أحد الرجال الأحرار في إيران، وله مواقف في هذا

---

١. هو ابن الملّا عبد اللطيف الطوجي تولّى الحكم في عدّة ولايات نائباً عن ظلّ السلطان كما تولّى مباشرةً، وكان ماهراً في عدّة فنون من الأدب أُستاذاً في ذلك. انتهى عن شرح حال رجال إيران ج ٣ ص ٢١٢.

السبيل معروفة في كرمانشاه وبغداد، وقد ذهب إلى برلين وأصدر فيها جريدة كاوه بمديريّة السيّد حسن تقيّ زاده[1].

وفي سنة ١٣٤٠ شرع في إصدار مجموعة أدبيّة وكان يكتب فيها عدّة من الأدباء والكتّاب قصصاً أدبيّةً لطيفةً، بأسلوب شيّق طريف، وكان عنوانها: يكى بود ويكى نبود، وترجمتها: واحد كان وواحد لم يكن، وهذا المعنى قريب من معنى الكلام الذي كان يفتتح فيه القصص قديماً، فيقول القصّاص أو القصّاصة: «كان يا ما كان يا مفتتحين الكلام».

ومن آثار المترجم له المهمّة: دار المجانين رواية فارسيّة، عمو حسينعلي، و قلتشن ديوان، و راه آب‌نامه، و نمك گنديده، وهو متوطّن في مدينة جنيف بسويسرا. انتهى.

وذكر له في الذريعة ج ١٦ ص ٢٠٩ فرهنك عوامانه، وذكر له في ص ٢١٥ فرهنك لغات عاميانه.

وترجمه شفيق غربال[2] في موسوعته: المجموعة العربيّة الميسّرة، المجلّد الأوّل ص ٦٤٠ فقال:

جمال زاده محمّد عليّ، أعظم كتّاب إيران المعاصرين تمثّل حياته الكفاح في سبيل الوطن، وهو في ذلك يتمّ سيرة أبيه السيّد جمال الدين الذي كان زعيماً سياسيّاً في مطلع القرن العشرين، والذي قاوم مظالم القاجاريّين، وطالب بالدستور وعدم تسليم إيران للمستعمرين، وقد سمّي أبوه فولتير إيران.

وصحب جمال زاده والده في تنقّلاته، وبعدما شعر باضطهاد الحكومة له بعث به أبوه إلى لبنان وهو في العاشرة من عمره، فالتحق بكلّيّة الآباء في عنطورة[3]، حيث ظهرت مواهبه الأدبيّة، فأصدر بالاشتراك مع زميل لبناني ـ وجيه خوري ـ صحيفة باللغة الفرنسيّة،

---

١. هو أحد رجال السياسة المعروفين ومشاهير الرجال الأحرار، ولد سنة ١٢٩٦ وكان يتقن عدّة لغات وعدّة فنون من العلم لا سيّما الأدب والتأريخ، وعرف بالحافظة وسعة الاطّلاع، وكان أحد أساتذة جامعة طهران، وقد انتخب نائباً عن تبريز في أغلب دورات المجلس كما تقلّد وزارة الماليّة مرّة، وعيّن سفيراً في باريس ثمّ في لندن، وبعد ذلك صار رئيساً لمجلس الأعيان، توفّي سنة ١٣٨٩. انتهى ملخّصاً عن شرح حال رجال إيران ج ٥ ص ٦٦.

٢. هو مدير معهد الدراسات العربيّة التابع لجامعة الدول العربيّة، مؤرّخ متتبّع واسع الاطّلاع.

٣. في المصدر: «عنتورة».

مخطوطة. وفيها نشر جمال زاده أشعاراً بالفرنسيّة، وهناك عرف أنّ أباه قتل مسموماً في سجن بروجرد، فكان لهذا الخبر أثر عميق في نفسه وفي توجيه مستقبله نحو مواصلة جهاد أبيه لتحرير إيران.

ترك لبنان إلى مصر ثمّ إلى سويسرا، حيث التحق بجامعة لوزان ليدرس القانون.

لقي شظف العيش، كما لقي عوناً يسيراً من أصدقائه من الشبّان الإيرانيّين الموفدين لاستكمال دراستهم في أوروبا.

واجتمع أحرار إيران في برلين بزعامة السيّد حسن تقيّ زاده يناضلون لتحرير بلادهم من ظلم القاجاريّين، ومن الاحتلال الروسي ـ الإنكليزي، وانضمّ إليهم جمال زاده الذي كان قد انتقل إلى ديجون بفرنسا وأتمّ فيها دراسة القانون.

وفي برلين أخرج جمال زاده گنج شايگان وكان أصغر جماعة برلين.

ورغبت الجامعة في إيفاد مندوب إلى بغداد، ومنها إلى كرمانشاه بإيران لتأسيس جريدة إيرانيّة، فوقع الاختيار على جمال زاده، فسافر إلى بغداد باسم مستعار ـ بيشقدم ـ ولقي في رحلته عبر استانبول مصاعب جمّةً ؛ إذ قبض عليه ثمّ أُطلق سراحه.

وبلغ بغداد وهناك التقى بالأُستاذ بور داود، وأسّسا جريدةً إيرانيّةً اسمها رستاخيز، رحل إلى كرمانشاه واتّصل بالأكراد عسى أن يلقى منهم عوناً في رسالته، وكوّن فرقة «النادريّة» ثمّ ارتحل إلى طهران يبحث عن قائد لهذه الفرقة، ولمّا لم يفلح بمسعاه، عاد إلى برلين، حيث وجد إخوانه يصدرون مجلّة كاوه وكان أوّل مقال له بها ـ حين تصبح الأُمّة رقيقاً ـ وترجم المقال إلى الألمانيّة.

وفي هذه الفترة كتب كتابه الرائع حدث ذات مرّة.

وبانتهاء الحرب العالميّة استقرّ في جنيف، حيث عيّن بمكتب العمل الدولي، وظلّ في وظيفته حتّى أُحيل إلى المعاش ممارساً الكتابة، وهو إمام الأُدباء في إيران. انتهى ملخّصاً.

وقد توفّي في ٩ رجب سنة ١٤١٨ بجنيف، فيكون قد بلغ المأة وتسع سنوات.

[١٢] الإمام السيّد حسن الصدر

وترجمه العلّامة المحقّق الحجّة الشيخ آقا بزرك الطهراني ﷺ في ج ١ من نقباء البشر ص ٤٤٥ وما بعدها فقال ما ملخّصه:

من أعاظم علماء عصره المتفنّنين. اشتهر بالصدر نسبةً إلى عمّ والده، ولد بالكاظميّة، يوم الجمعة ٢٩ رمضان ١٢٧٢ كما حدّثني به نقلاً عن خطّ والده.

ونشأ على أبيه نشأةً سامية، فبذل في تربيته جهده، وغذّاه العلم، هاجر إلى النجف وأخذ الفقه والأُصول عن جماعة من تلاميذ صاحب الجواهر والشيخ مرتضى الأنصاري حتّى نبغ في وسطه، وأُشير إلى فضله، وشهد له أساتذته بالاجتهاد.

وفي ١٢٩٧ هاجر إلى سامرّاء، فانضمّ إلى تلامذة المجدّد الشيرازي، عكف معهم على الاستفادة من علوم السيّد، وحلّ منه مكاناً سامياً، وما مضت السنون إلّا وأصبح من أركان بحثه، وعمد حوزته، ومبرّزي تلاميذ معهده، وبقي بها إلى أن توفّي أُستاذه.

وفي ١٣١٤ رجع إلى الكاظميّة فاشتغل بالتصنيف والتأليف في جميع العلوم الإسلاميّة من الفقه والأُصول، والرجال والدراية والحديث، والنسب والتأريخ والسير والتراجم، والأخلاق والحكمة والكلام، والجدل والمناظرة، والمناقب والدعاء، وغيرها من فنون العلم.

وكان طويل الباع، واسع الاطّلاع، غزير المادّة في تمام هذه العلوم مستحضراً لأغلب مطالبها، وهو من النادرين الذين جمعوا في التأليف بين الإكثار والتحقيق، فتصانيفه على كثرتها وضخامة مجلّداتها، وتعدّد أجزائها، هي الغاية في بابها، فقد كان ممعناً في تتبّع آثار المتقدّمين والمتأخّرين من الشيعة والسنّة، موغلاً في البحث عن دخائلهم، وممحّصاً لحقائقهم، ومستجلياً ما في آثارهم من الغوامض، ومستخرجاً المخبآت بتحقيقات أنيقة، وبيانات رشيقة، فقد تجاوزت تصانيفه السبعين، وكلّها نافعة جليلة، وهامّة مفيدة، وكان بالإضافة إلى ذلك على جانب عظيم من الورع والصلاح والتقوى والعبادة، والزهد والمراقبة والمجاهدة، وقد جهلت العامّة ما له من المقامات النفسيّة التي يكشف عنها بعض كتبه

الأخلاقيّة. كما أشرت إليه في ص ٣٨ من كتابي الإسناد المصفّى إلى آل بيت المصطفى.

وبالجملة: فقد كان المترجم من الأبطال الأبدال، والعبّاد الأوتاد والنوابغ الذين لا يجود بهم الزمن إلّا في فترات قليلة.

وقد عاشرته مدّةً طويلةً، فوجدته مراقباً لله، سالكاً إليه، مجاهداً للنفس، مسلّطاً عليها، وكانت بيننا مودّة كاملة، وصحبة متواصلة. وكان يهتمّ للأُمور العامّة، التي تخصّ مذهب الإماميّة، وترفع من شأنه، فقد كان كثير الإصرار عليّ والتشجيع لي في إنجاز موسوعتي الذريعة، ولمّا كملت عرضتها عليه، وقرّظها وسمّاها، كما شرحناه في جزئها الأوّل ص ٤.

وكنت أُشاطره في أعماله، وأزاول كتاباته وتآليفه، وأُساعده على بعض مهمّاته العلميّة، قضى على ذلك زمناً ليس بالقصير، كنت لا أُبارحه ولا يبارحني، وكانت المراسلة مستمرّةً بيننا إذا نأى أحدنا عن الآخر، ولم تزل رسائله عندي بالعشرات، ولم تخل واحدة منها من مطلب علمي.

وقد رجع إليه الناس في التقليد، فظهرت رسالته العمليّة رؤوس المسائل الفقهيّة، وعلّق على التبصرة ونجاة العباد والعروة الوثقى، توفّي ﷺ ببغداد ليلة ١٣٥٤/١٤/١١ وحمل إلى الكاظميّة بتشييع عظيم، حضره العلماء والعظماء وممثّل الملك والوزراء والنوّاب وسائر الطبقات.

وأحدثت وفاته دويّاً في العالم الإسلامي، ولا غرو فقد كانت الخسارة بفقده عظيمةً، والخطب جسيماً، إلّا أنّه ترك لنا ثروةً كبيرةً، وبضاعةً ثمينةً، وهي آثاره الجليلة، وتصانيفه الممتعة.

وكان ﷺ من شيوخ الإجازات في عصره، ويروي بالإجازة عنه جمع كثير من الأعلام والأجلّاء، وبما أنّه كان متبحّراً في هذا العلم، وسابراً لغوره كانت إجازاته طويلة في الغالب، ومحتوية على فوائد رجاليّة.

فمنها: إجازته للعلّامة السيّد محمّد مرتضى الجنفوري الهندي[1] الذي كتب له شيخنا

---

١. هو السيّد محمّد مرتضى بن السيّد حسن عليّ صاحب الحسيني الجنفوري، من أفاضل علماء الهند وأعيانهم، له مؤلّفات كثيرة، توفّي سنة ١٣٣٧.

النوري اللؤلؤ والمرجان، سمّى المترجم إجازته بغية الوعاة في طرق طبقات مشايخ الإجازات، وهي مفصّلة.

ومنها: إجازته للشيخ مهديّ[1] بن الشيخ محمّد عليّ ثقة الإسلام الأصفهاني[2]، سمّاها اللمعة المهديّة إلى الطرق العليّة.

ومنها: إجازته المفصّلة التي كتبها للمؤلف عفي عنه في ١٣٣٠ وهي كبيرة، ذات فوائد جليلة وتزيد على ثلاثة آلاف بيت، وقد استنسخها لأهمّيّتها جمع من الأعلام، كالحجّة الميرزا محمّد العسكري، والعلّامة السيّد عليّ مدد القائني[3]، والسيّد عبد الرزّاق المقرم[4] وغيرهم، فرحمه الله رحمةً واسعةً. انتهى ملخّصاً[5].

وترجمه العلّامة المحدّث الشيخ عبّاس القمّي عليه الرحمة في منتهى الآمال ج ٢[6] ونقله عنه المؤرّخ المتتبّع الشيخ محمّد شريف الرازي في موسوعته گنجينهٔ دانشمندان الفارسي ج ١ ص ٣٣٠، وهو مايلي:

آل صدر الدين من أشرف بيوت العلويّين، وأعرقهم في الأصالة والنجابة، وقد نبغ فيهم

---

١. كان من علماء أصفهان، وأئمّة الجماعة فيها. ولد سنة ١٢٩٨، وكان أديباً شاعراً بالفارسيّة وله عدّة مؤلّفات علميّة وأدبيّة. توفّي سنة ١٣٩٣.

٢. هو الشيخ محمّد عليّ بن الشيخ محمّد باقر بن الشيخ محمّد تقيّ صاحب حاشية المعالم من الفقهاء المتبحّرين، والعلماء الكاملين، وذوي التقوى والورع، ولد عام ١٢٧١، وقد تخرّج عليه كثيرون، وله آثار منها لسان الصدق، وحاشية مجمع المسائل. توفّي في أصفهان سنة ١٣١٨. انتهى ملخّصاً عن نقباء البشر ج ٤ ص ١٣٤٨.

٣. هو السيّد عليّ مدد بن السيّد حسين الموسوي القائني، ولد في قرية سيدان من منطقة قائن في بلاد خراسان سنة ١٣٠١، وهاجر إلى النجف الأشرف وحضر على كبار مراجعها وأعلامها حتّى بلغ محلاً سامياً في العلم والفضل، ومنح شهادة الاجتهاد من أساتذته، واستقلّ بالتدريس بعدهم إلى أن هاجر إلى مشهد الرضا عليه السلام سنة ١٣٧٥، فكان من أعلامه المبرّزين إلى أن توفّي سنة ١٣٨٤، زائراً في النجف الأشرف. راجع معارف الرجال ٢: ١٤٥ ـ ١٤٦، الرقم ٢٧٥.

٤. بحّاثة محقّق ومتتبّع ماهر له عدّة مؤلّفات تدلّ على عمق في البحث، ومهارة في التحقيق، وسعة في الاطّلاع، ويعدّ من الأعلام الأفاضل في النجف الأشرف. توفّي سنة ١٣٩١.

٥. نقباء البشر ١: ٤٤٥ ـ ٤٤٩، الرقم ٨٧٣.

٦. راجع منتهى الآمال ٢: ٤١٠، جاء فيه ذكر آل الصدر، وليس فيه هذه الترجمة.

رجال ورثوا المجد والسيادة والفضل، منهم: سيّدنا الأُستاذ إمام أئمّة الفقه والحديث والرحلة، القدوة، مسند العراق، شيخ الإجازة ومركز الرواية، شرف آل الرسول، وفخر ذراري البتول، حجّة الإسلام، وآية الله في الأنام السيّد أبو محمّد الحسن صدر الدين، أدام الله بركته، وجزاه عنّي خير الجزاء، فقد ربّاني في حجر تربيته، وكم له حقّ عليّ، أخذت عنه الرجال والدراية، وقرأت عليه الكافي وشطراً من الفقيه وغيرهما من أُصول أصحابنا، وأمره ـ سلّمه الله، وجعلني من كلّ محذور وقاه ـ في الجلالة أشهر من أن يذكر، وفوق ما تحوم حوله العبارة. انتهى.

وترجمه العلّامة الفقيه الشيخ محمّد حرز في معارف الرجال ج ١ ص ٢٤٩ ومابعدها، وترجمه أيضاً محمّد عليّ المدرس الخياباني في ريحانة الأدب ج ٢ ص ٤٦٣ ومابعدها.

وكتب عنه الأديب الكبير جعفر الخليلي[1] في موسوعة العتبات المقدّسة قسم الكاظمين، ج ١ فقد أورد في ص ٢٦٨ ومابعدها ما ملخّصه:

زار بغداد قادماً من القاهرة، في الأيّام التي بدأ بها الاحتلال البريطاني للعراق، السر رونالد ستورز[2] وقد كتب كتاباً مهمّاً على شكل مذكرات يوميّة، ضمّنه الكثير ممّا صادفه خلال زياراته العديدة لكثير من البلاد، ومن جملتها العراق، ومن المدن التي زارها: الكاظميّة التي قصدها من بغداد يوم ١١ مايس سنة ١٩١٧، فذهب إلى دار أحد الوجهاء، ومن هناك توجّه لزيارة السيّد مهديّ السيّد حيدر[3]، والسيّد حسن الصدر، وهو يقول عن السيّد الصدر: إنّه

١. صحّافي شهير وكاتب قدير ولد سنة ١٣١٩ وهو من الأدباء والشعراء، له نظم فائق، ونثر رائق، أصدر جريدة الهاتف وهي إحدى الصحف السيّارة في بغداد. توفّي سنة ١٤٠٥.«ع»

٢. قال عنه في الكتاب المذكور [٩: ٢٦٨] مايلي: كان من الاستعماريّين الإنكليز الذين كان يتألّف منهم المكتب العربي في القاهرة، وقد تقلّب في مناصب عدّة، فكان منها حاكميّة القدس في أوّل عهد الاحتلال البريطاني لها، وحاكميّة قبرص.

٣. هو السيّد مهديّ بن السيّد أحمد بن السيّد حيدر الحسني عالم فقيه ثقة، كان نافذ الكلمة في الكاظميّة، مطاعاً عند الأكابر والوجوه، أديباً بارعاً حسن المحاضرة، حاز على درجة عالية من الفضل، اشترك مع العلماء في الجهاد لدفع الإنكليز عن العراق، وقد أبلى بلاء حسناً في الجبهة التي كان فيها، توفّي سنة ١٣٣٦. انتهى ملخّصاً عن معارف الرجال ج ٣ ص ١٤٣.

رجل ذكيّ نبيه متقدّم في السنّ، له لحية بيضاء طويلة، وحالما علم أنّ لي بعض الإلمام بالعربيّة، أخذ يرشقني بسيل من بيانه المتدفّق، ثمّ راح يخوض في حديث ممتع عن السياسة، وكانت له معرفة واسعة بجرائد مصر وشخصيّاتها، قد قضيت معه عشرين دقيقةً، طلبت خلالها فنجاناً ثانياً من القهوة، ويقول ستورز: إنّه علم من معاون الحاكم السياسي المستر مارشال أنّ السيّد حسن الصدر، كان أعظم سكّان الكاظميّة نفوذاً في البلد. انتهى[١].

وذكر أيضاً في ص ٢٧٣ من الكتاب المذكور، وفي ص ٢٧٥ ومابعدها ما ملخّصه:

لقد زارت المس بيل غير ترودبيل[٢]، سكرتيرة دار الاعتماد البريطاني في بغداد، الكاظميّة عدّة مرات، فكتبت عن زيارتها هذه أشياء مهمّة في رسائلها المعروفة.

فكتبت عن زيارتها التالية في رسالتها المؤرّخة في الرابع عشر من آذار سنة ١٩٢٠، ما يدلّ على أهميّة هذه المدينة المقدّسة، ورجال الدين فيها، فهي تقول:

وهناك مجموعة من هؤلاء الذوات في الكاظميّة، المدينة المقدّسة المتطرّفة في إيمانها بالوحدة الإسلاميّة، والمتشدّدة في مناوأة الإنكليز، وفي مقدّمة هؤلاء أُسرة الصدر التي قد تكون أبرز أُسرة عرفت بالعلم[٣] الديني في العالم الشيعي كلّه، وقد وقعت سلسلة من الحوادث أدّت بهم إلى محاولة الاتّصال بي، فأبديت لهم أنّهم إذا كانوا يريدونني أن أزورهم فسيسرّني التشرّف بذلك، وأخيراً ذهبت يوم أمس، وفي صحبتي رجل شيعي متقدّم من شيعة بغداد[٤]

---

١. موسوعة العتبات المقدّسة ٩: ٢٦٨ ـ ٢٧٠.

٢. مستشرقة رحّالة إنكليزيّة عيّنتها حكومتها خلال الحرب الأُولى مترجمةً وخبيرةً في إدارة المخابرات السرّيّة في مصر، ثمّ في البصرة، ثمّ في بغداد. وبرز نشاطها في العراق خاصّةً بعد الحرب حتّى كانت تنعت بملكة العراق غير المتوّجة، وكانت لولب السياسة البريطانيّة العراقيّة، ولدت سنة ١٢٨٥، وكانت تحسن الفرنسيّة والألمانيّة والعربيّة والفارسيّة، ألّفت عدّة مؤلّفات، وترجمت بعض قصائد الشاعر الفارسي حافظ إلى الإنكليزيّة، وماتت ببغداد سنة ١٣٤٥. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ج ٢: ١١٥.

٣. في المصدر: «بالتعليم» بدل «بالعلم».

٤. علّق على ذلك المؤلّف بما يلي: الواقع هو أنّ المس بيل هي التي سعت لزيارة السيّد حسن الصدر، ولم تفلح فاستعانت ذات يوم بالأُستاذ عبد المجيد بلشة، وهو كاظمي الأصل، وكان يدرّس الأدب العربي في إحدى ←

كنت أعرفه جيّداً، وأعتقد أنّه حرّ التفكير في الباطن، فسرنا في أزقة الكاظميّة المتعرّجة الضيّقة، حتّى وقفنا أمام مدخل صغير مظلم، ثمّ قادني صاحبي خلال خمسين ياردة من ممرّ طويل، أوصلنا إلى بيت السيّد في النهاية، وكان البيت قديماً، يرجع إلى مائة سنة على الأقلّ في أوّل عهده، تشاهد فيه المشابك الخشبيّة الجميلة التي تقادم عهدها، وهي تحجب الديوان في الطابق الأعلى، كما كانت الغرف كلّها تفتح أبوابها من فناء الدار.

وكان نجل السيّد حسن، السيّد محمّد، يقف في الشرفة للترحيب بنا، وقد تسربل بلباس أسود، وبانت في وجهه لحية سوداء، تنتصب على رأسه من فوقها عمّة قاتمة اللون من العمائمالتي تعرف بها طبقة المجتهدين.

وكان السيّد حسن ـ وهو يجلس في الداخل ـ شخصيّةً مهيبةً قويّةً بلحيته البيضاء، وقد جلست على السجّادة إلى جنبه، وبعد أن تبادلنا التحايا الرسميّة، بدأ يتكلّم بلهجة العلماء، أو لغة الكتب التي لا يسمعها المرء على لسان سائر الناس، وعند المجتهدين أشياء كثيرةٌ يقولونها في العادة، فإنّ الكلام جزء من صنعتهم، ولا شكّ أنّ ذلك يوفّر على الزائر شيئاً كثيراً من العناء، فتكلّمنا عن أسرة الصدر بجميع فروعها، في إيران وسوريّا والعراق، وعن الكتب ومجموعاتها العربيّة في القاهرة ولندن وباريس وروما، إنّه يملك قوائم الكتب في المكتبات جميعها وتطرّقنا بعد ذلك إلى طقس سامرّاء الذي شرح لي بأنّه أحسن من طقس بغداد بكثير؛ لأنّ سامرّاء تقع في المنطقة المناخية الثالثة في عرف الجغرافيّين وكان يتحدّث بعنف وقوّة، وقد كان يخالجني وأنا في موقفي هذا شعور جادّ بأنّه لم يتسنّ لامرأة غيري من قبل مطلقاً أن تدعى لتناول القهوة مع عالم مجتهد وتستمع إلى حديثه، وكنت حريصةً في الحقيقة على أن أترك انطباعاً حسناً عنده.

← جامعات انكلترة فعرض عبد المجيد هذا رغبة المس بيل في زيارة السيّد حسن الصدر على السيّد، فلم يأذن لها، فاستعانت بالشيخ كاظم الدجيلي، وكان ممّن يحضر مجلس الصدر في أيّام الجمع، فعرض رغبة المس بيل بشكل طريف مستساغ، ورجّح للسيّد الصدر بعد أن عرف منه رفضه لعرض عبد المجيد بلثة الموافقة على زيارة لمس بيل لمعرفة آراء الشيعة على الأقلّ، وكان أن تمّت الموافقة. والمس بيل تقصد بالرجل الذي تعرفه هو الشيخ كاظم الدجيلي (موسوعة العتبات المقدّسة ٩: ٢٧٦).

ولذلك قلت له بعد ثلاثة أرباع الساعة بأنّني أخشى أن أكون قد أزعجته، وطلبت منه أن يأذن لي بالخروج فردّ عليّ يقول في الحال: كلّا، كلّا، لقد خصّصنا بعد ظهر اليوم هذا لك، وعند ذاك تأكّدت بأنّ زيارتي كانت ناجحةً، فمكثت ساعةً أُخرى، لكنّني استخدمت الساعة الأُخرى هذه بمقدار أكبر من الاطمئنان والثقة، فقلت له: أُريد أن أُحدّثكم عن سوريّة، ونقلت له جميع ما كنت أعرف عنها، أي إلى آخر برقيّة تلقّيناها عن قرب تتويج فيصل ملكاً عليها.

فاستفسر منّي باهتمام مفاجئ قائلاً: على سوريّا كلّها إلى حدّ البحر؟

فأجبته قائلةً: كلّا فإنّ الفرنسيّين سيبقون في بيروت.

وهنا ردّ عليّ يقول: إنّ هذا شيء غير حسن إذن. ثمّ أخذنا نبحث في الأمر من جميع نواحيه، وانتقلنا بعد ذلك إلى التحدّث عن البولشفيّة، فاتّفق معي على أنّها بنت الفقر والجوع، ثمّ قال: لكنّ العالم كلّه أصبح فقيراً جائعاً منذ وقوع الحرب.

وقد قلت على أثر ذلك بأنّني يبدو لي أنّ البولشفيّة تنطوي فكرتها على تهديم كلّ شيء، وبناء أشياء جديدة في مكانه، وأخشى أن يكون البولشفيك جاهلين بفنّ البناء، فأيّدني في قولي هذا.

وحينما تململت مبديةً الرغبة في إنهاء الزيارة، بادرني السيّد يقول: من المعلوم جيّداً أنّك أعلم امرأة في زمانك وإذا كان هذا القول يحتاج إلى دليل، فهو إنّك ترغبين في التردّد على العلماء وأنديتهم، وهذا هو سبب مجيئك عندنا اليوم، فأبديت شكري الجزيل على هذا الامتياز، وخرجت مودعةً بسيل من الدعوات بالعودة في أيّ وقت أشاء[1].

وتكلّم عنه الفاضل الصحفي المجاهد الشيخ عارف الزين ﷺ في مجلّته العرفان الشهيرة، وذلك في المجلّد ٢٦ ص ٢٣٨ وما بعدها فقد ذكر أثناء تأبينه كلمة الريحاني وقال:

وزرناه يوم أمّينا العراق، فألفينا كلمة الريحاني عنه كلمة حقّ وصدق لا زيادة فيها،

---

١. موسوعة العتبات المقدّسة ٩: ٢٧٣ ـ ٢٧٨.

أشرفنا على غرفته في منزله بالكاظميّة، فإذا بنا نشرف على أسد رئبال، امتلأ مهابةً وجلالةً، وجلسنا بين يديه بعد تقبيل يديه، وكان ألحّ عليه المرض، فألفينا أنفسنا جالسين في حضرة أحد الأئمّة المعصومين.

علم زانه حلم، وورع ازدان بأخلاق هاشميّة، وتقشّف فوقّته المهابة، وأحاط به الوقار والجلال، ولمّا تقدّمنا لوداعه أبى مع ما به من عجز عن الوقوف إلّا أن يقف مودّعاً ومشيّعاً فقلنا: تالله كلّما زاد العظيم عظماً، تقدّم نحو التواضع قدماً.

وخرجنا ونحن نلتفت إلى الوراء، لتزداد عيوننا اكتحالاً بمرآه، وكان لهذه الزيارة التي كانت الأُولى والأخيرة روعة وأيّ روعة في نفوسنا، وعزمنا على تكرار الزيارة إن استطعنا لكن لم نستطع ولم نتوفّق.

وكنّا نمني النفس بالعود للعراق وأوّل ما نبدأ به بعد زيارة الإمامين زيارة ابنهما ووارث أخلاقهما، لكن:

هــي المقادير فلمني أو فـذر   إن كنت أخطأت فما أخطا القدرْ

نعى الناعي السيّد الصدر، فكان لمنعاه رنّة حزن وأسى بلغت أعماق النفوس.

وأُقيمت المناحات في صور، حيث يقيم ابن أُخته العلّامة الجليل.

وملأت الصحف السيّارة أعمدتها مبيّنة فداحة هذا الرزء الأليم.

وقد شيّع إلى مرقده الأخير في الكاظميّة باحتفال مهيب، حضره كبار الوزراء والعلماء والأعيان ـ ثمّ ذكر نسبه وقال: ـ أُولئك أعلام الأمّة، وأئمّة المسلمين في عصورهم لا يدافعون، آباؤه ونبعته التي انحدر منها ماءً طاهراً من طهر طاهر مطهّر.

فنحن نكبر هذه الخسارة الفادحة، التي أصابت العلم والعمل والشرف والنبل في الصميم، متقدّمين للأُسرتين الكريمتين وهما أُسرة واحدة: آل صدر الدين، وآل شرف الدين بالتعزية المفعمة بالألم الممض، سائلين المولى سبحانه أن يقوم منهم أكثر من واحد يملأ الفراغ الذي أحدثه الراحل الكريم المنتقل إلى جوار الله وجنانه، ورحمته ورضوانه، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، انتهى ملخّصاً.

[١٣] الزعيم السيّد محمّد الصدر

وألّف الأديب الكامل الأُستاذ عبّاس عليّ[١] كتاباً عن المغفور له السيّد الصدر اسمه: زعيم الثورة العراقيّة، وهو مطبوع، وقد تناول فيه جميع خصوصيّاته ونواحي عظمته وشخصيّته، واستوعب مختارات كثيرة من كلمات أكابر الرجال والشخصيّات التي نوّهوا بها عن شخصيّته الفذّة، وخدماته الجليلة في ميدان الجهاد والقوميّة، وأورد فيه أيضاً كثيراً من غرر القصائد التي مدح بها، كما أورد كثيراً من الكلمات المطوّلة التي كتبتها عنه أُمّهات الصحف والمجلّات.

ولنذكر نماذج من ذلك، فمنها كلمة الأُستاذ العلّامة الشيخ عبد الله العلايلي[٢] وقد ذكرها في ص ٢٢٩ وما بعدها، نقلاً عن جريدة كلّ شيء البيروتيّة، وجريدة الساعة البغداديّة، وهي تحت عنوان: المعلّم الجديد، وهي ما يلي:

الذين يصنعون التأريخ ـ إن شئت أن تعرف أحجية التأريخ أن يحلّ لغزه ـ هم أُولئك الذين يصنعون الأحلام العليا مادّةً تجعلها للحياة... وبذلك يعطون.

فوجودهم يعتمل أبداً اعتمال الطاقة، تدور فتخلق لتدور فتمسح على وجه ما وقعت بالإبداع.

وأحدهم حين يجيء فرداً في أُمّة، يجيء على أنّه أقدار أُمّة، على أنّه حقيقتها التي باتت ناطقةً بعبارة اللحم والدم، إنّه يذهب بجذوره فيها مذاهب الجذور في الأعماق، هي في الدوح لتكون معرضاً لكنز التربة، وهي في طبيعته لتكون معرضاً لكنوز ذاتيّة الأُمّة.

إنّه ـ أي الرجل صانع التأريخ ـ يؤلّف استمداداته بعضاً على بعض، مثلما تؤلّف الأرواح من استمداداتها مادّةً حيّةً ـ هي أحلام وأمان خفقت بها طويلاً، كالأمل الحلو، أضالع التراب ـ

---

١. أديب موهوب وكاتب ذو أُسلوب معجب ولد في الكاظميّة سنة ١٣٤٥، وله مؤلّفات تدلّ على متانة في الأُسلوب وإشراق في الديباجة، هذا مضافاً إلى طيب محتده وكرم ذاته وعلوّ أخلاقه ولطف معشره وفّقه الله.

٢. عالم لغوي، وبحّاثة كبير، من مفاخر هذا العصر اشتهر بسعة علمه وبراعة تحقيقه، ولا سيّما في اللغة والتأريخ الإسلامي، من أشهر مؤلّفاته: معجمه المرجع في اللغة، وسلسلته عن الحسين عليه السلام.

لتنشرها في مواكب الربيع عبيراً، وتعطيها في مواسم القطاف ثمراً، وتعقدها في أيّام الغراس نواةً ـ أي: حقّاً ـ مرصوداً على عطاء، مكفوفاً على جديد.

والسيّد الصدر الذي أتحدّث عنه: رجل مِنْ أولئك صانعي التأريخ... إنّه قلب أُمّة وعى قضيّتها، وجبهة أُمّة أشرعت بكبريائها وكلّ طماحها.

ولا بدع فنحن نعرف جيّداً أنّ الزعامة الحقيقيّة فكرة مركّزة من النفسيّة الجديدة للشعب، فإذا لم يكن لنفسيّة الشعب ذلك اللون، فلن تكون فيه زعامة إلّا زعامة التهريج. إنّ الزعامة الحقيقيّة هي وراثة حقيقيّة لكلّ ما يختلف على نفسيّة الجموع وظهورها بمظهر أشمّ موحّد، فكلّ منّا يرث من المجتمع، ولكن الزعيم هو الوارث الحقيقي الذي يرثه من كلّ أقطاره، ليجيء مجمع صفاته وخصائصه، وعزماته وثباته، وآلامه وآماله.

«وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر». لعلّها كلمة صدق لم تصدق يوماً صدقها فيه.

فالعراق يوم نضاله الدامي وجد فيه قائد «جبهة دجلة وعشائر ديالى».

ويوم نضاله السياسي وجد فيه «رئيس حزب الحرس ورئيس الحزب الوطني».

واليوم يوم نضاله الحرّ السامي، يوم كادت السفينة تميل جانحةً بما امتدّ إليها من الغرق، وجد فيه العراق الركن الذي ظلّ كبيراً على الموج والأنواء، ليظلّ منطقةً لأمل الملّاح بالنجاة ومراداً لحنين الشراع إلى الأجواء، الذي هو حنين الجناح إلى الإنطلاق.

في ليلة افتقدك العراق فوجدك، وكثيرون هم ـ في الأقطار العربيّة الأُخرى ـ الذين يقلبون أحداقهم في العتم وينقلونها بين المطالع والآفاق، فما وجدوا.

في طبيعة ذاتك الطبيعة العربيّة كلّها، وهي تنبض أبداً بقوى تريم المدى البعيد، شاؤوا لها أم أبوا، وتفسح لنفسها المجال العريض، رضوا لها أم غضبوا، فهي في طبيعة أغفى في أعماق جذورها تأريخ، وصَحَافي متفتّح عروقها تأريخ، فتسيل بها وارثة، وتثبت بها أُخرى، حتّى لا ترى إلّا وهي في اتّجاه قريب عند مقعد الشمس!...

في روحك من روح جدّك الأعلى «الملهم الخالد» أقباس، فلا عجب إذا رأيناك علماً جديداً، ومعلماً في سبيل المجد العربي فقد التقى طرف من الروح على طرف، وجرى الينبوع

إلى مصبّه تاركاً ضوءه يتردّد ولا ينقطع، وفي سمع الخلود ألحانه ونبراته.

ما كنت لأتمسّح بأعتاب وثنيّة وقد نقهت من حَمّتِها، ولكنّما أنت بين جهادك وجهودك بتّ رمزاً ونحن من هنا من هذا الحي اللبناني، نشخص إليه، أي نشخص إليك. انتهى.

وقال في كتاب زعيم الثورة العراقيّة ص ٦ ما يلي:

حضرت قبل سنين مجلساً تصدّره المرحوم محمّد جعفر أبو التمن[1]، وسمعته يتحدّث في بعض الأُمور السياسيّة التي تدور حول القضيّة العراقيّة، ومصادر الوعي فيها، واستخلصت من حديثه كلمة ما زالت عالقة في ذهني، وفحواها: أنّ من أراد الاطّلاع على الثورة العراقيّة منذ أن كانت عواملها وظروفها فكرة إلى يوم أصبحت حقيقة واقعة، من في نفسه شوق إلى الإلمام بمراحل الحكم الوطني في العراق، فما عليه إلّا أن يدرس تأريخ حياة سماحة السيّد الصدر.

وقال في ص ٩ ما يلي:

وثمّة حادثة وقعت فصولها في عهد بكر صدقي الذي كان قد نظم ـ بدافع رغبته في الاستيلاء على الحكم بصورة مطلقة وتنحية القادة والزعماء الذين يتمتّعون بمكانة شعبيّة عن مسرح السياسة والتوجيه؛ ليتفرّغ بمفرده في تسيير دفّة المملكة سيراً تلاءم ومنطقه الخاصّ ـ قائمة ضمّت أسماء المرغوب في قتلهم، وبالطبع كان اسم السيّد الصدر في المقدّمة؛ لعلم بكر صدقي بمنزلته في نفوس الشعب العراقي على اختلاف ميوله وآرائه، وكون السيّد الصدر الملاذ الوحيد في مختلف الظروف العارمة التي شهدتها البلاد.

وكان أنْ أُوْلِمَ لسماحته وليمةٌ بدار شخصيّة محترمة من شخصيّات البلد، وعند حضور الصدر إلى مكان الدعوة فوجيء بنفر من الضبّاط الموكّل إليهم تنفيذ رغبات بطل الانقلاب، وقد أحاطوا بمائدة صفّت على نحو يدفع الريبة إلى القلوب دفعاً؛ إذ وضع لسماحته كرسي

---

١. من زعماء الحركة الوطنيّة في العراق، ولد في بغداد سنة ١٢٩٨ كان من تجّارها وقاوم الاحتلال البريطاني وبرز نشاطه في ثورة سنة ١٩٢٠، ألّف الحزب الوطني لمناوأة الاستعمار، وأصدر عدّة صحف سياسيّة لنشر دعوة حزبه، ولي وزارة التجارة ثمّ استقال منها منصرفاً إلى متابعة كفاحه، ونفاه الإنكليز إلى هنجهام وأطلق وعيّن وزيراً للماليّة، توفّي سنة ١٣٦٤. انتهى ملخّصاً عن الأعلام ٦: ٧٣.

في زاوية تحدّ من حركته، وجلس في مقابله القائد المغرور، والنقطة المقصودة من ذكر هذه الحادثة: أنّ السيّد الصدر عند دخوله ومشاهدته آثار رغبة في إتمام مؤامرة، نظر إلى الضبّاط نظرةً سمّرتهم على كراسيّهم، حتّى أسقط في أيديهم، وأُرتج عليهم ولم يستطيعوا أن يرفعوا بصراً، وارتبك الأمر على الداعي وارتمى على يد السيّد يقبّلها طالباً العفو. انتهى ملخّصاً.

وقد عقد بعد ذلك فصلاً خاصّاً عن حكم بكر صدقي وسياسته الشاذّة في ص٦٦ أو ما بعدها تحت عنوان «انقلابات» وقال في أواخر ص ١٧٢ وما بعدها ما يلي:

لذلك راح السيّد الصدر يندّد بوصفه رئيس مجلس الأعيان بالحكم البكري، ويكافح بقوّة وصلابة لإقصاء الوضع الشاذّ عن مسرح السياسة العراقيّة.

ومن هنا وجدنا بكر صدقي يجهد في إبعاد سماحة الصدر عن محيط التوجيه والقيادة بمختلف الصور التي كانت متوفّرةً لديه، والتي هي في الواقع عاجزة أن تمسّ ولو من بعيد قدم سماحته.

وأنقل إليك حادثةً طريفةً وقعت في تلك الأيّام، وتتمكّن أنت من استخلاص إحدى الوسائل السخيفة التي لجأ إليها بطل الانقلاب للحد من موقف السيّد تجاه حكمه. فقد طلب في أيّام الفوضى التي غرقت فيها بغداد آنذاك معاون شرطة الكرخ، وكان من عائلة العسكري، مقابلة السيّد الصدر، وحينما سمح له بالدخول على سماحته، انكبّ على قدمه وهو يقول: ما معناه، إنّ بغداد يا سيّدي في فوضى مدّت أصابعها إلى رجال البلد، وإنّي منذ لمحت ذلك آليت إخلاصاً إلّا المبيت على السدّة المقابلة لمقرّك؛ لأكون لك حارساً، وعليك مطمئناً، وإنّي ـ علاوةً على ذلك، ومن باب الاحتراس التامّ ـ أرى وجوب عدم مغادرتك الدار ليلاً، لئلّا يقع ما لا تحمد عقباه.

وهنا التهبت أسارير الصدر وصاح بصوت صادق النبرات: اذهب وقل لمن أرسلك: إنّ الذي في استطاعته أن يمدّ يده إليّ، لم تلده أُمّه إلى اليوم، وإنّ جيشك ومدافعك وما تضمّه قوّتك لا تستطيع ولن تستطيع أن تزعزع قلبي بمقدار شعرة، وإنّي من اليوم فصاعداً، سوف لا أعود إلى البيت إلّا في وقت متأخّر، وسوف يكون سبيلي الذي ارتاده هو كذا وكذا.

وخرج معاون شرطة الكرخ بخفّي حنين من لدن سماحته، بعد أن تلقّى درساً جديداً في قوّة الجنان، وثبات الإيمان، واستمرّ سماحته إلى أن اغتيل بكر صدقي لا يعود إلى داره في كرخ بغداد إلّا في وقت متأخّر على خلاف عادة سماحته.

هذه حادثة رواها لي أشخاص متعدّدون، أطمئنّ إلى صدق ما ينقلون.

وعندما انتهت أيّام بكر صدقي بمقتله، طفحت أعمدة الصحف الخارجيّة، وأهمّها صحف سوريّا ولبنان بمعلومات ثمينة عن موقف السيّد الصدر تجاه الانقلاب، وتسابق شعراء الأقطار العربيّة في امتداح هذا الموقف، وتهنئة سماحته على ما بذله من جهد في سبيل الوطن والأُمّة.

وأختار لك ممّا قيل بهذه المناسبة من الشعر الراقي قصيدتين نظمتا في القطر اللبناني الشقيق، ونظمها رجلان لهما من المكانة الدينيّة والعلميّة ما يجعل لهاتين القصيدتين قيمة، بالإضافة إلى ما احتوتاه من بليغ الكلم، ورائق الحس، وسحر البيان، والقصيدة الأُولى للعلّامة الجليل السيّد عبد الحسين نور الدين وهي:

تذكّرت أيّام الصبى ولياليه ... توغّلت في ساعاته وثوانيهِ
سبرت حياتي بؤسها ونعيمها ... وما ذقته من رنق عيش وصافيهِ
فعادت بأحلام عليّ روائع ... ولا شيء للمعاني كتذكار ماضيهِ
تخيّرت منها ما حلا لي ادّكاره ... إذا شقيت نفسي أعلّلها فيهِ
زماناً نعمنا فيه بالقرب من أخ ... حبيب إلى قلبي بنفسي أُفدّيهِ
تنزّه عن «لولا» ولولا وقاره ... لما كان تشبيبي بغير معانيهِ
له صورة في النفس يجلو جمالها ... متى أجتليها كلّ همّ أُلاقيهِ
يمثّله الشوق الممضّ بخاطري ... فأحظى بلقياه على نأي ناديهِ
فطوبى لقلبي كلّما شفّه الجوى ... يبيت بأسرار الغرام يناجيهِ
وهل تسعد الأقدار طرفي بنظرة ... لذاك المحيّا الطلق طوبى لرائيهِ
تعالى بقدر ضاق عن وسعه النهى ... وهيهات إجلالاً له أن أُسمّيهِ

وألقابه في الحمد جمّ عديدها فلست وإن أجهدت فكري محصيهِ
وأصبو إلى ترتيل آيات فضله وما شئت من إكباره فأكنّيهِ
أبو الفضل وابن الفضل والفضل نبعة يفجّرها معروفه من أياديهِ
سبرت رجال العرب في كلّ حلبة فما وقعت عيني على من يجاريهِ
تسامت به من بينهم عبقريّة لدن كان طفلاً وهي إحدى معاليهِ
تريه خفايا الغيب من كلّ معضل متى راضه تَزْوَرّ عنه دواهيهِ
وتقحمه في كلّ خطب مروّع فيجلو دياجيه وما استلّ ماضيهِ
حدبت على عرش العراق تحوطه وبتّ بطرف لا ينام تراعيهِ
فكم من يد بيضاء رصّعته بها فها هي في الأيّام أبهى دراريهِ
وكم مارق أدنى إلى كفّ بغيه أطرت به عنقاء مغرب تنفيهِ
متى تلق مكروهاً ويوجس خيفةً فيهتف من لي منجد فتلبّيهِ
نشرت لنا عصراً بآلك كم زها وقد كان سلطان الضلالة طاويهِ
فديتك يا فذّ العشيرة من فتى لهاشم عند المعضلات نرجّيهِ
تضيق بمعناه الصفات ويلتوي عليّ فما أدري بماذا أحيّيهِ

وأمّا القصيدة الثانية فهي للعلّامة الكبير الشيخ محمّد تقيّ صادق العاملي[1]:

ليس عيباً في الشمس أن لا تراها مقلة يملأ الجفون عماها
ولقد يظلم الصباح بعين مازج الضعف ماءها وسناها
ويخال المريض والعيب فيه أكؤس الشهد حنظلاً يُسقاها
ولقد تفزع النفوس لأمر وبه لو تدبّرته لشفاها
وإذا ما الهوى أدار بأرض دفّة الحكم آذنت بفناها
وإذا الملك لم يزنه ملاك من كريم الأخلاق كان سفاها
أيّ معنى للروض إن خسر الزهر؟ وللأنام إن فقدنا ذكاها؟

١. راجع ترجمته في ماضي النجف وحاضرها ٣: ٥٥٨، الرقم ٧؛ شعراء الغريّ ٧: ٣٢١.

أيّ وزن للـــرأي إن أخــطأ الرأي؟ ومـــــن حـــرمة له يــــرعاها؟
وإذا اللـــــيل نـــابحته كـــلاب كـــان جـزماً أن لا يـــردّ عـــواها
فـــي سـبيل الهـدى وفـاؤك لمـا قـلّ فـــي النـاس صدقها ووفـاها
لو رعـــى حسّـد الفـضيلة فـضلاً لأقـــاموك كـــعبة لهـــداهــا
وأرادوا أن يـــــنقصوك اعـــتباراً فأضـــافوا لجـاهك الفـذّ جـاها
مـا عـلى الورد والخـزامى إذا مـا حـــال دور الزكـام دون شـذاهـا
مـا عـلى الورق سـاجعات إذا مـا وقـف الوقـر دون رجـع صداهـا
ولقـــد تـــبرم العـــهود لأمـــر ثـــمّ تأتـــي بـــضدّه عـــقباها
كـــثر الحـــاسدون حـــولك لمّـا قـصرت عـنك فـي المعالي خـطاها
عــدلوا فـــي هــداهــم فيك جـهلاً خسـرت أمّـة أضـاعت هـداهـا
سـائل الرافـدين يـوم رحـى الحـرب أُديـرت، مـن كـان قـطب رحـاها؟
وسـل العـرب يـوم ثـارت لنـيـل العزّ، من كان منهم ابن جلاها؟
تـرهَبُ الأسـد وهـي رهـن قيود وتـحامي بُـهْمُ الرجـال حـماها
وزهـــور الحـقول تـرفل زهـواً وتـــهادى تـــيها بـبرد صـفاها
يـــتلاقى بـعض بـبعض عـناقاً واتّـــحاداً إذا النـــسيم غـزاهـا
إنّـــما المـجد والنـهى والمـعالي كـــــلمات وأنـــتم مـــعناها
وحـقوق العـرفان والفـضل أنـتم خـــصب إنـتاجها وأنـتم رواهـا

وفي ذي القعدة سنة ١٣٧٣، دعاه شاه إيران محمّد رضا بهلوي لزيارة إيران، واحتفى به أعظم احتفاء، وقد استفاضت الصحف آنذاك بذكر الحفاوة والتبجيل اللذين لقيهما في هذه الزيارة، وقد توفّي ليلة ٢١ شعبان سنة ١٣٧٥.

وبعد وفاته عليه الرحمة والرضوان، ألّف عنه عبد الرحمن محمّد الناصر[١] كتاباً بعنوان:

---

١. أديب كاتب مجيد كان مدرّساً في مدارس المعارف وكان كثيراً ما يحرّر في جريدة العراق على عهد صاحبها رزوق غنّام.

الزعيم الخالد السيّد محمّد بن الحسن الصدر في ذمّة الخلود وقد احتوى على تفصيل وصف تشييعه، ومختارات من تأبينه، ولنقتطف منه مايلي:

نعت دار الإذاعة العراقيّة إلى العالمين العربي والإسلامي سماحة الصدر، وابّنته بكلمة حزينة قالت فيها:

روّع العراق والبلاد الإسلاميّة بفقد صاحب الفخامة سماحة السيّد محمّد الصدر في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل من مساء الإثنين.

وقد كان ﷺ ألمع صفحة في تأريخ العراق زهت بالعلم والدين، وازدهرت بالإخلاص والتضحية والوطنيّة، فكان بحقّ رجل العراق الذي وقف نفسه لخدمة الإسلام والوطن والعرب والمصالح العامّ.

وكان طول حياته السياسيّة مركز الثقل، يرجع إلى رأيه إذا استعصى الأمر، وادلهمّت الخطوب، فيجلوها برأيه الصائب.

تغمّده الله بالرحمة والرضوان، وألهم الأمّة العربيّة الصبر، وعظّم لها الأجر.

وما كاد نعي سماحة الفقيد الكبير يذاع من راديو بغداد، حتّى غشيت الأوساط الشعبيّة والرسميّة غمامةً من الحزن الممضّ، والشجن المؤلم، ومنذ الصباح بدأت الجموع الحزينة ترحف نحو دار الفقيد في الجعيفر، يدفعها إلى ذلك حبّها للراحل العزيز، ولهفتها الملحّة لتوديعه الوداع الأخير.

وفي نحو الساعة الحادية عشرة من ذلك اليوم الحزين تحرّك موكب الجثمان الطاهر نحو الكاظميّة، شاقّاً طريقه وسط آلاف مؤلّفة من المواطنين الذين كانوا يعبّرون عن شعورهم تجاه الفقيد، بما يسفحون من عبرات ودموع وبما يظهر على وجوههم من آيات الحزن والالتياع.

وكان يسير خلف الجثمان مندوب جلالة الملك المعظّم وحضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الإلّه ولي العهد المعظّم، وفخامة رئيس الوزراء ونائبه، ورؤساء الوزراء السابقون، والوزراء الحاليّون والسابقون، والأعيان والنوّاب، وكبار رجال الدولة ورعاتها من مدنيّين وعسكريّين.

وقد استمرّ الموكب سيراً على الأقدام حتّى الجسر الحديدي في العطيفيّة عندما وضع في سيّارة خاصّة، وأخذ طريقه، يتبعه رتل طويل من سيّارات المشيّعين، والجموع الغفيرة من المواطنين الذين ساروا مشياً على الأقدام.

وفي مدخل مدينة الكاظميّة كان في انتظار الموكب رئيس الوزراء والوزراء وكبار رجال الدولة ورجال الجيش والشرطة، وقد سارت في مقدّمة الموكب الموسيقى العسكريّة، واصطفّ الجنود على الجانبين، وسير بالجثمان يتبعه المشيّعون.

وكان بينهم فريق من أعضاء المجلس النيابي السوريّ، الذين كانوا في ضيافة الحكومة العراقيّة، وقد وضعوا إكليلاً باسم المجلس السوري على مثوى الفقيد.

واستمرّ الموكب في سيره الوئيد الحزين حتّى الصحن الشريف، وسط نشيج المشيّعين وزفراتهم.

وبعد أن صلّى على الجثمان علماء بغداد والكاظميّة أُلقيت كلمات تأبينيّة من قبل رجال الدين، تحدّثوا فيها عن دور الفقيد في الثورة العراقيّة، ومكانته في قلوب مواطنيه وخدماته في سبيل الدين والوطن والشعب.

وقبل مواراة الجثمان التراب في مقبرة آل الصدر في الصحن الشريف، أُطلقت ثلاث طلقات تحيّةً للفقيد الكبير.

وقد استمرّ التشييع من الساعة الحادية عشرة صباحاً، حتّى الساعة الثالثة مساءً، كما تعطّلت الأعمال في الكاظميّة وأقفلت المتاجر أبوابها في الكاظميّة ومعظم أرجاء بغداد.

وألغت الإذاعة العراقيّة برامجها المعتادة، مستعيضةً عنها بتلاوات من القرآن الكريم، والتواشيح الدينيّة، احتراماً لذكرى الراحل الكبير. انتهى.

وفي ص ٨٩ وما بعدها من هذا الكتاب ـ الزعيم الخالد ـ ذكر ما يلي:

كان يوم السبت ٢٩ نيسان سنة ١٩٥٦ موعداً لعقد أوّل جلسة عقدها مجلس الأعيان بعد التحاق سماحة الصدر الخالد بالرفيق الأعلى.

وقد افتتحت من قبل رئيس المجلس فخامة السيّد جميل المدفعي[١] حيث ألقى كلمةً مؤثّرةً نعى فيها الزعيم الصدر، معدّداً مآثره وأعماله الخالدة، وخسارة البلاد العظيمة بفقده.

وبعد أن أنهى فخامته كلمته، توقّف المجلس عن عمله مدّة خمس دقائق، حداداً على الزعيم الراحل.

ثمّ ألقى فخامة العين السيّد توفيق السويدي[٢] كلمةً بليغةً استعرض فيها حياة الزعيم الخالد، معدّداً مآثره وخدماته للبلاد.

ثمّ تلاه العين معالي السيّد نصرة الفارسي[٣] بكلمة أبان فيها عمّا يكنه للزعيم العظيم من مودّة وإخلاص، كما استعرض خلال الفقيد، ومزاياه الفذّة.

وفي ما يلي نصّ الكلمات الثلاث التي ألقيت من قبل الأعيان الثلاثة، نثبتها ليطّلع عليها قرّاء هذا الكتاب.

كلمة فخامة السيّد جميل المدفعي رئيس مجلس الأعيان

سادتي، هذه أوّل جلسة يعقدها مجلسكم العالي بعد وفاة المغفور له سماحة السيّد محمّد الصدر، تلك الوفاة التي تركت فراغاً هائلاً في هذا المجلس، وفي مختلف ميادين العمل السياسي.

ومجلس الأعيان الذي تَرَأسَه الفقيد مدّةً طويلةً وشغل عضويّته منذ بدء الحياة البرلمانيّة إلى الأمس القريب، يشعر بفداحة الخسارة التي ألمّت بالبلاد، ويدرك مبلغ الضياع الكبير بفقده عضواً كانت حياته وأعماله بمجموعها لاتستهدف غير المصالح العامّ وخدمة البلاد،

١. من الرجال العاملين في الحقلين الوطني والسياسة كان تأريخه سجلاً عامراً بالمناقب والمفاخر وبالجهاد المستمرّ سواء في الجمعيّات والأحزاب أم في سوح القتال أم في الكفاح السياسي. ولد سنة ١٣٠٥ وقد ترأس الوزارة عدّة مرّات كما تولّى عدّة وزارات. توفّي سنة ١٣٧٨. انتهى ملخّصاً عن مجمع الآثار العربيّة وغيره.

٢. للاطّلاع على ترجمته راجع الأعلام للزركلي ٢: ٩٣.

٣. كان عضواً عاملاً مهمّاً في مجلس الأعيان، وكان في أكثر الأدوار من المعارضين استوزر مراراً في عهود مختلفة، وكان فيها كلّها الوزير الكفوء.

وإذا كانت الأُمّة قد ارتاعت لفقد السيّد الصدر، فنحن الذين عرفنا المغفور له في مختلف ميادين الجهاد القومي، والعمل السياسي، وخبرناه عن كثب، نشعر قبل غيرنا بفداحة الخسارة، وبالفراغ الكبير الذي تركه بين صفوف العاملين لخدمة الأُمّة والوطن.

تغمّده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنّاته، وعوّض الله المجلس والبلاد بالصالحين من أبنائه، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

كلمة فخامة العين السيّد توفيق السويدي

سادتي، وددت أن أنتهز هذه الفرصة، والمجلس العالي واجم[١] متأمّل، لأعرب عن أسفي لما أصاب الجميع من ضياع أليم بوفاة المغفور له السيّد محمّد الصدر، الرئيس السابق والصديق العزيز، إنّه لضياع قد أولد فراغاً كبيراً ليس في المقدور إملاؤه، ولوعة الأسى بهذا الضياع الأليم قد استولت على جميع عارفي فضل الفقيد ومقدّري جهوده تلك الجهود التي تعاونت مع جهود الآخرين، فحقّقت للبلاد أهدافها، وفتحت أمامها أبواباً واسعةً للولوج في الحياة الجديدة التي تمكّنها من استرجاع تأريخها الحافل بالأمجاد والمكرمات في سبيل الحضارة الإنسانيّة.

لقد كان الفقيد في أوائل حياته يتطلّع إلى أحلام ذهبيّة قلّ أن استطاع أحد من أمثاله تحقيقها في زمن قصير، فتفانيه في سبيل الأُمّة، والاستبسال في ميدان القتال القومي، كلّ هذا كان يستهدف لديه تحطيم قيود الحكم الغاشم، وتمهيد الطريق أمام مواكب الحرّيّة والاستقلال والعزّة والكرامة.

ففي سنة ١٩٠٠ ـ ١٩١٥ كان الصراع السافر ما بين الاستبداد والحرّيّة واصلاً ذروته، حيث اتّجهت جهود الأحرار الإيرانيّين إلى كسر القيود المكبّلة بها الأُمّة الإيرانيّة.

كما انصرفت مساعي الأحرار العثمانيّين إلى المطالبة بالدستور إنقاذاً للشعوب العثمانيّة من الطغيان.

١. واجم: ساكت عن الكلام لشدّة الحزن. راجع المعجم الوسيط: ١٠١٥، «و. ج. م».

ولكن السيّد محمّد الصدر بدأ يختط لنفسه طريقاً آخر للكفاح ؛ إذ حصر جهوده في القضيّة العربيّة العراقيّة، واستند في ذلك إلى شجاعته وفتوّته، وإلى مركز والده المحترم.

فاندفع في مؤازرة المكافحين في سبيل العروبة، حتّى انتهى به الأمر هو وإخوانه إلى ثورة عاتية، أعلنوها على الغاصب المحتلّ.

لقد كان لجهوده ـ كما سمعت ذلك وفهمته من المرحوم والدي ـ أكبر الأثر في توحيد الأُمّة الإسلاميّة في العراق، دون تحيّز لمذهب، أو تعصّب لطائفة.

ولمّا تكلّلت مساعي التوحيد والتنسيق بالنجاح، وظهرت الأُخوّة الإسلاميّة بمظهرها الرائع الذي أتعب السلطة المحتلّة وأعوانها، قام العراقيّون قومةً واحدةً مكافحين في سبيل حرّيّتهم واستقلالهم، من دون أن يكون بينهم آمر ومأمور، أو رئيس ومرؤوس ؛ لأنّ عامل الأُخوّة الوطنيّة وحده هو الذي كان يتقدّمهم ويظلّلهم بظلّه الوارف.

وعندما قرّرت السلطات المحتلّة إلقاء القبض على القائمين بحركة التحرير وقوّادها، كان السيّد المرحوم من جملتهم، لكنّه أفلت وفرّ مع الزعماء الآخرين، إلى حيث استووا في مراكز جديدة للقيادة والتوجيه.

وكانت حصّة السيّد البقاء في منطقة ديالى، حيث الحركة تتطلّب همّة أكثر.

ولمّا انحلّت الثورة، وأصبح تباعد القائمين بها ضروريّاً اتجّه المرحوم إلى سوريّا، وتحمّل في طريقه مصاعب جمّةً، ذكرها لي الوالد في وقتها حتّى بلغ الشام، حيث لقي كلّ إكرام وإعزاز.

ولمّا تطوّرت الحالة السياسيّة في العراق، واستقرّ الرأي على أن يتعهّد المرحوم الملك فيصل أمر العراق طلب إليه أن يلتحق به مع الآخرين، فالتحق وعاد إلى العراق بمعيّة المرحوم الملك.

ومن ذلك الوقت انتهت حياته الثائرة، وبدأت حياته السياسيّة الجديدة التي كان له من ماضيه وتأريخه، ما جعله فيها مرموقاً ومحترماً لدى الجميع.

لقد كان المرحوم الصدر من العناصر الرزينة المعتدلة في التفكير والعمل، وقد قام في

مختلف أدواره السياسيّة بما يؤكّد هذه الصفات الممتازة فيه، فعرف بكونه رجلاً عطوفاً يحبّ الخير ويعمله، ويسعى إلى التفاهم حتّى مع العناصر المفرطة في التفكير السياسي والاجتماعي.

ولقد دلّت الأعمال التي قام بها أيّام الفتنة العمياء عام ١٩٤١، والفتنة الدكناء الأُخرى عام ١٩٤٨، على حصافة[١] وبعد نظر قلّ أن وجدت في رجال غيره.

فإذا ما ذكرت في موقفي هذا شيئاً موجزاً عن ماضي هذا الرجل الفذّ، وطرقت حديثاً عابراً عن مواقفه البارزة فلأنّي وددت أن أكتفي بموقف المؤبّن، وأترك للتأريخ ما فيه الكفاية من تفصيل وتمجيد يضعانه في المكان اللائق به.

فعزائي للبلاد بضياعه، وعزائي لآله وذويه، وعزائي لهذا المجلس الذي تعاون معه مدّةً تزيد على ربع القرن.

اللهمّ اجعل مثواه جنّاتك، وألهم أصدقاءه الصبر والسلوان.



كلمة معالي العين السيّد نصرة الفارسي

سادتي، في هذا الموقف ـ موقف الحزن والأسف ـ لا تكون كلمتي كاملة التعبير، وإنّها تقف عند حدّ ذكر فداحة الخسارة التي أصابتنا، حيث فقدنا رجلاً كبيراً أوقف نفسه لمصلحة الدولة ولخير الناس.

نعم، لا تكون كلمتي كاملة التعبير، ما لم تعبّر عن شعوري الشخصي بالتوجّع والتألّم، حيث فقدت رجلاً عزيزاً، منزلته عندي منزلة الناصح الحكيم.

لقد كان ﷺ ذا خصائص عالية، وإنّ تأريخنا خلال ٤٠ عاماً قد شهد آثار هذه الخصائص، سواء ذكرتها أم لم أذكرها، ولكن أكثر ما كان ظهور هذه الخصائص في نفسيّته الإنسانيّة المستعدّة لا حتضان كلّ عراقي يتقرّب إليها.

وإن أنس لا أنسى ولن أنسى في هذا المقام البيت الذي كان يردّده كلّما أنهى حديثه معي:

إنّما المرء حديث بعده ... فكن حديثاً حسناً لمن روى

---

١. حصف فلان: استحكم عقله وجاد رأيه. راجع المعجم الوسيط: ١٧٩، «ح. ص. ف».

وذكر في ص ١٢١[1] مقالة للأُستاذ رزوق غنّام[2] وهي ما يلي:

نشأ في بيت علم عرف الدين وفقه أسراره ومراميه، عاش حياته طاهر السيرة، نقيّ السريرة، وكان ﷺ ذكيّ الفؤاد، قويّ العزيمة، نافذ الرأي، بصيراً بما يأخذ وما يدع من الأمور، حسن الحديث، خطيباً مؤثّراً، مهيباً محبوباً من الخاصّة والعامّة، وكان مثال الرجل الكامل، وكانت مجالسه بمثابة ندوة ثقافيّة يخرج منها الجليس، وقد أفاد لنفسه من شؤون الدنيا والآخرة ما ينتفع به ويعود عليه بالجدوى، كان ﷺ مثال العطف والرحمة، والحدب والحنوّ، وقد تمثّل هذا كلّ من عرفه، واتّصل به من قريب أو بعيد من أهله وأصدقائه وحاشيته وغيرهم ممّن شملهم برّه، ووصل إليهم خيره.

والصدر بعد هذا كلّه ـ وقبل هذا كلّه ـ زعيم سياسي، ومرشد ديني، ورائد اجتماعي من الطراز الأوّل وهو عليم بمواقع الأمور، يعرف متى يرد عليها ومتى يصدر عنها، فهو يقدم حين يرى الإقدام عزماً، ويحجم حين يرى الإحجام حزماً، ولا يدخل موضعاً لا يرى له منه مخرجاً.

ومن أسف أن نقول: إنّ العراق قد خسر بفقده رجلاً فذّاً يندر أن يكون له ضريب أو مثيل.

رحمه الله وعوّض عنه بمن يسير على هديه وينهج سبيله ويحقّق للأُمّة والوطن ما صبا إلى تحقيقه الفقيد الغالي من كرامة وعزّة وحياة سعيدة ومجد. انتهى.

وذكر في ص ٢٣ وما بعدها تأبيناً للأُستاذ رفائيل بطّي[3] وهو مع مقدّمته مايلي:

كان الأُستاذ رفائيل بطّي صاحب جريدة البلاد الغرّاء قد أبّن المغفور له سماحة السيّد

---

١. من الزعيم الخالد.

٢. هو شيخ الصحافة العراقيّة ومن كبار الكتّاب كان يصدر جريدة العراق، انتخب نائباً عن المسيحيّين في المجلس النيابي (راجع ترجمته موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين ١: ٧٤).

٣. وصفه أمين الريحاني في كتابه ملوك العرب [: ٩٠٠] ج ٢ ص ٤١٦ وما بعدها، وكان من جملة كلامه مايلي: هو دائرة معارف أُدباء العراق وابن خلّكانهم، حامل لوائهم وناشر آثارهم، وهو منهم في الصفّ الأوّل، ألّف كتاب الأدب العصري في العراق العربي، وهو عمل أدبي كبير جدير بالبطّي، المعروف بنشاطه وإخلاصه وبذوقه وغزارة علمه، وله أُسلوب في الإنشاء سهل منسجم جليّ، لا تكلّف فيه ولا إغراب، وله في معالجة المواضيع مزيّة مستحبّة، توفّي سنة ١٣٧٥. (لمزيد الاطّلاع على ترجمته راجع الأعلام للزركلي ٣: ٣٥).

محمّد الصدر بالكلمة التالية، ومن غرائب المصادفات أن يكون موته بعد وفاة السيّد الصدر بأسبوع كامل، وفي يوم واحد ـ هو يوم الثلاثاء ـ ولا اختلاف في ذلك إلّا أن الفقيد الغالي توفّي بعد منتصف الليل من هذا اليوم، والثاني توفّي في صبيحته، وهذه هي الحياة وعجائب مصادفاتها.

زعيم الثورة العراقيّة في ذمّة الخلود

قبيل السحر نعى الناعون أمس إلى أهل السواد: السيّد محمّد الصدر، فصاح الملأ: الله أكبر! لقد انهدّ ركن الوطنيّة الوطيد، وتهدّم صرح الأخلاق الشامخ.

لقد مات زعيم الثورة، وغاب عن ضفاف الوادي الوجه المشرق بضياء المروءة، والمنار الهادي إلى المحجّة المثلى.

ومن الصبح الباكر، والناس في وجوم من هذا الخطب الجلل، وقد كانوا على الدوام يتساءلون عن صحّة السيّد الغالية، ويدعون للشيخ الوقور بالشفاء، ولكن هكذا قضت إرادة الله، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

ومشت بغداد في موكب الفقيد العظيم، وقد انضمّت إليها وفود الجهات، والجميع يعدّدون فضائل الراحل الكبير، ويندبون الشخصيّة الحبيبة إلى القلوب، وقد أذهلتهم الفاجعة، واستشعروا الفراغ الواسع الذي تركته وفاة هذا الجبّار الذي ظفر باحترام الجماهير، وحبّها الصميم.

إنّ سيرة محمّد الصدر تتوهّج بأعمال مجيدة، تتناول كثيراً من مناحي الحياة العراقيّة الحديثة، فمن تعلّم وإرشاد في أندية العلم والثقافة إلى إيقاظ لاسترداد الحريّة العربيّة والاستقلال السليب، إلى المشي في طليعة الثوّار في سوح النضال في مقارعة المحتلّ البريطاني الغاصب، إلى المساهمة الفعليّة في بناء الدولة العراقيّة الجديدة، مع حرص شديد على وحدة الصفوف.

حتّى إذا أقرّت الأُمّة قانونها الأساسي، ووضعت دستورها، تصدّر السيّد محمّد الهيئة

التشريعيّة، فرأس مجلس الأعيان سنين طوالاً. وكان معقد الرجاء، وينبوع المشورة في شؤون الدولة الخطيرة.

ولمّا تأزّمت الحالة السياسيّة مرّات، وهزّت الإنقلابات العسكريّة بنيان الدولة. صمد شيخ البرلمان وزعيم الشعب للقوى المتصارعة، ولم يخفه حكم إرهابي، ولازحزحه عن مكانه في الرأي الصليب تهديد أو إنذار.

وهكذا خرج رجل الثورة وعميد البناء موفور الكرامة، طاهر اليد، آية في الشجاعة والصفاء، ومضرب المثل في الزهد والنزاهة.

عندما يستعرض المراقب السياسي صفحات من تقلّب الأيّام، والانحلال الخلقي بين بعض السياسيّين، يقف أمام هذا الطود الراسخ من العقيدة الصلدة، والخلق المتين، وينحني إكباراً لرجل العلم الذي وهبه العصر الحديث للعراق في مكانه العالي، خير قدوة الجيل الجديد، وأروع مفخرة للوطن المجيد. انتهى.

وفي ص ٥٦ أورد كلمةً موجزةً تحت عنوان: الرجل العظيم، بقلم أمّ[1] سعيد[2] ـ عميدة كلّيّة الملكة عالية في بغداد ـ وهي مايلي:

إنّه من الصعب جدّاً أن يبدي الإنسان رأيه في رجل عظيم، ذهب إلى جوار ربّه، وحسم الموت ما بينه وبين الناس، في سطور قليلة وفي مثل هذه العجالة، ومع ذلك فإنّي أستطيع أن أسجّل هنا بعض انطباعاتي عن الرجل فأقول:

إنّه كان من الشخصيّات النادرة التي تحتاج إليها الشعوب في أوقات المحن والأزمات. فقد كان ﷺ إلى جانب ما يتمتّع به من مكانة دينيّة واجتماعيّة وسياسيّة الملاذ الذي يأوي إليه الشعب في مناسبات مختلفة.

وفي اعتقادي أنّ ذلك يرجع إلى صفة الحنوّ التي كان يتحلّى بها الرجل، والتي برزت في وضوح وجلاء طوال حياته، ولا سيّما في أثناء تولّيه المسؤوليّة. فقد احتضن الشعب في

١. في الأصل: «بقلم أمّة سعيد» ولعلّ الصحيح ما أثبتناه.

٢. كانت ذات ثقافة عالية واطّلاع واسع، معروفة بحسن التصرّف وسعة الخبرة في الإدارة.

محنته وضمّد جراحه، وأسبغ عليه الأمن والطمأنينة، وأعاد إليه الهدوء والسكينة.

ويتراءى لي أنّ سبب ذلك عقيدة دينيّة خالصة، وشعور إنساني رقيق، وإيمان صاف عميق.

رحم الله الفقيد العظيم، وأسكنه فسيح جنّاته، فقد كان مؤمناً بربّه، مخلصاً لوطنه وملكه، وكان قلباً نابضاً بحبّ شعبه، وكان يشغل فراغاً في حياة الأُمّة، ليس لِمَلْئِهِ ـ بعد فقدانه ـ من سبيل. انتهى.

وفي ص ٥٢ وما بعدها ذكر ما يلي:

ألقى الشاعر العربي المعروف الأُستاذ جميل أحمد الكاظمي[1] هذه القصيدة الرائعة في اليوم الثالث لوفاة فقيد العرب والإسلام، سماحة السيّد محمّد الصدر، وذلك في مجلس الفاتحة الذي أُقيم في مسجد الشريف المرتضى، وقد بدا الشاعر فيها حزيناً مكتئباً؛ وذلك لما ناله من هول الفجيعة، وهو المحبّ المخلص للعميد الفقيد.

وقد ظفرت هذه القصيدة بإعجاب السامعين من الأُدباء والفضلاء، ومن الأعيان والنوّاب والوزراء الذي حضروا المجلس، وذلك لما زخرت به هذه القصيدة من معان مبتكرة في مجالات الرثاء والسياسة والاجتماع.

وإنّا لنجد في هذه القصيدة من المعاني الرائعة، وبدائع الابتكارات ما ترتفع إلى أسمى مراتب الشاعريّة الحقّة وأعلاها:

الله أكبر من بالأمس قد حملا ... على الرؤوس أذاق «السيّد» الأجلا

وهل طوى الشمس في عليائها قدرٌ ... يطوى إذا شاء في آفاقه زحلا

فاغبرّ يوم به الرايات ينشرها ... هول الفجيعة لمّا أن طغى وعلا

وهل هوى البدر من عليائه قمراً ... فضمّه اللحد بالأكفان منتقلا

---

١. شاعر رقيق مطبوع هاشمي الهوى والعقيدة، ولد سنة ١٣٢٤ وهو كريم الطبع، متواضع النفس، شاعر له ديباجة مقبولة طيّبة، وأُسلوب فيه أصالة عربيّة، له ديوان مطبوع اسمه آيات الحقّ والإخلاص، توفّي سنة ١٣٨٩. انتهى ملخّصاً عن شعراء بغداد [٢: ٣٦٨] وغيره.

وكـان ليـل عـديم الفجر يـنقصه ... نـور يـوزع فـي آنـائه حـللا
أزعـزع الطـود من أركـانه هـرما ... فاندكّ بـالأمس في عـليائه جـبلا
فمن هوى ليتني مـاكـنت مـدركه ... يوم الرحـيل وأفـدى عـنه مـرتحلا
كـيما تكـاد دمـوع العـين تـغمرني ... ليـعذر الشـعر أن يـرثيه مـرتجلا
وأدمـع الحـزن لألاء القـريض إذا ... مـا صـبّها ذو بـيان سـحره بـطلا
وفي السكوت احـتماء للـعياء وقـد ... كنت الذي أنا فـيكم سـاكـناً مـثلا
وظلّ مـا تـرسل الآمـاق يـسكـتني ... عـيّاً أُريـد إلى نـهج الرثـا سـبلا
فـما تـوفّيت حـقّاً عـند مـغمده ... سـيفاً أرى غـمده بـالحقّ مـتّصلا
بـعد النـضال ومـا فـي حـدّه فـلل ... من القراع عـلى الأعـداء مـا حـملا
والجوهر المـحض لا تـفنيه طـارقة ... إلّا إذا المـوت عـن أسـبابه غـفلا
مـوت يـصول فأرواح مـجرّدة ... عن الجسوم ومـا أبـقت بـها شـغلا
وقد سطا أمس فينا فاصطفى عـلماً ... قد قـارع المـوت حـتّى نـاله شـللا
ولم تـنله المـنايا يـوم مـحنته ... فـي ثـورة غـيره قـد عـافها كـللا
وخان من خان ممّن لست أذكـرهم ... فـي مـوقف للـرثا إذ اخـتشي الزللا
حسبي وحسب القوافـي أن أرددهـا ... عـفّ اللسـان فـما أن عـفتها مـللا
إذا القـريض يـوفّي حـقّ راحـلنا ... ففي المراثـي لشـعر يـعجب الفـضلا
لم يـبق لي الرزء نـطقاً أستعين بـه ... على الرثـاء ومـا إن كـنت مـنتحلا
شـعراً تـفيض بـه الأسـفار طـافحةً ... فـي مـن فـقدنا بـدهر شـامنا نـزلا
بـدارة هـي دنـيا فـي الرحـيل بـنا ... ذكرى الكريم إذا ما فـات مـرتحلا
وهل تفيد حياتي بـعد مـا ارتـحلت ... عنّي الأمـاني وقـد ضـيّعتها أمـلا؟
في من فقدت وعين الشعب بـاكـية ... أسمى الرجال هدى قد شابه الرسلا
مـا كـنت أعـلم أنّـي بـعد تـهنئتي ... بالأمس أرتيك في ذا اليوم منخذلا
والحزن يـخذل مـنطيق العـلى أبـداً ... ما حلّ رزء وبـات القـلب مشـتعلا

ومـــا رثـائي إلّا القـلب أنـفثه عـلى اليـراع فـيمضي بـينه زجـلا
فاسند لي القلب تلق الشعر منبسطاً يا مسند الحقّ في الشورى متى سئلا
ألم تكن أنت أسمى مرجع وهـدى للـمالكين بـرأي قـطّ مـا فشـلا؟
هذي الصـراحـة أُبـديها وتشـهد لي تـلك المـواقـف كـم أنـقذتها بـطلا
من عهد فيصل حتّى أمسـنا وغـداً يمضي بها القـوم مـا مـهّدتها سـبلا
إن يـفقدوك فـلم تـفقد لهـم صـلة بالراحلين، فهديُ الصـدر مـا رحـلا
تلك المواقف بـالآراء مـا ازدهـرت إلّا وغـيثك فـيها كـان مـنهطلا
أمّـا النـدى فـهو ودق لا يـعاد بـه خصب البقاع وغرسُ القوم قد قحلا
فـيا لك الله يـا شـعباً فـقدت هـدى للـحاكـمين وعـنه حكـمهم عـدلا
لا خضت للجود بحراً فـي تـلاطمه يردي الكيان إذا ما الموج فـيه عـلا
أعـــوذ بـــالله والأيـّـام قـاسية فلا رعى الذئب في أوطـاننا حـملا
حـمراء رايـته أن جـاء مفترساً لم يـبق لا نـاقة فـينا ولا جـملا
هـذا هـو الرأي أُبـديه مـصارحـةً للـماسكين زمـام الأمـر والنـبلا
وفي «السعيد[١]» نضوج الرأي مـاحـتفلت صـيد الرجـال وقـد أدركـته الرجـلا
وفي السياسة أسمى من يخوض لها بحراً خضمّاً وفي أمـواجـه اغـتسلا
لو لم أكن أنا في بـحر الرثـا غـرقاً لكنت في خوض بحر المدح منشغلا
لكـنّني والعـلى فـي مـوقف حـرجٍ أن اسـتجيب لداعـيه وقـد سـألا
فقصّر الرزء عن شأو المـدى كـلمي عند الرثـاء وقـد أنشـدتكم خـجلا
يـا حـامليه رويـداً تـحت مـحمله عـلى الرؤوس فـقد حُـمِّلْتُمُ البـطلا
ما كـان أثـقله يـوم الرحـيل هـدى والمجد والفـضل فـي أعـواده ثـقلا
إن خفّ ما خفّ إلّا في الوغى ذربـا سيفاً بكـفّ إلـه الكـون قـد صـقلا

١. يقصد به نوري السعيد.

تـلكم «ديـالة»[1] والذكـرى تـردّدها | علي الزمان لسيف الصـدر مـا فـعلا
فشـيد عـرش رعـاه الله فـي وطـن | يـرعاه فـذّ بـعين لا رأت وجـلا
وليّـــه خـــيرُ مـن أدّى أمـانته | بـعد الوصـاية لمـا رشـده اكـتملا
بالأمس قد سار خلف النعش مكتئباً | والأرض من خفّه قـد نـالت القـبلا
أسمى الوفاء تجلّى فيه مصطحباً | «نوري السعيد» الذي بالصدر قد ثكلا
وخـلفه قـد مشت أعياننا زمـراً | مـمّن يـفاخر فـيهم عـصرنا نـبلا
يا آل «صدر» العلى والديـن تـعزيةً | من شاعر عن هواكم قـطّ مـا نـزلا
يا آل «صدر» العلى والدين خدنكم | لا بات في الحقّ يلقى عـنكم بـدلا
قالوا تـقرّبت زلفـى فـي مـدائحهم | فقلت: زلفى ولكـن لم يكـن دجـلا
وإنّـما بـات مـحض الودّ يـدفعني | نـحو المـودّة إذ ألقـيهما جـملا
وفـيكم للـعلى فـي «صـادق» أمـل | يسمو بـه العـصر لا ضـيّعتم الأمـلا

[١٤] السيّد أبو الحسن بن السيّد عليّ الصدر

وقد ذكر في الحاشية أسماء أولاده وتواريخ مواليدهم ولنذكر عنهم ما يلي:

فأوّلهم: السيّد حسن، قد تخرّج من معهد الهندسة التطبيقيّة في بغداد سنة ١٣٨٢، وهو الآن مهندس في وزارة البلديّات، له ولد اسمه ليث ولد في ٦ شوّال سنة ١٤٠٠.

وثانيهم: السيّد حسين، هو من خيرة الشباب هدياً وتقىً وأخـلاقاً. وقـد دخـل كـلّيّة الحقوق، وتخرّج منها بتفوّق حيث كان الأوّل بين طلّابها، ومال به هديه واستقامته على المثل العليا إلى السلوك في سلك آبائه ـ عليهم الرحمة والرضوان ـ فهاجر إلى النجف الأشرف لطلب العلوم الدينيّة سنة ١٣٨٧، مواظباً ومجدّاً في الدراسة والتحصيل، وله في نفوس أهل العلم من أساتذته وغيرهم منزلة واحترام لورعه وهديه وطيب ذاته وكرم عنصره.

---

١. يقصد بها لواء ديالى من ألوية العراق.

وفي الواقع إنّي رأيته من خيرة شباب السادة المتّصفين بأنبل الصفات وأحسنها، له كتاب: أحاديث إسلاميّة في قضايا الزواج والأسرة وقد طبع، وهو يدلّ على فضيلته ومنزلته في العلم والتحصيل، وقد بلّغنا الله فيه منتهى الأمل، وأحيا به عهد أجداده الأطياب، تشرّف بالحجّ إلى بيت الله الحرام وزيارة جدّه الرسول الأعظم عدّة مرّات، كان خلالها موضع آمال من حوله من الحجّاج وملاذهم. وفي رجب من العام ١٤٠٠، وكانت محنة المؤمنين متفاقمةً على يد الحكم الجائر، اعتقل في الطائرة بمطار بغداد وهو في طريقه إلى العمرة، وحين عاد المعتمرون أطلقوا سبيله متورّم اليدين والرجلين والوجه، مسلول الأظافر، مكشوط إهاب الظهر، وقد تمكّن من الخروج إلى سوريّا فالجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، حيث أنشأ مؤسّسة أهل البيت يقيم فيها الشعائر الدينيّة والمواسم الإسلاميّة وحوزة علميّة على غرار حوزات النجف الأشرف وقمّ المقدّسة.

وللسيّد حسين مشاركة حسنة في الشعر والأدب، وذوق سليم في نظم القريض.

ولنثبت من شعره ما يلي:

لا غرو أن قرّت به كلّ عينْ ... وأسعد الأنام في حبّهِ

فأين أهل الفضل منه وأينْ ... من أهل النهىٰ والعزّ في جنبهِ

جهاداً للمعلي للفرقدينْ ... متّجهاً للحقّ في دربهِ

مطهّراً من كلّ رجس ومَينْ ... اختاره الرحمٰن في حزبهِ

كي يعطي الإسلام نقداً بدينْ ... مستهدفاً للكفر في حربهِ

يبقى دواماً والهدى خالدينْ ... فحيّه دوماً ورحّب بهِ

وهنئ الأهلين والوالدينْ ... وكلّ من بات على حبّهِ

وكيف لا تزهو ربى الخافقينْ ... وتزهر الأيّام من شهبهِ

ويفرح القلب بنور اللجينْ ... تأريخه يجلو دجى كربهِ

والله قد بارك تاج الحسينْ ... لنصرة الإسلام في شعبهِ

والبيت الأخير بكامله تأريخ للبسه الشعار الشريف.

وقد ألحق بها هذه الأبيات:

أراني أرجو حلو وصل بسيّد عظيم لدى العليا جميل الرؤى عندي
سميّ الحسين السبط من آل أحمد سليل سميّ المصطفى الطهر ذي المجدِ
لعلّي أرى قلباً وفكراً مشاركاً يغني كلامي عن حضوري وعن قصدي
أشارك عيد المجد والدين والعلى بتهنئة الإسلام في عيده الوردي
وبعد لعلّي أن أكون موفّقاً وفيت بوعدي حين عبرت عن وجدي

فأجاب المترجم له بنفس الروي والقافية:

أياديك بيضاء عليّ وإنّني على سالف الإخلاص والحبّ والودِّ
لئن غبت عن عيني فإنّك ساكن شغاف فؤادي رغم نأيك والبعدِ
فحبّك فرض ـ يا محمّد ـ في الورى وإنّي من صافي الولاء على العهدِ
فيا صاحب القلب الكبير لقد سمت مزاياك عن حصر وجلّت عن العدِّ
فأنت الأخ الزاكي عليٌ وفضائلاً وأنت الصدوق البرّ يا نبعة المجدِ
لئن كنت سبّاقاً بفضلك دائماً فإنّك أوفى صاحب صادق عندي
أبا المصطفى عذراً إذا ما تعثّرت حروفي أو ضاقت عن الشكر والحمدِ

وله هذه القصيدة في رثاء الشهيد الثالث الإمام الكبير السيّد محمّد باقر الصدر ﷺ:

قد عظم الخطب وجلّ العزاء والصدر لا يبكى بغير الدماء
ما الدمع إلّا لغة فجّة يألفها أطفالنا والنساء
حفنة دمع وشظايا أسىً مقولة مرفوضة في الرثاء
فالصدر بركان لهيب اللظى يلتهم الباطل والأدعياء
يا وهج الإسلام يا «صدره» لا تنطفي منك شموس الضياء
إشراقة أنت بآفاقنا والصحو من أفكارنا والبهاء
في كلّ شبر منك إشعاعة ينتشر الإشعاع أنّى تشاء

والألق الباهر إن لألأت أنواره غطّى المدى والفضاء
لا تحجب الشمس ومن ضوئها تبنى حياة ويشاد البناء
يا «صدر» يا نبع الشذا والرواء كلّ معانيك سماح وضاء
من «أحمد» تستاف عطر الندى ومن «عليّ» تنتشي بالعلاء
وينسج «الحسين» ثوب الإبا وتلبس الثوب ويسمو العطاء
للّه نفس صنتها بالدما ما غضبت يوماً لغير السماء
فيا حسين العصر لا تبتئسِ أن عزف الباغي لحون الغباء
فأنت للأجيال أنشودة يشدو بها الأحرار والأصفياء
كتبت لكن بزكيّ الدماء ملحمة فصولها «كربلاء»
تناغمت والطفّ في روحها وضارعته في الندى والنداء
أجواؤها أجواؤه والهدى بطولة تعشق طعم العناء
تصارع الطغيان في أوجه وتصرع الضلّال عبر اللقاء
الشعب من «صدّام» في محنة طالت لياليها وطال البلاء
في كلّ دار آهة لم تكن عليه إلّا صرخة من دعاء
لا يحتسي إلّا الدما أكؤساً وضجّ منه الكأس والإحتساء
فثمّ نار ولظىً واصطلاء وثمّ أشلاء من الأبرياء
والشعب في محنته هاتف الدرب بالصدر منّا مضاء
قولوا «لتكريت» وصدّامها نهاركم «بالصدر» أضحى مساء
لم تقتلوا «الصدر» ولكنّه أسلمكم إلى مهاوي الشقاء
ولن يغيب «الصدر» عن ساحة روّى ثراها بنجيع الدماء
«الصدر» ممتدّ بأهدافه والصيد من أصحابه الأوفياء
وليخسأ الطاغوت فيما جنى وخسئت عبيده والإماء

ويـــلاه يـــا ســليلة الأوصـياء ويــــا جـــبيناً نــاصعاً بــالتقاء
«بنت الهدى» فتّشت عن زينب فــلم أجــد غــيرك بـين النسـاء
إلى الحسـين السـبط تـنمى دمـا وطــاب مــن ثــورتك الانــتماء
وكــبّر المــجد بــها هــاتفاً إنّ لواء الصـــدر نــفس اللــواء
يــــا مـــازجاً «مـداده» بـالدما و«نـاشراً» بـالموت «سـفر» بـالبقاء
عــلّمتنا أن نســتحثّ الخـطى فــالموت فــي الله طـريق ارتـقاء
ورحـلة المـوت عـلى مـا بـها مــن ألم بــدايــة لا انـتهاء
يــا «صـدر» يـا مـدرسة لقّنت طـــلّابها كـــلّ دروس المـضاء
غــذّت بــالجهاد أبــناءها إنّ جـهاد الكـفر أسـمىٰ غـذاء
رســالة الصــدر إلىٰ شـعبه لا يــولد الفـتح بـغير الفـداء
هــيهات أن يـرقى إليك الثـناء يـا قـمّة مـا طـاولتها «ذكـاء»
أنت بــعليائك عــالي الذرى والشعر في عـلياك يشكـو العياء
يـا «صـدر» أن تـعل فـفي منهج يشــمخ بــالأمجاد والكـبرياء
آمـــالها كـــنت وآلامـــها وصـبرها المـرير فـي الابـتلاء
أســتغفر الله فــلم يــقتلوا زيــنب واغــتالوك فــي كـربلاء
لا يــقتل الفكــر وإن غـيّبوا رمـــوزه وأمـعنوا فـي العـداء

وهو إلى الآن لم يعقب.

وثالثهم: السيّد حبيب، وهو مجاز في الأدب العربي، وقد أنجب ولداً مباركاً اسمه حمزة.

ورابعهم: السيّد حسيب، وهو حائز على شهادة ماجستير في الاقتصاد، فرع الإحصاء، له ولد اسمه محمّد.

وخامسهم: السيّد حيدر، وهو مجاز في المحاسبة وإدارة الأعمال.

له ثلاثة أولاد: هادي ولد سنة ١٤٠٣، ومهنّد وقد ولد سنة ١٤٠٧، وزيد.

وكلّهم معروفون بالاستقامة والأخلاق العالية.

[١٥] السيّد عبّاس بن السيّد عليّ الصدر

وقد أصبح في الكاظميّة في طليعة أجلّاء أهل العلم وأعيان رجال الدين، له المنزلة المرموقة والمرتبة السامية في نفوس جميع الطبقات ؛ لما تحلّى به من الصفات العالية، والمزايا الحميدة، من شمم ونبل وورع وصلاح، وصفاء نفس، وكرم أخلاق، ولطف معشر، وحلاوة مجلس، وطلاوة حديث.

فهو كما قيل: يملأ العين خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً. والناس تلتفّ حوله وتعطيه ثقتها، وهو يؤمّ الجماعة في الفرائض الخمس، وجماعته تعدّ من أشهر الجماعات في الكاظميّة، وقد قرن العلم بالعمل، حيث تفرّغ لحلّ مشاكل الناس وتسهيل أُمورهم، والنظر في مهمّاتهم، وقد أسّس بسعيه وهمّته حسينيّةً في الكاظميّة، تدعى «حسينيّة آل الصدر» وهي من أفخم الحسينيّات وأروعها، عامرة في كثير من الأيّام بالمآتم الحسينيّة والمواعظ والاحتفالات والمحاضرات.

أمّا في الخطابة والوعظ فله القدح المعلّى، والمقام الأسمى، يجذب قلوب سامعيه بطلاقة لسانه، ومن بيانه يدخل كلامه ونصحه في الأعماق، فيكون له أبلغ الأثر في النفوس.

وقد وصف منبره الأديب الكبير الحوماني في كتابه من يسمع ص ٧٥ فقال:

وددت أن أشهد محفلاً يقام صباح كلّ جمعة في منزل العلّامة السيّد عليّ الصدر بالكاظميّة، ويكون خطيب المحفل نجله السيّد محمّد مهديّ الصدر، وقد شهدت هذا المحفل مراراً، فكنت أعجب ما أراني معجباً في ما أسمع بإخلاص الخطيب، وهو يعظ ويرشد بنصحه، وهو يتخيّر العظات والعبر للمحدقين به، ولو أنّ المجالس والمحافل التي تبلغ الملايين في أبهاء المسلمين، تستمع إلى مثل هذا الخطيب التقيّ الفهّامة، لما انحطّ المسلمون إلى هذه الهوة التي تردّوا فيها منذ قرون، ثمّ لم يجدوا قائداً مخلصاً ينهض بهم إلى ذروة العزّ التي هي وقف على الاتّعاظ بمثل هذه الحكم.

وكم كان يؤلمني أن أسمع من بعض الشيعة الذين لا يحكّمون وزن التفقّه في الدين يقول:

حسبنا أن نعتصم بولاية الأئمّة الأطهارعليهم السلام [وحبّ عليّ حسنة لا تضرّ معها سيّئة. أقول:][1] كم كان يؤلمني ويحزّ في نفسي أن أسمع مثل هذا، ثمّ لا أسمع ما يدحضه حتّى شهدت هذا المجلس في بهو[2] آل الصدر، وحتّى سمعت الخطيب النابه يقول: ليست الجنّة التي نحتسبها عند الله وقفاً على حبّنا أهل البيت، وإنّما هذا الحبّ هو شيء ممّا نبلغ به الجنّة؛ إذ يقول إمامناعليه السلام: «إنّ شيعتنا من عملوا عملنا، ولم يقتصروا على حبّنا»[3]. انتهى.

له من المؤلّفات: أخلاق أهل البيت، وهو مطبوع، وكتاب أصول العقيدة، وقد طبع منه جزءان: الأوّل: في التوحيد والعدل، والثاني: في النبوّة، وبقي الثالث والرابع، وهما في الإمامة والمعاد. وهو كتاب جيّد الأسلوب، متين الترتيب والتبويب، يجذب قارءه بمحكم دلائله، ووضوح برهانه وله أيضاً فلسفة العبادات الإسلاميّة وسلسلة أنوار السماء في أربعة عشر جزءاً، ولم يزلا خطّيان، توفّي بالكاظميّة في ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٤١٨.

له من الأولاد خمسة، وهم: السيّد محمّد صالح ولد في ٥ جمادى الثانية سنة ١٣٧٥، والسيّد محمّد صادق ولد ليلة ٢٨ جمادى الثانية سنة ١٣٧٦، والسيّد كاظم ولد ليلة ٢٩ شوّال سنة ١٣٧٧، ومحمّد وعليّ، وهما توأمان، ولدا في شعبان سنة ١٣٩٨، وكلّهم يظهر على وجوههم السمت والصلاح، حفظهم الله بحفظه وعنايته.

[١٦] السيّد محمّد الصادق بن السيّد محمّد حسين الصدر

وله أيضاً كتاب الإجماع في التشريع الإسلامي، دراسة موضوعيّة للركن الثالث من أدلّة الاجتهاد مقارنةً بآراء المذاهب الإسلاميّة كافّةً، وقد وفّى الموضوع حقّه وأحسن وأجاد، وقد سمعت عنه من أهل العلم كلّ إطراء وثناء، وهو مطبوع.

١. مابين المعقوفين أضفناه من المصدر.

٢. البهو: الواسع من كلّ شيء، والبيت المقدّم أمام البيوت، والمكان المخصّص لاستقبال الضيوف. راجع المعجم الوسيط: ٧٥، «ب.ه.و».

٣. من يسمع: ٧٥.

كتب عنه الأديب الفاضل الأُستاذ عبّاس عليّ في حاشية ص ١٨٨ من كتاب زعيم الثورة العراقيّة، وذكر عن رئاسته للتمييز الشرعي وقال:

من وراء هذا الدست ـ الضخم ـ يمدّ الصادق يده يوميّاً إلى عشرات من المستضعفين في الأرض؛ لتقضى بواسطة اسمه فقط حوائجهم ومشاكلهم، ويعتبر سماحته اليوم من رؤوس الرجال الذين تفتخر بهم الأُمّة، علماً وخلقاً وكياسةً ومقاماً. وله في مجال الخدمة العامّة جولات طبع سماحته على إخفائها وعدم التحدّث عنها، وهذه في الواقع صفة قلّما وجدت في الرجال العاملين. انتهى ملخّصاً وقد توفّي في ١٥ شعبان سنة ١٤١٥، وشيّع تشييعاً يليق بمكانته، ودفن في كربلاء، في مقبرة خاصّة أعدّها لنفسه قدّس الله نفسه.

وذكر أيضاً في حاشية ص ٦ من الكتاب المذكور عن المجلس الذي كان يعقد في داره ليلة السبت من كلّ أُسبوع فقال ما ملخّصه:

يمتاز مجلس صاحب السماحة السيّد الصادق على سائر مجالس الحاضرة بكونه يجمع في رحبه طائفة من سراة طبقات المجتمع العراقي، ولقد أبدع الأُستاذ الحوماني في وصف هذه الندوة الأُسبوعيّة حينما تعرّض للسيّد الصادق، وأفرد له فصلاً خاصّاً من كتابه وحي الرافدين في جزئه الثاني، وإنّي أقتصر في النقل على ما يخصّ وصف هذه الندوة، قال:

أوّل مايطالعك وأنت تجوز الردهة إلى الثويّ مشجب تتدلّى منه العصيّ، ومن ورائها مرآة تريك نفسك قبل أن تفجأ برعشة النادي؛ لتكون على بصيرة من أمرك، وأنّك مطمئنّ إلى شكلك المهذّب كأنّ هذه العصيّ نذير لك أن لا تدخل غير حذر؛ إذ دخل قبلك من يجب أن تتجمّل قبل دخولك عليه. وأوّل ما يلزمك لتفقّد شخصك هو هذه المرآة فتعهّد كيانك بها، فوضع المشجب على الباب، والمرآة في قلبه لهذه الحكمة.

كنت إذ أقف أمام تلك المرآة فأتعهّد زينتي وزيّي بما يعوزها من كمال، كنت أسمع دويّ[١]

---

١. دويّ: صوت. راجع لسان العرب ١٤: ٢٨١، «د. و. ى».

السامرين في الثويّ كأنّما أجوز إليهم ساباط مدينة القاهرة، ودهليز قصر كقصر فرساي، وكنت وأنا مطمئنّ إلى أنّي واحد من السمّار، أستشعر الرهبة عندما أطلّ على الجلوس وهم ثابتون في مقاعدهم الفخمة، والثويّ محتشد بهم على طول مداه.

كان يطالعني من هذا المجلس وجوه غرّ، ألمح فيها أبداً ما رأيت سمات تشرق عيني بالابتسام ووجوهاً يطفح عليها الأدب، ويجول في قسماتها الفنّ فمن آل الصدريّين هادٍ ومهديّ، إلى آل ياسين، فآل الدجيلي، فأسرة «الساعة» الغرّاء، وكلّ من هؤلاء محبّب إلى النفس، قريب من القلب، يكاد الجدل والحوار يقيمنا ويقعدنا، كأنّا في عكاظ أُقيمت معرضاً للفنون، أو مربداً للعلوم.

تلك هي لياليك يا أبا جعفر، أفتعذرني إن قلت لك: لم أجد مثلك شخصاً جمع بين جمال الخَلْق وجمال الخلق، إلى جمال المكان وجمال الكائن.

نعم إنّ مكانك لجميل بجلاله، وإنّ زوّارك لأجمل منه بما ينطوي فيهم من أدب وعلم، وإنّك أنت لأجمل من كلّ ذلك؛ إذ كنت السبب في تزاوج هذه البدع من أنواع الجمال، وحشدها كوناً يتدافع في أُفق واحد.

ما أروع الكاظميّة بلياليها، وأروع ما في هذه الليالي روائع الأدب الفيّاض في هذه الدواوين، وفي الطّليعة منها ديوانك؛ إذ يجمع بين طرفي الشباب والشيوخ أدباء حكماء وسياسيّين، بينما نجد غيره من الدواوين قاصراً على فئة واحدة من الناس. انتهى.

وله ثلاثة أولاد، هم ملء السمع والأبصار خَلْقاً وخلقاً وآداباً ونبوغاً وهم:

السيّد جعفر ولد في ٤ المحرّم سنة ١٣٦١، وقد تخرّج من كلّيّة الطبّ في بغداد بدرجة امتياز سنة ١٣٨٣، وهاجر بعد ذلك إلى أمريكا، ودخل جامعة شيكاغو وتخرّج منها بتفوّق، وتخصّص بالقلب ونال رتبة «بُرد» في الأمراض الباطنيّة، وهو الآن أُستاذ في الجامعة المذكورة، وله بحوث مهمّة في القلب باللغة الإنكليزية، وهو مشغول بإصدارها، وله ولد واحد

هو السيّد صادق ولد في ٣٠ جمادى الأُولى سنة ١٣٨٧.[١]

السيّد عليّ ولد في رجب سنة ١٣٦٢، وقد دخل في كلّيّة الاحتياط العسكريّة، وتخرّج منها سنة ١٣٨٨، وهو الآن ضابط برتبة ملازم في الجيش العراقي، له ولد واحد اسمه فراس ولد في ٢٢ صفر سنة ١٣٩٣.[٢]

السيّد أُسامة ولد في ١٨ المحرّم سنة ١٣٧٥ وهو حائز على شهادة الليسانس في الرياضيات، وله ولدان: حارث ولد... وحسنين ولد... .

[١٧] الميرزا جعفر بن السيّد أبوالحسن الصدر

وترجمه في شعراء الغريّ ج ٢ ص ١٢٩ وما بعدها فقال ما ملخّصه:

ذكره صاحب الحصون[٣] ج ١ فقال: كان شاعراً بليغاً أديباً فاضلاً كاملاً عالي الهمّة، سخيّاً جواداً، ولد يوم الغدير في النجف الأشرف سنة ١٢٤٦، وكان ينتاب طهران عاصمة إيران مادحاً لسلطانها ناصر الدين شاه وأُمناء دولته ووزرائه، وكانت له الوجاهة التامّة عندهم، وكانوا يكرمونه غاية الإكرام، وينعمون عليه أشدّ الإنعام، وكلّ ما كان يصله يصرفه عليهم وعلى غيرهم.

وكان جيّد القريحة، سريع البديهة، حاضر الجواب، حسن المعشر، وقد توقّف مدّةً كثيرةً تنيف على العشرين سنةً في طهران. وقد رجع إلى النجف في حدود سنة ١٢٩٥، ومكث برهةً قليلةً. فشاهدته واجتمعت معه فوجدته سيّداً شهماً غيوراً ذا همّة عالية يتطلّب صنوف المعالي.

ثمّ رجع إلى محلّ إقامته[٤] وتوفّي في أواسط رمضان المبارك سنة ١٢٩٧.

---

١. وأمّه كريمة اللواء علي النقيب.

٢. وأمّه كريمة السيّد الجليل محمّد هادي الصدر ـ عليه الرحمة ـ الذي تقدّمت ترجمته (تقدّمت في ص ٤٦٩).

٣. هو الشيخ عليّ كاشف الغطاء.

٤. أي: طهران.

ومن شعره وقد خمّسه السيّد راضي القزويني[1] قوله:

زها نجم السعود لمجتليهِ ... وراق جنى السرور لمجتنيهِ
بنادٍ فاتر الألحاظ فيهِ ... سقاني خمرة من ريق فيهِ
وحيّا بالعذار وما يليهِ

ففزت بقربه من بَعد بُعدِ ... وحزت به نهاية كلّ قصدِ
عشيّة زارني من غير وعدِ ... وبات معانقي خدّاً بخدٍّ
غزال في الأنام بلا شبيهِ

سلوا عنّا السُها إن كان عينا ... وشمس الكأس تشرق في يدينا
وبتنا والعفاف به ارتدينا ... وبات البدر مطّلعاً علينا
سلوه لا ينمّ على أخيهِ

وترجمه في الكرام البررة ج ١ ص ٢٤٣، وله ترجمة في معارف الرجال ج ١ ص ١٥٧.

[١٨] السيّد محمّد عليّ بن السيّد أبو الحسن الصدر

وترجمه في شعراء الغريّ ج ٩ ص ٤٧٦ وما بعدها فقال:

ولد في الهور من ضواحي النجف عام ١٢٤٧، ونشأ على أبيه، وقبل أن يدرك البلوغ أرسله إلى النجف فنشأ فيها النشأة الحسنة يتلقّى المعارف من أفواه الأفاضل في المجالس، ويتطلّع إلى الفضيلة من طريق مراقبة السيرة والاقتفاء بها.

وبعد أن حاز على ملكة في العلوم العربيّة رغب في الاستمرار بطلب العلم، فجعل يزدلف إلى فريق من علماء عصره في النجف، وقد نال منزلةً كبرى في العلم، وبلغ مرتبة الاجتهاد. انتهى.

---

١. شاعر شهير، وأديب كبير، ولد في النجف سنة ١٢٣٥، وكان شاعراً مفلقاً رقيق الغزل، حسن الانسجام، ماهراً في التشطير والتخميس، صحب الوالي مدحت باشا، (مدحت باشا من أعظم رجالات الإدارة العثمانيّين ـ صدر أعظم ـ ولد في سنة ١٨٢٢ ومات مخنوقاً في السجن سنة ١٨٨٤. راجع المنجد في الأعلام: ٦٤٥) فكان موضع عنايته وتقديره، توفّي بتبريز مسافراً سنة ١٢٨٥. انتهى ملخّصاً عن شعراء الغريّ ج ٤ ص ٣.

له من المؤلّفات على ما ذكره في اليتيمة : ١ـ كتاب في النحو ٢ ـ في الصرف ٣ ـ في الأصول ٤ ـ في الفقه من التجارات من أوّلها إلى آخرها ٥ ـ المدورات ٦ ـ اليتيمة كتبها على نمط يتيمة الثعالبي ترجم فيها علماء عصره فعرضها على أستاذه الأنصاري، وكان مفرطاً في المدح والثناء عليه، راجياً منه التقريظ عليها، فأحبّ الشيخ المداعبة معه فكتب عليها هذا البيت:

فيا مضيّع عمر في كتابتهِ فلا أُضيّع عمري في قراءتِهِ

ولم ينظم ﷺ سوى هذا البيت، وكانت النسخة بخطّه عندي برهةً من الزمن.

وذكره أيضاً في ج ٥ من الحصون فقال: شبّ ونشأ محبّاً للعلم، والأدب، وكان اشتغاله في الأدب أزيد من العلم، فبرز شاعراً ماهراً مجيداً، وألّف كتاباً على نهج يتيمة الدهر للثعالبي في تراجم علماء عصره وله ديوان شعر موجود هو و اليتيمة بخطّه في مكتبتنا ولا نسخة له غيرها.

ومن شعره قوله من قصيدة يمدح بها السيّد ميرزا حسن الشيرازي:

كيف تحكي أكفّك الأنواءُ أو ما يأخذ الحياءَ الحياءُ؟
ليس يهمي السحاب إلّا شتاءً وسواء لديك صيف شتاءُ
ما درى من غدا يجاريك فخراً أنّه الأرض والمقام السماءُ
فتية حاولت مديحك لمّا طفحت في ذواتها الأهواءُ
ويحها ما درَت بما قيل قدماً «غاية المدح في علاك ابتداءُ»
يا ابن الندى [أيا][1] جزيل عطاء شكرتها الآباء والأبناءُ
لك يا ذا العلى مدائن فضل قد أقلّت بظلّها الأصفياءُ
لك يا ذاالحبا مواقع جودٍ حبست ركبها بها الخضراءُ
علم الله أن تكون إماماً وما آلاً مأوىً له الآلاءُ

١. [أيا] منّا؛ لاستقامة الوزن.

فعلمت الأسماء منه تضاهي آدماً حين علّم الأسماءُ
وبحكم الإله في كلّ شيءٍ صرت تدري وما بذاك امتراءُ
أيّها العالم الذي حاز علماً لم تحزه أنداده العلماءُ
وحوى في النهى فضائل شتّى ما حوتها من قبله الفضلاءُ
كيف لا والرؤوس تطرق خفضاً لعلاء وتخضع الرؤساءُ
دم مدى الدهر في نعيم مقيم بفناء لا يعتريه فناءُ

انتهى ملخّصاً.

وترجمه الأديب الكامل السيّد سلمان هادي الطعمة[1] في كتابه شعراء من كربلاء ج ٢ ص ٤٥ وما بعدها فقال:

والشاعر السيّد محمّد عليّ العاملي، يوحي لقارئ شعره أنّه من الشعراء الذين أُوتوا الموهبة الشعريّة الرائعة، ومن ذوي العاطفة المتوهّجة، والشعور الزاخر، فإنّ شعره يتميّز بالرقّة المتناهية، واللفظ الأنيق، والمعنى الدقيق، والخيال الرحيب. وليست هذه المواهب بالطارئة عليه، فهو سليل بيت اشتهر بالعلم والأدب والورع، وعاش بين رفوف الكتب المتنوّعة، فانكبّ على دراستها واستيعاب مضامينها، حتّى حصل على كلّ ما تتوق إليه نفسه من العلم والمعرفة.

وشاعرنا العاملي من الذين عاصروا نخبةً طيّبةً من شعراء كربلاء، وكانت له صلات وثيقة معهم، ونخصّ بالذكر، العالم الشاعر، السيّد أحمد الرشتي[2].

١. هو السيّد سلمان بن السيّد هادي الطعمة أديب شاعر وكاتب ناثر جزل الأُسلوب، ولد في كربلاء سنة ١٣٤٩، وهو أُستاذ في إحدى مدارس كربلاء، وله مؤلّفات كثيرة. انتهى ملخّصاً عن البيوتات الأدبيّة في كربلاء ص ٣٧١.

٢. هو السيّد أحمد بن السيّد كاظم الرشتي، قام بعد أبيه برئاسة الفرقة الشيخيّة، وبرز شاعراً كبيراً بذّ كثيراً من قرنائه في الشعر، توفّي في كربلاء سنة ١٢٩٥. انتهى ملخّصاً عن البيوتات الأدبيّة في كربلاء ص ٦٢٩. (لمزيد الاطّلاع على ترجمته راجع: أعيان الشيعة ٣: ٦٨؛ الكرام البررة ١: ١٠٢، الرقم ٢٠٣).

وقد خصّص البحّاثة الشهير، الشيخ عبد المولى الطريحي[١] دراسة لهذا الشاعر، في كتابه الخطّي القيّم الحائريّات فقال: هو السيّد محمّد عليّ بن السيّد أبي الحسن بن السيّد صالح بن السيّد محمّد بن إبراهيم بن زين العابدين بن نور الدين عليّ أخي صاحب المدارك الموسوي العاملي الأصل، النجفي التحصيل، الحائري المسكن والمدفن، عالم فاضل، وأديب شاعر، وفقيه أُصولي، وكاتب مترسّل، ماهر في جميع العلوم العربيّة، شديد الذكاء، سريع الحافظة، جيّد القريحة، وقّاد الفكر. إلى آخره.

ومن شعره: قوله ـ مهنّئاً السيّد محمّد تقيّ الطباطبائي[٢]، وذلك في اقتران نجله السيّد محمّد الطباطبائي[٣] ـ:

أيّـها الركب سر لكلّ بلادِ ... وانشر البشر في جميع العبادِ
ماترى الدهر والكواكب تزهو ... والمسرّات ملء كلّ فؤادِ
ماترى بالهنا الكواكب تشدو ... صادحات بالبشر في كلّ وادي
وطيور السعود في كلّ لحن ... معلنات باليمن والإسعادِ
وذوو العلم أصبحوا في سرور ... يتضنّون في رضىً واعتدادِ
والبريّات من أقاصي المعالي ... تقطع البيد من ربىً ووهادِ

١. علم من أعلام الحركة الأدبيّة والتأريخيّة ومؤرّخ ثبت، ولد سنة ١٣١٧ قضى عمره منقباً عن تأريخ العراق الأدبي في قرونه المظلمة، وقد جاءت كتاباته عقوداً ناصعة في جيد الأمّة العربيّة، توفّي في النجف سنة ١٣٩٥. انتهى ملخّصاً عن العرفان م٦٣ ص١٠٦٧. (لمزيد الاطّلاع على ترجمته راجع مستدرك أعيان الشيعة ٤: ١٢٨).

٢. هو السيّد محمّد تقيّ بن السيّد رضا بن السيّد مهديّ بحر العلوم الطباطبائي، ولد سنة ١٢١٩. ترجمه في اليتيمة فقال: بلغ الغاية في الورع والفضل بجدّه، ولم يزل ربعه كعبة الوفّاد ومنية القصّاد رفيع القدر والجاه عند الملوك. إلى آخره وقال في التكملة: إنّه سيّد علماء عصره، وفقيه مصره، توفّي سنة ١٢٨٩. انتهى ملخّصاً عن الكرام البررة ج [٢:] ١ ص٢١٧. (وأيضاً راجع: أعيان الشيعة ٩: ١٩٦؛ معارف الرجال ٢: ٢٠٩، الرقم ٣١٦).

٣. تقدّمت ترجمته في حاشية ترجمة السيّد حيدر الصدر. (تقدّمت ترجمة السيّد حيدر في ص ٣٠٥ وما بعدها. ولكن لم نعثر فيه على ترجمة السيّد محمّد الطباطبائي).

وله أيضاً:

أيّها النائمون حولي أعينوني ... على الليل نخوة وافتخارا

حدّثوني عن النهار حديثاً ... وصفوه فقد نسيت النهارا

وقال مخاطباً صديقه العلّامة الشيخ عليّ كاشف الغطاء[1]:

يا عليّاً لآل جعفر يُنمي ... عمرك الله حزت علما وفهما

أنت قدماً ربيب حجر المعالي ... وصبيّاً أوتيت في المهد علما

انتهى ملخّصاً:

وله ترجمة في معارف الرجال ج ٢ ص ٣١٢.

[١٩] السيّد نور الدين بن السيّد الشريف

أعقبﷺ[2] أربعة أولاد:

أوّلهم: السيّد نورالدينﷺ وقد كتب ترجمته سماحة العلّامة الجليل السيّد محمّد صادق الصدر[3] ـ دام ظلّه ـ فقال:

السيّد نورالدين شرف‌الدينﷺ والده العلّامة الكبير المرحوم السيّد شريف، نجل الحجّة المرحوم السيّد يوسف شرف‌الدين.

وأمّه الوالدة البارّة المرحومة، كريمة الحاجّ عليّ الزين، والد المرحوم الشيخ عارف الزين، صاحب مجلّة العرفان، ورجل الإخلاص والثبات.

---

١. هو الشيخ عليّ بن الشيخ محمّد رضا بن الشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ولد حدود سنة ١٢٦٨، هو زعيم الأسرة الجعفريّة في عصره، ولع بالأدب والعلوم العربيّة والموسوعات من التأريخ، وعلم المحاضرة، وقد أودع الله فيه من غريزة الذكاء ولطف القريحة وقوّة الحافظة وسعة الذاكرة ولطافة الطبع وأريحية الروح وصفاء الضمير، وقد حاز بهذه الخلال ميزةً وتقدّماً على أقرانه، من مؤلّفاته الحصون المنيعة في طبقات الشيعة في عشر مجلّدات ضخمة، توفّي سنة ١٣٥٠. انتهى ملخّصاً عن ماضي النجف وحاضرها ج ٣ ص ١٧٣. (وأيضاً راجع: أعيان الشيعة ٨: ٣٠٦؛ معارف الرجال ٢: ١٣٦، الرقم ٢٧٠).

٢. أي السيّد الشريف أخ المؤلّفﷺ.

٣. راجع ترجمته في نقباء البشر ٢: ٨٦٩، الرقم ١٤٠٠.

والسيّد شريف شقيق المرحومة والدتي، وأمّهما كريمة المرحوم العلّامة الشيخ محمّد سليمان الزين، والد المرحوم الشيخ محمّدرضا الزين العالم الشاعر، والقاضي الأديب المعروف. ولد السيّد نورالدين‎ﷺ في النجف الأشرف، في ٥ صفر سنة ١٣٢٧، حيث كان والده لا يزال في مهجره العلمي.

روّع السيّد نورالدين بفقد والده ولم يبلغ العاشرة من عمره، فاحتضنه عمّه الإمام‎ﷺ وضمّه إليه، وقد حظي من عطفه ورعايته ما لم يحظ به ولد من والده، وقد بقيت هذه الرعاية حتّى آخر لحظة من حياته.

نقله السيّد بعد وفاة والده من شحور إلى مدينة صور، فأدخله المدرسة، وقام بنفسه يعلّمه العربيّة مع إخوانه أبناء عمّه، ثمّ أرسله إلى العراق سنة ١٣٤٢، ومعه السيّد محمّدرضا والسيّد صدرالدين‎ﷺ حيث كان يقيم أخوهم الأكبر المرحوم السيّد محمّدعليّ في الكاظميّة، موطن أخواله الأعلام من آل الصدر.

وكان يومئذٍ على قيد الحياة عميد الأسرة والمرجع الديني الأعلى عمّنا المرحوم الإمام السيّد حسن الصدر؛ لذلك كانت الكاظميّة في ذلك العهد، مقصداً يتّجه إليها كثير من الطلّاب والأفاضل.

وكان أخوهم الأكبر السيّد محمّد عليّ‎ﷺ في ذلك التأريخ، مشغولاً بدراسة الكفاية عند أستاذنا المرحوم السيّد حيدر الصدر، الذي كان آيةً في الفقه، وحجّةً في الأصول.

وبعد أن فرغ السيّد محمّد عليّ من الكفاية وهضمها درساً وشرحاً، قصد النجف الأشرف؛ إذ كانت ـ ولا تزال ـ هي الهدف لطلّاب العلوم الدينيّة، في درس الخارج للدراسات العليا في الفقه والأصول.

وكان المرحوم السيّد محمّدعليّ، يشرف على إخوته في النجف الأشرف، ويختار لهم الأكفّاء من المدرّسين. وبقي الجميع في بيت واحد، يشار إليهم بالبنان من حيث الفضل والهدى والأدب والمجد والخلق الرفيع، ولكن شاء الدهر الخؤون أن يفرّق هذا الاجتماع، فأصيب الأكبر السيّد محمّد عليّ بمرض عضال اضطرّه إلى الرجوع إلى جبل عامل، في وقت كانت البلاد العامليّة تتهيّأ لاستقباله بعد أن أنهى دراسته، وأجيز من أساتذته الأعلام.

كما أنّ المرحومين السيّد محمّدرضا والسيّد صدرالدين اتّجها إلى الصحافة والوظيفة قبل أن ينهيا الشوط، وقبل أن يفرغا من دراستهما العلميّة.

وثبت السيّد نورالدين على سالف عهده، فنهل من العلم ما شاء حتّى ارتوى، وصبّ له في إنائه حتّى توسّط ساحة الفضلاء، وكان الماثل في علمه وهديه وخلقه وصلاحه.

وكان محبوباً مهاباً محترماً لدى القريب والبعيد، ولا يذكر في يوم من الأيّام إلّا بالخير، ولا يشار إليه إلّا بالإكبار.

عفّ اللسان، صادق اللهجة، لا يذكر إنساناً بسوء ولو كان ظالماً له، ولا يدخل في نزاع أو فتنة، وشعاره قول جدّه أميرالمؤمنين عليه السلام: «كن في الفتنة كابن اللبون»[1].

يتواضع ولكن برفعة نفس تواضع العلماء، وهو بهذه النفس الرفيعة المتواضعة في كلّ أدوار حياته، لا فرق في ذلك بين أيّام الشباب والكهولة والشيخوخة، وهو هو، أيّام الصحّة وأيّام المرض لا تفارقه البسمة.

كان يحبّ الاعتزال، ولا يشترك مع الناس في أمورهم إلّا على قدر الواجب الذي يفرضه الشرع ويدعو إليه الاجتماع.

يحبّ أرحامه، ويصلهم إن قطعوه، وهو في كلّ أدواره همزة وصل، ولا يرضى لنفسه أن يكون همزة قطع في يوم من الأيّام، وهذا شأنه مع القريب والبعيد، وهذا من خلقه الطبيعي، بصرف النظر عن الواجب الشرعي، وهي خلّة كريمة، ومن الصفات النادرة التي لا تجدها اليوم إلّا في قليل من الناس.

هادئ النفس، فلا تحرّكه العواصف إلّا إذا غضب في سبيل حقّ، فإنّه يثور ثورة الأسد الهصور.

عاشرته طوال أيّام حياته رحمه الله فما لمست منه خطأً في قول أو عمل، وهو ميّال لأن يعمل ولا يقول. يحبّ الصمت، فهو لا يتكلّم إلّا إذا دعته الحاجة إلى الكلام، وقد يظنّ من لا يعرفه

١. نهج البلاغة: ٦٥١، ح ١.

أنّه عيّي اللسان، ولكنّه إذا تكلّم تحدّث بدون تكلّف، متسلسلاً في فكره ومنطقه.

رجع السيّد نورالدين من النجف الأشرف إلى جبل عامل، بعد أن ارتوى من العلوم كما شاء، وقد استقبل استقبالاً فخماً، ورحّبت به القرى المجاورة لشحور مظهرةً شعورها بالأهازيج الشعبيّة، المعبّرة عن بالغ سرورهم.

وقد وجد عمّه الإمام‏‏ﷺ به ما أقرّ عينيه وأثلج صدره؛ إذ رآه صورةً طبق الأصل عن المرحوم أبيه، علماً وهدياً وخلقاً وخُلقاً.

وقد اشترك السيّد نورالدين في كثير من المناسبات العامّة، التي كان السيّد عمّهﷺ يدعو إليها، ولاسيّما مناسبات العيدين: المولد والغدير.

فقد كانت القرى العامليّة، تقصد السيّد مجتمعةً في نادي الإمام الصادقؑ لاستماع ما يقول الأدباء والشعراء الذين كانوا يتسابقون إلى القول في هذه «الحلبة» من كلّ عام.

وكان السيّد ـ رضوان اللّه عليه ـ يكتفي في السنين الأخيرة، بما يقوله ابن أخيه المرحوم السيّد نورالدين، أو ابنه المرحوم السيّد صدرالدين، اللذان كانا يمثّلان السيّد في مثل هذه المواقف أحسن تمثيل.

لقد كان المرحوم السيّد أحمد الحسيني[١] وزير العدليّة في لبنان من الرجال المخلصين الذين يحرصون على سمعة القضاء، وتحقيق العدالة، وهذا ما حدا به إلى تعيين السيّد نورالدين قاضياً للشرع في صيداء، وقد كان لهذا التعيين صداه الحسن في الأُسرة القضائيّة، ممّا أطلق ألسنتها بشكر الوزير والثناء عليه.

لقد صادف تعيين السيّد نورالدينﷺ في صيداء كلّ الترحيب؛ لأنّ أهلها يكبرون مقام عمّه الإمام شرف‌الدين، ويعرفون أيضاً منزلة أخواله آل الزين، وهم في صيداء في مقدّمة المحترمين؛ لذلك رحّبوا بقاضيهم كلّ الترحيب، وأحلّوه المحلّ اللائق به، ونظروا إليه كعالم روحي يؤدّي وظيفته الشرعيّة.

---

١. هو من الشخصيّات البارزة في لبنان، ومن طليعة أعيانه المرموقين، ولد سنة ١٢٩٩، وقد انتخب نائباً في المجلس النيابي في أغلب أدواره، كما شغل عدّة وزارات أظهر فيها كفاءته ومرونته وإخلاصه.

وكان السيّد نورالدين‌ﷺ يقضي أوقاته بين حلّ القضايا والدعاوى في المحكمة الشرعيّة، وبين المطالعة في الكتب إذا رجع إلى البيت. وكان يولي عنايته في الكتب التي ترد لمجلّة العرفان وكان المرحوم خاله الشيخ عارف الزين يقدّمها إليه ليبدي فيها رأيه.

وكانت العرفان تنشر رأيه من تقريظ أو نقد أو توجيه، ولو جمعت هذه التعليقات النافعة لكانت كتاباً قيّماً، ولا سيّما إذا أُضيف إليها بعض المواضيع التي تدخل في باب الردود والنقود.

ولقد نقل من قضاء صيداء إلى بيروت لعضويّة محكمة الاستئناف الشرعيّة الجعفريّة العليا، وكان من ألمع أعضائها طوال السنين التي مرّت عليه في هذه المحكمة، ومركز الثقل فيها ومحلّ ثقة الناس واعتمادهم.

وكان السيّد نورالدين‌ﷺ المرشّح الأوّل للرئاسة بعد إحالة العلّامة الفقيه[1] على التقاعد، ولكنّ السياسة القائمة يومئذٍ ـ وكانت مناوئة للإمام شرف الدين ـ حالت دون الوصول إلى حقّه.

وحيث كان‌ﷺ أقدم الأعضاء وأعلاهم راتباً، فإنّه لا يجوز من الناحية القانونيّة تعيين سواه بالأصالة؛ لذلك عيّن وزير العدل بالوكالة أحد أعضاء المحكمة. ولمّا اقتضت السياسة إبعاد هذا الوكيل، عيّنت الوزارة عندئذٍ عضواً آخر من أعضاء المحكمة بعيداً عن الطرفين.

وبقي‌ﷺ مع الرئيس الجديد يسيران جنباً إلى جنب في تدقيق القضايا واستئنافها، وإبداء الرأي فيها طوال السنين، حتّى انتهت مدّتهما في القضاء، بإحالتهما على التقاعد في يوم واحد.

وهكذا كانت حياة أبي الشريف السيّد نورالدين في القضاء طوال أيّامه تشعّ نوراً، وتفيض شرفاً وديناً. دخل القضاء شريفاً، وخرج منه شريفاً كما دخل، وهو في كلّ أدواره شريف، وابن الشريف، وأبو الشريف، ومن آل الشرف، سيرة معطّرة، واسم كريم، وعمل صالح، يسيّره فقه ودين، فرحمه اللّه رحمةً واسعةً، وحشره في زمرة أجداده الأئمّة الطاهرين.

---

١. هو الشيخ يوسف الفقيه من أفاضل علماء جبل عامل، وأجلّائهم، ولد في حاريص سنة ١٢٩٧، وله عدّة مؤلّفات قيّمة في مواضيعها، كما كانت له مشاركة حسنة في الشعر والأدب، توفّي سنة ١٣٧٧.

نثره وشعره

نثره بليغ، ناصع[١] البيان، واضح الأُسلوب، حسن الأداء، ليس في ألفاظه تعقيد، ولا في معانيه غموض، تقرأ في ألفاظه النقيّة قلبه الطاهر، وروحه الصافية.

لقد كان ميّالاً إلى تحرير المقالة، أكثر منه إلى كتابة البحوث وتأليف الكتب، وفي هذه المقالات، وفي رسائله إلى الأصدقاء، ما يستحقّ الإعجاب والتقدير.

وقد انصرف أخيراً إلى البحث، ولعلّ الدافع إلى ذلك هذا الفراغ الكبير، الذي حدث له بعد التقاعد، فسدّه بالانشغال في التأليف.

ونحن نشكر هذا الاعتزال الذي أتاح له الفرصة الثمينة، وهيّأ له هذا المجال.

وحسب هذا الفراغ أن أنتج لنا كتابه الجليل شرح الأزرية؛ فإنّ الأُزريّة من الشعر الخالد الذي جادت به قريحة شاعر العربيّة الشيخ كاظم الأزري‹ره›[٢] وهي قصيدة غرّاء في مدح النبيّ‹ص› والوصيّ والزهراء‹عليهما السلام›. ولا نعرف لها نظيراً في اللغة العربيّة من حيث السبك والمتانة والجزالة، وفصاحة اللفظ، وسموّ المعنى، وقد حلق في هذه القصيدة فلا يسبقه سابق، ولا يلحقه لاحق، وهي تدلّ على اطّلاع واسع في التأريخ، وقوّة تستدعي الإعجاب والإكبار، مع قدرة فائقة على إدلاء الحجج الساطعة، تلك الحجج التي أضافت إلى قوّة اللفظ ثروةً علميّةً زادت في جلال شعره وجماله.

وحسب السيّد نور الدين‹ره› أن نهض بشرح هذه اليتيمة الفريدة شرحاً ناصع البيان، غزير المادّة، مشرق الديباجة، واضح الأُسلوب. وقيامه‹ره› بهذه المهمّة خدمة جليلة أسداها إلى أُمّة الضاد في عصر اليقظة، والمكتبة العربيّة اليوم بأمسّ الحاجة إلى شعر الأُزري الخالد، الطافح

---

١. الناصع: الخالص الصافي. راجع المعجم الوسيط: ٩٢٦، «ن. ص. ع».

٢. كان السيّد بحر العلوم‹ره› يعظّمه كثيراً؛ لحسن مناظرته مع الخصوم، وكان الشيخ صاحب الجواهر يتمنّى أن يكتب في ديوان عمله القصيدة الأُزريّة، ويكتب الجواهر في ديوان الأُزري مكان القصيدة. ولد سنة ١١٤٣ وتوفّي سنة ١٢١١ ببغداد. انتهى عن الذريعة [١٧: ١٣٥/٧٠٢] والكنى والألقاب [٢: ٢٣].

بالأدب والحكمة، والفيّاض بالحبّ والولاء لأهل البيت أعدال الكتاب، وقادة الأمّة إلى الحقّ والصواب. هذا نثر السيّد نور الدين.

وأمّا شعره، فإنّه ﷺ قد اهتمّ بالنظم في الدور الأوّل من شبابه، وكان يحاول أن يكون من فرسانه، ولكنّ الوزن كان لا يستقيم له، فيرجع راجلاً لايستطيع السباق ولا الجري، ولم يؤثر عنه شعر في مهجره العلمي في النجف الأشرف، مع توفّر الدوافع التي تدفع بالأديب إلى ذلك.

ولكنّني أرسلت إليه قصيدةً في ١٩٤٦/٧/١٥ يوم كان قاضياً في صيداء، حرّكت عواطفه ودفعته إلى الردّ بقصيدة على الرويّ نفسه والقافية، وهي من الشعر الجيّد، الذي يجعله في مصاف الشعراء، ولو لم تكن له إلّا هذه القصيدة لكفى.

وهذه قصيدتي التي أرسلتها إليه، وفيها ذكريات وصور للماضي الزاهر الذي مرّ بإزدهار، ووطّدت أركانه يد الإخاء باستمرار، فقد قلت:

أرسلتها ألوكة

أُخـيّ ذي حشـاشتي ... على النوى لا تـصطبرْ
حـرّى ومـن أوارهـا ... هـذا الفـؤاد يستعرْ
أرسـلتها ألوكـة ... تـعيد ذكـر مـا غـبرْ
نشـرت فـيها صـفحة ... مـن الإخـاء فـي فِـقَرْ
أفـرغت فـيها صـورةً ... مشـروحةً فـيها صـورْ
تـريك مـن إخـائنا ... ما مرّ في عهد الصغرْ
عـهد الصـبا وليـته ... تـخلّد العـهد الأغـرْ
العـيش رغـد مـورق ... والعـمر فـيه مـزدهرْ
والصـفو فـي أيّـامه ... وفـي ليـاليه السمرْ
البـدر فـيه نـيّر ... وضاحك حتّى السحرْ
يكـفيك مـنه حسـنه ... وكـلّ مـا فـيه غُـرَرْ
فـلحنه لحـن الهـوى ... يـذيعه عـلى الوتـرْ

رقّت حواشيه كما رقّ الهوى رقّ السحرْ
وشاع في أندية الـ فضل سناه المنتشرْ
تضوع كالمسك شذىً ذكراه كلّما خطرْ
وطاف في أنحائه هذا الخيال واعتمرْ
نلنا المنى في عهده وعهده عهد نضرْ
رضعت فيه حبّكم والحبّ نعم المدّخرْ
رشفته كما أشا من برّة ومن أبرْ
يجمعنا على الإخا ء فيه حبّ استمرْ
لا يشتكي تغيّراً ولا يفلّ من غيرْ
قد وطّدت أركانه يد الإخاء فاستمرْ



❁ ❁ ❁

أخيّ ذي حشاشتي تذوب من شوق وحرْ
أرسلتها مع البريد علّها بكم تقرْ
ما كان هجري عن قلىً لكنّه كان قصرْ
لا عذر لي فيما مضى والخير لي أن أعتذرْ
وصل الخليل واجب في شرعنا وإن هجرْ
نسعى إلى امتثاله إمّا نهى أو إن أمرْ
شعارنا الثبات في ودادنا مدى العمرْ
يزيدنا تثبّتاً صرف الزمان أن يمرْ
لا نختشي من عاذل إن غاب فينا أو حضرْ
والبعد إن مضّ فلا يزيدنا إلّا السهرْ
نعيد فيه ما مضى من سالف العهد الأغرْ

❁ ❁ ❁

ربّاه قلّت حيلتي   فما أراني أصطبر
والبعد لا أقوى على   أعبائه مهما نزر
هل سفرة تعيد لي   «صيداء» هيهات السفر
لو كنت أستطيع السرى   لطرت في ذاك الأثر
لكنّها عوائق   تعيق عن نيل الوطر
فأكتفي بمهجتي   تزور خلّاً لم يزر

* * *

عرّج على ذاك الحمى   وربعه السامي الأغرّ
واخضع لقدس عيلم[1]   فصوله تتلى سور
وارجع إلى كلماته الغرا[2]   ء في فضل الغرر
تجد بها علّامة   قد رصّع العلم غرر
مراجعاته التي   تفيض في شتّى العبر
أبان فيها ما يشا   من عالم الفكر صور
وبثّ في يراعه   من الكلام ما سحر
وفاض في تحليل ما   قد دقّ من معنى الخبر
وحلّ كلّ غامض   من مشكل ومستتر
فجاء فيها آية   بليغة مدى العصر
من لي بلثم كفّه   وشمّ عرفها العطر
وجلسة بظلّه   يحوطني عطف وبر
فأنتشي كما أشا   ء من حنان مستمر

١. خال الناظم آية الله المرحوم السيّد عبدالحسين شرف‌الدين، والفصول، والكلمة الغرّاء، والمراجعات من مؤلّفاته الخالدات.

أروي غليلي من طلى حديثه العذب المسز
فأحتسي سلافة من منهل ثرّ مدز

* * *

حقّ لقطر عامل بشخصه أن يفتخز
ويزدهي جلالةً بعلمه ويزدهز
انظر إليه باحثاً وناقداً ومختبز
من مثله مناظراً وعالماً ومبتكز
وهادياً ومصلحاً وكاتباً ومفتكز
فلا تقس بشخصه أيّاً ترى مهما كبز

وأمّا قصيدة السيّد نورالدين﵀ فقد أثبتها الحجّة المرحوم السيّد عليّ الصدر في كتابه القيّم الحقيبة، ونشر منها صاحب كتاب زعيم الثورة المقطع الخاصّ بالمرحوم سماحة السيّد الصدر، وكانت الحقيبة مصدره في ما قاله الشعراء في الزعيم السيّد الصدر رضوان اللّه عليه.

وإليك المقطع الخاصّ بالسيّد الصدر﵀ من القصيدة التي أرسلها السيّد أبو الشريف، جواباً على قصيدتي المتقدّمة، قال:

أبا النهى سقياً لماضينا وللعهد الأغز
أيّام كنّا لا تروّعنا تباريح القدز
مذ كان يكفينا أذى الأ يّام «سيّدنا» الأبز
من قاد للنصر العراق وما تولّاه الضجز
أيّام قاد الثورة الشعوا ء وارتكب الخطز
والموت كان الورد للأعدا ء منه والصدز
وبكفّه الصمصام يفري من تخلّف أو غدز
وإذا بجيش المستبدّ أمام صولته اندحز
ذاك الذي أفعاله بين الأنام تنتشز

ذاك الذي علومه بين البرايا تزدهر
من ركّب التاج على مفرق فيصل الأغر

توفّي ـ عليه الرحمة والرضوان ـ في ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٩٦، في أحد مستشفيات صيداء، ونقل إلى صور بموكب حافل، حيث جرى له تشييع فخم من كافّة الطبقات، ودفن إلى جنب والدته رحمه الله. انتهى ما كتبه سماحة السيّد محمّد صادق دام ظلّه.

ولتبلبل الأوضاع، وتراكم الأحداث، تعذّر إقامة احتفال تأبيني له يوم الأسبوع ويوم الأربعين؛ لذلك لم يؤبّن ولم يرث بشيء، فننقل نماذج من ذلك.

أعقب رحمه الله أربعة أولاد.

أوّلهم: السيّد شريف، ولد في آخر ليلة من رمضان سنة ١٣٥٢، وهو يقيم في البحرين حيث يعلّم في إحدى مدارسها، ونسمع ممّن يأتي من هناك مدحاً في سيره وسلوكه، وله أربعة أولاد: غالب، ولد في ٢٧ شعبان سنة ١٣٨٤، وباسم، ولد في ١٦ ربيع الأوّل سنة ١٣٨٩، وسعيد، ولد في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٩٠، ونورالدين، ولد في ٢٧ ذي الحجّة سنة ١٣٩٣.

ثانيهم: السيّد باقر، ولد سنة ١٣٥٨ وهو في بيروت موظّف في إحدى الإدارات، له ولدان حسام ولد في ١٤ شعبان سنة ١٣٩٠، ووسام، ولد في ربيع الأوّل سنة ١٣٩٦.

ثالثهم: السيّد زين‌العابدين، ولد في ٢٩ رجب سنة ١٣٦٦، ولم يعقب إلى الآن سوى بنت واحدة.

رابعهم: السيّد حسين، ولد في جمادى الثانية سنة ١٣٧٣.

ثانيهم ـ من أبناء المقدّس السيّد شريف ـ: السيّد كاظم، ولد في النجف الأشرف ـ أيّام هجرة أبيه فيها ـ ليلة ٢٥ ذي الحجّة سنة ١٣٢٩، وهو سيّد نجيب حيّي وفيّ كريم، وكان في بيروت يتّجر فيها بالكتب، لا سيّما بالمخطوطات والنوادر، فإنّه نقيد بصير فيها، توفّي في ١١ رمضان سنة ١٤٠١ ـ عليه الرحمة ـ وأعقب أربعة أولاد وهم:

إبراهيم: ولد في منتصف شعبان سنة ١٣٥٤، وهو شهم ذكيّ الفؤاد، متوقّد الذهن أسّس

مكتبةً ثمّ أضاف إليها داراً للطباعة والنشر أسماها «المكتبة الحديثة للطباعة والنشر» في بيروت، وله القدح المعلّى في ذلك، فقد أصبح بجدّه وذكائه وحسن تصرّفه من أشهر المكتبيّين المعروفين في بيروت؛ حيث وسّع شغله في أكثر العواصم العربيّة. ولكن عاجلته المنيّة فتوفّي مأسوفاً عليه من الجميع في ٢٢ صفر سنة ١٤٠٤، وخلّف ثلاثة أولاد: عليّ، ولد في ٢٧ صفر سنة ١٣٩٢، وحسين، ولد في أوّل شعبان سنة ١٣٩٦، وحسن، ولد في ٨ ربيع الأوّل سنة ١٤٠٠، وكلّهم من أهل النباهة والفطنة وفّقهم اللّه.

نزار: ولد في غرّة جمادى الثانية سنة ١٣٦٣، وهو إلى الآن لم يعقب.

عدنان: ولد في ١٢ رجب سنة ١٣٦٥، وهو نجيب لبيب حسن الأخلاق، هاجر إلى أبيدجان للتجارة وأفلح ـ والحمد للّه ـ له ثلاثة أولاد: كريم، ولد في ١٩ رجب سنة ١٣٩٤، وأكرم، ولد في ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٩٨، ونبيل، ولد في ٩ ذي القعدة سنة ١٤٠٠.

قاسم: ولد في ١٢ صفر سنة ١٣٦٧، وقد تخرّج من إحدى جامعات روسيا حائزاً منها على شهادة «الدكتوراه» في طبّ العيون، وأقام في بيروت يباشر عمله وفّقه اللّه.

ثالثهم ـ من أبناء المقدّس السيّد شريف ـ: السيّد مرتضى، ولد في ليلة ١٢ صفر سنة ١٣٣٢، وهو من خيرة السادة أخلاقاً ونبلاً وصفاءً يفيض طبعه شمماً وإباءً وشهامةً وسخاءً، وبهذا أُوتي كلّ محبّة واحترام وإكبار من مختلف الطبقات، توفّي مأسوفاً عليه في ١٧ جمادى الثانية سنة ١٤٠٢، وخلّف خمسة من الأولاد وهم:

حسن: ولد في ١٩ جمادى الأُولى سنة ١٣٦٥، وهو شابّ طموح مهاجر في دكار عاصمة السنغال ولم يعقب إلى الآن سوى بنتين.

حسين: ولد في ٨ جمادى الأُولى سنة ١٣٦٩، وهو من أحسن الشباب في صفاته وسلوكه، وقد درس طب الأسنان عدّة سنين في إحدى جامعات فرنسا، ونال منها شهادة «الدكتوراه» في سنة ١٣٩٦، وقد أقام في «الغابون» من مقاطعات أفريقيّا، حيث باشر عمله هناك وفّقه اللّه.

له ولد واحد اسمه رضوان ولد في ٢٠ شعبان سنة ١٤٠٤.

عبّاس: ولد في أوّل ذي القعدة سنة ١٣٧٠، وهو من أهل الاستقامة والنجابة والأخلاق، هاجر

إلى أفريقيا بعد نيله لشهادة «البكالوريا» الثانية واشتغل فيها بالتجارة وأفلح والحمد لله.

له ولد واحد اسمه وائل، ولد في ٤ شوّال سنة ١٤٠١.

رضا: ولد في ٨ ذي القعدة سنة ١٣٧٦، وقد درس في إحدى جامعات روسيا طبّ الأسنان، ونال شهادة «الدكتوراه» وعاد إلى صور مزاولاً عمله وفّقه اللّه، وله ولد اسمه مرتضى، ولد في ١٨ شعبان سنة ١٤٠٤.

ناصر: ولد في ٢٠ ربيع الأوّل سنة ١٣٧٨، وهو الآن في إحدى جامعات أمريكا مشغولٌ فيها بدراسة هندسة البناء وفّقه اللّه.

رابعهم ـ من أبناء المقدّس السيّد شريف ـ: السيّد محمّد ولد ليلة ١٤ ربيع الأوّل سنة ١٣٣٦، وهو معروف بتديّنه وحسن أخلاقه ولطف معشره، محبوب لذلك من كلّ من عرفه، توفّي ليلة أوّل جمادى الأُولى سنة ١٤٠٦، وخلّف ثلاثة أولاد وهم قاسم، ولد في ٧ شعبان سنة ١٣٧٥، ولقاسم هذا ولد اسمه محمّد، ولد في ١٩ جمادى الثانية سنة ١٤٠٢، وطاهر، ولد في ٩ شوّال سنة ١٣٨٠، ولطاهر هذا ولد اسمه شريف، ولد في ١٣ جمادى الثانية سنة ١٤٠٤، وإبراهيم، ولد في ٨ رمضان سنة ١٣٨٢.

[٢٠] كلمة للأديب الحوماني

ويلحق بهذه المناسبة كلمة للأديب الكبير الحوماني، وقد ذكرها في كتابه من يسمع ص٣٨٣ وما بعدها، تحت عنوان طرائف النبلاء، وهي ما يلي:

في أوائل سنة ١٩٣٢، مررت بأُوربا عائداً من أميركا، ولبثت في لوزان بضعة عشر يوماً، كنت اجتمع خلالها إلى ثلاثة نبلاء، هم: الأمير شكيب أرسلان[١]،

١. الأمير شكيب بن محمود أرسلان، عالم بالأدب والسياسة، مؤرّخ من أكابر الكتّاب ينعت بـ«أمير البيان»، ولد في الشويفات بلبنان سنة ١٢٨٦، انتخب نائباً عن حوران في مجلس المبعوثان العثماني، وعالج السياسة الإسلاميّة والقضايا العربيّة، وعرّفه خليل مطران بـ«إمام المترسّلين». له مؤلّفات كثيرة، أقام في جنيف ٢٥ سنة وعاد إلى بيروت فتوفّي سنة ١٣٦٦. انتهى ملخّصاً عن الأعلام [٣: ١٧٣] ج ٣ ص ٢٥١.

وعادل أرسلان[١]، والسيّد إحسان الجابري[٢] من أعيان العرب الحلبيّين، وكانت لهذا السيّد طرائف حفظت منها أشياء في ماضي ما كتبت. والآن بعد أن زرت حلب الشهباء بدعوة من الإخوان المسلمين، لإنشادهم قصيدتين في ميلاد النبيّ الأعظمﷺ زرت النبيل الجابري هذا، وأذكرنا أيّامنا في لوزان، فتحدّث إلينا بما يلي:

وممّا يؤسفني أن كنت في مصر، وأقام السيّد محمّد عليّ الطاهر[٣] حفلاً مهيباً لذكرى صديقنا الأمير شكيب، وحاولت أن أكون خطيب هذا الحفل؛ لأنّي أعرف الناس بالفقيد بعد أهله، ولكنّي فوجئت بعدم الدعوة للمحفل فتساءلت عن السبب؛ وإذا به عدم رضى السيّد الطاهر عليّ، وسألت عن سبب هذا الغضب، فإذا به دفاعي عن رياض الصلح في مجلس كان هو من شهوده، وهو يكره هذا الرجل؛ من أجل ذلك أسفت لهذا الحدث أسفي لعدم اشتراكي في التأبين.

قلت: يشاركه في هذا التنكّر لرياض الصلح العلّامة شرف‌الدين، ولقد أفاد من تنكّره له نصف مليون دينار لبناني، كانت نواة لمعهد علمي شاده في مدينة صور، يضمّ المئات من طلّاب العلم العامليّين، وذلك على أثر طلبه من حكومة لبنان، التي يرأسها رياض الصلح، عوناً على تعزيز هذا المعهد، فلم يجد هذا العون، وقد اتّصل بالمغتربين في أفريقيا [بعد][٤]

---

١. هو شقيق الأمير شكيب، أمير مجاهد شاعر من قادة الثورة في سوريا ينعت بـ«أمير السيف والقلم»، كان من أعضاء مجلس النوّاب العثماني، ولد سنة ١٣٠٥، تولّى في العهد الوطني بعض الوزارات، ثمّ اعتزل الأعمال، وأقام في بيروت إلى أن توفّي سنة ١٣٧٣، وكان ألمعيّاً كريم النفس أبيّاً، له شعر جيّد حلو المعاني، رفيع الأسلوب. انتهى ملخّصاً عن الأعلام [٣: ٢٤٣] ج ٤ ص ٩.

٢. هو من أشهر رجالات العرب ومن أنبلهم وأخلصهم في مجال الجهاد في سبيل العروبة، كان في عهد ملكيّة فيصل الأوّل في سوريا رئيس أمنائه، وقضى بعد ذلك مدّةً طويلةً في جنيف منتهزاً كلّ فرصة هناك لخدمة القضيّة العربيّة، ثمّ عاد إلى سوريا وتقلّد عدّة مناصب مهمّة.

٣. ولد في نابلس وأقام في القاهرة وأصدر فيها جريدة الشورى الأسبوعيّة، وكان يكتب فيها كبار المجاهدين والسياسيّين في العالم العربي، وقضى حياته مجاهداً في سبيل القضيّة العربيّة والفلسطينيّة، وكان يعقد ندوةً أدبيّةً وسياسيّةً في بيته، ويؤمّها كبار الشخصيّات والسياسيّين من العرب، انتقل أخيراً إلى بيروت فاستقرّ بها إلى أن توفّي سنة ١٣٩٤، وقد ناهز الثمانين. انتهى ملخّصاً عن العرفان م٦٢ ص٢٩ ـ ١٠.

٤. الإضافة منّا لتصحيح العبارة.

إخفاق السيّد بما طلب، وهو المجاهد الأوّل في سبيل الحقّ، فلبّوا دعوته.

قال السيّد الجابري: حقّاً إنّ السيّد شرف‌الدين خليق بالتلبية من الأمّة؛ لأنّه أسمى إباء وكرامة نفس من كلّ رجل عرفته.

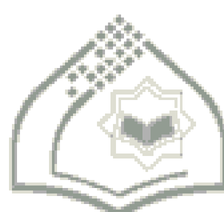
قلت: لقد نقل لي الأمير شكيب إباءه بين يدي فيصل بن الحسين عن قبوله ما قدّمه له من المال.

قال: لقد أخذ الأمير الأرسلاني ذلك عنّي.

قلت: أُحبّ أن أسمعه من فمك، وقد كان في مجلس الجابري ثلّة من كرام الناس، فيهم الشيخ طاهر النعساني والأديب نهاد القادري.

فقال: لقد عهد إليّ المغفور له فيصل أن أُقدّم لهذا السيّد يوم زاره مع نفر من علماء جبل عامل خمسة آلاف دينار مصري، وكان يومئذ أنفس من الدينار السكسوني الذهب، فلمّا رأى السيّد المال شاع الغضب في وجهه، وقال: بلّغ صاحب الجلالة أنّا لم نشد به، ونثر من أجله في سبيل المال، وإنّما هي عقيدة درج عليها كلّ شيعي منذ عهد الإمام عليّ عليه السلام حتّى نجله فيصل هذا، فنحن إنّما نخدم بخدمته رسالة جدّه الرسول الأعظم٩، فلا حاجة لنا في المال.

ولمّا عدت بالهدية إلى الملك انتصب متأثّراً، ثمّ قال: هذا ما لم أعهده في حياتي، ولم يمرر بي رجل ممّن أحترم في رجال الأمّة من يحمل هذا الإباء، ويتحلّى بهذه الكرامة. انتهى.



فهرس الموضوعات



(٢٧) بغية الراغبين

الباب الأوّل

في ذكر أبيه، فأخويه، فأعمامه، فجدّه، فجدّ أبيه، فجدّ جدّه...

الباب الثاني: في بقيّة شرف الدين

الفرع الأوّل: أبو محمّد الحسن الزكيّ الصدر

تتمة الباب: والدي المقدّس السيّد يوسف

الخاتمة: السيرة الذاتيّة

تذييلات ٣٤٩١